الميسر في التفسير المختصر من تفسير النسفي

(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)

وبعض غيره

للشيخ أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
المتوفى سنة ٧٠١ هـ

اختصار

أ. د. محمد البكري

شركة دار المشاريع

الطبعـــة الأولى

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م

شركة دار المشاريع

بيـــروت - لبنـــان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون، بناية الإخلاص

تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠

صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان



ISBN 978-9953-20-921-0



email: dar.nashr@gmail.com

www.dmcpublisher.com

سورة الكهف
مكية، وهي مائة وإحدى عشرة ءاية بصري وعشر ءايات كوفي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمدٍ ﷺ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرءان، لَقَّنَ اللهُ عبادَه ووفَّقهم كيف يُثْنون عليه ويَحمدونه على أجزل نَعْمائه عليهم وهي نعمةُ الإسلام وما أَنزلَ على محمد ﷺ من الكتاب الذي هو سببُ نجاتهم ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ شيئًا من العوج، والمرادُ نفيُ الاختلافِ والتناقض عن معانيه وخروجِ شىء منه من الحكمة.

٢- ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيمًا، والتقديرُ جَعَله قيّمًا ﴿لِّيُنذِرَ﴾ الذين كفروا ﴿بَأْسًا﴾ عذابًا ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ صادرًا من عنده ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ﴾ أي بأنَّ لهم ﴿أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ أي الجنة.

٣- ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾ في الأجر وهو الجنةُ ﴿أَبَدًا ﴿٣﴾﴾.

٤- ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ ذَكرَ المنذَرين دون المنذَر به بعكسِ الأولِ استغناءً بتقديم ذِكره.

٥- ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي بالولدِ، يعني أن قولَهم هذا لم يصدر

﴿وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ
نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ٦ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا
لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ٨﴾

عن عِلم لأنه في نفسه محال، ولكن عن جهل مُفْرِط ﴿وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ﴾ المقلَّدين ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ فيه معنى التعجب كأنه قيل: ما أكبرَها كلمةً، والضمير يرجع إلى قولهم: اتَّخذَ الله ولدًا ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ﴾ استعظامًا لاجترائهم على النطق بها وإخراجِها من أفواههم، فإن كثيرًا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكَرات لا يتمالكون أن يتفوَّهوا به بل يكظِمون عليه، فكيف بمثل هذا المنكر ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ٥﴾ ما يقولون ذلك إلا كذبًا.

٦- ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتلٌ نفسك ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ ءاثارِ الكفار، شَبَّهَهُ وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخَلَه من الأسف على توليهم برَجُلٍ فارقه أحبتُه فهو يتساقَطُ حَسَراتٍ على ءاثارهم ويبخَعُ نفسَه تلهُّفًا على فِراقهم ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ بالقرءان ﴿أَسَفًا ٦﴾ لفرط الحزن، والأسفُ: المبالغة في الحزن والغضب.

٧- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ ما يَصلُح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يُستحسن منها ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٧﴾ وحُسنُ العملِ: الزهدُ فيها وترك الاغترار بها.

ثم زهَّد في الميل إليها بقوله:

٨- ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ من هذه الزينة ﴿صَعِيدًا﴾ أرضًا مَلساءَ ﴿جُرُزًا ٨﴾ يابسًا لا نبات فيها بعد أن كانت خضراءَ مُعْشِبةً، والمعنى: نعيدُها بعد عِمارتها خرابًا بإماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار وغيرِ ذلك.

ولمَّا ذَكرَ من الآيات الكُلِّية تزيينَ الأرض بما خلقَ فوقها من الأجناس التي لا حصرَ لها وإزالةَ ذلك كلِّه كأن لم يكن قال:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾

٩- ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ يعني أنَّ ذلك أَعظمُ من قِصة أصحاب الكهف وإبقاءِ حياتهم مدةً طويلة، والكهفُ: الغارُ الواسع في الجبل، والرَّقيمُ: اسمُ كلبِهم، أو قريتهم، أو اسم كتاب كُتِبَ في شأنهم ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ كانوا ءاية عجبًا من ءاياتنا.

١٠- ﴿إِذْ﴾ اذكر إذ ﴿أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ رحمةً من خزائن رحمتِك وهي المغفرةُ والرزق والأمنُ من الأعداء ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي نحن عليه من مفارقة الكفار ﴿رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ طريق رضاك.

١١- ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ﴾ ضربنا عليها حجابًا من أن تسمع، يعني أَنَمْناهم إنامةً ثقيلة لا تُنبِّههم فيها الأصواتُ ﴿سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ ذواتِ عددٍ.

١٢- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم من النوم ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ المختلفَين منهم في مدة لُبثِهم لأنهم لمَّا انتبهوا اختلفوا في ذلك وكان الذين قالوا: ربكم أَعلم بما لبثتم هم الذين علموا أنَّ لُبثهم قد تطاول ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ غاية، والمعنى: أَيُّهم أحاط عِلمًا بأمد لبثهم، وإنما قال: لنعلمَ مع أنه تعالى لم يزل عالمًا بذلك لأنَّ المراد ما تعلَّقَ به العلمُ من ظهور الأمر ليزدادوا إيمانًا واعتبارًا، وليكون لطفًا لمؤمني زمانهم، وءاية بيّنة لكفارِه.

١٣- ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالصِّدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ جمع فتى ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ يقينًا، وكانوا مِن خواصِّ

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾

دقيانوس[١]، قد قذف الله في قلوبهم الإيمان.

١٤- ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وقوَّيناها بالصبر على هِجران الأوطان، والفِرارِ بالدين إلى بعض الغِيران[٢]، وجَسَّرناهم على القيام بكلمة الحقِّ والتظاهر بالإسلام ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يدي الجبّار، وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مفتخرين ﴿لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا﴾، ولئن سمَّيناهم آلهةً ﴿لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ قولًا ذا شَطَطٍ، وهو الإفراطُ في الظلم والإبعادُ فيه.

١٥- ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ هو إخبار في معنى الإنكار ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ هَلّا يأتون على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ بحُجة ظاهرة، وهو تبكيت[٣] لأن الإتيانَ بالسلطان على عبادة الأوثان محالٌ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ بنسبة الشريك إليه.

١٦- ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطابٌ من بعضهم لبعض حين صَمَّمت عزيمتُهم على الفِرار بدينهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ لأنهم كانوا يُقِرُّون بالخالق ويُشركون معه غيرَه

---

(١) دقيانوس: حاكم بلادهم في زمانهم.
(٢) الغِيرانُ جمع غارٍ: نَقْبٌ كالكهف في الجبل، وهو شِبهُ البيت فيه.
(٣) التبكيت: التقريع والتعنيف والنَّهْر.

﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ۞وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ﴾

كأهل مكة ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ اجعلوا الكهف مأواكم ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ مِن رزقه ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾ ما يُرتَفَقُ به، أي يُنتفع، وإنما قالوا ذلك ثقةً بفضل الله، وقوةً في رجائهم لتوكُّلِهم عليه ونُصوع يقينهم.

١٧- ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ مِن الزَّوَر وهو المَيل ﴿عَن كَهۡفِهِمۡ﴾ أي تميل عنه ولا يقعُ شعاعُها عليهم ﴿ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ﴾ جهةَ اليمين ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ﴾ تتركُهم وتعدِلُ عنهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ في مُتَّسَع من الكهف، والمعنى أنهم في ظِلِّ نهارَهم كُلَّه، لا تصيبهم الشمسُ في طلوعها ولا غروبها، مع أنهم في مكان واسع مُنفَتِح مُعرَّض لإصابة الشمس لولا أنَّ الله يَحجُبها عنهم ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ﴾ أي ما صَنَعَه اللهُ بهم من ازورارِ الشمس وقرضِها طالعةً وغاربةً ءايةٌ من ءايات الله ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾ ثناءٌ عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوهَهم فأرشَدَهم إلى نَيْلِ تلك الكرامة السَّنية ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ أي مَن أضلَّه فلا هاديَ له.

١٨- ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا﴾ جمع يَقِظٍ ﴿وَهُمۡ رُقُودٞۚ﴾ نيامٌ، قيل: عيونُهم مُفتَّحةٌ وهم نيامٌ فيحسَبُهم الناظرُ لذلك أيقاظًا ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾ قيل: لهم تقلُّبَتان في السنة ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ بالفِناء، أو العَتَبَة ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ لو أشرفْتَ عليهم فنظرتَ إليهم ﴿لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾ لأعرضْتَ عنهم وهربتَ منهم ﴿وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ

﴿رُعْبًا ١٨ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ١٩ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ٢٠﴾

﴿رُعْبًا ١٨﴾ وذلك لِمَا ألبَسَهم اللهُ من الهيبة، أو لطول أظفارهم وشعورهم وعِظَم أجرامهم.

١٩- ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ وكما أنَمْناهم تلك النومةَ كذلك أيقظناهم إظهارًا للقدرة على الإنامة والبعث جميعًا ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ ليسأل بعضُهم بعضًا، ويتعرفوا حالَهم وما صنعَ اللهُ بهم، فيعتبروا ويستدلّوا على عِظَم قُدرة الله، ويزدادوا يقينًا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ رئيسُهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ كم مدة لبثكم؟ ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ جوابٌ مبني على غالب الظنّ ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ بمدة لُبثكم، إنكارٌ عليهم مِن بعضِهم، كأنهم قد علموا بالأدلة، أو بإلهامٍ أن المدةَ متطاوِلةٌ، وأن مقدارَها لا يعلمُه إلا الله.

ورُوي أنهم دخلوا الكهفَ غُدوة وكان انتباهُهم بعد الزوال، فظنوا أَنهم في يومهم، فلمَّا نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم﴾ يَمْليخا ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ هي الفضةُ مضروبةً كانت أو غيرَ مضروبة ﴿هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هي طَرَسُوس ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [أيُّ أطعمة المدينة] أَحلُّ وأطيب ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وليتكلَّف اللطفَ فيما يباشرُه من أَمر المبايعة حتى لا يُغْبَنَ، أو في أمر التخفّي حتى لا يُعرفَ ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ١٩﴾ ولا يفعلَنَّ ما يؤدي إلى الشعور بنا من غير قصد منه.

٢٠- ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ يطَّلعوا عليكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم أَخبثَ القِتلةِ ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ﴾ بالإكراه ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ٢٠﴾ ولن تفلحوا إن دخلتم في دينهم أبدًا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾

٢١- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ كما أنَمْناهم وبعثناهم لِمَا في ذلك من الحكمة أَطْلَعنا عليهم ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ أي الذين أطلعناهم على حالهم ﴿أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ وهو البعثُ ﴿حَقّٞ﴾ كائنٌ، لأن حالَهم في نومهم وانتباهَهم بعدَها كحال من يموتُ ثم يُبعث ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾ فإنهم يستدلّون بأَمرهم على صِحة البعث ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ أَعثرناهم عليهم حين يتنازعُ أهلُ ذلك الزمان ﴿بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ﴾ أَمرَ دينهِم ويختلفون في حقيقة البعث، فكان بعضهم يقول: تُبعثُ الأرواح دون الأجساد، وبعضُهم يقول: تُبعث الأجساد مع الأرواح، ليرتفعَ الخلافُ وليتبين أن الأجسادَ تُبعث حيةً حَسَّاسةً فيها أرواحُها كما كانت قبل الموت ﴿فَقَالُواْ﴾ حين توفَّى اللهُ أصحابَ الكهف ﴿ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ﴾ على باب كهفهم لئَلا يتطرق إليهم الناس ضَنًّا بتربتهم[1] ومحافظةً عليها كما حُفظت تربةُ رسول الله ﷺ بالحظيرة[2] ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾ من كلام المتنازعين، كأنهم تذاكروا أَمرَهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومُدةِ لُبثهم، فلمَّا لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا: ربُّهم أعلم بهم، أو مِن كلام الله عزَّ وجلَّ رَدًّا لقول الخائضينَ في حديثهم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ مِن المسلمين ومَلِكِهم، وكانوا أَولَى بهم وبالبناء عليهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم﴾ على باب الكهف ﴿مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ يُصلي فيه المسلمونَ ويتبركون بمكانهم.

رُويَ أن أهلَ الإنجيل عَظُمت فيهم الخطايا وطغت ملوكُهم حتى عبدوا الأصنامَ، وأَكرَهوا على عبادتها، وممن شدَّد في ذلك دقيانوس، فأرادَ

---

(١) الضَّنُّ في الأصل: البُخْلُ، والمراد به هنا المحافظةُ عليها.

(٢) الحظيرة: ما أحاط بالشيء، والمراد الجدارُ الذي بُنِيَ حول تربة النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

فتيةً من أشراف قومِه على الشرك وتوعَّدَهم بالقتل فأَبَوا إلا الثباتَ على الإيمان والتصلُّبَ فيه، ثم هربوا إلى الكهف ومَرّوا بكلب فتبعهم، فطردوه، فأَنطقه اللهُ تعالى، فقال: ما تريدون مني؟ إني أُحب أَحبَّاءَ الله، فناموا وأنا أحرُسُكُم، وقيل: مرُّوا براعٍ معه كلب فتبعهم على دينهم [وتبعهم الكلبُ] ودخلوا الكهف فضرَبَ الله على ءاذانهم، وقبل أن يبعثَهم اللهُ مَلَكَ مدينَتهم رجلٌ صالح مؤمن، وقد اختلف أهلُ مملكته في البعث معترفين وجاحدين، فسأل رَبَّه أن يُبينَ لهم الحقَّ، ولمَّا دخلَ المدينةَ مَنْ بعثوه لابتياع الطعام وأَخرجَ الوَرِقَ وكان من ضَربِ دقيانوس اتَّهموه بأنه وجدَ كنزًا فذهبوا به إلى الملك فقصَّ عليه القصة، فانطلق الملك وأهلُ المدينة معه، وأَبصروهم، وحَمِدوا اللهَ على الآية الدالَّة على البعث، ثم قالت الفتية للملك: نستودعك اللهَ ونعيذُكَ به من شرِّ الجنِّ والإنس، ثم رجعوا إلى مضاجعهم، وتوفَّى اللهُ أنفسَهم، فألقى الملك عليهم ثيابَه، وأَمر فجُعلَ لكلِّ واحد تابوتٌ من ذهب، فرءاهم في المنام كارهين للذهب، فجعلَها من السَّاج، وبنى على باب الكهف مسجدًا.

٢٢- ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الضمير في سيقولون لِمَن خاضَ في قصتهم في زمن رسول الله ﷺ من المؤمنين. وأهلُ الكتاب سألوا رسولَ الله ﷺ عنهم فأخَّرَ الجوابَ إلى أن يوحَى إليه فيهم، فنزلت إخبارًا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيبَ منهم من يقول: سبعةٌ وثامِنُهم كلبُهم.

﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ وقد أَخبركُم بها بقوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من أهل الكتاب، أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا، ولا علمَ بذلك إلا في قليل منهم، وأكثرُهم على

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ﴾

ظَنٍّ وتخمين ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ فلا تجادل أهلَ الكتاب في شأن أصحاب الكهف ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ إلا جدالًا ظاهرًا غيرَ متعمِّقٍ فيه، وهو أن تَقُصَّ عليهم ما أَوحى الله إليك فحسب ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ ولا تسأل أحدًا منهم عن قصتهم لأن الله تعالى قد أرشدك بأَنْ أوحى إليك قصتَهم.

٢٣- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾ لأَجل شيء تَعزِمُ عليه ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾ الشيءَ ﴿غَدًا ﴿٢٣﴾﴾ أي فيما يُستقبل من الزمان ولم يُرِد الغدَ خاصة.

٢٤- ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ إلا ملتبِسًا بمشيئة الله قائلًا: إن شاء الله ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ وقل: إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك.

﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [عسى أن ييسِّرَ الله لي من الأدلة على نبوتي ما هو أعظم وأقرب من دليل أصحاب الكهف، وقد فعل حيث ءاتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدلُّ].

٢٥- ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ يريد لبثَهم فيه أحياءً مضروبًا على ءاذانهم هذه المدة، وهو بيان لِمَا أَجمَلَ في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [سورة الكهف] ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ تسع سنين لدلالة ما قبله عليه.

٢٦- ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ هو أعلم مِنَ الذين اختلفوا فيهم بمدة لُبثِهم، والحقُّ ما أَخبرَك به ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ ذكرَ اختصاصَه بعلم ما غاب في السماوات والأرض وخفيَ فيها من أحوال أهلها ومن غيرها ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ﴾ ما أَبصَرَهُ بكل موجود وما أَسمَعَه لكل

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾

مسموع [أي لا يغيب عن بصره تعالى وسمعه شيء] ﴿مَا لَهُم﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ من متولٍّ لأمورهم ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ﴾ في قضائه ﴿أَحَدٗا ﴿٢٦﴾﴾ منهم.

كانوا يقولون: ائت بقرءان غيرِ هذا أو بَدِّله، فقيل له:

٢٧- ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ﴾ من القرءان، ولا تسمع لِمَا يَهذُون به من طلب التبديل فإنه ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لا يقدِرُ أحد على تبديلها أو تغييرها ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾﴾ ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك.

ولَمَّا قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله ﷺ: نَحِّ هؤلاء الموالي، وهم: صهيبٌ وعمار وخَبَّابٌ وسَلْمان وغيرُهم من فقراء المسلمين حتى نجالسَك، نزل:

٢٨- ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ واحبِسها معهم وثَبِّتها ﴿بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ دائبين على الدعاء في كلِّ وقت ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ رضا الله [بفعلهم هذا] ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ ولا تُجاوز [عيناك عنهم إلى أولئك] ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [تريد أولئك الرؤساء الذين يطلبون منك مجلسًا على حدة يريدون بذلك الحياة الدنيا ولا يريدون وجه الله، أو لو فعلت ما سألوك كان فعل ذلك كفعل مَن يريد زينة الحياة الدنيا، ولم يُرد النبيّ ﷺ أن يفعل ذلك، ولكن هذا النهي كقوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الزمر] وإن كان الله أعاذه من ذلك] ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ مَن جعلنا قلبه غافلًا عن الذكر، وهو دليل لنا على أنه تعالى خالق أفعال العباد ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ

﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾

وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ مجاوزًا عن الحقِّ.

٢٩- ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي الإسلامُ أو القرءان ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ أي جاءَ الحقُّ وزاحت العِلَلُ فلم يبقَ إلا اختيارُكم لأنفسكم ما شئتم مِنَ الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك [على عِلم بأنَّ مَن كفر فجزاؤه ما ذكرناه في هذه الآية، ومن ءامَنَ فجزاؤه ما ذكرناه في الآية التي بعدها، وهذا صيغته صيغة الأمر وفي الحقيقة هو أشد تهديدًا وأبلغ زجرًا].

ثم ذكر جزاءَ مَن اختار الكفر فقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ هيَّأنا ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ للكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [سورها]، أو هو حائط من نار يحيط بهم، [أي لا مَخلصَ لهم منها ولا مخرج] ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟﴾ من العطش ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ هو دُرْدِيُّ الزيت[1]، أو ما أُذيبَ من جواهر الأرض، وفيه تهكُّم بهم ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ إذا قُدِّمَ لِيُشْرَب انشوى الوجهُ من حرارته ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ ذلك ﴿وَسَآءَتْ﴾ النار ﴿مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ مُتكأً، من المِرفَق[2]، وهذا لمُشاكلة قوله: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة الكهف] وإلا فلا ارتفاق لأهل النار.

٣٠- وجزاءَ من اختار الإيمان فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [وفيه إضمارٌ، أي لا نضيع أجر مَن أحسن منهم عملًا، فأما مَن أحسن عملًا مِن غير المؤمنين فعمله مُحبَط].

---

(١) دُرْدِيُّ الزيت: ما يبقى أسفله.
(٢) يقال: ارتفق إذا اتَّكَأَ على مِرفَقِه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾

٣١- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بيانٌ للأجر المُبهَم ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ وتنكير أساور - جمعُ أَسْوِرَةٍ جمعُ سِوارٍ - لإبهام أمرها في الحُسن ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾ ما رَقَّ من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غَلُظَ منه، أي يجمعون بين النوعين ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ خَصَّ الاتكاءَ لأنه هيئةُ المتنعِّمين والملوكِ على أَسِرَّتهم ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ الجنةُ ﴿وَحَسُنَتْ﴾ الجنةُ والأرائك ﴿مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ مُتَّكأً.

٣٢- ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ وَمثِّل حالَ الكافرين والمؤمنين بحال رجلين، وكانا أَخوين في بني إسرائيل، أحدهما كافرٌ اسمه قُطْروسُ والآخر مؤمن اسمه يهوذا، ورثا من أبيهما ثمانيةَ ءالاف دينار فجعلاها شطرين، فاشترى الكافرُ أرضًا بألف دينار، فقال المؤمن: اللهم إنَّ أَخي اشترى أرضًا بألف دينار، وأنا أشتري منك أرضًا في الجنة بألف، فتصدَّق به، ثم بنى أخوه دارًا بألف، فقال: اللهم إني أشتري منك دارًا في الجنة بألف، فتصدق به، ثم تزوج أخوه امرأة بألف، فقال: اللهم إني جعلت ألفًا صداقًا للحُور، ثم اشترى أخوه خدمًا ومتاعًا بألف دينار، فقال: اللهم إني اشتريت منك الوِلدانَ المُخَلَّدِين بألف، فتصدق به، ثم أصابته حاجة، فجلس لأخيه على طريقه فمرَّ به في حَشَمِه[1]، فتعرَّضَ له، فطردَه ووبَّخه على التصدُّق بماله ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ [بستانين] من كروم ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ وجعلنا النخل محيطًا بالجَنَّتين ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾ جعلناها أرضًا جامعة للأقوات والفواكه.

---

(١) حَشَمُ الرجل: خاصَّتُه الذين يغضبون له إذا أصابَه أمرٌ من عبيد أو أهل أو جِيْرَة.

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾

٣٣- ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ﴾ أعطت ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ ولم تَنْقُص من أُكُلها شيئًا ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ [شققنا وأجرينا] ﴿خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ نَعَتَهما بوفاء الثمار وتمام الأُكُل من غير نقص، ثم بما هو أَصلُ الخير ومادَّتُه من أمر الشرب، فجَعلَه أفضلَ ما يُسْقَى به وهو النهر الجاري فيها.

٣٤- ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ لصاحب الجنتين ﴿ثَمَرٌ﴾ أنواع من المال، من ثَمُرَ مالُه: إذا كَثُرَ، أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموالُ الكثيرة مِنَ الذهب والفضة وغيرهما ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يراجعه الكلام يعني قطروس أخذَ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخِرُه بما مَلَك من المال دونه ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ أنصارًا وحشمًا، أو أولادًا.

٣٥- ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ إحدى جَنَّتيه ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ ضارٌّ لها بالكفر ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ أي أن تَهلِكَ هذه الجنةُ، شَكَّ في بَيدودةِ جنتيه لطول أَمَله وتمادي غَفلتِهِ واغتراره بالمهلة.

٣٦- ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ كائنةً ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ إقسامٌ منه على أنه إن رُدَّ إلى ربّه - على سبيل الفرض كما يزعمُ صاحبُه - ليجدنَّ في الآخرة خيرًا مِن جَنَّته في الدنيا، ادِّعاءً لكرامته عليه ومكانته عنده.

٣٧- ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي خلقَ أصلَك، لأن خَلْقَ أصله سبب في خلقه فكان خلقُه خلقًا له ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ خلقَكَ من نطفة ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ عدَّلك وكَمَّلك إنسانًا

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾﴾

ذكرًا بالغًا مبلغ الرجال، جَعلَه كافرًا بالله لشكِّه في البعث.

٣٨- ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أصله: لكنْ أنا، [وتقديره لكني أنا أقول: الذي خلقني من تراب ثم من نطفة ثم سوَّاني رجلًا] ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [يُقلِّبني كيف يشاء، إن شاء أغناني وإن شاء أفقرني]، ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾﴾ [دَلَّ على التوحيد الصِّرف والإخلاص التامّ، وفيه تعريض بإشراك صاحبِهِ وأنه مخالِفُهُ في ذلك].

٣٩- ﴿وَلَوۡلَآ﴾ وهَلا ﴿إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أَيَّ شيء شاءَ الله كان، والمعنى: هلَّا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله: ما شاء الله اعترافًا بأنها وَكُلَّ ما فيها إنما حصل بمشيئة الله، وأَنَّ أمرَها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خَرَّبَها، وقلت: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ إقرارًا بأنَّ ما قويتَ به على عمارتها وتدبير أمرِها هو بمعونته وتأييده ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾﴾ [ثم أردف تلك النصيحة بِتَرْجِيَة مِنَ الله وتوقُّعِه أن يقلبَ ما به وما بصاحبه من الفقر والغنى فقال:]

٤٠- ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ في الدنيا أو في العُقْبى ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾ [على جنتك] ﴿حُسۡبَانٗا﴾ عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾ أرضًا بيضاء يُزْلَقُ عليها لِمَلَاسَتِها.

٤١- ﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾ غائرًا أي ذاهبًا في الأرض ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾﴾ فلا يتأتى منك طلبُه فضلًا عن الوجود، والمعنى: إن ترنِ أفقرَ منك فأنا أتوقَّعُ من صُنع الله أن يقلبَ ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنةً خيرًا من جنتك، ويسلبك لكفرك نعمتَه ويخرِّب بستانك.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾

٤٢- ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ هو عبارة عن إهلاكه ﴿فَأَصْبَحَ﴾ الكافر ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ يَضرب إحداهما على الأُخرى نَدَمًا وتحسُّرًا ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ في عِمارتها ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يعني أنَّ كرومَها المعرَّشَة سقطت عروشُها على الأرض وسقطت فوقها الكرومُ ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ تذكَّر موعظةَ أَخيه فعلمَ أنه أُتِيَ من جهة كُفْرِه وطُغيانه، فتمنَّى لو لم يكن مشركًا حتى لا يُهلِكَ اللهُ بستانَه حين لم ينفعه التمني، ويجوز أن يكون توبةً من الشرك وندمًا على ما كان منه ودخولًا في الإيمان.

٤٣- ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ﴾ يقدرون على نُصْرته ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي هو وحدَه القادرُ على نُصرته لا يقدرُ أَحدٌ غيرُه أن ينصرَه إلا أنه لم يَنصُرْه لحكمة ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ وما كان ممتنعًا بقوَّته عن انتقام الله.

٤٤- ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ هنالك في ذلك المقام وتلك الحال النُّصرةُ لله وحدَه لا يملِكُها غيره ولا يستطيعها أحد سواه ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ لأوليائه [في العاجلة والآجلة].

٤٥- ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ فالتفَّ بسببه وتكاثف حتى خالط بعضُه بعضًا ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ يابسًا متكسِّرًا ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ﴾ تنسِفُه وتُطيِّرُه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ قادرًا، شبَّه حال الدنيا في نَضْرَتها وبَهجتها وما يتعقبُها من الهلاك والإفناء بحال النبات يكون أخضرَ، ثم يَهيجُ فتُطيِّره الرياحُ كأن لم يكن.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ﴾

٤٦- ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يَتزيَّن بها الإنسان ويتجمَّل في دنياه مدة قصيرة ثم تذهب عمّا قريب] ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أعمال الخير التي تبقى ثمرتُها للإنسان، أو الصلوات الخمس، أو سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ جزاءً ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ لأنه وَعْدٌ صادق وأكثر الآمال كاذبة.

٤٧- ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يومَ ﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ تُسَيَّرُ في الجَوّ أو يُذهَبُ بها بأن تُجعلَ هباءً منثورًا مُنبثًّا ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والأشجار ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ أي الموتى ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ فلم نترك [أحدًا من الأولين والآخِرين لم نُحضِرْهُ]، وإنما قال: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ ماضيًا بعد ﴿نُسَيِّرُ﴾ و﴿وَتَرَى﴾ للدلالة على أنَّ حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال، كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك.

٤٨- ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ مُصطفِّين ظاهرين تُرى جماعتُهم كما يُرى كلُّ واحدٍ لا يَحجُب أحدٌ أحدًا، شُبّهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ قلنا لهم: لقد جئتمونا ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بعثناكم كما أنشأناكم أوَّلَ مرةٍ، [ويقال لمُنكِري البعث:] ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ وقتًا لإنجاز ما وُعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور.

٤٩- ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي صُحفُ الأعمال ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من الذنوب ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ أي لا يترك شيئًا من المعاصي ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾

﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾

حَصَرَها وضبطَها ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ﴾ في [كتابهم مكتوبًا مثبتًا]، أو جزاءَ ما عملوا ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ فيكتبَ عليه ما لم يعمل، [أو يأخذ أحدًا بجُرم أحد فإنه تعالى وعد بإثابة المطيع والزيادة في ثوابه، وتعذيبِ العاصي بمقدار جُرمه من غير زيادة وأنه قد يغفر له ما سوى الكفر، وذكر أنه لا يُخلف الميعاد فلا يتجاوز الحدَّ الذي حدَّه لعباده في الثواب والعقاب ولا يضع شيئًا منهما في غير موضعه، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه ولا يُتصوَّر هذا من الله تعالى].

٥٠- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ سجودَ تحيةٍ ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ كأنَّ قائلًا قال: ما له لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ﴾ خرج عمَّا أَمرَه ربُّه به من السجود، وهو دليل على أنه كان مأمورًا بالسجود مع الملائكة ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ الهمزة للإنكار والتعجيب، كأنه قيل: أَعَقيبَ ما وُجد منه تتخذونه وذريته ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ وتستبدلونهم بي ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ﴾ أعداءٌ ﴿بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ بئس البدلُ من الله إبليسُ لِمَن استبدله فأطاعه بدلَ طاعة الله.

٥١- ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ أي إبليسَ وذريتَه ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني أنكم اتخذتموهم شركاءَ لي في العبادة، وإنما يكونون شركاءَ فيها لو كانوا شركاءَ في الإلـٰهية ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ ولا أشهدتُ بعضَهم خلقَ بعض ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ أي وما كنت مُتَّخِذَهم ﴿عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ أعوانًا، فإذا لم يكونوا عضدًا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة؟!

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم
مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا
مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

٥٢- ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ الله للكفار: ﴿نَادُوا۟﴾ ادعوا بصوتٍ عالٍ ﴿شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم شركائي ليمنعوكُم من عذابي، وأراد الجنَّ، وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخًا لهم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ مَهْلكًا أي وجعلنا بينهم واديًا من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشترَكًا يَهلِكون فيه جميعًا.

٥٣- ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟﴾ فأيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ مخالطوها واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا﴾ عن النار ﴿مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ مَعدلًا.

٥٤- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يحتاجون إليه ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ أكثرَ الأشياء التي يتأتّى منها الجدلُ إن فَصَّلتها واحدًا بعد واحدٍ خصومةً ومماراةً بالباطل.

٥٥- ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي سببُه وهو الكتابُ والرسول ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وما منعَ الناسَ الإيمانَ والاستغفارَ إلا انتظارُ أن تأتيهم سُنَّةُ الأولين وهي الإهلاكُ، أو انتظارُ أن يأتيهم عذاب الآخرة ﴿قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ أنواعًا.

٥٦- ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ هو قولهم للرسل: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴿١٥﴾﴾ [سورة يس] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴿٢٤﴾﴾ [سورة المؤمنون] ونحوُ ذلك ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ لِيُزيلوا أو يُبطلوا بالجدال النبوةَ ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى﴾ القرءان ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾ وما أُنذروه من العقاب ﴿هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ موضع استهزاءٍ.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ
أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٥٧ وَرَبُّكَ
ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ
مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ٥٨ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩ وَإِذۡ
قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾

٥٧- ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ بالقرءان ﴿فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا﴾ فلم يتذكَّرْ حين ذُكِّرَ ولم يتدبَّر ﴿وَنَسِيَ﴾ عاقبةَ ﴿مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ﴾ من الكفر والمعاصي غيرَ متفكرٍ فيها ولا ناظرٍ في أنَّ المُسيءَ والمُحسن لا بدَّ لهما من جزاء، ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوعٌ على قلوبهم بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ أغطيةً ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ [فلا يسمعونه سماعَ قبول] ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾ ثِقَلًا عن استماع الحق ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ إلى الإيمان ﴿فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٥٧﴾ فلا يكون منهم اهتداء مدةَ التكليف كلِّها.

٥٨- ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ﴾ البليغ المغفرة ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ الموصوف بالرحمة ﴿لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ مِنْ رحمتِه تركُ مؤاخذته أهلَ مكةَ عاجلًا مع فَرْطِ عداوتهم لرسول الله ﷺ ﴿بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ﴾ وهو يومُ بدرٍ ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ٥٨﴾ منجًى ولا ملجأً.

٥٩- ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ المعنى: أصحابُ القرى أهلكناهم، والمراد قومُ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ مثلَ ظلم أهلِ مكةَ ﴿وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩﴾ وضربنا لإهلاكهم وقتًا معلومًا لا يتأخرون عنه، كما ضربنا لأهل مكة يومَ بدرٍ.

٦٠- ﴿وَإِذۡ﴾ واذكر إذ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ وهو يوشَعُ بنُ نون، وإنما قيل: ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ لأنه كان يخدُمُه ويتبعُه ويأخذ منه العلمَ ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ لا أزالُ أسيرُ حتى أبلغَ مجمعَ البحرين، وهو المكان الذي وُعِد فيه موسى لقاءَ الخَضِرِ عليهما السلام،

﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾

وهو ملتقى بحر فارسَ والرومِ، وسُمِّيَ خَضِرًا لأنه أَينما يصلي يَخضَرُّ ما حَوْلَه[(١)] ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ أو أسيرَ زمانًا طويلًا، قيل: ثمانون سنة.

روي أنه لمَّا ظهرَ موسى عليه السلام على مصرَ مع بني إسرائيل، واستقروا بها بعد هلاك القِبطِ سألَ ربَّه: أيُّ عبادك أحبُّ إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني، قال: فأيُّ عبادك أقضَى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يَتبعُ الهوى، قال: فأيُّ عبادك أَعلمُ؟ قال: الذي يبتغي علمَ الناس إلى علمه عسى أن يصيبَ كلمةً تدلُّه على هدًى أو تردُّه عن ردًى، فقال: إن كان في عبادك مَن هو أَعلمُ مني فادلُلني عليه، قال: أَعلمُ منك الخَضِرُ[(٢)]، قال: أين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة، قال: يا ربِّ كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتًا في مِكْتَلٍ[(٣)]، فحيث فقدته فهو هناك، فقال لفتاه: إذا فقدتَ الحوتَ فأَخبرني، فذهبا يمشيان، فرقدَ موسى، فاضطرب الحوت ووقع في البحر، فلما جاء وقتُ الغداء طلبَ موسى الحوتَ، فأخبره فتاه بوقوعه في البحر، فأَتَيا الصخرة فإذا رجل مُسَجًّى بثوبه، فسلَّم عليه موسى، فقال: وأنَّى بأرضنا السلام[(٤)]؟ فعرَّفه نفسَه، فقال: يا موسى أنا على علمٍ علَّمنيه اللهُ لا تعلمه أنت، وأنتَ على علمٍ عَلَّمَكه اللهُ لا أعلمه أنا.

(١) ليس في الحديث أن ذلك كان عادةً له، الذي ورد في الصحيح «**جلسَ على فَرْوَةٍ بيضاء فإذا هي تَهتزُّ من خلفه خضراء**» وفي رواية «**من تحته**». ومعناه جلس على أرض لا نبات فيها فأنبتت وصارت خضراء، أو فيها حشيش يابس فاخضرَّ.

(٢) سيدنا الخضر ليس أعلم من سيدنا موسى في كل شيء، موسى عليه السلام نبي رسول من أُولِي العزم ومع هذا فسيدنا الخضر أعلم منه بأمور، أما بعلم الشريعة فموسى يزيد عليه، عندما التقى موسى بالخضر عليهما السلام قال الخضر لموسى: يا موسى، إني على علمٍ من علم الله علَّمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله لا أعلمه.

(٣) المِكتَل: وعاء يُحمل فيه التمر وغيره يُعمل من الخُوص، وهو ورق النخل وما شاكله.

(٤) قال النوويّ: أي من أين السلامُ في هذه الأرض التي لا يُعرف فيها السلام.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾

٦١- ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ مَجمعَ البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسي أحدُهما وهو يوشَعُ، لأنه كان صاحبَ الزاد، دليله [قوله لموسى] ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ قيل: كان الحوتُ سمكةً مملوحة، فنزلا ليلة على شاطىء عين الحياة، ونام موسى، فلمَّا أصابَ السمكةَ رَوْحُ الماء وبردُهُ عاشت ووقعت في الماء ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ اتَّخذَ طريقًا له مِن البَرّ إلى البحر ﴿سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [مسلكًا] دخل فيه [وسلكه].

٦٢- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مجمع البحرين، ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ تعبًا، ولم يتعب ولا جاعَ قبل ذلك.

٦٣- ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ [التجأنا إليها للاستراحة، وكانت] هي موضعَ الموعِد ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [نسيت أمر الحوت أن أذكره لك إذ كان موسى عليه السلام نائمًا عندما أحسَّ يوشع بخروج الحوت من المِكتل إلى البحر وقد اتخذ السَّرَبَ فأشفق أن يوقِظ موسى وقال أؤخِّرُ إلى أن يستيقظ ثم نسيَ أن يُعلِمَه حتى ارتحلا وجاوَزا] ثم اعتذر فقال: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ وما أنساني ذِكرَه إلا الشيطان ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [أي اتخاذًا يُتَعجَّبُ منه]، وهو أنَّ أثره بقي إلى حيث سارَ [ولم ينطبق الماءُ بعده، بل بقيَ كالطَّاق].

٦٤- ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ نطلب، لأنَّ ذهاب الحوت كان عَلَمًا على لقاء الخضر عليه السلام ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه ﴿قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ يتبعان ءاثارهما اتباعًا.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ
هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ
تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ
أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾

٦٥- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ أي الخَضِرَ راقدًا تحت ثوب، أو جالسًا في البحر ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ هي الوحي والنبوة، أو العلم، أو طول الحياة ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ يعني الإخبار بالغيوب، وقيل: العلمُ اللدنيُّ: ما حصلَ للعبد بطريق الإلهام.

٦٦- ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ علمًا ذا رشدٍ أَرشُدُ به في ديني[1].

٦٧- ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ أي عن الإنكار والسؤال.

٦٨- ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ نَفَى استطاعةَ الصبر معه على وجهِ التأكيد، وعَلَّل ذلك بأنه يتولّى أُمورًا هي في ظاهرها مناكيرُ، والرجل الصالح لا يتمالك أن يَجزَعَ إذا رأى ذلك، فكيف إذا كان نبيًّا؟

٦٩- ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ من الصابرين عن الإنكار والاعتراض ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ ستجدني صابرًا وغيرَ عاصٍ.

٧٠- ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ أي فَمِن شَرْطِ اتّباعِكَ لي أنك إذا رأيت مني شيئًا وقد علمتَ أنه صحيحٌ إلا أنه خَفِيَ عليك وجهُ صِحته فأنكرتَ في نفسك ألّا تفاتِحَني بالسؤال ولا تراجِعَني فيه حتى أكونَ أنا الفاتحَ عليك، وهذا من أدب المتعلّم مع العالم والمتبوع مع التابع.

---

(١) هو بمعنى طلب الازدياد من الخير الذي كان عليه.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾

٧١- ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينةَ، فلمَّا ركباها قال أهلُها: هما من اللصوص، وقال صاحبُ السفينة: أَرى وجوهَ الأنبياء، فحملوهما بغير نَوْلٍ[١]، فلمَّا لَجَّجُوا[٢] أخذ الخضر الفأسَ فخرقَ السفينة بأن قلعَ لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يَسدُّ الخَرْقَ بثيابه ثم ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ أَتيتَ شيئًا عظيمًا.

٧٢- ﴿قَالَ﴾ الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ فلمَّا رأى موسى أنَّ الخرقَ لا يدخلُه الماء ولم يَضُرَّ مَن في السفينة:

٧٣- ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾ بالذي نَسِيتُه، أراد أنه نسيَ وَصِيَّتَه ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ ولا تُعسِّر عليَّ متابعتَك ويسِّرها عليَّ بالإغضاء.

٧٤- ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ قيل: ضرب برأسه الحائطَ ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ﴾ هي الطاهرةُ من الذنوب، إما لأنه لم يَرَها قد أذنبت، أو لأنها صغيرةٌ لم تبلغ الحِنْثَ[٣] ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ لم تقتل نفسًا فيُقتصَّ منها ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [يُنكَرُ ظاهره مع خفاء باطنه]، أو معناه: جئت شيئًا أَنكرَ من الأول، لأنَّ الخَرْقَ يمكن تداركه بالسَّدِّ ولا يمكنُ تدارك القتل.

---

(١) بغير نَوْل: من غير أجرة، أي مجانًا.
(٢) لججوا: خاضوا في الماء، أي ابتعدت السفينة في عرض الماء.
(٣) يقال: بلغ الغلام الحِنث إذا بلغ مبلغًا جرى عليه القلم بالطاعة والمعصية.

﴿۞قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٥ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا
تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن
يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ
أَجۡرٗا ٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ
فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ
غَصۡبٗا ٧٩﴾

٧٥- ﴿۞قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٥﴾ زاد «لك» هنا لأنَّ النَّكير فيه أكثر.

٧٦- ﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا﴾ بعد هذه الكَرَّة ﴿فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦﴾ أُعذرتَ فيما بيني وبينَكَ في الفِراق.

٧٧- ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ [قيل:] هي أنطاكية ﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ [سألا أهلَها الضيافة] ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ وقيل: شرُّ القُرى التي تبخل بالقِرى ﴿فَوَجَدَا فِيهَا﴾ في القرية ﴿جِدَارٗا﴾ طوله مائة ذراع ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ يكاد يسقط ﴿فَأَقَامَهُۥۖ﴾ بيده، أو مَسَحَه بيده فاستوى ﴿قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧﴾ لطلبتَ على عملك جُعلًا.

٧٨- ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾ هذا إشارة إلى السؤال الثالث، أي هذا الاعتراضُ سببُ الفِراق ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾.

٧٩- ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ قيل: كانت لعشرةِ إخوةٍ: خمسةٍ منهم زَمْنَى[1]، وخمسةٍ يعملون في البحرِ ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ أجعلَها ذات عيبٍ ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ﴾ أمامَهم أو خلفَهم، وكان طريقُهم في رجوعهم عليه، وما كان عندهم خبرُه، فأعلَمَ اللهُ به الخضرَ ﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾ يأخذ كلَّ سفينةٍ صالحةٍ لا عيبَ فيها غصبًا، وإن كانت معيبةً تركها.

---

(١) زَمْنَى: جمعُ زَمِنٍ، وهو المريضُ مرضًا يدوم زمانًا طويلًا.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا
رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا
رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

٨٠- ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾ فخِفنا أن يَغشَى الوالدين المؤمنين طغيانًا عليهما وكفرًا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويُلحقَ بهما شرًّا وبلاءً، أو يُعدِيَهما بدائه ويُضلَّهما بضلاله فيرتدّا بسببه، وهو من كلام الخضر، وإنما خشيَ الخضرُ منه ذلك لأنه تعالى أعلَمَه بحاله وأَطلعَه على سِرِّ أمره.

٨١- ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ طهارةً ونقاءً من الذنوب ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ رَحمةً وعطفًا.

٨٢- ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هي القرية المذكورة ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ لوح من ذهبٍ مكتوب فيه: عجبتُ لِمَن يؤمنُ بالقَدَر كيف يحزنُ، وعجبتُ لمَن يؤمنُ بالرزق كيف يتعب، وعجبتُ لمَن يؤمنُ بالموت كيف يفرح، وعجبتُ لمَن يؤمنُ بالحساب كيف يَغفُل، وعجبتُ لمَن يعرف الدنيا وتقلُّبها بأهلها كيف يطمئن إليها؟! لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا﴾ قيل: جدُّهما السابع ﴿صَٰلِحًا﴾ ممن يَصحَبُني ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ أي الحُلُمَ ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ وما فعلتُ ما رأيتَ ﴿عَنْ أَمْرِى ۚ﴾ عن اجتهادي[1]، وإنما فعلته بأمرِ الله ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأجوبة الثلاثة ﴿تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ ولا غَضاضةَ[2] في طلب موسى العلمَ

---

(١) بهذه الآية احتج من قال بنبوة الخضر، وهذا الصحيح، لأنه لو لم يكن نبيًّا ما كان يعامل موسى هذه المعاملات، أكثر أهل هذا العصر يقولون: ولي ليس نبيًّا، لولا أنه نبي ما أُمر موسى بالتعلم منه.

(٢) أي: لا مَنْقَصَة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾

لأنَّ الزيادة في العلم مطلوبة.

٨٣- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي اليهودُ على جهة الامتحان، أو أبو جهلٍ وأشياعُه ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ الذي مَلَكَ الدنيا، قيل: ملكَها مؤمنان: ذو القرنين وسليمانُ، وكافران: نُمرودُ وبختنصَّرُ، وكان بعد نُمرودَ، وقيل كان [ذو القرنين] عبدًا صالحًا ملَّكه الله الأرضَ وأعطاه العِلمَ والحكمة وسَخَّر له النورَ والظلمة، فإذا سَرَى يهديه النورُ من أمامه وتَحُوطُه الظلمةُ من ورائه، [قيل: إنه] سُميَ ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا، يعني شرقها وغربها، وقيل: كان له قرنان، أي ضفيرتان، وقيل غير ذلك ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾ من ذي القرنين ﴿ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ [خبرًا فيه ذكرُ قصته وحاله].

٨٤- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جعلنا له فيها مَكانةً واعتلاءً ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ أرادَهُ من أغراضه ومقاصده في مُلكه ﴿سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ طريقًا موصلًا إليه.

٨٥- ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [فلحق سببًا]، والسبب: ما يُتوصَّل به إلى المقصود من عِلم أو قدرةٍ، فأراد بلوغ المغرب فأتبع سببًا يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق فأتبع سببًا، وأراد بلوغ السَّدَّين فأتبع سببًا.

٨٦- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ مُنتهى العِمارة نحوَ المغرب، وكذا المَطْلِع ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [أي رءاها في مرأى العين تغيب في عين] ذاتِ حَمْأةٍ، من: حَمِئَت البئر إذا صارت فيها الحَمْأَةُ [أي الطين الأسود] ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ عند تلك العين ﴿قَوْمًا﴾ كفارًا ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ أوحى إلى نبيّ فأمره النبيُّ به، أو كان إلهامًا ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ بالقتل إن أَصَرّوا على أمرهم ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ بإكرامهم

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ
ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ
خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا﴾

وتعليم الشرائع إن ءامنوا.

٨٧- ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ بالقتل ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ في القيامة، يعني: أمّا مَن دعوتُه إلى الإسلام فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم وهو الشركُ، فذاك هو المعذَّب في الدارين.

٨٨- ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ عمل ما يقتضيه الإيمان ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فله جزاءُ الفعلة الحسنى التي هي كلمةُ الشهادة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ ذا يُسر، أي لا نأمره بالصعب الشاقِّ، ولكن بالسهل المتيسّر.

٨٩- ٩٠- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ [لحق طريقًا ءاخر إلى المشرق] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم الزنج ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾ من دون الشمس ﴿سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ أبنيةً [وقيل غير ذلك، أي أنهم لا شيء لهم يسترهم من حَرِّ الشمس].

٩١- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أمر ذي القرنين كذلك، أي كما وصفناه تعظيمًا لأمره ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ من الجنود والآلات وأسباب المُلك ﴿خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ [عِلمًا، وكذلك كانت حاله مع أهل المشرق كما كانت مع أهل المغرب] يعني أنهم كفرةٌ مثلُهم وحُكمُهم مثل حُكمِهم في تعذيبه لِمَن بقي منهم على الكفر، وإحسانه إلى من ءامنَ منهم.

٩٢- ٩٣- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴿٩٣﴾﴾ بين الجبلين وهما جبلان سَدَّ ذو القرنين ما بينهما، وهذا المكان في منقطَع أرض الترك مما يلي المشرق ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ مِن ورائهما ﴿قَوْمًا﴾ هم

﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾

التركُ ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ لا يكادون يفهمونَه إلا بجُهدٍ ومشقَّةٍ من إشارةٍ ونحوها، لأن لغتهم غريبة مجهولة.

٩٤- ﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ وهما من وَلَدِ يافِثَ ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: كانوا يأكلون الناس، وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئًا أخضرَ إلا أكلوه، ولا يابسًا إلا احتملوه، ولا يموت أحدُهم حتى ينظرَ إلى ألفِ ذكرٍ من صُلبه كلُّهم قد حمل السلاح ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ جُعلًا نُخرجه من أموالنا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾.

٩٥- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ ما جعلني فيه مَكينًا من كثرة المال واليَسار خيرٌ مما تَبذُلون من الخَراج فلا حاجة بي إليه ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ بفَعَلَةٍ[1] وصُنَّاع يُحسنون البناء والعمل، وبالآلات ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ جدارًا أو حاجزًا حصينًا موثقًا، والرَّدْمُ أكبر من السَّدِّ.

٩٦- ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ قِطَعَ الحديد، والزُّبْرَةُ: القِطعة الكبيرة، قيل: حفرَ الأساس حتى بلغَ الماء، وجعل الأساسَ من الصخر والنُّحاس المُذاب، والبنيانَ من زُبَرِ الحديد بينها الحَطبُ والفحم حتى سَدَّ ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وضعَ المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صبَّ النحاسَ المُذاب على الحديد المُحْمَى، فاختلط والتصق بعضُه ببعض وصار جبلًا صَلْدًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ جانبي الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ قال ذو القرنين للعَمَلة: انفخوا في الحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي المنفوخَ فيه وهو

---

(١) أي: عُمَّالٍ.

﴿نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ
هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾

الحديدُ ﴿نَارًا﴾ كالنار ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ﴾ أعطوني ﴿أُفْرِغْ﴾ أَصُبَّ ﴿عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ نُحاسًا مذابًا لأنه يَقطُر.

٩٧- ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أن يَعلُوا السَّدَّ ﴿وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ أي لا حيلة لهم فيه من صعودٍ لارتفاعه ولا نَقْبٍ لصلابته.

٩٨- ﴿قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ هذا السدُّ نعمةٌ من الله ورحمة على عباده، أو هذا الإقدار والتمكينُ من تسويته ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ فإذا دنا مَجيءُ يوم القيامة وشارفَ أن يأتيَ ﴿جَعَلَهُۥ﴾ أي السَّدَّ ﴿دَكَّآءَ﴾ مدكوكًا مبسوطًا مُسوًّى بالأرض ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ ءاخرُ قولِ ذي القرنين.

٩٩- ﴿وَتَرَكْنَا﴾ وجعلنا ﴿بَعْضَهُمْ﴾ بعضَ الخلق ﴿يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ﴾ يختلط ﴿فِى بَعْضٍ﴾ أي يضطربون ويختلطون إنسُهم وجنُّهم حَيارَى، ويجوز أن يكون الضمير ليأجوجَ ومأجوجَ وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السدّ مزدحمين في البلاد، ورويَ أنهم يأتون البحرَ فيشربونَ ماءَه ويأكلون دوابَّهُ، ثم يأكلون الشجرَ ومَن ظفِروا به من الناس، ولا يقدرون أن يأتوا مكةَ والمدينةَ وبيتَ المقدس، ثم يبعث الله نَغَفًا[(١)] في أقفائهم[(٢)] فيدخل في ءاذانهم فيموتون ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ لقيام الساعة ﴿فَجَمَعْنَـٰهُمْ﴾ أي جميعَ الخلائق للثواب والعقاب ﴿جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ تأكيد.

١٠٠- ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ وأظهرناها لهم فرأَوها وشاهدوها.

---

(١) النغف: دود، الواحدة نغفة.
(٢) الأقفاءُ: جمعُ القفا، وهو مُؤَخَّرُ العُنُقِ.

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن
يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ﴿١٠٢﴾ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ
أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا
كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

١٠١- ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾ عن ءاياتي التي يُنظر إليها، أو عن القرءان وتأمُّل معانيه ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾﴾ وكانوا صُمًّا عنه إلا أنه أبلغُ إذ الأصمُّ قد يستطيع السمع إذا صِيحَ به، وهؤلاء كأنهم أُصْمِيَتْ[1] أسماعهم فلا استطاعةَ بهم للسمع.

١٠٢- ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ﴾ أَفَظَنَّ الكفار اتِّخاذَهم عبادي - يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام - أولياءَ نافعَهم؟!، بئس ما ظنّوا ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ﴿١٠٢﴾﴾ هو ما يُقامُ للنزيل وهو الضيف، [وهو على وجه التهكُّم بهم]، ونحوُهُ: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة ءال عمران].

١٠٣- ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ وهم أهل الكتاب، أو الرهبان.

١٠٤- ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ﴾ ضاع وبطل ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [بعجبهم واعتقادهم أنهم على الحق].

١٠٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ [بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة] ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ [بالبعث بعد الموت] ﴿فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾﴾ فلا يكون لهم عندنا وَزْنٌ ومقدار.

١٠٦- ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله.

---

(١) أُصْمِيَتْ: أُبِيدَت وأُهْلِكَت.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا
حِوَلًا ١٠٨ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا
بِمِثۡلِهِۦ مَدَدًا ١٠٩ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ
فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾

١٠٧- ١٠٨- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ١٠٨﴾ تحوُّلًا إلى غيرها، رضًا بما أُعطوا، وهذه غاية الوصف لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامحٌ مائلُ الطَّرْفِ إلى أرفع منه.

١٠٩- ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ﴾ أي ماء البحر ﴿مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ المداد: ما يكتب به، أي لو كُتبت كلماتُ علم الله وحكمتِه وكان البحر مدادًا لها ﴿لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ﴾ بمثل البحر ﴿مَدَدًا ١٠٩﴾ لنفد أيضًا، والكلمات غير نافدةٍ.

١١٠- ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ فمن كان يأمُل حُسنَ لقاء ربه وأن يلقاه لقاءَ رضًا وقبولٍ ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ خالصًا لا يريد به إلا وَجهَ ربه ولا يَخلِطُ به غيرَه ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ هو نهي عن الشرك أو عن الرياء.

سورة مريم عليها السلام
مكية، وهي ثمان أو تسع وتسعون ءاية
مدني وشامي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً
خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ
رَبِّ شَقِيّٗا ٤﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾ قيل: هو اسم للسورة [وقيل غير ذلك].

٢- ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾ هذا [المتلوُّ من القرءان] ذكرُ [رحمة ربك] ﴿عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢﴾ [أي لعبده زكريا في دعائه].

٣- ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣﴾ دعاه دعاءً سرًّا كما هو المأمور به، وهو أبعد عن الرياء وأقرب إلى الصفاء.

٤- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾ ضَعُفَ، وخَصَّ العظمَ لأنه عمودُ البدن وبه قِوامُه، فإذا وَهَنَ تداعى وتساقطت قُوَّتُه، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهنَ ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ أي فشا في رأسي الشيبُ ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ بدعائي إيّاك ﴿رَبِّ شَقِيّٗا ٤﴾ أي كنتُ مستجابَ الدعوة قبلَ اليوم سعيدًا به غيرَ شقيّ فيه، [أي قد عودتَني الإجابةَ ولم تكن تُشقيني بالرد إذا دعوتك].

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى
وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ
نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ
بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾

٥- ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ هم عَصَبَتُه إخوتُه وبنو عَمِّه، وكانوا شرارَ بني إسرائيل، فخافهم أن يغيّروا الدينَ وألّا يُحسنوا الخلافةَ على أمته، فطلب عَقِبًا صالحًا من صُلبه يَقتدي به في إحياء الدين ﴿مِن وَرَآءِى﴾ بعدَ موتي ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ عقيمًا لا تلد ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ [من عندك] ﴿وَلِيًّا ۝٥﴾ ابنًا يلي أمرَك بعدي.

٦- ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ﴾ هب لي ولدًا وارثًا مني العلم، ومِنْ ءال يعقوبَ النبوةَ، ومعنى وراثةِ النبوةِ أنه يصلُح لأن يُوحَى إليه، ولم يُرِدْ أنَّ نفس النبوة تورَث ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ﴾ بن إسحاق ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ مرضيًّا ترضاه. فأجاب الله تعالى دعاءه وقال:

٧- ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ تولَّى الله تسميتَه تشريفًا له [والمنادي والمبشِّرُ لزكريا هم الملائكة بوحي من الله تعالى] ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ لم يُسَمَّ أحدٌ بيحيى قبله، فلمَّا بشَّرَته الملائكة به:

٨- ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف أنه بأيّ طريق يكون؟ ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ أي بلغت عتيًّا، وهو اليبسُ والجَساوة[1] في المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن في السن.

٩- ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ [أي قال له الملك]: الأمرُ كذلك، تصديقٌ له، ثم ابتدأ ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ خَلْقُ يحيى من كبيرين سهل

---

(١) الجَساوة: الصلابة، وجَسَتِ اليدُ وغيرها جُسُوًّا: يَبِسَت.

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ أوجدتُك من قبلِ يحيى ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾ لأن المعدوم ليس بشيء.

١٠- ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۚ﴾ علامةً أعرف بها حَبَلَ امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾﴾ حال كونِك سَوِيَّ الأعضاء واللسان، يعني علامتُك أن تُمْنَعَ الكلامَ فلا تطيقُه وأنت سليمُ الجوارح ما بكَ خرسٌ ولا بَكَمٌ، [أي: وتبقى لك القدرة على ذكر الله لقوله تعالى في سورة ءال عمران: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ أي أيام عجزك عن كلام الناس، وذلك ليُخلص المدة لذكر الله فلا يشغل لسانه إلا به].

١١- ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ مِن موضع صلاته، وكانوا ينتظرونَه ولم يقدر أن يتكلم ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ أشار بإصبعه ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾ صَلُّوا ﴿بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾﴾ صلاةَ الفجر والعصر.

١٢- ﴿يَٰيَحۡيَىٰ﴾ أي وهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته وأوان الخطاب: يا يحيى ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿بِقُوَّةٖۖ﴾ بجِدٍّ واستظهار بالتوفيق والتأييد ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ﴾ الحِكمَةَ، وهو فهم التوراة والفقهُ في الدين ﴿صَبِيّٗا ﴿١٢﴾﴾ حال [صِباه].

١٣- ﴿وَحَنَانٗا﴾ [وءاتيناه] شَفقةً ورحمة لأبويه وغيرهما ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَوٰةٗۖ﴾ طهارةً وصلاحًا ﴿وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾﴾ مسلمًا مطيعًا.

١٤- ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ وبارًّا بهما لا يعصيهما ﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبِّرًا ﴿عَصِيّٗا ﴿١٤﴾﴾ عاصيًا لربه.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا
سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾

١٥- ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ أمانٌ من الله له ﴿يَوۡمَ وُلِدَ﴾ من أن يناله الشيطانُ ﴿وَيَوۡمَ يَمُوتُ﴾ من فتَّاني القبر[1] [وقيل من عذاب القبر] ﴿وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ من الفزع الأكبر [وهو هَوْلُ يوم القيامة، فأمَّنَه الله تعالى في المواطِن التي يكون الإنسان فيها في غاية الضَّعف والحاجة وقِلَّة الحيلة والفقر إلى الله تعالى].

١٦- ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ يا محمد ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرءان ﴿مَرۡيَمَ﴾ أي اقرأ عليهم في القرءان قصةَ مريم ليقِفوا عليها ويعلَموا ما جرى عليها ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ اعتزلت ﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾ تَخلَّت للعبادة في مكان مما يلي شرقيَّ بيت المقدس.

١٧- ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ جعلت بينها وبين أهلها حجابًا يستُرُها ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ جبريلَ عليه السلام، والإضافة للتشريف، وإنما سُمِّي روحًا، لأن الدينَ يحيا به وبوحيه ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا﴾ فتمثَّلَ لها جبريلُ في صورة ءادمي شابٍّ أَمردَ وضيءِ[2] الوجه جَعْدِ الشعر ﴿سَوِيّٗا ١٧﴾ مُسْتَوِيَ الخَلق، وإنما مُثِّلَ لها في صورة الإنسان لتستأنسَ بكلامِه ولا تنفرَ عنه، ولو بدا لها في الصورة المَلَكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامِه.

١٨- ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ أي إن كان

---

(١) فتَّانا القبر: هما منكر ونكير، من الفتنة وهي الامتحان، قال تعالى ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ٢٨﴾ [سورة الأنفال] أي امتحان ومحنة كيف تحافظون فيهم على حدود الله.
هذا التفسير ذكره عددٌ من المفسرين ولكن بعض العلماء يذكرون أن سؤال المَلَكين في القبر خاصٌ بأمَّةِ سيدنا محمد ﷺ فليُحَرَّر.

(٢) الوَضاءَةُ: الحُسنُ والبهجة.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ
يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً
لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا
قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾

يُرجى منك أن تتقيَ الله فإني عائذةٌ به منك(١).

١٩- ﴿قَالَ﴾ جبريل عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أمَّنها مما خافت، وأَخبرَ أنه ليس بآدمي بل هو رسولُ مَن استعاذت به ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ بإذن الله تعالى بالنفخ في الدِّرع(٢) ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ طاهرًا مِنَ الذنوب، أو ناميًا على الخير والبركة.

٢٠- ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ ابن ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ زوجٌ بالنكاح ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ فاجرةً تبغي الرجال؟ ولا يكون الولد عادة إلا من أحد هذين.

٢١- ﴿قَالَ﴾ جبريل: ﴿كَذَٰلِكِ﴾ الأمر كما قلتِ؛ لم يَمْسَسْكِ رجلٌ نكاحًا أو سِفاحًا ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي إعطاء الولد بلا أب عليَّ سهلٌ ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ لنبين به قدرتَنا ولنجعلَه ءاية للناس، أي عبرة وبرهانًا على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لمَن ءامن به ﴿وَكَانَ﴾ خَلْقُ عيسى ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ مُقَدَّرًا مسطورًا في اللوح، فلمَّا اطمأنت إلى قوله دنا منها فنفخ في جيب دِرعها، [وقيل: دخل الروح المنفوخ من فمها] فوصلت النفخة إلى بطنِها.

٢٢- ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ أي الموهوبَ، وكانت سنها ثلاثَ عشرةَ سنة، أو عشرين ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ اعتزلت وهو في بطنها ﴿مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ بعيدًا من أهلها، وذلك لأنها لَمّا أَحست بالحمل هربت مِنْ قومِها مَخافة اللائمة.

---

(١) أي: ألتجئ إلى الله وأحتمي به منك.
(٢) الدِّرعُ: القميص، وقد نفخ في جيب الدِّرع، أي: فتحته من جهة العنق.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾

٢٣- ﴿فَأَجَآءَهَا﴾ جاء بها ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾ وجعُ الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ أصلِها، وكانت يابسة وكان الوقت شتاء، وتعريفها مُشعر بأنها كانت نخلةً معروفة، كأنه تعالى أرشدها إلى النخلة ليُطعِمَها منها الرُّطَب لأنه خُرْسَةُ النُّفساء أي طعامها، ثم ﴿قَالَتْ﴾ جَزَعًا مما أَصابها: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ اليوم، [قيل: تمنَّت الموت حتى لا تسمع ما سيقولون فيها وفي ابنها] ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ شيئًا متروكًا لا يعرفُ ولا يذكرُ.

٢٤- ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ الذي تَحتَها وهو جبريلُ عليه السلام، لأنه كان بمكان منخفض عنها، أو عيسى عليه السلام ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾ لا تهتمي بالوَحدة وعدم الطعام والشراب وقالَةِ الناس ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ﴾ بقربك ﴿سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ نهرًا صغيرًا.

٢٥- ﴿وَهُزِّىٓ﴾ حَرِّكي ﴿إِلَيْكِ﴾ إلى نفسك ﴿بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ طريًّا، [فحوَّل الله تعالى جِذْع النخلة اليابسة مثمرة كرامة لها].

٢٦- ﴿فَكُلِى﴾ من الجَنِيّ ﴿وَٱشْرَبِى﴾ مِنَ السَّريّ ﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾ بالولد الرَّضِيّ، أي طِيبي نفسًا بعيسى وارفُضي عنك ما أَحزنَكِ ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ فإن رأيت ءادميًّا يسألُك عن حالك فقولي: إني نذرت للرحمٰن صمتًا وإمساكًا عن الكلام، وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الأكل والشرب[(١)]، وإنما أُمرت أن

---

(١) في شريعة زكريا عليه السلام كان صيامان: صيام عن الكلام وصيام عن الأكل، أما في شريعة سيدنا محمد ﷺ فلم يعد هذا موجودًا، يروى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه دخل على امرأة نذرت أن لا تتكلم حتى تحج، فقال لها: إن الإسلام (أي: شريعة محمد ﷺ) هدمَ هذا، فتكَلَّمي فتكلمت.

﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُواْ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾

تَنْذِرَ السكوتَ لأن عيسى عليه السلام يكفيها الكلامَ بما يُبَرِّئُ به ساحتَها، ولئلا تجادلَ السفهاء، وإنما أَخبرتهم بأنها نذرت الصومَ بالإشارة، وقد تسمى الإشارة كلامًا وقولًا، وقيل: كان وجوب الصمت [عليها] بعد هذا الكلام ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ ءادميًّا.

٢٧- ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾ بعيسى ﴿قَوْمَهَا﴾ بعد أن طَهُرَتْ مِن نفاسها ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾ أقبلت نحوَهم حاملةً إياه فلمَّا رأَوه معها ﴿قَالُواْ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ بديعًا عجيبًا، [وقيل: الفَرِيُّ: العظيمُ الشنيع].

٢٨- ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ وكان أخاها من أبيها ومن أفضل بني إسرائيل، أو هو أخو موسى عليه السلام [أي يا أخت هارون في الصلاح] ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ عِمرانُ ﴿ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ زانيًا ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾ حَنَّةُ ﴿بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ زانيةً.

٢٩- ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ إلى عيسى [أن كَلِّموه ليجيبَكم] قيل: أمرها جبريل بذلك، ولمَّا أشارت إليه غضِبوا وتعجَّبوا و﴿قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ [من هو في المهد[1] صبيٌّ، ومعناه: مَن هو بهذا السِّنّ من أهل المهد وإن لم يكن في ذلك الوقت في المهد، بل كانت حاملة له].

٣٠- ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ ولمَّا أَسْكَتَتْ بأَمرِ الله لسانَها الناطقَ أطلقَ اللهُ لها اللسانَ الساكِتَ حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أربعينَ ليلةً أو ابنُ يوم، روي أنه أشار بسبابته وقال بصوت رفيع: إني عبدُ الله، وفيه رَدٌّ لقولِ النصارى، ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ جَعلَ

---

(١) المهد: المكان المهيَّأُ لينام به الأطفال.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾

الآتيَ[1] لا محالة كأنه وُجِدَ.

٣١- ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ نَفَّاعًا حيث كنت ﴿وَأَوْصَٰنِي﴾ وأمرني ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ إن ملكت مالًا، ويحتمل: وأوصاني بأن ءامركم بالصلاة والزكاة ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ مدةَ حياتي.

٣٢- ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ بارًّا بها أُكْرِمُها وأعظّمُها ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متكبرًا ﴿شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ عاقًّا.

٣٣- ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ أي ذلك السلام الموجَّه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجَّه إليَّ[2].

٣٤- ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الذي تقدَّم نعته هو] ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ لا كما قالت النصارى: إنه إلـٰه أو ابن الله ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ [أي أقول قولَ الحق] ﴿ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ يَشُكُّوْنَ، أو يختلفون فقالت اليهود: ساحر كذّاب، وقالت النصارى: ابن الله وثالث ثلاثة.

٣٥- ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ﴾ [ليس من صفة الله] ﴿أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ جيء بمِن لتأكيد النفي ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ نزَّه ذاته عن اتخاذ الولد ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [فلا يتعذر عليه تعالى خلقُ ما يريده من غير أصل، بل إذا أراد شيئًا خلقه كما يريد، وهو كناية عن سرعة تكوين ما أراد ولا خطاب هناك لأن المعدوم لا يؤمر، والموجود لا يؤمر بإيجاده].

---

(١) معناه سيُنزِلُ عليّ الكتاب في المستقبل ويجعلني نبيًّا في المستقبل.

(٢) كما ورد ذلك في حق يحيى عليه السلام عند تفسير الآية رقم (١٥) من هذه السورة، أي: أمان من الله تعالى له يوم ولد - من أن يناله الشيطان - ويوم يموت - من فَتَّانَيّ القبر، أو مِن عذاب القبر - ويوم يبعث حيًا من الفزع الأكبر يوم القيامة.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ﴾

٣٦- ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ هو من كلام عيسى، يعني كما أنا عبده فأنتم عبيده، وعَلَيَّ وعليكم أن نعبدَه ﴿هَٰذَا﴾ الذي ذكرتُ ﴿صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾﴾ [طريق يُفضي بقائله ومعتقدِهِ إلى النجاة والجنة].

٣٧- ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ الحزبُ: الفِرقةُ المنفردة برأيها عن غيرها، وهم ثلاثُ فِرَقٍ: نُسْطورِيَّةٌ ويَعقوبيةٌ ومَلْكانِيَّةٌ ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ من بين أصحاب عيسى، أو من بين قومه، أو من بين الناس، وذلك أنَّ النصارى اختلفوا في عيسى حين رُفِعَ، ثم اتفقوا على أن يرجعوا إلى قول ثلاثةٍ كانوا عندهم أَعلمَ أهلِ زمانِهم، وهم يعقوبُ ونُسطورُ ومَلكاء[1]، فقال يعقوب: هو الله هبط إلى الأرض ثم صَعِد إلى السماء، وقال نُسطور: كان ابنَ الله أظهره ما شاء ثم رفعه إليه، وقال الثالث: كذبوا كان عبدًا مخلوقًا نبيًّا، فتبع كلَّ واحدٍ منهم قومٌ، [وقيل إن الثالث وهو مَلكاءُ قال: هو ثالث ثلاثة؛ الله إلٰه وهو إلٰه وأمه إلٰه، وقال رابع: هو عبد الله ورسوله وروحه المُشَرَّفة عنده خلقًا وتكوينًا وكلمته أي بشارته التي بشرها لمريم عليه السلام] ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من الأحزاب إذ [واحد منهم كان] على الحق ﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ هو يوم القيامة.

٣٨- ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ﴾ الجمهور على أنَّ لفظَهُ أَمرٌ ومعناه التعجب، والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد أنَّ أَسماعهم وأَبصارهم جدير بأن يُتعجَّب منهما بعدما كانوا عُميًا في الدنيا[2] ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ﴾ لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا

---

(١) بالمدِّ، وقيل: مَلكانِ.

(٢) أي: ما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى ذلك اليوم، يوم لا ينفعهم. أي سيسمعون يومئذ ما يُصدع قلوبهم وترون ما يُهلكهم.

﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ
نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ
ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾

الاستماع والنظر حين يُجدي عليهم، ووضعوا العبادة في غير موضعها ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ عن الحق ﴿مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ ظاهر، وهو اعتقادهم عيسى إلـٰهًا معبودًا مع ظهور ءاثار الحَدَث فيه.

٣٩- ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ خوفهم ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ يومَ القيامة، لأنه يقع فيه الندم على ما فات ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ فُرغ من الحساب وتصادَرَ[1] الفريقان إلى الجنة والنار ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ هنا [في هذه الدنيا] عن الاهتمام لذلك المقام ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ لا يصدّقون به.

٤٠- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ نتفرَّد بالمُلك والبقاء عند تعميم الهُلك والفناء ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يُردُّون فيجازَون جزاءً وفاقًا.

٤١- ﴿وَٱذْكُرْ﴾ لقومك ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرءان ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ قِصتَه مع أبيه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ الصِّدِّيق من أَبنية المبالغة، والمراد كثرة ما صدَّق به من غيوب الله وءاياته وكتبه ورسله، أي كان مصدّقًا لجميع الأنبياء وكتبهم، وكان نبيًّا في نفسه.

٤٢- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ [ءازَرَ، وكان يعبد الأصنام]: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ لا يسمع شيئًا ولا يُبصر شيئًا ﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ شيئًا من الغنى؟!

٤٣- ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [أي أنا في العلم والمعرفة فوقك بما خصني الله تعالى به من النبوة، فأنا على يقين من ضلال ما أنت فيه من عبادة الأصنام] ﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ﴾ أُرشِدْكَ ﴿صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ مستقيمًا.

---

(١) أي انصرف الفريقان من موقف الحساب إما إلى الجنة وإما إلى النار.

﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ
مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ
وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾

٤٤- ﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ﴾ لا تُطعه فيما سَوَّلَ من عبادة الصنم ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ عاصيًا [متقادمَ العصيان، فهو لا يريد لك خيرًا].

٤٥- ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ [إن دُمْتَ على طاعتك للشيطان] ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ قرينًا في النار تليه ويليك، فانظر في نصيحته كيف راعى المجاملة والرِّفقَ والخُلُقَ الحسن كما أُمِرَ.

٤٦- ﴿قَالَ﴾ ءازَرُ توبيخًا: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ﴾ أترغب عن عبادتها؟! فناداه باسمه ولم يقابل: ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ بيا بُنيَّ ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن شَتم الأصنام ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ﴾ لأَقتلنَّكَ بالحجارة أو لأَضربنَّك بها حتى تتباعد، أو لأَشتِمنَّك ﴿وَٱهْجُرْنِى﴾ تقديره: فاحذرني واهجرني ﴿مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ زمانًا طويلًا.

٤٧- ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ﴾ سلامَ توديع ومتاركة، أو تقريب، [أي: أمانٌ مني لك أن أكافئك على إيذائك، أي: لا أخاطبك بمثل ما خاطبتني] ولذا وعده بالاستغفار بقوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ﴾ سأسأل الله أن يجعلك من أهل المغفرة بأن يهديك للإسلام ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ رحيمًا، أو مُكرِمًا.

٤٨- ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ أراد بالاعتزال المهاجَرةَ من أرض بابلَ إلى الشام ﴿وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وما تعبدون من أصنامكم ﴿وَأَدْعُوا۟﴾ وأعبد ﴿رَبِّى﴾ ثم قال تواضعًا وهضمًا للنفس ومُعَرِّضًا بشقاوتهم بدعاء ءالهتهم: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ أي كما شَقِيتم أنتم بعبادة الأصنام.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا
وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾

٤٩- ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فلمَّا اعتزل الكفارَ ومعبوديهم ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ ولدًا ﴿وَيَعْقُوبَ ۖ﴾ نافلةً[1] ليستأنِسَ بهما ﴿وَكُلًّا﴾ كلَّ واحدٍ منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ لمَّا ترك الكفارَ الفجارَ لوجهه تعالى عوَّضه أولادًا مؤمنين أنبياء.

٥٠- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ هي المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناءً حسنًا وهو الصلاةُ على إبراهيمَ وآل إبراهيم في الصلوات ﴿عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ رفيعًا مشهورًا.

٥١- ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ أخلصه اللهُ واصطفاه فهو مُخْلَصٌ بما له من السعادة بأصل الفِطرة ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ الرسولُ: الذي معه كتابٌ من الأنبياء، والنبيُّ: الذي يُنبئ عن الله عزَّ وجلَّ وإن لم يكن معه كتاب كيوشع.

٥٢- ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ دعوناه وكلَّمناه ليلةَ الجمعة [من غير واسطة ملك، أسمعه الله تعالى كلامه الذي ليس حرفًا ولا صوتًا كما أسمع سيدنا محمدًا عليه الصلاة والسلام كلامه ليلة المعراج] ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ هو جبلٌ بين مِصرَ ومَدينَ ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ حين أقبل من مدين يريد مصر، [وكان] الجبل على يمين موسى عليه السلام [بحسب وقوفه] ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾ تقريبَ منزلةٍ ومَكانةٍ دون منزلٍ ومكانٍ ﴿نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ أي مناجيًا، [أي: كلَّمناه من غير وحي].

---

(١) أي: زيادة على ما طلب، كما ورد في سورة الأنبياء ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴿٧٢﴾﴾ وقد طلب ولدًا فأعْطِيَه وأُعطيَ يعقوبَ نافلةً زيادة على ما طلب فضلًا من غير سؤال.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾

٥٣- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ من أجل رحمتنا له وترؤفنا[١] عليه ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ وهبنا له نبوة أخيه [إجابةً لدعوته ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾ [سورة طه]]، وإلا فهارونُ كان أكبرَ سنًّا منه.

٥٤- ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ بنَ إبراهيم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ وافِيَهُ، وَعَدَ الصبر على الذبح فوفَى، ولم يَعِد ربَّه مَوعدًا إلا أنجزه، وإنما خصَّه بصدق الوعد وإن كان موجودًا في غيره من الأنبياء تشريفًا له ولأنه المشهور من خصاله ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جُرْهُم ﴿نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ مخبِرًا منذِرًا.

٥٥- ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ أُمَّتَه ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ يحتمل أنه إنما خُصَّت هاتان العبادتان لأنهما أُمَّا العبادات البدنية والمالية ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [رَضِيًّا زاكيًا صالحًا لاستقامة أقواله وأفعاله].

٥٦- ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ﴾ هو أَخْنُوخُ أولُ مَن خَطَّ بالقلم وخاط اللباس ونظرَ في علم النجوم والحساب واتَّخذَ الموازين والمكاييل والأسلحة، فقاتل بني قابيل ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة.

٥٧- ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ هو شرف النبوة والزلفى عند الله.

٥٨- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا إلى إدريس ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ من للبيان[٢] لأن جميع الأنبياء

---

(١) الرأفة: كالرحمة، إلا أن الرأفة أشدُّ الرحمة.

(٢) يعني أنه ليس المراد التبعيض كما تكون للتبعيض في قولك: أخذت من الدراهم، أي أخذت بعضها، أما هنا فلا يصح أن تكون للتبعيض، لأنه يؤدي إلى فسادٍ وهو أن بعض النبيين ليسوا من المنعم عليهم.

﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾

مُنعَم عليهم ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ من للتبعيض، وكان إدريس من ذرية ءادم لقربه منه لأنه جَدُّ أبي نوح ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ إبراهيمُ مِن ذُرية مَن حُمِلَ مع نوح لأنه وَلَدُ سامِ بنِ نوح ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إسماعيلُ وإسحاقُ ويعقوبُ ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ومن ذرية إسرائيلَ أي يعقوبَ، موسى وهارونُ وزكريا ويحيى وعيسى، لأنَّ مريمَ من ذريته ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ لمحاسِنِ الإسلام ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ لشرح الشريعة وكشف الحقيقة ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إذا تُليَت عليهم كتبُ الله المنزلة ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ سقطوا على وجوههم رغبةً ﴿وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ باكين رهبةً، في الحديث: «**أُتْلُوا القرءانَ وابكُوا وإن لم تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا**»[1].

٥٩- ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فجاء من بعد هؤلاء المفضَّلين ﴿خَلْفٌ﴾ أولادُ سَوء هم اليهود[2] ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تركوا الصلاة المفروضة ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ملاذَّ النفوس ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ جزاءَ غَيٍّ[3]، وكلُّ شَرٍّ عند العرب غَيٌّ، وكلُّ خيرٍ رشادٌ.

٦٠- ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ رجع عن كفره ﴿وَءَامَنَ﴾ بشرطه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بعد إيمانه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ لا يُنْقَصون شيئًا من جزاء أعمالهم ولا يُمنعونه بل يضاعفُ لهم.

٦١- ﴿جَنَّٰتِ﴾ بدلٌ من الجنة لأن الجنةَ تشتمل على جنات ﴿عَدْنٍ﴾ العدنُ: الإقامة ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾ التائبين المؤمنين الذي يعملون

---

(١) معناه إن لم تجدوا بكاءً تكلفوا البكاء لتخشعوا لله.

(٢) الخَلْفُ: بتسكين اللام: البَدَلُ السَّيِّئُ، أما الخَلَفُ بفتح اللام فهو البَدَلُ الصالح وعقب الخير.

(٣) يلقون هلاكًا جزاء شرهم وفسادهم وضلالهم.

﴿بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ
وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا
بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾﴾

الصالحات كما سبق ذكرهم ﴿بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ وَعَدَها وهي غائبةٌ عنهم غيرُ حاضرة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ موعودُه وهو الجنة ﴿مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾﴾ أي هم يأتونها.

٦٢- ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغۡوًا﴾ فُحشًا أو كذبًا، أو ما لا طائل تحته من الكلام وهو المطروح منه ﴿إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾ لكن يسمعون سلامًا من الملائكة، أو من بعضهم على بعض ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾﴾ يؤتَون بأرزاقهم على مقدار طرفَي النهار من الدنيا إذ لا ليلَ ولا نهارَ ثَمَّ لأنهم في النور أبدًا، وإنما يَعرفون مقدار النهار برفع الحُجُب[1] ومقدارَ الليل بإرخائها، والرزقُ بالبُكرة والعشي أفضلُ العيش عند العرب، فوصَفَ اللهُ جنته بذلك.

٦٣- ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ نجعلها ميراثَ أَعمالِهم، يعني ثمرتَها وعاقِبتَها ﴿مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾﴾ عن الشرك.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟**» فنزل:

٦٤- ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ﴾ يعني أنَّ نزولنا في الأحايين وقتًا غِبَّ وقتٍ ليس إلا بأمر الله ﴿لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾﴾ له ما قُدَّامَنا وما خلفنا من الأماكن وما نحن فيها، فلا [نقدر] أن ننتقل من مكانٍ إلى مكانٍ إلا بأمر المَليك[2] ومشيئته، وهو الحافظ العالم بكلّ حركةٍ وسكونٍ وما يحدث من الأحوال، لا تجوز عليه الغفلة والنسيان، فأنَّى لنا أن نتقلَّب في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه؟

---

(١) الحجب: الستائر.
(٢) المليك بمعنى: مالك المُلك.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ
أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ
شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ
لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾﴾

٦٥- ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ هو ربُّ السماوات والأرض، ثم قال لرسوله: لمَّا عرفتَ أنه متصف بهذه الصفات ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾ فاثبت على عبادته ﴿وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ [واصبر على المشاقِّ] لتتمكن من الإتيان بها ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾﴾ شبيهًا ومِثلًا [تشتغل بعبادته عن عبادة الله؟! إنما هو إله واحد، وهو استفهام بمعنى النفي والإنكار].

فَتَّ أُبيُّ بنُ خَلَفٍ عظمًا وقال: أَنُبعثُ بعدما صرنا كذا؟! فنزل:

٦٦- ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ كأنه قال: أحقًّا إنا سنُخرج من القبور أحياءً حين يتمكن فينا الموت والهلاك! على وجهِ الاستنكار والاستبعاد.

٦٧- ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا يُنكِر النشأة الأخرى، فإنَّ تلك أدلُّ على قدرة الخالق حيث أَخرجَ الجواهِرَ والأعراضَ من العدم إلى الوجود ﴿أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ﴾ من قبلِ الحالةِ التي هو فيها، وهي حالةُ بقائهِ ﴿وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾﴾ هو دليل على ما بيَّنا، وعلى أنَّ المعدوم ليس بشيءٍ.

٦٨- ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ﴾ أي الكفارَ المنكرينَ للبعث ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي يُحشرونَ مع قرنائهم من الشياطين الذين أَغوَوْهم، يُقرن كلُّ كافرٍ مع شيطان في سلسلةٍ ﴿ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾﴾ جمع جاثٍ أي بارِكٌ على الرُّكب، [قيل: لأنَّ أقدامهم لا تحملهم لشدة هول ذلك اليوم وذلك المنظر].

٦٩- ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ طائفةٍ شاعَت أي تبعت غاويًا من الغُواة ﴿أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾﴾ [تمرُّدًا وعنادًا]، أي لنُخرجنَّ من

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا
مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾

كلّ طائفةٍ من طوائف الغيّ أعتاهم فأعتاهم، فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب، نُقدِّم أَولاهم بالعذاب فأَولاهم.

٧٠- ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ أحقُّ بالنار ﴿صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ أي دخولًا.

٧١- ﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الورودُ: المرور على الصراط، لأن الصراط ممدود عليها، فيَسلَمُ أهلُ الجنة ويُتقاذَفُ أهلُ النار ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ كان ورودهم كائنًا محكومًا به.

٧٢- ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ عن الشرك وهم المؤمنون ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه، ثم ينجو لا محالة.

٧٣- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ أي القرءان ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهراتِ الإعجاز، أو حججًا وبراهين ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مشركو قريش وقد رَجَّلوا شعورَهم[١] وتكلَّفوا في زِيّهم ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ للفقراء ورؤوسُهم شَعْثَةٌ[٢] وثيابُهم خَشِنة: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن أم أنتم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ المرادُ المكانُ والمسكن ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ مَجلسًا يجتمع القومُ فيه للمشاورة، ومعنى الآية أنَّ الله تعالى يقول: إذا أنزلنا ءايةً فيها دلائلُ وبراهينُ أَعرضوا عن التدبُّر فيها إلى الافتخار بالثروة والمال وحُسن المنزل والحال، فقال تعالى:

٧٤- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي كثيرًا من القرون أهلكنا، وكلُّ أهل عصرٍ قرنٌ لِمَن بعدَهم ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ هو متاع البيت ﴿وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ منظرًا وهيئة.

---

(١) ترجيل الشعر: تسريحه وتنظيفه وتحسينه.
(٢) شَعْثَة: مُغبرَّة غير مُسرَّحة.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾

٧٥- ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ الكفرِ ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ أي مَن كَفرَ مَدَّ له الرحمٰن، يعني أَمهَلَه وأَملَى له في العمر ليزداد طغيانًا وضلالًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ أي لا يزالون يقولون هذا القولَ إلى أن يشاهدوا الموعود رأيَ عينٍ ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ في الدنيا، وهو تعذيب المسلمين إياهم بالقتل والأسر ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ أي القيامةَ وما ينالُهم من الخِزي والنَّكال ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ منزلًا ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾ أعوانًا وأنصارًا، فحينئذ يعلمون أنَّ الأمر على عكس ما قدَّروه، وأنهم شرٌّ مكانًا وأضعف جندًا، لا خير مقامًا وأحسن نَدِيًّا.

٧٦- ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ﴾ يزيد في ضلال الضُّلَّال بخِذلانه(١)، ويزيد المهتدين المؤمنين هدًى [أي] ثباتًا على الاهتداء، أو يقينًا وبصيرةً بتوفيقه ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أعمالُ الآخرة كلُّها ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ مما يفتخر به الكفار ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ مرجعًا وعاقبةً، تَهكُّمٌ بالكفار لأنهم قالوا للمؤمنين: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾.

٧٧- ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ أَخبِرْ أيضًا بقصة هذا الكافر واذكُرْ حديثَه عقيبَ حديثِ أولئك.

٧٨- ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ أَنَظرَ في اللوح المحفوظ فرأى مُنْيَتَه ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ موثقًا أن يؤتِيَه ذلك، [وهو استفهام إنكار وتوبيخ، قيل]: نزلت في الوليد بن المغيرة، والمشهور أنها في العاص

---

(١) بعدم توفيقه لهم للهدى.

﴿كَلَّآۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا
فَرۡدٗا ٨٠ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ
عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ٨٢ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ٨٣ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا
نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ٨٤﴾

ابن وائل؛ فقد رُوي أن خبَّاب بنَ الأَرَتِّ صاغ للعاص بن وائلٍ حُليًّا، فاقتضاه الأَجرَ، فقال: إنكم تزعمون أنكم تُبعثون وأنَّ في الجنة ذهبًا وفضةً فأنا أَقضِيكَ ثَمَّ فإني أُوتَى مالًا وولدًا حينئذ.

٧٩- ﴿كَلَّآۚ﴾ ردع وتنبيه على الخطأ، أي هو مُخطئٌ فيما يُصَوِّره لنفسه فليرتدع عنه ﴿سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ﴾ سنُظهِرُ له ونُعْلمه أنَّا كتبنا قوله ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ نزيده من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجتراء ﴿مَدّٗا ٧٩﴾ [بحيث لا ينقطع].

٨٠- ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأۡتِينَا﴾ [يوم القيامة] ﴿فَرۡدٗا ٨٠﴾ بلا مالٍ ولا ولدٍ [كان له في الدنيا فضلًا أن يؤتَى ثَمَّ زائدًا].

٨١- ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ﴾ اتَّخذ هؤلاء المشركون أصنامًا يعبدونها ﴿لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١﴾ ليعتزُّوا بآلهتهم ويكونوا لهم شفعاءَ وأنصارًا يُنقذونهم [من عذاب الدنيا، لأنهم لا يؤمنون بعذاب الآخرة].

٨٢- ﴿كَلَّاۚ﴾ ردعٌ لهم عما ظنُّوا ﴿سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ﴾ سيَجحدون عبادتَهم ويُنكرونها، ويقولون: والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون ﴿وَيَكُونُونَ﴾ أي المعبودون ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على المشركين ﴿ضِدًّا ٨٢﴾ خُصماءَ، لأنَّ الله تعالى يُنطقهم فيقولون: يا ربُّ عَذِّب هؤلاء الذين عبدونا من دونك. ثم عَجَّبَ نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله:

٨٣- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ خلَّيناهم وإياهم، أو سلَّطناهم عليهم بالإغواء ﴿تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ٨٣﴾ تُغريهم على المعاصي إغراءً.

٨٤- ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ بالعذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ٨٤﴾ أي أعمالَهم للجزاء وأنفاسَهم للفناء.

﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمۡلِكُونَ
ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا
إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ
وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي
ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾﴾

٨٥- ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [إلى موقف الحساب] ﴿وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾﴾ رُكبانًا [مكرمين].

٨٦- ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ الكافرين سَوْقَ الأنعام، لأنهم كانوا أضلَّ من الأنعام ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾﴾ عِطاشًا.

٨٧- ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ لا يملكون أن يُشفع لهم ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾﴾ بأن ءامَنَ.

٨٨- ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾﴾ أي النصارى واليهودُ ومن زَعَم أنَّ الملائكة بناتُ الله.

٨٩- ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾﴾ الإدُّ: العَجَبُ أو العظيم المنكر.

٩٠- ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ تَقرُبُ ﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾ [يتشقَّقْنَ] ﴿مِنۡهُ﴾ من عُظْم هذا القول ﴿وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ﴾ تنخسف وتنفصل أجزاؤها ﴿وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ﴾ تسقط ﴿هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ كسرًا أو قطعًا أو هدمًا.

٩١- ﴿أَن دَعَوۡاْ﴾ هدَّها دعاؤهم ﴿لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾﴾.

٩٢- ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ ما يتأتى له اتخاذ الولد لأنه محال غير داخلٍ تحت الصحة، وهذا لأنَّ اتخاذ الولد لحاجةٍ ومجانسةٍ وهو منزَّه عنهما.

٩٣- ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾﴾ ما كلُّ مَن في السماوات والأرض من الملائكة والناس إلا وهو يأتي الله يوم القيامة مُقرًّا بالعبودية.

﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾

٩٤- ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ حصرهم بعِلمهِ وأحاطَ بهم.

٩٥- ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ كلُّ واحدٍ منهم يأتيه يوم القيامة منفردًا بلا مالٍ ولا ولدٍ، أو بلا معينٍ ولا ناصرٍ.

٩٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ مَوَدّةً في قلوب العباد [أي: خِيارهم].

٩٧- ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ سَهَّلنا القرءان ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلُغتك ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ المؤمنين ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ شِداداً في الخصومة بالباطل، يُراد به أهلُ مكة.

٩٨- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ تخويف لهم وإنذار ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي هل تجد أو ترى أو تعلم؟ والإحساس: الإدراك بالحاسَّة ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾ صوتًا خفيًّا، أي لمَّا أتاهم عذابنا لم يبقَ شخص يُرى ولا صوت يُسمع، يعني هلكوا كلُّهم، فكذا هؤلاء إن أعرضوا عن تدبُّر ما أُنزل عليك فغايتهم الهلاك، فليَهُن عليك أمرُهم.

سورة طه ﷺ

مكية، وهي مائة وخمس وثلاثون ءاية كوفي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿طه ۝١﴾ [قال بعضهم:] معناه يا رجل، [وقيل فيها ما ذُكِرَ في أول سورة البقرة في ﴿الٓمٓ ۝١﴾ ونظائرها من أنها تعداد لأسماء الحروف، أو أسماء للسور].

٢- ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ لتتعب لِفَرْط تأسُّفك عليهم وعلى كفرهم وتحسُّرك على أن يؤمنوا، أو بقيام الليل، فقد روي أنه ﷺ صلى بالليل حتى تَوَرَّمت قدماه[1].

٣- ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ﴾ لكن أنزلناه تذكرة ﴿لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ لمن يخاف الله، [وخُصَّ الخاشي بذلك وإن كان الإنذار للكل لأنه هو المنتفع به].

٤- ﴿تَنزِيلٗا﴾ نُزِّل تنزيلًا ﴿مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤﴾ وَصفُ السماوات بالعُلَى دليل ظاهر على عِظَم قدرة خالقها.

٥- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ هو الرحمٰن ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ استولى، ونبَّه بذِكرِ العرش - وهو أعظمُ المخلوقاتِ - على غيره، والمذهب قول

---

(١) ليس إلى حدّ حدوث ضرر أو علة، وإنما شيء يصيب القدمين بسبب طول القيام ثم يزول إذا ترك ذلك.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾

علي رضي الله عنه: «الاستواء غير مجهولٍ والتكييف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة لأنه تعالى كان ولا مكان، فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان»، [والقسم الأول منه مشهور عن الإمام مالك رضي الله عنه].

٦- ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ذلك كلُّه مِلكه [لا يمتنع شيء منه عما يُصرِّفه عليه] ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ ما تحتَ سبعِ الأَرَضِيْنَ.

٧- ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ ترفعْ صوتَك [بذكر الله ودعائه وغير ذلك فاعلم أنَّ الله عالِمٌ بالجهر وبما هو دونه] ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ ما أسررتَه إلى غيرك ﴿وَأَخْفَى ۝٧﴾ منه وهو ما أَخطرتَه ببالك.

٨- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ هو واحد بذاته وإن افترقت عبارات صفاته، ردٌّ لقولهم إنك تدعو ءالهةً حين سمعوا أسماءَه تعالى.

٩- ﴿وَهَلْ﴾ وقد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ خبرُه، قَفَّاهُ بقصة موسى عليه السلام ليتأسَّى به في تحمُّل أعباء النبوة بالصبر على المكاره ولينالَ الدرجةَ العليا.

١٠- ﴿إِذْ رَءَا﴾ حين رأى ﴿نَارًا﴾، رُوِيَ أنَّ موسى عليه السلام استأذن شعيبًا في الخروج إلى أُمِّه وخرج بأهله فوُلِدَ له في الطريق ابنٌ في ليلةٍ مظلمةٍ مثلجةٍ، وقد ضَلَّ الطريقَ وتفرقت ماشيته ولا ماءَ عنده ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ أقيموا في مكانكم ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ أَبصرتُ ﴿نَارًا﴾ والإيناسُ: رؤية شيء يؤنَسُ به ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا﴾ بَنَى الأمرَ على الرجاء لئَلا يَعِدَ ما ليس يَستيقنُ الوفاءَ به ﴿بِقَبَسٍ﴾ نارٍ مقتبسةٍ في رأس عودٍ أو

﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ
بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾

فَتِيلة ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾ ذوي هدى، أو قومًا يهدونني الطريق.

١١- ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ أي النارَ وجدَ نارًا بيضاءَ تتوقد في شجرةٍ خضراءَ من أسفلها إلى أعلاها وكانت شجرةَ العُنَّابِ أو العَوْسَجِ[1]، ولم يجد عندها أحدًا، وروي أنه كلما طلبها بعُدت عنه، فإذا تركها قرُبت منه، فثَمَّ ﴿نُودِىَ﴾ موسى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١﴾ [الجمهور على أن الله تعالى كلم موسى في هذا المقام من غير واسطة فأسمعه كلامه الذاتي الأزلي الذي ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة بأن رفع الحجاب عن سمعه فسمع كلامه الذي ليس ككلام العالمين].

١٢- ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ﴾ انزِعْهما لتصيبَ قدميك بركةُ الوادي المقدَّسِ، أو لأنَّ الحُفوةَ تواضعٌ لله، ومن ثَمَّ طاف السلف بالكعبة حافين، فخلَعهما وألقاهما من وراء الوادي[2] ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ المطهر أو المبارك ﴿طُوًى ۝١٢﴾ اسم عَلَم للوادي.

١٣- ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ اصطفيتك للنبوة ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣﴾ إليك.

١٤- ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ وَحِّدْني وأَطِعني ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤﴾ لتذكُرَني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار، أو لأوقات ذِكري وهي مواقيت الصلاة، وهذا يدل على أنه لا فريضةَ بعد التوحيد أعظمُ منها.

١٥- ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ لا مَحالة ﴿أَكَادُ﴾ أُريد ﴿أُخْفِيهَا﴾ قيل: هي من الأضداد، أي أُظهرها، أو أسترها عن العباد فلا أقول هي ءاتية

---

(١) العَوْسَجُ: شجرٌ من شجر الشوك له ثمر أحمرُ مُدَوَّرٌ كأنه خَرَز العقيق.
(٢) أي خارجَ الوادي.

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

لإرادتي إخفاءها، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تَعمِيَة وقتِها من الحكمة - وهو أنهم إذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وَجَلٍ منها في كل وقتٍ - لَما أخبرْتُ به ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ متعلق بآتيةٌ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ بسعيها من خيرٍ أو شر.

١٦- ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ فلا يَصرفنَّك عن العمل للساعة، فالخطاب لموسى والمرادُ به أُمته ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ لا يُصدِّق بها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في مخالفة أمرِهِ ﴿فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ فتهلِك[1].

١٧- ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ السؤال للتنبيه لتقعَ المعجزةُ بها بعد التَّثبُّت، أو للتوطين لئَلا يَهولَه انقلابُها حيةً.

١٨- ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ أعتمدُ عليها إذا أَعيَيْتُ ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ أَخبِطُ ورقَ الشجر على غنمي لتأكله ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ﴾ جمع مَأرُبةٍ، وهي الحاجة ﴿أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ والمآربُ الأُخَر أنها كانت تُماشِيه وتُحدِّثه وتحارب العدوَّ والسباع، وتصير رِشاءً[2] فتطول بطول البئر وتصير شُعبتاها دلوًا، وتكونان شَمعَتين بالليل، وتحمل زادَه، ويَرْكُزُها[3] فتثمر ثمرةً يشتهيها، ويَرْكُزُها فينبع الماء فإذا رفعها نَضَبَ[4]، وكانت تَقيهِ الهوامَّ.

١٩- ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ اطرح عصاك لتفزَعَ مما تَتَّكِئُ عليه، فلا

---

(١) ذلك كقوله تعالى لنبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ليس لأنه جائز عليه حصول الشرك منه، وإنما المراد تحذير أمته من الشرك.

(٢) الرِّشاءُ: الحبل الذي يُربط به الدَّلو.

(٣) يركزها: يغرزها في الأرض.

(٤) نَضَبَ: غارَ وغابَ.

﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا
ٱلْأُولَىٰ ۝٢١ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝٢٢ لِنُرِيَكَ مِنْ
ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۝٢٣ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٢٤﴾

تسكنَ إلا بنا وترى كُنْهَ[1] ما فيها من المآرب فتعتمدَ علينا في المطالب.

٢٠- ﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾ فطَرحها ﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠﴾ تمشي سريعًا، قيل: انقلبت ثعبانًا يبتلع الصخر والشجر فلما رءاه يبتلع كل شيء خاف [لحِقَه ما يلحق البشر عند الأهوال والمخاوف].

٢١- ولمَّا ﴿قَالَ﴾ له ربُّه: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ بلغ من ذهاب خوفه أن أدخلَ يدَه في فَمِها وأخذ بلحيَيْها ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ سنردُّها ﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١﴾ نردُّها عصًا كما كانت، وأُري ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها إذا انقلبت حَيَّةً عند فرعون.

ثم نُبّه على آيةٍ أخرى فقال:

٢٢- ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ إلى جنبك تحت العَضُد[2]، وجناحا الإنسان: جنْباه ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ لها شعاعٌ كشعاع الشمس يَغْشَى البصرَ ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ بَرَصٍ ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝٢٢﴾ لنبوتك.

٢٣- ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۝٢٣﴾ فعلنا ذلك لنُريَك من اياتنا الكبرى.

٢٤- ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٢٤﴾ جاوزَ حَدَّ العبودية إلى دعوى الربوبية.

ولمَّا أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي وعرف أنه كُلِّف أمرًا عظيمًا يحتاج إلى صدرٍ فسيح:

---

(١) الكُنْهُ: الحقيقة.

(٢) العَضُدُ: ما بين المرفق إلى الكتف.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟
قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ
نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

٢٥- ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾﴾ وَسِّعه ليحتملَ الوحيَ والمشاقَّ ورديءَ الأخلاق من فرعونَ وجندِه.

٢٦- ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾ وسَهِّل عليَّ ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون.

٢٧- ﴿وَٱحْلُلْ﴾ افتح ﴿عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾﴾ وكان في لسانه رُتَّة(١) للجمرة التي وضعَها على لسانه في صباه، وذلك أنَّ موسى أخذ لحية فرعون ولطمه لطمةً شديدةً في صغره، فأراد قتله، فقالت آسية(٢): أيها الملك إنه صغير لا يَعقِل، فجعلت في طَست نارًا وفي طَست يواقيت، ووضعتهما لدى موسى، فقصد اليواقيت، فأمال المَلَك يدَه إلى النار فرفع جمرةً، فوضعها على لسانه، فاحترق لسانه.

٢٨- ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ عند تبليغ الرسالة.

٢٩- ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾﴾ ظهيرًا أعتمدُ عليه.

٣٠- ﴿هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾ [وكان موصوفًا باللين والتُّؤَدة وطلاقة اللسان].

٣١- ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾﴾ قَوِّ به ظهري.

٣٢- ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ اجعله شريكي في النبوة والرسالة.

٣٣- ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ﴾ نُصليَ لك ونُنزِّهَك ﴿كَثِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

٣٤- ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ في الصلوات وخارجها.

---

(١) ثِقَلٌ خفيف لا يجعل كلامه غير مُفهم ولا يبدل حرفًا بحرف.
(٢) ءاسيةُ بنتُ مُزاحم: زوجة فرعون.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾

٣٥- ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ عالمًا بأحوالنا. فأجابه الله تعالى حيث:

٣٦- ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ أُعطيتَ مسؤولك.

٣٧- ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَيْكَ مَرَّةً﴾ كَرَّة ﴿أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ قبل هذه، ثم فسرها فقال:

٣٨- ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾ إلهامًا، أو إلهامًا حين وُلِدتَ، وكان فرعون يقتل أمثالكَ، ثم فسر ﴿مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾ بقوله:

٣٩- ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ أَلقِيه [ومعناه ضعيه] ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [بشاطئ النهر] ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ يعني فرعون، وكان يَشْرَع[1] [من اليَمّ] إلى بستان فرعون نَهَر كبير، فبينما هو جالس على رأس بركةٍ مع ءاسية إذا بالتابوت، فأَمرَ به فأُخرج ففُتِحَ، فإذا صبيٌّ أصبحُ الناس وجهًا، فأَحبه فرعون حبًّا شديدًا، فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ ومَن أَحبَّه اللهُ أَحبَّته القلوبُ، فما رءاه أَحدٌ إلا أحبَّه ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ لتُربَّى [وأنت في حفظي ورعايتي].

٤٠- ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ روي أنَّ أُختَه مريمَ جاءت متعرِّفةً خبرَه، فصادفتهم يطلبون له مُرضعة يقبلُ ثديَها، وكان لا يقبل ثدي امرأة، فقالت: هل أدلكم على مَن يضمُّه إلى نفسه

---

(١) يَشْرَعُ: يَدخُل.

﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ
وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾﴾

فيربِّيه؟ وأرادت بذلك المرضعة، فقالوا: نعم، فجاءت بالأم، فقبل ثديها، وذلك قوله: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ﴾ فرددناك ﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ كما وعدناها بقولنا: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ﴿٧﴾﴾ [سورة القصص] ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَۚ﴾ على فراقك ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ قبطيًّا كافرًا[(١)] ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ من القَوَد. اغتمَّ بسبب القتل خوفًا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون، فغفر الله له باستغفاره حين ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي ﴿١٦﴾﴾ [سورة القصص] ونجّاه من فرعون بأن ذهبَ به من مصر إلى مدين ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ﴾ ابتليناك ابتلاءً بإيقاعك في المِحَن وتخليصِك منها ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ هي بلدةُ شعيبٍ عليه السلام على ثماني مراحلَ من مصر، قيل: لبثَ عند شعيب ثمانيًا وعشرين سنة، عشرٌ منها مَهْرٌ لصَفُوْرَاْءَ[(٢)]، وأقام عنده ثماني عشرة سنة بعدها حتى ولد له أولاد ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ أي موعدٍ ومقدارٍ للرسالة، وهو أربعون سنة.

٤١- ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي لتتصرَّف على إرادتي ومَحبتي.

٤٢- ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي﴾ بمعجزاتي ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ تَفتُرا ﴿فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾﴾ اتَّخِذا ذكري جناحًا تطيران به، أو أريد بالذكر تبليغ الرسالة، فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغُ الرسالة من أعظمها.

---

(١) كان موسى عليه السلام يُدافع عن مسلم تشاجر مع قبطي كافر، فضربه بِجُمع كفه وكان شديد القوة فمات بسببها ولم يكن موسى عليه السلام قد أخذ الإذن من الله تعالى بذلك قبل وَكزِهِ تلك الوَكزةَ التي قضت عليه.

(٢) صَفُوْراءُ: اسم بنت سيدنا شعيب التي تزوجها سيدنا موسى عليهما السلام.

﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا
نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ فَأۡتِيَاهُ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ
وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨﴾

٤٣- ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣﴾ جاوز الحدَّ بادعائه الربوبية.

٤٤- ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ هو [كقوله تعالى]: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩﴾ [سورة النازعات] فظاهره الاستفهام والمَشُورة ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ويتأمل فيُذعن للحق ﴿أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ يخاف أن يكون الأمر كما تصفان فيجرُّه إنكاره إلى الهلكة، وإنما قال ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ مع علمه تعالى أنه لا يتذكر لأن الترجّيَ لهما، أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يطمع أن يُثمرَ عملُه، وجَدْوَى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزامُ الحجة وقطعُ المَعْذِرة.

٤٥- ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ﴾ يُعجِّلَ علينا بالعقوبة ﴿أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾ يجاوز الحدَّ في الإساءة إلينا.

٤٦- ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ حافِظُكما وناصركما ﴿أَسۡمَعُ﴾ أقوالكم ﴿وَأَرَىٰ ٤٦﴾ أفعالكم.

٤٧- ﴿فَأۡتِيَاهُ﴾ أي فرعونَ ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ إليك ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أَطلِقْهم عن الاستعباد والاسترقاق ﴿وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ﴾ بتكليف المشاق ﴿قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ﴾ بحُجةٍ ﴿مِّن رَّبِّكَۖ﴾ على صدق ما ادعيناه فقال فرعون: وما هي؟ فأخرج يَدَه لها شعاعٌ كشعاع الشمس ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾ سَلِمَ من العذاب مَنْ أسلم، وليس بتحيَّةٍ.

٤٨- ﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ﴾ في الدنيا والعُقبى ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ بالرسل ﴿وَتَوَلَّىٰ ٤٨﴾ أعرض عن الإيمان، فأتياهُ وأدَّيا الرسالة وقالا له ما أُمرا به.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ
ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ
شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾

٤٩- ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ خاطبهما، ثم نادى أحدَهما، لأن موسى هو الأَصلُ في النبوة وهارونَ تابعُه.

٥٠- ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ أعطى خليقَتَه كل شيءٍ يحتاجون إليه ويرتفِقون به ﴿ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ عَرَّفَ كيف يُرتَفَق بما أعطى للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى.

٥١- ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ فما حال الأمم الخالية والرُّمَم البالية، سأَله عن حال مَن تقدَّم مِن القرون، وعن شَقاء مَن شَقِي منهم وسعادة من سَعِدَ.

٥٢- ﴿قَالَ﴾ موسى مجيبًا: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ﴾ أي هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمُه إلا هو، وما أنا إلا عبدٌ لا أعلمُ منه إلا ما أخبرني به علّام الغيوب، وعلمُ أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ لا يُخطئ شيئًا، لا يُخطئ في سعادة الناس وشقاوتهم ﴿وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ ثوابَهم وعقابَهم.

٥٣- ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ ما يُبسط ويفرش ﴿وَسَلَكَ﴾ جَعَلَ ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طُرُقًا [تسلكونها في مقاصدكم وحوائجكم] ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾ بالماء، قيل: تم كلامُ موسى [عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنسَى﴾، وهذا خبرٌ من الله تعالى ذِكْرُهُ عن إنعامه على خلقه بما يُحدث لهم من الغيث الذي ينزله من سمائه إلى أرضه] ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ أي أَنها مختلفةُ النفع والطعم واللون والرائحة والشكل، بعضها للناس وبعضها للبهائم.

﴿كُلُوا۟ وَٱرۡعَوۡا۟ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا
نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا
بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٍ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدًا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ
أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾

ومن نعمة الله تعالى أنَّ أرزاقَنا تحصل بعمل الأَنعام، وقد جعل الله عَلَفَها مما يفضل عن حاجاتنا مما لا نقدر على أكله.

٥٤- ﴿كُلُوا۟ وَٱرۡعَوۡا۟ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ﴾ أخرجنا أصناف النبات ءاذِنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلِفوا بعضها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ في الذي ذكرتُ ﴿لَأٓيَٰتٍ﴾ لَدِلالات ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ لذوي العقول.

٥٥- ﴿مِنۡهَا﴾ من الأرض ﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ أي أباكم ءادمَ عليه السلام ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾ إذا مِتُّم فدُفنتم ﴿وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ مرةً أخرى، والمراد بإخراجهم أنه يؤلِّف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويَرُدُّهم كما كانوا أحياءً، ويخرجهم إلى المحشر.

٥٦- ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ﴾ أي فرعونَ ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ [يعني أدلَّتنا وحججنا الدالة على ألوهيتنا وقدرتنا وصدق أنبيائنا] ﴿فَكَذَّبَ﴾ الآياتِ ﴿وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ قبولَ الحق.

٥٧- ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا﴾ مصر ﴿بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾ فيه دليل على أنه خاف منه خوفًا شديدًا، وقوله: ﴿بِسِحۡرِكَ﴾ تَعلُّل، وإلا فأيُّ ساحرٍ يقدر أن يُخرج مَلِكًا من أرضه.

٥٨- ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٍ مِّثۡلِهِۦ﴾ فَلَنُعارضنَّك بسحرٍ مثل سحرك ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدًا﴾ مكانَ موعدٍ ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ﴾ للموعد ﴿نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ مُنَصَّفًا بيننا وبينك.

٥٩- ﴿قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ هو يوم عيدٍ كان لهم، فبذكر الزمان عُلِمَ المكان ﴿وَأَن يُحۡشَرَ﴾ يُجمعَ ﴿ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ وقتَ الضَّحوة ليكون

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا
فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ
هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾

أبعدَ عن الرِّيبة وأبينَ لكشف الحقّ، وليشيع في جميع أهل الوبَر والمَدَر[1].

٦٠- ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أدبر عن موسى معرضًا ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ مكرَه وسحَرَتَه، وكانوا اثنين وسبعين، أو أربعَمائة، أو سبعين ألفًا ﴿ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ للموعد.

٦١- ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ أي للسحرة: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لا تَدْعوا ءاياتهِ ومعجزاتهِ سحرًا ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ يُهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ عظيمٍ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ مَن كذَب على الله.

٦٢- ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ اختلفوا أي السحرةُ، فقال بعضهم: هو ساحرٌ مثلُنا، وقال بعضهم: ليس هذا بكلام السحرة ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ تشاوروا في السر، وقالوا: إن كان ساحرًا فسنغلبه، وإن كان من السماء [فسيكون له] أمرٌ.

ثم لفَّقوا هذا الكلام يعني:

٦٣- ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ يعني موسى وهارون ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ مصرَ ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ بدينكم وشريعتكم ﴿ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ الفضلى.

٦٤- ﴿فَأَجْمِعُوا۟﴾ فأَحكِموا ﴿كَيْدَكُمْ﴾ هو ما يُكادُ به، أي اجعلوه مجمعًا عليه حتى لا تختلفوا ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ﴾ أمروا بأن يأتوا صفًّا لأنه أَهيبُ في صدور الرائين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ وقد فاز مَن غلب [فاجتهِدوا أن تستعلُوا].

---

(١) أهلُ الوَبَر والمَدَر: أي أهلُ البَدْو والحَضَر، والمَدَرُ: القرى.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ
إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ
مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾

٦٥- ﴿قَالُواْ﴾ أي السحرةُ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ عصاكَ أوَّلًا ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾ ما مَعَنا، معناه: اخترِ أحدَ الأمرين، وكأنه تعالى ألهمهم ذلك وعَلَّم موسى اختيارَ إلقائهم أوَّلًا حتى:

٦٦- ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ أنتم أوَّلًا ليُبرزوا ما معهم مِن مكايدِ السحر، ويُظهرَ اللهُ سلطانَه ويقذفَ بالحقِّ على الباطل فيدمغُه[1]، ويُسلِّطَ المعجزةَ على السحر فتمحقَه[2]، فيصيرَ ءايةً نيرةً للناظرين وعبرةً بينةً للمعتبرين، فألقَوا ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ﴾ إلى موسى ﴿مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ سَعْيَ الحيّات، رُوي أنهم لطَّخوها بالزئبق فلمّا ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزّت فخيَّلت ذلك.

٦٧- ﴿فَأَوۡجَسَ﴾ [أحسَّ ووجدَ] ﴿فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [كان خوفَ طبيعةٍ، والعاقل قد يخاف طبعًا عند رؤية الأشياء الفظيعة في أول وَهلة، ثم يتأمَّل فيسكن]، أو خاف أن يُخالجَ الناسَ شكٌّ فلا يتَّبعوه.

٦٨- ﴿قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ الغالب القاهر.

٦٩- ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ﴾ اطرح عصاك تبتلعْ عِصِيَّهم وحبالَهم، فإنَّ ما في يمينك أعظم منها ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ وإنما وَحَّدَ ﴿سَٰحِرٖۖ﴾ ولم يَجمع لأن القصد معنى الجنسية لا العدد ألا ترى إلى قوله ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي هذا الجنسُ ﴿حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ أينما كان، فألقى موسى عصاه فتلقَّفت[3] ما صنعوا.

---

(١) أي: فيُذهِبُه.
(٢) أي: فتمحوَه وتُبطلَه.
(٣) أي: ابتلعت.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ
وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ
مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾

فلِعِظَم ما رأوا من الآية وقعوا إلى السجود، فذلك قولُه:

٧٠- ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ من سُرعة ما سَجدوا كأنهم أُلقوا، فما أَعجبَ أَمرَهم! قد أَلقَوا حبالَهم وعِصيَّهم للكفر والجحود، ثم أَلقَوا رؤوسَهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظمَ الفرقَ بين الإلقاءين، ثم ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [لأنهم عرفوا حقيقة ما أتى به موسى عليه السلام، فعلموا أنه سماوي وأنه ءاية وليس بسحر فآمنوا إيمانًا لم يرتابوا به قط].

٧١- ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ أي لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [في الإيمان له] ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ لَمُعَلِّمكم ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ القطع من خلافٍ: أن تُقطعَ اليد اليمنى والرِّجلُ اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [أي على جذوعها تشهيرًا لعقوبتكم]، وخَصَّ النخلَ لطول جذوعها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا﴾ أنا على ترك إيمانكم بي أو ربُّ موسى على ترك الإيمان به ﴿وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ أَدْوَمُ.

٧٢- ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ لن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ القاطعةِ الدالة على صدق موسى ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ ولا على الذي خلقنا، أو قسمٌ [أي وحقِّ الذي خلقنا] ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ فاصنع ما أنت صانع من القتل والصَّلب ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾ إنما تحكم فينا مدة حياتنا [وهي منقضية زائلة، ثم نمضي إلى النعيم الدائم].

٧٣- ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ روي أنهم قالوا لفرعونَ: أَرِنا موسى نائمًا، ففعل، فوجدوه تحرُسه عصاه،

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن
يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ
طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ﴾

فقالوا: ما هذا بسحرٍ، الساحر إذا نام بطلَ سِحرُه، فكرهوا معارضَته خوفَ الفضيحة، فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾ [منك] ثوابًا لِمَن أطاعه ﴿وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣﴾ [منك] عقابًا لِمَن عصاه، وهو ردٌّ لقول فرعون: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾.

٧٤- ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾ كافرًا ﴿فَإِنَّ لَهُۥ﴾ للمجرم ﴿جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريحَ بالموت ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤﴾ حياةً ينتفع بها.

٧٥- ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا﴾ مات على الإيمان ﴿قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعد الإيمان ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥﴾.

[ثم بَيَّنَ تلك الدرجات العُلى بقوله]:

٧٦- ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ [لا ظَعْنَ عنها ولا نَفاد ولا فناء] ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ دائمين ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ تَطهَّر من الشرك بقول: لا إله إلا الله.

٧٧- ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ [بعد أن تابعنا الآيات إلى فرعون فلم يزدد إلا عُتوًّا] ﴿أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي﴾ أُمرَ موسى أن يَخرج [ببني إسرائيل] من مصرَ ليلًا ويأخذَ بهم طريق البحر ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ اجعل لهم [طريقًا بضربك البحر بعصاك] ﴿يَبَسٗا﴾ يابسًا ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا﴾ لا يدركك فرعونُ وجنوده ولا يلحقونَك ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾ الغرقَ، فخرج بهم موسى من أول الليل، وكانوا سبعين ألفًا، فركب فرعون في ستمائة ألف من القِبط فقصَّ أَثَرَهم، فذلك قوله:

٧٨- ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ﴾ أصابهم من البحر

﴿مَا غَشِيَهُمْ ۝٧٨ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ۝٧٩ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۝٨٠ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ
فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ۝٨١ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣﴾

﴿مَا غَشِيَهُمْ ۝٧٨﴾ ما لا يَعلَمُ كُنْهَه إلا اللهُ عزَّ وجلَّ [وقد بُينت هذه القصة في سورة الأعراف أيضًا].

٧٩- ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ عن سبيل الرشاد ﴿وَمَا هَدَىٰ ۝٧٩﴾ وما أرشدهم إلى الحق والسداد.

ثم ذكر منَّته على بني إسرائيل بعدما أنجاهم من البحر وأهلك فرعونَ وقومَه بقوله:

٨٠- ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ﴾ بإيتاء الكتاب ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ وذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ وَعَدَ موسى أن يأتي هذا المكانَ ويختارَ سبعين رجلًا يحضرون معه لنزول التوراة، وإنما نسب إليهم المواعدة لأنها كانت لنبيهم ونقبائهم، وإليهم رجعت منافعها التي قام بها شرعُهم ودينهم ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۝٨٠﴾ في التِّيه، وقلنا لكم:

٨١- ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ حـــــلالات ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ ولا تتعدَّوا حدودَ الله فيه بأن تكفروا النِّعم وتنفقوها في المعاصي ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ﴾ [فتنزلَ عليكم] عقوبتي ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ۝٨١﴾ هلكَ، أو سقطَ سقوطًا لا نهوضَ بعده.

٨٢- ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ عن الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ وَحَّدَ الله تعالى وصدَّقه فيما أنزل ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾ استقام وثبت على الهدى المذكور، وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح.

٨٣- ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾ وأيُّ شيء عجَّلَ بك ﴿عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣﴾

﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾﴾

أي عن السبعين الذين اختارهم؟ وذلك أنه مضَى معهم إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدَّمهم شوقًا إلى كلام ربِّه وأمرهم أن يتبعوه.

٨٤- ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ هم خلفي يلحقون بي، وليس بيني وبينهم إلا مسافةٌ يسيرة، ثم ذكر موجبَ العَجَلة فقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ﴾ أي إلى الموعد الذي وَعَدْتَ ﴿لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ لتزداد عني رضًا.

٨٥- ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ ألقيناهم في فتنة ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ من بعد خروجك من بينهم، والمراد بالقوم الذين خَلَّفهم مع هارون ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ بدعائه إياهم إلى عبادة العجل وإجابتهم له، وهو منسوب إلى قبيلةٍ من بني إسرائيل يقال لها: السامِرَةُ، وقيل: كان علجًا[1] من كَرْمان[2]، واسمه موسى بن ظَفَرٍ، وكان منافقًا.

٨٦- ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ من مناجاة ربه ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ﴾ شديد الغضب، أو حزينًا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ وعدَهم اللهُ أن يعطيَهم التوراةَ التي فيها هدى ونورٌ ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أي مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أردتم أن تفعلوا فعلًا يجب به عليكم الغضب من ربكم ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾﴾ وعدوه أن يُقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيمان، فأخلَفوا موعده باتخاذ العجل.

---

(١) عِلْجًا: واحدًا من كفار العجم.
(٢) كَرْمان: اسم بلد بفارس.

﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى
ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ
فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾﴾

٨٧- ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ أي لو خُلِّينا ورأينا لَمَا أخلفنا موعدَك، ولكنا غُلبنا من جهة السامري وكيده ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ أثقالًا من حُلِيّ القبط، أو أرادوا بالأوزار أنها ءاثامٌ وتَبِعَاتٌ لأنهم قد استعاروها ليلةَ الخروج من مصر بعِلَّةِ أنَّ لنا غدًا عيدًا، فقال السامري: إنما حُبِس موسى لشؤم حُرمتها - لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمَنين في دار الحرب، وليس للمستأمَن أن يأخذ مال الحربي، على أنَّ الغنائم لم تكن تحلُّ حينئذ - فأَحرِقوها، فخبأَ في حفرة النار قالَبَ عجل، فانصاغت عجلًا مجوفًا فخار بدخول الريح في مجارٍ منه أشباهِ العروق، وقيل: نفخَ فيه ترابًا من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يومَ الغرق، فحيي، فخار، ومالت طباعهم إلى الذهب فعبدوه ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ في نار السامري التي أوقدَها في الحفرة وأَمَرَنا أن نطرح فيها الحُليَّ ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ ما معه من الحُلِيّ في النار، أو ما معه من التراب الذي أخذه من أَثَر حافر فرس جبريل عليه السلام.

٨٨- ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ﴾ السامري من الحفرة ﴿عِجۡلٗا﴾ خلقَه اللهُ تعالى من الحُلِيّ التي سبكتها النارُ ابتلاءً ﴿جَسَدٗا﴾ مُجسَّدًا ﴿لَّهُۥ خُوَارٞ﴾ صوتٌ، وكان يخور كما تخور العجاجيل ﴿فَقَالُواْ﴾ أي السامري وأتباعه: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ فأجاب عامَّتهم إلا اثني عشر ألفًا ﴿فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ موسى ربَّه هنا، وذهب يطلبُه عند الطور.

٨٩- ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ﴾ أي أنه لا يرجع ﴿إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾ أي لا يجيبهم ﴿وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾﴾ أي هو عاجز عن الخطاب والضَّرِّ والنفع فكيف يتخذونه إلهًا؟

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ
ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ
أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾

٩٠- ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ﴾ لِمَن عبدوا العجل ﴿هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ من قبلِ رجوع موسى إليهم: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ ابتُليتم بالعجل فلا تعبدوه ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لا العجلُ ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ كونوا على ديني الذي هو الحق ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾﴾ في ترك عبادة العجل.

٩١- ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ لن نزال مقيمين على العجل وعبادته ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ فننظرَه هل يعبدُه كما عبدناه؟ وهل صدَقَ السامري أم لا؟ فلمَّا رجع موسى:

٩٢- ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾﴾ بعبادة العجل.

٩٣- ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ أيُّ شيء منعك أن تتَّبعني حين لم يقبلوا قولَك وتلحقَ بي وتخبرَني؟ ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾ الذي أَمرتك به من القيام بمصالحهم، ثم أخذ بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبًا [لله تعالى] وإنكارًا عليه [أنه لم يتبعه ليخبره بما حصل منهم حين لم يقبلوا قوله، ولم يتعمد إيذاءَ أو إهانةَ أخيه الأكبر منه سِنًا والنبيّ المُعِين له في الدعوة لدين الله تعالى، ولكن لإفهام الناس أنَّ الأمرَ الذي حصل من عبادة العجل أمرٌ عظيمٌ].

٩٤- ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ وكان لأبيه وأمه ولكنه ذكر الأُمَّ استعطافًا وترفيقًا ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ ثم ذكرَ عُذرَه فقال: ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ﴾ إن قاتلتُ بعضَهم ببعض ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أو خفتُ أن تقول إن فارقتهم واتبعتُك، ولَحِق بي فريق وتبعَ السامريَّ فريق: فرَّقتَ بين بني إسرائيل ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ ولم تحفظْ ﴿قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ ﴿١٤٢﴾﴾ [سورة الأعراف].

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ
ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن
تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا
لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

ثم أقبل موسى على السامريّ منكرًا عليه حيث:

٩٥- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ [ما الذي حملك على ما صنعت؟] ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾.

٩٦- ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ علمتُ ما لم يعلمْه بنو إسرائيل، قال موسى: وما ذاك؟ قال: رأيت جبريلَ على فرس [يوم فُلقَ البحر]، فأُلقي في نفسي أن أقبض من أثره ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ من أثر فرس الرسول [جبريل] ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ فطرحتها في جوف العجل ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ﴾ زيَّنت ﴿لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ أن أفعله ففعلتُه اتّباعًا لهواي، وهو اعتراف بالخطأ واعتذار.

٩٧- ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿فَٱذْهَبْ﴾ من بيننا طريدًا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ ما عشتَ ﴿أَن تَقُولَ﴾ لِمَن أراد مخالطتك جاهلًا بحالك: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ لا يَمَسُّني أحد ولا أَمَسُّه، فمُنِعَ من مخالطة الناس منعًا كليًّا، وحُرِّم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته، وإذا اتفقَ أن يُماسَّ أحدًا حُمَّ الماسُّ والممسوس، وكان يهيم في البرية يصيح: لا مِساسَ ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ لن يُخْلِفَكَ اللهُ موعدَه الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض، يُنجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذاك في الدنيا ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ﴾ ظَلِلْتَ ﴿عَاكِفًا﴾ مقيمًا ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ لَنُذْرِينَّه ﴿فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ فحرَّقه وذرَّاه في البحر.

٩٨- ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ وسع عِلمُه كلَّ شيء.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

٩٩- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ﴾ من أخبار الأمم الماضية تكثيرًا لِبيِّناتِك وزيادة في معجزاتك ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ أعطيناك ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ قرءانًا فهو ذكرٌ عظيم وقرءان كريم، فيه النجاة لمن أقبل عليه، وهو مشتمل على الأقاصيص والأخبار الحقيقةِ بالتفكُّر والاعتبار.

١٠٠- ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ عن هذا القرءان ولم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾ عقوبةً ثقيلةً، سمَّاها وزرًا تشبيهًا في ثقلها على المعاقَب وصعوبةِ احتمالها بالحِمل الثقيل الذي يُنقِض ظهره ويلقي عليه بَهْرَه[1].

١٠١- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ﴾ في جزاء الوِزْرِ وهو العذاب ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ ساء الحِملُ حِملًا وِزرُهم.

١٠٢- ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ﴾ القرنِ ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ أي عُميًا، وهذا لأن حَدَقَةَ مَن يذهب نور بصره تَزرَقُّ.

١٠٣- ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يقول بعضهم لبعضٍ سرًّا لهول ذلك اليوم: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ ما لبثتم في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ عشرَ ليالٍ، يستقصرون مدة لَبثِهم في القبور أو في الدنيا، لِمَا يعاينون من الشدائد التي تذكِّرهم أيامَ النعمة والسرور، فيتأسفون عليها ويصفونَها بالقِصَر، لأن أيام السرور قِصارٌ، أو لأنها ذهبت عنهم والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء.

١٠٤- ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [لا يخفى علينا ما يتسارُّون به وإن كان همسًا] ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أعدلُهم قولًا: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

---

(١) البَهر: الكَرْبُ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا
وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا
هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ﴾

[ما لبثتم إلا يومًا].

١٠٥- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ ما يُصنعُ بها يوم القيامة ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ يجعلُها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرِّقها كما يُذرَى الطعام.

١٠٦- ﴿فَيَذَرُهَا﴾ فيذَرُ مقارَّها ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ [أرضًا] مستويةً ملساءَ.

١٠٧- ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضًا ﴿وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ ارتفاعًا.

١٠٨- ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ إلى المحشر، أي صوتَ الداعي - وهو إسرافيلُ - حين ينادي على صخرة بيت المقدس: أيتها العظامُ البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هَلُمّي إلى عَرْض الرحمٰن[1]، فيُقْبِلون من كلّ أوبٍ إلى صَوْبه[2] لا يعدلون عنه ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ لا يَعوَجُّ له مدعوٌّ، بل يستوون إليه من غير انحرافٍ متَّبعين لصوته ﴿وَخَشَعَتِ﴾ وسكنت ﴿ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ هيبةً وإجلالًا ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ صوتًا خفيًّا لتحريك الشفاه.

١٠٩- ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لا تنفع الشفاعة إلا شفاعةُ مَن أذِنَ له الرحمٰن في الشفاعة ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ رضي قولًا لأجله بأن يكون المشفوع له مُسلمًا.

١١٠- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يعلم ما تقدَّمهم من الأحوال

---

(١) أي: إلى الحشر للحساب.
(٢) الأَوْبُ: الجانب، والصَوْبُ: الناحية.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ
ظُلْمًا ۝١١١ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝١١٢ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۝١١٣ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ
ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤﴾

وما يستقبلونه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾ أي بما أحاط به علمُ الله.

١١١- ﴿وَعَنَتِ﴾ خضعت وذَلَّت ﴿ٱلْوُجُوهُ﴾ أي أصحابُها ﴿لِلْحَيِّ﴾ الذي لا يموت ﴿ٱلْقَيُّومِ ۖ﴾ الدائمِ القائمِ على كلّ نفسٍ بما كسبت ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ يَئِسَ من رحمة الله ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝١١١﴾ مَن حَمَلَ إلى موقف القيامة شركًا.

١١٢- ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مُصدِّقٌ بما جاء به محمدٌ عليه الصلاة والسلام، وفيه دليل أنه يستحق اسمَ الإيمان بدون الأعمال الصالحة، وأنَّ الإيمانَ شرطُ قبولها ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يخاف ﴿ظُلْمًا﴾ أن يُزادَ في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا ۝١١٢﴾ ولا يُنقَصَ من حسناته.

١١٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثلَ ذلك الإنزال ﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ بلسان العرب ﴿وَصَرَّفْنَا﴾ كرَّرنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يجتنبون الشرك ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ الوعيد، أو القرءان ﴿ذِكْرًا ۝١١٣﴾ عظة.

١١٤- ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الأفهام وتنزّه عن مضاهاة الأنام ومشابهة الأجسام ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ الذي يحتاج إليه الملوك ﴿ٱلْحَقُّ ۗ﴾ [الذي وجوده ثابت لا شك فيه]، ولمَّا ذكر القرءان وإنزاله قال استطرادًا: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ بقراءته ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ﴾ قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤﴾ بالقرءان ومعانيه، وما أمرَ اللهُ رسولَه بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ
ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا
تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾

١١٥- ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أمرنا أباهم ءادمَ ألّا يقرب الشجرة ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبلِ وجودِهم، فخالف إلى ما نُهيَ عنه، كما أنهم يخالفون ﴿فَنَسِيَ﴾ [فترك] العهدَ أي [العملَ بالنَّهي] ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [ثباتًا على العهد].

١١٦- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الاستثناء منقطع لأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بنَصّ القرءان في سورة الكهف ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴿٥٠﴾﴾ ولأن] الملائكة [خُلِقوا مِن نور و] لا يتناسلون، وإبليس من نار السَّموم [وله ذرية قال تعالى في سورة الكهف: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴿٥٠﴾﴾ ولأنه أبى واستكبر، والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم]، وإنما صحَّ استثناؤه منهم لأنه كان يَصحبهم ويعبد الله معهم ﴿أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ أظهر الإباء وتوقف.

١١٧- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حيث لم يسجد لك ولم يَرَ فضلك ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ فلا يكوننَّ سببًا لإخراجكما ﴿فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ فتتعبَ في طلب القوت.

١١٨- ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ عن الملابس لأنها مُعدَّة أبدًا فيها.

١١٩- ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ لا تعطشُ لوجود الأشربة فيها ﴿وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ لا يُصيبك حرُّ الشمس إذ ليس فيها شمسٌ فأَهلها في ظلٍّ ممدودٍ.

١٢٠- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [أورد عليه وعلى حواء مِنْ خارجٍ

﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾

مِنْ غير دخولٍ فيهما الخواطرَ المُزَيّنةَ لهما الأكلَ من الشجرة، وليس من شرط الوسوسة الدخولُ في الجسم، ولا يدخل الشيطان في صدور الأنبياء ولا في أجسامهم، بل وسوسَ لهما مُخاطبًا لهما ماثِلًا أمامَهما متشكلًا بغير خِلقته الأصلية] ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ أضاف الشجرة إلى الخلود، لأنَّ مَن أكلَ منها خَلَدَ بزعمه ولا يموت ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ لا يفنى.

١٢١- ﴿فَأَكَلَا﴾ ءادمُ وحواءُ ﴿مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ عوراتُهما ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ﴾ [جَعَلا] يُلزِقان الورقَ بسوءاتِهما للتستر ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ العصيان: وقوع الفعل على خلاف الأمر والنهي، ولَمَّا وُصف فعلُه بالعصيان خرجَ من أن يكون رُشدًا فكان غيًّا لأن الغيَّ خلاف الرشد.

١٢٢- ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ اصطفاه ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قَبِلَ توبته ﴿وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ وهداه إلى الاعتذار والاستغفار.

١٢٣- ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ﴾ يعني ءادمَ وحواءَ ﴿بَعْضُكُمْ﴾ يا ذريةَ ءادمَ ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾ بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ كتاب وشريعة ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ في العُقبى، يعني فمن اتبع كتاب الله نجا من الضلال ومن عقابه.

١٢٤- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ عن القرءان ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [المراد بالمعيشة الضنك عذابُ القبر كما ورد في الحديث الذي رواه

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ
كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ
وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾

الحاكم في المستدرك وصححه وغيره] ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ أعمى البصر، [قيل: يُحشر بصيرًا إلى أن يُحاسبَ ويقرأ الكتبَ ثم يصير أعمى ثم يُساق إلى النار، وقيل أعمى عن الحجة والحيلة والاهتداء إلى ما ينفعه].

١٢٥- ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ في الدنيا.

١٢٦- ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثلَ ذلك فعلتَ أنت، ثم فَسَّرَ فقال: ﴿أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ أتتك ءاياتُنا واضحةً فلم تنظر إليها بعين المعتبرِ وتركتَها وعَمِيتَ عنها، فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نُزيل غِطاءَه عن عينيك.

١٢٧- ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ لمَّا توعَّد المُعْرِضَ عن ذكره بعقوبتين: المعيشةِ الضنك في [القبر]، وحَشْرِه أعمى في العقبى، ختم ءايات الوعيد بقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾، أي لَلْحَشْرُ على العمى الذي لا يزول أبدًا أشدُّ من ضيقِ العيش المنقضي.

١٢٨- ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ [أفلم يُبَيِّن الله لهم] ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ﴾ يريد أن قريشًا يمشون في مساكن عادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ، ويعاينون ءاثارَ هلاكهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ لذَوي العقول إذا تفكروا علموا أنَّ استئصالَهم لكفرهم، فلا يفعلون مثلَ ما فعلوا.

١٢٩- ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ أي الحكمُ بتأخير [عذاب

﴿لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا
مَتَّعْنَا بِهِۦ﴾

الاستئصال] عن أمة محمدٍ ﷺ [في الدنيا] ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ لازمًا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ القيامةُ وهو معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾، والمعنى: ولولا حكمٌ سبق بتأخير العذاب عنهم [ولولا] أجلٌ مسمى وهو القيامة [التي سبق القول بتأخير العذاب إليها] لكان العذاب [ملازمًا] لهم في الدنيا كما لزِمَ القرونَ الماضية الكافرة.

١٣٠- ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فيكَ ﴿وَسَبِّحْ﴾ وَصَلِّ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ وأنت حامدٌ لربِّكَ على أن وفَّقك للتسبيح وأعانك عليه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ يعني صلاةَ الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ﴾ يعني الظهرَ والعصرَ، لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ وتعهَّدْ ءاناءَ الليل أي ساعاتِه وأطرافَ النهار مختصًّا لها بصلاتك، وقد تناول التسبيحُ في ءاناء الليل صلاة العَتَمَةِ [أي العشاء] وفي أطراف النهار صلاةَ المغرب ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ رجاءَ أن تنالَ عند الله ما به ترضَى نفسُك ويُسَرُّ قلبُك.

١٣١- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي نظر عينيك، ومَدُّ النظر: تطويله استحسانًا للمنظور إليه وإعجابًا، وفيه أنَّ النظر غيرَ الممدود معفوٌّ عنه، وذلك أن يُبادِهَ الشيءَ بالنظر ثم يغضَّ الطرف(١) [والخطاب وإن كان في الظاهر للرسول ﷺ فالمراد أمته وهو كان أبعد شيء عن النظر في زينة الدنيا وأعلقَ بما عند الله من كل أحد، وهو القائل في الدنيا: «**ملعونة ملعون ما فيها إلا ما أريد به وجهُ الله**»(٢)] ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦ﴾

---

(١) أي: ينظر فجأة فيقع نظره على عورة امرأة أجنبية مثلًا فيبعد نظره فورًا؛ هذا معفوٌّ عنه.
(٢) أي: ثوابُه.

﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن
رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ
مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ أصنافًا من الكفرة ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ زينتها وبهجتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لِنُعَذِّبهم في الآخرة بسببه ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ ثوابه وهو الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ مما رزقوا.

١٣٢- ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ أُمَّتَك أو أهلَ بيتك ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ﴾ وداوم أنت ﴿عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ﴾ لا نسألك أن ترزق نفسَك ولا أهلَك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ﴾ وإياهم فلا تهتمَّ لأمر الرزق، وفَرِّغْ بالَكَ لأمر الآخرة ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ وحُسن العاقبة لأهل التقوى.

١٣٣- ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي الكافرون: ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ﴾ هَلّا يأتينا محمدٌ بآية من ربِّه تدل على صحة نبوته ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾ [أي القرءانُ الذي سبق التبشير به في الكتب المتقدمة، وهو أعظم الآيات في الإعجاز، والآية الباقية إلى يوم القيامة. وفي هذا الاستفهام توبيخ لهم].

١٣٤- ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل الرسول أو القرءان ﴿لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ هلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بنزول العذاب ﴿وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ في العقبى.

١٣٥- ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ كلُّ واحدٍ منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ مُنتظِرٌ للعاقبة ولِمَا يؤول إليه أمرُنا وأمركم ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ﴾ أنتم [عاقبة أمركم] ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا جاءت القيامة ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ﴾ المستقيمِ ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾ إلى النعيم المقيم.

سورة الأنبياء
مكية، وهي مائة واثنتا عشرة ءاية كوفي وإحدى عشرة مدني وبصري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ٱقْتَرَبَ﴾ دنا ﴿لِلنَّاسِ﴾ المراد بالناس المشركون، لأنَّ ما يتلوه من صفات المشركين ﴿حِسَابُهُمْ﴾ وقتُ محاسبة الله إياهم ومجازاتهِ على أعمالهم، يعني يومَ القيامة، وإنما وصفَهُ بالاقتراب لقِلَّة ما بقي بالإضافة إلى[1] ما مضى، [أو] لأنَّ كلَّ ءاتٍ قريبٌ ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ عن حسابهم وعما يُفعلُ بهم ثَمَّ ﴿مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ عن التأهب لذلك اليوم.

٢- ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ شيءٍ من القرءان ﴿مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ في التنزيل إتيانُهُ، مُبتدأةٌ تلاوته، قريب عهدُهُ باستماعهم، والمرادُ به الحروفُ المنظومة ولا خلافَ في حدوثها ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ من النبي عليه الصلاة والسلام أو غيرِهِ ممن يتلوه ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ يستهزئون به.

٣- ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ غافلةً قلوبهم عما يراد بها ومنها ﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ وبالغوا في إخفاء ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ اسمٌ من التناجي ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي والذين

(١) أي من عمر الدنيا ما مضى قبل نزول الآية أكثر بكثير مما بقي إلى يوم القيامة.

﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

ظلموا أسرُّوا النجوى ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ أي وأَسرُّوا هذا الحديث، والمعنى أنهم اعتقدوا أنَّ الرسول لا يكون إلا ملَكًا وأنَّ كلَّ من ادَّعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر، فلذلك قالوا على سبيل الإنكار: أَفَتَحضُرون السحرَ وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر.

٤- ﴿قَالَ﴾ محمد ﷺ للذين أَسَرُّوا النجوى: ﴿رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ يعلم قول كلّ قائلٍ في السماء أو الأرض سرًّا كان أو جهرًا ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾ بما في ضمائرهم.

٥- ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ أضربوا عن قولهم هو سِحرٌ إلى أنه تخاليطُ أحلامٍ رءاها في نومه فتوهَّمها وحيًا من الله إليه، ثم إلى أنه كلامٌ مفترًى من عنده، ثم إلى أنه قولُ شاعرٍ، وهكذا الباطل لَجْلَجٌ[1] والمُبطِل رَجَّاعٌ غيرُ ثابتٍ على قولٍ واحدٍ، ثم قالوا: إن كان صادقًا في دعواه، وليس الأمر كما يَظُنُّ ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ بمعجزةٍ ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ كما أُرسِلَ مَن قَبلَه باليد البيضاء، والعصا، وإبراءِ الأَكمهِ، وإحياءِ الموتى فردَّ الله تعالى عليهم قولهم بقوله:

٦- ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ من أهل قريةٍ ﴿أَهْلَكْنَٰهَآۖ﴾ عند مجيء الآيات المقترحة، لأنهم طلبوها تعنتًا ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ أولئك لم يؤمنوا بالآيات لمَّا أتتهم، أفيؤمن هؤلاء المقترِحون لو أتيناهم بما

---

(١) اللَّجلجَةُ والتلجلج: التردد في الكلام، يقال: الحقُّ أَبلَجُ والباطل لَجْلَجٌ.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا
تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ
ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ
أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾

اقترحوا مع أنهم أَعتَى[(١)] منهم؟

٧- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ هذا جواب قولهم: هل هذا إلا بشرٌ مثلكم ﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ العلماءَ بالكتابَين فإنهم يعرفون أنَّ الرُّسل الموحَى إليهم كانوا بشرًا ولم يكونوا ملائكة، وكان أهلُ مكة يعتمدون على قولهم ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾ ذلك.

ثم بَيَّنَ أنه كَمَن تقدَّمه من الأنبياء بقوله:

٨- ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ وما جعلنا الأنبياء قبلَه ذوي جسدٍ غيرَ طاعِمين ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨﴾ كأنهم قالوا: هَلَّا كان ملَكًا لا يَطعَم ويَخلُدُ، إما معتقدين أنَّ الملائكة لا يموتون أو مُسَمِّين بقاءَهم الممتدَّ وحياتَهم المتطاولة خلودًا.

٩- ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ﴾ مما حَلَّ بقومهم ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ هم المؤمنون ﴿وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩﴾ المجاوزين الحَدَّ بالكفر.

١٠- ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ يا معشرَ قريش ﴿كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ﴾ شَرَفُكم إن عملتم به، أو لأنه بلسانكم ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾ ما فَضَّلتُكم به على غيركم فتؤمنوا.

١١- ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا﴾ أهلكنا ﴿مِن قَرۡيَةٖ﴾ أي أهلها بدليل قوله: ﴿كَانَتۡ ظَالِمَةٗ﴾ كافرةً، وهي واردة عن غضبٍ شديدٍ وسُخْطٍ عظيم لأن القَصْمَ هو أفظع الكسر، وهو الكسر الذي يُبين تلاؤم الأجزاء ﴿وَأَنشَأۡنَا﴾ خلقنا ﴿بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾ فسكنوا مساكنهم.

---

(١) أكثر تجبرًا وتكبرًا وعنادًا من أولئك.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ
حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا
لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾

١٢- ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ﴾ أي المُهلَكون ﴿بَأْسَنَآ﴾ عذابنا، علموا عِلمَ حِسٍّ ومشاهدةٍ ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا﴾ من القرية ﴿يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾ يهربون مسرعين لَمَّا أدركتهم مُقدِّمة العذاب، فقيل لهم:

١٣- ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ والقائل بعض الملائكة ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ نُعِّمتم فيه من الدنيا ولين العيش ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾ يقال لهم استهزاءً بهم: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تُسألون غدًا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، [وقيل غير ذلك].

١٤- ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾ اعترَفوا حين لا ينفعهم الاعتراف.

١٥- ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ دعاءَهم ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ مثلَ الحصيد أي الزرع المحصود ﴿خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ خمودَ النار ميتين.

١٦- ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ وما سوَّينا هذا السقفَ المرفوع وهذا المِهادَ الموضوع وما بينهما من أصناف الخلق للَّهو واللعب، وإنما سوَّيناها ليُستدَلَّ بها على قدرة مدبِّرها، ولنجازيَ المحسنَ والمسيءَ على ما تقتضيه حكمتنا، ثم نزَّه ذاته عن سِمات الحدوث بقوله:

١٧- ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ولدًا، أو امرأةً، كأنه ردٌّ على مَن قال: عيسى ابنُه ومريمُ صاحبتُه ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ من الوِلدان أو الحُور ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ إن كنا ممن يفعل ذلك، ولسنا ممن يفعله لاستحالته في حقنا.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا
ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾

١٨- ﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ (بل) إضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته، كأنه قال: سبحاننا أن نتخذ اللهوَ، بل من سُنَّتِنا أن نقذف أي نرميَ ونسلِّطَ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالقرءان ﴿عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ الشيطانِ ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ فيكسِرُه ويدحَضُ الحقُّ الباطلَ ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ أي الباطل ﴿زَاهِقٌۚ﴾ هالكٌ ذاهب ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ الله به منَ الولد ونحوِه.

١٩- ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ خَلقًا ومُلكًا فأنَّى يكون شيء منه ولدًا له، وبينهما تنافٍ ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ منزلةً ومكانةً لا منزلًا ومكانًا، يعني الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يتعظَّمون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ ولا يَعْيَوْنَ.

٢٠- ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ تسبيحُهم متصلٌ دائم في جميع أوقاتهم، لا تتخلله فترةٌ بفَراغٍ أو بشغلٍ ءاخرَ، فتسبيحهم جارٍ مَجرى التنفس منَّا. ثم أضرب عن المشركين منكرًا عليهم وموبِّخًا فقال:

٢١- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ يُحيون الموتى، [استفهام بمعنى التوبيخ]، ولأنَّ ءالهتهم [المدَّعاةِ] كانت مُتَّخذةً من جواهر الأرض كالذهب والفضة والحجر وتُعبدُ في الأرض نُسبت إليها.

٢٢- ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي غيرُ الله، والمعنى: لو كان يدبِّرُ أمرَ السماوات والأرض ءالهة شتى غيرُ الواحد الذي هو فاطرهما ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ لَخَربتا لوجود التمانع[1]، ثم نزَّهَ ذاتَه فقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ من الولد والشريك.

---

(١) ذكر المؤلف تفصيل ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ في سورة الإخلاص.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا
ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن
قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ
سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

٢٣- ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [لا اعتراض عليه في حكمه] لأنه المالكُ على الحقيقة [وهو الحاكم المطلق، فلا ءامرَ ولا ناهيَ له] ﴿وَهُمْ﴾ [أي العباد] ﴿يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [عما كُلفوا به من العبودية].

٢٤- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ الإعادةُ لزيادة الإفادة، فالأول للإنكار من حيثُ العقلُ، والثاني من حيث النقل، [أي أيقولون ذلك وهم يُنشِرون الأموات فيقع لهم شبهةٌ، أم يقولون إنَّا أخبرنا في الكتب أنها ءالهة، وليس كذلك، فلا إنشار ولا إخبار] ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ حجتكم على ذلك، فإنكم لا تجدون كتابًا من الكتب السماوية إلا وفيه توحيدُه وتنزيهه عن الأنداد ﴿هَـٰذَا﴾ القرءانُ ﴿ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ يعني أمته ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ يعني أُمَمَ الأنبياء مِن قبلي، وهو وارد في توحيد الله ونفي الشركاء عنه. فَلمّا لم يمتنعوا عن كفرهم أَضربَ عنهم فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ أي القرءانَ، [أو التوحيد] ﴿فَهُم﴾ لأجل ذلك ﴿مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ عن النظر فيما يجب عليهم.

٢٥- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ وَحِّدوني، فهذه الآية مُقرّرةٌ لما سبقها مِن ءاي التوحيد.

٢٦- ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ نزلت في خُزاعةَ حيث قالوا: الملائكة بنات الله؛ فنزَّه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ مشرَّفون مقرَّبون.

٢٧- ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ المعنى أنهم يتَّبعون قولَه فلا يسبقُ قولُهم قولَه ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ كما أنَّ قولهم تابعٌ فعملُهم أيضًا مَبني على أمره، لا يعملون عملًا لم يُؤمروا به.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ
مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ
ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا
فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾

٢٨- ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ ما قدَّموا وأخَّروا من أعمالهم ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الله تعالى أن يُشفعَ له، أو] لمن رضي الله عنه وقال لا إلٰه إلا الله ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ خائفون.

٢٩- ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾ من دون الله ﴿فَذَٰلِكَ﴾ القائلُ ﴿نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ الكافرين الذين وضعوا الإلٰهيةَ في غير موضعها، وهذا على سبيل الفَرْضِ والتمثيلِ لتحقُّق عصمتهم.

٣٠- ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا﴾ [وإنما ثُنِّيَ ﴿كَانَتَا﴾ مع أن السماوات والأرض جمع لأنهما صنفان] ﴿رَتۡقٗا﴾ مرتوقتين ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ فشققناهما، والفَتْقُ: الفَصْلُ بين الشيئين، والرتق ضدُّ الفتق، [يقال: رَتَقَ فلان الفَتْقَ: إذا شَدَّه]، قيل: كانت السماءُ رتقًا لا تُمطر والأرضُ رتقًا لا تُنبت ففتقَ السماءَ [وهي مِن أَشدِّ الأشياء وأصلبها] بالمطر [مع شدة لِينه، وفَتَقَ] الأرضَ مع شدتها وصلابتها] بالنبات [مع شدة لينه، وهذا من لطفه وقدرته، وقيل غير ذلك] ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ خلقنا من الماء كلَّ حيوانٍ ﴿أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يُصدِّقون بما يُشاهدون.

٣١- ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾ لئلا تضطرب بهم ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا﴾ طُرُقًا واسعة ﴿سُبُلٗا﴾ [مسالك] ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ
الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا
رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾

٣٢- ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ [للأرض] ﴿مَّحْفُوظًا﴾ في موضعه عن السقوط ﴿وَهُمْ﴾ أي الكفارُ ﴿عَنْ آيَاتِهَا﴾ عن الأدلة التي فيها كالشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ غيرُ متفكرين فيها.

٣٣- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لتتصرفوا فيه ﴿وَالشَّمْسَ﴾ لتكون سراجَ النهار ﴿وَالْقَمَرَ﴾ ليكون سراجَ الليل ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ عن ابن عباسٍ: موجٍ مكفوفٍ تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم، [وقيل: الفَلَك هو مدار الشمس والقمر وسائر الكواكب والنجوم] ﴿يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يسيرون.

٣٤- ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ البقاءَ الدائم ﴿أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ كانوا يُقدِّرون أنه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا، أي قضى الله ألّا يَخْلُدَ في الدنيا بشرٌ، أفإن متَّ أنت أيبقى هؤلاء؟ [وهو استفهام بمعنى النفي].

٣٥- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [واجدةٌ مرارتَه وكربَه كما يجد الذائق طعم المذوق] ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ ونختبركم، سُمِّيَ ابتلاءً وإن كان عالمًا بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه في صورة الاختبار ﴿بِالشَّرِّ﴾ بالفقر والضُّر ﴿وَالْخَيْرِ﴾ الغنى والنفع ﴿فِتْنَةً﴾ [امتحانًا وتعبُّدًا بالصبر في المكروه والشكر في المحبوب] ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر.

٣٦- ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ نزلت في أبي جهل، مَرَّ به النبي ﷺ فضحك وقال: هذا نبيُّ

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ
مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ٣٨ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن
ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾

بني عبد مناف ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ﴾ يَعيب ﴿ءَالِهَتَكُمۡ﴾ والذكر يكون بخير وبخلافه، فإن كان الذاكر صديقًا فهو ثناء وإن كان عدوًّا فذمٌّ ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية ﴿هُمۡ﴾ به ﴿كَٰفِرُونَ ٣٦﴾ لا يُصَدِّقون به أصلًا، فهم أحقُّ أن يُتَّخذوا هزوًا منك، فإنك محقٌّ وهم مبطلون.

٣٧- ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ قيل: نزلت حين كان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب، والظاهر أن المراد الجنس وأنه رُكِّبَ فيه العجلة فكأنه خُلِقَ من العَجَل، ولأنه يَكثُرُ منه وهو طَبعُه وسَجِيَّته.

﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ نِقْماتي ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧﴾ بالإتيان بها، وإنما مُنع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه، كما أمره بقمع الشهوة وقد ركَّبها فيه، لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة.

٣٨- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ إتيانُ العذاب أو القيامةُ ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ [يعنون النبيَّ ﷺ وأصحابَه].

٣٩- ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩﴾ لو يعلمون الوقتَ الذي يستعجلونه بقولهم: متى هذا الوعدُ؟ وهو وقتٌ تُحيط بهم فيه النارُ من وراءٍ وقدامٍ فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرًا ينصرهم لَمَا كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال، ولكنَّ جهلهم به هو الذي هوَّنه عندهم.

٤٠- ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم﴾ الساعةُ ﴿بَغۡتَةٗ﴾ فجأة ﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ فتُحيّرهم،

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ
بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا
يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ
عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾

أي تفجَؤهم فتغلبُهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ فلا يقدرون على دفعها ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يُمهلون.

٤١- ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾ فَحَلَّ ونزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم﴾ [أي من الرُّسل] جزاءُ ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ سلَّى رسولَ الله ﷺ عن استهزائهم به بأنَّ له في الأنبياء أُسوةً، وأنَّ ما يفعلونه به يَحيقُ بهم كما حاقَ بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا.

٤٢- ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾ يحفظُكم ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ من عذابه إن أتاكم ليلًا أو نهارًا ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ولا يُخطرونه ببالهم فضلًا أن يخافوا بأسه، والمعنى أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ، ثم بيَّن أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر مَن يَكلَؤهم.

٤٣- ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ ألهم ءالهةٌ تمنعهم من العذاب تتجاوز مَنْعَنا وحِفظَنا؟! ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ بيَّن أنَّ ما ليس بقادرٍ على نصر نفسِه ومنعِها ولا بمصحوبٍ من الله بالنصر والتأييد كيف يمنعُ غيرَه وينصرُه؟ ثم قال:

٤٤- ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ أي ما هم فيه من الحِفظ والكِلاءَة إنما هو منَّا، لا من مانعٍ يمنعُهم من إهلاكنا، وما كلأناهم وءاباءَهم الماضين إلا تمتيعًا لهم بالحياة الدنيا وإمهالًا، كما متَّعنا غيرَهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الأمد، فقست

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ
أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ
عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا
تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ
﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾

قلوبُهم وظنوا أنهم دائمون على ذلك، وهو أَملٌ كاذب ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ نَنقصُ أرضَ الكفر ونَحذِفُ أطرافَها بتسليط المسلمين عليها، وإظهارِهم على أهلها، وردِّها دارَ إسلام ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أو كفار مكةَ يَغلبون بعد أن نَقَصْنا من أطراف أرضِهم، أي ليس كذلك بل يغلبهم رسولُ الله ﷺ وأصحابُه بنصرنا.

٤٥- ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ أُخوِّفكم من العذاب بالقرءان ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يُخوَّفون، وهو إشارة إلى هؤلاء المنذَرين للدلالة على تَصامِّهم وسَدِّهم أسماعَهم إذا ما أُنذروا.

٤٦- ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ دُفعة يسيرة ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي ولئن مسَّهم من هذا الذي يُنذرون به أدنى شيء لَذَلُّوا ودَعَوا بالويل على أَنفسِهم وأقرُّوا أنهم ظلموا أَنفسَهم حين تصامُّوا وأعرضوا.

٤٧- ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ هو ميزانٌ له كفَّتان ولسان، وإنما جُمع الموازين لتعظيم شأنها [وإن كان الميزان واحدًا]، والوزن لصحائف الأعمال ﴿ٱلْقِسْطَ﴾ وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغةً كأنها في نفسها قِسطٌ ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لأهل يوم القيامة ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ من الظلم ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وإن كان الشيءُ مثقالَ حبةٍ ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ أحضرناها [فَوَزنّاها وحاسَبْنا عليها] ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ عالِمين حافظين، [أو محصين مثبتين مقاديرَ ما عملوا].

٤٨- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾ قيل: هذه

﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ
مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ
عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا
لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

الثلاثة هي التوراةُ، فهي فرقان بين الحقّ والباطل، وضياء يُستضاء به ويُتوصَّل به إلى سبيل النجاة، وذِكرٌ أي وَعظٌ وتنبيه، ولمَّا انتفع بذلك المتقون خصَّهم بقوله: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

٤٩- ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ يخافونه في الخلاء ﴿وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ﴾ القيامة وأهوالها ﴿مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ خائفون.

٥٠- ﴿وَهَٰذَا﴾ القرءان ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ كثيرُ الخَير غزيرُ النفع ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ على محمدٍ ﷺ ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ استفهامُ توبيخٍ، أي جاحدون أنه مُنزَّلٌ من عند الله.

٥١- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ هُداهُ [ووفَّقناه للنظر والاستدلال بالشمس والقمر والنجم في مُحاجَّة قومه] ﴿مِن قَبْلُ﴾ [من قبل النبوة، أو] من قبلِ موسى وهارونَ، أو من قبلِ محمدٍ عليه الصلاة والسلام، [والرشدُ على هذا النبوة] ﴿وَكُنَّا بِهِ﴾ بإبراهيم، أو برشده ﴿عَالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ عَلِمنا أنه أَهلٌ لما ءاتيناه.

٥٢- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ أي الأصنامُ المُصَوَّرة على صورة السباع والطيور والإنسان، وفيه تجاهلٌ لهم ليحقِّر ءالهتَهم مع علمه بتعظيمهم لها ﴿الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ لأجل عبادتها مقيمون.

٥٣- ﴿قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ فقلَّدناهم.

٥٤- ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ أراد أنَّ المقلِّدين والمقلَّدين منخرطون في ضلالٍ ظاهرٍ لا يخفى على عاقلٍ.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠
عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا
كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ٥٨ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩﴾

٥٥- ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ بالجِدِّ ﴿أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥﴾ أي أجادٌّ أنت فيما تقول أم لاعبٌ؟ استعظامًا منهم إنكارَه عليهم، واستبعادًا لأن يكون ما هم عليه ضلالًا.

فَثَمَّ أَضرَبَ عنهم مُخبرًا بأنه جادٌّ فيما قال غيرُ لاعبٍ مُثبتًا لربوبية الملك العلَّام وحدوث الأصنام بقوله:

٥٦- ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ أي خَلَقَ التماثيلَ، فأنَّى يُعبد المخلوقُ ويُترك الخالقُ؟! ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ المذكورِ من التوحيد شاهدٌ ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦﴾ [من المتحققين منه والمبرهنين عليه، فإنَّ الشاهد مَنْ تحقَّقَ الشيءَ وحقَّقه].

٥٧- ﴿وَتَٱللَّهِ﴾ أصله: والله، وفي التاء معنى التعجُّب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعذُّره لقوة سلطة نمرود ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ لأكسرنها ﴿بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧﴾ بعد ذهابكم عنها إلى عيدكم، قال ذلك سرًّا من قومه، فسمعه رجل واحد. [ثم عَرَّض] بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩﴾ [سورة الصافات] أي سأَسقُم ليتخلَّف، فرجع إلى بيت الأصنام.

٥٨- ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا﴾ قِطَعًا، مِن الجَذِّ وهو القطعُ ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ﴾ للأصنام، فكسَّرَها كلَّها بفأسٍ في يده إلا كبيرها فعلَّقَ الفأسَ في عنقه ﴿لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ﴾ إلى الكبير ﴿يَرۡجِعُونَ ٥٨﴾ فيسألونَه عن كاسرها، فيتبينُ لهم عجزُه.

٥٩- ﴿قَالُواْ﴾ أي الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩﴾ أي إنَّ مَن فعل هذا الكسرَ لشديدُ الظلم لجَراءته على [أصنامهم التي يزعمون أنها ءالهة] الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم.

﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ
يَشۡهَدُونَ ٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا
فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤﴾

٦٠- ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ﴾ [يَعِيْبُهم] ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠﴾ [وهو الذي نظنّ أنه صنع هذا بهم].

٦١- ﴿قَالُواْ﴾ أي نمرود وأشراف قومه: ﴿فَأۡتُواْ بِهِۦ﴾ أحضِروا إبراهيم ﴿عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ معايَنًا مشاهَدًا ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ٦١﴾ عليه بما سُمع منه، أو بما فعلَه، أو يحضرون عقوبتنا له، فلمّا أحضروه:

٦٢- ٦٣- ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ ٦٣﴾ إبراهيم: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ نَسَبَ الفِعلَ إلى كبيرهم، وقَصدُهُ تقريرُهُ لنفسه وإثباتُه لها على أسلوبٍ تعريضي تبكيتًا لهم وإلزامًا للحجة عليهم، لأنهم إذا نظروا النظرَ الصحيحَ علِموا عجزَ كبيرهم وأنه لا يصلح إلٰهًا، ويمكن أن يقال: غاظته تلك الأصنام وكان غيظ كبيرها أَشدَّ لِما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه لأن الفعل كما يُسند إلى مباشِرِهِ يُسند إلى الحامِلِ عليه، أو هو متعلق بشرط لا يكون وهو نطق الأصنام فيكون نفيًا للمُخْبَر عنه، أي بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون، [ومقتضاه: إن لم ينطقوا فليس هو بفاعل ذلك] ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ﴾ عن حالهم ﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣﴾ وأنتم تعلمون عجزهم عنه.

٦٤- ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ فرجعوا إلى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لمَّا أخذ بمخانقهم[1] ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤﴾ على الحقيقة بعبادة ما لا ينطق لا مَن ظَلَّمتموه حين قلتم: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإنَّ مَن لا يدفع عن رأسه الفأس، كيف يدفع عن عابده البأس[2]؟

---

(١) معناه قطعهم وأفحمهم.
(٢) البأس: العذاب.

﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا﴾

٦٥- ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أجرى الله تعالى الحقّ على لسانهم في القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة، أي رُدُّوا إلى الكفر بعد أن أقرُّوا على أنفسهم بالظلم فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ لقد علمتَ عجزهم عن النُّطق فكيف نسألهم؟

٦٦- ﴿قَالَ﴾ محتجًّا عليهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي نفعًا ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ إن لم تعبدوه.

٦٧- ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أفٍّ: صَوْتٌ إذا صُوِّتَ به عُلِمَ أنَّ صاحبه متضجِّر، أَضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم ووضوح الحق، فتأفّف بهم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ أنَّ مَن هذا وصفُه لا يجوز أن يكون إلٰهًا، فلمّا لزمتهم الحجَّة وعجَزوا عن الجواب:

٦٨- ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار، لأنها أَهوَلُ ما يُعاقَب به وأفظع ﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بالانتقام منه ﴿إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ إن كنتم ناصرينَ ءالهتكم نصرًا مؤزَّرًا(١)، فاختاروا له أهولَ المعاقَبات، وهو الإحراق بالنار، والذي أشار بإحراقه نمرود.

روي أنهم حين همُّوا بإحراقه حبسوه، وجمعوا شهرًا أصناف الخشب، ثم أشعلوا نارًا عظيمة كادت الطيرُ تحترق في الجَوّ مِن وَهْجِها، ثم وضعوه في المَنْجَنيق مُقيَّدًا مغلولًا، فرمَوا به فيها وهو يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، وما أحرقت النار إلا وَثاقَه.

٦٩- ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا﴾ [أي حَكَمَ اللهُ بأن تكون بردًا

---

(١) أي: بالغًا في القوة.

﴿عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا
فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا
صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ
ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا﴾

وسلامًا]، أي ذات بردٍ وسلامٍ، فَبُولِغَ في ذلك كأنَّ ذاتها بردٌ وسلامٌ ﴿عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ أراد: ٱبرُدي فيسلمَ منك إبراهيم، والمعنى أنَّ الله تعالى نزع عنها طبْعَها الذي طبَعَها عليه من الحَرّ والإحراق، وأبقاها على الإضاءة والإشراق كما كانت، وهو على كل شيءٍ قدير.

٧٠- ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ إحراقًا ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ فأرسل على نُمرودَ وقومِه البعوضَ، فأكلت لحومَهم وشربت دماءهم، ودخلت بعوضةٌ في دماغ نُمرودَ فأهلكته.

٧١- ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ﴾ أي إبراهيمَ ﴿وَلُوطًا﴾ ابنَ أخيه هارانَ من العراق ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ أرضِ الشام، وبركتُها أنَّ أكثر الأنبياء منها، فانتشرت في العالمين ءاثارُهم الدينية، وهي أرضُ خِصبٍ يطيب فيها عيش الغني والفقير، رُويَ أنه نزل بفلسطين، ولوطٌ بالمؤتفِكة وبينهما مسيرة يوم وليلة.

٧٢- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ﴾ أي هبة، قيل: هي ولد الولد، وقد سأل ولدًا فأُعطِيَهُ [وهو إسحاق]، وأُعطِيَ يعقوبَ نافلةً أي زيادةً وفضلًا من غير سؤال ﴿وَكُلّٗا﴾ أي إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ ﴿جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾ في الدين والنبوَّة.

٧٣- ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ يُقتدى بهم في الدين ﴿يَهۡدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمۡرِنَا﴾ بوحينا ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ وهي جميعُ الأعمال الصالحة ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾ لا للأصنام، فأنتم يا مَعشرَ العرب أولادُ إبراهيمَ فاتبعوه في ذلك.

٧٤- ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا﴾ حكمةً وهي ما يجب فعله من العمل، أو

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ﴾ ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾

فصلًا بين الخصوم، أو نبوّة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهًا ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ من أهلها وهي سَدُومُ ﴿ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ اللواطَ والضُّراط وحَذْف المارة[1] بالحصى وغيرها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ خارجين عن طاعة الله.

٧٥- ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ في أهلِ رحمتنا ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ جزاءً على صلاحه، كما أهلكنا قومه عقابًا على فسادهم.

٧٦- ﴿وَنُوحًا﴾ واذكر نوحًا ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا على قومه بالهلاك ﴿مِن قَبْلُ﴾ مِن قبلِ هؤلاء المذكورين ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءَهُ ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ المؤمنين من وَلَدِه وقومِه ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ من الطوفان وتكذيبِ أهل الطغيان.

٧٧- ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ منعناهُ من أذاهُم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ صغيرَهم وكبيرَهم ذكَرَهم وأنثاهم.

٧٨- ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ واذْكُرْهُما ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ في الزرع ﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾ دخلت ﴿فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ ليلًا فأكلته وأفسدته، والنَّفش: انتشار الغنم ليلًا بلا راعٍ ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ أرادَهما والمتحاكِمَين إليهما ﴿شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ كان ذلك بعلمنا ومَرأى منا.

٧٩- ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ أي الحكومةَ أو الفتوى ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ وقصتُه أنَّ الغنمَ رعت الحَرْثَ وأفسدته بلا راعٍ ليلًا، فتحاكما إلى داود فحكم بالغنم

---

(١) حَذْفُ المارة: رميُهم.

﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ﴾

لأهل الحرث، وقد استوت قيمتاهما أي قيمةُ الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث، فقال سليمان وهو ابنُ إحدى عشرةَ سنةً: غير هذا أَرفَقُ بالفريقين[1]، فعزَمَ[2] عليه ليحكُمَنَّ، فقال: أرى أن تُدفَعَ الغنمُ إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها، والحرثُ إلى رَبِّ الغنم حتى يَصْلُحَ الحرثُ ويعودَ كهيئته يومَ أُفسِدَ، ثم يترادَّان، فقال: القضاءُ ما قضيتَ، وأَمضَى الحُكمَ بذلك، وقال مجاهد: كان هذا صلحًا، وما فعله داودُ كان حُكمًا، ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة النساء] ﴿وَكُلًّا﴾ من داود وسليمان ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًاۚ﴾ معرفة بموجَب الحُكم ﴿وَسَخَّرْنَا﴾ وذلَّلنا ﴿مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ مُسبّحاتٍ ﴿وَٱلطَّيْرَۚ﴾ قُدِّمت الجبالُ على الطير لأنَّ تسخيرَها وتسبيحَها أعجبُ وأغرب وأدخَلُ في الإعجاز لأنها جمادٌ ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ بالأنبياء مثل ذلك، وإنْ كان عجبًا عندكم.

٨٠- ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ أي عملَ اللَّبوس، واللَّبوس اللِّباس، والمراد الدرع ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ الصَّنعةُ ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ﴾ من حرب عدوِّكم ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ استفهام بمعنى الأمر، أي فاشكروا الله على ذلك.

٨١- ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي وسخَّرنا له الريح ﴿عَاصِفَةً﴾ أي شديدةَ الهبوب، وَوُصفت في موضعٍ ءاخرَ بالرَّخاء لأنها تجري باختياره، فكانت في وقتٍ رخاءً وفي وقتٍ عاصفةً، لهبوبها على حُكم إرادته ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بأمر سليمان ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ﴾ بكثرة الأنهار

---

(١) معناه: حكمُ داودَ صحيحٌ وحكم سليمان صحيح ولكن حكم سليمان أولى، ما خَطَّأَ أباه، لكن الله تعالى ألهمه ما هو أحسن من حكم أبيه.

(٢) أي: أقسَمَ.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾

والأشجار والثمار، والمرادُ الشامُ، وكان منزله بها، وتحمله الريح من نواحي الأرض إليها ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ وقد أحاط علمنا بكل شيءٍ، فتجري الأشياء كلُّها على ما يقتضيه علمُنا.

٨٢- ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ وسخَّرنا منهم ﴿مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ في البحار بأمره لاستخراج الدُّرِّ وما يكون فيها ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ أي دون الغوص، وهو بناء المحاريب والقصور والقُدور والجِفان[1] ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ أن يَزيغوا عن أمره، أو يُبدِّلوا، أو يوجَدَ منهم فساد فيما هم مُسخرون فيه.

٨٣- ﴿وَأَيُّوبَ﴾ واذكر أيوب ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي﴾ دعا بأنّي ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ الضَّرُّ بالفتح الضَّرر في كلِّ شيء، وبالضم الضُّرر في النفس من مرض أو هُزال ﴿۞ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ أَلْطَفَ في السؤال، وذكَرَ ربَّه بغاية الرحمة ولم يُصَرِّح بالمطلوب، فكأنه قال: أنت أهلٌ أن تَرْحَم، وأَيوبُ أهلٌ أن يُرحَم فارحمه واكشف عنه الضُّرَّ الذي مسَّه.

---

(١) الجِفان: جمع جَفْنة كالقَصْعة للأكل كما يقال اليوم: الصحون، ينجر الخشب ويعمل منه للأكل صغار وكبار، العرب ممن كان عندهم جِفان، مَن عندهم سَخاءٌ يعملون جفانا كبارًا، حسان بن ثابت رضي الله عنه قال:

لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضحى   وأَسيافُنا يَقْطُرْنَ مِن نَجْدَةٍ دَمَا

يصف أهله بأنهم كرماءُ وأنهم رجال الحرب، وكان شاعر رسول الله ﷺ، هو يدافع عن الرسول ﷺ بالشعر يهجو المشركين ويمدح الرسول، وكانوا يتألمون منه كأنه يطعنهم بالسيوف والرسول ﷺ قال له: «**اهجهم وجبريل معك**»، رواه البخاري من حديث البراء رضي الله عنه. أي يمدك، هذا دليل لإثبات المدَدَ من الأنبياء والأولياء، لأن جبريل ما كان يلقي عليه الكلام الذي يُحرِق به المشركين، إنما جبريل يكون معه تلك الساعة فيُمِدُّه، المدد المعروف عند الصوفية.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرࣲّۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةࣰ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلࣱّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبࣰا﴾

٨٤- ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ أجبنا دعاءَه ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرࣲّۖ﴾ فكشفنا ضُرَّه إنعامًا عليه ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ روي أنَّ أيوب عليه السلام كان من ولد إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وله سبعةُ بنينَ وسبعُ بناتٍ وثلاثة ءالاف بعيرٍ وسبعةُ ءالاف شاةٍ وخمسمائة فَدَّان يتبعها خمسمائة عبدٍ لكلّ عبدٍ امرأة وولد، فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرضٍ في بدنه ثماني عشرةَ سنةً، وقالت له امرأته يومًا: لو دعوت الله عزَّ وجلَّ، فقال: كم كانت مدةُ الرخاء؟ فقالت: ثمانينَ سنةً، فقال: أنا أستحي من الله أن أدعُوَه وما بلغت مدةُ بلائي مدةَ رخائي، فلمّا كشف الله عنه أحيا ولده بأعيانهم ورزقه مثلَهم معهم ﴿رَحۡمَةࣰ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ رحمةً لأيوب وتذكرةً لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيُثابوا كثوابه.

٨٥- ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ ابنَ إبراهيم ﴿وَإِدۡرِيسَ﴾ ابنَ شيثِ بنِ ءادمَ ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾ أي اذكُرهم، [والمشهور أنَّ ذا الكفل نبي من الأنبياء]، وسُمِّيَ به لأنه ذو الحظّ من الله، والكِفْلُ: الحَظّ ﴿كُلࣱّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥﴾ هؤلاء المذكورون كلُّهم موصوفون بالصبر.

٨٦- ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ﴾ نبوتنا، أو النعمة في الآخرة ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦﴾ ممن لا يشوب صلاحَهم كَدَرُ الفساد.

٨٧- ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ أي اذكر صاحبَ الحوت، [وهو يونسُ بنُ مَتَّى]، والنونُ: الحوتُ، فأضيف إليه ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبࣰا﴾ لقومه، ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلولَ العقابِ عليهم عندَها، روي أنه بَرِمَ[1] بقومه لطول ما ذكَّرهم فلم يتَّعظوا وأقاموا على

---

(١) بَرِمَ: أي سَئِمَ ومَلَّ.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾

كفرهم، فراغمهم[1] وظنَّ أنَّ ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبًا لله وبُغضًا للكفر وأهله، وكان عليه أن يُصابِرَ وينتظرَ الإذنَ من الله تعالى في المُهاجرة عنهم، فابتُلي ببطن الحوت ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ﴾ نُضيّق ﴿عَلَيۡهِ﴾ [وهو] مِنَ القَدْر[2] لا من القُدرة ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت، أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ﴿أَن﴾ أي بأنه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ لنفسي في خروجي من قومي قبل أن تأذن لي، في الحديث [أنَّ النبي عليه السلام قال: «**إني لأعلم كلمةً لا يقولها مكروب إلا فرَّجَ الله عنه، كلمةَ أخي يونس**»].

٨٨- ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ غَمّ الزَّلَّة والوحشة والوَحدة ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ إذا دَعَوْنا واستغاثوا بنا.

٨٩- ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ [أي بلا ولد يعينني على إقامة دينك]، ثم رَدَّ أمرَه إلى الله مُستسلمًا فقال: ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ فإن لم ترزقْني مَن يرثُني فلا أُبالي فإنك خير وارثٍ أي باقٍ [بعد فناء خَلقِك].

٩٠- ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ ولدًا ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ جعلناها صالحةً للولادة بعد عُقرها ﴿إِنَّهُمۡ﴾ أي الأنبياءَ المذكورين ﴿كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أي إنما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم

---

(١) المُراغَمةُ: المُغاضبة، والمُراغَمَةُ: الهجران والتباعد، وراغَمَ قومَه: نَبَذَهم وخرج عنهم وعاداهم.

(٢) القَدْرُ أي التضييق، الأنبياء يستحيل عليهم أن يشكّوا بقدرة الله.

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾

لمبادرتهم أبوابَ الخير ومسارعتهم في تحصيلها ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ طمعًا وخوفًا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ متواضعين خائفين.

٩١- ﴿وَالَّتِي﴾ واذكر التي ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته من الحلال والحرام ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أجرينا فيها روح المسيح، أو أمرنا جبريل فنفخ في جيب دِرْعِها، فأحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها، وإضافة الروح إليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

٩٢- ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ الأُمَّةُ: المِلَّة، وهذه إشارة إلى مِلَّة الإسلام، وهي مِلَّةُ جميع الأنبياء، ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي متوحِّدةً غيرَ متفرقة، أي أنَّ مِلَّة الإسلام هي ملَّتُكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ فاعبدوني شكرًا، والخطاب للناس كافَّة.

٩٣- ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعًا وصاروا فرقًا وأحزابًا[1]، ثم توعَّدهم بأنَّ هؤلاء الفرقَ المختلفةَ ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ فنجازِيهم على أعمالهم.

٩٤- ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ شيئًا ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بما يجب الإيمان به ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ فإنَّ سعيَه مشكورٌ مقبول، والكُفران مَثَلٌ في حرمان الثواب كما أنَّ الشكرَ مَثَلٌ في إعطائه ﴿وَإِنَّا لَهُ﴾ للسعي، أي الحفظةُ بأمرنا ﴿كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ في صحيفة عمله فنُثيبُه به.

---

(١) أي ذوي أديان مختلفة.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ
وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا
تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ
مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا﴾

٩٥- ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ المراد بالحرام الممتنعُ وجودُه ﴿عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾ [حكمنا بإهلاك أهلها] ﴿أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [أي ممتنع وغيرُ مُتصوَّرٍ منهم ألّا يرجعوا] إلى الله بالبعث [والجزاء].

٩٦- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ فُتِح سدُّهما، وهما قبيلتان من جنس الإنس، يُقال: الناس عَشَرَةُ أجزاء تسعةٌ منها يأجوجُ ومأجوجُ ﴿وَهُم﴾ راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر، وقيل: هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يُفتح السدُّ ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾ من الأرض، أي ارتفاعٍ ﴿يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يُسرعون.

٩٧- ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ أي القيامةُ ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي مرتفعةُ الأجفان، لا تكاد تَطْرِفُ[1] من هول ما هم فيه ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾ يقولون: يا ويلنا ﴿قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ اليومِ ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ بوضعنا العبادةَ في غير موضعها.

٩٨- ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني الأصنامَ وإبليسَ وأعوانَه، لأنهم بطاعتهم لهم واتّباعهم خُطُواتِهم في حكم عَبَدَتهم ﴿حَصَبُ﴾ حَطَبُ ﴿جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ فيها داخلون.

٩٩- ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ﴾ كما زعمتم ﴿مَّا وَرَدُوهَاۖ﴾ ما دخلوا النار ﴿وَكُلّٞ﴾ أي العابدُ والمعبود ﴿فِيهَا﴾ في النار ﴿خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

١٠٠- ﴿لَهُمۡ﴾ للكفار ﴿فِيهَا زَفِيرٞ﴾ أنينٌ وبكاء وعَويل ﴿وَهُمۡ فِيهَا

---

(١) معناه تبقى مفتوحةً ناظرة إلى أعلى من شدة الهول.

﴿لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ﴾

لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ شيئًا ما، لأنهم صاروا صُمًّا وفي السَّماع نوعُ أُنسٍ فلم يُعطَوه.

١٠١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ التوفيق للطاعة، فنزلت جوابًا لقول ابن الزِّبَعْرَى[1] عند تلاوته عليه الصلاة والسلام على صناديد قريش ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأنبياء]: أليس اليهودُ عبدوا عُزيرًا والنصارى المسيحَ، وبنو مُلَيْحٍ[2] الملائكة، على أن قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ لا يتناولهم لأن «ما» لِمَن لا يَعقِلُ إلا أنهم أهلُ عناد[3] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني عُزيرًا والمسيح والملائكة ﴿عَنْهَا﴾ عن جهنم ﴿مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ لأنهم لم يرضَوا بعبادتهم.

١٠٢- ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوتَها الذي يُحَسُّ وحركَةَ تلهُّبها، وهذه مبالغة في الإبعاد عنها أي لا يقربونها حتى لا يسمعوا صوتها وصوت مَن فيها[4] ﴿وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾ من النعيم ﴿خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ مقيمون.

١٠٣- ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ النفخة الأخيرة ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ

---

(١) ابن الزِّبَعْرى: هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس السَّهْمِيّ القرشي، أبو سعد شاعر قريش، كان شديدًا على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران فقال فيه حسان أبياتًا فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر ومدح النبي ﷺ مات عام ١٥هـ.

(٢) بنو مُلَيْح: حيٌّ من خُزاعة.

(٣) «ما» لغير ذوي العلم، وهؤلاء عيسى وعزيرٌ والملائكة من ذوي العلم، كيف أدخلهم ابن الزِّبعرى، القرءان لم يقل: إنكم ومن تعبدون، بل قال «وما» وما لغير العاقل، للبهائم والحجر والشجر ونحو ذلك، يوجد حديث ضعيف أن الرسول ﷺ قال له: «ما أجهلك بلغة قومك».

(٤) هذه الآية دليل على أن المراد بالآية ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [سورة مريم/ ٧١] ليس الدخول.

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ تستقبلهم الملائكة مُهنِّئين على أبواب الجنة يقولون: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ هذا وقتُ ثوابِكم الذي وعدَكم ربُّكم في الدنيا.

١٠٤- ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ طيُّها: تكويرُ نجومِها[1] ومَحْوُ رسومها، أو هو ضد النشر [أي] نجمعها ونطويها ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ أي الصحيفةِ ﴿لِلْكُتُبِ ۚ﴾ للمكتوبات ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ﴾ أي كما أوجده أولًا يعيده ثانيًا تشبيهًا للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ﴾ كائنًا لا محالة ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ ذلك، أي محقّقين هذا الوعد، فاستعدوا له وقدِّموا صالحَ الأعمال للخلاص من هذه الأهوال.

١٠٥- ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ كتابِ داودَ عليه السلام ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ التوراةِ ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ الشامَ ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ أي أمةُ محمد عليه الصلاة والسلام.

١٠٦- ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾ القرءانِ ﴿لَبَلَٰغًا﴾ لكفايةً، وأصله ما تُبلَغُ به البُغيةُ ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ موحِّدين، وهم أمةُ محمدٍ عليه السلام.

١٠٧- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ قال عليه السلام: «**إنما أنا رحمة مهداة**» ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ لأنه جاء بما يُسعِدُهم إن اتَّبعوه، ومن لم يَتَّبع فإنما أُتيَ من نفسه حيث ضَيَّع نصيبَه منها. وقيل: هو رحمة للمؤمن في

---

(١) هو ذَهابُ ضوئها.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٨ فَإِن تَوَلَّوْا۟
فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ
مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ١١٠ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ١١١ قَٰلَ
رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّۗ﴾

الدارين، وللكافر في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال(١) والمسخ والخسف(٢).

١٠٨- ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ﴾ يوحى إليَّ وحدانيةُ إلٰهي ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٨﴾ استفهام بمعنى الأمر أي أَسلِموا.

١٠٩- ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإسلام ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾ أَعلَمتُكم ما أُمرتُ به ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍۖ﴾ مُستوِين في الإعلام به، ولم أُخصِّص بعضَكم ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾ أي لا أدري متى يكون يومُ القيامة، لأنَّ الله تعالى لم يُطلعني عليه، ولكني أعلم بأنه كائن لا محالة، أو لا أدري متى يَحُلُّ بكم العذاب إن لم تؤمنوا.

١١٠- ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ١١٠﴾ أي إنه عالِم بكل شيء، يعلم ما تجاهرونني به من الطعن في الإسلام، وما تكتمونه في صدوركم من الأحقاد للمسلمين، وهو مجازيكم عليه.

١١١- ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ وما أدري لعلَّ تأخيرَ العذاب عنكم في الدنيا امتحانٌ لكم [ليظهرَ] كيف تعملون ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ١١١﴾ وتمتيعٌ لكم إلى الموت، ليكونَ ذلك حجةً عليكم.

١١٢- ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّۗ﴾ اقضِ بيننا وبينَ أهلِ مكةَ بالعدل، أو بما يحِقُّ عليهم من العذاب، وشدِّد عليهم كما قال ﷺ: «**[اللهم] اشدد**

---

(١) لا يصيبهم عذاب الاستئصال في الدنيا كعذاب قوم نوح وعاد.
(٢) يحصل خسف ومسخ لكن ليس كعذاب أولئك وكذلك القذف، لكن ليس بشكل واسع كما كان يحصل للماضين.

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾

وَطأتك على مُضَر» ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ المطلوب منه المعونة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه، وكانوا يطمعون أن تكون الشَّوْكة[1] لهم والغلبة، فكذَّبَ اللهُ ظنونَهم وخيَّب ءامالهم ونصرَ [رسولَه] والمؤمنين، وخذلَهم.

---

(١) الشَّوْكَةُ: الشِّدَّةُ والقوَّة.

سورة الحج
مكية، وهي ثمان وسبعون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ أمرَ بني ءادمَ بالتقوى، ثم علَّل وجوبَها عليهم بذكر الساعة، ووصفَها بأهول صفةٍ بقوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم، حتى يُبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربُّهم من التردّي[1] بلباس التقوى الذي يُؤمِنُهم من تلك الأفزاع. والزلزلةُ: شدَّةُ التحريك والإزعاج.

٢- ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ أي الزلزلةَ أو الساعةَ ﴿تَذْهَلُ﴾ تَغْفُلُ، والذهولُ: الغَفْلَة ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ عن الذي أرضعَتْهُ، وهو الطفل ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي حُبلَى ﴿حَمْلَهَا﴾ ولدَها قبلَ تمامِه ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾ أيها الناظر ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ على التشبيه ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ على التحقيق ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ فَخَوفُ عذابِ الله هو الذي أذهبَ عقولَهم، وطيَّر تمييزهم، وردَّهم في نحو حال مَن يذهب السُّكر بعقله وتمييزه.

---

(١) التَّرَدِّي والارتداءُ بمعنًى.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾

٣- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ في دين الله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال، نزلت في النضر بنِ الحارث وكان جَدِلًا يقول: الملائكةُ بناتُ الله، والقرءانُ أساطيرُ الأولين، والله غيرُ قادر على إحياء مَن بَلِي، أو هي عامة في كل من يُخاصم في الدين بالهوى ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في ذلك ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾ عاتٍ مستمرٍّ في الشرّ.

٤- ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قُضي على الشيطان ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ تبعه ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ فأنَّ الشيطان ﴿يُضِلُّهُۥ﴾ عن سواء السبيل ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ النار، والمعنى: كُتب على الشيطان إضلالُ مَن تولّاه وهدايته إلى النار.

ثم ألزم الحجةَ منكري البعثِ فقال:

٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ إن ارتبتم في البعث فمُزيلُ رَيبِكم أن تنظروا في بَدءِ خلقِكم وقد كنتم في الابتداء ترابًا وماءً، وليس سببُ إنكاركم البعثَ إلا هذا، وهو صيرورةُ الخلق ترابًا وماءً ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ أي ءاباءكم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خُلقتم ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ [وهو المَنيُّ] ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ قطعةِ دم جامدةٍ ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ لحمةٍ صغيرةٍ قدرِ ما يُمضَغُ ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ المُخَلَّقةُ: المُسوَّاةُ المَلساء من النقصان والعيب، كأن الله عزَّ وجلَّ يخلق المُضَغَ متفاوتةً منها ما هو كامل الخِلقة أملَسُ من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك، فيتبع ذلك التفاوتَ تفاوتُ الناس في خَلقهم وصُوَرهم وطولهم وقِصَرهم وتمامهم ونقصانهم، وإنما نقلناكم من حالٍ إلى حالٍ ومن خِلقةٍ إلى خلقةٍ ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بهذا التدريج كمالَ قدرتِنا وحِكمتنا، وأنَّ مَن قَدَرَ

﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ
وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ
شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ
بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ
ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾

على خلق البشر من ترابٍ أوَّلًا ثم من نطفةٍ ثانيًا - ولا مناسبةَ بين التراب والماء - وقَدَرَ أن يجعل النطفةَ عَلَقةً، والعلقةَ مُضغةً، والمضغة عظامًا، قادرٌ على إعادة ما بدأه ﴿وَنُقِرُّ﴾ نُثَبِّت ﴿فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ ثبوتَه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ أي وقتِ الولادة، وما لم نشأ ثبوتَه أسقَطَتْه الأرحامُ ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ﴾ من الرحم ﴿طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ﴾ كمالَ عقلِكم وقوَّتكم ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ عند بلوغ الأَشُدّ أو قبلَه أو بعدَه ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ يعني الهرمَ والخَرَفَ ﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ لكيلا يعلم شيئًا من بعد ما كان يعلمُه، ثم ذكر دليلًا ءاخرَ على البعث فقال: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ﴾ مَيّتةً يابسة ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾ تحركت بالنبات[1] ﴿وَرَبَتۡ﴾ وانتفخت ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ﴾ صنفٍ ﴿بَهِيجٖ ٥﴾ حَسَنٍ سارٍّ للناظر إليه.

٦- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ ذلك الذي ذكرنا مِن خَلق بني ءادم وإحياءِ الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحِكَم حاصلٌ بهذا، وهو أنَّ الله هو الحقُّ أي الثابتُ الوجود ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ كما أحيا الأرضَ ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ قادر.

٧- ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ أي أنه حكيم لا يُخلِفُ ميعادَه، وقد وعدَ الساعةَ والبعث فلا بدَّ أن يفيَ بما وعدَ.

---

(١) أي: تحرَّكت في رأي العَين بسبب حركة النبات.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ
يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ
ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾

٨- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ في صفاته فيصِفُه بغير ما هو له. نزلت في أبي جهل، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ضروري[١] ﴿وَلَا هُدًى﴾ استدلالي[٢]، لأنه يهدي إلى المعرفة ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨﴾ أي وَحيٍ، والعلمُ للإنسان من أَحدِ هذه الوجوه الثلاثة[٣].

٩- ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ لاوِيًا عنقَه عن طاعة الله كِبرًا وخُيلاءَ ﴿لِيُضِلَّ﴾ تعليلٌ للمجادلة ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينِه ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ أي القتلُ يومَ بدرٍ ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾ جُمِعَ له عذابُ الدارَين.

١٠- ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ السبب في عذاب الدارَين هو ما قدَّمت نفسُه من الكفر والتكذيب، وكنَى عنها باليد لأنَّ اليدَ ءالةُ الكسب ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠﴾ فلا يأخذ أحدًا بغير ذنبٍ ولا بذنب غيره [ولا يضع عقوبتَه في غير أهلها].

١١- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ على طَرَف من الدين لا في وَسَطِه وقلبه، وهذا مَثَلٌ لكونهم على قلقٍ واضطراب في دينهم لا على سكون وطُمأنينة ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ صحةٌ في جسمه وسَعَة في معيشته ﴿ٱطْمَأَنَّ﴾ سكن واستقر ﴿بِهِۦ﴾ بالخير الذي أصابه فعبدَ الله ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ شَرٌّ وبلاء في جسده وضيقٌ في معيشته ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ ارتدَّ ورجع إلى الكفر، كالذي يكون على طَرَف من العسكر فإن أحسَّ بظَفَر وغنيمة قَرَّ واطمأنَّ وإلا فرَّ وطار على وَجهه. قالوا: نزلت في أَعاريبَ

---

(١) و(٢) معناه لا يَعرف العلم الضروري ولا المكتسَب.

(٣) العلم الثابت إما أن يكون ضروريًّا أو نظريًّا، وإما أن يكون كتابًا منزلًا وخبر نبي.

﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ
وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ
وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾

قدموا المدينة مهاجرين، وكان أحدهم إذا صحَّ بدنه، ونُتِجَت فرسه مُهرًا سويًّا، وولدت امرأتُه غلامًا سويًّا، وكثُر مالُه وماشيته قال: ما أَصبتُ منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرًا واطمأنَّ، وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبت إلا شرًّا وانقلب عن دينه ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾ الخسران في الدنيا بالقتل فيها، وفي الآخرة بالخلود في النار ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي خُسرانُ الدارَين ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ الظاهر الذي لا يخفى على أحدٍ.

١٢- ﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني الصنمَ، فإنه بعدَ الردة يفعلُ كذلك ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ إن لم يعبدْه ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ إن عبدَه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾﴾ عن الصواب.

١٣- ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ نفى [اللهُ تعالى] الضَّرَّ والنفع عن الأصنام قبل هذه الآية [بمعنى أنها جماد ليس لها مشيئة النفع أو الضَّرّ ولا القدرةُ على ذلك] وأثبتهما لها هنا، [بمعنى أنها تَضرُّه يوم القيامة لأنها كانت سببًا في ضلاله وعذابه بالقتل في الدنيا والخلود في النار في الآخرة، وذلك أقرب من النفع الذي كان يأمُله منها ويرجوه بسببها من الشفاعة والتوسل بها إلى الله] ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ الناصرُ ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ الصاحبُ.

١٤- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ هذا وعدٌ لمن عبدَ اللهَ بكل حالٍ، لا لمن عبدَ اللهَ على حَرْفٍ.

١٥- ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ المعنى أن اللهَ ناصرٌ رسولَه في الدنيا والآخرة، فمن ظنَّ من أعاديهِ غيرَ ذلك

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحَبْلٍ ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ سماء بيته [أي فليعلِّقْ حبلًا في سقف بيته] ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ ثم ليختنق به، وسَمَّى الاختناقَ قطعًا لأنَّ المختنِقَ يُقطعُ نفسَه بحبس مجاريه ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ المعنى: فليصوِّرْ في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يُذهب [كيدُه] نَصرَ الله الذي يَغيظُه، وسُمِّيَ فعلُه كيدًا على سبيل الاستهزاء لأنه لم يَكِدْ به محسودَه إنما كادَ به نفسَه، والمراد: ليس في يده إلا ما ليس بمُذهِب لِمَا يَغيظُه.

١٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ ومثلَ ذلك الإنزال أُنزلَ القرءانُ كلُّه ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحاتٍ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [هدايتَه، أي لا اهتداءَ إلا بإرادته].

١٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ قيل: الأديانُ خمسةٌ: أربعة للشيطان، وواحدٌ للرحمٰن، والصابئون نوعٌ من النصارى فلا تكون ستة[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ في الأحوال والأماكن فلا يجازيهم جزاءً واحدًا ولا يجمعهم في موطنٍ واحدٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ عالمٌ به حافظ له، فلينظر كلُّ امرئ مُعتقدَه وقولَه وفعله، وهو أبلغ وعيد.

---

(١) هذا على قول، وقيل إن الصابئين فرقتان: قوم من النصارى ويخالفونهم في أشياء، وقوم قبل النصارى، ولا يزالون إلى الآن يعبدون الكواكب، وقيل إنهم يعبدون الملائكة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾

١٨- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلَمْ يا محمدُ علمًا يقوم مَقامَ العِيان ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ قيل: إنَّ الكلَّ يسجد له، ولكنَّا لا نقف عليه كما لا نقف على تسبيحها، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الإسراء]، وقيل سَمَّى مطاوعةَ غيرِ المكلَّف له فيما يُحدث فيه من أفعاله وتسخيرَه له سجودًا له تشبيهًا لمطاوعته بسجودِ المكلَّف الذي كلُّ خضوع دونَه[1] ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ ويسجد له كثيرٌ من الناس سجودَ طاعةٍ وعبادةٍ ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ وكثير منهم حقَّ عليه العذاب بكفره وإبائه السجودَ ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ بالشقاوة ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ بالسعادة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ من الإكرام والإهانة وغيرِ ذلك.

١٩- ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ فريقان مختصمان ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ المراد المؤمنون والكافرون، فالمؤمنون خصم، وسائر الخمسة خصم ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾ في دينهِ وصفاته، ثم بيَّنَ جزاءَ كلِّ خصم بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ كأنَّ الله يُقدِّر لهم نيرانًا على مقادير جُثَثِهم تشتمل عليهم كما تُقطَّع الثيابُ الملبوسة ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ الماءُ الحارّ [البالغ منتهى الحرارة]، عن ابن عباس رضي الله عنهما: لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها.

---

(١) أي أشد الخضوع من حيث الظاهر، لأن المنافق قد يسجد وهو لا يؤمن بالله.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ
مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾

٢٠- ﴿يُصْهَرُ﴾ يُذاب ﴿بِهِۦ﴾ بالحميم ﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ يُذيب أمعاءَهم وأحشاءَهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن.

٢١- ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ﴾ سِياطٌ مختصَّة بهم ﴿مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ يُضربون بها.

٢٢- ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ كلَّما أرادوا الخروج من النار من أجل غَمّ يلحقُهم ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ بالمَقامع، والمراد إعادتُهم إلى معظم النار، لا أنهم ينفصلون عنها بالكليَّة ثم يعودون إليها ﴿وَذُوقُواْ﴾ وقيل لهم: ذوقوا ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ هو الغليظُ من النار المنتشِرُ العظيم الإهلاك. ثم ذَكَر جزاءَ الخَصم الآخرِ فقال:

٢٣- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [وقال في سورة الإنسان ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴿٢١﴾﴾ قيل: يُجمعُ لهم الذهب والفضة جميعًا، وهو أجمل] ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ [ويحلَّون لؤلؤًا] ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [من حرير الجنة، وهو أعلى مما في الدنيا بكثير، ليس بينهما إلا الاسم].

٢٤- ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ أُرشد هؤلاء في الدنيا إلى كلمة التوحيد وإلى صراط [الله المحمود، أي] الإسلام.

٢٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يمنعون عن الدخول في الإسلام ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ ويصدُّون عن المسجد الحرام والدخولِ

﴿ٱلَّذِى جَعَلۡنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٍ نُّذِقۡهُ مِنۡ
عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِى شَيۡـًٔا وَطَهِّرۡ بَيۡتِىَ
لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالًا﴾

فيه ﴿ٱلَّذِى جَعَلۡنَـٰهُ لِلنَّاسِ﴾ مطلقًا من غير فرقٍ بين حاضرٍ وبادٍ، [يُصَلّون فيه ويطوفون به ويقيمون فيه سائر القُرَبِ، فهو] قِبلةٌ لجميع الناس ﴿سَوَآءً﴾ جعلناه مستويًا ﴿ٱلۡعَـٰكِفُ فِيهِ﴾ المقيم [بمكة] ﴿وَٱلۡبَادِۚ﴾ وغير المقيم ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ﴾ في المسجد الحرام[1] ﴿بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٍ﴾ ومن يُرِد فيه مرادًا عادلًا[2] عن القصد ظالمًا، فالإلحاد: العدول عن [الحق إلى الباطل] ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ في الآخرة، [وهذا وعيدٌ على الإرادة فكيف بالتحقيق؟]

٢٦- ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ واذكر يا محمد حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءةً أي مرجعًا يَرجعُ إليه للعِمارة والعبادة، فأعلمَ الله تعالى إبراهيمَ مكانَه فبناه على أُسِّهِ القديم ﴿أَن﴾ قائلين له: ﴿لَّا تُشۡرِكۡ بِى شَيۡـًٔا وَطَهِّرۡ بَيۡتِىَ﴾ من الأصنام والأقذار ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ لمَن يطوف به ﴿وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾ والمقيمين بمكة، [وقيل: هم المصلّون، ذُكِرَ من أركانها أعظمها وهو القيام والركوع والسجود] ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ المصلين، جمعُ راكعٍ وساجدٍ.

٢٧- ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ نادِ فيهم، والحجُّ هو القصد البليغ إلى مقصدٍ منيع. رُوي أنه صَعِدَ أبا قُبيسٍ فقال: يا أيها الناس حُجُّوا بيتَ ربِّكم، فأجاب مَن قُدِّر له أن يحُجَّ من الأصلاب والأرحام بلبيك اللهم لَبيك[3] ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالًا﴾ مُشاةً، جمعُ راجل

---

(١) الظلم هناك لمجرد النية يكتب على الشخص، إذا رجح جانب الفعل هناك يكتب عليه.
(٢) أي: مائلًا.
(٣) كل من يحج هذا البيت إلى يوم القيامة أرواحهم سمعت نداء إبراهيم بقدرة الله، أبو قبيس جبل مُطلٌّ على الكعبة، أقرب الجبال إلى البيت هو هذا الجبل.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ كأنه قال: رجالًا ورُكبانًا، والضامر: البعير المهزول، وقَدَّمَ الرجالَ على الركبان إظهارًا لفضيلة المشاة ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ﴾ طريق ﴿عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ بعيدٍ.

٢٨- ﴿لِّيَشْهَدُوا۟﴾ ليَحضروا ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ مختصةً بهذه العبادة لا توجدُ في غيرها من العبادة، وهذا لأن العبادة شُرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة، وقد اشتمل الحجُّ عليهما مع ما فيه من تحمُّل الأثقال، وركُوبِ الأهوال، وهِجرةِ البلاد والأوطان، وفُرقةِ الأولاد والخُلّان. وغُسلُ مَن يُحرم وتأهُّبه، ولُبسه غيرَ المَخيط، وتطيُّبُه، مرءاةٌ لما سيأتي عليه من وضعه على سريره لغَسلِه، وتجهيزِه مُطيَّبًا بالحَنوط، مُلَفَّفًا في كفن غيرِ مَخيطٍ، ثم المُحرم يكون أَشعثَ حيرانَ، فكذا يومَ الحشر يخرجُ من القبر لَهفانَ[1]، ووقوفُ الحجيج بعرفاتٍ ءاملين رَغَبًا ورَهَبًا، سائلين خوفًا وطمعًا، وهم من بين مقبولٍ ومخذول، كموقفِ العَرَصات[2] ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ۝١٠٥﴾ [سورة هود]، والإفاضة إلى المزدلفة بالمساء هو السَّوق لفصل القضاء، ومِنًى هو موقف المُنى للمذنبين إلى شفاعة الشافعين، وحلق الرأس والتنظيفُ كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف، والبيتُ الحرام الذي مَن دخله كان ءامنًا من الإيذاء والقتال، أُنموذَجٌ لدار السلام التي هي مَن نزلها بقي سالمًا من الفناء والزوال، غيرَ أنَّ الجنة حُفَّت بمكاره النفس العادِيَةِ، كما أن الكعبة حُفَّت بمتالف البادِيَةِ[3]، فمرحبًا بمن جاوز مهالِكَ البوادي[4]، شوقًا إلى اللقاء يومَ

---

(١) اللَّهفانُ: المتحسِّرُ. أما الأنبياءُ والأتقياء فلا يُصيبهم فزعٌ لأنهم ءامنون.

(٢) العَرَصات: جمع عَرْصة، وهي كل بقعة بين الدور واسعة، ليس فيها بناء، وعرصات القيامة: أماكن القيامة.

(٣) أي: لا يُوصَلُ إليها إلا بتجاوُز ذلك.

(٤) يمر بِبَوَادٍ فيها هلاك، في الماضي ليس في القرون الثلاثة الأولى، بل منذ نحو مائتين أو=

﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾

التنادي ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾ عند الذبح ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ هي عَشْرُ ذي الحِجة، وءاخرُها يومُ النحر، [وعند بعضٍ أيامُ التشريق، وعند بعض يومُ النحر وأيام التشريق] ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾ [وليتقربوا إلى الله تعالى بالذبائح ويذكروا اسم الله عليها]، بُيِّنت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ من لحومها، والأمر للإباحة، ويجوز الأكل من هدي التطوع والمُتعة والقِران لأنه دمُ نُسُكٍ فأشبهَ الأضحيةَ، ولا يجوز الأكل من بقية الهدايا ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ﴾ الذي أصابه بؤس أي شدة ﴿ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ الذي أضعفه الإعسار.

٢٩- ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ﴾ ثم ليُزيلوا عنهم أَدرانَهم(١) ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ مَواجِبَ حَجِّهم، والعرب تقول لكل مَن خرجَ عما وجبَ عليه: وفَّى بنذره وإن لم يَنذِرْ ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ﴾ طوافَ الزيارةِ الذي هو ركن الحجّ ويقع به تمام التحلُّل(٢) ﴿بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ القديمِ لأنه أَوَّلُ بيت وُضعَ للناس، بناه ءادمُ ثم جدَّده إبراهيم.

٣٠- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر ذلك ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الحُرمة: ما لا يَحِلُّ هَتْكُه، وجميعُ ما كَلَّفه الله عز وجل بهذه الصفةِ من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عامًّا في جميع تكاليفه، ويحتمل أن يكون خاصًّا بما يتعلق بالحج ﴿فَهُوَ﴾ أي التعظيمُ ﴿خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾

= ثلاثمائة سنة، العرب الذين كانوا قبلَ مكة يسلبون الحجّاجَ حتى لباسَهم من شدة البؤس، أما قبل ذلك فكانوا يكرمون الحجاج.

(١) الأدران: الأوساخ، في الماضي كان يصير الحاج في نهاية المناسك أشعث أغبر وكانت المشقة أكبر بكثير وهكذا الأجر كان أكبر بكثير.

(٢) المراد به طواف الإفاضة، غير طواف القدوم وغير طواف الوداع.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ
وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ
فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾

ومعنى التعظيم العلمُ بأنها واجبةُ المراعاة والحِفظ، والقيامُ بمراعاتها ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أي أكلُها ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ءايةُ تحريمِه، وذلك قولُه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴿٣﴾﴾ [سورة المائدة] الآيةَ، والمعنى أنَّ الله تعالى أحلَّ لكم الأنعامَ إلا ما بيَّنَ في كتابه، فحافِظوا على حدوده، ولا تحرِّموا شيئًا مما أَحلَّ كتحريم البَحِيرةِ ونحوِها، ولا تُحِلُّوا مما حرَّم كإحلالهم أكلَ الموقوذَةِ والمَيْتَة وغيرِهما.

ولمّا حثَّ على تعظيم حُرُماته أَتبعه الأمرَ باجتناب الأوثان وقولِ الزور بقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، وسمَّى الأوثان رجسًا على طريقة التشبيه، يعني أنكم كما تنفرون بطبائعكم عن [الأنجاس] فعليكم أن تنفروا عنها ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ لأنَّ ذلك من أعظم الحُرمات وأَسبَقِها خطوًا.

٣١- ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ مسلمين ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ سَقَطَ ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى الأرض [لأنه سقط من أَوْجِ الإيمان إلى حضيض الكفر] ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ تَسْتَلِبُه بسرعة [وتقطع مُخَّهُ بمخالبها ومناقيرها ولا يملك دفع ذلك عن نفسه] ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ تُسقطه ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ بعيد.

٣٢- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر ذلك ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ تعظيمُ الشعائر - وهي الهدايا، لأنها من معالم الحج -: أن يختارَها عظامَ الأجرام حِسانًا سِمانًا غاليةَ الأثمان ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ من أفعالِ ذوي تقوى القلوب.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا
مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ
وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى
ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣٥ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ﴾

٣٣- ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ من الركوب عند الحاجة وشُرب ألبانها عند الضرورة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن تُنحر[١] ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ وقتُ وجوب نَحرِها منتهيةً ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ٣٣﴾ المرادُ نحرُها في الحرم الذي هو في حكم البيت إذ الحرم حريم البيت[٢].

٣٤- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ جماعةٍ مؤمنةٍ قبلَكم ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [شَرَعنا قرابينَ ليقرِّبوها، و] ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ دون غيره ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ﴾ عند نحرها وذبحها ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي اذكروا على الذبح اسمَ الله وحدَه ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ﴾ أخلِصوا له الذكر خاصة، واجعلوه له سالمًا لا تشوبوه بإشراك ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ٣٤﴾ المطمئنين بذكر الله.

٣٥- ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ منه هيبةً ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من المِحَن والمصائب ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ يتصدَّقون.

٣٦- ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ جمع بَدَنةٍ، وفي الشريعة يتناول الإبل والبقر ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ من أعلام الشريعة التي شرعها الله، وإضافتها إلى اسمه تعالى تعظيم لها ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ﴾ النفعُ في الدنيا

---

(١) هذا في الهدايا يركبها إن احتاج وإلا يسوقها سوقًا.
(٢) الحرم: الكعبة وما حولها إلى الحد الذي أقام عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام الأعلامَ، من جهة جُدّة نحو عشرين كيلو مترًا، ومن الجهة الأخرى أقل، في كل هذا يحل الهدي، ليس شرطًا أن يكون ضمن مكة.

﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾

والأجر في العُقْبَى ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند نحرها ﴿صَوَافَّ﴾ قائماتٍ قد صَففنَ أيديَهن وأرجلَهن ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي إذا سقطت جُنُوبها على الأرض بعد نحرها وسكنت حركتها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ إن شئتم ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ السائل ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ الذي يُريك نفسَه ويتعرَّض ولا يَسألُ ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ كما أمرناكم بنحرها ذلَّلناها لكم مع قوّتها وعِظَم أجرامها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لكي تشكروا إنعام الله عليكم.

٣٧- ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ لن يُرضيَ المُضَحّون والمُقَرّبون رَبَّهم إلا بمراعاة النية والإخلاص ورعاية شروط التقوى ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ أي البُدْن ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ لتُسَمُّوا اللهَ عند الذبح، أو لتُعظِّموا الله ﴿عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ على ما أرشدكم إليه ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ الممتثلين أوامرَه بالثواب.

٣٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يدفع غائلةَ المشركين[1] عن المؤمنين، ثم علَّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي لأنه لا يحب الذين يخونون الله والرسولَ ويخونون أماناتهم ويكفرون نِعَمَ الله ويَغمَطونها[2].

٣٩- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ أُذِن لهم في القتال لدلالة ﴿يُقَاتَلُونَ﴾ عليه ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ بسبب كونهم مظلومين، وهم أصحابُ رسول الله

---

(١) غائلة المشركين: ضررهم.
(٢) أي: لا يشكرونها.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾

ﷺ، كان مشركو مكة يؤذونَهم أذًى شديدًا، وكانوا يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروبٍ ومشجوجٍ يتظلَّمون[1] إليه، فيقول لهم: «**اصبروا فإني لم أومر بالقتال**»، حتى هاجر فأُنزلت هذه الآية، وهي أوَّل ءاية أُذن فيها بالقتال بعد ما نُهي عنه في نيفٍ وسبعين ءاية ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ﴾ على نَصرِ المؤمنين ﴿لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ قادرٌ، وهو بشارة للمؤمنين بالنُّصرة.

٤٠- ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ بمكةَ ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ أي بغير موجِبٍ سوى التوحيدِ الذي ينبغي أن يكون موجِبَ التمكين لا الإخراج ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ﴾ أي لولا إظهارُهُ وتسليطُه المسلمينَ على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل المِلل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبَّداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بِيَعًا، [جمعُ بِيْعَة، وهي الأماكن التي كان يتعبد فيها النصارى قبل أن يكفروا]، ولا لرهبانهم صوامعَ [جمع صَوْمعة، تُبنَى على التلال للتفرغ للتعبد فيها كخَلَوات الصوفية] ولا لليهود صلواتٍ [مفردها صَلُوتا - وهي لغة عبرية - وهي الأماكن التي كانت اليهود تتعبد فيها قبل أن يكفروا بتكذيبهم المسيح فإنهم كانوا قبل ذلك مسلمين على شريعة التوراة الأصلية قبل التحريف] ولا للمسلمين مساجدَ [والمساجدُ المراد بها هنا مساجد أمة محمد ﷺ]، ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾ في جميع ما تقدم [لأنها كمساجد أمة محمد ﷺ حيث إنّ الكل بُني لتوحيد الله وتمجيده لا لعبادة غير الله فقد سمَّى الله تعالى المسجد الأقصى مسجدًا وهو ليس من بناء أمة محمد بل بناه سيدنا ءادم عليه السلام ثم جدد بناؤه عدة

---

(١) أي: يَشتكون.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾

مرات] ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ﴾ أي ينصرُ دينَه وأولياءَه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على نصر أوليائه ﴿عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ على انتقام أعدائه.

٤١- ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أُخرجوا ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ هو إخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين إن مكَّنهم في الأرض [بنصرهم على عدوهم] وبَسَطَ لهم في الدنيا، وكيف يقومون بأمر الدين، وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين، لأنَّ الله عز وجل أعطاهم التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ مرجعها إلى حُكمِه وتقديره، وفيه تأكيد لِمَا وعدَهُ من إظهار أوليائه وإعلاء كلمته.

٤٢-﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾) هذه تسليةٌ لمحمد ﷺ من تكذيب أهل مكة إياهُ ﴿فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ﴾ قبلَ قومِكَ ﴿قَوۡمُ نُوحٖ﴾ نوحًا ﴿وَعَادٞ﴾ هودًا ﴿وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾﴾ صالحًا.

٤٣- ﴿وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ إبراهيمَ ﴿وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾﴾ لوطًا.

٤٤- ﴿وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ﴾ شعيبًا ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كذَّبه فرعونُ والقِبطُ، ولم يقل: وقوم موسى لأن موسى ما كذَّبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذَّبه غيرُ قومِه ﴿فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ أمهلتُهم وأخرتُ عقوبتَهم ﴿ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ عاقبتُهم على كفرهم ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ إنكاري وتغييري حيث أبدلتُهم بالنعم نِقَمًا وبالحياة هلاكًا وبالعِمارة خَرابًا.

٤٥- ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ﴾ أي وأهلها مشركون ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي خَرَّت سقوفها على

﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ
ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ
بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا
تَعُدُّونَ ٤٧ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ﴾

الأرض، ثم تهدَّمت حيطانُها فسقطت فوق السقوف ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ متروكةٍ لا يُستسقى منها لهلاك أهلها ﴿وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥﴾ مُجَصَّص، والمعنى: كم قريةٍ أهلكناها وكم بئرٍ عطَّلناها عن سُقاتها وقصر مشيدٍ أخليناه عن ساكنيه، أي أهلكنا البادية والحاضرة جميعًا، فخلت القصور عن أربابها والآبارُ عن وُرَّادِها.

٤٦- ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هذا حثٌّ على السفر ليروا مصارعَ مَن أهلكهم اللهُ بكفرهم ويشاهدوا ءاثارَهم فيعتبروا ﴿فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ ما يجب أن يُعقل من التوحيد ونحوه ﴿أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ﴾ ما يجب سماعه من الوحي ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ فما عَميت أبصارهم عن الإبصار بل قلوبهم عن الاعتبار، ولكل إنسان أربع أعين، عينان في رأسه وعينان في قلبه، فإذا أبصرَ ما في القلب وعَمِيَ ما في الرأس لم يضرَّه، وإن أبصر ما في الرأس وعميَ ما في القلب لم ينفعه.

٤٧- ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ الآجلِ استهزاءً ﴿وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ﴾ كأنه قال: لِمَ يستعجلون به كأنهم يجوِّزونَ الفوتَ، وإنما يجوز ذلك على ميعادِ مَنْ يجوزُ عليه الخُلف، والله لا يُخلِفُ الميعادَ، وما وَعَدَه لَيُصيبَنَّهم ولو بعد حين ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٤٧﴾ كيف يستعجلون بعذاب مَنْ يومٌ واحد من أيام عذابِهِ في طولِ ألفِ سنةٍ من سِنيكم.

٤٨- ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ﴾ وَكَم من أهل قريةٍ

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾

كانوا مثلَكم ظالمين قد أَنظرتُهم حِينًا ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب ﴿وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ أي المرجع إليَّ فلا يفوتُني شيء.

٤٩- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [قل يا محمد لمشركي قومِك الذين يجادلونك في الله بغير علم ويستعجلونك بالعذاب:] ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ [جعل الله إليَّ الإنذار دون إنزال العذاب].

٥٠- ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ حَسَنٌ.

٥١- ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سمَّوها سحرًا وشعرًا وأساطير ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مسابقين في زعمهم طامعين أنَّ كيدَهم للإسلام يَتِمُّ لهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ أي النار الموقَدة.

٥٢- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ هذا دليلٌ بَيِّنٌ على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض إنهما واحد، وسُئل النبي ﷺ عن الأنبياء فقال: «**مائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرونَ ألفًا**» فقيل: فكم الرسلُ منهم؟ فقال: «**ثلاثُمائةٍ وثلاثةَ عشَرَ**». والفرق بينهما أن الرسول مَن جمع إلى المعجزة الكتاب المنزّل عليه، والنبيَّ مَن لم يُنزَّل عليه كتابٌ، وإنما أُمر أن يدعو إلى شريعة مَن قبله ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قرأ.

﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ تلاوته، قالوا: إنه عليه السلام كان في نادي قومه يقرأ: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ فلمَّا بلغ قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ سكت فتكلم الشيطان بهذه الكلمات «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لتُرتجى» متصلًا بقراءة النبي ﷺ، فوقع عند بعضهم أنه عليه الصلاة والسلام هو الذي تكلَّم بها، فيكون هذا إلقاءً في قراءة النبيّ

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا
يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ
بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾

عليه الصلاة والسلام[1]، وكان الشيطان يتكلَّم في زمن النبيّ عليه السلام ويُسمع كلامه، فقد رُوي أنه نادى يوم أُحُدٍ: ألا إنَّ مُحمدًا قد قُتِل، وقال يوم بدر [للكفار]: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الأنفال]، [أي مُعِين لكم في القتال، وفي ذلك الوقت تشكَّلَ وتكلم وليس مجرد صوت] ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يَذهبُ به ويُبطله ويُخبر أنه من الشيطان ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ﴾ يُثبتها ويَحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما أوحَى إلى نبيّه وبقصدِ الشيطان ﴿حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ لا يَدَعُه حتى يكشفَه ويُزيلَه.

ثم ذكر أنَّ ذلك ليَفتِنَ اللهُ تعالى به قومًا بقوله:

٥٣- ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ محنةً وابتلاءً ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ ونفاقٌ ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ هم المشركون المكذِّبون فيزدادوا به شكًّا وظُلمةً ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المنافقين والمشركين ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ﴾ خلافٍ ﴿بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ عن الحق.

٥٤- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بالله وبدينه وبالآيات ﴿أَنَّهُ﴾ القرءانُ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ بالقرءان ﴿فَتُخْبِتَ﴾ فتطمئنَّ ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ فيتأوَّلوا ما يتشابَهُ في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لِمَا أَشكَلَ منه المَحملَ الذي تقتضيه الأُصول المُحكمة حتى لا تلحقَهم حَيرةٌ ولا تعتريهم شبهة.

---

(١) الشيطان يستحيل أن يتكلم على لسان النبي ﷺ وإلا لضاعت الثقة بالشريعة.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ
عَقِيمٍ ٥٥ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي
جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٥٨ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ٥٩﴾

٥٥- ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ﴾ شَكٍّ ﴿مِّنۡهُ﴾ من القرءان. ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾ فجأةً ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ٥٥﴾ يعني يومَ بدرٍ، فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فَرَج، أو كالريح العقيم لا تأتي بخير.

٥٦- ٥٧- ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ﴾ أي يومَ القيامة ﴿لِّلَّهِ﴾ فلا مُنازعَ له فيه ﴿يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ أي يقضي، ثم بيَّن حُكمَه فيهم بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦﴾ [فضلًا منه تعالى وكرمًا] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧﴾ [مُذِلٌّ يوم القيامة].

ثم خصَّ قومًا من الفريق الأول بفضيلة فقال:

٥٨- ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ خرجوا من أوطانهم مجاهدين ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾ في الجهاد ﴿أَوۡ مَاتُواْ﴾ حتفَ أنفِهم[1] ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ الرزق الحَسَنُ: الذي لا ينقطع أبدًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٥٨﴾ لأنه المخترع للخلق بلا مِثالٍ، المتكفِّلُ للرزق بلا مَلال.

٥٩- ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا﴾ المرادُ الجنةُ ﴿يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾ لأنَّ فيها ما تشتهي الأنفس وتَلَذُّ الأَعينُ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بأحوال مَن قَضى نَحْبَه مجاهدًا ﴿حَلِيمٞ ٥٩﴾ بإمهال مَن قاتلهم معاندًا.

---

(١) أي: بلا ضرب ولا قتل.

﴿۞ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ
ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ
فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ﴾

٦٠- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمـر ذلـك ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ سَمَّى الابتداءَ بالجزاء عقوبةً لملابسته له من حيث إنه سبب وذلك مُسبَّب عنه، أي مَن جازَى بمثل ما فُعل به من الظلم، [ولم يزد في الاقتصاص] ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾ ثم ظُلِمَ بعد ذلك ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ﴾ [وَعَدَ اللهُ عز وجل النصرَ لهم، فيحتمل أن يكون ذلك النصر الموعود في الدنيا، ويحتمل في الآخرة] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ يمحو ءاثار الذنوب ﴿غَفُورٞ ﴿٦٠﴾﴾ يستر أنواع العيوب.

٦١- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾﴾ ذلك النصر للمظلوم بسبب أنه قادر على ما يشاء، ومن ءايات قُدرتِه أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، أي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا، فهو مُصَرِّفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف، وأنه سميع لِمَا يقولون ولا يشغلُه سمعٌ عن سمع، بصير بما يفعلون لا يستتر عنه شيء بشيء وإن توالت الظلمات.

٦٢- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ ذلك الوصف بخلقِه الليلَ والنهارَ، وإحاطتهِ بما يجري فيهما، وإدراكهِ كل قولٍ وفعلٍ، بسبب أنَّ الله الحقُّ الثابت إلٰهيتُه، وأنَّ كلَّ ما يُدعَى إلٰهًا دونَه باطلُ الدعوة، وأنه لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبرُ سلطانًا.

٦٣- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ مـطـرًا ﴿فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ﴾ بالنبات بعد ما كانت [مغبرَّة] يابسةً، وإنما صُرِفَ إلى

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ
ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ
أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ
نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾

لفظ المضارع ولم يقل: فأصبحت ليفيدَ بقاءَ أثرِ المطر زمانًا بعد زمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ واصلٌ عملُه أو فضلُه إلى كل شيء ﴿خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ بمصالح الخلق ومنافعهم.

٦٤- ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ مِلكًا ومُلكًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ المستغني بكمال قدرته بعد فناء ما في السماوات وما في الأرض ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ المحمودُ بنعمته قبل ثناءِ مَنْ في السماوات ومَن في الأرض.

٦٥- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من البهائم مذلَّلةً للركوب في البرّ ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ وسخَّرَ لكم الفُلكَ في حال جريها ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي يحفظُها من أن تقع ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ﴾ بأَمره، أو بمشيئته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ﴾ بتسخير ما في الأرض ﴿رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ بإمساكِ السماء لئَلا تقعَ على الأرض. عدَّد ءالاءَهُ مقرونةً بأَسمائه ليشكروه على ءالائِه ويذكروه بأسمائه، وعن أبي حنيفة رحمه الله أنَّ اسم الله الأعظم في الآيات الثمانية يستجاب لقارئها ألبتة.

٦٦- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ﴾ في أرحام أمهاتكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء ءاجالِكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ﴾ لإيصال جزائكم ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ لجَحودٌ لِمَا أفاضَ عليه من ضروب النِّعم ودَفَعَ عنه من صُنوف النِّقَم.

٦٧- ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ﴾ [خَلَتْ] ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [ضربًا من العبادة] ﴿هُمْ نَاسِكُوهُۖ﴾ [هم متنسِّكون به مأخوذون عليه] ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ فلا

﴿فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾

يجادِلُنَّكَ، والمعنى: فلا تلتفت إلى قولهم في أن ينازعوك ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أمرِ الذبائح. نزلت حين قال المشركون للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله؟ [يعنون] الميتةَ ﴿وَادْعُ﴾ الناس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى عبادةِ ربّكَ ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ طريقٍ قويمٍ.

٦٨- ﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ مِراءً وتعنتًا كما يفعله السفهاءُ بعد اجتهادك ألّا يكون بينك وبينهم تنازعٌ وجدال ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أي فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول، والمعنى أن الله أعلم بأعمالكم وما تستحقّون عليها من الجزاء فهو يجازيكم به، وهذا وعيد وإنذار يجاب به كل متعنّت.

٦٩- ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ هذا خطابٌ من الله للمؤمنين والكافرين، أي يفصِلُ بينكم بالثواب والعقاب، ومَسْلاةٌ لرسول الله ﷺ مما كان يَلقَى منهم.

٧٠- ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [أخبر تعالى أنه عالم بجميع ما في السماء والأرض فلا يخفى عليه أعمالكم] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الموجودَ فيهما ﴿فِي كِتَابٍ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ أي علمُه بجميع ذلك عليه يسير.

ثم أشار إلى جهالة الكفار لعبادتهم غيرَ المستحِقّ لها بقوله:

٧١- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجةً وبرهانًا ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾ لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان سماوي من جهة الوحي، ولا حمَلَهم عليها دليلٌ عقلي ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ وما للذين ارتكبوا مثلَ هذا الظلم من أَحدٍ ينصُرُهم ويُصوِّب مذهبَهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا
ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ
ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ
ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾

٧٢- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني القرءان ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ﴾ الإنكارَ بالعُبوس والكَراهةَ ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ يَبطِشون ﴿بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ﴾ هم النبيُّ ﷺ وأصحابُه ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ﴾ [بأكرَهَ إليكم] مِن غَيظِكم على التالين وسطوِكم عليهم ﴿ٱلنَّارُ﴾ كأنَّ قائلًا قال: ما هو؟ فقيل: النار ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ﴾ [وأنتم منهم] ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ [وبئس المرجعُ] النارُ.

ولَمّا كانت دعواهم بأنَّ لله تعالى شريكًا جاريةً في الغَرابة والشُهرة مَجرى الأَمثالِ المُسيَّرة، قال الله تعالى:

٧٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ﴾ بُيِّنَ ﴿مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ﴾ لضرب هذا المَثَلِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ [أيها المشركون] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [أي الأصنام التي تعبدونها] ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ لن لتأكيد نفي المستقبل للدلالة على أنَّ خلق الذباب منهم مستحيل ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ﴾ لخَلقِ الذباب، وهذا من أبلغ ما أُنزل في تجهيلِ قريشٍ حيث وَصَفوا بالإلٰهية التي تقتضي الاقتدارَ على المقدورات كلِّها والإحاطةَ بالمعلومات عن ءاخرها صُوَرًا وتماثيلَ يستحيل منها أن تقدِرَ على أقلِّ ما خلقَه اللهُ تعالى وأَذلِّه ولو اجتمعوا لذلك ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ﴾ أي هذا الخلقُ الأقلُّ الأذلُّ لو اختَطَفَ منهم شيئًا فاجتمعوا على أن يستخلصوهُ منه لم يقدِروا، عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا يَطْلُونها أي الأوثانَ بالزعفران ورؤوسَها بالعسل فإذا سلَبه الذبابُ عجز الأصنام عن أخذه ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ الصنم بطلب ما سُلِبَ منه ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾

الذبابُ بما سَلَبَ، وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف، ولو حقَّقْتَ وجدتَ الطالبَ أضعفَ وأضعفَ؛ فإنَّ الذبابَ حيوانٌ وهو جماد، وهو غالبٌ وذلك مغلوب.

٧٤- ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عرفوه حقَّ معرفته حيث جعلوا هذا الصنمَ الضعيف شريكًا له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ إنَّ اللهَ قادرٌ وغالب، فكيف يُتَّخذُ العاجزُ المغلوب شبيهًا به؟! أو لقويٌّ بنصر أوليائه، عزيز ينتقم من أعدائه.

٧٥- ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾ يختار ﴿مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ كجبريلَ وميكائيل وإسرافيل وغيرِهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ رسلًا كإبراهيمَ وموسى وعيسى ومحمدٍ وغيرِهم عليهم السلام، وهذا ردٌّ لِمَا أنكروه من أن يكون الرسولُ من البشر، وبيانٌ أنَّ رُسُلَ الله على ضربين: مَلَكٌ وبَشَر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لقولهم ﴿بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ بمن يختاره لرسالته.

٧٦- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما مضى ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما لم يأت، أو أَمْرَ الدنيا وأَمرَ الآخرة ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾ إليه مرجعُ الأمورِ كلِّها، والذي هو بهذه الصفات لا يُسأل عما يفعل، وليس لأحدٍ أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رُسُلِه.

٧٧- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ في صلاتكم، [وخُصَّ الركوع والسجود لأنهما الأصلان في التذلل والخشوع] ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ واقصِدوا بركوعكم وسجودكم وجهَ الله[1] لا الصنم ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ عَمَّ بالحثِّ على سائر الخيرات، وقيل: أريد به صلة

---

(١) أي: طاعته.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ
فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ
ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ
بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

الأرحام ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ كي تفوزوا.

٧٨- ﴿وَجَٰهِدُواْ﴾ أَمَرَ بالغزو، أو مجاهدةِ النفس والهوى، أو هو كلمةُ حق عند أمير جائر ﴿فِي ٱللَّهِ﴾ في ذات الله ومن أجله ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ وهو ألّا يخاف في الله لومة لائم، [وحَقُّ الجهاد: استفراغُ الطاقة فيه] ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ اختاركم لدينه ونُصرته ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ ضِيقٍ، بل رَخَّصَ لكم في جميع ما كلَّفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج، بالتيمُّم، وبالإيماء وبالقصر، والإفطار بعذر السفر والمرض، وعدم الراحلة(١) ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ﴾ اتَّبِعوا مِلَّةَ أبيكم، وسماه أبًا وإن لم يكن أبًا للأمة كلِّها، لأنه أبو رسولِ الله ﷺ فكان أبًا لأمته لأن أمة الرسول في حكم أولاده ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي اللهُ سمّاكم المسلمين ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الكتب المتقدمة ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي في القرءان، فضَّلكم على سائر الأمم وسمَّاكم بهذا الاسم الأكرم ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ أنه قد بلَّغكم رسالة ربّكم ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ بتبليغ الرُّسل رسالات الله إليهم(٢)، وإذ خصَّكم بهذه الكرامة والأَثَرة(٣) ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بواجباتها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ بشرائطها ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ وثقوا بالله وتوكَّلوا عليه ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ﴾ مالككم وناصركم ومتولّي أمورِكم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ أي الناصر هو حيث أعانكم على طاعتكم، وقد أفلح مَن [الله] مولاه وناصرُه.

---

(١) إذا لم يجد الشخص ما يركبه للحج، وكان يلحقه مشقة شديدة بالمشي، سقط عنه الوجوب.
(٢) أمة محمد ﷺ هم يشهدون للأنبياء بأنهم بَلَّغوا أقوامهم، عندما يُسألُ الأنبياء: هل بَلَّغتم؟ يشهدون مع أنهم لم يكونوا في تلك العصور، بناء على أنهم سمعوا في القرءان أنهم بَلَّغوا.
(٣) الأَثَرَةُ: المَكرُمَة.

سورة المؤمنون
مكية، وهي مائة وثمان عشرة ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ
مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ أي فازوا بما طَلَبوا ونَجوا مما هربوا، والمؤمن: المصدّق لغةً، وفي الشرع: كلُّ من نطق بالشهادتين مواطئًا قلبُه لسانَه.

٢- ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح، وقيل: الخشوعُ في الصلاة جمعُ الهِمَّةِ لها والإعراضُ عما سواها.

٣- ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ اللغو: كلُّ كلام ساقطٍ حقُّه أن يُلغَى كالكذب والشتم والهزل، يعني أن بهم من الجِدِّ ما شغلهم عن الهزل.

٤- ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ مؤدُّون.

٥- ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ الفَرْج يشمل سَوءَةَ الرجل والمرأة.

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ
يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١ وَلَقَدۡ
خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢﴾

٦- ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ [إلا عن زوجاتهم] ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ أي إمائهم ﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦﴾ أي لا لوم عليهم إن لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وإمائهم [فهذا حلالٌ وما وراءَه حرام].

٧- ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ طلب قضاء شهوةٍ من غير هذين ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧﴾ الكاملون في العدوان، وفيه دليلُ تحريم المُتعة والاستمناء بالكفِّ لإرادة الشهوة.

٨- ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ﴾ المراد به العموم في كلّ ما ائتُمنوا عليه وعُوهدوا من جهة الله عزَّ وجلَّ[1] ومن جهة الخلق ﴿رَٰعُونَ ٨﴾ حافظون.

٩- ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩﴾ يداومون [على مراعاة شروطها وحدودها] في أوقاتها، وإعادةُ ذكر الصلاة لأنها أهمُّ ولأن الخشوع فيها غيرُ المحافظة عليها.

١٠- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الجامعون لهذه الأوصاف ﴿هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ الأحِقّاءُ بأن يسمَّوا وُرَّاثًا دون مَن عداهم، [وهم الواجدون ثمرات أعمالهم].

١١- ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾ هو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [لا يَموتون فيها ولا يُخرجون عنها].

١٢- ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أي ءادمَ ﴿مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢﴾ السُّلالةُ: الخلاصةُ لأنها تُسَلُّ من بين الكَدَر، وقيل: إنما سُمي التراب

---

(١) أي: من الله عَزَّ جلَّ، ولا يُرادُ به أن الله تعالى مُتحيّز في جهة، فالله تعالى موجود أزلًا وأبدًا بلا مكان ولا جهة.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾

الذي خُلِق ءادم منه سلالةً لأنه سُلَّ من كلِّ تُربة.

١٣- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي نَسْلَه ﴿نُطْفَةً﴾ ماءً قليلًا ﴿فِي قَرَارٍ﴾ مستقَرٍّ يعني الرَّحِمَ ﴿مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ حصينٍ.

١٤- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ﴾ صيَّرناها ﴿عَلَقَةً﴾ قِطعةَ دمٍ، والمعنى: أَحَلْنا النطفةَ البيضاءَ عَلَقَةً حمراءَ ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحمًا قدرَ ما يُمضَغ ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ فصيَّرناها عظامًا ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ فأَنبتنا عليها اللحمَ فصار لها كاللباس ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ خَلْقًا مُباينًا للخلق الأول حيث جعلَه حيوانًا وكان جمادًا، وناطقًا وسميعًا وبصيرًا، وكان بضد هذه الصفات ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ فتعالى أَمرُه في قدرته وعلمه ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي أَحسنُ المُقدِّرين تقديرًا.

١٥- ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد ما ذكرنا من أمركم ﴿لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ عند انقضاء ءاجالكم.

١٦- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ تُحْيَونَ للجزاء.

١٧- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ هي السماواتُ، لأنها طُرُق الملائكة ومتقلَّباتُهم ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ أراد بالخلق السماوات، كأنه قال: خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها [من أن تسقط عليكم فتهلككم].

١٨- ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ﴾ مطرًا ﴿بِقَدَرٍ﴾ بتقدير يَسْلَمون معه من المَضرَّة ويصلون إلى المنفعة ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جعلناه ثابتًا في

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

الأرض [في العيون ونحوها]، فماءُ الأرض كلُّه من السماء ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ كما قَدَرنا على إنزاله نقدر على إذهابه [فلا يبقى لكم ما تشربونه وتسقونه دوابَّكم وزروعَكم فتهلكون عطشًا، يُعَرِّفهم مِنَّتَهُ في إنشائه وإبقائه].

١٩- ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾ بالماء ﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ في الجنات ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ سوى النخيلِ والأعناب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ من الجنات، أي من ثمارها.

٢٠- ﴿وَشَجَرَةً﴾ هي شجرةُ الزيتون ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ طور سَيناء وطور سينين لا يخلو إما أن يضاف الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإما أن يكون اسمًا للجبل مركبًا من مضاف ومضاف إليه كامرئ القيس، [قيل]: وهو جبل فلسطين ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ إدام لهم، فالإدام الزيتون والدهن الزيت، وخص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع.

٢١- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ جمع نَعَم وهي الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾ نُخرج لكم من بطونها لبنًا سائغًا ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ سوى الألبان، وهي الأصوافُ والأوبار والأشعار [وغيرها] ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي لحومَها.

٢٢- ﴿وَعَلَيْهَا﴾ وعلى الأنعام في البر [ويجوز أن يراد] بالأنعام الإبل لأنها هي المحمولُ عليها في العادة فلذا قرنها بالفُلك التي هي السفائن، لأنها سفائن البَرِّ ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ في البحر ﴿تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ في أسفاركم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا
تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ
فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ
بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾

٢٣- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ معبودٍ ﴿غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أفلا تخافون عقوبةَ الله الذي هو ربكم وخالقكم إن عبدتم غيرَه؟!

٢٤- ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي أشرافُهم لعوامهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يأكلُ ويشرب ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ يطلبُ الفضلَ عليكم ويترأسُ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إرسالَ رسولٍ ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ لأرسل ملائكة ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ بإرسال بشرٍ رسولًا، والعجبُ منهم أنهم رضُوا بالأُلوهية للحجر ولم يرضَوا بالنبوة للبشر ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [في القرون الماضية].

٢٥- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ جنون ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ فانتظروا واصبروا عليه إلى زمانٍ حتى ينجليَ أمره، فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه.

٢٦- ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ فلمَّا أَيِسَ من إيمانهم دعا الله بالانتقام منهم، والمعنى: أَهلِكْهم بسبب تكذيبهم إيايَ إذ في نصرته إهلاكُهم.

٢٧- ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ أَجَبْنا دعاءه فأوحينا إليه ﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بحفظنا لئلا يُتَعرضَ لك ولا يُفْسِدَ عليك مُفْسِدٌ عَمَلَك. ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا وتعليمنا إياكَ صَنعتَها ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ أي عذابُنا بأمرنا ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ فارَ الماء من تَنُّور الخبز، روي أنه قيل لنوح:

﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾

إذا رأيت الماء يفور من التنّور فاركب أنت ومن معك في السفينة، فلما نبعَ الماء من التنور أخبرته امرأته فركب، وكان تنّورَ ءادمَ فصار إلى نوح، وكان من حجارة ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ فأَدخِلْ في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ من كل [ذكر وأنثى من الحيوانات ذكرًا وأنثى] كالجمل والناقة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ ونساءَك وأولادَك ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ مِن الله بإهلاكه، وهو ابنُه وإحدى زوجتيه ﴿مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ولا تسألني نجاة الذين كفروا فإني أغرقهم.

٢٨- ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ فإذا تمكنتم عليها راكبين ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ أُمِرَ بالحمد على هلاكهم والنجاةِ منهم.

٢٩- ﴿وَقُل﴾ حين ركبت على السفينة: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا﴾ إنزالًا، أو موضع إنزال، أي: مكانًا ﴿مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ والبركة في السفينة: النجاة فيها، وبعد الخروج منها: كثرةُ النسل وتتابعُ الخيرات.

٣٠- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما فُعِل بنوح وقومه ﴿لَآيَاتٍ﴾ لعِبَرًا ومواعظ ﴿وَإِن﴾ وإنَّ الشأن والقصة ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ لمصيبين قوم نوح ببلاءٍ عظيمٍ وعقابٍ شديدٍ.

٣١- ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾ خلقنا ﴿مِن بَعْدِهِمْ﴾ من بعد قوم نوح ﴿قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ هم عادٌ قومُ هودٍ، ويشهد له قول هودٍ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الأعراف]، ومجيءُ قصة هودٍ على إثر قصة نوحٍ في الأعراف وهودٍ والشعراء.

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن
قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ
مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا
لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا
تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾

٣٢- ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا﴾ هو هودٌ عليه السلام ﴿مِّنْهُمْ﴾ من قومهم ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله.

٣٣- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ ونعَّمْناهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بكثرة الأموال والأولاد ﴿مَا هَٰذَآ﴾ النبيُّ ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ منه، أي من أين يدَّعي رسالة الله من بينكم وهو مثلكم؟

٣٤- ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيما يأمُركم به وينهاكم عنه ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ بالانقياد لمثلكم، ومن حُمقِهم أنهم أَبَوا اتّباعَ مثلِهم، وعبدوا أعجزَ منهم.

٣٥- ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب؟

٣٦- ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ من العذاب، أو من البعث.

٣٧- ﴿إِنْ هِىَ﴾ إنِ الحياةُ ﴿حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ المعنى: لا حياةَ إلا هذه الحياةُ التي نحن فيها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يموتُ بعضٌ ويُولدُ بعض، ينقرض قَرنٌ ويأتي قرن ءاخرُ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ بعد الموت.

٣٨- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ما هو إلا مفترٍ على الله

﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾

فيما يدَّعيه من استنبائه وفيما يَعِدُنا من البعث ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ بمصدِّقين.

٣٩- ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾ فأجابَ اللهُ دعاءَ الرسول بقوله:

٤٠- ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ إذا عاينوا ما يَحُلُّ بهم.

٤١- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صيحةُ جبريلَ، صاح عليهم فدمَّرهم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل من الله ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ شبَّههم في دمارهم بالغُثاء، وهو حَميلُ[1] السَّيلِ مما بَلِيَ واسودَّ من الورق والعِيدان ﴿فَبُعْدًا﴾ فهلاكًا ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ بيانٌ لمن دُعِيَ عليه بالبعد.

٤٢- ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ قومَ صالحٍ ولوطٍ وشعيبٍ وغيرِهم.

٤٣- ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي ما تسبق أُمةٌ ﴿أَجَلَهَا﴾ المكتوبَ لها، أو الوقتَ الذي حُدَّ لهلاكها وكُتِبَ ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ لا يتأخرون عنه.

٤٤- ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ متتابعين واحدًا بعدَ واحد ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا﴾ الأُممَ والقرونَ ﴿بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أخبارًا يُسمَع بها ويُتعجَّب منها ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٤٥- ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التِّسْعِ ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ وحُجةٍ ظاهرةٍ.

---

(١) أي: ما يَحمِلُه السيلُ.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا
عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ
كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾

٤٦- ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ امتنعوا عن قبول الإيمان ترفُّعًا وتكبُّرًا ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾ متكبرين مترفعين.

٤٧- ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [في ادِّعاء الرسالة من الله في وجوب الانقياد لهما علينا] ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ بنو إسرائيل ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ خاضعون مطيعون.

٤٨- ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ بالغرق.

٤٩- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾ أي قومَ موسى ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراةَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يعملون بشرائعها ومواعظها.

٥٠- ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ تدلُّ على قدرتنا على ما نشاء، لأنه خُلق من غير نُطفةٍ، ووُحِّد لأن الأعجوبة فيهما واحدة ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾ جعلنا مأواهما أي منزلَهما ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ أرضٍ مرتفعةٍ وهي بيتُ المقدس ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستقرٍّ من أرضٍ مستويةٍ منبسطةٍ، أو ذات ثمارٍ وماءٍ ﴿وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ وماءٍ ظاهرٍ جارٍ على وجه الأرض.

٥١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ المعنى الإعلامُ بأنَّ كلَّ رسولٍ في زمانه نوديَ بذلك ووُصِّيَ به، ليعتقدَ السامعُ أنَّ أمرًا نوديَ له جميعُ الرسل ووُصُّوا به حقيقٌ[1] أن يؤخذ به ويُعملَ عليه، والمراد بالطيبات ما حَلَّ ﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ موافقًا للشريعة ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ فأُجازيكم على أعمالكم.

٥٢- ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ ملَّتكم وشريعتكم التي أنتم عليها ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾

---

(١) أي: جَديرٌ.

﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾

وهي شريعة الإسلام، والمعنى: وإن الدينَ دينٌ واحد وهو الإسلام ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾ وحدي ﴿فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾ فخافوا عقابي في مخالفتكم أمري.

٥٣- ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ قطَّعوا أمرَ دينهم ﴿زُبُرًا﴾ جمعُ زَبورٍ أي كُتبًا مختلفةً، يعني جعلوا دينَهم أديانًا ﴿كُلُّ حِزْبِۭ﴾ كلُّ فرقةٍ من فِرَق هؤلاء المختلفين المتقطِّعين دينَهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من الكتاب والدّين، أو من الهوى والرأي ﴿فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ مسرورون معتقدون أنهم على الحق.

٥٤- ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ جهالتِهم وغَفلتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤﴾ إلى أن يُقتلوا أو يموتوا.

٥٥- ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥﴾ [أيحسَبون أنَّ الذي نعطيهم في الدنيا من المال والأولاد هو ثواب لهم].

٥٦- ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ المعنى أنَّ هذا الإمداد ليس إلا استدراجًا لهم إلى المعاصي، وهم يحسَبونه مسارعةً لهم في الخيرات ومعاجلةً بالثواب جزاءً على حُسن صنيعهم ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾ أي أنهم أشباهُ البهائم لا شعورَ لهم حتى يتأملوا في ذلك أنه استدراجٌ أو مسارعة في الخير. ثم بيَّنَ ذِكرَ أوليائه فقال:

٥٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧﴾ خائفون.

٥٨- ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨﴾ أي بكُتب الله كلِّها لا يُفرِّقون بين كتبه كالذين تقطَّعوا أمرَهم بينهم، وهم أهلُ الكتاب.

٥٩- ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ كمُشركي العرب.

٦٠- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ يُعطُون ما أَعطَوا من الزكاة والصدقات،

﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا
نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ
هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ
يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفةٌ ألّا تُقبلَ منهم لتقصيرهم ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [لأن مرجعهم إليه].

٦١- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يرغبون في الطاعات فيبادِرُونها ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ لأجل الخيرات [التي فعلوها] سابقون إلى الجنات، أو لأجلها سبقوا الناس.

٦٢- ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتَها، يعني أنَّ الذي وُصف به الصالحون غيرُ خارج عن حَدِّ الوُسْع والطاقة، وكذلك كلُّ ما كلَّفَه عباده ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ أي اللوحُ ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ لا يَقرأونَ منه يومَ القيامة إلا ما هو صدق وعدل، لا زيادةَ فيه ولا نقصانَ، ولا يُظلم منهم أحد بزيادة عقابٍ أو نقصانِ ثوابٍ أو بتكليف ما لا وُسع له به.

٦٣- ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [ليس تركُ الكفرةِ الإيمانَ لقصور في البيان لكن قلوبهم] في غفلةٍ غامرةٍ لها [لِلْحَمِيَّة الجاهلية وإِلفِ التقليد وترك التدبر] مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ وعليها مقيمون لا يُفطَمون عنها حتى يأخذَهم الله بالعذاب.

٦٤- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ متنعِّميهم ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ عذاب الدنيا، وهو القحط سبعَ سنين حين دعا عليهم النبيُّ عليه الصلاة والسلام، أو قتلُهم يوم بدرٍ ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ يَصرُخون استغاثةً، فيقال لهم:

﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ٦٥ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ
تَنكِصُونَ ٦٦ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ٦٧ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ﴾

٦٥- ﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ فإنَّ الجُؤَارَ[١] غيرُ نافعٍ لكم ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ٦٥﴾ لا يلحقُكم نصرٌ ومَعونة [مِنّا، ولا مانعَ لكم من عذابنا].

٦٦- ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي القرءان ﴿فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ٦٦﴾ ترجعون القَهْقَرى.

٦٧- ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ﴾ متكبِّرين على المسلمين بالبيت، أو بالحرم، لأنهم يقولون: لا يظهر علينا أحد لأنَّا أهل الحرم، والذي سوَّغ هذا الإضمار شُهرتهم بالاستكبار بالبيت ﴿سَٰمِرٗا﴾ تَسْمُرون بذكر القرءان وبالطعن فيه، وكانوا يجتمعون حول البيت يَسْمُرون، وكانت عامةُ سَمَرِهم[٢] ذكرَ القرءان وتسميته شعرًا وسحرًا ﴿تَهۡجُرُونَ ٦٧﴾ هو من الهُجرِ: الهَذَيان.

٦٨- ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ أفلم يتدبَّروا القرءان ليعلموا أنه الحقُّ المبين فيصدِّقوا به وبمن جاء به ﴿أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨﴾ بل أجاءهم ما لم يأت ءاباءَهم الأولين، فلذلك أنكروه واستبدعوه؟! [وهو توبيخ لهم بلفظ الاستفهام].

٦٩- ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ﴾ محمدًا بالصدق والأمانة، ووفور العقل وصحة النسب، وحُسن الأخلاق؟! أي عرفوه بهذه الصفات ﴿فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩﴾ بغيًا وحسدًا.

٧٠- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ﴾ جنونٌ؟! وليس كذلك، لأنهم يعلمون أنه

---

(١) الجُؤارُ: مِثلُ الخُوار، جأرَ الثور والبقرةُ يَجأرُ جُؤارًا صاحا.
(٢) الحديث بالليل يقال له: سَمَرٌ وأسمار.

﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا
فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾

أرجَحُهم عقلًا وأثقبُهم ذهنًا ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ الأَبلَجِ[1] والصراط المستقيم، وبما خالف شهواتِهم وأهواءَهم، وهو التوحيد والإسلام، ولم يجدوا له مَرَدًّا ولا مَدْفعًا، فلذلك نسبوه إلى الجنون ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ فيه دليل على أنَّ أقلَّهم ما كان كارهًا للحقّ، بل كان تاركًا للإيمان به أَنَفَةً واستنكافًا من توبيخ قومِه، وأن يقولوا: صَبَأَ وترك دينَ ءابائه كأَبي طالب.

٧١- ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ﴾ أي الله ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾ فيما يعتقدون من الآلهة ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأنبياء] ﴿وَمَن فِيهِنَّ ۚ﴾ خصَّ العقلاءَ بالذكر لأنَّ غيرهم تَبَعٌ ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ بالكتاب الذي هو ذِكرُهم، أي وعظُهم، أو شَرَفُهم، لأنَّ الرسولَ منهم والقرءانَ بلغتهم ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ بسوءِ اختيارِهم.

٧٢- ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ وهو ما تُخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك، وإلى كلّ عاملٍ من أجرته وجُعله ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ﴾ والخَرجُ أَخصُّ من الخَراج، تقول: خَرَاجُ القرية وخَرْجُ الكُردَةِ[2]، يعني أم تسألهم على هدياتك لهم قليلًا من عطاء الخلق؟! فالكثير من الخالق خير ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أفضل المُعطين.

٧٣- ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ وهو دينُ الإسلام، فحقيقٌ أن يستجيبوا لك.

---

(١) الأبلجُ: المضيءُ.
(٢) الكُرْدَةُ: المزرعة.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤ ۞وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم
مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا
يَتَضَرَّعُونَ ٧٦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧﴾

٧٤- ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤﴾ لعادلون عن هذا الصراط المذكور، وهو الصراط المستقيم.

٧٥- ﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ﴾ لَمَّا أخذَهم اللهُ بالسنين حتى أكلوا العِلْهِزَ[١]، جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال له: أَنشُدُكَ اللهَ والرَّحِم، ألست تزعُم أنك بُعثتَ رحمةً للعالمين؟ فقال: «**بلى**»، فقال: قتلتَ الآباءَ بالسيف والأبناء بالجوع، فنزلت الآية، والمعنى: لو كشفَ اللهُ عنهم هذا الضُّرَّ وهو القحطُ الذي أصابهم برحمته لهم ووجدوا الخِصْبَ ﴿لَّلَجُّواْ﴾ لتمادَوا ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥﴾ يترددون، يعني لعادُوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله ﷺ والمؤمنين ولذهب عنهم هذا التملُّق[٢] بين يديه.

٧٦- ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦﴾ استشهدَ على ذلك بأنَّا أخذناهم أولًا بالسيوف، وبما جرى عليهم يومَ بدرٍ من قتلِ صناديدهم وأَسْرِهم، فما وُجدت بعد ذلك منهم استكانةٌ، أي خضوع ولا تضرع.

٧٧- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ أي بابَ الجوع الذي هو أشدُّ من الأسر والقتل ﴿إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧﴾ متحيّرون ءايسون من كلِّ خير، وجاء أعتاهم وأشدُّهم شَكِيمةً[٣] في العناد ليستعطفك.

---

(١) العِلْهِزُ: طعام من الدم والوبر كان يتخذ في سِني المجاعة.
(٢) التَّملُّقُ: المبالغةُ في التودُّد.
(٣) يقال: فلان شديد الشَّكيمةِ: إذا كان شديد النفس لا ينقاد.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

٧٨- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ﴾ خصَّها بالذكر لأنها يَتعلَّق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلَّق بغيرها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ المعنى أنكم لم تعرفوا عِظَمَ هذه النعم وضيَّعتموها عن مواضعها، فلم تُعمِلوا أبصارَكم وأسماعكم في ءايات الله وأفعاله، ولم تستدلُّوا بقلوبكم، فتعرفوا المُنعِم ولم تشكروا له شيئًا، [أي لا تشكرون له أصلًا، تقول العرب: هذه أرض قلَّما تُنبت، أي لا تُنبت أصلًا].

٧٩- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم وبثَّكم[1] بالتناسل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ تُجمعون يوم القيامة بعد تفرُّقكم.

٨٠- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ يحيي النَّسَمَ بالإنشاء ويُميتها بالإفناء ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ﴾ مَجيءُ أحدهما عقيبَ الآخر ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ فتعرفوا قدرتَنا على البعث، أو فتستدلُّوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا.

٨١- ﴿بَلْ قَالُوا۟﴾ أي أهل مكة ﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾﴾ أي الكفارُ قبلَهم. ثم بيَّن ما قالوا بقوله:

٨٢- ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ [بالية] ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [من قبورنا أحياءً كهيئتنا قبل الممات].

٨٣- ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ البعثَ ﴿مِن قَبْلُ﴾ [من قبلِ] مجيء محمدٍ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ وهي ما كتبه الأوَّلون مما لا حقيقة له.

---

(١) بثَّكم: نشَرَكم.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾

ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بإقامة الحجة على المشركين، بقوله:

٨٤- ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ فإنهم:

٨٥- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ لأنهم مُقِرُّون بأنه الخالقُ، فإذا قالوا ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ فتعلَموا أنَّ مَن فَطَرَ الأرضَ ومَن فيها كان قادرًا على إعادة الخلق، وكان حقيقًا بألّا يُشرَكَ به بعضُ خلقه في الربوبية.

٨٦- ٨٧- ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿٨٧﴾﴾ [أي هذه الأشياء لله] ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ أفلا تخافونه فلا تشركوا به [وتُقِرّوا بقدرته على البعث] مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الأشياء.

٨٨- ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ الملكوتُ: المُلك، والواو والتاء للمبالغة فتُنبِىءُ عن عِظَم المُلك ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ وهو يُغيثُ مَن يشاء ممن يشاء، ولا يُغيثُ أحدٌ منه أحدًا.

٨٩- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [أي لله قدرةُ ذلك ومُلكُ ذلك] ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ تُخدَعون عن الحق، والخادع هو الشيطان والهَوَى.

٩٠- ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بأنَّ نسبةَ الولد إليه محالٌ والشركَ باطلٌ ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ في قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿١١٦﴾﴾ [سورة البقرة] وادعائهم الشريكَ. ثم أكَّد كذبهم بقوله:

٩١- ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ لأنه منزَّه عن النوع والجنس، وولدُ

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا
يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ
لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾

الرجل من جنسه ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ﴾ وليس معه شريك في الألوهية ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [أي ولو كان معه ءالهةٌ] لانفردَ كلُّ واحدٍ من الآلهة بالذي خلقه واستبدَّ به، ولتميَّز مِلك كلّ واحدٍ منهم عن الآخر ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ ولغلبَ بعضُهم بعضًا، كما ترون حالَ ملوكِ الدنيا، ممالِكُهم متمايزةٌ وهم متغالبون، وحين لم تروا أثرًا لِتمايز الممالك وللتغالب، فاعلموا أنه إلٰه واحد بيده ملكوت كلِّ شيء ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ من الأنداد والأولاد.

٩٢- ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ السِّرِّ والعلانية ﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ من الأصنام وغيرِها.

٩٣- ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ إن كان لا بدَّ من أن تُريني ما تَعِدُهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة.

٩٤- ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ فلا تجعلني قرينًا لهم ولا تعذبني بعذابهم، ويجوز أن يسأل النبيُّ المعصوم ربَّه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهارًا للعبودية وتواضعًا لربه.

٩٥- ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ كانوا ينكرون الموعدَ بالعذاب ويضحكون منه، [فأخبر تعالى أنه قادر على تعجيل العذاب لهم كما كانوا يطلبون ذلك ولكن تأخيره لأجل يستوفونه].

٩٦- ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي﴾ بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ كأنه قال ادفع بالحسنة السيئةَ، والمعنى الصَّفْحُ عن إساءتهم ومقابلتُها بما أمكنَ من الإحسان ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ من الشرك، أو بوصفهم لك

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾

وسوء ذكرهم فسنجازيهم عليه.

٩٧- ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ من وَساوِسهم ونَخساتِهم[(١)].

٩٨- ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ أُمِرَ بالتعوذ من نَخساتهم بلفظ المبتهِل إلى ربِّه المُكرِّر لندائه، وبالتعوُّذ من أن يحضروا أصلًا، أو عند تلاوة القرءان، أو عند النزع.

٩٩- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي لا يزالون يُشركون إلى وقت مجيء الموت ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ رُدُّوني إلى الدنيا، خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم.

١٠٠- ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ في الدنيا، لأنه ترك الدنيا وصار إلى العُقبى، قال قتادة: ما تمنَّى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولكن ليتدارك ما فَرَّط. ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ المراد بالكلمة قوله: رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت ﴿هُوَ قَآئِلُهَا﴾ لاستيلاء الحسرة والندم عليه [لا فائدة له فيها] ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي أمامِهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ لم يُرد أنهم يرجعون يوم البعث، وإنما هو إقناطٌ كُلِّيٌّ لِما عُلِمَ أن لا رجوع بعد البعث إلا إلى الآخرة.

١٠١- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ النفخة الثانية ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يقعُ التقاطع بينهم حيث يتفرَّقون مُثَابِينَ ومعاقَبين، ولا يكون

---

(١) نَخساتِهم: غَمَزاتِهم وطَعَناتهم.

﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾

التواصلُ بينهم بالأنساب؛ إذ يَفِرُّ المرءُ من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، وإنما يكون بالأعمال ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ سؤالَ تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا، لأنَّ كلًّا مشغولٌ عن سؤال صاحبه بحاله، ولا تناقضَ بين هذا وبين قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧﴾ [سورة الصافات] فللقيامة مواطنُ، ففي موطنٍ يشتدُّ عليهم الخوف فلا يتساءلون، وفي موطنٍ يُفيقون فيتساءلون.

١٠٢- ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ هي الموزونات من الأعمال الصالحة التي لها وزن وقَدْر عند الله تعالى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٢﴾ [الفائزون الخالدون في جنات النعيم].

١٠٣- ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيئات، والمراد الكفار ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ غَبَنُوها [حظوظَها من رحمة الله وباعوها بعَرَضٍ من الدنيا يسير] ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾.

١٠٤- ﴿تَلْفَحُ﴾ تُحرِقُ ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ عابسون، فيقال لهم:

١٠٥- ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي﴾ أي القرءانُ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾ وتزعُمون أنها ليست من الله تعالى.

١٠٦- ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ مَلَكَتْنا ﴿شِقْوَتُنَا﴾ شقاوتُنا، أي شَقِينا بأعمالنا السيئة التي عملناها ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ١٠٦﴾ عن الحق والصواب.

١٠٧- ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ من النار ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى الكفر والتكذيب ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ لأنفسنا.

﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا
وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ
تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ
أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾

١٠٨- ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾ اسكتوا سكوت ذِلَّةٍ وهَوانٍ ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ في رَفع العذاب عنكم، فإنه لا يُرفعُ ولا يخفَّف.

١٠٩- ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الأمر والشأن ﴿كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ قيل: هم الصحابة رضي الله عنهم، وقيل: أهل الصُّفَّةِ خاصةً.

١١٠- ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ اتخذتموهم هُزؤًا، وتشاغلتم بهم ساخرين ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ فتركتموه، أي كان التشاغل بهم سببًا لنسيانكم ذِكري ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ استهزاءً بهم.

١١١- ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ بصبرهم ﴿أَنَّهُمۡ﴾ لأنهم ﴿هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ لا أنتم.

١١٢- ﴿قَٰلَ﴾ الله، أو المأمور بسؤالهم من الملائكة: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ في الدنيا ﴿عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ كم عددَ سنينَ لبثتُم.

١١٣- ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ استقصروا مدة لَبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم، ولِمَا هم فيه من عذابها، ولأن الممتَحَنَ يستطيل أيام مِحنته ويستقصر ما مرَّ عليه من أيام الدَّعَة ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ الحُسَّابَ، أو الملائكة الذين يَعُدُّون أعمارَ العباد وأعمالَهم.

١١٤- ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ﴾ ما لبثتم إلا زمنًا قليلًا ﴿لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ صَدَّقهم الله تعالى في تَقالِّهم لسِني لَبثهم في الدنيا، ووبَّخهم على غفلتهم التي كانوا عليها.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا
حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ
الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

١١٥- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي للعبث ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ ولنترككُم غيرَ مرجوعين، بل خلقناكم للتكليف، ثم للرجوع من دار التكليف إلى دار الجزاء، فنثيبُ المحسِنَ ونعاقِبُ المسيء.

١١٦- ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عن أن يخلق عبثًا ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ الذي يحِقُّ له المُلك لأنَّ كلَّ شيءٍ منه وإليه، أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول مُلكه ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ وصفَ العرشَ بالكَرَم لأنَّ الرحمةَ تنزلُ منه.

١١٧- ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ﴾ لا حجةَ ﴿لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ﴾ أي جزاؤه ﴿عِندَ رَبِّهِ﴾ فهو يجازيه لا محالة ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ جعلَ فاتحةَ السورةِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ وخاتمتها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ فشَتّان ما بين الفاتحة والخاتمة. ثم علَّمنا سؤالَ المغفرة والرحمة بقوله:

١١٨- ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ ثم قال: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ لأنَّ رحمتَه إذا أدركت أحدًا أَغنته عن رحمةِ غيره، ورحمةُ غيره لا تغنيه عن رحمته.

سورة النور
مدنية وهي ستون وأربع ءايات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿سُورَةٌ﴾ أي هذه سورة ﴿أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا﴾ فرضنا أحكامها التي فيها ﴿وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ﴾ دلائلَ واضحاتٍ ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١﴾ لكي تتعظوا. ثم فصَّل أحكامها فقال:

٢- ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ أي فيما فُرض عليكم الزانيةُ والزاني أي جَلدُهما ﴿فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ الجَلْدُ: ضَربُ الجِلد، وفيه إشارة إلى أنه لا يبالَغُ ليصلَ الألمُ إلى اللحم، والخطاب للأئمة، لأنَّ إقامة الحدِّ من الدين، وهي على الكل إلا أنهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الإمام منابهم، وهذا حكم حُرٍّ ليس بمحصَن، إذ حكم المحصن الرَّجمُ، وشرائط إحصان الرجم: الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والتزوُّج بنكاح صحيح والدخول ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ﴾ أي رحمة، والمعنى أنَّ الواجب على المؤمنين أن يتصلَّبوا في دين الله ولا يأخذهم اللين في استيفاء حدوده فيعطِّلوا الحدود أو يخفِّفوا الضرب ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ في طاعة الله، أو حُكمه ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ من باب

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾

التهييج[١] وإلهاب الغضب لله ولدينه ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ وليحضُرْ موضعَ حدِّهما، وتسميتُه عذابًا دليل على أنه عقوبة ﴿طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ فرقة من المصدِّقين بالله يمكن أن تكون حَلْقةً ليعتبروا وينزجرَ [الزاني].

٣- ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي الخبيث الذي مِن شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصَّوالح من النساء، وإنما يَرغب في خبيثةٍ من شَكله أو في مشركةٍ، والخبيثةُ المُسافِحَةُ[٢] كذلك لا يَرغب في نكاحها الصلحاءُ من الرجال، وإنما يَرغب فيها مَن هو مِن شكلها من الفَسَقة أو المشركين، فالآية تزهيدٌ في نكاح البغايا إذ الزنا عديلُ الشرك في القبح[٣]، والإيمانُ قرين العفاف والتحصُّن، وقيل: كان نكاح الزانية محرمًا في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ ۝٣٢﴾ [سورة النور] [فإنه يتناول المسافحات لأن الأيامى جمعُ أَيِّم وهو مَن لا زوجَ له رجلًا أو امرأةً، بكرًا كان أو ثَيِّبًا] ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ أي الزنا أو نكاح البغايا لقصد التكسُّب بالزنا[٤] أو لِمَا فيه مِنَ التشبيه بالفُسَّاق، وحضور مواقع التّهمة، والتسبب بسوء القالة فيه والغيبة، ومجالسة الخطَّائين كم فيها مِنَ التعرض لاقتراف الآثام، فكيف بمزاوجة الزواني والقِحَابِ[٥].

---

(١) التهييج: التحريك.
(٢) المُسافِحَة: الزانية.
(٣) أي: مُشارِكٌ له في القُبح لا أنه مُساوٍ له، لأن الشركَ والكفرَ بأنواعه لا يساويه ذنب من الذنوب مهما عظمت.
(٤) أي من المال الذي تكتسبه الزوجة الزانية بالزنا.
(٥) القِحاب: جمع القَحبة، وهي المرأة البَغِيُّ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾

٤- ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ يقذفون بالزنا الحرائرَ والعفائف المسلماتِ المكلَّفات ﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ شهودٍ يشهدون على الزنا، وشروط إحصان القذف: الحريةُ والعقل والبلوغ والإسلام والعِفَّةُ عن الزنا، والمحصَن كالمحصَنة في وجوب حدّ القذف ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾ إن كان القاذف حرًّا ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ﴾ نكَّرَ ﴿شَهَٰدَةً﴾ فتعمُّ كلَّ شهادة، وردُّ الشهادة من الحدّ عندنا[١]، وعند الشافعي رحمه الله تعالى يتعلق ردُّ شهادته بنفس القذف ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ حكايةُ حالِ الرامِين عند الله تعالى.

٥- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ القذفِ ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ أحوالَهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾﴾ يغفر ذنوبَهم ويرحمُهم.

ولمَّا ذكر حُكمَ قذفِ الأجنبيات بيَّنَ حُكمَ قذفِ الزوجات فقال:

٦- ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ يقذفون زوجاتِهم بالزنا ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ﴾ على تصديق قولهم ﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ فيما رماها به من الزنا.

٧- ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ﴾ والشهادة الخامسة ﴿أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾﴾ فيما رماها به من الزنا.

٨- ﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾ ويدفعُ عنها الحبسَ[٢] [والجبرَ على اللعان،

---

(١) عند الحنفية.

(٢) هذا عند الحنفية، أما عند الإمام الشافعي رضي الله عنه: ﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾ أي الحدَّ=

﴿أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ⁽٨⁾ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ⁽٩⁾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ⁽١٠⁾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾

فإنها إن امتنعت عن اللعان حبست وأجبرت عليه حقًّا للزوج] ﴿أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ﴾ إنَّ الزوجَ ﴿لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ⁽٨⁾﴾ فيما رماني به من الزنا.

٩- ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ﴾ أي الــزوجُ ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ⁽٩⁾﴾ فيما رماني به من الزنا.

١٠- ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ تفضُّله ﴿عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ نِعمتُه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ⁽١٠⁾﴾ لفَضَحَكم أو لعاجَلَكم بالعقوبة.

١١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، والمراد ما أُفِك به على عائشةَ رضي الله عنها، قالت عائشة: فقدتُ عِقدًا في غزوة بني المصطلق، فتخلفتُ، ولم يُعرف خُلوُّ الهَودج لخِفَّتي، فلمَّا ارتحلوا أناخ لي صفوانُ بن المُعَطَّل[1] بعيرَه وساقه حتى أتاهم بعدما نزلوا، فهلَكَ فِيَّ مَن هلك، فاعتللتُ شهرًا، وكان عليه الصلاة والسلام يسأل: «**كيف أنتِ؟**»، ولا أرى منه لطفًا كنت أراه، حتى عَثَرَت خالةُ أبي أمُّ مِسْطَحٍ[2]، فقالت: تَعِسَ مِسطَحٌ، فأنكرتُ عليها فأخبرتني بالإفك، فلما سمعتُ ازددت مرضًا وبتُّ عند أبَويَّ لا يَرقأُ لي دمعٌ وما أكتحل بنوم، وهما يَظنّان أن الدمع فالقُ كبدي، حتى

= كما قال تعالى: ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ﴾، فعنده أيهما نكل حُدَّ، لأن قذف الرجل موجب للحد عليه، ويُسقطه عنه اللعان، ولعان الزوج موجب للحد عليها، ولعانها يُسقطه عنها.

(١) صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني كان على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من المتاع، قتل شهيدًا في زمن معاوية.

(٢) خالة أبي بكر الصديق.

﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ
وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ
خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾

قال عليه الصلاة والسلام: «**أَبشري يا حُمَيراءُ فقدْ أنزلَ اللهُ براءتَكِ**»(١) ﴿عُصْبَةٌ﴾ جماعة من العشرة إلى الأربعين، وهم: عبد الله بن أُبَيّ رأسُ النفاق وزيدُ بنُ رِفاعَةَ وحسانُ بن ثابتٍ ومِسطَحُ بن أُثاثةَ وحَمنَةُ بنتُ جحشٍ ومَن ساعَدَهم ﴿مِّنكُمْ﴾ من جماعة المسلمين، وهم ظنوا أنَّ الإفك وقع مِن الكفار دون مَن كان مِن المؤمنين ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أي الإفك ﴿شَرًّا لَّكُم﴾ عندَ الله ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأنَّ الله أثابكم عليه، وأنزلَ في البراءة منه ثمانيَ عشرةَ ءايةً، والخطاب لرسول الله ﷺ وأبي بكرٍ وعائشة وصفوانَ ومن ساءَه ذلك من المؤمنين ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ أي على كل امرئٍ من العُصبة جزاءُ إثمِهِ على مقدار خوضه فيه، وكان بعضهم ضَحِكَ، وبعضُهم تكلَّم فيه، وبعضهم سكت ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ عُظْمَه عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ ﴿مِنْهُمْ﴾ من العُصبة ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ أي جهنم.

ثم وَبَّخَ الخائضين فقال:

١٢- ﴿لَّوْلَآ﴾ هلَّا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي الإفكَ ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ بالذين منهم، فالمؤمنون كنفسٍ واحدة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴿١١﴾﴾ [سورة الحجرات] ﴿خَيْرًا﴾ عفافًا وصلاحًا ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ كذب ظاهر لا يليق بهما.

١٣- ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ هلَّا جاؤوا على القذف لو كانوا صادقين بأربعة شهداء ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾ الأربعةِ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في حُكمه وشريعته ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ أي القاذفون، لأن الله

---

(١) حديث الإفك رواه الشيخان في صحيحيهما وغيرهما.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَـٰخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ﴾

تعالى جعل التَّفصِلَة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوتَ شهادة الشهود الأربعة وانتفاءَها، والذين رمَوا عائشة رضيَ عنها لم يكن لهم بيّنة على قولهم فكانوا كاذبين.

١٤- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَـٰخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ ولولا أني قضيت أن أَتفضَّلَ عليكم في الدنيا بضروب النِّعَم التي مِن جملتها الإمهالُ للتوبة، وأن أترحَّم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة، لعاجلتُكم بالعقاب على ما خُضتم فيه من حديث الإفك.

١٥- ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ يأخذه بعضُكم من بعضٍ ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي أن بعضَكم كان يقول لبعضٍ: هل بلغك حديثُ عائشة؟ حتى شاع فيما بينهم وانتشر، فلم يبقَ بيتٌ ولا نادٍ[1] إلا طار فيه ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ إنما قيَّده بالأفواه مع أنَّ القول لا يكون إلا بالفم، لأنَّ الشيء المعلوم يكون عِلمُه في القلب ثم يُتَرجِمُ عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولًا يدور في أفواهكم من غير ترجمةٍ عن عِلم به في القلب ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ﴾ أي خوضكم في عائشة رضي الله عنها ﴿هَيِّنًا﴾ صغيرةً ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ كبيرةٌ.

١٦- ﴿وَلَوْلَآ﴾ وهلَّا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا﴾ هلَّا قلتم إذ سمعتم الإفك: ما يصحُّ لنا أن نتكلَّم بهذا ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ للتعجب من عِظَم الأمر، ومعنى التعجب في كلمة التسبيح أنَّ الأصلَ أن يُسبَّحَ اللهُ عند رؤية العجيب من صنائعه، ثم كَثُرَ حتى استُعمل في كل متعجَّب

---

(١) النادي: مكان اجتماع الناس للحديث.

﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ
ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٩﴾

منه، أو لتنزيهِ الله من أن تكون حُرمَةُ[1] نبيّه فاجرةً، وإنما جاز أن تكون امرأة النبي كافرةً كامرأة نوح ولوطٍ ولم يجز أن تكون فاجرةً لأنَّ النبيَّ مبعوث إلى الكفار ليدعوَهم، فيجب ألّا يكونَ معه ما يُنَفِّرهم عنه والكفر غير مُنفِّر عندهم، وأما الكَشْخَنَةُ[2] فَمِن أعظم المنفرات ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ١٦﴾ زُورٌ [شنيعٌ يَبْهَتُ سامعَه لفظاعته]، وذكر فيما تقدَّم ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ ويجوز أن يكونوا أُمروا بهما مبالغة في التَّبرِّي.

١٧- ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟﴾ في أن تعودوا ﴿لِمِثْلِهِۦٓ﴾ لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه ﴿أَبَدًا﴾ ما دمتم أحياءً مكلَّفين ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧﴾ فيه تهييجٌ لهم ليتَّعظوا وتذكيرٌ بما يوجب ترك العَود، وهو الإيمان الصادُّ عن كلِّ قبيح.

١٨- ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ﴾ الدلالاتِ الواضحاتِ أو أحكامَ الشرائعِ والآدابَ الجميلةَ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكم وبأعمالكم ﴿حَكِيمٌ ١٨﴾ يَجزي على وَفق أعمالكم، أو عَلِمَ صِدقَ نزاهتِها وحَكَمَ ببراءتها.

١٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي يُشيعون الفاحشةَ عن قَصدٍ من الإشاعة، ومحبةً لها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالحَدِّ، ولقد ضربَ النبيُّ ﷺ ابنَ أُبيّ وحَسّانًا ومِسطحًا الحَدَّ ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾ بالنار وغيرِها إن لم يتوبوا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ بواطنَ الأمور وسرائرَ الصدور ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٩﴾ أنه قد عَلِمَ مَحبةَ مَن أحبَّ الإشاعة وهو معاقِبٌ عليها.

---

(١) الحُرمة: الزوجة.
(٢) الكَشْخَنَةُ: الدياثة وعدم الغيرة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا
تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا
يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ
وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

٢٠- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ لعجَّلَ لكم العذابَ، وكرَّر المِنَّة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغةً في المنَّة عليهم والتوبيخ لهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ﴾ حيث أظهرَ براءةَ المقذوفِ وأَثابَ ﴿رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ بغفرانه جِنايةَ القاذف إذا تاب.

٢١- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ ءاثاره ووساوسه بالإصغاء إلى الإفك والقولِ فيه ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾ فإنَّ الشيطانَ ﴿يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ ما أَفرَطَ قُبْحُه ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ ما تُنكره النفوسُ فتنفِرُ عنه ولا ترتضيه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ ولولا أنَّ الله تفضَّلَ عليكم بالتوبة المُمَحِّصَة[1] لَمَا طَهُرَ منكم أَحدٌ ءاخِرَ الدهر مِن دَنَس إثم الإفك ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ يُطهِّر التائبين بقبول توبتهم إذا مَحَضُوها ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ بضمائرهم وإخلاصهم.

٢٢- ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ ولا يَحلِف ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ في الدِّين ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ في الدنيا ﴿أَن يُؤْتُوٓا۟﴾ لا يؤتوا ﴿أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لا يحلفوا على ألّا يُحسنوا إلى المستحقين للإحسان، وإن كانت بينهم وبينهم شَحناءُ لجناية اقترفوها ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾ العفو: الستر، والصفح: الإعراض، أي وليتجاوزوا عن الجفاء وليُعرضوا عن العقوبة ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فليفعلوا بهم ما يرجون أن يَفعلَ بهم ربُّهم مع كثرة خطاياهم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [مع

(١) أي: المُطَهِّرَة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

كمال قدرته على مجازاة الخطايا بالعقوبة، فاصفحوا وارحموا كما ترجون من الله تعالى ذلك]، نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ألّا ينفق على مِسْطَحِ ابنِ خالته لخَوضه في عائشة رضي الله عنها، وكان مسكينًا بدريًّا مهاجرًا، ولَمّا قرأها النبيُّ ﷺ على أبي بكرٍ قال: بلى أحبُّ أن يغفر الله لي، وردَّ إلى مِسطح نفقتَه.

٢٣- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ العفائفَ ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ السليماتِ الصدور النقِيّات القلوب اللاتي ليس فيهنَّ دَهاءٌ ولا مَكر لأنهن لم يُجَرِّبنَ الأمور ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ بما يجب الإيمان به، عن ابن عباس رضي الله عنهما: هنَّ أزواجُه عليه الصلاة والسلام، وقيل: هنَّ جميع المؤمنات، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقيل: أُريدت عائشةُ رضي الله عنها وحدَها، وإنما جُمع لأنَّ مَن قذف واحدةً مِن نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكأنه قذفهنَّ ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾ جَعَلَ القَذَفَةَ ملعونِينَ في الدارَين، وتوعَّدهم بالعذاب العظيم في الآخرة إن لم يتوبوا.

٢٤- ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي بما أَفكُوا أو بَهَتوا.

٢٥- ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ أي يوفيهم جزاءَهم الحقَّ الثابت الذي هم أهلُه ﴿وَيَعۡلَمُونَ﴾ عند ذلك ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضروري، [وقد غَلَّظ] اللهُ تعالى في القرءان الكريم في إفكِ عائشةَ رضي الله عنها [تغليظًا شديدًا] فأوجَزَ في ذلك وأشبَعَ وفصَّلَ وأجمَلَ وأكَّدَ وكرَّرَ.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

٢٦- ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ من القول تقالُ ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرجال والنساء ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾ منهم يتعرَّضون ﴿لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ من القول، [أي الفُسَّاق هم الذين يليق بهم الكلام الخبيث ويلصق بهم]، وكذلك ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ فيهم، وأولئك إشارة إلى الطيبين، وأنهم مبرَّؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكَلِم، وهو كلامٌ جارٍ مَجْرَى المَثَلِ لعائشة رضي الله عنها، وما رُمِيَت به من قولٍ لا يطابِق حالَها في النزاهة والطِيب ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ في الجنة، ودخل ابن عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي الله عنها في مرضها وهي خائفة من القدوم على الله تعالى فقال: لا تخافي لأنك لا تَقدَمين إلا على مغفرةٍ ورزق كريم، وتلا الآية، فغُشيَ عليها فرحًا بما تلا، وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: لقد أُعطيت تسعًا ما أُعطِيَتهنَّ امرأةٌ، نزلَ جبريلُ بصورتي[(١)] في راحته حين أُمر عليه الصلاة والسلام أن يتزوجني، وتزوجني بكرًا وما تزوج بكرًا غيري، وتوفي عليه الصلاة والسلام ورأسه في حِجري[(٢)]، وقُبِرَ في بيتي، ونزل عليه الوحي وأنا في لِحافِه، وأنا ابنةُ خليفته وصديقِه، ونزل عُذري من السماء، وخُلقتُ طَيِّبةً عند طَيِّب، وَوُعِدت مغفرة ورزقًا كريمًا. وقال حَسّانٌ معتذرًا في حقها: [الطويل]

---

(١) أي حاملًا لصورتها في راحته.

(٢) الحِجْرُ: الحِضْنُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ﴾

حَصَانٌ[(١)] رَزَانٌ[(٢)] ما تُزَنُّ بِرِيبةٍ[(٣)] وتصبحُ غَرْثَى[(٤)] مِنْ لُحومِ الغوافلِ[(٥)]

حليلةُ خيرِ الناس دينًا ومنصبًا نبيِّ الهدى والمَكْرُماتِ الفواضلِ

مُهَذَّبةٌ قد طيَّبَ اللهُ خيرَها وطهَّرها من كل شَينٍ وباطلِ

٢٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ﴾ بيوتًا لستم تملكونها ولا تسكنونها ﴿حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ والتسليم أن يقول: السلام عليكم، أأدخُلُ؟ ثلاثَ مراتٍ، فإن أُذن له وإلا رجع، وقيل: إن تلاقيا يُقدَّم التسليمُ وإلا فالاستئذان ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الاستئذانُ والتسليم ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من تحية الجاهلية والدُّمُورِ، وهو الدخول بغير إذن، كان الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيت غيره يقول: حُيِّيتم صباحًا وحُيِّيتم مساءً، ثم يدخل، فربما أصاب الرجلَ مع امرأته في لحافٍ واحد ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ قيل لكم هذا لكي تذكروا وتتعظوا ما أُمرتم به في باب الاستئذان.

٢٨- ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ﴾ في البيوت ﴿أَحَدٗا﴾ من الآذنين ﴿فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ﴾ حتى تجدوا مَن يأذنُ لكم ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ﴾ إذا كان فيها قوم فقالوا: ارجعوا ﴿فَٱرۡجِعُواْۖ﴾ ولا تُلِحُّوا في إطلاق الإذن ولا تقفوا على الأبواب، لأنَّ هذا مما يجلب الكراهة

---

(١) امرأة حَصَانٌ: عفيفة بيّنة الحصانة.
(٢) امرأة رَزَانٌ: ذات ثباتٍ ووقارٍ وعفاف.
(٣) ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ: أي لا تُتَّهم بشيء مما يُرتاب به.
(٤) الغَرَث: الجوعُ عامَّةً.
(٥) معناه هي لا تغتاب الناس فتأكل لحومهم.

﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٢٨ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝٢٩ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ
وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ
أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾

﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ﴾ أي الرجوعُ أطيب وأطهر لِمَا فيه من سلامة الصدور والبُعد عن الرِّيبة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٢٨﴾ وعيدٌ للمخاطَبين بأنه عالِم بما يَأتون وما يَذَرون مما خوطبوا به فمُوَفٍّ جزاءَه عليه.

٢٩- ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ﴾ في أن تدخلوا ﴿بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ استثنى من البيوت التي يجب الاستئذانُ على داخلها ما ليس بمسكونٍ منها كالخانات والرُّبُط(١) وحوانيت التجار ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ﴾ منفعة كالاستكنان(٢) من الحر والبرد وإيواء الرِّحال(٣) والسِّلع والشراء والبيع ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝٢٩﴾ وعيدٌ للذين يدخلون الخَرِبات والدورَ الخالية من أهل الرِّيبة.

٣٠- ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ المراد غضُّ البصر عما يحرم، والاقتصار به على ما يَحِلُّ ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ﴾ عن الزنا ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي غضُّ البصر وحفظُ الفرج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْۗ﴾ أطهرُ من دَنَس الإثم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠﴾ فيه ترغيب وترهيب، يعني أنه خبيرٌ بأحوالهم وأفعالهم ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [سورة غافر] فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذرٍ في كلِّ حركةٍ وسكونٍ.

٣١- ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ أُمِـرْنَ

---

(١) الرُّبُط: جمع الرباط، وهو يُبنى للفقراء.
(٢) أي: الاختفاء.
(٣) أي: إنزالها وجعلها مأوى لها.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ﴾

بغضِّ الأبصار، فلا يحلُّ للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرَّته إلى ركبتيه، وإن اشتهت غضَّت بصرَها رأسًا، ولا تنظرُ إلى المرأة إلا إلى مِثلِ ذلك، وغضُّ بصرِها من الأجانب أصلًا أَوْلَى بها، وإنما قدَّم غضَّ الأبصار على حفظ الفروج، لأنَّ النظر بَريدُ الزنا[(١)] ورائدُ الفُجور[(٢)] ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الزينة: ما تزينت به المرأة من حُلِّيٍ أو خِضابٍ، والمعنى: ولا يُظهرنَ مواضعَ الزينة إذ إظهارُ عينِ الزينة وهي الحُلِيُّ ونحوُها مباحٌ، فالمراد بها مواضعها، ومواضعها الرأسُ والأُذن والعنق والصدرُ [ونحو ذلك] ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ﴾ إلا ما جرت العادة والجِبِلَّةُ[(٣)] على ظهوره، وهو الوجه والكفّان والقدمان[(٤)]، ففي سترها حرجٌ بيّن؛ فإن المرأة لا تجد بُدًّا من مزاولة الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصًا في الشهادة والمحاكمة والنكاح، وتُضطرُّ إلى المشي في الطرقات وظهورِ قدميها، وخاصةً الفقيراتِ منهنَّ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ جمعُ خِمارٍ ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ كانت جيوبهن واسعةً تبدو منها صدورُهن وما حواليها، وكنَّ يَسدُلْنَ الخُمُر من ورائهنَّ فتبقى مكشوفةً فأُمرن بأن يسدُلنها من قدّامهنَّ حتى تُغطّينَها ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي مواضعَ الزينةِ الباطنةَ كالصدر والساق والرأس ونحوِها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ لأزواجهن، جمعُ بَعْلٍ ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم الأجداد ﴿أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ فقد صاروا محارمَ ﴿أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ﴾

---

(١) أي: مُوصِلٌ إليه.
(٢) أي: رسولُه.
(٣) الجِبِلَّةُ: الخِلْقَةُ.
(٤) هذا عند الحنفيَّة، وأما عند الشافعية فلا يجوز للمرأة كشف القدمين.

﴿أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾

ويدخل فيهم النوافل[1] ﴿أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ فقد صاروا محارمَ أيضًا ﴿أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم النوافلُ وسائر المحارم كالأعمام والأخوال وغيرِهم دلالةً ﴿أَوۡ نِسَآئِهِنَّ﴾ أي الحرائرِ، لأنَّ مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائرَ ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ﴾ أي: إمائهنَّ، ولا يحلُّ لعبدها أن ينظر إلى هذه المواضع ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ﴾ الحاجة، أي إلى النساء، قيل: هم الذين يتبعونكم ليُصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم بُلْهٌ لا يعرفون شيئًا من أمرهن ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ﴾ لم يطَّلعوا لعدم الشهوة، أو لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء ﴿وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ﴾ كانت المرأة تضرب الأرضَ برجليها إذا مشت لتُسْمَعَ قَعْقَعَةُ خَلخالها فيُعلَمَ أنها ذاتُ خَلخال، فنُهِيْنَ عن ذلك ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ العبد لا يخلو عن سهوٍ وتقصير في أوامره ونواهيه وإن اجتهدَ، فلذا وَصَّى المؤمنين جميعًا بالتوبة وبتأميل الفلاح إذا تابوا، وقيل: أَحوجُ الناس إلى التوبة مَن توهَّم أنه ليس له حاجة إلى التوبة، وظاهر الآية يدلُّ على أنَّ العصيان لا ينافي الإيمان.

٣٢- ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ الأيامى: جمعُ أَيِّم وهو مَن لا زوجَ له رجلًا كان أو امرأةً، بِكرًا كان أو ثَيِّبًا ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الخيِّرين أو المؤمنين، والمعنى: زوِّجوا مَن تأيَّم منكم من الأحرار والحرائر ومَن كان فيه

---

(١) وَلَدُ الولد.

﴿مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْۚ﴾

صلاحٌ ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ﴾ من غِلمانكم وجواريكم، والأمر للندب إذ النكاح مندوب إليه ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ﴾ من المال ﴿يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ﴾ بالكفاية أو القناعة، أو باجتماع الرزقين ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ غنيٌّ ذو سَعة لا يَرْزَؤه[1] إغناءُ الخلائق ﴿عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدِرُ.

٣٣- ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ وليجتهد في العِفَّة ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ استطاعةَ تَزوُّجٍ من المهر والنفقة ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ﴾ حتى يُقدرَهم على المهرِ والنفقة، قال عليه الصلاة والسلام: «**يا معشرَ الشباب مَنِ استطاعَ منكم الباءةَ فليتزوج، فإنهُ أَغضُّ للبصرِ وأحصنُ للفَرجِ، ومن لم يستطع فعليهِ بالصومِ فإنه له وِجَاءٌ**[2]». فانظر كيف رتَّب هذه الأوامرَ فأمر أولًا بما يعصِمُ من الفتنة ويُبعد عن مواقعة المعصية، وهو غَضُّ البصر، ثم بالنكاح المُحصِن للدين المغني عن الحرام، ثم بِعَزْفِ[3] النفس الأمَّارة بالسوء عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن تقدر عليه ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أي المماليكُ الذين يطلبون الكتابة ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ وهو للندب، وهو أن يقول لمملوكه: كاتبتك على ألف درهم [مثلًا]، فإن أدَّاها عَتَقَ، ومعناه: كتبتُ لك على نفسي أن تَعتِقَ مِنّي إذا وفَّيتَ بالمال وكتبتَ لي على نفسك أن تفيَ بذلك، ويجوز حالًّا ومؤجلًا ومُنَجَّمًا وغيرَ مُنَجَّم لإطلاق الأمر ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًاۖ﴾ قدرةً على الكسب، أو أمانةً وديانةً ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْۚ﴾ أَمرٌ للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين، وإعطائهم

---

(١) أي لا يَنضرُّ بإغناءِ الخلائق.
(٢) أي: كَسْرٌ للشهوة.
(٣) أي: قطعِها.

﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ
مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن
قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾

سهمَهم من الزكاة لقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة التوبة] ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ كان لابن أُبيّ سِتُّ جوارٍ يُكرههنَّ على البغاء وضَرَبَ عليهنَّ الضرائب، فشكت اثنتان منهنَّ إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، فنزلت، ويُكْنَى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة، والبِغَاءُ: الزنا للنساء خاصة ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعفُّفًا عن الزنا، وإنما قيَّده بهذا الشرط [ولا مفهومَ للشرط هنا] لأن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصُّن، وفيه توبيخ للموالي، أي إذا رَغِبن بالتحصُّن فأنتم أولى بذلك ﴿لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ لتبتغوا بإكراههنَّ على الزنا أجورَهن وأولادَهن ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ أي لهنَّ، ولعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة، وهو الذي يُخاف منه التلف[١]، فكانت ءاثمةً، أو لهم إذا تابوا.

٣٤- ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ أي بَيَّنَتِ الأحكامَ والحدودَ ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ومثلًا من أمثال مَن قبلَكم، أي قصةً عجيبةً من قِصصهم كقصة يوسفَ ومريمَ، يعني قصةَ عائشةَ رضي الله عنها ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ ما وَعَظَ به من الآيات والمَثَلِ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ أي هم المنتفعون بها وإن كانت موعظةً للكل.

٣٥- ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ المعنى ذو نورِ السماواتِ، ونورُ السماواتِ والأرضِ الحقُّ، شَبَّهُ بالنور في ظهوره وبيانه، وجاز أن

---

(١) قال الرازي في تفسيره: الإكراه إنما يحصل متى حصل التخويف بما يقتضي تلف النفس، فأما باليسير من الخوف فلا تصير مكرهةً، فحال الإكراه على الزنا كحال الإكراه على كلمة الكفر.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ﴾

المراد أهلُ السماوات والأرض وأنهم يستضيئون به، [أي اللهُ هادي أهلِ السماوات وأهل الأرض إلى ما بهم الحاجة إليه في مصالح دينهم ودنياهم، وهي كلمةٌ مطلقةٌ في هذا المعنى، يقال: فلانٌ نورُ بلدِهِ، أي به يهتدون إلى أمورهم] ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ صِفةُ نوره العجيبةُ الشأنِ في الإضاءة ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ كصفة مِشكاة وهي الكَوَّةُ في الجدار غيرُ النافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌۖ﴾ سراج ضخم ثاقب ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ﴾ في قنديلٍ من زجاج ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ مُضِيءٌ منسوب إلى الدُّرِّ لفرط ضيائه وصفائه ﴿يُوقَدُ﴾ هذا المصباح ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أي ابتداءُ توقُّده من زيت شجرة الزيتون، يعني رُوِّيَتْ ذُبالته[(١)] بزيتها ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾ كثيرةِ المنافع، أو لأنها نبتت في الأرض التي بُورك فيها للعالمين، وقيل: بارك فيها[(٢)] سبعون نبيًّا منهم إبراهيمُ عليه السلام ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ مَنْبِتُها الشامُ، يعني ليست من المشرق ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو الشام، وأجودُ الزيتونِ زيتونُ الشام ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ دُهنها ﴿يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾ وَصَفَ الزيتَ بالصفاء والوَمِيض، وأنه لتلألُئِهِ يكاد يضيء من غير نارٍ ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ﴾ أي نورٌ متضاعِفٌ قد تناصَرَ فيه المشكاةُ والزجاجةُ والمِصباحُ والزيت حتى لم تبق بقية مما يُقوّي النورَ، وهذا لأنَّ المصباح إذا كان في مكان متضايقٍ كالمشكاة كان أجمعَ لنوره بخلاف المكان الواسع، فإنَّ الضوء ينتشر فيه، والقنديلُ أعونُ شيءٍ على زيادة الإنارة، وكذلك الزيت وصفاؤه.

---

(١) الذُّبالةُ: الفَتِيلة.

(٢) أي دعا بالبركة.

﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾

﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ لهذا النور الثاقب ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾ من عباده، أي يُوفِّق لإصابة الحقِّ مَن يشاء مِن عباده بإلهام مِن الله أو بنظره في الدليل ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ﴾ تقريبًا إلى أفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾﴾ فيبيِّنُ كلَّ شيء بما يُمكن أن يُعلمَ به، وقال ابن عباس رضي الله عنه: مَثَلُ نوره أي نورِ اللهِ الذي هدى به المؤمن.

٣٦- ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ أي كمشكاةٍ في بعض بيوت الله، وهي المساجد ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ﴾ أي أَمرَ ﴿أَن تُرۡفَعَ﴾ تُبنى، أو تُعظَّمَ، من الرِّفعة ﴿وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ يُتلى فيها كتابُه، أو هو عامٌّ في كلِّ ذِكرٍ ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ يُصلِّي له فيها بالغَداة صلاةَ الفجر وبالآصَالِ صلاةَ الظهر والعصر والعشاءين، وإنما وَحَّدَ الغُدُوَّ لأنَّ صلاتَه صلاةٌ واحدة، وفي الآصال صلواتٌ، والآصالُ: جمع أُصُلٍ جمعُ أصيلٍ وهو العَشِيُّ[1].

٣٧- ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ﴾ لا تَشغَلُهم ﴿تِجَٰرَةٞ﴾ في السفر ﴿وَلَا بَيۡعٌ﴾ في الحضر، أو خَصَّ البيع بعدما عَمَّ لأنه أوغلُ في الإلهاء من الشراء، لأن الربح في البيعة الرابحة يقينٌ وفي الشراء مظنونٌ ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ باللسان والقلب ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وعن إقامة الصلاة ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ وعن إيتاء الزكاة ﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا﴾ أي يومَ القيامة ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ﴾ ببلوغها إلى الحناجر ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ بالشخوص والزرقة[2].

---

(١) العَشِيُّ: ما بعد الزوال، ثم قيل إلى غروب الشمس، وقيل: يدخل فيه وقتُ المغرب والعشاء.

(٢) الشخوص: فتح العينين مع عدم طرفهما، والزرقة: انقلاب العين وظهور بياضها.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ
عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ﴾

٣٨- ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أي يُسبِّحون ويخافون لِيجزيَهم الله أحسنَ جزاءِ أعمالهم ويزيدَهم على الثواب الموعود على العمل تفضُّلًا ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ يُثيبُ من يشاء ثوابًا لا يدخل في حساب الخلق، هذه صفاتُ المهتدين بنور الله. فأما الذين ضلُّوا عنه فالمذكورون في قوله:

٣٩- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ﴾ هو ما يُرى في الفلاة من ضوء الشمس وقتَ الظَّهيرة يَسْرُبُ[1] على وجه الأرض كأنه ماء يجري ﴿بِقِيعَةٍ﴾ جمعُ قاعٍ وهو المُنبسِطُ المستوي من الأرض ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ يظنُّه العطشان ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ أي جاء إلى ما توهَّم أنه ماء ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ لم يجده كما ظنَّه ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [أي وجد الكافرُ عقابَ الله لكفره وسيئاته عنده مُعَدًّا له عند قدومه]، شبَّهَ ما يعمله مَن لا يعتقد الإيمانَ ولا يتَّبعُ الحقَّ مِن الأعمال الصالحة التي يحسَبُها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة أملُه ويلقى خلاف ما قَدَّر بسراب يحسبه ماءً فيأتيه فلا يجد ما رجاه، ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتِلونه[2] إلى جهنم فيسقونه الحميم والغسَّاق ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أعطاه جزاءَ عَملِهِ وافيًا كاملًا ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ لأنه لا يحتاج إلى عدّ وعقدٍ، [ولأن كلامه تعالى ليس حرفًا وصوتًا فلا] يشغَلُه حساب عن حساب.

٤٠- ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ عميقٍ كثير الماء ﴿يَغْشَىٰهُ﴾ يغشى

---

(١) يَسْرُبُ: يَجري.
(٢) يعتلِونَه: يسوقونَه بعُنف.

﴿مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾

البحر أي يعلوه ويغطيه ﴿مَوۡجٞ﴾ هو ما ارتفع من الماء ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ﴾ من فوق الموج موج ءاخر ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ﴾ من فوق الموج الأعلى سحاب ﴿ظُلُمَٰتُۢ﴾ أي هذه ظلماتٌ، ظلمةُ السحابِ وظلمةُ الموج وظلمة البحر ﴿بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ ظلمةُ الموج على ظلمةِ البحر، وظلمةُ الموج على الموج وظلمةُ السحاب على الموج ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ﴾ أي الواقعُ فيه ﴿لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ لم يقرُب أن يراها فضلًا عن أن يراها؛ شبَّه أعمالَهم أوَّلًا في فوات نفعِها وحضور ضررها بسراب لم يجده مَن خَدَعَهُ من بعيدٍ شيئًا، ولم يكفه خيبةً كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تَعْتِلُه[1] إلى النار، وشبَّهها ثانيًا في ظُلمتها وسوادها - لكونها باطلة، وفي خلُوِّها عن نور الحق - بظلماتٍ متراكمةٍ من لُجِّ البحر والأمواج والسحاب ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ مَن لم يهده الله لم يهتد.

٤١- ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ ألم تعلم يا محمد علمًا يقوم مقام العِيان في الإيقان ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ﴾ يَصفُفن أجنحتَهنَّ في الهواء ﴿كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ﴾ لا يَبعُد أن يُلهمَ اللهُ الطيرَ دعاءَه وتسبيحَه كما ألهمها سائرَ العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ لا يَعزُب عن علمه شيء.

٤٢- ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ لأنه خالقهما ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ مرجع الكل.

---

(١) من العَتْلِ المرادِ في الآية ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الدخان] أي فجرُّوه بغِلظةٍ وشدَّة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ﴾

٤٣- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ يسوقه إلى حيث يريد ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ يضمُّ بعضَه إلى بعضٍ ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ متراكمًا بعضُه فوق بعض ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطرَ ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ من فُتُوقه ومخارجه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لأن ابتداء الإنزال من السماء ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾ لأن ما يُنَزِّله الله بعضُ تلك الجبال التي في السماء ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ معناه أنه ينزّل البَرَد من السماء من جبالٍ فيها، يخلق الله في السماء جبالَ بَرَدٍ كما خلق في الأرض جبالَ حجر، أو يريد الكثرة بذكر الجبال، كما يقال: فلان يملك جبالًا من ذهب ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ بالبَرَد ﴿مَن يَشَآءُ﴾ يصيب الإنسان وزرعَه ﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ﴾ فلا يصيبه، أو يعذِّب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ [ضوءُ برق السحاب] ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ يخْطَفُها.

٤٤- ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ﴾ يُصرِّفهما في الاختلاف طولًا وقِصَرًا، أو التعاقبِ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ في إزجاء السحاب[١] وإنزال الوَدْق والبَرَد وتقليب الليل والنهار ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ لذوي العقول، وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيحَ من في السماوات والأرض وما يطير بينهما ودعاءَهم له وتسخيرَ السحاب إلى ءاخر ما ذكرَ فهي براهينُ لائحة على وجوده، ودلائلُ على صفاته لمن نظر وتدبَّر. ثم بيَّن دليلًا ءاخر، فقال تعالى:

٤٥- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ كلَّ حيوانٍ يَدِبُّ على وجه الأرض ﴿مِّن مَّآءٍ ۖ﴾ من نوعٍ من الماء مختصٍّ بتلك الدابة، أو من ماءٍ مخصوصٍ وهو

---

(١) أي: في سَوْقِه.

﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

النطفة، ثم خالف بين المخلوقات من النطفة، فمنها هَوَامٌّ، ومنها بهائمُ، ومنها أَناسِيُّ وهذا دليل على أنَّ لها خالقًا ومدبّرًا، وإلا لم تختلف لاتفاق الأصل ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحية والحوت ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ﴾ كالبهائم، وقدَّم ما هو أعرقُ في القدرة[1] وهو الماشي بغير آلة مشيٍ من أَرْجل أو غيرها، ثم الماشي على رِجلين، ثم الماشي على أربع ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ﴾ كيف يشاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾﴾ لا يتعذَّر عليه شيء.

٤٦- ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ بلطفه ومشيئته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾﴾ دينِ الإسلام الذي يوصل إلى جنَّته، فالآياتُ لإلزام حُجَّته.

لمَّا ذكر إنزالَ الآيات ذكرَ بعدَها افتراق الناس إلى ثلاث فرقٍ: فرقةٌ صدَّقت ظاهرًا وكذَّبت باطنًا وهم المنافقون، وفرقة صدَّقت ظاهرًا وباطنًا وهم المخلِصون، وفرقة كذَّبت ظاهرًا وباطنًا وهم الكافرون وبدأ بالمنافقين فقال:

٤٧- ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ﴾ بألسنتهم ﴿وَأَطَعْنَا﴾ اللهَ والرسولَ ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ يُعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله ﴿فَرِيقٞ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ﴾ من بعد قولهم: ءامنَّا بالله وبالرسول وأطعنا ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ المُخلِصين، وهو إشارة إلى القائلين: ءامنّا وأطعنا

(١) أَعْرَقُ بمعنى أدخَل، والمرادُ هنا ما هو أكبرُ وأظهرُ دِلالةً على عظيمِ قدرة الله تعالى.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾

لا إلى الفريق المتولّي وحده، وفيه إعلام من الله بأنَّ جميعهم منتفٍ عنهم الإيمان لاعتقادهم ما يعتقد هؤلاء، والإعراض وإن كان من بعضهم فالرضا بالإعراض من كلِّهم.

٤٨- ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ رسولُ الله [وذكرَ الدعاءَ إلى الله ورسوله لأن الدعاء إلى الرسول دعاءٌ إلى الله لأنه يحكم بينهم بأمره] ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ نزلت في بِشْرٍ المنافق وخصمِه اليهودي حين اختصما في أرضٍ، فجعل اليهودي يَجرُّه إلى رسول الله ﷺ، والمنافقُ إلى كعبِ بنِ الأشرف ويقول: إنَّ محمدًا يَحيفُ[1] علينا.

٤٩- ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ إذا كان الحقُّ لهم على غيرهم ﴿يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ إلى الرسول ﴿مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ مسرعين في الطاعة طلبًا لحقِّهم لا رضًا بحكم رسولهم، والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحقُّ المرُّ والعدلُ البَحتُ يمتنعون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم، وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك.

٥٠- ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ قَسَمَ الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحقُّ عليهم بأن يكونوا مَرضَى القلوب منافقين، أو مرتابين في أمر نبوته، أو خائفين الحَيْفَ في قضائه، ثم أبطلَ خوفَهم حيفَه بقوله: ﴿بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ لا يخافون أن يَحِيفَ عليهم لمعرفتهم بحاله، وإنما هم ظالمون يريدون

---

(١) أي يميل في الحكم ويجور ويظلم، وهو - أي المنافق لعنه الله - عالم في باطنه أن النبي ﷺ أعدل الناس وأبعدهم عن الجَوْرِ والظلم.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ﴾

أن يظلموا مَن له الحقُّ عليهم، وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام، فمِن ثَمَّ يأبَونَ المحاكمةَ إليه.

٥١- ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ﴾ النبيُّ عليه الصلاة والسلام ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بحُكم الله الذي أُنزل عليه ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا﴾ قولَه ﴿وَأَطَعْنَاۚ﴾ أمرَه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ الفائزون.

٥٢- ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ في فرائضه ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ في سُننه ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ على ما مضى من ذنوبه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما يستقبلُ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ هذه ءايةٌ جامعة لأسباب الفوز.

٥٣- ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ حلفَ المنافقون بالله جَهْدَ اليمين، لأنهم بذلوا فيها مجهودَهم ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ﴾ لئن أمَرتَنا محمدٌ بالخروج إلى الغزو لغَزَونا، أو بالخروج من ديارنا لخرجنا ﴿قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ﴾ لا تحلفوا كاذبين لأنه معصية ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ﴾ أَمْثَلُ وأَوْلَى بكم من هذه الأيمانِ الكاذبة، أي الذي يُطلب منكم طاعةٌ معروفة معلومة لا يُشكُّ فيها ولا يُرتاب، كطاعة الخُلَّص من المؤمنين، لا أيمانٌ تُقسمون بها بأفواهكم وقلوبُكم على خلافها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ يعلم ما في ضمائركم، ولا يخفى عليه شيء من سرائركم، وإنه فاضحكم لا محالة، ومجازيكم على نفاقكم.

٥٤- ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ﴾ صُرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريق الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ﴾ فإن تتولَّوا فما ضررتموه وإنما ضررتم

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾

أنفسَكم، فإنَّ الرسول ﷺ ليس عليه إلا ما حمَّله اللهُ تعالى وكلَّفه من أداء الرسالة، وأما أنتم فعليكم ما كُلِّفتم من التلقّي بالقبول والإذعان، فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرَّضتم نفوسَكم لسَخَط الله وعذابه ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ وإن أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الهدى، فالضرر والنفع عائدان إليكم ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ وما على الرسول إلا أن يبلّغ ما له نفع في قبولكم، ولا عليه ضرر في تولِّيكم. ثم ذكر المخلصين فقال:

٥٥- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الخطاب للنبيِّ عليه الصلاة والسلام ولمن معه ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرضِ الكفار، وقيل: أرض المدينة، والصحيحُ أنه عامّ ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ وَعدَهم الله أن ينصرَ الإسلام على الكفر، ويُورِثَهم الأرضَ، ويَجعلَهم فيها خلفاءَ كما فعلَ ببني إسرائيل [المسلمين] حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يُمكِّنَ الدينَ المُرتَضى وهو دين الإسلام، وتمكينُه: تثبيتُه وتعضيده.

وذلك أنَّ رسول الله ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين، ولَمّا هاجروا كانوا بالمدينة يُصبحون في السلاح ويُمسون فيه، حتى قال رجل: ما يأتي علينا يومٌ نأمنُ فيه ونضعُ السلاحَ؟ فنزلت، فأنجزَ الله وعدَه، وأظهرَهم على جزيرة العرب، وافتتحوا أبعدَ بلادِ المشرق والمغرب، ومزَّقوا مُلك الأكاسرة، ومَلَكوا خزائنهم.

﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ كأنه قيل: ما لهم يُستخلفون ويُؤْمَنُوْنَ؟

﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ
وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ
ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ﴾

فقال: يعبدونني موحِّدين ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد الموعد، والمراد كفران النعمة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجَسَروا على غَمْطها[1]، قالوا: أول مَن كفرَ هذه النعمة قَتَلَةُ عثمانَ رضي الله عنه، فاقتتلوا بعدما كانوا إخوانًا وزال عنهم الخوف، والآية دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، لأن المستخلَفين الذين ءامنوا وعملوا الصالحات هم هم.

٥٦- ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما يدعوكم إليه، وكُرِّرت طاعة الرسول تأكيدًا لوجوبها ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ لكي تُرحموا، فإنها من مُستجلِبات الرحمة.

ثم ذكر الكافرين فقال:

٥٧- ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فائتين الله بألّا يقدرَ عليهم فيها ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ أي المرجعُ النارُ.

٥٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أمـرَ بـأن يستأذنَ العبيدُ والإماء ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ والأطفالُ الذين لم يحتلموا من الأحرار ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ في اليوم والليلة وهي ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ لأنه وقتُ القيام من المضاجع وطرح ما يُنام فيه من الثياب، ولُبسِ ثيابِ اليَقظة ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ وهي نصف النهار في القَيظ لأنها وقت وضعِ الثياب للقيلولة ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ لأنه

---

(١) أي: على عدم شكرها بترك الثبات على الطاعة، لأن شكر النعمة يكون بعدم المعصية فيها.

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ﴾

وقت التجرُّد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ﴾ سُمِّيَ كل واحد من هذه الأحوال عورةً لأن الإنسان يَختلُّ تستُّره فيها ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ﴾ أي لا إثم عليكم ولا على المذكورين في الدخول بغير استئذانٍ بعدَهنَّ، ثم بيَّن العلة في ترك الاستئذان في هذه الأوقات بقوله: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ أي هم طوَّافون لحوائج البيت ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ بعضكم طائف على بعض، يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۗ﴾ كما بيَّن حكمَ الاستئذان يُبيِّن لكم غيرَه من الآيات التي احتجتم إلى بيانها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده ﴿حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ في بيان مراده.

٥٩- ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾ الأحرارُ دون المماليك ﴿ٱلْحُلُمَ﴾ الاحتلام، أي إذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ الذين بلغوا الحُلُم من قبلهم، وهم الرجال، والمعنى أنَّ الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذنٍ إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك، ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسِّن وجب أن يُفطَموا[1] عن تلك العادة، ويُحمَلوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذنٍ ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح الأنام ﴿حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ فيما بيَّن من الأحكام.

٦٠- ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ﴾ أي اللاتي قَعَدْنَ عن الحيض والولد لكِبَرهنَّ،

---

(١) أي: يُمنعوا.

﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ﴾

[وقيل: عن الميل إليهن والافتتان بهن لكِبَرهنّ] ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لا يَطمَعنَ فيه ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ إثمٌ ﴿أَن يَضَعْنَ﴾ في أن يضعنَ ﴿ثِيَابَهُنَّ﴾ الظاهرةَ كالمِلْحَفة[1] والجِلباب الذي فوق الخِمار [عند المحارم من الرجال وغير المحارم من الغرباء] ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾ غيرَ مُظهِراتٍ زينةً، أي لا يقصدن بوضعها التبرُّجَ ولكن التخفيفَ، وحقيقةُ التبرُّجِ تكلُّفُ إظهارِ ما يجب إخفاؤه ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ يطلبن العِفَّةَ عن وضع الثياب[2] فيستترنَ ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يُعْلِنَّ ﴿عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ بما يَقصِدْنَ.

٦١- ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ كان المسلمون إذا خرجوا إلى الغزو مع النبي ﷺ وَضعوا مفاتيحَ بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند أقاربهم، ويأذنونَهم أن يأكلوا من بيوتهم، وكانوا يتحرَّجون من ذلك ويقولون: نخشى ألّا تكون أنفسُهم بذلك طَيِّبةً، فنزلت الآية رخصةً لهم ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ حرجٌ ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أي بيوت أولادكم، لأنَّ ولدَ الرجلِ بعضُه، وحكمُه حكمُ نفسِه، ولذا لم يَذكر الأولادَ في الآية، أو بيوتِ أزواجكم، لأنَّ الزوجين صارا كنفسٍ واحدةٍ، فصار بيت المرأة كبيت الزوج ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

---

(١) المِلحَفَةُ: المَلاءَةُ التي تلتحِفُ بها المرأة.

(٢) أي: يطلُبن العِفَّةَ بامتناعهن عن وضع الثياب.

﴿أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾ لأنَّ الإذنَ من هؤلاء ثابتٌ دِلالةً ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ هو وكيلُ الرجل وقَيِّمُه في ضَيعته[1] وماشيته، له أن يأكلَ من ثمر ضيعته ويشربَ من لبن ماشيته، وأريد بمِلك المفاتح كونُها في يده وحفظه ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ يعني أو بيوتِ أصدقائكم، والصديق يكون واحدًا وجمعًا وهو مَن يَصدُقك في مَوَدَّته وتَصْدُقُه في مَوَدَّتك، وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريتَه كيسَهُ، فيأخذ ما شاء، فإذا حضر مولاها أعتقها سرورًا بذلك، فأما الآن فقد غلبَ الشُّحُّ على الناس فلا يُؤكل إلا بإذن ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ متفرِّقين، نزلت في بني ليث ابن عمروٍ، وكانوا يتحرّجون أن يأكل الرجل وحده، فربما قعد منتظرًا نهارَهُ إلى الليل، فإن لم يجد مَن يؤاكلُه أكلَ ضرورةً[2] ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت لتأكلوا ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينًا وقرابةً، أو بيوتًا فارغةً، أو مسجدًا، فقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ثابتةً بأمره مشروعةً من لَدُنْهُ ﴿مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ وَصفَها بالبركة والطِّيب لأنها دعوةُ مؤمن لمؤمن، يُرجى بها من الله زيادةُ الخير وطِيبُ الرزق ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ لكي تعقِلوا وتفهَموا.

---

(١) ضَيْعَةُ الرَّجُل: مالُه من نخل وكرم ونحوِهما، ويُطلق على الأرض المُغِلَّةِ أيضًا.
(٢) أي لأجل الضرورة.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ﴾

٦٢- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أي الذي يُجمعُ له الناس نحوُ الجهاد والتدبير في الحرب وكلِّ اجتماع في الله حتى الجمعةِ والعيدين ﴿لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُۚ﴾ أي ويأذنَ لهم، ولمَّا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يُريهم عِظَمَ الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه إذا كانوا معه على أمرٍ جامع، جَعلَ تركَ ذهابهم حتى يستأذنوه ثالثَ الإيمانِ بالله والإيمانِ برسوله[١]، ثم عقَّبه بما يزيده توكيدًا وتشديدًا حيث أعاده على أسلوبٍ ءاخرَ وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ وَضَمَّنَه شيئًا ءاخرَ، وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانَين، وعرَّض بحال المنافقين وتسلُّلِهم لِوَاذًا ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ﴾ في الانصراف ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرِهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ فيه رفعُ شأنِهِ عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ وذِكرُ الاستغفار للمستأذنين دليلٌ على أنَّ الأفضل ألّا يستأذنوه[٢]، قالوا: وينبغي أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدَّميهم في الدين والعلم، يظاهرونَهم ولا يتفرقون عنهم إلا بإذنٍ، قيل: نزلت يوم الخندق، كان المنافقون يرجعون إلى منازلهم من غير استئذان.

٦٣- ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ﴾ أي إذا احتاج رسولُ الله ﷺ إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تتفرَّقوا عنه إلا بإذنه، ولا تَقيسوا دعاءَه إياكم على دعاء بعضكم بعضًا، ورجوعِكم

---

(١) أي: ذكَرَهُ في الآية الكريمة بعد الإيمان بالله والإيمان برسوله.
(٢) أي الأفضل أن ينتظروه.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

عن المجمع بغير إذن الداعي، أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يُسَمِّي بعضُكم بعضًا ويناديه باسمه الذي سَمّاه به أبواه، فلا تقولوا[1]: يا محمد، ولكن: يا نبيَّ الله، يا رسول الله، مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾ يخرجون قليلًا قليلًا ﴿مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ اللِّواذُ: هو أن يلوذَ هذا بذاك وذاك بهذا، أي ينسلُّون عن الجماعة في الخُفية على سبيل الملاوذة واستتارِ بعضِهم ببعض ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ الذين يصدُّون عن أمره، وهم المنافقون ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ مِحنة في الدنيا، أو زلازلُ وأهوالٌ، أو تسليط سلطانٍ جائرٍ، أو قسوة القلب عن معرفة الربِّ، أو إسباغُ النِّعم استدراجًا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ في الآخرة.

٦٤- ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تنبيه على ألّا يخالفوا أمرَ مَن له ما في السماوات والأرض ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ المعنى أنَّ جميع ما في السماوات والأرض مختصٌّ به خلقًا ومِلكًا وعلمًا، فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يَجتهدون في سَترها ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ ويعلم يومَ يُرَدُّون إلى جزائه، وهو يومُ القيامة ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ يومَ القيامة ﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ بما أبطنوا من سوء أعمالهم، ويجازيهم حَقَّ جزائهم ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ فلا يخفى عليه خافية.

---

(١) أي: فلا تُخاطبوه بوجهه بهذا اللفظ «يا محمد» وأما في غيبته عليه الصلاة والسلام فلا بأس بقول «يا محمد» كما ورد في الحديث الشريف الذي رواه الطبراني وصححه، وغيرُهُ أن النبي عليه الصلاة والسلام علَّم الأعمى أن يقول يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي، وكما ورد في حديث ابن عمر حين خدرت رِجلُه فقال «يا محمد» رواه البخاري في الأدب المفرد وغيرُه.

سورة الفرقان
مكية وهي سبع وسبعون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿تَبَارَكَ﴾ مِنَ البركة وهي كثرةُ الخير وزيادتُه، ومعنى تبارك الله تزايد خيرُه وتكاثر، وهي كلمةُ تعظيم لم تُستعمل إلا لله وحدَه ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ سُمِّيَ به القرءانُ لفصله بين الحقِّ والباطل والحلال والحرام، أو لأنه لم يَنزل جملةً ولكن مفرَّقًا مفصولًا بين بعضه وبعض في الإنزال ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمدٍ عليه الصلاة والسلام ﴿لِيَكُونَ﴾ العبدُ، أو الفرقانُ ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ للجنِّ والإنس، وعمومُ الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام ﴿نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ مُنذِرًا أي مُخَوِّفًا.

٢- ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ على الخُلوص [فلا شريك له فيهما] ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما زعم اليهود والنصارى في عُزَيرٍ والمسيح عليه السلام ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ كما زعمت الثَّنَوِيَّة[1] ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أحدث كلَّ شيء وحده لا كما يقوله المجوس والثَّنوية من

(١) الثنوية يقولون: مُدَبِّرُ العالم اثنان، أحدهما خلقَ الناس والدوابَّ وكلَّ خير وهو الله، ويقول بعضهم النور ويعبرون عنه بيَزدان، والآخر خلقَ السباع والحيات والعقارب وكل شر وهو إبليس، ويقول بعضهم الظلام ويعبرون عنه بأهرَمن.

﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ
لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾

النور والظلمة ويَزدان وأهرَمن، ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ فهيَّأه لِما يَصلُح له بلا خللٍ فيه، كما أنه خلق الإنسان على هذا الشكل الذي تراه، فقدَّره للتكاليف والمصالح المنوطة به في الدين والدنيا، أو قدَّره للبقاء إلى أمدٍ معلوم.

٣- ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ أي الأصنامَ ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أنهم ءاثَروا على عبادة مَن هو منفرد بالألوهية والمُلك والخَلق عبادةَ عَجَزةٍ لا يقدرون على خلقِ شيء وهم يُخلقون ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ولا يستطيعون لأنفسهم دفعَ ضررٍ عنها ولا جلبَ نفعٍ إليها ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ إماتةً ﴿وَلَا حَيَوٰةً﴾ إحياءً ﴿وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ إحياءً بعد الموت.

٤- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ﴾ ما هذا القرءانُ ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اختلقَه واخترعه محمدٌ من عند نفسه ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ﴾ أي اليهودُ، و[قيل]: عدَّاسٌ [مولى حويطب بن عبد العُزَّى، وقيل مولى عتبة] ويسارٌ [مولى العلاء بن الحضرمي] وأبو فُكَيهة الرومي ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤﴾ هذا إخبار من الله تعالى رَدًّا للكفرة، وظلمُهم أن جعلوا العربيَّ يتلقَّنُ من العَجَمي الرومي كلامًا عربيًا أعجزَ بفصاحته جميعَ فُصَحاء العرب، والزُّورُ أن بَهَتوهُ بنسبةِ ما هو بريءٌ منه إليه.

٥- ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أحاديث المتقدمين وما سطروه ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ كَتبَها لنفسه ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ تُلقى عليه من كتابه ﴿بُكْرَةً﴾ أوَّلَ النهار ﴿وَأَصِيلًا ۝٥﴾ ءاخِرَه، فيحفظُ ما يُملَى عليه، ثم يتلوه علينا.

﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ
هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ
نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن
تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾﴾

٦- ﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿أَنزَلَهُ﴾ أي القرءانَ ﴿ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يعلم كلَّ سِرٍّ خفيٍّ في السماوات والأرض، يعني أنَّ القرءان لمَّا اشتمل على علم الغيوبِ التي يستحيل عادةً أن يعلمَها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم، دلَّ ذلك على أنه من عند علَّام الغيوب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾﴾ فيمهلُهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وإن استوجبوها بمكابرتهم.

٧- ٨- ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ تسميتُهم إياه بالرسول سخريةٌ منهم، ﴿يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ﴾ أي إن صَحَّ أنه رسول الله فما بالُهُ يأكلُ الطعام كما نأكل ويتردَّد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردَّد، يعنون أنه كان يجب أن يكون مَلَكًا مستغنيًا عن الأكل والتعيُّش، ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح إلى أن يكون إنسانًا معه مَلَكٌ حتى يتساندا في الإنذار والتخويف، ثم نزلوا إلى أن يكون مرفودًا بكنزٍ[1] يُلقَى إليه من السماء يَستظهرُ به[2] ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش، ثم نزلوا إلى أن يكون رجلًا له بستان يأكل هو منه كالمياسير[3]، وأراد بالظالمين في قوله ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إياهم بأعيانهم غير أنه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلًا عليهم بالظلم فيما قالوه، وهم كفار قريش ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾﴾ سُحِر فجُنَّ.

---

(١) أي: مُعطًى كنزًا.
(٢) أي: يتقوَّى به.
(٣) اي: الأغنياء.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ
جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟
بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا
وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾

٩- ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال من المفتري والمُمْلَى عليه والمسحور ﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الحقِّ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ فلا يجدون طريقًا إليه.

١٠- ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾ تكاثَرَ خيرُ الذي إن شاء وهبَ لك في الدنيا خيرًا مما قالوا، وهو أن يُعَجِّلَ لك مثلَ ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور.

١١- ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ بل أتَوا بأَعجبَ من ذلك كُلِّه وهو تكذيبهم بالساعة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ وهيَّأنا للمكذِّبين بها نارًا شديدةً في الاستعار.

١٢- ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ النارُ، أي قابلتهم ﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ إذا كانت منهم بمرأى الناظرين في البُعدِ ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ سمعوا صوتَ غَلَيانِها، وشبَّه ذلك بصوت المُتغيِّظ والزافر.

١٣- ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا﴾ من النار ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ فإنَّ الكَرْبَ مع الضيق كما أنَّ الرَّوْحَ[1] مع السَّعة، ولذا وصفت الجنة بأنَّ عرضَها السماواتُ والأرض ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ وهم مع ذلك الضِّيق مُسَلْسَلون مُقَرَّنون في السلاسل، قُرِّنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، أو يُقْرَنُ مع كلِّ كافرٍ شيطانُه في سلسلةٍ، وفي أرجلهم الأصفاد ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ﴾ حينئذ ﴿ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾

---

(١) أي: الراحة.

﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴿١٤﴾ قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ
ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ
رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ
عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن
دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ﴾

هلاكًا، أي قالوا: واثُبوراهُ، فيقال لهم:

١٤- ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴿١٤﴾﴾ إنكم وقعتم فيما ليس ثُبوركم فيه واحدًا إنما هو ثُبورٌ كثير.

١٥- ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ﴾ أي المذكورُ من صفة النار خير ﴿أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ﴾ أي وُعِدَها ﴿كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ﴾ ثوابًا ﴿وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾﴾ مرجعًا، وإنما قيل «كانت» لأنَّ ما وَعَدَ اللهُ كأنه كان لِتَحقُّقه، أو كان ذلك مكتوبًا في اللوح قبل أن خَلَقَهم.

١٦- ﴿لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ ما يشاؤونه ﴿خَٰلِدِينَۚ﴾ [فيها لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها] ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا﴾ [كان خلودهم فيها ومصيرهم إليها موعودًا حقًّا] ﴿مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾﴾ مطلوبًا، أو حقيقًا أن يُسألَ.

١٧- ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾ للبعث ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ أأنتم أوقعتموهم في الضلال بإدخال الشُّبَهِ أم هم ضلُّوا بأنفسهم؟ وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤول عنه أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يُبَكِّتَ عَبَدَتَهم بتكذيبهم إياهم فتزيد حسرتهم.

١٨- ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيهَ عن الأنداد وأن يكون له نبيٌّ أو مَلَك أو غيرُهما ندًّا، ثم قالوا: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ ما كان يصحُّ لنا ولا يستقيم أن نتولَّى أحدًا دونك، فكيف يصحُّ لنا أن نحمِلَ غيرَنا على أن يتولَّونا دونك؟ ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ﴾

﴿حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ١٨ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ١٩ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾

بالأموال والأولاد وطول العمر والسلامة من العذاب ﴿حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ أي ذكرَ الله والإيمانَ به والقرءانَ والشرائع ﴿وَكَانُواْ﴾ عند الله [في سابق قضائه] ﴿قَوۡمَۢا بُورٗا ١٨﴾ هَلْكَى.

ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولًا عن الغيبة:

١٩- ﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ بقولكم فيهم: إنهم ءالهة بقولهم: ﴿سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ ﴿فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ﴾ فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصرَ أنفسكم. ثم خاطب المكلَّفين على العموم بقوله: ﴿وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ﴾ أي يُشرك، لأنَّ الظُّلم وضعُ الشيء في غير موضعه، ومَن جعلَ المخلوقَ شريكَ خالقه فقد ظلم، يؤيده قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [سورة لقمان] ﴿نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ١٩﴾ فُسّر بالخلود في النار، وهو يليق بالمشرك دون الفاسق.

٢٠- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ ما أرسلنا قبلَكَ أحدًا من المرسلين إلا ءاكلينَ وماشين، قيل: هو احتجاجٌ على مَن قال: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ وتسليةٌ للنبي ﷺ ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾ أي مِحنةً وابتلاء، يعني أنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء، فيُغني مَن يشاء ويُفقر مَن يشاء على هذه الفتنة فتؤجروا أم لا تصبرون فيزداد غمُّكم ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾ عالمًا بالصواب فيما يبتلي به.

٢١- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ﴾ لا يأمُلون ﴿لِقَآءَنَا﴾ بالخير لأنهم كَفَرةٌ

﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١ يَوۡمَ
يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٢٢ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ
عَمَلٖ فَجَعَلۡنَـٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤﴾

لا يؤمنون بالبعث ﴿لَوۡلَآ﴾ هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ رُسُلًا دون البشر، أو شهودًا على نبوَّته ودعوى رسالته ﴿أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ جهرةً فيخبرَنا برسالته واتِّباعه ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أضمَروا الاستكبارَ عن الحقِّ، وهو الكفر والعناد في قلوبهم ﴿وَعَتَوۡ﴾ وتجاوزوا الحَدَّ في الظلم ﴿عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾ أي لم يَجسُروا على هذا القول العظيم إلا لأنهم بلغوا غايةَ الاستكبار وأقصى العُتُوِّ.

٢٢- ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ أي اذكر يومَ يرون الملائكة، أي يومَ الموت، أو يومَ البعث ثم أخبرَ فقال: ﴿لَا بُشۡرَىٰ﴾ بالجنة ﴿يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ هم الذين اجترموا الذنوب، والمراد الكافرون ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي الملائكة ﴿حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٢٢﴾ حرامًا مُحرَّمًا عليكم البشرى، إنما البشرى للمؤمنين.

٢٣- ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَـٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ لا قدومَ هنا، ولكن مُثِّلت حالُ هؤلاء وأعمالُهم التي عملوها في كفرهم من صلة رَحِمٍ وإغاثةِ ملهوفٍ وقِرَى ضيفٍ ونحو ذلك بحالِ مَن خالف سلطانَه وعصاه، فقدِمَ إلى أشيائه وقصَدَ إلى ما تحتَ يديه فأفسدَها ومزَّقها كلَّ مُمزَّقٍ ولم يترك لها أثرًا، والهباء ما يخرج من الكوَّة مع ضوء الشمس شبيهًا بالغبار، والمنثورُ المفرَّق، وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبلُ الاجتماعَ، ولا يقعُ به الانتفاعُ.

ثم بيَّن فضلَ أهلِ الجنة على أهل النار فقال:

٢٤- ﴿أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا﴾ المستقرُّ المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مُستقِرِّين يتجالسون ويتحادثون ﴿وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤﴾ مكانًا يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم، ولا نوم في الجنة ولكنَّه سَمَّى مكان استراحتهم إلى الحور مَقِيلًا على طريق التشبيه.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

٢٥- ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ لمَّا كان انشقاقُ السماء بسبب طلوع الغمام منها جَعلَ الغمامَ كأنه الذي تُشَقُّ به السماء ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ المعنى أنَّ السماء تنفتح بغمام أبيضَ يخرج منها، وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد.

٢٦- ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ لأنَّ كلَّ مُلكٍ يزول يومئذٍ فلا يبقى إلا مُلكه الثابت ﴿وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ شديدًا، ويفهم منه يُسْرُه على المؤمنين، ففي الحديث: «**يَهُونُ يومُ القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخفَّ من صلاة مكتوبة صلَّوها في الدنيا**».

٢٧- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ عضُّ اليدين كناية عن الغيظ والحسرة وأريد به عُقبة [بنُ أبي مُعَيْطٍ، مِن مُقدَّمِي قريش في الجاهلية وكان شديد الأذى للمسلمين]، أو يتناول عقبةَ وغيره من الكفار ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ﴾ في الدنيا ﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ محمدٍ عليه الصلاة والسلام ﴿سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ طريقًا إلى النجاة والجنة، وهو الإيمان.

٢٨- ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ الرجل ينادي وَيْلَتَه، وهي هَلَكَتُه، يقول لها: تعالَيْ فهذا أوانُكِ ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ فلانٌ كنايةٌ عن الأعلام، فإن أُريدَ بالظالم عقبةُ - لِما رُويَ أنه اتَّخذ ضيافةً فدعا إليها رسولَ الله عليه الصلاة والسلام، فأبى أن يأكلَ من طعامه حتى ينطقَ بالشهادتين، ففعل، فقال له أُبيُّ بنُ خلفٍ وهو خليله: وجهي من وجهك حرامٌ إلا أن ترجع، فارتدَّ - فالمعنى: يا ليتني لم أتَّخذ أُبيًّا خليلًا فكُنِيَ عن اسمه، وقيل هو كناية عن الشيطان.

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِىۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةًۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾

٢٩- ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ عن ذكر الله، أو القرءان، أو الإيمان ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِىۗ﴾ من الله [بإنزاله على رسوله وتبليغه إلينا] ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي خليلُه، سمّاه شيطانًا لأنه أضلَّه كما يُضلُّه الشيطان ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ المطيعِ له ﴿خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ أي من عادة الشيطان تركُ من يواليه، وهذا حكايةُ كلامِ الله، أو كلامُ الظالم.

٣٠- ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام في الدنيا ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾ قريشًا ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ متروكًا، أي تركوه ولم يؤمنوا به، في هذا تخويف لقومه، لأنَّ الأنبياء إذا شكوا إليه قومهم حلَّ بهم العذاب ولم يُنْظَروا.

ثم أقبل عليه مُسلّيًا ووعدَه النُصرة عليهم، فقال:

٣١- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ كذلك كان كلُّ نبيّ قبلك مُبتلى بعداوة قومه، وكفاك بي هاديًا إلى طريق قهرهم، وناصرًا لك عليهم.

٣٢- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قريشٌ أو اليهود ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةًۚ﴾ هلَّا أُنزل عليه دفعة واحدة كما أنزلت الكتب الثلاثة، وهو فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته، لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدةً أو مُفرَّقًا، [وقد] تُحُدُّوا بالإتيان بسورةٍ واحدةٍ من [أقصر] السور، فأَبرزوا عجزَهم وفَزِعوا إلى المحاربة، وبذلوا المُهَجَ، وما مالوا إلى الحُجَج ﴿كَذَٰلِكَ﴾، أُنزل مفرَّقًا في عشرين سنة، أو في ثلاث وعشرين ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ﴾ لنقوّيَ بتفريقه ﴿فُؤَادَكَۖ﴾ حتى تَعِيَهُ وتحفظَه، لأن المتلقِّنَ إنما يقوَى قلبُه على

﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾

حفظ العلم شيئًا بعد شيء، وجُزْءًا عقيبَ جزءٍ ولو أُلقي عليه جملةً واحدةً لعجز عن حفظه ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ قدَّرناه ءاية بعد ءاية ووقفة بعد وقفةٍ، أو بيَّنَّاه تبيينًا، والترتيلُ: التبيين في ترسُّل وتثبت.

٣٣- ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ بسؤالٍ عجيبٍ من سؤالاتهم الباطلة كأنه مَثَلٌ في البطلان ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ إلا أتيناك بالجواب الحقِّ الذي لا محيدَ عنه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ وبما هو أحسنُ معنًى ومؤدًّى من مَثَلِهم، أي من سؤالهم.

٣٤- ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [يساقون يوم القيامة على وجوههم خِزيًا ونكالًا لهم] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مكانةً ومنزلةً، أو مَسكنًا ومنزِلًا ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ وأخطأُ طريقًا، والمعنى: أن حاملَكم على هذه السؤالات أنكم تَضِلُّون سبيلَه، وتحتقرون مكانَه، ومنزِلتَه، ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعَلمتم أنَّ مكانكم شرٌّ من مكانه وسبيلَكم أضلُّ من سبيله.

٣٥- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراةَ كما ءاتيناك القرءان ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ هو في اللغة مَن يُرجع إليه، والوِزارة لا تنافي النبوة، فقد كان يُبعث في الزمن الواحد أنبياء، ويؤمرون بأن يُوَازِرَ بعضُهم بعضًا.

٣٦- ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي فرعونَ وقومِه، وتقديره: فذهبا إليهم وأنذرا فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ التدميرُ الإهلاكُ بأَمرٍ عجيبٍ، [ذكر أوَّلَ القصة] وءاخرَها لأنهما المقصودُ من القصة، أعني إلزامَ الحجةِ ببعثةِ الرسل، واستحقاقَ التدمير بتكذيبهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ﴾

٣٧- ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ ودمَّرنا قوم نوح ﴿لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ نوحًا وإدريس وشيثًا، أو كان تكذيبهم لواحدٍ منهم تكذيبًا للجميع ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ وجعلنا إغراقهم أو قصَّتهم ﴿لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ عبرةً يعتبرون بها ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ وهيَّأنا ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ لقوم نوح، أو هو عام لكل مَن ظَلَمَ ظُلْمَ شركٍ ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ أي النار.

٣٨- ﴿وَعَادًا﴾ دمَّرنا عادًا ﴿وَثَمُودَا۟﴾ القبيلةَ ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ هم قوم شعيب كانوا يعبدون الأصنام، فكذبوا شعيبًا، فبينا هم حول الرَّسِّ، وهو البئر غير مَطويَّة[1]، انهارت بهم، فخُسِفَ بهم وبديارهم. وقيل: الرَّسُّ قريةٌ قتلوا نبيهم فهلكوا، [وقيل غير ذلك] ﴿وَقُرُونًۢا﴾ وأهلكنا أُممًا ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ لا يعلمها إلا الله، أرسل إليهم الرسل فكذبوهم، فأُهلكوا.

٣٩- ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ بيَّنا له القِصَصَ العجيبةَ من قِصَصِ الأولين، [أي أنذرنا وحذَّرنا من تكذيبهم أنبياءَهم فلمَّا أصَرُّوا أُهلكوا كما قال] ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ أهلكنا إهلاكًا.

٤٠- ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟﴾ يعني أهلَ مكة ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ﴾ سَدُومَ وهي أعظمُ قرى قوم لوط، وكانت خمسًا، أهلكَ الله أربعًا مع أهلها وبقيت واحدة ﴿ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ أمطرَ اللهُ عليها الحجارة، يعني أنَّ قريشًا مَرُّوا مرارًا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أُهلكت بالحجارة من السماء ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ أَمَا شاهدوا ذلك بأبصارهم عند

---

(١) البئر غير المطوية: غيرُ المبنيةِ الأَساسِ، يقال: طَوَى البناء باللَّبِنِ والبئرَ بالحجارة.

﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

سفرهم إلى الشام، فيتفكروا فيؤمنوا ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ بل كانوا قومًا كفرة بالبعث لا يخافون بعثًا فلا يؤمنون.

٤١- ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [ما يَتَّخذونك إلا سُخرية، لا يَرونَك أهلًا للتعظيم] ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى﴾ هذا استصغارٌ واستهزاء، أي قائلين: أهذا الذي ﴿بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ [إلى العالمين]؟

٤٢- ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ هو دليل على فرط مجاهدة رسول الله ﷺ في دعوتهم، وعرضِ المعجزات عليهم، حتى شارَفوا بزعمهم أن يتركوا دينَهم إلى دين الإسلام لولا فرطُ لَجاجهم[1] واستمساكهم بعبادة ءالهتهم ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ هو وعيدٌ ودِلالة على أنهم لا يَفوتونه وإن طالت مدةُ الإمهال ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ هو كالجواب عن قولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ لأنه نسبةٌ لرسول الله ﷺ إلى الضلال، إذ لا يُضِلُّ غيره إلا مَن هو ضالٌّ في نفسه.

٤٣- ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ يُروى أن الواحدَ من أهل الجاهلية كان يعبد الحجرَ فإذا مَرَّ بحجر أحسنَ منه تركَ الأولَ وعبد الثاني ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ حفيظًا تحفظه من متابعة هواه وعبادةِ ما يهواه.

٤٤- ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ كأنَّ هذه المَذَمَّة أشدُّ من التي تقدَّمتها حتى

(١) اللَّجاجُ في الأمر التمادي عليه وعدم الانصراف عنه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾

حُقَّت بالإضراب عنها إليها؛ وهي كونُهم مسلوبي الأَسماع والعقول، لأنهم لا يُلقون إلى استماع الحق أُذُنًا، ولا إلى تدبُّره عقلًا، ومشبَّهين بالأنعام التي هي مَثَلٌ في الغفلة والضلالة، فقد ركِبَهم الشيطان بالاستذلال لتركهم الاستدلال، ثم هم أَرجَحُ ضلالةً منها، لأنَّ الأنعام تُسبِّح ربَّها وتسجد له وتطيع مَن يعلِفُها، وتعرف مَن يُحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يَضُرُّها، وتهتدي لمراعيها ومشاربها، وهؤلاء لا [يطيعون ربَّهم] ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوُّهم، ولا يطلبون الثوابَ الذي هو أعظم المنافع، ولا يتَّقون العقابَ الذي هو أشدُّ المَضارّ والمهالك.

٤٥- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ألم تنظر إلى صُنع ربّكَ وقدرتهِ ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ بَسَطَه فعمَّ الأرض، وذلك من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس، إذ لا شمس معه ولا ظلمة ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ دائمًا لا يزول ولا تُذهبه الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ على الظلّ ﴿دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ لأنه بالشمس يُعرف الظلُّ، ولولا الشمسُ لَما عُرفَ الظلُّ.

٤٦- ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ أخذنا ذلك الظِّلَّ الممدودَ ﴿إِلَيْنَا﴾ إلى حيث أردنا ﴿قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ سهلًا غير عسيرٍ، أو قليلًا قليلًا، أي جزءًا فجزءًا بالشمس التي تأتي عليه.

٤٧- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ جعلَ الظلامَ الساترَ كاللباس ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحةً لأبدانكم، وقَطْعًا لأعمالكم ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ ذا نشورٍ أي انبعاث من النوم كنشور الميت، وقال لقمان لابنه: كما تنام فتُوقَظُ كذلك تموت فتُنْشَر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورٗا ٤٨ لِّنُحۡـِۧيَ
بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ٤٩ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ
أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٥٠ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ
وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾

٤٨- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ أي قُدَّامَ المطر لأنه ريحٌ، ثم سحابٌ، ثم مطر، وهذه استعارة مليحة ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا ﴿طَهُورٗا ٤٨﴾ بليغًا في طهارته.

٤٩- ﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ﴾ بالمطر ﴿بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ ذكَّرَ ميتًا على إرادة البلد أو المكان ﴿وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ٤٩﴾ ونُسقي الماءَ البهائمَ والناس، وقدَّم إحياءَ الأرض على سقي الأنعام والأناسيّ لأن حياتها سبب لحياتهما، وتخصيص الأنعام من بين الحيوان الشارب لأن عامة منافع الأناسيّ متعلقةٌ بها.

٥٠- ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ ولقد صرَّفنا هذا القول بين الناس في القرءان وفي سائر الكتب المنزَّلة على الرُّسل، وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حقَّ النعمة فيه فيشكروا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٥٠﴾ فأبى أكثرهم إلا كُفرانَ النعمة وجحودَها، وقِلَّةَ الاكتراثِ لها، أو صَرَّفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة على الصفات المتفاوتة فأبَوا إلا الكفورَ وأن يقولوا: مُطِرنا بنَوْءِ كذا ولا يذكروا صنعَ الله تعالى ونعمتَه.

٥١- ٥٢- ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٢﴾ لو شئنا لخففنا عنك أعباء نِذارة جميع القُرى، ولبعثنا في كلّ قريةٍ نبيًّا يُنذرها، ولكن شئنا أن نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة إلى كافة العالمين، فقصرنا الأمر عليك وعظَّمناك به، فتكون وحدك كَكُلِّهم فقابِلْ ذلك بالشكر والتشدُّد والتصبُّر، ولا تُطع الكافرين فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومُداهَنتهم، ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾

﴿جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾

بالله، يعني بعونه وتوفيقه، أو بالقرءان أي جادلهم به وقَرِّعْهُم[1] بالعجز عنه ﴿جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ عظيمًا موقعُه عند الله لِما يُحتَمَلُ فيه من المَشاقِّ.

٥٣- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ خَلَّاهما متجاوِرَين متلاصِقَين، وسمَّى الماءين الكثيرين الواسِعَين بحرَين ﴿هَٰذَا﴾ أي أحدُهما ﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديدُ العُذوبة حتى يقرُبَ إلى الحلاوة ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديدُ الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حائلًا من قدرته يفصِلُ بينهما ويمنعهما التمازُجَ، فهما في الظاهر مختلطان، وفي الحقيقة منفصلان ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣﴾ وسِترًا ممنوعًا عن الأعين.

٥٤- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ أي النطفةِ ﴿بَشَرًا﴾ إنسانًا ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ﴾ أراد تقسيم البشر قسمين: ذوي نَسَبٍ أي ذكورًا يُنسب إليهم، فيقال: فلانٌ ابنُ فلانٍ وفلانةُ بنتُ فلانٍ، وذواتِ صِهرٍ أي إناثًا يُصاهَر بهنَّ ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤﴾ حيث خلق من النطفة الواحدة بشرًا نوعين ذكرًا وأنثى.

٥٥- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ﴾ إن تركوه ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ على معصية ربّه ﴿ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ مُعينًا ومظاهرًا، والمعنى أنَّ الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الرحمٰن.

---

(١) التقريع: التأنيب والتوبيخ.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩﴾

٥٦- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرٗا ٥٦﴾ للكافرين.

٥٧- ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على التبليغ ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾ جُعْلٍ ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧﴾ لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلًا فليفعل، ومعنى اتّخاذِهم إلى الله سبيلًا تَقرُّبهم إليه بالإيمان والطاعة، أو بالصدقة والنفقة.

٥٨- ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ثِقْ به وأَسْنِدْ أمرَك إليه في استكفاء شرورهم، والتوكل الاعتماد عليه في كل أمر ﴿وَسَبِّحۡ﴾ ونزِّهْهُ عن أن يَكِلَ إلى غيره مَن توكَّل عليه ﴿بِحَمۡدِهِۦۚ﴾ بتوفيقه الذي يوجبُ الحمد، أو نَزِّهْهُ عن كل العيوبِ بالثناء عليه ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨﴾ يعني أنه خبير بأحوالهم، كافٍ في جزاء أعمالهم.

٥٩- ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ في مدةٍ مقدارها هذه المدة، لأنه لم يكن حينئذٍ ليلٌ ونهارٌ أَوّلُها يومُ الأحد وءاخرُها يومُ الجمعة، وإنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظةٍ تعليمًا لخلقه الرِّفقَ والتثبُّتَ ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[1] أي هو الرحمٰن ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩﴾ فاسأل عنه رجلًا عارفًا يخبرك برحمته، أو الرحمٰن اسم من أسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه.

---

(١) الله تعالى كان مستويًا أي قاهرًا للعرش قبل خلق السموات والأرض؛ إذ قبل خلق السموات والأرض كان العرش موجودًا والله قاهره، «ثم استوى» معناها هنا وقد استوى، أي وقد كان العرش في قبضةِ الله أي في تصرف الله، «ثم» تأتي بمعنى الواو، يصح أن يقال مثلًا: إن زيدًا سافر يومَ الأحد ثم إنه سافر قبل ذلك.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى
جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً
لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾

٦٠- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ إذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ صَلُّوا لله واخضعوا له ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لا نعرف الرحمٰن فنسجدَ له، فهذا سؤال عن المسمَّى به، لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم، لم يكن مستعملًا في كلامهم كما استُعمل الرحيم ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ للذي تأمرنا بالسجود له من غير عِلمنا به ﴿وَزَادَهُمْ﴾ قوله: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ ﴿نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ تباعدًا عن الإيمان.

٦١- ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ هي منازل الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما، وللشمس بيت وللقمر بيت. فالحَمَلُ والعقربُ بيتا المِرِّيخ، والثور والميزان بيتا الزُّهَرةِ، والجوزاء والسُّنبلة بيتا عُطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجَدي والدلو بيتا زُحَلَ، سُمِّيت بالبروج التي هي القصورُ العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكَّانها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ في السماء ﴿سِرَٰجًا﴾ يعني الشمس لِتوقُّدها ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ مضيئًا بالليل.

٦٢- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ هي الحالة التي يَخلُفُ عليها الليلُ والنهار كلُّ واحدٍ منهما الآخر عند مُضِيِّهِ ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ يتدبَّر في تسخيرهما واختلافهما، فيعرفَ مدبِّرَهما ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ أي يشكرُ نعمةَ ربِّه عليه فيهما.

٦٣- ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ وَصَفَ أولياءَه بعدما وصفَ أعداءَه ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ بسَكينةٍ ووقار وتواضع، دون مَرَحٍ(١) واختيالٍ

(١) المَرَحُ: التكبُّر.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا
وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا
سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ
قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا
بِٱلْحَقِّ﴾

وتكبُّرٍ، فلا يضربون بأقدامِهم ولا يَخفِقون بنعالهم أَشَرًا وبَطَرًا ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ﴾ أي السفهاءُ بما يكرهون ﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ سدادًا من القول، يَسلمون فيه من الإيذاء والإفك.

هذا وَصْفُ نهارِهم، ثم وصفَ ليلَهم بقوله:

٦٤- ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ جمع ساجدٍ ﴿وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ جمعُ قائمٍ، والبيتوتة: أن يُدرِكَكَ الليل نمتَ أو لم تنم، والظاهر أنه وصفٌ لهم بإحياء الليل.

٦٥- ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ هلاكًا لازمًا. وصفَهم بإحياء الليل ساجدين قائمين، ثم عَقَّبه بذكر دعوتِهم هذه إيذانًا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مُبتهِلون متضرِّعون إلى الله في صرف العقاب عنهم.

٦٦- ﴿إِنَّهَا﴾ أي إنَّ جهنم ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ بِئْسَت مستقرًّا ومقامًا هي.

٦٧- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟﴾ لم يجاوزوا الحدَّ في النفقة ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ القتر والإقتار والتقتير: التضييق الذي هو نقيض الإسراف ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي الإسرافِ والإقتار ﴿قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ عدلًا بينهما، وصفَهم بالقَصْدِ الذي هو بين الغلوّ والتقصير.

٦٨- ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ لا يشركون ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي حَرَّم قتلَها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ بقَوَدٍ، أو رجمٍ، أو

﴿وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾

ردَّة، أو شرك ﴿وَلَا يَزْنُونَۚ﴾ ونفيُ هذه الكبائرِ عن عباده الصالحين تعريضٌ لِما كان عليه أعداؤهم من قريشٍ وغيرهم، كأنه قيل: والذين طهَّرهم الله مما أنتم عليه ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ المذكورَ ﴿يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ جزاءَ الإِثْم.

٦٩- ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي يُعَذَّبْ على مرور الأيام في الآخرة عذابًا على عذاب ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾ في العذاب ﴿مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ ذليلًا.

٧٠- ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ عن الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ بمحمدٍ عليه الصلاة والسلام ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ بعد توبته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ يوفقُهم للمحاسن بعد القبائح، أو يمحوها بالتوبة، ولم يُرِد به أنَّ السيئة بعينها [تصير] حسنة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ يكفِّر السيئاتِ ﴿رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ يُبدِّلها بالحسنات.

٧١- ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ ومن تاب وحقَّق التوبة بالعمل الصالح فإنه بذلك تائب إلى الله مَتابًا مرضيًّا عنده، مُكفِّرًا للخطايا، محصِّلًا للثواب.

٧٢- ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ الكذبَ، يعني ينفِرون عن مَحاضر الكذَّابين ومجالس الخطَّائين فلا يقربونها تنزُّهًا عن مخالطة الشرِّ وأهلِه، إذ مشاهدة الباطل [مع الرِّضا به] شِركةٌ فيه، وكذلك النَّظارة إلى ما لم تُسَوِّغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الآثام، لأن حضورَهم ونظرَهم دليل الرضا وسببُ وجود الزيادة فيه ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ﴾ بالفُحش وكلِّ ما ينبغي أن يُلغى ويُطرحَ، والمعنى: وإذا مَرُّوا بأهل اللغو والمشتغلين به ﴿مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ مُعرضين عنه، مكرِّمين أنفسَهم عن التلوُّث به.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ
مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾﴾

٧٣- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ أي قُرِئَ عليهم القرءان، أو وُعظوا بالقرءان ﴿لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾﴾ هذا ليس بنفي الخرورِ بل هو إثباتٌ له، ونفيُ الصَّمم والعمى، يعني أنهم إذا ذُكّروا بها خرُّوا سجَّدًا وبُكِيًّا[١]، سامعين بآذانٍ واعيةٍ، مبصرين بعيونٍ راعيةٍ لِما أُمروا به ونُهوا عنه، لا كالمنافقين وأشباههم.

٧٤- ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجًا وأعقابًا عُمَّالًا لله تعالى [بالطاعة] يُسَرُّون بمكانهم وتَقَرُّ بهم عيونهم ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ أئمةً يقتدون بنا في الدين.

٧٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ أي الغُرُفاتِ، وهي العلاليُّ[٢] في الجنة دليله قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة سبأ] ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات، وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم، وعلى الفقر وغير ذلك ﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ﴾ دعاءً بالتعمير ﴿وَسَلَٰمًا﴾ ودعاءً بالسلامة، يعني أنَّ الملائكة يُحَيُّونَهم ويسلِّمون عليهم، أو يُحيّي بعضهم بعضًا ويسلم عليه.

٧٦- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ﴾ الغُرفةُ ﴿مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ موضعَ قرارٍ وإقامةٍ، وهي في مقابلة ﴿سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾.

---

(١) البُكِيُّ: جمع باكٍ.
(٢) العلالي: جمع العِلِّيَّة، الغرفة والعِلية شيء واحد.

﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ٧٧﴾

٧٧- ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام، أو لولا عبادتكم له، أي أنه خلقكم لعبادته ﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ﴾ رسولي يا أهلَ مكَّةَ ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامَۢا ٧٧﴾ مُلازمًا [لكم في الآخرة].

سورة الشعراء
مكية وهي مائتان وعشرون وسبع ءايات
[إلا أربعَ ءايات نزلت بالمدينة وهي ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ إلى ءاخر السورة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ
نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿طسٓمٓ ۝١﴾ [الجمهور على أنها ونظائرها أسماء السور، وذكر تفصيل ذلك في أول سورة البقرة].

٢- ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ الظاهرِ إعجازُه وصحةُ أنه من عند الله، والمراد به السورة أو القرءان، والمعنى ءاياتُ هذا المؤلَّفِ من الحروف المبسوطة تلك ءاياتُ الكتاب المبين.

٣- ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾ قاتلٌ ﴿نَّفْسَكَ﴾ من الحُزنِ، يعني أَشفِقْ على نفسك أن تقتلَها حسرةً وحزنًا على ما فاتك من إسلام قومك ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ لامتناع إيمانهم.

٤- ﴿إِن نَّشَأْ﴾ إيمانَهم ﴿نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ دِلالةً واضحةً ﴿فَظَلَّتْ﴾ فتظلُّ ﴿أَعْنَٰقُهُمْ﴾ رؤساؤهم ومقدَّموهم ﴿لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ منقادين.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا
كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾

٥- ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾ وما يُجدِّد لهم اللهُ بوحيه موعظةً وتذكيرًا إلا جدَّدوا إعراضًا عنه وكُفرًا به.

٦- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ محمدًا ﷺ فيما أتاهم به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ فسيعلمون ﴿أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾ أخبار ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾ هذا وعيدٌ لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مَسَّهم عذابُ الله يومَ بدرٍ ويومَ القيامة ما الشيءُ الذي كانوا يستهزئون به، وهو القرءانُ، وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت خافيةً عليهم.

٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صِنفٍ من النبات ﴿كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾ محمودٍ كثير المنفعة يأكل منه الناس والأنعام.

٨- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ إنَّ في إنبات تلك الأصناف لآيةً على أنَّ مُنبتَها قادرٌ على إحياء الموتى، وقد عَلِمَ الله أنَّ أكثرَهم مطبوعٌ على قلوبهم غيرُ مُرَجًّى إيمانُهم.

٩- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من الكفرة ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ لِمَن ءامن منهم.

١٠- ﴿وَإِذْ نَادَىٰ﴾ اذكر إذ دعا ﴿رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ أنفسَهم بالكفر وبني إسرائيلَ بالاستعباد وذبح الأولاد.

١١- ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ عطف بيان، كأن معنى ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وترجمته: قومُ فرعون ﴿أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ أي ائتهم زاجرًا فقد ءان لهم أن يتَّقوا.

١٢- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾ [أي لا يصدقوني فيردُّوا أمرك، و] الخوفُ غمٌّ يَلحقُ الإنسان لأَمرٍ سيقع.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾

١٣- ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ بتكذيبهم إياي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ بأن تغلبَني الحميَّةُ[1] على ما أرى من المِحَال[2]، وأسمعُ من الجدال [ولم تكن خشيته من عدم انطلاق لسانه لِعِيٍّ أو عجز عن الحُجَّةِ، بل من شدة غضبه لله تعالى مع حِرصِه على المسارعة في الردِّ عليهم على تكذيبهم إيَّاه] ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾ أَرسِلْ إليه جبريلَ واجعَلْه نبيًّا يُعينُني على الرسالة، وكان هارونُ بمصر حيث بُعثَ موسى نبيًّا بالشام، ولم يكن هذا الالتماسُ من موسى عليه السلام توقُّفًا في الامتثال بل التماسَ عونٍ في تبليغ الرسالة، وكفى بطلب العون دليلًا على التقبُّل لا على التعلُّل.

١٤- ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ تَبِعَةُ ذنبٍ بقتلِ القِبطي ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ يقتلوني به قِصاصًا، وليس هذا تعلُّلًا أيضًا بل استدفاعٌ للبَلِيَّة المتوقعة، ولذا وَعَدَه بالكِلَاءَة[3] والدفع بكلمة الردع، وجمعَ له الاستجابتين معًا في قوله:

١٥- ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا﴾ فوعده اللهُ الدفعَ [بتأمينه مِنَ] الخوف، كأنه قيل: [اعدِلْ] يا موسى عما تظن، والتَمَسَ منه رسالة أخيه فأجابه بقوله: اذهبا، أي جعلته رسولًا معك فاذهبا ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ مع ءاياتنا وهي اليدُ والعصا وغيرُ ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ معكما بالعون والنُصرة ومع مَن أُرسلتما إليه بالعلم والقدرة ﴿مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ سامعون [ما تقولون وما يقال لكم].

---

(١) يعني الغضبَ لِمَحارم الله.

(٢) المِحال: الكيد والمخاصمة والمنازعة.

(٣) أي: الحِفظ.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾

١٦- ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ كل واحد منا [رسول رب العالمين].

١٧- ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ خَلِّهم يذهبوا معنا إلى فلسطين، وكانت مسكَنَهما، فأَتيا بابَه، فلم يُؤذن لهما سنةً، حتى قال البوَّاب: إنَّ هٰهنا إنسانًا يزعُم أنه رسولُ ربِّ العالمين، فقال: ائذَنْ له لعلَّنا نضحك منه، فأَدَّيا إليه الرسالةَ، فعرف فرعونُ موسى فعند ذلك:

١٨- ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ ألم تكن صغيرًا فربيناك ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ قيل: ثلاثينَ سنةً.

١٩- ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ يعني قتلَ القِبطي ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ بنعمتي حيث قتلتَ خبَّازي، أو كنت على ديننا الذي تُسميه كفرًا، وهذا افتراء منه عليه لأنه معصوم من الكفر، وكان يعايشهم بالتَّقِيَّة(١).

٢٠- ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ إذ ذاك ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ الجاهلين بأنها تبلغُ القتلَ(٢)، والضالُّ عن الشيء هو الذاهب عن معرفته.

٢١- ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ إلى مَدين ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أن تقتلوني، وذلك حين قال له مؤمن مِن ءال فرعون: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة القصص] الآية ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ نبوةً وعلمًا ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ من جملة رُسُله.

---

(١) أي يخفي عنهم حقيقة أمره. ولا يُحَسِّنُ لهم الباطلَ ولا يماشيهم في كفرهم.
(٢) الوَكزةُ التي وكزها موسى عليه السلام القبطيَّ، ما كان يظن أنها تبلغ القتل. موسى عليه السلام كان قويًّا وكذلك كل الأنبياء.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا
بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

٢٢- ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ كَرَّ على امتنانِه عليه بالتربية، فأَبطله من أصله وأبى أن تُسمَّى نعمتُه إلا نِقمةً، حيث بيَّن أنَّ حقيقةَ إنعامه عليه تعبيدُ بني إسرائيل لأنَّ تعبيدَهم - [وهو] تذليلهم واتخاذهم عبيدًا - وقصدَهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عندَه وتربيتِهِ، ولو تركهم لربَّاه أبواه.

٢٣- ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ أي إنك تدَّعي أنَّك رسولُ ربِّ العالمين، فما صفته؟

٢٤- ﴿قَالَ﴾ موسى مُجيبًا له على وَفْقِ سؤاله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أي وما بين الجنسين ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ إن كنتم تعرفون الأشياء بالدليل، فكفى خلقُ هذه الأشياءِ دليلًا.

٢٥- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ من أشراف قومه: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ مُعَجِّبًا قومَه من جوابه، لأنهم يزعُمون قِدَمَهما، وينكرون أنَّ لهما ربًّا، فاحتاج موسى عليه السلام إلى أن يستدلَّ بما شاهدوا حدوثَه وفَناءَه، فاستدلَّ حيث:

٢٦- ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ هو خالقكم وخالق ءابائكم، فإن لم تستدلُّوا بغيركم فبأنفسكم، وإنما قال: ربُّ ءابائكم لأنَّ فرعون كان يدَّعي الربوبية على أهل عصره دون مَن تقدَّمهم.

٢٧- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ حيث يزعم أنَّ في الوجود إلٰهًا غيري، وكان فرعون ينكر إلٰهية غيره.

٢٨- ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فتستدلون بما أقول فتعرفون ربَّكم، وهذا غايةُ الإرشاد حيث عَمَّمَ أولًا بخلق

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾

السماوات والأرض وما بينهما، ثم خصَّص أنفسَهم وءاباءهم، لأن أقربَ المنظور فيه من العاقل نفسُه ومَن وُلد منه، وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده إلى وقت وفاته، ثم خصَّص المشرق والمغرب لأنَّ طلوع الشمس من أحد الخافقين[1] وغروبَها في الآخر على تقديرٍ مستقيم في فصول السنة وحسابٍ مستوٍ من أظهر ما استدلَّ به، ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الرحمٰن عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمرود بن كنعان.

٢٩- ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي﴾ أي غيري إلـٰهًا ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ لأجعلنَّك واحدًا ممن عرفت حالهم في سجوني، وكان من عادته أن يأخذ مَن يريد سجنه فيطرحَه في هُوَّةٍ ذاهبةٍ في الأرض بعيدةِ العمق، فَرْدًا لا يُبصر فيها ولا يسمع، فكان ذلك أشدَّ من القتل.

٣٠- ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ﴾ أتفعل بي ذلك ولو جئتك ﴿بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [يُبيّن لك صدقَ دعواي، يعني المعجزة].

٣١- ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ﴾ بالذي يبيّن صدقك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ أنَّ لك بيّنة.

٣٢- ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ ظاهرُ الثعبانية، لا شيءٌ يُشبه الثعبانَ كما تكون الأشياء المُزَوَّرة بالشَّعوذة والسحر، رُوِي أنَّ العصا ارتفعت في السماء قدرَ ميلٍ ثم انحطَّت مُقبلةً إلى فرعون: وجعلت تقول: يا موسى مُرني بما شئت، ويقول فرعون: أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتَها، فأخذها فعادت عصًا.

---

(١) الخافِقان: أُفُق المشرق والمغرب.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ٣٣ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ٣٥ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨﴾

٣٣- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ٣٣﴾ فيه دليل على أنَّ بياضها كان شيئًا يجتمع النظارةُ على النظر إليه لخروجه عن العادة، وكان بياضها نُوريًّا، روي أنَّ فرعون لما أبصر الآية الأولى قال: فهل غيرُها، فأخرج يده، فقال لفرعون: ما هذه؟ قال فرعون: يدُك، فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يَغْشَى الأبصار ويسدُّ الأفق.

٣٤- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤﴾ بالسحر.

ثم أغوى قومَه على موسى بقوله:

٣٥- ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ٣٥﴾ تُشيرون في أمره من حبس أو قتل، لَمّا تحيَّر فرعون برؤية الآيتين وزلَّ عنه ذِكر دعوى الإلٰهية، وحُطَّ عن منكبيه كبرياء الربوبية [المُدَّعاةِ]، وارتعدت فرائصُه خوفًا، طَفِقَ يؤامر قومَه الذين هم بزعمه عبيدُه وهو إلٰههم.

٣٦- ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ أَخِّرْ أمرَهما ولا تباغِتْ قتلَهما خوفًا من الفتنة ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦﴾ شُرَطًا[1] يحشرون السَّحرة [عندك]، وعارضوا قول فرعون ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٞ﴾ بقولهم:

٣٧- ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧﴾ فجاءوا بكلمة الإحاطة وصيغة المبالغة ليُسَكِّنوا بعضَ قلقه.

٣٨- ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨﴾ أي يوم الزينة، وميقاتُه وقتُ الضحى، لأنه الوقت الذي وقَّته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى: ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ٥٩﴾ [سورة طه].

---

(١) الشُّرَطُ: أعوان الوُلاة.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾

٣٩- ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أي اجتمِعوا، والمراد استعجالهم.

٤٠- ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ في دينهم ﴿إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي غلبوا موسى في دينه، وليس غرضُهم اتِّباعَ السحرة، وإنما الغرض الكُلّي أَلّا يتَّبعوا موسى، فساقوا الكلام مساق الكناية، لأنهم إذا اتَّبعوهم لم يكونوا متَّبعين لموسى.

٤١- ٤٢- ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ قال فرعون: نعم لكم أجر عندي وتكونون مع ذلك من المقربين عندي في المرتبة والجاه.

٤٣- ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾ من السحر فسوف ترون عاقِبَته.

[قال الإمام الماتريدي في التأويلات: فإن قيل: كيف قال موسى لأولئك السحرة: ألقوا، وهو يعلم أنَّ ما يلقون هو سحر، فكيف أمرهم بالسحر؟!

قيل: هذا وإن كان في الظاهر أمرًا فهو في الحقيقة ليس بأمر، إنما هو تهدُّدٌ وتوعُّدٌ، أي ألقُوا لترَوا عجزكم وضعفكم، وذلك في القرءان ظاهره أمرٌ وهو في الحقيقة توعد، كقوله تعالى لإبليس ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴿٦٤﴾﴾ الآيةَ [سورة الإسراء] لا يخرج على الأمر، ولكن على التوعد والتهدُّد، أي وإن فعلت ذلك فلا سلطان لك عليهم، كقوله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الإسراء] وقوله تعالى ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة فصلت].

﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ
تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾

٤٤- ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ﴾ سبعينَ ألفَ حبلٍ ﴿وَعِصِيَّهُمْ﴾ سبعين ألف عصًا ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أقسموا بعزته وقوته، وهو من أيمان الجاهلية.

٤٥- ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبتلعُ ﴿مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ما يَقلِبُونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويُزَوِّرونه ويُخَيِّلون في حبالهم وعِصِيِّهم أنها حيَّاتٌ تسعى.

٤٦- ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ عَبَّرَ عن الخرور بالإلقاء لأنهم لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم أُلقوا.

٤٧- ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ أصبحوا سحرةً وأَمْسَوا شهداءَ.

٤٨- ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ عطفُ بيان لرب العالمين لأن فرعون كان يدَّعي الربوبيةَ فأرادوا أن يعزلوه.

٤٩- ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ بذلك ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ وقد تواطأتم على أمرٍ ومكرٍ ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبالَ ما فَعلتُم، ثم صرَّح فقال: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ [وذلك أن يقطع من أحدهم يدَه اليمين ورجلَه اليسرى، أو يدَه اليسرى ورجلَه اليمنى فيخالف بين العضوين في القطع، وقيل:] من أجل خلافٍ ظهر منكم ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ كأنه أراد به ترهيب العامة لئلا يتَّبعوهم في الإيمان.

﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

٥٠- ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ﴾ لا ضرر في ذلك [علينا] ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

٥١- ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ﴾ لِأَن كنا ﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ أرادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا أعظم النفع لِمَا يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا.

٥٢- ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ بني إسرائيل سمَّاهم عبادَه لإيمانهم بنبيِّه، أي سِرْ بهم ليلًا، وهذا بعدَ سنينَ من إيمان السحرة ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ يتَّبعكم فرعونُ وقومه، علَّل الأمر بالإسراء باتِّباع فرعون وجنودِه ءاثارَهم، يعني إني بنيتُ تدبيرَ أمرِكم وأمرهم على أنْ تتقدموا ويتَّبعوكم حتى يدخلوا مَدخَلَكم من طريق البحر فأُهلِكَهم.

٥٣- ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ جامِعين للناس بِعُنفٍ.

فلَمّا اجتمعوا قال:

٥٤- ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ والشِّرذمةُ: الطائفةُ القليلة، أو أراد بالقِلَّةِ الذِّلَّةَ لا قِلَّةَ العدد، أي أنهم لقلَّتهم لا يبالَى بهم ولا تُتوقَّعُ غلبتُهم.

٥٥- ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ يفعلون أفعالًا تَغيظنا، وهو خروجُهم من مصرنا، وحملُهم حُلِيَّنا.

٥٦- ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ يعني ونحن قومٌ من عادتنا التيقُّظُ والحذر واستعمال الحزم في الأمور، فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى حسم فساده، وهذه معاذيرُ اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلَّا يُظنَّ به العجزُ والفتور.

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ فَأَتْبَعُوهُم
مُّشْرِقِينَ ۝٦٠ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى
سَيَهْدِينِ ۝٦٢ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ
ٱلْعَظِيمِ ۝٦٣﴾

٥٧- ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ﴾ بساتينَ ﴿وَعُيُونٍ ۝٥٧﴾ وأنهارٍ جاريةٍ.

٥٨- ﴿وَكُنُوزٍ﴾ وأموالٍ ظاهرةٍ من الذهب والفضة ﴿وَمَقَامٍ﴾ ومنزلٍ ﴿كَرِيمٍ ۝٥٨﴾ بهيّ بهيجٍ.

٥٩- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الأمرُ كذلك ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ لَمّا عبروا النهرَ رجعوا وأخذوا ديارَهم وأموالَهم.

٦٠- ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ فلَحِقوهم ﴿مُّشْرِقِينَ ۝٦٠﴾ أي أدرك قومُ فرعون موسى وقومَه وقتَ طلوع الشمس.

٦١- ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ تقابلا بحيث يرى كلٌّ فريقٍ صاحبَه، والمراد بنو إسرائيلَ والقِبطُ ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١﴾ أي قَرُبَ أن يلحقَنا عدوُّنا وأمامنا البحرُ.

٦٢- ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام ثقةً بوعد الله إياه: ﴿كَلَّآ﴾ ارتدِعوا عن سوءِ الظنِّ بالله فلن يدركوكم ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾ [بالحفظ والنصرة] ﴿سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ سيهديني طريقَ النجاة من إدراكهم وإضرارهم.

٦٣- ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ أي القُلْزُمَ[١]، هو الذي يسلك الناس فيه من اليمن إلى مصر ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ انشقَّ فصار اثني عشر فِرقًا على عدد الأسباط ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ جُزءٍ تفرَّق منه ﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝٦٣﴾ كالجَبَل المُنطاد[٢] في السماء.

---

(١) بحرُ القُلْزُم هو البحر الأحمر.
(٢) المُنطاد في السماء: المرتفع في السماء.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ
يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾

٦٤- ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ﴾ حيثُ انفلقَ البحرُ ﴿ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ قومَ فرعون، أي قرَّبناهم من بني إسرائيل أو من البحر [حتى دخلوا على إثرهم مداخِلَهم].

٦٥- ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ من الغرق [بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عَبَروا].

٦٦- ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ فرعونَ وقومَه [بإطباقه عليهم].

٦٧- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ فيما فعلنا بموسى وفرعون ﴿لَءَايَةً﴾ لعبرةً عجيبة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ [أي قوم فرعون] ﴿مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ لم يؤمن منهم إلا آسيةُ وحِزقيلُ ومريمُ التي دلَّت موسى على قبر يوسف.

٦٨- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ بالانتقام من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ بالإنعام على أوليائه.

٦٩- ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على مشركي قريشٍ ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ خَبَرَه.

٧٠- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ أيَّ شيء تعبدون؟ [وما استفهام بمعنى التحقير والتوبيخ] وإبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عَبَدَةُ الأصنام، ولكنه سألهم ليريَهم أنَّ ما يعبدونه ليس بمستحِقّ للعبادة.

٧١- ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ فنُقيم على عبادتها طولَ النهار.

٧٢- ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ هل يسمعون دعاءكم؟ ﴿إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

٧٣- ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ إن عبدتموها ﴿أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ إن تركتم عبادتَها.

﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ
ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى
وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ
لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾

٧٤- ﴿قَالُواْ بَلْ﴾ لا تسمعُ ولا تنفعُ ولا تضرُّ ولا نعبدها لشيء من ذلك ولكن ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ فقلَّدناهم.

٧٥-٧٦- ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ الأوَّلون.

٧٧- ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي الأصنامَ ﴿عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ يعني لو عبدتُّهم لكانوا أعداءً لي يومَ القيامة ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾، كأنه قال: لكنَّ ربَّ العالمين.

٧٨- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾ [أوجدني بعد أن لم أَكُ شيئًا] ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ لمناهج الدنيا ولمصالح الدين.

٧٩- ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ يُحييني بطعامه ويُرويني بشرابه.

٨٠- ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [أي إذا مرضتُ ثم شُفيتُ فالله هو الذي شفاني دون غيره].

٨١- ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [أي هو مالك إماتتي وإحيائي بعد موتي].

٨٢- ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ﴾ طَمَعَ العبيد في الموالي بالإفضال لا على الاستحقاقِ بالسؤال ﴿أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [تلطَّفَ في سؤال المغفرة وأحسنَ في الثناء على الله وقال: معبودي هو الذي إن أخطأت كان هو الذي أرجو منه المغفرة يوم الجزاء لِسَعة رحمته].

٨٣- ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾ حكمة، [أو هو دوامُ العلم والفهم، وقد كان تعالى أعطاه الحُكمَ وهو العلمُ والفهم فكان هذا سؤالَ الإدامة كما في قوله تعالى ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [سورة

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

الفاتحة]] ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ أي الأنبياء، [أي توفَّني على ما توفَّيتهم].

٨٤- ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ثناءً حسنًا وذِكرًا جميلًا في الأمم التي تجيء بعدي، فأُعطيَ ذلك.

٨٥- ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ من الباقين فيها.

٨٦- ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي﴾ اجعله أهلَ المغفرةِ بإعطاء الإسلام، وكان وَعَدَه الإسلامَ يومَ فارقه ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ الكافرين.

٨٧- ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ الإخزاء من الخِزْي وهو الهَوَان ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ أي ولا تُخزني يومَ يُبعثُ الضالون وأبي فيهم.

٨٨- ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أحدًا.

٨٩- ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ عن الكفر والنفاق، أي لا ينفع مالٌ ولا بنونَ إلا رجلًا سَلِمَ قلبُه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله، ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلَّمهم الشرائع، [وقيل: الاستثناء منقطع أي لكن مَن أتى اللهَ بقلب سليم ينفعه سلامةُ قلبه].

٩٠- ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ قُرِّبت، أي تُزلَفُ من موقف السعداء فينظرون إليها.

٩١- ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ أُظهرت حتى يكادُ يأخذُهم لَهبُها ﴿لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ للكافرين.

٩٢- ٩٣- ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ يُوبَّخون على إشراكهم فيقال لهم: أين ءالهتُكم؟ هل

﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا
لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن
شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

ينفعونكم بنُصرتهم لكم؟ أو هل ينفعون أنفسَهم بانتصارهم؟ لأنهم وآلهتَهم وَقودُ النار.

٩٤- ﴿فَكُبْكِبُواْ﴾ نُكِسُوا أو طُرِح بعضهم على بعض ﴿فِيهَا﴾ في الجحيم ﴿هُمْ﴾ [أي المعبودون] ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾ وعبدَتُهم [الضالُّون].

٩٥- ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ شياطينُه أو متَّبعوه من عصاة الإنس والجن.

٩٦- ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [أي الأتباع والمتبوعون].

٩٧- ٩٨- ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ نَعدِلُكم أيها الأصنام ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ في العبادة.

٩٩- ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الذين دعَونا إلى ذلك].

١٠٠- ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ كما للمؤمنين من[1] الأنبياء والأولياء والملائكة.

١٠١- ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ كما نرى لهم أصدقاء، إذ لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون، وأما أهل النار فبينهم التعادي: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الزخرف] أو ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ من الذين كنا نعدُّهم شفعاءَ وأصدقاءَ، لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله، وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس، [والصديق] الحميم: الذي يُهِمُّه ما يُهِمُّك، وهو الصديق الخاص.

(١) من هنا بيانية ليست للتبعيض.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾

١٠٢- ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ فليت لنا رجعةً إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [بالله ورسوله حتى يكون لنا شفعاءُ، تمنَّوا حين لا ينفعهم التمني].

١٠٣- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما ذُكر من الأنباء ﴿لَآيَةً﴾ لَعِبرةً لِمَن اعتبر ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ فيه أنَّ فريقًا منهم ءامنوا.

١٠٤- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المنتقم ممن كذَّب إبراهيمَ بنار الجحيم ﴿الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الموصلُ] كلَّ ذي قلبٍ سليمٍ إلى جنة النعيم.

١٠٥- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ كانوا ينكرون بعثَ الرسل أصلًا فلذا جُمِعَ، أو لأنَّ مَن كذَّب واحدًا منهم فقد كذَّب الكلَّ لأنَّ كلَّ رسولٍ يدعو الناس إلى الإيمان بجميع الرسل.

١٠٦- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ نَسبًا لا دينًا ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ خالقَ الأنام فتتركوا عبادةَ الأصنام.

١٠٧- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ كان مشهورًا بالأمانة فيهم كمحمدٍ عليه الصلاة والسلام في قريش.

١٠٨- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ فيما ءامرُكم به وأدعوكم إليه من الحق.

١٠٩- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على هذا الأمر ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ أجرًا ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [ثوابي على تبليغي لكم من رب العالمين بوعده بذلك].

١١٠- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾ كُرِّر ليُقرِّره في نفوسهم مع تعليق كلّ منهما بعِلَّةٍ. فعلَّة الأول كونُه أمينًا فيما بينهم، وعِلةُ الثاني حَسْمُ طمعه

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا
عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ
يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن
مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾

منهم، كأنه قال: إذا عرفتم رسالتي وأمانتي فاتقوا الله، ثم إذا عرفتم احترازي من الأجر فاتقوا الله.

١١١- ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ السَّفِلَةُ وإنما استرذلوهم لاتِّضاع نَسَبهم وقلّةِ نصيبهم من الدنيا، وقيل كانوا أهل الصناعات الدنيئة.

١١٢- ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي﴾ وأيُّ شيءٍ علمي ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ من الصناعات، إنما أطلب منهم الإيمان، وقيل إنهم قالوا: إن الذين ءامنوا بك ليس في قلوبهم ما يُظهرونه، فقال: ما عليَّ إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر.

١١٣- ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ أنَّ الله يحاسبهم على ما في قلوبهم.

١١٤- ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ ليس من شأني أن أتَّبع شهواتِكم بطرد المؤمنين طمعًا في إيمانكم.

١١٥- ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾﴾ ما عليَّ إلا أن أنذركم إنذارًا بَيِّنًا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحقُّ من الباطل.

١١٦- ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عما تقول ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ من المقتولين بالحجارة.

١١٧- ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾ [فيما أتيتهم به مِنَ الحقّ مِن عندك].

١١٨- ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾ فاحكم بيني وبينهم حكمًا، [أي أهلِكْهم، وقال ذلك عند اليأس من إيمانهم] ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ من عذاب عملهم، [أو ونجِّني مما يَحُلُّ بهم، وفيه إشعار بحلول العذاب بهم].

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ
لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

١١٩- ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ الفُلكُ: السفينةُ ﴿ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾ المملوء.

١٢٠- ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد إنجاء نوحٍ ومَن ءامن معه ﴿ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ من قومه.

١٢١- ١٢٢- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٢٢﴾﴾ المنتقم بإهانة مَن جَحَدَ وأصرَّ ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ المُنعِمُ بإعانة مَن وَحَّدَ وأقرَّ.

١٢٣- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ هي قبيلةٌ، وفي الأصل اسمُ رجلٍ هو أبو القبيلة.

١٢٤- ١٢٦- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴿١٢٦﴾﴾ في تكذيب الرسول الأمين ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾.

١٢٧- ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [وكان الأنبياء متفقين على ذلك مُبَرَّئين عن الأغراض الدنيوية].

١٢٨- ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكانٍ مرتفعٍ ﴿ءَايَةً﴾ برجَ حمامٍ، أو بناءً يكون لارتفاعه كالعلامة [يُشرفون منه على الناس فيسخرون] بمن مرَّ بهم ﴿تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ تلعبون.

١٢٩- ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ مآخذ الماء، أو قصورًا مُشَيَّدة، أو حصونًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ ترجون الخلود في الدنيا.

١٣٠- ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ أخذتم أحدًا بالعقوبة ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ
الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

قتلًا بالسيف وضربًا بالسَّوط، والجبَّار [مِنَ الخلْقِ] الذي يقتلُ ويضرب على الغضب.

١٣١- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في البطش ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾ فيما أدعوكم إليه.

١٣٢- ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ مِنَ النِّعَم، ثم عدَّدها عليهم فقال:

١٣٣- ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ قرنَ البنينَ بالأنعام لأنهم يُعينونهم على حفظها والقيام عليها.

١٣٤- ١٣٥- ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [إن بقيتم على معصيتي، أي مخالفتي].

١٣٦- ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ أي لا نقبلُ كلامَك ودعوَتك وَعَظتَ أم سكتَّ.

١٣٧- ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت واتخاذِ الأبنية إلا عادةُ الأوَّلين، أو ما نحن عليه دين الأوَّلين.

١٣٨- ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ في الدنيا ولا بعثَ ولا حساب.

١٣٩- ١٤٠- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي هودًا ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بريح صَرصَرٍ عاتيةٍ[(١)] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾.

---

(١) باردةٍ شديدةِ العَصْف سُخِّرت عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

١٤١-١٤٦- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ إنكارٌ لأن يُتركوا خالدين في نعيمهم لا يُزالون عنه ﴿فِى مَا هَٰهُنَآ﴾ في الذي استقرَّ في هذا المكان من النَّعيم ﴿ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ من العذاب والزَّوال والموت.

ثم فسَّره بقوله:

١٤٧- ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾﴾ وهذا أيضًا إجمال ثم تفصيل.

١٤٨- ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ﴾ عطفَ نخلٍ على جناتٍ مع أن الجنة تتناولُ النخل تفضيلًا للنخل على سائر الشجر ﴿طَلْعُهَا﴾ هو ما يخرج من النخل كنَصْلِ السيف[1] ﴿هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ لينٌ نضيج، كأنه قال: ونخل قد أرطبَ ثمرُهُ.

١٤٩- ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ تنقُبون ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ والفراهة: الكَيْسُ[2] والنشاط، أي حاذِقين بنحتها.

١٥٠- ١٥١- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾ أي الكافرين، أو التسعةِ الذين عقروا الناقة.

١٥٢- ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالظلم والكفر ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ بالإيمان والعدل، المعنى أن فسادَهم مُصْمَتٌ ليس معه شيء من الصلاح.

---

(١) نَصْلُ السيف: حَدُّه وشَفْرَتُه.

(٢) الكَيْسُ: ضد الحُمْق.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ
فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥٦ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ١٥٧ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٥٩﴾

١٥٣- ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣﴾ المُسَحَّرُ الذي سُحِرَ كثيرًا حتى غَلَبَ على عقله.

١٥٤- ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤﴾ في دعوى الرسالة.

١٥٥- ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ﴾ نصيبٌ من الماء فلا تُزاحموها فيه ﴿وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥﴾ لا تُزاحِمُكم هي فيه، رُويَ أنهم قالوا: نريدُ ناقةً عُشَرَاءَ[1] تخرج من هذه الصخرة فتلدُ سَقْبًا[2] فجعل صالح يتفكَّر، فقال له جبريلُ: صَلِّ ركعتين واسأل ربَّك الناقة، ففعل، فخرجت الناقة ونُتِجَت سَقْبًا مثلها في العِظَم، وإذا كان يومُ شِربِها شَرِبت ماءَهم كلَّه وإذا كان يومُ شِربِهم لا تشرب فيه الماء.

١٥٦- ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ بضربٍ أو عَقْرٍ أو غير ذلك ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥٦﴾ عظَّم اليومَ لحُلول العذاب فيه.

١٥٧- ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عَقَرَها قُدارُ، ولكنهم راضونَ به فأُضيفَ إليهم، روي أنَّ عاقرَها قال: لا أعقِرُها حتى ترضَوا أجمعين، فكانوا يدخلون على المرأة في خِدْرها فيقولون: أترضَين؟ فتقول: نعم، وكذلك صِبيانهم ﴿فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ١٥٧﴾ على عَقرها خوفًا من نزول العذاب بهم لا ندمَ توبةٍ.

١٥٨- ١٥٩- ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ المتقدِّمُ ذِكرُه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٥٩﴾.

---

(١) ناقةٌ عُشَرَاءُ: أتى على حملها عشرة أشهر.
(٢) السَّقْبُ: ولدُ الناقة، أو هو خاص بالذكر.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ
ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟
لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى
مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾

---

١٦٠ - ١٦٥ - ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ أراد بالعالمينَ الناسَ، أو أتطؤون أنتم مِن بين مَن عداكم من العالمين الذُّكرانَ، أي أنتم مُختصُّون بهذه الفاحشة.

١٦٦ - ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ﴾ كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم، وفيه دليل على تحريم أدبار الزوجات والمملوكات ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ أنتم قوم أحقُّ بأن توصفوا بالعُدوان حيث ارتكبتم مثلَ هذه العظيمة.

١٦٧ - ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ﴾ عن إنكارك علينا وتقبيح أَمرنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ مِن جملة مَن أخرجناه من بين أظهُرِنا وطردناه من بلدنا، ولعلهم كانوا يخرجون مَن أخرجوه على أسوأ حال.

١٦٨ - ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ القِلَى: البغض الشديد، وفيه دليل على عِظَم المعصية لأن قِلاه من حيث الدين.

١٦٩ - ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ من عقوبة عَملِهم.

١٧٠ - ﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ يعني بناتِهِ ومَن ءامن معه.

١٧١ - ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ أي امرأةَ لوطٍ، وكانت راضيةً بذلك، واستثناء الكافرة من الأهل وهم مؤمنون للاشتراك في هذا الاسم، وإن لم تشاركهم في الإيمان ﴿فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾ في الباقين في العذاب، فلم تنجُ منه.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟
بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾

١٧٢- ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ والمراد بتدميرهم الائتفاك[1] بهم.

١٧٣- ١٧٥- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ أمطر الله على شُذَّاذ القوم حجارةً من السماء فأهلكهم ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ لم يُرِد بالمنذَرين قومًا بأعيانهم، بل المراد جنس الكافرين [أي فبئسَ المطرُ الذي يصيب مَن أُنذر فلم يقبل]. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

١٧٦- ١٨٠- ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ هي غَيضة تُنبت ناعِمَ الشجر[2] [بقرب مَدينَ تسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيبًا كما بعثه إلى مدين وكان أجنبيًا منهم فلذلك قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ ولم يقل أخوهم شعيب، وأما أهل مدين فهم قومه ولذلك قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴿٨٥﴾﴾ في سورة الأعراف] ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾.

١٨١- ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ أَتِمُّوه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾﴾ ولا تَنْقُصوا الناسَ حقوقَهم.

١٨٢- ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾ هو الميزان أو القَبَّانُ.

---

(١) الائتفاك بهم: قلب الأرض بهم، والمؤتفكات الرياح التي تقلب الأرض.
(٢) أي: لَيِّنَهُ والأخضرَ منه المجرَّدَ من الشوك، أو قليل الشوك.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾

١٨٣- ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ﴾ يقال: بَخَسْتُه حقَّه إذا نَقَصْتُه إياه ﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾ دراهِمَهم ودنانيرَهم بقطع أطرافهما ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ ولا تبالغوا فيها في الإفساد، نحوُ قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع.

١٨٤- ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ﴾ اتقوا الذي خلقكم وخلق الجبلَّةَ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾ [أي الخليقةَ] الماضين [وقد رأيتم عقوباته للأوَّلين حين عَصَوا رُسُلَه وظلموا عباده، فاتَّقُوه فإنه خالقكم وقادر عليكم كما قدر على مَن سبقكم].

١٨٥- ١٨٦- ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ [ما نَظنُّك إلا من الكاذبين في دعوى الرسالة].

١٨٧- ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾ أي إن كنت صادقًا أنك نبي فادع الله أن يُسقط علينا قِطَعًا من السماء عقوبة.

١٨٨- ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ الله أعلم بأعمالكم وبما تستحِقُّون عليها من العذاب، فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كِسَفٍ من السماء فَعَلَ، وإن أراد عقابًا ءاخرَ فإليه الحُكم والمشيئة.

١٨٩- ١٩١- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ هي سحابةٌ أظلَّتهم بعدما حُبِسَتْ عنهم الريحُ وعُذِّبوا بالحَرِّ سبعةَ أيام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحَرّ فأَمطرت عليهم نارًا

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ
بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨﴾

فـاحـتـرقـوا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١﴾ وقد كُرر في هذه السورة في أوَّل كلِّ قِصةٍ وءاخرِها ما كُرِّر تقريرًا لمعانيها في الصدور ليكون أبلغَ في الوعظ والزجر.

١٩٢- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرءانَ ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢﴾ مُنزَّلٌ منه.

١٩٣- ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾ أي جبريل، لأنه أمين على الوحي الذي فيه الحياة [مِنْ موت الجَهالة].

١٩٤- ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ حَفَّظكَ وفهَّمكَ إياه وأثبته في قلبك إثباتَ ما لا يُنسى كقوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾ [سورة الأعلى] ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾.

١٩٥- ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ﴾ أي لتكون من الذين أَنذروا بهذا اللسان وهم هودٌ وصالحٌ وشُعيبٌ وإسماعيلُ عليهم السلام ﴿مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [فصيحٍ وهو مبينٌ ما يرادُ به لوضوحه، ومبينٌ للناس ما يحتاجون إليه من أمر دينهم ودنياهم].

١٩٦- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإنَّ القرءان ﴿لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ ذِكرُه مُثبَتٌ في سائر الكتب السماوية.

١٩٧- ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ﴾ أي القرآنَ لوجود ذكره في التوراة ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾ كعبدِ الله بنِ سلامٍ وغيره.

١٩٨- ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨﴾ جمع أعجم وهو الذي لا يُفصح، ولمَّا كان مَن يتكلم بلسان غيرِ لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أَعجمُ وأعجميٌّ، شبَّهوه بمن لا يفصح.

﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٢٠١ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٠٢ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ
مُنظَرُونَ ٢٠٣ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ٢٠٤﴾

١٩٩- ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩﴾ المعنى أنَّا أنزلنا هذا القرءان على رجلٍ عربي مبين، ففهموه وعرفوا فَصاحتَه، وأنه معجِزٌ، وانضم إلى ذلك اتفاقُ علماء أهلِ الكتاب قبلَه على أنَّ البشارةَ بإنزاله وصفتَه في كتبهم، وقد تضمنت معانِيَهُ وقِصَصَه، وصحَّ بذلك أنها من عند الله وليست بأساطيرَ كما زعموا، فلم يؤمنوا به وسمَّوه شعرًا تارةً وسحرًا أخرى، وقالوا هذا من افتراء محمدٍ، ولو نَزَّلناه على بعض الأعاجم الذي لا يُحسن العربية فضلًا أن يقدِرَ على نظم مثلِهِ فقرأه عليهم هكذا [فصيحًا مُعجِزًا متحدًّى به] لكفروا به كما كفروا، ولتمحَّلوا لجحودِهم عذرًا وسَمَّوه سحرًا.

ثم قال:

٢٠٠- ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ﴾ أي أدخلنا التكذيب أو الكفر ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠﴾ الكافرينَ الذين عَلِمنا منهم اختيارَ الكفر والإصرارَ عليه، يعني مثلَ هذا السَّلك سلكناه في قلوبهم وقرَّرناه فيها.

٢٠١- ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ لا يزالون على التكذيب بالقرءان وبجحوده ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٢٠١﴾ المراد به معاينةُ العذاب عند الموت، ويكون ذلك إيمانَ يأسٍ فلا ينفعهم.

٢٠٢- ﴿فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ﴾ فجأةً ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٠٢﴾ بإتيانه.

٢٠٣- ﴿فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ٢٠٣﴾ يسألون النَّظِرَةَ والإمهالَ طرفةَ عينٍ فلا يُجابُون إليها.

٢٠٤- ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ٢٠٤﴾ توبيخ لهم وإنكار عليهم قولَهم: ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾ [سورة الأنفال] ونحوَ ذلك.

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ
يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾

٢٠٥- ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ هي سِنُو مُدةِ الدنيا.

٢٠٦- ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ من العذاب.

٢٠٧- ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ به في تلك السنين، والمعنى أنَّ استعجالَهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائنٍ ولا لاحقٍ بهم وأنهم مُمَتَّعون بأَعمارٍ طوالٍ في سلامةٍ وأمنٍ فقال الله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾، أشرًا وبطرًا واستهزاءً واتِّكالًا على الأمل الطويل، ثم قال: هب أنَّ الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم، فإذا لَحِقهم الوعيدُ بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم.

٢٠٨- ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ رسلٌ ينذرونهم.

٢٠٩- ﴿ذِكْرَىٰ﴾ المعنى وما أهلكنا من أهل قريةٍ ظالمين إلا بعد ما ألزمناهم الحجَّة بإرسال المنذِرين إليهم ليكون إهلاكُهم تذكرةً وعبرةً لغيرهم فلا يعصُوا مثلَ عصيانهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ فنُهلكَ قومًا غير ظالمين، [أو قبل الإنذار، وقد قضينا أن لا نعذب غير الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي بعد الإنذار، ومن حكمتنا ألّا نَضَعَ شيئًا إلا في الموضع الذي يستحقُّه].

ولما قال المشركون: إنَّ الشياطين تُلقي القرءان على محمدٍ، أَنزلَ:

٢١٠- ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ أي القرءانِ ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾.

٢١١- ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ وما يَتسهَّلُ لهم ولا يقدرون عليه.

٢١٢- ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ عن استراقه ﴿لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ لممنوعون بالشُّهُب.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾

٢١٣- ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ تهديد لغيره على التعريض، وتحريكٌ له على زيادة الإخلاص.

٢١٤- ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ خُصَّهم لنفي التُهَمة، ولَمّا نزلت صَعِد الصفا ونادى الأقرب فالأقرب وقال: «**يا بني عبدِ المطلبِ، يا بنيِ هاشمٍ، يا بني عبدِ منافٍ، يا عباسُ عمَّ النبيِّ، يا صفيةُ عمةَ رسول الله إنيِّ لا أملِكُ لكم من اللهِ شيئًا**».

٢١٥- ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ وأَلِنْ جانبَك، وتواضع ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ من عشيرتك وغيرهم.

٢١٦- ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ أَنذِرْ قومَك فإن اتَّبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم، وإن عصَوكَ ولم يتَّبعوك فَتَبَرَّأْ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره.

٢١٧- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ على الذي يقهر أعداءَك بعزته، وينصرُك عليهم برحمته، يكفِكَ شرَّ مَن يعصيك منهم ومِن غيرهم، والتوكُّل تفويضُ الرجل أَمرَه إلى مَن يملكُ أمرَه ويقدرُ على نفعهِ وضَرِّه.

٢١٨- ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ مُتهجِّدًا.

٢١٩- ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ ويرى تقلُّبك ﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ في المُصلِّين. أَتبعَ كونَه رحيمًا على رسوله ما هو من أسباب الرحمة، وهو ذِكرُ ما كان يفعلُه في جوف الليل من قيامه للتهجد، وتقلُّبه في تصفُّح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطَّلع عليهم من حيث لا يشعرون، وليعلمَ أنهم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾

٢٢٠- ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا تقوله ﴿ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ بما تَنويهِ وتعملُه، هَوَّنَ عليه معاناةَ مشاقِّ العبادات حيث أخبرَ برؤيته له.

٢٢١- ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ﴾ هل أخبركم أيها المشركون ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾. ثم نَبَّأَ فقال:

٢٢٢- ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾﴾ مرتكبٍ للآثام، وهم الكهنةُ والمتنبِّئَةُ كسَطِيحٍ[1] وطُليحةَ[2] ومُسيلِمَةَ، ومحمدٌ ﷺ يشتم الأفاكين ويذمُّهم فكيف تنزِل الشياطين عليه.

٢٢٣- ﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ هم الشياطين كانوا قبل أن يُحجبوا بالرجم يستمعون إلى الملأ الأعلى فيختَطِفون بعضَ ما يتكلَّمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به إلى أوليائهم ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ فيما يوحون به إليهم لأنهم يُسمِعونَهم ما لم يسمعوا.

ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول: نحن نقول كما يقول محمد ﷺ واتبعهم غواةٌ من قومهم يستمعون أشعارهم:

٢٢٤- ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ لا يتَّبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقَدْحِ في الأنساب ومدحِ من لا يستحق المدحَ ولا يَستحسنُ ذلك منهم إلا الغاوون أي السفهاءُ أو الشياطين أو المشركون.

٢٢٥- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ﴾ من الكلام ﴿يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ أي في كل فَنٍّ من الكذب يتحدثون، أو في كل لغوٍ وباطلٍ يخوضون.

---

(١) سَطِيحٌ: كاهن جاهلي، غساني، من المعمَّرين.

(٢) طُليحة: طليحة بن خويلد الأسدي من أسد خزيمة، مُتنبِّئٌ، أسلم ثم ارتد ثم أسلم وحسن إسلامه وبلاؤه في الفتوح.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

٢٢٦- ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ حيث وصفهم بالكذب والخُلف في الوعد. ثم استثنى الشعراءَ المؤمنين الصالحين بقوله:

٢٢٧- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ كعبد الله بنِ رَواحَة[١] وحسانَ بنِ ثابت وكعبِ بنِ زُهيرٍ[٢] وكعبِ بن مالك رضي الله عنهم ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي كان ذكرُ الله وتلاوةُ القرءان أغلبَ عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعرًا قالوه في توحيد الله تعالى والثناء عليه، والحكمةِ والمَوعظة والزهد والآداب ومدحِ رسول الله والصحابةِ وصُلحاء الأمة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب، والذكرُ الكثير ليس بالعدد والغفلة، لكنه بالحضور ﴿وَٱنتَصَرُوا۟﴾ وهَجَوا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ﴾ هُجُوا، أي رَدُّوا هِجاءَ مَن هجا رسولَ الله ﷺ والمسلمينَ، وأحقُّ الخلق بالهجاء مَن كذَّب رسولَ الله ﷺ وهجاه، وعن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال له: «**اهْجُهُم فوالذي نفسي بيده**[٣] **لهو أشَدُّ عليهم من النَّبْل**» وكان ﷺ يقول لحسانَ: «**قل وروح القُدس معك**»[٤]. ختَمَ السورةَ بما يُقَطِّعُ أكبادَ المتدبِّرين وهو قوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ وما فيه من الوعيد الشديد وكان السلف يتواعظون بها وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما حين عَهِدَ إليه.

---

(١) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، أبو محمد، صحابي، يُعَدُّ من الأمراء والشعراء الراجزين، استشهد في مؤتة عام ٨هـ.

(٢) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، شاعر عالي الطبقة، أبوه زهير وأخوه بُجير وابنه عقبة وحفيده العوّام، كلهم شعراء، توفي عام ٢٦هـ.

(٣) أي: أحلِفُ بالله الذي نفسِي تحت مَشيئَتِه وتَصرُّفِه، واللهُ تعالى منزَّهٌ عن الجارحة والعضو.

(٤) متفق عليه من حديث البزار، أي وجبريل يَمُدُّك بمدده.

سورة النمل
مكية وهي ثلاث وتسعون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ أي وءاياتُ كتاب مبينٍ، وتلك إشارة إلى ءايات السورة، والكتابُ المبين: اللوح، وإبانَتُه أنه قد خُطَّ فيه كلُّ ما هو كائن [إلى يوم القيامة]، أو القرءان، وإبانتُه أنه يُبيِّن ما أُودع فيه من العلوم والحِكَم، وعلى هذا عطفُه على القرءان كعطف إحدى الصِّفتين على الأخرى، نحو هذا فعل السَّخِيِّ والجواد.

٢- ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ أي تلك ءاياتٌ هادية من الضلالة ومُبشِّرةٌ بالجنة، وقيل: هدى لجميع الخلق[1] وبشرى ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ خاصة.

٣- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يُديمون على فرائضها وسُننها ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يؤدُّون زكاة أموالهم ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ كأنه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة.

---

(١) معنى الهدى بالنسبة للكافرين أنه يَدُلُّهم على طريق الهدى ولو لم يُسلِموا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ
وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ
لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا
نُودِىَ أَن بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾

٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ بخلق الشهوة فيهم حتى رأوا ذلك حَسَنًا ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾ يتردَّدون في ضلالتهم كما يكون حالُ الضالِّ عن الطريق.

٥- ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ القتلُ والأسرُ يومَ بدرٍ بما كان منهم من سوء الأعمال ﴿وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾ أشدُّ الناس خُسرانًا، لأنهم لو ءامنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم، فخسروا ذلك مع خُسران النجاة وثوابِ الله.

٦- ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ لتؤتاه وتُلَقَّنُه ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ من عند أَيِّ حكيمٍ وأَيِّ عليم(١).

٧- ﴿إِذْ﴾ منصوب باذكر، كأنه قال على إثر ذلك خذ من ءاثار حكمته وعلمه قصةَ موسى عليه السلام ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ لزوجته ومَن معه عند مَسِيره مِن مدينَ إلى مصرَ ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ أبصرتُ ﴿نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق لأنه كان قد ضلَّه ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ﴾ شُعلة مضيئةٍ ﴿قَبَسٍ﴾ نارٍ مقبوسةٍ، [أي ما اقتُبِسَ من نار كثيرة على طرف خَشَبة] ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾ تستدفئون بالنار من البرد الذي أصابكم.

٨- ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ أي النارَ التي أبصرها ﴿نُودِىَ﴾ موسى ﴿أَن بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ تقديره: نودي موسى بأنه بورك مَن في مكان النار وهم الملائكة، ومَن حولَ مكانِها أي موسى، لحدوث أمرٍ ديني فيها، وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهارُ المعجزات عليه

---

(١) معناه من عند أَحكمِ الحكماء وأعلمِ العلماء.

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ
كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ
بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي
تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ
مُّبِينٞ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾ هو من جملة ما نودي، فقد نزَّه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره.

٩- ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ الضمير في إنَّه للشأن والشأنُ أنا اللهُ مبتدأٌ وخبر، والعزيزُ الحكيم صفتان للخبر، وهو تمهيد لِمَا أراد أن يُظهر على يده من المعجزات.

١٠- ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾ لتعلمَ معجزتَك فتأنَسَ بها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾ حيةٌ صغيرة ﴿وَلَّىٰ﴾ موسى ﴿مُدۡبِرٗا﴾ أدبَرَ عنها، وجعلها تلي ظهرَه خوفًا من وُثُوب الحية عليه ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ ولم يلتفت، فنودي ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ لا يخاف عندي المرسَلون حالَ خطابي إياهم.

١١- ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ لكن مَن ظلم مِن غيرهم، لأنَّ الأنبياء لا يَظلِمون ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا﴾ أتبعَ توبةً ﴿بَعۡدَ سُوٓءٖ﴾ زَلَّةٍ ﴿فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾﴾ أقبلُ توبتَه وأغفِرُ زَلَّته وأرحمُه فأُحَقِّقُ أُمنيتَه.

١٢- ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ﴾ جيبِ قميصك وأَخرِجْها ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾ نَيِّرةً تغلبُ نورَ الشمس ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ﴾ بَرَصٍ ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾، ﴿فِي﴾ يتعلق بمحذوف أي اذهب في تسع ءايات، أو أَلقِ عصاك وأدْخِلْ يدك في جملة تسع ءاياتٍ ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ﴾ مرسَلًا إلى فرعونَ وقومِه ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ خارجين عن أمر الله كافرين.

١٣- ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ معجزاتُنا ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾ ظاهرةً بينةً ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾﴾ ظاهرٌ لِمَن تأمَّله.

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤ وَلَقَدۡ
ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ
شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ﴾

١٤- ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ الجحود هو الإنكار، وقد يكون الإنكار للشيء للجهل به، وقد يكون بعد المعرفة تعنُّتًا ﴿وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ جحدوها بألسنتهم واستيقَنوها في قلوبهم وضمائرهم ﴿ظُلۡمٗا﴾ وأيُّ ظُلم أفحش مِن ظُلم مَن استيقنَ أنها ءاياتٌ من عند الله ثم سمَّاها سحرًا بيّنًا ﴿وَعُلُوّٗاۚ﴾ تكبُّرًا عن الإيمان بما جاء به موسى ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ وهو الإغراق هنا، والإحراق ثَمَّةَ.

١٥- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا﴾ أعطينا ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ﴾ طائفةً مِنَ العلم والمراد علم الدين والحِكَم ﴿وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥﴾ تقديره: ءاتيناهُما علمًا فعَمِلا به وعلَّماه وعرفا حقَّ النعمةِ فيه وقالا: الحمد لله الذي فضَّلنا، وفي الآية دليل على شرف العلم وتقدُّمِ حَمَلتهِ وأهله.

١٦- ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ ورث منه النبوة والمُلك دون سائر بنيه، وكانوا تسعة عشر، قالوا: أُتي النبوَّةَ مثلَ أبيه فكأنه ورثه، وإلا فالنبوَّة لا تُورَثُ ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ تشهيرًا لنعمة الله تعالى واعترافًا بمكانها، ودعاءً للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي عِلمُ مَنطِق الطير، وكان سليمان عليه السلام يفهمُ منها كما يفهمُ بعضُها من بعضٍ ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾ المراد به كثرةُ ما أُوتيَ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ أقول هذا القولَ شكرًا ولا أقولُه فخرًا.

١٧- ﴿وَحُشِرَ﴾ وجُمِع ﴿لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ﴾ رُوي أنَّ معسكره كان مائةَ فرسَخٍ في مائةِ فرسخ، خمسةٌ وعشرونَ للجنّ، وخمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للطير، وخمسة وعشرون

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٨﴾

للوَحْش، وكان له ألفُ بيتٍ من قواريرَ على الخشب، فيها ثلاثمائةِ منكوحَةٍ وسبعمائةِ سُرّية، وقد نَسجت له الجنُّ بساطًا من ذهبٍ وإبْرِيْسَم[1] فرسخًا في فرسخٍ، وكان يوضع منبره في وسطه، وهو من ذهبٍ وفضةٍ، فيقعد وحولَه ستمائة ألف كرسي من ذهبٍ وفضةٍ، فيقعد الأنبياء على كراسيّ الذهب والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس وحول الناس الجنُّ والشياطين، وتُظلّله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه حَرُّ الشمس، وتَرفعُ ريحُ الصَّبا البساطَ فتسير به مسيرةَ شهرٍ. ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرُّخاءَ[2] تُسَيِّره، فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض: إني قد زدت في مُلكك أن لا يتكلَّم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك، فيحكى أنه مرَّ بحرَّاثٍ فقال: لقد أوتي ءال داود مُلكًا عظيمًا، فألقته الريح في أُذُنه، فنزل ومشى إلى الحرَّاث وقال: إني جئت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه، ثم قال: لَتَسبيحةٌ واحدة يقبَلُها الله تعالى خير مما أوتي ءال داود ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ ۝١٧﴾ يُحبَسُ أَوَّلُهم على ءاخرهم، أي يوقف سُلّافُ[3] العسكر حتى يلحقَهم الثواني ليكونوا مجتمعين، وذلك للكثرة العظيمة.

١٨- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ ساروا حتى إذا بلغوا واديَ النمل، وهو وادٍ بالشام كثيرُ النمل ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ لا يكسرنَّكم ﴿سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٨﴾ لا يعلمون بمكانكم، أي لو شعروا لم يفعلوا، قالت ذلك على وجه العذر واصفةً سليمانَ وجنودَه بالعدل، فسمع سليمانُ قولَها من ثلاثة أميال.

---

(١) الإبْرِيسَمْ: الحرير.
(٢) الرُّخاءُ: الريحُ اللينةُ السريعةُ.
(٣) سلاف العسكر: أَوّلهم.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾

١٩- ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ مُتعجِّبًا من حَذَرها واهتدائها لمصالحها، ونصيحتها للنمل، أو فرحًا لظهور عدله، وضاحكًا حالٌ مؤكِّدَةٌ لأن تبسَّم بمعنى ضحك، وأكثر ضحك الأنبياء التبسُّم ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهِمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ من النبوَّة والمُلك والعلم ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ لأنَّ الإنعام على الوالدين إنعام على الولد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ في بقية عمري ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ﴾ وأدخِلني الجنةَ برحمتك لا بصالح عملي، إذ لا يدخلُ الجنةَ أحدٌ إلا برحمته كما جاء في الحديث ﴿فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ في زمرة أنبيائك المرسلين، أو مع عبادك الصالحين.

٢٠- ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ التفقد طلب ما غاب عنك ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ المعنى أنه تعرَّف الطير فلم يجد فيها الهدهدَ، فقال: ما لي لا أراه؟ على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساترٍ ستره، أو غير ذلك. ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك، وأخذ يقول: بل هو غائب، وذُكر أنَّ سليمان عليه السلام لَمَّا حجَّ خرج إلى اليمن فوافى صنعاء وقتَ الزوال، فنزل ليصلِّيَ فلم يجد الماء، وكان الهدهد قُنَاقِنَهُ[١]، وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يُرى الماء في الزجاجة، فتستخرج الشياطين الماء، فتفقَّده لذلك، وذُكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضعُ الهدهد خالٍ، فدعا عريفَ الطير وهو النَّسْرُ، فسأله عنه، فلم يجد عنده علمَه، ثم قال لسيد الطير وهو العُقابُ: عليَّ به، فارتفع، فنظر، فإذا هو مُقبِل،

---

(١) القُناقِنُ: البصير بالماء الذي يعرف موضعه تحت الأرض.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾

فقصده، فناشده الله، فتركه، فلَمَّا قرُبَ من سليمان أرخى ذَنَبه وجناحيه يجرهما على الأرض، وقال: يا نبي الله اذكر وقوفَك بين يدي الله تعالى(١)، فارتعد سليمان عليه السلام(٢) وعفا عنه.

٢١- ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه وإلقائه في الشمس، أو بالتفريق بينه وبين إلفه، أو بإلزامه خدمةَ أقرانه، أو بإيداعه القفص، وحلَّ له تعذيب الهدهد لِمَا رأى فيه من المصلحة، كما حلَّ ذبحُ البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع، وإذا سُخِّر له الطير لم يتمَّ التسخير إلا بالتأديب والسياسة ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ بحُجَّةٍ له فيها عذر ظاهر على غَيبته.

٢٢- ﴿فَمَكَثَ﴾ الهدهد بعد تفقُّد سليمان إياه ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ مُكثًا غير طويلٍ، فلمَّا رجع سأله عَمّا لقيَ في غيبته ﴿فَقَالَ أَحَطتُ﴾ عَلِمتُ شيئًا من جميع جهاته ﴿بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ ألهمَ اللهُ الهدهدَ فكافح سليمان بهذا الكلام مع ما أوتي من فضل النبوّة والعلوم الجَمَّة ابتلاءً له في علمه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ﴾ [اسم بلد باليمن] ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ النبأ الخبر الذي له شأن.

٢٣- ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً﴾ هي بِلقيسُ بنتُ شَراحيلَ وكان أبوها مَلِكَ أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرُها فغلبت على المُلك، وكانت هي وقومها مَجوسًا يعبدون الشمس ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ [أي تملك أهلَ سبأ]

---

(١) هذه عبارة يُعَبَّر بها عن الوقوف يوم القيامة لحساب الله تعالى، والله تعالى مُنزهٌ عن الجارحة والعضو.

(٢) أي: من خوفِ الإجلال والتعظيم لله عزَّ وجلَّ، ولو كان عليه السلام يَعلم أنه من الآمنين يوم القيامة.

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى
يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أسباب الدنيا ما يليق بحالها [مما تحتاج إليه الملوك] ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ سريرٌ عظيم كبير، قيل: كان ثمانين ذراعًا في ثمانين ذراعًا، وطوله في الهواء ثمانون ذراعًا، وكان من ذهبٍ وفضة، وكان مُرَصَّعًا بأنواع الجواهر، وقوائمُه من ياقوتٍ أحمرَ وأخضرَ ودُرٍّ وزُمُرُّدٍ، وعليه سبعة أبياتٍ، على كل بيتٍ باب مغلق.

٢٤- ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [حَبَّب إليهم كفرَهم ومعاصيَهم] ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سبيل التوحيد ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ إلى الحقّ، ولا يَبعُدُ من الهدهد التَّهدِّي إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمةِ السجود للشمس إلهامًا من الله كما ألهمه وغيره من الطيور المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرُّجّاحُ العقولِ يهتدون لها.

٢٥- ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ أي فصدَّهم عن السبيل لئَلا يسجدوا ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خَبْءُ السماءِ المطرُ، وخَبْءُ الأرضِ النباتُ، [أي يُنزل من السماء المطرَ ويُخرج من الأرض النباتَ] ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [وَصْفٌ له تعالى بما يوجب اختصاصَه باستحقاق السجود مِنَ التفرُّد بكمال القدرة والعلم].

٢٦- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ وَصْفُ الهدهد عرشَ الله بالعظيم تعظيمٌ له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السماوات والأرض، ووصفُه عرشَ بلقيسَ تعظيمٌ له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسِها من الملوك. إلى ههنا كلام الهدهد، فلَمّا فَرَغ من كلامه.

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ
عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

٢٧- ﴿قَالَ﴾ سليمانُ للهدهد: ﴿سَنَنظُرُ﴾ من النظر الذي هو التأملُ ﴿أَصَدَقْتَ﴾ فيما أخبرتَ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ هذا أبلغ من أم كذبتَ، ثم كتب سليمان كتابًا صورتُه: مِن عبد الله سليمانَ بنِ داودَ إلى بِلقيسَ ملكةِ سبأ: بسم الله الرحمٰن الرحيم، السلام على مَن اتَّبع الهدى، أما بعد، فلا تَعلُوا عليَّ وأتوني مسلمين. وطَبَعَه بالمسك، وخَتَمَه بخاتمه، وقال للهدهد:

٢٨- ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى بِلقيسَ وقومِها، وبَنى الخطابَ في الكتاب على لفظ الجمع [لأن الهدهد] ذكرهم معها في قوله: وجدتُها وقومَها يسجدون للشمس ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ تنحَّ عنهم إلى مكانٍ قريبٍ بحيث تراهم ولا يَرونك ليكون ما يقولونه بمَسمَع منك ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ما الذي يردُّونه من الجواب، فأخذ الهدهد الكتاب بمِنقاره، ودخل عليها من كوَّةٍ، فطرح الكتاب على نحرها وهي راقدة، وتوارى في الكوَّة، فانتبهت فزعةً، أو أتاها والجنود حواليها وألقى الكتاب في حِجرها، وكانت قارئة، فلَمّا رأت الخاتم.

٢٩- ﴿قَالَتْ﴾ لِقومها خاضعةً خائفةً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ حَسَنٌ مضمونه، أو مختوم.

٣٠- ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ هو تبيين لِما أُلقي إليها، كأنها لَمّا قالت: إني ألقي إليَّ كتاب كريم، قيل لها: مِمَّن هو وما هو؟ فقالت: إنه من سليمانَ وإنه كَيْتَ وكَيْتَ.

٣١- ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ لا تترفَّعوا ولا تتكبروا كما يفعلُ الملوك ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ مؤمنين أو مُنقادين، وكتبُ الأنبياء مَبنيَّةٌ على الإيجاز والاختصار.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ﴾

٣٢- ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ أشيروا عليَّ في الأمر الذي نزل بي [بما عندكم] من الرأي ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ فاصلة أو مُمضية حكمًا ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ تَحضروني وتشهدوا أنه صواب، أي لا أبتُّ أمرًا إلا بمَحْضَركم.

٣٣- ﴿قَالُوا۟﴾ مُجيبين لها: ﴿نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أرادوا بالقوة قوةَ الأجساد والآلات، وبالبأس النجدةَ[1] والبلاءَ في الحرب ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ هو مَوكول إليك ونحن مُطيعون لك فمُرينا بأمرك نُطعْكِ ولا نخالفْك، كأنهم أشاروا عليها بالقتال، أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذاتُ الرأي والتدبير، فانظري ماذا تَرين نتَّبعْ رأيَك. فلَمّا أحسَّت منهم الميلَ إلى المحاربة مالت إلى المصالحة ورتَّبت الجواب، فزَيَّفت[2] أولًا ما ذكروه وأَرَتهم الخطأَ فيه.

٣٤- ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً﴾ عَنوةً وقهرًا ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ خرَّبوها ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ﴾ أذَلُّوا أعزتَها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا، فذكرت لهم سوءَ عاقبة الحرب، ثم قالت: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أرادت وهذه عادتهم المستمرَّة التي لا تتغير، لأنها كانت في بيت المَلِك القديم، فسمعت نحوَ ذلك ورأت، ثم ذكرت بعد ذلك حديثَ الهديَّة وما رأت مِنَ الرأي السديد.

٣٥- ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ مرسلةٌ رسلًا بهدية ﴿فَنَاظِرَةٌۢ﴾

---

(١) النَّجدَةُ: الشَّجاعة.

(٢) أي: رَدَّت.

﴿بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾

فمنتظِرة ﴿بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾ بقبولها أم بردِّها، لأنها عرفت عادةَ الملوك وحُسنَ مواقع الهدايا عندهم، فإن كان ملكًا قبلَها وانصرف، وإن كان نبيًّا ردَّها ولم يرض مِنّا إلا أن نتَّبعَه على دينه، فبعثت خمسَمائة غلام عليهم ثيابُ الجواري وحُليهنَّ، راكبي خيل مُغَشاةٍ بالديباج مُحلاَّةِ اللُّجُم والسُّروج بالذهب المرصَّع بالجواهر، وخمسَمائة جاريةٍ على رِماك[1] في زِيِّ الغِلمان، وألفَ لَبِنَة من ذهب وفضةٍ، وتاجًا مكلَّلًا بالدُّرّ والياقوت، وحُقًّا[2] فيه دُرَّةٌ عذراءُ[3]، وجَزْعةً[4] مُعْوَجَّةَ الثَّقب، وبَعثت رُسُلًا وأمَّرت عليهم المنذرَ بن عمرو. وكتبت كتابًا فيه نسخةُ الهدايا وقالت فيه: إن كنت نبيًّا فميِّز بين الوُصَفاء والوصائف، وأخبر بما في الحُقِّ، واثقب الدُّرة ثُقبًا، واسلك في الخرزة خيطًا، ثم قالت للمنذر: إن نظر إليك نظرَ غضبانَ فهو مَلِك فلا يَهُوْلَنَّكَ منظره، وإن رأيته بشَّاشًا لطيفًا فهو نبيٌّ، فأقبل الهدهدُ وأخبر سليمانَ الخبرَ كلَّه، فأمر سليمان الجن فضربوا لَبِنَاتِ الذهب والفضة وفرشوها في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ، وجعلوا حول الميدان حائطًا شُرَفُهُ من الذهب والفضة، وأمر بأحسن الدوابِّ في البرِّ والبحر فربطوها عن يمين المَيدان ويساره على اللَّبِنات، وأمر بأولاد الجنّ وهم خلق كثير فأُقيموا عن اليمين واليسار، ثم قعد على سريره والكراسيُّ من جانبيه، واصطفت الشياطين صفوفًا فراسخَ، والإنس صفوفًا فراسخَ، والوحش والسباع والطيور والهوامُّ كذلك، فلما دنا القوم

(١) الرِّماك: جمع رَمَكَةٍ وهي الأنثى من البراذين أي الدواب.
(٢) الحُقُّ والحُقَّةُ: وعاءٌ منحوتٌ من خشب أو عاج أو غيرهما مما يصلح أن يُنْحَت منه.
(٣) أي: لم تُثقب.
(٤) جَزْعَةٌ: خرزة يمانية فيها بياض وسواد تُشَبَّهُ بها الأعيُن.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾

ورأَوا الدوابَّ تروث على اللَّبِن رمَوا بما معهم من الهدايا، ولَمَّا وقفوا بين يديه نظر إليهم سليمان بوجه طَلِقٍ، فأعطَوه كتابَ الملكة، فنظر فيه وقال: أين الحُقُّ، فأَمرَ الأَرَضَةَ، فأخذت شعرةً ونفذت في الدرَّة، وأخذت دودةٌ بيضاءُ الخيطَ بفِيها، ونفذت فيها[1]، ودعا بالماء، فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعلُه في الأخرى ثم تضرب به وجهَها، والغلامُ كما يأخذه يضرب به وجهه، ثم ردَّ الهديَّةَ وقال للمنذر: ارجع إليهم.

٣٦- ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ رسولُها المنذر بن عمروٍ ﴿سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾ والخطابُ للرسل ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من النبوة والمُلك والنعمة ﴿خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من زخارف الدنيا ﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦﴾ أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا، فلذلك تفرحون بما يُهدى إليكم، لأن ذلك مبلغُ همَّتكم، وحالي خلافُ حالكم وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية.

٣٧- ﴿ٱرۡجِعۡ﴾ خطاب للرسول أو الهدهدِ مُحَمَّلًا كتابًا ءاخر ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ بلقيسَ وقومِها ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ﴾ لا طاقةَ ﴿لَهُم بِهَا﴾ وحقيقة القِبَلِ المقاومةُ والمقابلة، أي لا يقدرون أن يقابلوهم ﴿وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ﴾ من سبأ ﴿أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ الذُّل أن يذهبَ عنهم ما كانوا فيه من العِزِّ والمُلك، والصَّغارُ أن يقعوا في أسرٍ واستعبادٍ، فلَمَّا رجع إليها رسولُها بالهدايا وقصَّ عليها القصة قالت: هو نبيٌّ وما لنا به طاقة، ثم جعلت عرشَها في ءاخِرِ سبعة أبياتٍ، وغَلَّقت الأبوابَ، ووكَّلت به حرسًا يحفظونه، وبعثت إلى سليمان؛ إني قادمة إليك لأنظرَ ما الذي تدعو

---

(١) أي: في الخرزة.

﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ﴾

إليه، وشَخَصَت إليه في اثني عشر ألفَ قَيْلٍ[1]، تحت كل قَيْلٍ ألوف، فلَمَّا بلغت على رأس فرسخ من سليمان.

٣٨- ﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ أراد أن يُريَها بذلك بعضَ ما خصَّه الله تعالى به من إجراء العجائب على يده مع إطلاعها على عِظَم قُدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنُبوة سليمانَ.

٣٩- ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وهو الخبيثُ الماردُ واسمه ذَكْوَانُ ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ مجلِسِ حُكمك وقضائك ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾ على حمله ﴿لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ ءاتي به كما هو لا ءاخذُ منه شيئًا ولا أُبَدِّله، فقال سليمان عليه السلام: أريد أعجلَ من هذا.

٤٠- ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ ءاصِفُ بنُ بَرْخِيا كاتبُ سليمان وكان عنده اسمُ الله الأعظمُ الذي إذا دُعيَ به أجاب ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ بالعرش ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [معناه] أنك تُرسِلُ طرفَك إلى شيء، فقبل أن تردَّه أبصرتَ العرشَ بين يديك، يروى أنَّ ءاصفَ قال لسليمان عليه السلام: مُدَّ عينيك حتى ينتهي طرفك، فمدَّ عينيه فنظر نحو اليمن فدعا ءاصِف فغار العرش في مكانه ثم نبعَ عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل أن يرتدَّ طرفه ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ أي العرشَ ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ ثابتًا لديه غيرَ مضطرب ﴿قَالَ هَـٰذَا﴾ أي حصولُ مرادي، وهو حضور العرش في مدة ارتداد الطرف ﴿مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ عليَّ وإحسانهِ إليَّ بلا استحقاقٍ مني ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ﴾ ليمتحنَني أأشكرُ إنعامَه

---

(١) القَيْلُ: الملك من ملوك حِمْيَر، وأصله قَيِّلْ، وقيل هو دون المَلِك الأعلى.

﴿أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ﴾

﴿أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ لأنه يَحُطُّ به عنها عِبءَ الواجب ويصونُها عن سِمَةِ الكفران ويستجلبُ به المزيدَ وترتبط به النعمة ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بترك الشكر على النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ﴾ عن الشكر ﴿كَرِيمٞ ٤٠﴾ بالإنعام على مَن يكفر نعمتَه.

٤١- ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾ غَيّروا أي اجعلوا مُقدَّمَهُ مؤخَّرَه وأعلاه أسفَلَه ﴿نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ﴾ إلى معرفةِ عرشِها ﴿أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١﴾ [أم لا تعقله ولا تعرفه].

٤٢- ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ﴾ بلقيس ﴿قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ﴾ ولم يقل: أهذا عرشُك، لئلا يكون تلقينًا ﴿قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ فأجابت أحسنَ جواب، فلم تقل: هُوَ هُوَ، ولا: ليس به، وذلك من رَجاحَة عقلِها حيث لم تقطع في المحتَمِل للأمرين ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا﴾ من كلام سليمان ومَلَئِهِ عطفوا على كلامِها قولَهم: وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمِها، أو أوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها ﴿وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢﴾ [ولم نزل نحن على دين الإسلام] مُنقادين لك مُطيعين لأمرك.

٤٣- ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ وصَدَّها عن العلم بما عَلِمناه، أو عن التقدُّم إلى الإسلام عبادةُ الشمس ونَشْؤُها بين أظهُرِ الكفرة، ثم بيَّنَ نشأها بين الكفرة بقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾.

٤٤- ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ﴾ القصرَ أو صحنَ الدار، روي أنَّ سليمانَ أمرَ قبل قدومها فبُنيَ له على طريقها قصرٌ من زجاج أبيضَ، وأَجرى من تحته الماءَ، وألقى فيه السمكَ وغيره، ووضع سريره في صدره، فجلس عليه، وعكف عليه الطيرُ والجنُّ والإنس، وإنما فعل ذلك ليزيدَها

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾

استعظامًا لأمره وتحقيقًا لنبوته ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماءً عظيمًا [ففزعت منه، وتعجَّبت من كون كرسي سليمان على الماء، ولَمَّا لم يكن بُدٌّ من امتثال الأمر أرادت خوضه] ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ [كعادةِ مَن كان لابسًا وأراد أن يخوض الماء إلى مقصد له، ولم يكن المقصود من الصرح إلا تهويلَ الأمر، وحصل كشف الساق على سبيل التَّبَع] ﴿قَالَ﴾ لها [سليمان بعد أن صرفَ بصرَه عنها] ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مُمَلَّسٌ مُستوٍ ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ من الزُّجاج ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة الشمس ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ قال المحققون: لا يحتمل أن يحتال سليمان لينظر إلى ساقيها وهي أجنبية، فلا يصحُّ القول بمثله[(١)].

٤٥- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ في النَّسَب ﴿صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ فإذا قوم صالح فريقان: مؤمن به وكافر به يختصمون، فيقول كلُّ فريق: الحقُّ معي، وقال الفريق الكافر: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الأعراف].

٤٦- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ بالعذاب الذي تُوعدون ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ قبل التوبة [فتؤخرونها إلى نزول العقاب، فإنهم كانوا يقولون:

---

(١) المراد التحذير مما يروى في الإسرائيليات الباطلة من أنه قيل لسليمان عليه السلام: إن رِجْلَها كحافر الحمار وإنها شعراء الساقين فعمل هذا الصرح حيلة لتكشف ساقيها فينظر إليهما ليعرف صحة هذا الخبر من عدمه وهذا باطل محال لا يليق بالمؤمن الصالح فضلًا عن الأنبياء الذين هم أفضل البشر وأنزههم من الرذائل.

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾

إنْ صَدَق إيعادُه تُبْنا حينئذ] ﴿لَوْلَا﴾ هلَّا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والإيمان، قبل نزول العذاب بكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ بالإجابة.

٤٧- ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ تشاءمنا بك، لأنهم قُحطوا عند مَبعثه لتكذيبهم، فنسبوه إلى مجيئه ﴿وَبِمَن مَّعَكَ﴾ من المؤمنين ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ سببكم الذي يجيء منه خيرُكم وشرُّكم عند الله، وهو قَدَرُه وقِسمَتُه، أو عملكم مكتوب عند الله، فمنه نزل بكم ما نزل عقوبةً لكم وفتنة، وأصلُه [أنه كان المسافر منهم] إذا مَرَّ بطائر فيزجره فإذا مَرَّ سانِحًا[1] تيمَّنَ وإذا مَرَّ بارِحًا[2] تَشَأَّمَ، فلَمّا نَسَبوا الخير والشر إلى الطائر استُعير لما كان سببَهما من قَدَرِ الله وقِسمتِه، أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ تُختَبَرُون[3]، أو تُعذَّبون بذنبكم.

٤٨- ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ مدينة ثمود ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ تسعة أنفسٍ، رأسُهم قُدار بنُ سالِف، وهم الذين سَعَوا في عَقر الناقة، وكانوا أبناءَ أشرافهم ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يعني أنَّ شأنهم الإفسادُ البَحْتُ لا يُخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعضَ المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح.

---

(١) السانِحُ: ما ولَّاك ميامِنَه.
(٢) البارِحُ: ما ولَّاك مياسِرَه.
(٣) أي: ليَظهرَ ما عَلِمَ اللهُ منهم أنهم يعملونَه، والله تعالى علَّامُ الغيوب، عالمٌ بما هم عاملون في كل أوان قبل أن يخلقهم.

﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾

٤٩- ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أَمرَ بعضُهم بعضًا بالقَسَم ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ لَنقتُلَنَّه بياتًا أي ليلًا ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ وَلَدَهُ وتبَعَه ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ لولي دمه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ ما حَضَرْنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ ما حضرنا موضعَ هلاكِهِ فكيف تولَّيناه ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ فيما ذكرنا.

٥٠- ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ مَكرُهم ما أَخفَوه من تدبير الفتك بصالح وأهلِه، ومَكرُ الله إهلاكُهم من حيث لا يشعرون، شُبّه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة، رُوي أنه كان لصالح مسجدٌ في شِعْبٍ[١] يصلي فيه، فقالوا: زعم صالحٌ أنه يفرُغُ منَّا إلى ثلاث، فنحن نفرغُ منه ومن أهله قبل الثالث، فخرجوا إلى الشِّعْبِ وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه، ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم، فبعث الله صخرةً من الهَضْبِ[٢] حيالَهم فطبَّقت عليهم فم الشِّعْب فلم يدرِ قومُهم أين هم ولم يدروا ما فُعِل بقومهم، وعذَّب الله كلًّا منهم في مكانه، ونجَّى صالحًا عليه السلام ومَن معه.

٥١- ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ بالصَّيحة.

٥٢- ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾ ساقطةً منهدمةً ﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ﴾ بظلمهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ فيما فُعِل بثمودَ ﴿لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ قدرتَنا فيتَّعظون.

---

(١) الشِّعْبُ: ما انفرج بين جبلين.
(٢) الهَضْبُ: الجبل المنبسط.

﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ
ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ
تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ
أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم
مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾

٥٣- ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصالح ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ تركَ أوامره، وكانوا أربعةَ ءالافٍ نَجَوا مع صالح من العذاب.

٥٤- ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ﴾ واذكر وقتَ قولِ لوطٍ ﴿لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ أي إتيان الذكور ﴿وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ تعلمون أنها فاحشةٌ لم تُسبقوا إليها، أو تُبصِرون ءاثارَ العصاة قبلَكم وما نزلَ بهم. ثم صرَّح فقال:

٥٥- ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ﴾ للشهوة ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ﴾ [استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ] ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك، أو أريد بالجهل السَّفاهةُ والمَجانَةُ التي كانوا عليها.

٥٦- ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ﴾ أي لوطًا ومتَّبِعِيه ﴿مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ يتنزَّهون عن القاذورات ينكرون هذا العمل القَذِرَ ويَغيظُنا إنكارهم.

٥٧- ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ فخلَّصناه من العذاب الواقع بالقوم ﴿وَأَهۡلَهُۥٓ﴾ [أي مَن ءامَنَ به] ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا﴾ قدَّرنا كونَها ﴿مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ مِنَ الباقين في العذاب.

٥٨- ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ﴾ حجارةً مكتوبًا عليها اسمُ صاحبها ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ الذين لم يقبلوا الإنذار.

٥٩- ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ أمرَ رسولَه محمدًا

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾

ﷺ بتحميده، ثم بالسلام على المصطَفَين من عباده توطئةً لِمَا يتلوه من الدلالة على وَحدانيَّته وقدرته على كل شيء، وهو تعليم لكلِّ متكلِّم في كلِّ أمرٍ ذي بالٍ[1] بأن يَتبرَّكَ بهما[2] ويَستظهرَ بمكانهما ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ ولا خيرَ فيما أشركوه أصلًا حتى يُوازَنَ بينه وبين مَن هو خالقُ كل شيء، وإنما هو إلزامٌ لهم وتَهَكُّمٌ بحالهم، وذلك أنّهم ءاثروا عبادةَ الأصنام على عبادة الله تعالى.

ثم عدَّد سبحانه الخيراتِ والمنافعَ التي هي ءاثار رحمته وفضله فقال:

٦٠- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ تقريرًا لهم بأنَّ مَن قَدَرَ على خلق العالَم خيرٌ من جمادٍ لا يقدر على شيء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾ صرفَ الكلامَ عن الغَيبة إلى التكلُّم تأكيدًا لمعنى اختصاص الفعل بذاته وإيذانًا بأنَّ إنباتَ الحدائق المختلفةِ الأصناف والألوان والطُّعوم والأشكال مع حُسنها بماءٍ واحدٍ لا يقدر عليه إلا هو وحده ﴿بِهِۦ﴾ بالماء ﴿حَدَآئِقَ﴾ بساتينَ ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ حُسن، لأن الناظر يبتهج به ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ﴾ أراد أنَّ تأتِّيَ ذلك محال من غيره ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ أغيرُهُ يُقرنُ به ويُجعلُ شريكًا له ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠﴾ بِهِ غيرَه، و﴿بَلْ هُمْ﴾ بعدَ الخطاب أبلغُ في تخطئة رأيهم.

٦١- ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ دحاها وسوَّاها للاستقرار عليها

---

(١) أي: شأن.

(٢) أي: بحَمدِ الله تعالى والثناءِ على رُسُلِهِ عليهم السلام.

﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ
ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن
يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ وَسَطَها ﴿أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا﴾ للأرض ﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالًا تمنعها عن الحركة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العَذب والمالح ﴿حَاجِزًا ۗ﴾ مانعًا أن يختلطا ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ التوحيدَ فلا يؤمنون.

٦٢- ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ المضطر: الذي أَحوَجَهُ مرضٌ أو فقر أو نازِلة من نوازل الدهر إلى الالتجاء والتضرع إلى الله تعالى ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ الضُّرَّ أو الجَوْرَ ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ أي فيها، وذلك توارُثُهم سُكناها والتصرُّف فيها قرنًا بعد قرن ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أي تَذَكَّرون تذكُّرًا قليلًا.

٦٣- ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ يُرشدكم بالنجوم ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ ليلًا وبعلاماتٍ في الأرض نهارًا ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾ من البشارة، لأن الرياح تُبشِّرُ بالمطر ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ﴾ قُدَّامَ المطر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

٦٤- ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ يُنْشِئُ الخلقَ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وإنما قيل لهم: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ - وهم منكرون للإعادة - لأنه أُزيحت عِلَّتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار فلم يبقَ لهم عذر في الإنكار ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطرَ ﴿وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ ومنَ الأرضِ النباتَ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ حُجَّتكم على إشراككم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ في دعواكم أنَّ مع الله إلهًا ءاخر.

﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ
عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا
تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾

٦٥- ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ والغيب هو ما [استأثَرَ الله بعلمه ولم يُطلع عليه أحدًا]، والمعنى: لا يعلم أحد الغيب إلا الله، قيل: نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله ﷺ عن وقت الساعة، ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ وما يعلمون ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ يُنشَرون.

٦٦- ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ استحكَمَ[1] ﴿عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ في شأن الآخرة، والمعنى أن أسباب استحكام العلم [مِنَ الحجج والآيات] بأن القيامة كائنةٌ [لا مَحالةَ] قد حصلت لهم، وهم شاكُّون جاهلون [لا يُدرِكون دلائلها لاختلال بَصيرتهم]، وذلك قوله: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ والإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم وتكرير لجهلهم، وَصَفَهم أوّلًا بأنهم لا يشعرون وقتَ البعث، ثم بأنهم لا يعلمون أنَّ القيامة كائنة، ثم بأنهم يَخبِطون في شكّ ومِرْيةٍ فلا يُزيلونَه والإزالةُ مُستطاعةٌ، ثم بما هو أَسوأُ حالًا وهو [عمى القلب].

٦٧- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾ من قبورنا أحياء.

٦٨- ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا﴾ البعث ﴿نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ﴾ من قبلِ محمدٍ ﷺ ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ ما هذا إلا أحاديثهم وأكاذيبهم.

٦٩- ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ أي ءاخرُ أمر الكافرين.

---

(١) بمعنى: تكامَلَ.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا
مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾

٧٠- ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لأجل أنهم لم يتَّبعوك ولم يُسْلِمُوا فيَسْلَموا ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾ في حَرَجِ صدرٍ ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ من مكرهم وكيدهم لك، فإنَّ الله يعصمُك من الناس.

٧١- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وعدُ العذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾﴾ أنَّ العذابَ نازل بالمكذِّب.

٧٢- ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ استعجَلوا العذابَ الموعود فقيل لهم: عسى أن يكون رَدِفكم بعضُه، معناه تبعَكم ولَحِقَكم، وهو عذاب يوم بدرٍ.

٧٣- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ﴾ إفضالٍ ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بترك المعاجلة بالعذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ لا يعرفون حقَّ النعمة فيه ولا يشكرونَه، فيستعجلون العذاب بجهلهم.

٧٤- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ تُخفي ﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾ يُظهرون من القول، فليس تأخيرُ العذاب عنهم لخَفاءِ حالهم، ولكن له وقتٌ مُقَدَّر، أو أنه يَعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه.

٧٥- ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ سَمَّى الشيءَ الذي يغيب ويخفَى غائبةً وخافية كأنه قال: وما من شيءٍ شديد الغيبوبة إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح المحفوظ.

٧٦- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يُبَيِّنُ لهم ﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ فإنهم اختلفوا في المسيح فتحزَّبوا فيه أحزابًا،

﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٨ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٨١﴾

ووقع بينهم التناكرُ في أشياءَ كثيرةٍ حتى لعنَ بعضُهم بعضًا، وقد نزل القرءان ببيان ما اختلفوا فيه، لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا، يريد اليهود والنصارى.

٧٧- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإنَّ القرءان ﴿لَهُدًى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧﴾ لمن أنصفَ وءامنَ.

٧٨- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم﴾ بين مَن ءامن بالقرءان ومَن كفر به ﴿بِحُكۡمِهِۦۚ﴾ بعدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فلا يُرَدُّ قضاؤه ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٧٨﴾ بمن يُقضَى له، وبمن يُقضى عليه.

٧٩- ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ أَمَرَهُ بالتوكل على الله وقِلةِ المبالاة بأعداء الدين ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩﴾ عَلَّل التوكُّلَ بأنه على الحق الأَبلجِ وهو الدينُ الواضح الذي لا يتعلق به شك، وفيه بيان أنَّ صاحب الحق حَقيقٌ بالوثوق بالله وبنُصرته.

٨٠- ٨١- ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ ٨١﴾ لـمَّا كانوا لا يَعُون ما يسمعون ولا به ينتفعون شُبّهوا بالموتى وهم أَحياءٌ صِحاحُ الحواسّ، وبالصُّم الذين يُنعَقُ بهم فلا يسمعون، وبالعُمي حيث يَضِلُّون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزعَ ذلك عنهم ويجعلَهم هداةً بُصراء إلا اللهُ تعالى، ثم أكَّد حال الصُّمّ بقوله: ﴿إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠﴾ لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن تولَّى عنه مدبرًا، كان أبعدَ عن إدراك صوته، ﴿إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ ما يُجدي إسماعك إلا على الذين عَلِمَ الله أنهم يؤمنون بآياته ﴿فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٨١﴾ مخلصون.

﴿۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا
يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو
قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟
فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾

٨٢- ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ وهو ما وُعدوا من قيام الساعة والعذاب، والمراد مشارفة الساعة وظهورُ أشراطها، وحين لا تنفع التوبة ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [عَلَمًا من أعلام الساعة] ﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ تكلِّمهم بالعربية [فتخبرُهم بأنَّ الناس] ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [لا يُصدقّون ويَشكّون، فقد أتى ما أزال الشكوك عنهم] لأنَّ خروجها من الآيات، [وأشرفوا على العقاب الذي كانوا يوعَدون]، وتقول: ألا لعنة الله على الظالمين، أو تُكلّمهم ببطلان الأديان كلّها سوى دين الإسلام، أو بأنَّ هذا مؤمن وهذا كافر. ثم ذكر قيام الساعة فقال:

٨٣- ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ واذكر يومَ نجمعُ من كل أمةٍ من الأمم زُمرةً ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ المُنزَّلة على أنبيائنا ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ يُحبس أوَّلُهم على ءاخِرهم حتى يجتمعوا، ثم يُساقُون إلى موضع الحساب.

٨٤- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ حضروا موقفَ الحساب والسؤال ﴿قَالَ﴾ لهم تعالى تهديدًا: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى﴾ المُنزَّلة على رُسُلي ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ كأنه قال: أكذَّبتم بآياتي بادئ الرأي من غير فِكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكُنهها ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ حيث لم تتفكروا فيها فإنكم لم تُخلقوا عبثًا.

٨٥- ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي يغشاهم العذابُ الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغَلُهم عن النطق والاعتذار.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ
أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ
إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن
جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾

٨٦- ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ﴾ جَعَلَ الإبصارَ للنهار وهو لأهله، [أي] ليبصروا فيه طرقَ التقلُّب في المكاسب ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ يصدّقون.

٨٧- ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ هو قرنٌ، والنافخُ إسرافيل عليه السلام ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ المراد فزعُهم عند النفخة الأولى حين يُصعقون ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ إلا مَن ثبَّت الله قلبَه من الملائكة، قالوا: هم جبريلُ وميكائيل وإسرافيل ومَلَك الموت عليهم السلام، وقيل: الشهداءُ، وقيل: الحُور وخَزَنةُ النار وحَمَلةُ العرش ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ صاغرين، ومعنى الإتيانِ حضورُهم الموقفَ ورجوعهم إلى أمره تعالى وانقيادُهم له.

٨٨- ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ واقفة مُمسِكَةً عن الحركة ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ﴾ المعنى أنك إذا رأيت الجبال وقتَ النفخة ظننتَها ثابتة في مكانٍ واحدٍ لعِظَمِها، وهي تسيرُ سيرًا سريعًا كالسحاب إذا ضربتْهُ الريحُ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ كأنه قيل: صَنَعَ اللهُ تعالى ذلك صنعًا ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ أَحكَم خَلْقَه ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ عالِمٌ بما يفعلُ العباد فيكافئُهم على حسب ذلك. ثم لخَّص ذلك بقوله:

٨٩- ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ بقول لا إلـٰه إلا الله ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ فله خير حاصلٌ من جهتها، أي بسببها، وهو الجنة ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ﴾ شديدٍ مُفرط الشدَّة، وهو خوف النار ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يومَ القيامة ﴿ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

٩٠- ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ بالشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ أُلقوا على

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى
حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا
يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾

رؤوسهم في النار، ويقال لهم تبكيتًا عند الكبِّ: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ في الدنيا من الشرك والمعاصي.

٩١- ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ مكةَ ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ جعلها حَرَمًا ءامِنًا يأمَنُ فيها اللاجِئُ إليها ولا يُختَلَى خَلاها[1] ولا يُعضَدُ شوكُها[2] ولا يُنفَّر صيدها ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ﴾ مع هذه البلدة، فهو مالك الدنيا والآخرة ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ المنقادين له.

٩٢- ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ﴾ أَمرَ رسولَه بأن يقول: أُمرت أن أَخصَّ الله وحدَه بالعبادة ولا أتَّخِذَ له شريكًا كما فعلت قريش، وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام، وأن أتلوَ القرءان لأعرف الحلالَ والحرام وما يقتضيه الإسلام، وخصَّ مكة من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها، لأنها أحبُّ بلاده إليه وأعظمُها عنده ومَوْطِن نبيِّه ومَهبِطُ وَحْيِه ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ باتِّباعه إياي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الشركاء عنه والدخول في الملة الحنيفية، واتِّباع ما أُنزل عليَّ من الوحي ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إليَّ ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ ومَن ضلَّ ولم يتبعني فلا عليَّ، وما أنا إلا رسول منذِرٌ، وما على الرسول إلا البلاغُ المبين.

---

(١) الخَلَى (مقصور): النبات الرطب الرقيق ما دام رطبًا، واختلاؤه: قطعُه.
(٢) أي لا يُقطعُ، وذِكرُ الشوك دالٌّ على منع قطع غيره من باب أولَى.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

٩٣- ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ﴾ ثم أَمرَه أن يحمَدَ الله على ما خوَّله من نعمة النبوَّة التي لا توازيها نعمةٌ، وأن يهدِّد أعداءَه بما سيُريهم اللهُ من ءاياته في الآخرة فيستيقنون بها، وقيل: هو انشقاق القمر والدخانُ وما حلَّ بهم من نِقمات الله في الدنيا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ خطابٌ لأهل مكة، أي كلُّ عملٍ يعملونه فإنَّ الله عالم به غيرُ غافل عنه، فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه.

سورة القصص
مكية وهي ثمانون وثمان ءايات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ٢- ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ مُبِيْنٌ خيرُه[(١)] وبركتُه، أو مُبينٌ للحلال والحرام والوعد والوعيد والإخلاص والتوحيد.

٣- ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾ نقرأ عليك، أي يقرؤه جبريل بأمرنا ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ نتلو عليك بعضَ خبرِهما ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ مُحِقّين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣﴾ لِمَن سبقَ في علمنا أنه مؤمن، لأن التلاوةَ إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم.

٤- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ طغى وجاوز الحَدَّ في الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسيَ العبوديةَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرضِ مملكته، يعني مصرَ ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فِرَقًا مختلفة يُكرم طائفة ويُهين أخرى، فأكرم القِبطيَّ وأهان الإسرائيلي ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ هم بنو إسرائيل[(٢)]

---

(١) يقال أبانَ خَيرُهُ: أي ظَهرَ وبانَ.

(٢) في زمان فرعون كان في أرض مصر القِبطُ وإسرائيليون أي ذرية يعقوب، ذرية يعقوب يقال لهم: إسرائيليون لأنهم ينتسبون إلى يعقوب عليه السلام، يعقوب له اسمان: يعقوب وإسرائيل.

﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾

﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ﴾ أي يتركُ البناتِ أحياءً للخِدمة، وسببُ ذبحِ الأبناء أن كاهنًا قال له: يُولَدُ مولود في بني إسرائيل يذهبُ مُلكك على يده، وفيه دليل على حُمْقِ فرعونَ، فإنه إن صَدَقَ الكاهنُ لم ينفعه القتلُ، وإن كذَبَ فما معنى القتلِ؟! ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ أي أن القتلَ ظلمًا إنما هو فعلُ المفسدين لا طائلَ تحته صَدَقَ الكاهن أو كَذَب.

٥- ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ نتفضَّلَ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ قادةً يُقْتَدَى بهم في الخير، أو دُعاةً إلى الخير، أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمُنَّ عليهم، وإرادةُ الله تعالى كائنة ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ يرثون فرعونَ وقومَه مُلكَهم وكلَّ ما كان لهم.

٦- ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرضِ مصرَ والشام، [أي نجعلهم مُقتدِرين على الأرض وعلى أهلها حتى يستولوا عليها] ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ ما حَذَّروه مِن ذَهابِ مُلكهم وهلاكِهم على يدِ مولود منهم ﴿مِنْهُم﴾ من بني إسرائيل ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ الحَذَرُ: التوقِّي من الضرر.

٧- ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ بالإلهام أو بالرؤيا، أو بإخبار مَلَك كما كان لمريم، وليس هذا وحيَ رسالة فلا تكون هي رسولًا ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ من القتل بأن يسمعَ الجيرانُ صوتَه فيَنُمُّوا عليه ﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحر، قيل: هو نيلُ مصر ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ من الغرق والضَّياع ﴿وَلَا تَحْزَنِىٓۖ﴾ بفراقه ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ بوجه لطيف لتُرَبِّيه(١)

---

(١) بيَّن كيفية الإلقاء في سورة طه ءاية [٣٩-٤٠].

﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ۝٨ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ﴾

﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [إلى فرعون وقومه].

رُوي أنه ذُبح في طلب موسى تسعون ألفَ وليدٍ فلمَّا ألحَّ فرعون في طلب الوِلدان بعد أن أرضعته ثلاثة أشهر [خافت عليه وألقته في اليَمّ].

٨- ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ أخذه ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ ليصيرَ الأمر إلى ذلك لا أَنهم أخذوه لهذا ﴿وَحَزَنًا ۗ﴾ [لِمَا يجري عليهم بسببه من المكارِه] ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ كانوا مُذنبين فعاقَبَهم اللهُ تعالى بأن ربَّى عدوَّهم ومَن هو سبب هلاكهم على أيديهم.

٩- ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ﴾ روي أنهم حين التقطوا التابوت[1] عالجوا فتحَه فلم يقدروا عليه، فعالجوا كسرَه فأعياهم، فدنت ءاسية، فرأت في جوف التابوت نورًا، فعالجته، فَفَتَحَتْهُ، فإذا بصبي نوره بين عينيه، فأَحبُّوه، وكانت لفرعون بنتٌ برصاءُ فنظرت إلى وجهه فبرِئَت، فقالت الغُواة من قومه: هو الذي نحذرُ منه فَأْذَنْ لنا في قتله، فهمَّ بذلك، فقالت ءاسيةُ: قُرَّةُ عين لي ولك، فقال فرعون: لَكِ، لا لي ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ خاطبته خطابَ الملوك ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فإن فيه مَخايلَ اليُمن[2] ودلائلَ النفع، وذلك لِمَا عاينت من النور وبُرءِ البرصاء ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ أو نتبنَّاه، فإنه أهلٌ لأن يكون ولدًا للملوك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [ما ينالهم من المكروه من جهته].

١٠- ﴿وَأَصْبَحَ﴾ فصار ﴿فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ﴾ [خاليًا مِن كُلِّ هَمّ

---

(١) أي: الصندوق.
(٢) أي: علامات البركة.

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾

إلا مِن هَمّ موسى عليه السلام] لَمَّا سمعت بوقوعه في يد فرعون، [وقيل: أصبح فؤادها ناسيًا لِما كان حينَ ألقَتْه في اليمّ من أن لا تخافَ ولا تحزنَ] ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ قَرُبت أن تُظهرَ أمرَه وقِصَّتَه وأنه ولدُها ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ الربط على القلب تقويتُه بإلهام الصبر ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ من المصدِّقين بوعدنا وهو ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾.

١١- ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ مريم ﴿قُصِّيهِ﴾ اتَّبعي أثَرَه لتعلمي خبرَه ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾ أبصرتْه ﴿عَن جُنُبٍ﴾ عن بُعد ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ أنها أختُه.

١٢- ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ تحريمَ مَنْعٍ لا تحريمَ شرع، أي منعناه أن يرضع ثديًا غيرَ ثديِ أُمه، وكان لا يقبل ثدي مُرضع حتى أهمّهم ذلك ﴿مِن قَبْلُ﴾ مِن قبلِ قَصِّها أَثَرَه ﴿فَقَالَتْ﴾ أختُه - وقد دخلت بين المراضِع ورأته لا يقبل ثديًا -: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ أُرشدكم ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ [يضمُّونه إلى أنفسهم للتربية والإرضاع] ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ النُّصح إخلاصُ العمل من شائبة الفساد. روي أنها انطلقت إلى أمِّها بأمرهم، فجاءت بها والصبي على يد فرعون يُعَلِّله شفقة عليه[1]، وهو يبكي يطلب الرضاع، فحين وجد ريحها استأنسَ والتقمَ ثديَها، فقال لها فرعون: ومَن أنتِ منه فقد أبى كلَّ ثدي إلا ثديَك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أُوتَى بصبي إلا قَبِلَني، فدفعه

---

(١) قال الجوهري: عَلَّله بالشيء: لَهاهُ به، كما يُعَلَّلُ الصبيُّ بشيء من الطعام يَتجزَّأُ به عن اللبن، أي: يَستغني به عن اللبن.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا﴾

إليها، وأجرى عليها[1]، وذهبت به إلى بيتها، وأنجز الله وعده في الردِّ، فعندها ثبت واستقرَّ في علمها أنه سيكون نبيًّا، وذلك قوله:

١٣- ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بالمُقام معه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ وليثبتَ علمُها مشاهدة كما علمت خبرًا أن وعدَ الله حق ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ أنه حقٌّ فيرتابون.

١٤- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ نهايةَ القوة وتمامَ العقل ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ اعتدل وتمَّ استحكامه وهو أربعون سنةً ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ نبوَّةً ﴿وَعِلْمًا ۚ﴾ فقهًا، أو عِلمًا بمصالح الدارين ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ كما فعلنا بموسى وأُمِّهِ نفعلُ بالمؤمنين.

١٥- ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ مصر ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ مختفيًا، بين العِشاءين، أو وقتَ القائلة يعني انتصافَ النهار، وقيل: لَمّا شبَّ وعقَلَ أخذَ يتكلم بالحقِّ وينكر عليهم، فأخافوه، فلا يدخل المدينة إلا على تغفُّل ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ ممن شايَعَهُ على دينه من بني إسرائيل ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ﴾ من مخالفيه من القِبْط ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾ فاستنصره ﴿ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ ضربَه بجُمْعِ كَفِّه[2] ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ﴾ فقتله ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ إشارةً إلى القتل الحاصل بغير

---

(١) أي: نَفَقةً.
(٢) أي: بكَفِّهِ المضمومة أصابعُها.

﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا
لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ
مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن
تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ﴾

قصد ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ﴾ وإنما جعلَ قتلَ الكافر من عمل الشيطان وسمَّاه ظلمًا لنفسه واستغفر منه لأنه قتلَه قبل أن يؤذَنَ له ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ ظاهر العداوة.

١٦- ﴿قَالَ رَبِّ﴾ يا رب ﴿إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بفعلٍ صارَ قتلًا ﴿فَٱغْفِرْ لِى﴾ زَلَّتي ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ زَلَّته ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ بإقالة الزَّلل ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ بإزالة الخَجَل.

١٧- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ مُعينًا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ للكافرين، كأنه قال: رب اعصمني بحقِّ ما أنعمت به عليَّ من [القوة وكلِّ النِعَم] فلن أكون إن عصمتني ظهيرًا للمجرمين.

١٨- ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا﴾ على نفسه من قتله القبطيَّ أن يؤخذَ به ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ الأخبارَ، أو ما يقال فيه ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ﴾ [استنصرَ موسى على القبطي] ﴿بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ يستغيثه، والمعنى أن الإسرائيلي الذي خلَّصه موسى استغاث به ثانيًا من قبطي ءاخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾ للإسرائيلي ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ ضالٌّ عن الرشد ظاهر الغيِّ، فقد قاتلتَ بالأمس رجلًا فقتلتُه بسببك.

١٩- ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ﴾ موسى ﴿أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى﴾ بالقِبطي الذي ﴿هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ لموسى والإسرائيلي، لأنه ليس على دينهما، ولأنَّ القِبطَ كانوا أعداءَ بني إسرائيل ﴿قَالَ﴾ الإسرائيلي لموسى عليه السلام، وقد توهَّم أنه أراد أخْذَه لا أخذَ القبطي إذ قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا﴾ يعني القبطيَّ ﴿بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ﴾

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٩ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ
يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا
خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن
يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ
وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾

ما تريد ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا﴾ قتَّالًا بالغضب ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٩﴾ في كَظْم الغيظ، وكان قتلُ القبطي بالأمس قد شاع، ولكن خَفِيَ قاتلُه، فلَمَّا أَفْشَى [الإسرائيليُّ] على موسى عليه السلام علمَ القبطيُّ أنَّ [قاتلَ القبطيِّ بالأمسِ] موسى فأخبر فرعونَ، فهمُّوا بقتله.

٢٠- ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ هو مؤمنُ ءالِ فرعون، وكان ابنَ عم فرعون ﴿يَسْعَىٰ﴾ [يُسرِعُ] ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ يتشاورون بسببك يأمرُ بعضُهم بعضًا بقتلك ﴿فَٱخْرُجْ﴾ من المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠﴾ [في الأمر بالخروج].

٢١- ﴿فَخَرَجَ﴾ موسى ﴿مِنْهَا﴾ من المدينة ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ التعرضَ له في الطريق، أو أن يلحقَه مَن يقتلُه ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١﴾ قومِ فرعون.

٢٢- ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ نحوَها، ومَدْيَنُ قريةُ شُعَيب عليه السلام ولم تكن في سلطان فرعون، بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام، خرج ولم يكن له علم بالطريق إلا حُسنُ ظنِّه بربِّه ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾ وسطه ومعظم نهجه، فجاءه مَلَكٌ فانطلق به إلى مدين.

٢٣- ﴿وَلَمَّا وَرَدَ﴾ وصلَ ﴿مَآءَ مَدْيَنَ﴾ ماءَهم الذي يستقون منه، وكان بئرًا ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ على جانب البئر ﴿أُمَّةً﴾ جماعة كثيرة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ من أناس مختلفين ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشِيَهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾

﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾

من مكانٍ أسفلَ من مكانهم ﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ تَطرُدان غنمَهما عن الماء، لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ﴾ ما شأنكما ﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي﴾ غنمَنا ﴿حَتَّىٰ يُصۡدِرَ﴾ يُرجِعَ ﴿ٱلرِّعَآءُۖ﴾ مواشِيَهم، والرِّعاءُ جمع راعٍ ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾﴾ لا يقدر على رعي الغنم.

٢٤- ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ غنمَهما رغبةً في المعروف وإغاثة للملهوف، روي أنه نحَّى القومَ عن رأس البئر وسألهم دَلوًا، فأعطَوه دلوَهم وقالوا: استقِ بها، وكانت لا ينزِعُها إلا أربعونَ، فاستقى بها وصَبَّها في الحوض ودعا بالبركة ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ ظِلِّ سَمُرَةٍ[1] ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ﴾ لأيِّ شيءٍ ﴿أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ قليلٍ أو كثيرٍ غَثٍّ أو سَمينٍ ﴿فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾ محتاجٌ.

روي أنهما لَمّا رجعتا إلى أبيهما قبلَ الناس وأغنامُهما حُفَّلٌ[2] قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلًا صالحًا رحِمَنا فسقَى لنا، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لي.

٢٥- ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ وهذا دليل كمال إيمانها وشرف عُنصُرِها، لأنها كانت تدعوه إلى ضيافتها، ولم تعلم أَيجيبُها أم لا، فأتته مُستحِيَةً قد استترت بكُمّ درعها ﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ فتبعها موسى عليه السلام فألزقت الريحُ

---

(١) السَّمُرَةُ: ضرب من الطَّلْح وهي شجرة طويلة لها شوك وأغصان طوال لها ظل يستظل بها الناس والإبل، منابتها بطون الأودية.

(٢) حُفَّلٌ: مملوءةٌ ضروعُها باللبن.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾

ثوبَها بجسدها فوصفته، فقال لها: امشي خلفي وانعَتي لي الطريقَ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ قِصَّتَه وأحوالَه مع فرعون ﴿قَالَ﴾ له ﴿لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾ إذ لا سلطانَ لفرعون بأرضنا. روي أنها لَمّا قالت: ﴿لِيَجۡزِيَكَ﴾ كَرِهَ ذلك، وإنما أجابها لئَلا يُخيِّبَ قصدَها، ولَمّا وضع شعيبٌ الطعامَ بين يديه امتنع، فقال شعيب: ألست جائعًا؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون عوضًا مما سَقيتُ لهما، وإنا أهل بيت لا نأخذ على المعروف ثمنًا، فقال شعيب عليه السلام: هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا، فأكل.

٢٦- ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ اتَّخِذْه أجيرًا لرعي الغنم، روي أنّ كبراهما كانت تُسمى صفراءَ والصغرى صُفَيراءَ، وصفراءُ هي التي ذهبت به، وطلبت إلى أبيها أن يستأجرَه، وهي التي تزوَّجها ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ فقال: وما عِلمُكِ بقوته وأمانته؟ فذكرت نزعَ الدلو وأَمْرَها بالمشي خلفَه.

٢٧- ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ﴾ أُزوِّجَك ﴿إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ هذه مواعدةٌ منه، ولم يكن ذلك عقد نكاح، إذ لو كان عقدًا لقال: قد أنكحتك ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي﴾ تكونَ أجيرًا لي ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ الحِجَّةُ: السَّنَةُ ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا﴾ أي عملَ عشرِ حِجج ﴿فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ فذلك تَفضُّل منك ليس بواجب عليك، ولكنك إن فعلته فهو منك تفضُّلٌ وتبرع ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾ بإلزام أَتَمِّ الأَجَلين ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ في حسن المعاملة والوفاء بالعهد.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨﴾

٢٨- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ﴾ يعني ذلك الذي قلتَه وعاهدتَني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعًا لا يخرج كلانا عنه، ثم قال: ﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ﴾ أيَّ أَجَلٍ قضيتُ من الأجلين يعني العشرَ والثمانيَ ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ لا يُعتدَى عليَّ في طلب الزيادة عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨﴾ [على ما نعقد عليه حفيظ وشهيد].

رُوي أن شعيبًا كانت عنده عِصِيُّ الأنبياء عليهم السلام، فقال لموسى بالليل: ادخل ذلك البيتَ فخذ عصًا من تلك العِصِي، فأخذَ عصًا هبطَ بها ءادمُ من الجنة، ولم يزل الأنبياء عليهم السلام يتوارثونها[1] حتى وقعت إلى شعيب، فضَنَّ بها[2]، فقال: خُذْ غيرَها، فما وقع في يده إلا هي سبعَ مرات، فعلم أن له شأنًا، ولَمّا أصبح قال له شعيب: إذا بلغت مَفرِقَ الطريق فلا تأخذ على يمينك، فإن الكلأَ وإن كان بها أكثرَ إلا أن فيها تِنِّينًا[3] أخشاه عليك وعلى الغنم، فأَخذتِ الغنمُ ذاتَ اليمين ولم يقدر على كفِّها، فمشى على أَثَرِها، فإذا عُشب وريف لم يرَ مثلَه، فنام، فإذا التنينُ قد أقبلَ، فحاربتْهُ العصا حتى قَتَلَتْهُ، وعادت إلى جنب موسى داميةً[4]، فلَمّا أبصرَها داميةً والتنينَ مقتولًا ارتاح لذلك، ولَمّا رجع إلى شعيب مَسَّ الغنمَ فوجدها ملأى البطون غزيرةَ اللبن، فأخبره موسى، ففرح، وعلم أن لموسى والعصا شأنًا، وقال له: إني

---

(١) لا يُراد به الإرث الشرعي لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**نحن معاشر الأنبياء لا نُوَرَثُ، ما تركناه صدقة**» بل المعنى: يتناقلوها فيما بينهم، تنتقل من يد أحدهم إلى يد ءاخر منهم عليهم السلام.

(٢) معناه: أراد شعيبٌ عليه السلام أن تَبقَى عندَه.

(٣) نوعٌ مِنَ الحيّات.

(٤) أي: مَخْضوبةً بالدم.

﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾

وهبتُ لك من نِتاج غنمي هذا العامَ كلَّ أَدْرَعَ ودرعاءَ[1]، فأوحي إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم، ففعل، ثم سقى، فوضعت كلُّهن أَدْرَعَ ودرعاءَ، فوفَّى له بشرطه.

٢٩- ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ بامرأته نحو مصر ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق لأنه قد ضَلَّ الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [قطعةٍ من الحطب فيها النار] ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [تستدفئون].

٣٠- ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ بالنسبة إلى موسى ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ بتكليم الله تعالى فيها، [والوادي هو الوادي المقدَّس طُوى] ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ العُنَّابِ أو العَوْسَجِ[2]، أي أتاه النداءُ من شاطئ الوادي من قِبَلِ الشجرة لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ، أي الجانب، [عن يمين موسى] ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ أسمَعَ اللهُ تعالى نبيَّه موسى عليه السلام كلامَه الذاتي الأزلي الذي ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة بغير واسطة من ملك وغيره، فقد رفع الحجاب عن سمعه فسمع كلام الله تعالى الذي لا يشبه كلام غيره وفهم منه ما أراده تعالى.

٣١- ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ﴾ ونوديَ أن أَلقِ عصاكَ، فألقاها، فقلبها الله ثعبانًا ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ حَيَّةٌ في سعيها، وهي

---

(١) الأدرع: من الشاء ما اسودَّ رأسُه وابيض سائره.
(٢) العَوْسَجُ: شجر من شجر الشَّوْك له ثمر أحمرُ مُدَوَّرٌ كأنه خرز العقيق.

﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾

ثعبانٌ في جُثَّتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [أدبر عنها وجعلها تلي ظهره] ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [ولم يَلتفت، أو لم] يرجع، فقيل له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ أَمِنت من أن ينالَك مكروه من الحية.

٣٢- ﴿ٱسْلُكْ﴾ أَدخِلْ ﴿يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ جيبِ قميصك [وهو الفُتحة التي عند النحر، أدخِلْ يُمناك تحت عَضُد يسراك، وذلك قوله تعالى في سورة طه ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴿٢٢﴾﴾] ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ لها شعاع كشعاع الشمس ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ برصٍ ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ واضمم يدك إلى صدرك يذهبْ ما بك من فَرَقٍ[1]، أي لأجل الحية، [أو من إضاءةِ اليد، فأمره تعالى أن يعيد يده إلى جيبه لتعود إلى حالتها الأولى فيعلم موسى أنه لم يكن سوءًا بل ءايةً من الله تعالى] ﴿فَذَٰنِكَ﴾ المراد اليدُ والعصا ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾ حُجَّتان نيّرتان بيّنتان، وسميت الحُجَّة برهانًا لإنارتها ﴿مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ أرسلناك إلى فرعون ومَلَئِه بهاتين الآيتين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ كافرين.

٣٣- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ به.

٣٤- ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ عَونًا ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ معنى تصديقِه موسى إعانتُه إياه بزيادة البيان في مظانّ الجدال إن احتاج إليه ليُثبت دعواه، لا أن يقول له: صدقت، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [فإذا كان معي أخي قمنا بمُحاجَّتهم].

---

(١) أي: الخوفِ الطبيعيّ.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

٣٥- ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقوّيك به، إذ اليد تَشتدُّ بشَدِّ العَضُد، لأنه قَوام اليد، والجُمْلَةُ تَقوَى بشدةِ اليد على مُزاولة الأمور ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ غَلَبَة وتَسلُّطًا وهَيبة في قلوب الأعداء ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ لا يصلون إليكما بسبب ءاياتنا ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ بآياتنا، وهي المعجزات].

٣٦- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ تعمَلُه أنت وليس بمعجزة من عند الله ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ كائنًا في زمانهم، يعني ما حُدِّثنا بكونه فيهم.

٣٧- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [معناه ما جئتكم به حق وهدى وليس بسحر، وربّي عالمٌ بذلك، وأنتم ظالمون، وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة لي ولِمَن اتَّبعَني لا لكم].

٣٨- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ قصدَ بنفي علمِه بإلٰهٍ غيرِه نفيَ وجوده ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ اطبخْ لِيَ الآجُرَّ، [وهامانُ وزيرُه] ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ [اتَّخذ لي منه قصرًا عاليًا] ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ﴾ أصعد ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ حَسِبَ أنه تعالى في مكان كما كان هو في مكان ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي موسى ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ في دعواه أَنَّ له إلهًا وأنه أرسله إلينا رسولًا.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾

رُوِيَ أنَّ هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحًا لم يبلغه بناء أحد من الخلق، فضرب الصرحَ جبريلُ عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع، وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألفَ ألفِ رجل، وقطعة في البحر، وقطعة في الغرب، ولم يبق أحد من عُمّاله إلا هلك.

٣٩- ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾ تعظَّم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرضِ مصرَ ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي بالباطل ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا﴾ [إلى حسابنا وجزائنا] ﴿لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [يومَ القيامة، وهذا ليس بعذر لهم، بل ذَمٌّ لهم بالجهل وترك التأمل بالآيات حتى يعلموا].

٤٠- ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ﴾ شبَّههم استقلالًا لعددهم - وإن كانوا الجَمَّ الغفيرَ - بحَصَياتٍ أخذهنَّ ءاخذٌ بكفِّه فطرحَهُنَّ في البحر ﴿فَٱنظُرۡ﴾ يا محمد ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وحَذِّر قومَك فإنك منصور عليهم.

٤١- ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ قادةً ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ أي عملِ أهلِ النار ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [لا يمنع العذابَ عنهم مانعٌ].

٤٢- ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ﴾ ألزمناهم طردًا وإبعادًا عن الرحمة، وقيل ما يلحقهم من لعن الناس إياهم بعدهم ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ المطرودين المُبعَدين.

٤٣- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ قومَ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ عليهم السلام ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾

﴿وَهُدَى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى
ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ
ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ
بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾

البصيرة نورُ القلب الذي يُبصَرُ به الرشدُ والسعادة، كما أنَّ البصرَ نورُ العين الذي تُبصِرُ به، يريد ءاتيناه التوراةَ أنوارًا للقلوب لأنها كانت عُمْيًا لا تَستبصرُ ولا تعرف حقًّا من باطل ﴿وَهُدَى﴾ وإرشادًا، لأنهم كانوا يَخبِطون في ضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَن اتَّبعها، لأنهم إذا عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يتَّعظون.

٤٤- ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾ الجبل ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ وهو المكان الواقع في شِقِّ الغَربِ، وهو الذي وقع فيه ميقات موسى ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ كلَّمناه وقرَّبناه نَجِيًّا[(١)] ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته.

٤٥- ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا﴾ بعد موسى ﴿قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۚ﴾ طالت أعمارهم، وفَتَرَتِ النبوةُ، وكادت الأخبار تَخفَى، واندرسَتِ العلوم، ووقع التحريف في كثير منها، فأرسلناك مُجَدِّدًا لتلك الأخبار، مُبيِّنًا ما وقع فيه التحريف، وأعطيناك العلم بقِصَصِ الأنبياء وقصة موسى ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيمًا ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وهم شعيبٌ والمؤمنون به ﴿تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ تقرؤها عليهم تعلُّمًا منهم، يريد الآياتِ التي فيها قصةُ شعيب وقومه ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلَّمناكَها.

٤٦- ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى أَنْ خُذِ الكتابَ بقوة

---

(١) أي تقريبَ منزلةٍ ومَكانة لا منزلٍ ومكانٍ. ونجيًّا أي مناجيًا بأن أسمعه الله تعالى كلامه الذاتي بلا واسطة.

﴿وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ
إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ
لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا
وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَلَٰكِن﴾ علَّمناكَ وأرسلناك ﴿رَّحۡمَةٗ﴾ للرَّحمة ﴿مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ في زمانِ الفترةِ بينَكَ وبين عيسى، وهو خمسمائةٍ وخمسونَ سنةً ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يتَّعظون].

٤٧- ﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ عقوبةٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من الكفر والظلم، ولَمّا كانت أكثر الأعمال تُزاول بالأيدي نُسبت الأعمال إلى الأيدي وإن كانت من أعمال القلوب تغليبًا للأكثر على الأقل ﴿فَيَقُولُواْ﴾ عند العذاب ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدَّموا من الشرك والمعاصي: هلاّ أرسلت إلينا رسولًا؟ محتجِّين علينا بذلك لَمَا أرسلنا إليهم.

٤٨- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا﴾ أي القرءانُ، أو الرسولُ المصدَّقُ بالكتاب المُعجِزِ ﴿قَالُواْ﴾ أي كفارُ مكة ﴿لَوۡلَآ أُوتِيَ﴾ هلاّ أُعطيَ ﴿مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ﴾ من الكتاب المنزَّلِ جملةً واحدة ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ﴾ يعني أبناءَ جنسِهم، ومَن مذهبُهم مذهبُهم وعنادُهم عنادُهم، وهم الكفرةُ في زمن موسى عليه السلام ﴿بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾ من قبلِ القرءان ﴿قَالُواْ سِحۡرَانِ﴾ [أي القرءان والتوراة] ﴿تَظَٰهَرَا﴾ تعاوَنا ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ﴾ بكل واحد منهما ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

٤٩- ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ﴾ مما أُنزل على موسى، وما أُنزِلَ عليَّ ﴿أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ في أنهما سِحران.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ
إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾

٥٠- ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ﴾ فإن لم يستجيبوا دعاءَك إلى الإتيان بالكتاب الأَهدى فاعلم أنهم قد أُلزِموا[1] ولم تَبقَ لهم حجة إلا اتِّباعُ الهوى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ لا أحد أَضَلُّ ممن اتَّبعَ في الدين هواه مخذولًا مُخَلًّى بينه وبين هواه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [لا يُوَفِّقُ لإصابة الحق وسبيل الرشد القومَ الذين خالفوا أمر الله وكذبوا رسولَه واتَّبعوا أهواءَ أنفسهم إيثارًا لطاعة الشيطان على طاعة ربهم].

٥١- ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ يعني أنَّ القرءان أتاهم متتابعًا متواصلًا، وعدًا ووعيدًا وقصصًا وعبرًا ومواعظ ليتذكروا فيفلحوا.

٥٢- ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ مِن قَبلِ القرءان ﴿هُم بِهِۦ﴾ بالقرءان ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب.

٥٣- ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ﴾ القرءانُ ﴿عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ﴾ مِن قَبل نزول القرءان ﴿مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ كائنينَ على دين الإسلام مؤمنين بمحمد عليه الصلاة والسلام.

٥٤- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرءان، أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ يدفعون بالطاعة المعصية ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ يُزَكُّون.

---

(١) أُلزموا: خُصِموا وغُلِبوا.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى
ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا
يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

٥٥- ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾ الباطلَ، أو الشتمَ من المشركين ﴿أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ﴾ لِلَّاغِين ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أمانٌ منا لكم بأن نُقابل لغوكم بمثله ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ لا نريد مخالطَتَهم وصحبتَهم.

٥٦- ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تَقدرُ أن تُدخلَ في الإسلام كلَّ مَن أحببتَ أن يَدخُلَ فيه من قومك وغيرهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ يخلقُ فعلَ الاهتداء فيمن يشاء [اللهُ هدايتَه] ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ بمن يختارُ الهداية ويقبلها ويتَّعظ بالدلائل والآيات [وقُدِّرَ له أن يهتدي]، أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب وإن كانت الصيغة عامة.

٥٧- ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ قالت قريش: نحن نعلم أنك على الحق، ولكنَّا نخاف إن اتَّبعناك وخالفنا العربَ بذلك أن يتخطَّفونا من أرضنا، فألقمهم الله الحجَرَ بأنه مكَّن لهم في الحرم الذي أمَّنَه بحُرمة البيت وأمَّنَ قُطَّانَه بحُرمته، والثمراتُ تُجْبَى إليه من كُلِّ أَوْب وهم كَفَرَةٌ، فأنَّى يستقيم أن يُعَرِّضَهم للتخطف ويسلُبَهم الأمنَ إذا ضَمُّوا إلى حُرمَةِ البيت حُرمَةَ الإسلام؟ ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ يُجلب ويُجمع ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ معنى الكُلِّية الكثرةُ ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [عَطِيَّةً وتفضُّلًا منا] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ قليل منهم يُقرُّون بأنَّ ذلك رزق من عند الله، وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك، ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده، ولمَا خافوا التخطُّف إذا ءامنوا به.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا
قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ
فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا
حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾

٥٨- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ هذا تخويفٌ لأهل مكة من سوء عاقبةِ قومٍ كانوا في مِثلِ حالهم بإنعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة، وقابلوها بالبَطَر [فأَغفلوا شكرها ولم يحفظوا حَقَّ الله فيها] فأُهلكوا ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ منازلهم باقيةُ الآثار يشاهدونها في الأسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم ﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي لم يسكنها إلا المسافرُ ومارُّ الطريق يومًا أو ساعة ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ لتلك المساكن من ساكنيها، أي لا يملك التصرُّفَ فيها غيرُنا.

٥٩- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ ما كان في حكم الله وقضائه أن يُهلك القرى في الأرض ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ في أُم القرى، يعني مكةَ ﴿رَسُولًا﴾ يعني محمدًا لإلزام الحجة وقطع المعذرة ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي القرءانَ ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ وما أهلكناهم للانتقام إلّا وأهلُها مستحقُّون العذابَ بظلمهم، وهو إصرارُهم على كفرهم، وعنادهم ومكابرتهم بعد الإعذار إليهم.

٦٠- ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ وأيُّ شيء أَصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتعٌ وزينة أيامًا قلائلَ، وهي مدةُ الحياة الفانية ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو ثوابُه ﴿خَيْرٌ﴾ في نفسه من ذلك ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ لأنه دائمٌ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ أن الباقيَ خيرٌ من الفاني.

٦١- ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [هل مَن وَعَدناه على الإيمان والطاعة وعدًا حسنًا، وهو الجنة وما فيها من الثواب] ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ رائيهِ ومُدركُه ومُصيبُه ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [فاغترَّ به واشتغل به

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ
إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ
يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

عن طاعتنا واستعان بما أعطيناه على مخالفتنا، ثم انقطع ذلك] ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ [للعرض والحساب والعقاب؛ أي ليسا سواءً].

٦٢- ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ ينادي اللهُ الكفارَ نداء توبيخ ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [أي أين الذين] كنتم تزعمونهم شركائي.

٦٣- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي الشياطينُ أو أئمةُ الكفر، ومعنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجبَ عليهم [العذاب الذي أوعدَ اللهُ] وثبتَ ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ دعوناهم إلى الشرك وسوَّلنا[1] لهم الغيَّ [فاتَّبعونا] ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ يعنون أنَّا لم نغو إلا باختيارنا، فهؤلاء كذلك غَوَوْا باختيارهم، لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسةً وتسويلًا ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم.

٦٤- ﴿وَقِيلَ﴾ للمشركين: ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ الأصنامَ لتخلِّصَكم من العذاب ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ فلم يُجيبوهم ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ أي لَمَا رأوا العذاب.

٦٥- ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ الذين أُرسلوا إليكم.

٦٦- ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ خَفِيَت عليهم الحجج أو الأخبار ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ لا يسأل بعضهم بعضًا عن العذر والحجَّة،

---

(١) أي: زيَّنّا.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا
يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ
يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ
وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾

لأنهم يتساوَون في العجز عن الجواب.

٦٧- ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ بربِّه وبما جاء من عنده ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾ فعسى أن يُفلح عند الله، وعسى مِنَ [الله] تحقيقٌ، وفيه بشارة للمسلمين على الإسلام، وترغيب للكافرين على الإيمان.

ونزل جوابًا لقول الوليد بن المغيرة: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الزخرف] يعني نفسه أو أبا مسعود[1]، [ويعني بالقريتين مكة والطائف].

٦٨- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ﴾ ربك يخلق ما يشاء، وربك يختار ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ﴾ ليس لهم أن يختاروا على الله شيئًا ما، وله الخِيَرَةُ عليهم ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ الله بريء من إشراكهم، وهو منزَّه عن أن يكون لأحد عليه اختيار.

٦٩- ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ تُضمِرُ ﴿صُدُورُهُمْ﴾ من عداوة رسول الله ﷺ وحَسَدِه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ من مَطاعِنِهم فيه، وقولِهم: هلّا اختير عليه غيرُه في النبوة.

٧٠- ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ المستأثر بالإلهية[2] المختصُّ بها ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ تقرير لذلك ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾ الدنيا ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ هو كقولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ

---

(١) أبو مسعود: هو عروة بن مسعود الثقفي، صحابي مشهور، كان كبيرًا في قومه بالطائف، دعاهم إلى الإسلام فخالفوه وقتلوه.
(٢) أي: المنفردُ بها.

﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ
ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا
تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا﴾

لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة فاطر] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الزمر] والتحميد ثَمَّ على وجه اللَّذة لا الكُلفة ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء بين عباده ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ بالبعث والنشور.

٧١- ﴿قُلْ﴾ [يا محمد لأهل مكة:] ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ [أخبروني] ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ دائمًا [لا نهارَ بعده] ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [بزعمكم] ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ [نهار تطلبون فيه معاشكم] ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ [ذلك سماع تفهُّم فترجعوا عن الإشراك].

٧٢- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعوا عنه].

٧٣- ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضل الله في النهار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ الله على نِعَمِه.

٧٤- ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ كَرَّرَ التوبيخَ لاتِّخاذ الشركاء، ليؤذِنَ أن لا شيء أجلبُ لغضب الله من الإشراك به، كما لا شيء أدخلُ في مرضاته من توحيده.

٧٥- ﴿وَنَزَعْنَا﴾ وأخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعني نبيَّهم، لأن الأنبياء للأمم شهداءُ عليهم يشهدون بما كانوا عليه ﴿فَقُلْنَا﴾ للأمم:

﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾

﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسُلِ ﴿فَعَلِمُوٓا۟﴾ حينئذ ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [في الألوهية لا يشاركه فيها أحد] ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وغاب عنهم غَيبةَ الشيء الضائع ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ من ألوهية غير الله والشفاعة لهم.

٧٦- ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ كان إسرائيليًّا ابنَ عَمٍّ لموسى وكان أقرأَ بني إسرائيل للتوراة، لكنه نافَقَ كما نافقَ السامري ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ قيل: ملَّكَهُ فرعونُ على بني إسرائيل فظلمهم، أو تكبَّر عليهم بكثرة ماله وولده ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ لتُثْقِلُ العصبةَ، والعصبةُ: الجماعة الكثيرة، وكانت تحملُ مفاتيحَ خزائنه ستونَ بغلًا، لكل خزانة مفتاح ﴿أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ الشدة ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ المؤمنون ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ﴾ لا تبطَرْ بكثرة المال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾[1] البَطِرين بالمال.

٧٧- ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من الغنى والثروة ﴿ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ﴾ بأن تتصدقَ على الفقراء وتصلَ الرحِمَ وتصرفَ إلى أبواب الخير ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ وهو أن تأخذ ما يكفيك ويُصلِحُك، وقيل: معناه اطلب بدنياك ءاخرتَك فإن ذلك حظ المؤمن ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ أو أحسِنْ بشكرك وطاعتك لخالق الأنام كما أحسَنَ إليك بالإنعام ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ بالظلم

---

(١) المراد بالفَرَح هُنا البَطَر والعُجب، ليس مطلق الفرح.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾

والبغي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ٧٧﴾ [بمعنى أنه يعاقبهم].

٧٨- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي المالَ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ على استحقاق لِمَا فيَّ من العلم الذي فَضَلتُ به الناسَ وهو العلمُ بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ قارونُ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ هو إثباتٌ لعِلمِه بأن الله قد أهلك مِن القرون قبله مَن هو أقوى منه وأغنى، لأنه قد قرأه في التوراة ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال، أو أكثر جماعةً وعددًا، كأنه قيل: أَوَلم يعلمْ هذا حتى لا يَغترَّ بكثرة مالِهِ وقوّته ويقيَ نفسَه مَصارع الهالكين ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ٧٨﴾ يعترفون بها بغير سؤال، أو لا يُسألون لتُعلم من جهتهم، بل يُسألون سؤال توبيخ.

٧٩- ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ [التي يتعظَّم بها من اللباس والمركب والخدم ونحوهم] قيل: خرج على بغلةٍ شهباءَ عليها الأُرجوانُ وعليها سَرْجٌ من ذهب ومعه أربعةُ ءالاف عليهم وعلى خيولهم الديباجُ الأحمر، وعن يمينه ثلاثمائة غلام، وعن يساره ثلاثمائة جارية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ قيل: كانوا مسلمين، وإنما تمنَّوا على سبيل الرَّغبة في اليسار كعادة البشر، وقيل: كانوا كفارًا ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ قالوه غِبطةً، والغابطُ هو الذي يتمنَّى مثلَ نعمةِ صاحبه من غير أن تزولَ عنه كهذه الآية، والحاسدُ هو الذي يتمنَّى أن تكون نعمةُ صاحبِهِ له دونَه ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٧٩﴾ [جليلٍ يقدر معه على ما يريد من الدنيا].

٨٠- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء

﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

العقبى لغابِطِي قارون ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أصل ويلَكَ الدعاءُ بالهلاك، ثم استعُمل في الزَّجر والردع والبعث على ترك ما لا يُرضي ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ لا يُلَقَّنُ هذه الكلمةَ؛ وهي ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا، وعلى ما قَسَمَ الله من القليل عن الكثير، [وقيل: لا يُلَقَّى الجنة وثوابها؛ أي لا يؤتاها إلا الصابرون على طاعة الله].

٨١- ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [أي غيَّبناه في الأرض يغوصُ فيها ويسوخ(١)، وفعلنا بداره كذلك] ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾ جماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يمنعونه من عذاب الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ من الممتنعين من عذاب الله.

٨٢- ﴿وَأَصْبَحَ﴾ وصار ﴿ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ﴾ منزلَته من الدنيا ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ لم يُرِدْ به اليومَ الذي قبل يومِك، ولكن الوقتَ القريبَ استعارةً ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ﴾ وَيْ كلمةُ تَنَبُّهٍ على الخطأ وتندُّمٍ، يستعملُها النادم بإظهار ندامته، يعني أنَّ القوم قد تنبَّهوا على خطئهم في تمنِّيهم وقولِهم: يا ليتَ لنا مثلَ ما أوتي قارونُ، وتندَّموا، وقالوا: أما تَرَونَ أن الله يبسط الرزق لِمَن يشاء من عباده ويقدر، لا لكرامة مَن يوسِّعُ عليه ولا لهوان مَن يُضيّق عليه ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [بالإيمان والرحمة وعصَمنا من مثل ما كان عليه قارون من البغي والبطر] ﴿لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

---

(١) أي: يدخلُ فيها.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟
ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ
أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ
إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

تندَّموا ثم قالوا: [ألم تروا أنه] لا يفلح الكافرون.

٨٣- ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ تعظيم لها وتفخيم لشأنها، يعني تلك التي سمعتَ بذكرها وبلَغَكَ وصفُها ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بغيًا وظلمًا ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ عملًا بالمعاصي ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

٨٤- ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [فله خير حاصلٌ من جهتها، وهو الجنة] ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ إلا مثل ما كانوا يعملون، ومن فضله العظيم أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها، ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة.

٨٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أوجبَ عليك تلاوتَه وتبليغَه والعملَ بما فيه ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أيِّ مَعادٍ، وإلى معادٍ ليس لغيرك من البشر، [يعني يوم القيامة، أو في الجنة] أو المراد به مكة، والمراد ردُّه إليها يوم الفتح [ظاهرًا من غير خوف عاليَ اليد]. ولَمّا وعد رسوله ﷺ الردَّ إلى مَعاده قال: ﴿قُل﴾ للمشركين: ﴿رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ يعني نفسَه وما له من الثواب في مَعاده ﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ يعني المشركين وما يستحقُّونه من العذاب في معادهم.

٨٦- ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ﴾ يُوحى ﴿إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرءانُ، [وهذا تذكيرٌ لنِعَمِهِ تعالى على رسوله، وأنه تعالى رَحِمهُ رحمةً لم يتعلَّقْ بها رجاؤه] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ما ألقي إليك الكتاب إلا رحمة من ربّك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ مُعِينًا لهم على دينهم.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

٨٧- ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا يمنعنَّك هؤلاء عن العمل بآيات الله أي القرءان ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ﴾ الآيات ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ﴾ إلى توحيده وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

٨٨- ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ﴾ الخطاب [في هذه المناهي ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ و﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ و﴿وَلَا تَدْعُ﴾ ونحوها] في الظاهر للنبي ﷺ، والمراد [بها] أهل دينه، [أو هي من نهي الرسل عن الشرك والفسوق وإن كانوا معصومين عن ذلك] لأن العصمة لا تمنع النهي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ﴾ إلا إياه، فالوجه يُعبَّر به عن الذات ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء في خلقه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [للجزاء بالحق].

سورة العنكبوت
مكية وهي تسع وستون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١-٢- ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ أحسِبوا تركَهم غيرَ مفتونين لقولهم ءامنا وهو استفهام [بمعنى الإنكار، أي لا يكون ذلك]، والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائرِ الطاعات الشاقَّةِ وهجرِ الشهوات وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ومُصابرة الكفار على أذاهم وكيدِهم، وروي أنها نزلت في ناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ قد جَزِعوا من أذى المشركين، أو في عمار بن ياسرٍ وكان يعذَّب في الله.

٣- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ اختبرنا ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ﴾ بأنواع الفتن، فمنهم مَن يوضَعُ المِنشارُ على رأسه فيُفرقُ فِرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ومنهم مَن يُمشط بأمشاط الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ بالامتحان ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في الإيمان ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ فيه، ومعنى علمِه تعالى - وهو عالمٌ بذلك فيما لم يزل - أن يعلمَه موجودًا

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾

عند وجوده كما علمه قبل وجوده أنه يوجد، والمعنى وليتميَّزنَّ الصادق منهم من الكاذب.

٤- ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي الشركَ والمعاصيَ ﴿أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ يَفُوتُونا، يعني أنَّ الجزاء يلحقهم لا محالة ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾ بئس حكمًا يحكمونه حكمُهم هذا.

٥- ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ يأمُل ثوابَه أو يخافُ حسابَه فالرجاء يحتملُهما ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ المضروبَ للثواب والعقاب ﴿لَأٓتٍۚ﴾ لا محالة، فليبادر العملَ الصالح الذي يُصدِّق رجاءَه ويُحقِّقُ أَمَلَه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا يقوله عبادُه ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾ بما يفعلونه، فلا يَفوتُه شيء ما.

٦- ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ نفسَه بالصبر على طاعة الله، أو الشيطانَ بدفع وساوسِه، أو الكفارَ ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ﴾ لأنَّ منفعةَ ذلك ترجع إليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ وعن طاعتِهم ومجاهدتهم، وإنما أمرَ ونهَى رحمةً لعباده.

٧- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أي الشركَ والمعاصيَ بالإيمان والتوبة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ أحسنَ جزاءِ أعمالِهم في الإسلام.

٨- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ﴾ وصَّيناه بإيتاء والديه حُسنًا، أو بإيلاء والديه حسنًا، أي فِعلًا ذا حُسنٍ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ [وإن استفرغا مجهودهما لك] أيها الإنسان ﴿لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ لا علم

﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾

لك بإلٰهيته، والمراد بنفي العلم نفيُ المعلوم، كأنه قال: لتُشرك بي شيئًا لا يصح أن يكون إلٰهًا ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في ذلك، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ مرجعُ مَن ءامنَ منكم ومَن أشرك ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ فأجازيكم حق جزائكم، وفي ذكر المَرجِع والوعيد تحذيرٌ من متابعتهما على الشرك وحثٌّ على الثبات والاستقامة في الدين، روي أنَّ سعدَ بن أبي وَقّاصٍ لَمّا أسلمَ نذرت أُمُّه أَلّا تأكلَ ولا تشربَ حتى يرتدَّ، فشكا إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآيةُ، [فأمر بالإحسان إليها وألَّا يُطيعَها في الشرك].

٩- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩﴾ في جملتهم، والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين، وهو مُتمنَّى الأنبياء عليهم السلام، قال سليمان عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩﴾ [سورة النمل]، وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠١﴾ [سورة يوسف].

١٠- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ إذا مَسَّه أذى من الكفار ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ جَزِعَ من ذلك كما يُجْزَعُ من عذاب الله تعالى [أي يترك الإسلام إذا خاف إيذاء الكفار إياه كما يترك المسلم المعصية إذا خاف عذابَ الله] ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ﴾ وإذا نَصرَ اللهُ المؤمنين وغنَّمهم اعترضوهم وقالوا: إنا كنا معكم أي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم فأعطُونا نصيبنا من المَغنم ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ هو أعلم بما في صدور العالَمين من العالَمين بما في صدورهم، ومن ذلك ما في صدور

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾

هؤلاء من النفاق، وما في صدور المؤمنين من الإخلاص.

ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين بقوله:

١١- ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ أي حالُهما ظاهرةٌ عند مَن يملك الجزاء عليهما.

١٢- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ أَمَروهم باتِّباع سبيلهم، وهي طريقتُهم التي كانوا عليها في دينهم، وأَمروا أنفسَهم بحمل خطاياهم، أي إن تتَّبِعوا سبيلَنا حملنا خطاياكم، وهذا قول صناديد قريش[1]، كانوا يقولون لِمَن ءامَن منهم: لا نبعث نحن ولا أنتم، فإن كان ذلك، فإنا نتحمل عنكم الإثم ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه، كالكاذبين الذين يَعِدون الشيءَ وفي قلوبهم نِيَّةُ الخُلف.

١٣- ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أثقال أنفسهم، يعني أوزارَهم بسبب كفرهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ﴾ أثقالًا أُخرَ غيرَ الخطايا التي ضَمِنوا للمؤمنين حملَها، وهي أثقال الذين كانوا سببًا في ضلالهم ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ يختلقون من الأكاذيب والأباطيل.

١٤- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ كان عمره ألفًا وخمسين سنةً، بُعث على رأس أربعين ولَبِثَ في قومه تسعَمائةٍ وخمسينَ سنةً، وعاش بعد الطوفان ستين، وعن وَهْبِ بن مُنَبِّه أنه عاش ألفًا وأربعَمائة سنة فقال له مَلَك الموت: يا أطولَ الأنبياء

---

(١) أي: عُظمائهم.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ
لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ
تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ
ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

عمرًا، كيف وجدت الدنيا؟ قال: كدارٍ لها بابان دخلت وخرجت. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ [طوفان الماء، و] هو ما أطاف وأحاط بكثرة وغَلَبة ﴿وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ أَنفُسَهم بالكفر.

١٥- ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ أي نوحًا ﴿وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ وكانوا ثمانية وسبعين نفسًا، نصفهم ذكور ونصفهم إناث، منهم أولاد نوح: سامٌ وحامٌ ويافِثُ ونساؤهم ﴿وَجَعَلۡنَٰهَآ﴾ أي السفينةَ، أو الحادثَةَ، أو القصة ﴿ءَايَةٗ﴾ عِبرةً وعظة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ يتَّعظون بها.

١٦- ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ [واذكر إبراهيم] ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من الكفر ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ إن كان فيكم عِلمٌ بما هو خير لكم مما هو شرٌّ لكم.

١٧- ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا﴾ أصنامًا ﴿وَتَخۡلُقُونَ﴾ وتَكذِبون، أو تصنعون ﴿إِفۡكًاۚ﴾ واختلاقُهم الإفكَ تسميتُهم الأوثانَ ءالهةً وشركاءَ لله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾ لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئًا من الرزق ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ كُلَّه، فإنه هو الرَّزاق وحدَه لا يَرزقُ غيرُه ﴿وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ فاستعِدُّوا للقائه بعبادته والشكر له على أَنْعُمِه.

١٨- ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾ وإن تُكذبوني فلا تَضرُّوني بتكذيبكم، فإن الرسل قبلي قد كذَّبَتْهم أُممُهم وما ضرُّوهم، وإنما ضرُّوا أنفسَهم، حيث حلَّ

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ
فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

بهم العذاب بسبب تكذيبهم، وأما الرسول فقد تَمَّ أَمرُه حين بلَّغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك، وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته، وعلى الرسول أَنْ يُبَلِّغَ وما عليه أن يُصدَّق ولا يُكذَّب.

١٩- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ أي قد رأَوا ذلك وعلِموه ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ﴾ وليست الرؤية واقعةً عليه، وإنما هو إخبارٌ على حِيالِهِ(١) بالإعادة بعد الموت [ودليل ثبوته إبداؤه] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي الإعادة ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ سهل.

٢٠- ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ﴾ على كثرتهم واختلاف أحوالهم لتعرفوا عجائبَ فِطرةِ الله بالمشاهدة ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَۚ﴾ أي البعثَ، وهذا دليل على أنهما نشأتان وأنَّ كلَّ واحدةٍ منهما إنشاءٌ، أي ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود غير أنَّ الآخرة إنشاءٌ بعد إنشاءٍ مثلِه والأُولى ليست كذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ قادر.

٢١- ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ بالخِذلان ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُۖ﴾ بالهداية والقناعة ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ تُردُّون وتُرجعون.

٢٢- ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربَّكم، أي لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الفسيحة ﴿وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِۖ﴾ التي هي أفسحُ منها وأبسط لو كنتم فيها ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يتولَّى أموركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ ولا ناصرٍ يمنعكم من عذابه.

---

(١) أي: على انفِرادِه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا
وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾

٢٣- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدلائله على وَحدانيته وكُتُبه ومعجزاته ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ [للبعث والحساب] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ جنتي ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

[ثم عاد الكلام إلى قصة إبراهيم وجوابِ قومه له]:

٢٤- ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ قوم إبراهيمَ حين دعاهم إلى الإيمان ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ قالَ بعضُهم لبعض، أو قالَه واحد منهم وكان الباقون راضين، فكانوا جميعًا في حكم القائلين، فاتَّفَقوا على تحريقه ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾ حين قذفوه فيها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما فعلوا به وفعَلْنا ﴿لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [لَعلامات للمؤمنين على أنَّ العاقبة المحمودة لأهل الإيمان].

٢٥- ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم لقومه: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ﴾ لِتتوادُّوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقِكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابِّهم ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ تتبرأ الأصنام من عابديها، [أو القادة من الأتباع] ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ فيلعن الأتباعُ القادةَ ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ مأوى العابدِ والمعبود والتابعِ والمتبوع ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ثَمَّةَ.

٢٦- ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾ لإبراهيم عليه السلام ﴿لُوطٌۘ﴾ هو ابن أخي إبراهيم[1]،

---

(١) وقيل: ابنُ أُختِهِ.

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

وهو أوَّلُ مَن ءامن[1] له حين رأى النار لم تُحرقه ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من «كُوثَى» وهي من سواد الكوفة[2] إلى حَرَّان، ثم منها إلى فلسطين، ومِن ثَمَّ قالوا: لكلِّ نبيٍّ هجرةٌ ولإبراهيمَ هجرتان، وكان معه في هجرته لوط وسارة، وقد تزَّوجها إبراهيم ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالهجرة إليه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي يمنعني من أعدائي ﴿ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ الذي لا يأمرني إلا بما هو خير.

٢٧- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ﴾ ولدًا ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾ ولدَ ولدٍ ولم يذكر إسماعيلَ لشهرته ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ في ذرية إبراهيمَ فإنه شجرة الأنبياء ﴿وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراةَ والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ﴾ أي إبراهيمَ ﴿أَجۡرَهُۥ﴾ [جزاءَ قيامه بأداء الرسالة وصبره على أذى القوم ومهاجَرتهِ فارًّا بدينه] ﴿فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ الثناءَ الحسنَ والصلاةَ عليه إلى ءاخِرِ الدهر، ومَحَبَّةَ أهلِ المِلَل له، وفيه دليل على أنه تعالى قد يُعطي الأجرَ في الدنيا ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ من أهل الجنة.

٢٨- ﴿وَلُوطًا﴾ أي واذكر لوطًا ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ الفَعْلَةَ البالغة في القبح وهي اللواط ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [لم يفعلها أحد من الناس قبلكم[3]].

---

(١) إيمان لوطٍ بإبراهيم ليس خروجًا من الكفر إلى الإيمان، إنما هو التصديق بنبوته لأنه لا يجوز على النبي الكفر قبل النبوة كما لا يجوز عليه بعد النبوة.
(٢) سُمِّيَ سَوادًا لأنه يَضرِبُ إلى السَّواد من بعيدٍ من كثافة الشجر فيه.
(٣) كان لفظ لاطَ يلوطُ أيام ءادم الذي علَّمهم إياه كما عَلَّمهم زَنا يزني، ليس لفظُ اللواط=

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟
أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾

٢٩- ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قُطَّاع الطريق ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ مجلسكم ﴿ٱلْمُنكَرَ ۖ﴾ المجامَعة، والسُّباب، والفُحش في المُزاح، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فيما تَعِدُنا من نزول العذاب.

٣٠- ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بإنزال العذاب ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ كانوا يُفسدون الناس بحَملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش.

٣١- ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالبشارة لإبراهيم بالولد والنافلة؛ يعني إسحاقَ ويعقوب ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ﴾ القرية: سَدوم، و﴿هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ﴾ تُشعر بأنها قريبة من موضع إبراهيم عليه السلام؛ قالوا: إنها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي الظلمُ قد استمرَّ منهم في الأيام السالفة وهم عليه مُصِرُّون، وظلمُهم: كفرُهم وأنواع معاصيهم.

٣٢- ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ﴾ أي أتُهلكونَهم وفيهم مَن هو بريء من الظلم وهو لوط ﴿قَالُوا۟﴾ أي الملائكةُ: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾ منك ﴿بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ [لنأمرنَّ لوطًا أن يخرج مع مَن معه مِن

= مأخوذًا من اسم لوط كما يزعم بعض اللغويين، كيف يمضي ذلك الزمان الطويل من لدن ءادم إلى هود وصالح إلى أن ظهر لوط من غير أن يكون ظهر اسم اللواط؟!

﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ
بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ
ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ
يَفۡسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا
فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٣٦ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٣٧﴾

المؤمنين من القرية بأمر الله إيّانا بذلك] ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢﴾ الباقين في العذاب.

ثم أخبر عن مسير الملائكة إلى لوطٍ بعد مفارقتهم إبراهيم بقوله:

٣٣- ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ ساءَه مجيئُهم خيفةً عليهم من قومه أن يتناولوهم بالفجور ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعُه، أي طاقته ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ﴾ وننجي أهلك ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣﴾.

٣٤- ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا﴾ عذابًا، [وهو إمطارُ الحجارة] ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤﴾ بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله.

٣٥- ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ﴾ من القرية ﴿ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ﴾ هي ءاثارُ منازلهم الخَرِبَة ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥﴾ [الآيات فيتدبّرونها].

٣٦- ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ﴾ وأرسلنا إلى مدين ﴿أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ وافعلوا ما تَرجُون به الثوابَ في العاقبة، أو خافوه ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٣٦﴾ قاصدين الفساد.

٣٧- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، أو صيحةُ جبريلَ عليه السلام، لأنَّ القلوب رَجَفَت بها ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ﴾ في بلدهم وأرضهم ﴿جَٰثِمِينَ ٣٧﴾ باركين على الرُّكَب مَيِّتين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾

٣٨- ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾ [وأهلكنا عادًا وثمودَ] ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ ذلك، يعني ما وَصفَه من إهلاكهم ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾ من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها، وكان أهلُ مكة يَمرُّون عليها في أسفارهم فيُبصرونها ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ السبيلُ الذي أُمروا بسلوكه هو الإيمانُ بالله ورسله ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨﴾ عقلاءَ متمكِّنين من النظر وتمييز الحقِّ من الباطل، ولكنهم لم يفعلوا.

٣٩- ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ﴾ أي وأهلكناهم ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩﴾ فائتين، أَدركَهُم أَمرُ الله فلم يَفُوتوه.

٤٠- ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾ [فأخذنا كلًّا من هؤلاء بكفره ومعصيته] ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ هي ريح عاصفٌ فيها حصباءُ، وهي لقوم لوطٍ ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ هي لمدينَ وثمودَ ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ يعني قارونَ ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾ يعني قومَ نوح عليه السلام، وفرعونَ عليه اللعنة ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ [في تعذيبه إياهم] ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ بالكفر والطغيان.

٤١- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾ مَثَلُ مَن أشرك بالله الأوثانَ في الضَّعف وسوء الاختيار ﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾ كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من بيت، فإن ذلك بيتٌ لا يدفع

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ﴾

عنها الحرَّ والبرد، ولا يقي ما تقي البيوتُ، فكذلك الأوثان لا تنفعهم في الدنيا والآخرة ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ﴾ لا بيتَ أوهنُ من بيتها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ أنَّ هذا مثلُهم، وأنَّ أَمرَ دينهم بالغٌ هذه الغايةَ من الوَهْن.

٤٢- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾ أي يعبدونه ﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [من الأصنام] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا شريك له ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ في ترك المعاجلة بالعقوبة، وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا جمادًا لا علمَ له ولا قدرة، وتركوا عبادة القادر القاهر على كلّ شيء، الحكيم الذي لا يفعل كل شيء إلا بحكمة وتدبير.

٤٣- ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا﴾ نبيّنها ﴿لِلنَّاسِ ۖ﴾ كان سفهاءُ قريش وجَهَلَتُهم يقولون: إنَّ ربَّ محمدٍ يضرب المثلَ بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، فلذلك قال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ به وبأسمائه وصفاته، أي لا يعقِلُ صِحَّتَها وحُسنها ولا يفهم فائدتها إلا هم، لأنَّ الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المستورة حتى تُبرزَها وتُصوّرها للأفهام، كما صَوَّر هذا التشبيهُ الفرقَ بين حال المشرِك وحال الموحِّد.

٤٤- ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ يعني لم يخلقهما باطلًا، بل لحكمةٍ، وهي أن تكونا مساكنَ عباده وعِبرةً للمعتبِرين منهم، ودلائلَ على عِظَم قدرته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ خصَّهم بالذكر لانتفاعهم بها.

٤٥- ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ تقرُّبًا إلى الله تعالى بقراءة كلامه، ولِتَقِفَ على ما أَمرَ به ونهى عنه ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ﴾ دُم على إقامة الصلاة

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ الفِعلةِ القبيحة كالزنا مثلًا ﴿وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ هو ما ينكره الشرع، قيل: مَن كان مراعيًا للصلاة جرَّه ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يومًا ما [من حيث إنها تُذكِّرُ اللهَ وتورث النفس خشيةً منه]، روي أنه قيل يومًا لرسول الله ﷺ: إن فلانًا يصلي بالنهار ويَسرِق بالليل فقال: «**إن صلاته لتردَعُه**». ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ أي والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: وَلَذِكرُ الله إياكم برحمته أكبرُ مِن ذكركم إياه بطاعته، وقال ابن عطاء: ذِكرُ الله لكم أكبرُ من ذكركم له، لأن ذِكره بلا عِلَّة وذكرَكم مَشُوب بالعلل والأماني ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ من الخير والطاعة فيثيبكم أحسنَ الثواب.

٤٦- ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ بالخصلة التي هي أحسن، وهي مقابلة الخشونة باللين، والغضب بالكَظْم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ فأفرَطوا في الاعتداء والعناد ولم يَقبلوا النصحَ، ولم ينفع فيهم الرفقُ فاستعملوا معهم الغِلظةَ، أو ولا تُجادِلوا الداخلين في الذِّمَّة المؤدِّين للجزية إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا فنبذوا الذِّمَّةَ ومنعوا الجزية فمجادلتهم بالسيف، وقوله: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ من جنس المجادلة بالأحسن، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما حدَّثكم أهلُ الكتاب فلا تُصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا: ءامنّا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلًا لم تُصدقوهم وإن كان حقًّا لم تكذبوهم**».

٤٧- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثلَ ذلك الإنزال ﴿أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ أنزلناه مُصَدِّقًا لسائر الكتب السماوية ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ هم

﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

عبد الله بن سلام ومَن ءامن معه ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من أهل مكة ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦۚ﴾، أو أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدَّموا عهدَ رسول الله ﷺ من أهل الكتاب ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الذين كانوا في زمان النبي عليه الصلاة والسلام، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مع ظهورها وزوال الشبهة عنها ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾ المتوغِّلون في الكفر المُصمِّمون عليه ككعب بن الأشرف وأضرابه.

٤٨- ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ﴾ مِن قَبْلِ القرءان ﴿مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ﴾ خَصَّ اليمين لأنَّ الكتابة غالبًا تكون باليمين، أي ما كنت قرأت كتابًا من الكتب ولا كنت كاتبًا ﴿إِذًا﴾ لو كان شيء من ذلك، أي من التلاوة ومن الخط ﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ من أهل الكتاب وقالوا: الذي نجده في كتبنا أُميٌّ لا يكتب ولا يقرأ وليس به، أو لارتابَ مشركو مكةَ وقالوا: لعلَّه تعلَّمه أو كتبه بيده.

٤٩- ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي القـــرءانُ ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ﴾ في صدور العلماء به وحُفَّاظِه، وهما من خصائص القرءان، كونُ ءاياتِه بيّناتِ الإعجازِ، وكونُه محفوظًا في الصدور، بخلاف سائر الكتب، فإنها لم تكن معجزاتٍ، ولا كانت تُقرأُ إلا من المصاحف ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الواضحةِ ﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾[1] المتوغِّلون في الظلم.

---

(١) الظالمون تكرر ذكره في القرءان بمعنى الكفار، وهذا الموضع من ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة القصص/ ٥٠] على هذا الوجه، أي مَنْ كتبَ اللهُ أنه لا يؤمن لا يهديه.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً
وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

٥٠- ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أرادوا: هلَّا أُنزل عليه ءايات مثلُ الناقة والعصا ومائدةِ عيسى عليه السلام ونحوِ ذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يُنزِّلُ أَيَّتَها شاء، ولستُ أملكُ شيئًا منها ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ كُلِّفت الإنذارَ وإبانتَه بما أُعطيت من الآيات، وليس لي أن أقولَ: أَنزِلْ عليَّ ءايةَ كذا دون ءايةِ كذا مع علمي أنَّ المراد من الآيات ثبوتُ الدلالة، والآياتُ كلُّها في حكم ءايةٍ واحدةٍ في ذلك.

٥١- ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ ألم يكفهم ءايةٌ مُغنيةٌ عن سائر الآيات - إن كانوا طالبين للحقِّ غيرَ مُتعنِّتين - هذا القرءانُ الذي تدوم تلاوته عليهم في كلِّ مكانٍ وزمانٍ، فلا يزال معهم ءايةً ثابتةً لا تزول[1] كما تزول كلُّ ءايةٍ بعد كونها، وتكون في مكانٍ دون مكانٍ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ في مثل هذه الآية الموجودة في كلِّ مكانٍ وزمانٍ إلى ءاخر الدهر ﴿لَرَحْمَةً﴾ لنعمةً عظيمةً ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ تذكرةً ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ دون المتعنِّتين.

٥٢- ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ شاهدًا بصدق ما أَدَّعيه من الرسالة وإنزال القرءان عليَّ وبتكذيبكم ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهو مطَّلعٌ على أمري وأمركم، وعالم بحقِّي وباطلكم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ باليهودية، أو بالشرك أو بإبليس ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ وآياته ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ المغبونون في صَفْقتهم حيث اشترَوا الكفرَ بالإيمان. ورُوي أنَّ كعبَ بن الأشرف وأصحابَه قالوا: يا

---

(١) تلك المعجزات التي أنزلت على الأنبياء قبل الرسول صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين انقضت، أما القرءان فمعجزة باقية.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ
أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ﴾

محمد مَن يشهد لك بأنك رسول الله؟ فنزلت.

٥٣- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِۚ﴾ بقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٢﴾﴾ الآيةَ [سورة الأنفال] ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ وهو يومُ القيامة، أو يوم بدر، أو وقتُ فنائهم بآجالهم، والمعنى: لولا أجَلٌ قد سمَّاه الله وبيَّنه في اللوح لَعذَّبهم، والحكمةُ تقتضي تأخيرَه إلى ذلك الأجل المسمَّى ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ عاجلًا ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾ العذابُ في الأجل المسمَّى ﴿بَغْتَةً﴾ فجأةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ بوقت مجيئه.

٥٤- ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ أي ستحيط بهم [في الآخرة لا محالة].

٥٥- ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ جزاءَ أعمالكم.

٥٦- ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ يعني أنَّ المؤمن إذا لم يتسهَّلْ له العبادةُ في بلدٍ هو فيه، ولم يَتمشَّ له أمرُ دينه، فليهاجرْ عنه إلى بلدٍ يُقَدِّر أنه فيه أَسْلَمُ قلبًا وأصحُّ دينًا وأكثر عبادةً، والبقاع تتفاوت في ذلك تفاوتًا كثيرًا، وقالوا: لم نجد أعونَ على قهر النفس، وأجمعَ للقلب، وأحثَّ على القناعة، وأطردَ للشيطان، وأبعدَ من الفتن، وأربط للأمر الديني من مكة حَرَسَها الله تعالى ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [لا ما يدعوكم إليه المشركون].

ثم شجَّع المهاجر بقوله:

٥٧- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ﴾ واجدةٌ مَرارتَه وكربَه كما يجد الذائق

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن
دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

طعمَ المَذوق، لأنها إذا تيقَّنت بالموت سَهُلَ عليها مفارقةُ وطنها ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ بعد الموت للثواب والعقاب.

٥٨- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ لنُنزلَنَّهم من الجنة علاليَّ، [قصورًا رفيعة عالية] ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [من تحت أشجارها وقصورها] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها] ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [نِعْمَ جزاءُ العاملين بطاعة الله هذه الغُرَفُ].

٥٩- ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ هم الذين صبروا على مفارقة الأوطان، وعلى أذى المشركين، وعلى المِحَن والمصائب، وعلى الطاعات وعن المعاصي ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ولم يتوكَّلوا في جميع ذلك إلَّا على الله.

ولمَّا أمر رسولُ الله ﷺ مَن أسلم من مكة بالهجرة خافوا الفقرَ والضَّيْعَةَ فنزلت:

٦٠- ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ﴾ وكم من دابةٍ، والدابةُ كلُّ نفسٍ دبَّت على وجه الأرض عَقَلَت أم لم تعقِل ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لا تُطيق أن تحملَه لضعفها عن حمله ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي لا يرزق تلك الدوابَّ الضعاف إلا اللهُ، ولا يرزقكم أيضًا أيها الأقوياءُ إلا هو وإن كنتم مُطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لأنه لو لم يُقدِرْكم ولم يُقَدِّر لكم أسبابَ الكسب لكنتم أعجزَ من الدواب التي لا تحمل، وعن الحسن: ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لا تدَّخِره، إنما تصبحُ فيرزقُها الله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم: نخشى الفقرَ والضَّيعةَ ﴿الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ بما في ضمائركم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ
ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

٦١- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ ولئن سألت هؤلاء المشركين: مَن خالق السماوات والأرض على كِبَرِهما وسَعَتِهما، ومَن الذي سخَّر الشمس والقمر؟ ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ فكيف يُصْرَفون عن توحيد الله مع إقرارهم بهذا كلِّه.

٦٢- ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ أي لِمَن يشاء، قَدَرَ الرزقَ وقَتَره بمعنًى أي ضَيَّقَه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ يعلم ما يُصلح العبادَ وما يُفسِدُهم.

٦٣- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ أي هم مُقِرُّون بذلك ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إنزاله الماءَ لإحياء الأرض، أو على أنه مِمَّن أقرّ بنحو ما أقرُّوا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الشركاء عنه، ولم يكن كإقرار المشركين ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ لا يتدبَّرون بما فيهم من العقول فيما نريهم من الآيات ونُقيم عليهم من الدلالات.

٦٤- ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ وما هي لسُرعة زوالها عن أهلها وموتِهم عنها إلا كما يلعب الصبيانُ ساعةً ثم يتفرَّقون، وفيه ازدراءٌ بالدنيا وتصغير لأمرها، وكيف لا يُصغِّرها وهي لا تَزِنُ عنده جناحَ بعوضةٍ ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي الحياةُ، أي ليس فيها إلا حياة مستمرَّة دائمة لا موتَ فيها، فكأنها في ذاتها حياة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ حقيقةَ الدارَين لَمَا اختاروا اللهو الفانيَ على الحيوان الباقي.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

٦٥- ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ هم على ما وُصفوا به من الشرك والعناد، فإذا رَكِبوا في الفُلك ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ كائنين في صورة مَن يُخلِصُ الدينَ لله من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون معه إلـٰهًا ءاخرَ ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ وأَمِنُوا ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ عادوا إلى حال الشرك.

٦٦- ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ المعنى: يعودون إلى شركهم ليكونوا كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتُّع بها والتلذُّذ لا غيرُ على خلاف عادة المؤمنين المُخْلِصين على الحقيقة، فإنهم يشكرون نعمة الله إذا أنجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ سوءَ تدبيرهم عند تدميرهم.

٦٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أي أهلُ مكة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدَهم ﴿حَرَمًا﴾ ممنوعًا مَصُونًا ﴿ءَامِنًا﴾ يأمَنُ داخلوه ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يُستَلَبون قتلًا وسَبْيًا ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي بالشيطان والأصنام ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ أي بمحمدٍ عليه الصلاة والسلام والإسلام.

٦٨- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [لا كذبَ ولا افتراءَ أوحش وأقبح من الافتراء على الله، أو لا أحد من المفترين أظلم لنفسه مِمَّن افترى على الله] بأن جعل له شريكًا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾ بنبوة محمدٍ عليه الصلاة والسلام والكتاب ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ لم يتلعثموا[1] في تكذيبه حين سمعوه ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ هذا تقرير لثَوائهم في

---

(١) أي: لم يتوقَّفوا ولم يُبطِئوا بالحُكم بالتكذيب من غير تَبَصُّر.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ۝٦٩﴾

جهنم[١]، يعني: ألا يَثْوُون فيها وقد افترَوا على الله وكذَّبوا بالحقّ [والجواب بلى].

٦٩- ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ أطلق المجاهدة ولم يُقَيِّدْها ليتناولَ كلَّ ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين ﴿فِينَا﴾ من أجلنا ولوجهنا[٢] خالصًا ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ لَنزيدنَّهم هدايةً إلى سُبُل الخير وتوفيقًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ۝٦٩﴾[٣] بالنصرة والمعونة في الدنيا، وبالثواب والمغفرة في العُقبى.

---

(١) أي: لاستقرارِهم فيها.

(٢) أي: لطاعتِنا.

(٣) المحسنون هم المتقون كما جاء في الحديث، الإحسان: «**أن تخشى الله كأنك تراه**»، وذلك في حديث جبريل. وفي رواية: «**أن تعبد الله كأنك تراه**» ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ مَنعوا أنفسهم من المعاصي، ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ لَنُعطينَّهم الإحسان.

سورة الروم
مكية وهي ستون أو تسع وخمسون ءاية والاختلاف في ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١-٢- ﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾﴾ غَلَبَتْ فارسُ الرومَ.

٣- ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ في أقرب أرضٍ للعرب، لأنَّ الأرض المعهودة عند العرب أرضُهم، وهي أطرافُ الشام، أو في أدنى أرضهم إلى عدوِّهم ﴿وَهُم﴾ أي الرومُ ﴿مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ أي غَلَبَةِ فارسَ إياهم ﴿سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ فارسَ.

٤- ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [البِضعُ] ما بين الثلاث إلى العشرة، قيل: احتربت فارسُ والرومُ بين أذرِعاتٍ[2] وبُصْرَى[3]، فغلبت فارسُ الرومَ، والمَلِك بفارسَ يومئذ كسرى أَبْرَوِيْزُ، فبلغ الخبرُ مكةَ، فشقَّ على

---

(١) عَدَّها بعض القراء ءايةً مستقلةً، ولم يعُدَّها ءاخرون، وقيل: الاختلاف في ﴿الم ﴿١﴾﴾ وقيل: في ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾﴾.
(٢) أذرعات: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعَمَّان.
(٣) بُصرى: هي قصبة كورة حَوران من أعمال دمشق.

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ﴾

المؤمنين، لأن فارسَ مجوسٌ لا كتاب لهم، والرومُ أهل كتاب، وفرحَ المشركون وشَمِتوا، وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن وفارسُ أُميُّون، وقد ظهر[1] إخواننا على إخوانكم، ولَنَظهرنَّ نحن عليكم فنزلت، فقال لهم أبو بكر: واللهِ لَيَظهرنَّ الرومُ على فارسَ بعد بضع سنين، فقال له أُبيُّ بن خلف: كذبت، فناحَبَه[2] على عشر قلائِصَ[3] من كلِّ واحدٍ منهما، وجعل الأجلَ ثلاثَ سنين، فأخبر أبو بكرٍ رسولَ الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «**زِدْ في الخَطَرِ**[4] **وأَبعِدْ في الأَجل**» فجعلاها مائةَ قَلُوصٍ إلى تسعِ سنين، ومات أُبَيّ مِنْ جَرْحِ رسول الله ﷺ، وظهرت الروم على فارسَ يومَ الحُدَيبية أو يومَ بدر، فأخذ أبو بكر الخَطَرَ من ذرية أُبَي، فقال عليه الصلاة والسلام: «**تَصَدَّقْ به**». وهذه ءايةٌ بَيِّنة على صحة نبوَّته، وأنَّ القرءان من عند الله، لأنها إنباءٌ عن الغيب، وكان ذلك قبل تحريم القمار. ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد[5] أنَّ العقودَ الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار[6]، وقد احتجّا على صحة ذلك بهذه القصة ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ﴾ مِنْ قَبْلِ كل شيء، ومن بعد كل شيءٍ أو حين غُلبوا وحين يَغْلِبون ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ ويوم تغلبُ الرومُ على فارسَ ويَحُلُّ ما وعد الله مِن غَلَبتهم ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤﴾.

٥- ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ﴾ نَصرُ الله هو إظهارُ صدقِ المؤمنين فيما أَخبروا به

(١) ظَهَرَ: غَلَبَ.
(٢) النَّحْبُ: المراهنة.
(٣) قلائص: جمع قَلوص، وهي الشابَّةُ من الإبل، خاصٌّ بالإناث.
(٤) الخَطَرُ: الرِّهان.
(٥) محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة.
(٦) بشرط أَلّا يكون المسلم مغبونًا، بل يعتقد أنه رابح عليهم.

﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾

المشركينَ من غَلَبة الروم ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [بأوليائه المؤمنين].

٦- ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ، لأن قوله: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ وعدٌ من الله ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بنصر الروم على فارس ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ ذلك.

٧- ﴿يَعْلَمُونَ﴾ فيه بيان أنه لا فرقَ بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا، وقوله: ﴿ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يفيد أنَّ للدنيا ظاهرًا وباطنًا، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتُّع بزخارفها، وباطنها أنها مَجازٌ إلى الآخرة يُتزوَّدُ منها إليها بالطاعة وبالأعمال الصالحة ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ فيه بيان أنهم مَعْدِنُ الغفلة عن الآخرة ومقرُّها.

٨- ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ﴾ كأنه قيل: أولم يُثبتوا التفكُّر في أنفسهم، أي في قلوبهم الفارغة من الفكر، والتفكُّر لا يكون إلا في القلوب، ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقوله: اعتَقِدْهُ في قلبك، [أو] أَوَلم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات فيتدبَّروا ما أودعها الله ظاهرًا وباطنًا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال، وأنه لا بد من الانتهاء إلى وقت تُجازَى فيه على الإحسان إحسانًا وعلى الإساءة مثلَها حتى يعلموا أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ما خلقها باطلًا وعبثًا بغير حكمةٍ بالغةٍ، ولا لتبقى خالدةً، إنما خلقها مصحوبةً بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بدَّ لها من أن تنتهيَ إليه، وهو قيام الساعة

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ﴾ بالبعث والجزاء ﴿لَكَٰفِرُونَ ٨﴾ لجاحدون.

٩- ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ هو تقريرٌ لسَيرهم في البلاد ونظرهم إلى ءاثار المُدَمَّرين من عادٍ وثمود وغيرِهم من الأمم العاتية، ثم وصفَ حالَهم فقال: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾(١) وحرثوها ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ أي المدمَّرون ﴿أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي من عِمَارة أهلِ مكة ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ فلم يؤمنوا، فأُهلكوا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ فما كان تدميره إياهم ظلمًا لهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩﴾ ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما [استحقُّوا به] تدميرَهم.

١٠- ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيثُ الأَسوأ وهو الأقبح، كما أن الحُسنى تأنيث الأحسن، والمعنى: عوقبوا في الدنيا بالدمار، ثم كانت عاقبتهم أسوأَ العقوبات في الآخرة، وهي النار التي أُعدَّت للكافرين ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ لِأَن كذَّبوا ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾ ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم.

---

(١) أولئك كان فيهم من عاش في الملك مئات السنين، شداد بن عاد عاش تسعمائة سنة، حكم الدنيا، كان تحته مائتان وستون ملكًا، ثم أراد أن يبني مدينة على صفة الجنة على حسب ما يسمع من صفات الجنة، ثم بعد أن بنى المدينة التي أراد قبل أن يدخلها أهلكه الله، هذا عربي بعد نوح عليه السلام، كان مقره اليمن.

﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝١١ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝١٢ وَلَمۡ
يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝١٣ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ
يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ۝١٦ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾

١١- ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ يُنشئهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يُحييهم بعد الموت ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝١١﴾ [تُحشرون للجزاء وفصل القضاء].

١٢- ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ﴾ ييأس ويتحيَّر ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝١٢﴾ المشركون، [يقنطون من رحمة الله وشفاعة الشفعاء].

١٣- ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ﴾ من الذين عبدوهم من دون الله ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝١٣﴾ يكفرون بآلهتهم ويجحدونها [حين يرونها لا تَشفع].

١٤- ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤﴾ الضمير للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه حيث قال:

١٥- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ﴾ بستانٍ، وهي الجنة ﴿يُحۡبَرُونَ ۝١٥﴾ يُسَرُّون، [والحُبور: سرورٌ يَظهر أَثره في الوجه].

١٦- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي البعث ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ۝١٦﴾ مُقيمون لا يغيبون عنه ولا يخفَّف عنهم.

لَمَّا ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكرَ ما يُوصِلُ إلى الوعد ويُنجي من الوعيد فقال:

١٧- ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ المراد بالتسبيح ظاهرُه الذي هو تنزيهُ الله من السوء، والثناءُ عليه بالخير في هذه الأوقات، لِمَا يتجدَّد فيها من نعمة الله الظاهرة، أو الصلاةُ، والمعنى: نَزِّهوه عما لا يليق به، أو صَلُّوا لله

﴿حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ
تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ
تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ
أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ صلاةَ المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ صلاة الفجر.

١٨- ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [تَحمَدُه الملائكة في السماوات والمؤمنون في الأرض] ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاةَ العصر، وهو معطوف على ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ صلاةَ الظهر.

١٩- ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ الطائرَ من البيضة أو الإنسانَ من النُّطفة، أو المؤمنَ من الكافر ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ البيضةَ من الطائر، أو النطفةَ من الإنسان، أو الكافرَ من المؤمن ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يُبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ ومثل ذلك الإخراج تُخرَجون من قبوركم، والمعنى أنَّ الإبداءَ والإعادةَ يتساويان في قدرة مَن هو قادر على إخراج الميت من الحيّ وعكسِه.

٢٠- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ ومن علامات ربوبيته وقدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُم﴾ أي أَباكم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾ أي ءادمُ وذريتُه ﴿تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ تتصرفون فيما فيه معاشكم.

٢١- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [لأن] حواءَ خُلقت من ضِلَع ءادم عليه السلام والنساءَ بعدها خُلقن من أصلاب الرجال ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [لتَميلوا إليها وتأْلَفوا بها فإنَّ الجنسيةَ علةٌ للضم والاختلافَ سببٌ للتنافر] ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ جعل بينكم التوادَّ والتراحم بسبب الزواج ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ فيعلمون أنَّ قِوام الدنيا بوجود التناسل.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ
بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ
ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

٢٢- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي اللغاتِ ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْۚ﴾ كالسواد والبياض وغيرهما، ولاختلاف ذلك وقع التعارف، وإلا فلو تشاكلت واتَّفقت لوقع التجاهلُ والالتباس ولتعطَّلت المصالح، وفي ذلك ءايةٌ بيِّنة حيث وُلدوا من أبٍ واحدٍ، وهم - على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله - متفاوتون ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ جمع عالِم، [أي يرجعون إلى عِلم وإدراك حقائق الأمور ولا يَقصُرون همهم على الظاهر من الحياة الدنيا].

٢٣- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ﴾ ومن ءاياته منامُكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ سماعَ تدبُّر بآذانٍ واعيةٍ.

٢٤- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ من الصاعقة ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث، أي خائفين وطامعين ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا ﴿فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يتفكرون بعقولهم.

٢٥- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ﴾ تَثْبُتَ بلا عَمَدٍ ﴿ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ﴾ أي بإقامته أو بتدبيره وحكمته ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ للبعث ﴿دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من قبوركم، و﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق بالفعل لا بالمصدر، [ومعناه إذا دعاكم دعوة وأنتم في الأرض أموات تَخرجون منها أحياءً].

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ﴾

٢٦- ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ منقادون لا يمتنعون عليه [في الحياة والموت والنشور].

٢٧- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يُنشئهم ثم يعيدهم للبعث ﴿وَهُوَ﴾ أي البعثُ ﴿أَهْوَنُ﴾ أيسرُ ﴿عَلَيْهِۚ﴾ عندكم، [أي فيما تُصوِّرون في أنفسكم]، لأنَّ الإعادة عندكم أسهل من الإنشاء [من غير شيء]، فَلِمَ أنكرتم الإعادة؟ [أو ﴿أَهْوَنُ﴾ بمعنى هَيِّن، أي يسير] ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ الوصف الأعلى الذي ليس لغيره، وقد عُرِفَ به ووُصِف في السماوات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل، وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاءٍ وإعادةٍ وغيرهما من المقدورات، ويدل عليه قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القاهر لكلِّ مقدورٍ ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ الذي يُجري كلَّ فعلٍ على قضايا حِكمته وعلمه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: المَثَلُ الأعلى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1] [سورة الشورى] ويعضده قوله:

٢٨- ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ﴾ هذا مَثَلٌ ضربه الله عزَّ وجلَّ لِمَن

---

(١) على هذا الوجه الذي نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما يكون المعنى: ليس كمثله أي كصفته شيء، فيلزم من ذلك أنه ليس كذات الله شيء، فكأنه قال: ليس كذات الله ذات، ولا كصفات الله صفات. الله تعالى أقفل قلوب المشبهة، على زعمهم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] أي ليس على صورة البشر تمامًا، على زعمهم له صورة وحجم لكن ليس كصورة البشر تمامًا، إنما يوجد اختلاف، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، لو قال تعالى: ليس كمثله بشر، قد يقول قائل: البشر لا يشبههم، أما غير البشر فيُشبهه، ولو كانت العبارة: ليس كمثله الملائكة، لادَّعى مدع أن الله لا يشبه الملائكة، أما غيرهم فيُشبهه، لكنه تعالى قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ ﴿١١﴾﴾ والشيءُ يشمل الإنس والجن والشمس والقمر والضوء والظلام والهواء والروح وكل ما هو داخل في الوجود.

﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ﴾

جعل له شريكًا من خلقه ﴿هَل لَّكُم﴾ معاشرَ الأحرار ﴿مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ عبيدِكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ معناه: هل ترضَون لأنفسكم - وعبيدُكم أمثالُكم بشرٌ كبشرٍ وعبيدٌ كعبيدٍ - أن يشارككم بعضُهم ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنتُمْ﴾ معاشرَ الأحرار والعبيد ﴿فِيهِ﴾ في ذلك الرزق ﴿سَوَآءٌ﴾ من غير تَفْصِلَةٍ بين حُرٍّ وعبدٍ، يحكم مماليكُكُم في أموالكم كحكمكم ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ تخافون معاشرَ السادة عبيدَكم فيها، فلا تُمضون فيها حكمًا دون إذنهم خوفًا من لائمةٍ تلحقُكم من جهتهم ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ كما يخاف بعضُ الأحرار بعضًا فيما هو مشترَك بينهم، فإذا لم ترضَوا بذلك لأنفسكم، فكيف ترضَونَ لربِّ الأرباب[1] ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعضَ عبيده له شركاءَ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ هذا التفصيل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نُبيِّنُها لأنَّ التمثيل مما يكشف المعاني ويُوضحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يتدبرون في ضرب الأمثال.

فلمَّا لم ينزجروا أَضربَ عنهم، فقال:

٢٩- ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أَنفُسَهم بما أشركوا ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ﴾ [ليس إصرارُ هؤلاء المشركين لانقطاع الحجج وتأخُّرِ الإرشاد، بل يتَّبعون ما تميل إليه نفوسهم اتّباعًا لسلفهم بغير علم] ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ [استفهام بمعنى النفي، أي فلا هادي لِمَن] أضلَّه الله

---

(١) رب الأرباب معناه مالك المُلَّاك. الرب في لغة العرب له معانٍ عديدة، المُرَبي يقال له رب، والسيد يقال له رب، والمُصلح كذلك، أما إذا أدخل عليه «أل» فلا يطلق إلا على الله، إذا قيل الرب فهو الله فقط، لا يقال للمخلوقات: الرب. ويطلق رب بمعنى مستحِق الشيء، كأن يقال: فلان رب الدار، فلان رب هذا البستان، فلان رب النجارة، فلان رب الخياطة، ونحوُ ذلك، لكن لا يقال: فلان رب النجارين.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٠ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٣١﴾

تعالى ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩﴾ [لا مانع لهم] من العذاب [يوم القيامة كما لا هاديَ لهم في الدنيا].

٣٠- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ﴾ فقوّم وجهَك له وعدِّله غير ملتفتٍ عنه يمينًا ولا شمالًا، وهو تمثيل لإقباله على الدين، واستقامته عليه، واهتمامه بأسبابه، فإنَّ مَن اهتمَّ بالشيء عَقَدَ عليه طَرْفَه، وسَدَّد إليه نظره، وقوَّم له وجهه ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ الزَموا فطرةَ دين الله، والفطرة الخِلقة، المعنى أنه خلقهم قابلِين للتوحيد والإسلام، غير نابِيْنَ عنه ولا مُنكرِين له، حتى لو تُركوا لَما اختاروا عليه دينًا ءاخرَ، ومَن غَوَى منهم فبإغواء شياطين الجنِّ والإنس[1] ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ أي خَلَقَ ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ ما ينبغي[2] أن تُبدَّل تلك الفطرة أو تُغيَّر، وقال الزَّجَّاج: معناه لا تبديل لدين الله [أي لا تُبدِّلوه بأن تُشركوا] ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٠﴾ حقيقة ذلك.

٣١- ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ التقدير: كونوا مُنيبين إليه، أي راجعين إليه ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدُّوها في أوقاتها ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٣١﴾ ممن يُشرك به غيرَه في العبادة.

---

(١) خَلَقَ الله البشر مُستعدِّين للإيمان غير كافرين، ثم الشياطين أفسدتهم، المولود عندما يولد يكون على استعداد للإسلام، لأنه لما أخرجَ الله تعالى ذريةَ البشر من ظهورهم وركَّب فيهم عقلًا وأنطقهم اعترفوا وقالوا: لا رب لنا غيرك، على مقتضى ذلك الإقرار يخرج المولود من بطن أمه، ثم بعد ذلك من شاء الله تعالى له الكفر يسمع من أبيه أو من أمه أو من غيرهما من الكفار، أو من شياطين الجن، الكفرَ فيكفر.

(٢) بمعنى: لا يجوز.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾

٣٢- ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ جعلوه أديانًا مختلفةً لاختلاف أهوائهم، أي تركوا دين الإسلام ﴿وَكَانُواْ شِيَعًاۖ﴾ فِرَقًا كلُّ واحدةٍ تُشايع إمامَها[1] الذي أضلَّها ﴿كُلُّ حِزْبِۭ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ فَرِحٌ بمذهبه مسرورٌ يَحسَبُ باطلَه حقًّا.

٣٣- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ شِدَّةٌ من هُزالٍ أو مرضٍ أو قَحطٍ أو غير ذلك ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [راجعين إليه دون غيره] ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ خلاصًا من الشدة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ في العبادة.

٣٤-﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ﴾ مِنَ النِّعَم ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ بكفركم قليلًا، أمرُ وعيدٍ[2] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ وبالَ تمتعكم.

٣٥- ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجةً [أو كتابًا، وهو استفهام إنكار وتوبيخ] ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ وتكلُّمه مجازٌ - كما تقول: كتابه ناطق بكذا، وهذا مما نطق به القرءان - فهو يشهد ﴿بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ بكونهم بالله يشركون.

---

(١) أي: تُتابِعُه.

(٢) هذا للوعيد والتهديد، وليس لطلب تمتعهم بكفرهم، كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الكهف]. بعض الملحدين يحتجون بهذا القَدْر من الآية: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ يقولون: الإنسان له حرية إن شاء يؤمن وإن شاء يكفر، فيقال لهؤلاء الملحدين: تُكذِّبكم الجملةُ التي بعدَها: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ ﴿٢٩﴾﴾، ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ معناه الذين كفروا ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾ فله النجاةُ من النار ﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ فله تلك النار، هذا معنى الآية، أين ما يدَّعونه من معنى الآية؟!

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ
يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ﴾

٣٦- ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ نعمةً من مطرٍ أو سَعَةٍ أو صحةٍ ﴿فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ﴾ بَطِروا بسببها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ بلاءٌ من جَدْبٍ، أو ضيق أو مرض ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب شؤم معاصيهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [ييأسون] من الرحمة، [ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة].

٣٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أنكر عليهم بأنهم قد علموا بأنه الباسط القابض، فما لهم يَقنَطون من رحمته، وما لهم لا يرجعون إليه تائبين عن المعاصي التي عوقبوا بالشدَّة من أجلها حتى يعيد إليهم رحمته.

ولَمَّا ذكر أنَّ السيئة أصابتهم بما قدَّمت أيديهم، أتبعه ذكرَ ما يجب أن يُفعل، وما يَجب أن يُترك فقال:

٣٨- ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أعط قريبَك ﴿حَقَّهُۥ﴾ من البرِّ والصِّلة، وفيه دليل على وجوب النفقة للمحارم كما هو مذهبنا[١]، [وقيل قوله تعالى: ﴿حَقَّهُۥ﴾ أي: حاجتَه، كقوله تعالى في قصة لوط عليه السلام: ﴿مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة هود] أي من حاجة؛ إذ معلوم أنه لم يكن لهم في بناته حق، ولكن أرادوا بالحق الحاجة] ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ﴾ نصيبَهما من الصدقة المُسَمَّاة لهما، [والمسكين: مَن لا يجد شيئًا، وقيل: يجد شيئًا لا يكفيه، وابن السبيل: المسافر المنقطع عن ماله] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إيتاءُ حقوقهم ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ﴾ أي ذاته، أي يقصدون

---

(١) أي معاشر الحنفية.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ
وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ
رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ
سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾

بمعروفهم إياه خالصًا ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [حيث حصَّلوا بما بُسِطَ لهم من النعيم الفاني في الدنيا النعيمَ المقيمَ في الآخرة].

٣٩- ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ يريد: وما أَعطيتم أَكَلَة الرِّبا من ربًا ليزيدَ ويزكُوَ في أموالهم ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فلا يَزكُو عند الله ولا يُبارَكُ فيه، وقيل: وما تُعطونَه مِنَ الهدية لتأخذوا أكثر منها فلا يربو عند الله لأنكم لم تريدوا بذلك وجه الله[1] ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ صدقةٍ ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ تبتغون به وجهه خالصًا، لا تطلبون به مكافأةً ولا رياءً ولا سمعةً ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ هم الذين يُضاعف لهم الثواب، يُعطَون بالحسنة عشرَ أمثالها.

٤٠- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي هو المختصُّ بالخلق والرَّزْق والإماتة والإحياء ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ أي أصنامكم التي زعمتم أنهم شركاءُ الله ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي شيئًا من تلك الأفعال؟ [فإذا كانوا لا يفعلون شيئًا من ذلك فكيف أشركتموهم بي؟!] ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [تقدس الله تعالى وتنزَّه عن أن يكون له شريك].

٤١- ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ نحوُ القحطِ وقِلة الأمطار والرَّيعِ في الزراعات، والربحِ في التجارات، ووقوع المُوتان[2] في الناس والدواب، وكثرة الحرق والغرق، ومَحْقِ البركات من كلّ شيء

(١) أي: طاعته وثوابه.
(٢) المُوتانُ: الموتُ الكثير الوقوع.

﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ بسبب معاصيهم وشركهم ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ وبالَ بعضِ أعمالهم في الدنيا، قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ عما هم عليه من المعاصي.

ثم أكد تسبيبَ المعاصي لغضب الله ونَكاله[1] بقوله:

٤٢- ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ حيث أمرهم بأن يسيروا فينظروا كيف أهلكَ اللهُ الأممَ وأذاقَهم سوءَ العاقبة بمعاصيهم، [وقوله: ﴿كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ أي أهلك الأكثر بسبب الشرك وبعضَهم بسبب المعاصي، لأنه تعالى يُهلك بالمعاصي كما يُهلك بالشرك، كأصحاب السبت، أو أهلكهم كلَّهم المشركَ والمؤمنَ كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنفال]، أو أهلكهم كلَّهم وهم كفَّار، فأكثرهم مشركون وبعضهم مُعَطِّل].

٤٣- ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ﴾ البليغِ الاستقامة الذي لا يتأتّى فيه عِوَجٌ ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من قبل أن يأتي من الله يومٌ لا يردُّه أحد ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يتصدَّعون أي يتفرَّقون.

ثم أشار إلى غِناه عنهم فقال:

٤٤- ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ﴾ أي وبالُ كفره ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أي يُسَوُّون لأنفسهم ما يُسوِّيه لنفسه الذي يُمهِّدُ لنفسه فراشه لئلا يُصيبه في مضجعه ما يُنغِّصُ عليه مرقدَه، والمعنى أنه يُمَهِّدُ

(١) النَّكالُ: العقوبة.

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

لهم الجنةَ بسبب أعمالهم، على أنَّ ضررَ الكفر لا يعود إلا على الكافر، ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تُجاوِزُه[1].

٤٥- ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [بالله وحده] ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [له وحده] لا يفلح عنده إلا المؤمن ﴿مِن فَضْلِهِۦٓۚ﴾ أي عطائه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [فلا يساويهم بالمؤمنين، بل يعاقب الكافرين عذابًا غير منقطع وذلك عدلٌ منه، ويثيب المؤمنين ثوابًا غير منقطع وذلك فضل منه].

٤٦- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ ومن ءايات قدرته ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ هي الجَنوبُ والشَّمالُ والصَّبا وهي رياحُ الرحمة، وأما الدَّبورُ فريحُ العذاب، وقد عدَّد الفوائد في إرسالها فقال: ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ أي أرسلها بالبشارة بالغيث ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ ولإذاقة الرحمة، وهي نزولُ المطر وحصول الخِصب الذي يتبعه، وغير ذلك ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ في البحر عند هبوبها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بتدبيره ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يريد تجارةَ البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ولتشكروا نعمة الله فيها.

٤٧- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي فآمن بهم قوم، وكفر بهم قوم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْۖ﴾ أي كفروا بالإهلاك في الدنيا ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ [شُبِّهَ بالحق الواجب لتأكيد ثبوته وتحقُّق وقوعِه بمقتضى وَعدِه تعالى الذي لا خُلفَ فيه وإن كان ذلك تفضلًا منه تعالى وكرمًا، وإلا فهو تعالى منزهٌ عن أن يكون عليه حق لازم] ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ بإنجائهم مع الرسل.

---

(١) هذا في الآخرة، أما في الدنيا فقد تصيب المؤمنَ النِّقمةُ التي تنزل بسبب الكفار والفاسقين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى
ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟
مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ
يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا
رِيحًا فَرَأَوْهُ﴾

٤٨- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ﴾ أي السحاب ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ في سَمْت السماء وشِقِّها[1] ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من ناحية الشَّمال أو الجنوب أو الدَّبور أو الصَّبا ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ قِطَعًا جمعُ كِسْفَة، أي يجعلُه منبسطًا يأخذُ وجهَ السماء مرةً، ويجعلُه قِطَعًا متفرقةً غيرَ منبسطةٍ مرة ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطرَ ﴿يَخْرُجُ﴾ في التَّارَتَين جميعًا ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ وَسَطِه ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ بالوَدْقِ ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ يريدُ إصابةَ بلادهم وأراضِيْهم ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يفرحون.

٤٩- ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ المطرُ ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ كُرِّر للتأكيد، ومعنى التوكيد فيها الدلالةُ على أنَّ عهدَهم بالمطر قد تطاولَ فاستحكمَ بأسُهم، فكان الاستبشارُ على قدر اغتمامهم بذلك ﴿لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ءايسين.

٥٠- ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي المطرِ ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنباتِ وأنواع الثمار ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [يُبسها] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يعني أنَّ ذلك القادر الذي يحيي الأرضَ بعد موتها هو الذي يُحيي الناسَ بعد موتهم، فهذا استدلال بإحياء الموات على إحياء الأموات ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ وهو على كل شيء من المقدورات قادرٌ، وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء.

٥١- ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ [مُفسِدَةً وهي] الدَّبورُ ﴿فَرَأَوْهُ﴾ أي أَثَرَ

---

(١) أي: ناحيتها.

﴿مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ
مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم
مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾

رحمةِ الله، لأن رحمةَ الله هي الغيثُ، وأثرُها النباتُ ﴿مُصْفَرًّا﴾ بعد اخضراره ﴿لَّظَلُّواْ﴾ معناه لَيَظَلُّنَّ ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾ من بعد اصفراره، أو من بعد الاستبشار [يكفرون]، ذمَّهم الله تعالى بأنه إذا حبسَ عنهم المطرَ قَنِطوا من رحمته وضربوا أذقانَهم على صدورهم مُبلِسين، فإذا أصابَهم برحمته ورزقَهم المطرَ استبشروا، فإذا أرسلَ ريحًا فضربَ زروعَهم بالصُّفَار ضَجُّوا وكفروا بنعمة الله، فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة، كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنِطوا، وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ففرحوا [ولم يحمدوا]، وأن يصبروا على بلائه فكفروا.

٥٢- ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي موتى القلوب، أو هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ فإن قلت: الأصمُّ لا يَسمع مُقبلًا أو مدبرًا فما فائدة هذا التخصيص؟ قلت: هو إذا كان مقبلًا يَفهم بالرَّمزِ والإشارة، فإذا ولَّى فلا يسمعُ ولا يَفهم بالإشارة.

٥٣- ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ﴾ عُمْيِ القلوب ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ﴾ لا يمكنك أن تهديَ الأعمى إلى طريق قد ضلَّ عنه بإشارةٍ منك له إليه ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ ما تُسمعُ ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [إلا المصدِّقين بآيات الله] ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾ منقادون لأوامر الله تعالى.

٥٤- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ منَ النُّطَفِ كقوله تعالى: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة المرسلات]، [أو على صفة ضعف، وهي حالة الصغر والطفولية] ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ حالَ الشباب وبلوغِ

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

الأَشُدِّ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ حالَ الشيخوخةِ والهَرَم ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ من ضَعفٍ وقوةٍ وشبابٍ وشَيبةٍ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بأحوالهم ﴿ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ على تغييرهم، وهذا الترديد في الأحوال أبيَنُ دليل على الصانع العليم القدير.

٥٥- ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي القيامةُ، سُمِّيت بذلك لأنها تقوم في ءاخر ساعةٍ من ساعات الدنيا ﴿يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ يَحلِف الكافرون ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ في القبور، أو في الدنيا ﴿غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾ استقلُّوا مُدةَ لُبثهم في القبور، أو في الدنيا لهول يوم القيامة وطولِ مُقامهم في شدائدها، أو ينسَونَ، أو يكذبون ﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ مثل ذلك الصَّرف كانوا يُصرَفون عن الصدق إلى الكذب في الدنيا، ويقولون: ما هي إلا حياتنا الدنيا، وما نحن بمبعوثين.

٥٦- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ هم الملائكةُ والأنبياء والمؤمنون ﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في عِلم الله المُثبَت في اللوح، أو في حكم الله وقضائه ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ﴾ رَدُّوا ما قالوه وحَلَفوا عليه، وأطلعوهم على الحقيقة، ثم وَصَلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم: ﴿فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ﴾ في الدنيا ﴿لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أنه حَقٌّ لتفريطكم في طلب الحقِّ واتِّباعه، تقديره: فهذا يوم البعث الذي أنكرتموه.

٥٧- ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ عُذْرُهم ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ لا يقال لهم: أَرضُوا ربَّكم بتوبة [لأن الآخرة ليست بدار عمل].

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

٥٨- ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ولقد وصفنا لهم كلَّ صفةٍ كأنها مَثَلٌ في غرابتها، وقَصَصْنا عليهم كلَّ قصةٍ عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم، وما يقولون وما يقال لهم، وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يُسمع من استعتابهم، ولكنهم لقسوة قلوبهم إذا جئتهم بآيةٍ من ءايات القرءان قالوا: جئتنا بزورٍ وباطلٍ.

٥٩- ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ مثلَ ذلك الطبع، وهو الخَتمُ، يَطبعُ الله على قلوب الجهلة الذين علمَ الله منهم اختيارَ الضلال حتى يُسَمُّوا المُحِقِّينَ مُبطلين، وهم أعرقُ خَلق الله في تلك الصفة.

٦٠- ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على أذاهم أو عداوتهم ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنُصرتك على أعدائك وإظهارِ دين الإسلام على كل دينٍ ﴿حَقٌّۖ﴾ لا بدَّ من إنجازه والوفاء به ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ لا يحملنَّك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخِفَّة والعَجَلة في الدعاء عليهم بالعذاب.

سورة لقمان
مكية وهي ثلاث أو أربع وثلاثون ءاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١-٢- ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ ذي الحكمة.

٣- ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ للذين يعملون الحسناتِ المذكورةَ في قوله:

٤- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ أو للذين يعملون جميع ما يَحسُن، ثم خصَّ منهم القائمين بهذه الثلاث لفضلها.

٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [هم على الرشاد في الدنيا] ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [ولهم الفوز في العقبى].

٦- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ نزلت في النضر بن الحارث، وكان يشتري أخبار الأكاسرة من فارسَ ويقول: إن محمدًا يقصُّ طُرَفًا من قصة عادٍ وثمودَ، فأنا أُحَدِّثكم بأحاديثِ الأكاسرة فيميلونَ إلى حديثه ويتركونَ استماع القرءان. واللهو: كلُّ باطلٍ أَلْهَى

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ
ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾

عن الخير وعما يَعني. ولَهْوُ الحديثِ: نحوُ السَّمَر[1] بالأساطير التي لا أصلَ لها، والغِناءُ ﴿لِيُضِلَّ﴾ ليَصُدَّ الناسَ عن الدخول في الإسلام واستماعِ القرءان ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن دين الإسلام أو القرءان ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جهلًا منه بما عليه من الوِزْرِ به ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ﴾ [أي ولِيَتَّخذَ سبيلَ الله سخريَّةً يُسخَرُ منه وممن اعتقده ويقول: هؤلاء يُضِيعون أيامَهم ويتحمَّلون أثقال شرائع على أمر مشكوك فيه] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ يُهينُهم، ومَنْ يقع على الواحد والجمع، أي للنضر وأمثاله.

٧- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ أعرض عن تدبُّرها متكبرًا رافعًا نفسه عن الإصغاء إلى القرءان ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ يُشبِهُ حالُه في ذلك حالَ مَن لم يسمعها ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ﴾ ثِقلًا ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [بعذاب يُحيق به لا محالة، وذِكرُ البِشارة على التَّهكم].

٨- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [هو في مقابلة وعيد أولئك بالعذاب الأليم].

٩- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ﴾ وعدهم الله جنات النعيم [وعدًا حقًّا لا خُلفَ فيه] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء فيُهين أعداءه بالعذاب الأليم ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ فيما يفعل فيثيبُ أولياءَه بالنعيم المقيم.

١٠- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فأقامها] ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ جمع عمادٍ [وأنتم] ﴿تَرَوْنَهَاۖ﴾ [أنها بغير عمدٍ]، أو بغير عمد مرئيةٍ، يعني أنه عَمَدَها بعمدٍ لا تُرى وهي إمساكها بقدرته ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ثوابت

---

(١) السَّمَرُ والمسامرةُ: حديثُ الليل خاصة.

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ لئلا تضطرب بكم ﴿وَبَثَّ﴾ ونَشَرَ ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [من كل أنواع الدوابّ] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنفٍ [من النبات] ﴿كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ حسن.

١١- ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ما ذَكَرَ من مخلوقاته ﴿خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ مخلوقُهُ ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني ءالهتهم، بَكَّتهم بأنَّ هذه الأشياءَ العظيمةَ مما خلقه الله فأَرُوني ما خلقته ءالهتُكم حتى استوجَبوا عندكم العبادةَ ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ أَضربَ عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم[1] بالتورُّط في ضلالٍ ليس بعدَهُ ضلال.

١٢- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ وهو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته، وأدرك داود وأخذ منه العلم، والجمهور على أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًّا ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ نَبَّهَ اللهُ تعالى على أنَّ الحكمة الأصلية والعلم الحقيقيَّ هو العمل بهما وعبادةُ الله والشكرُ له حيث فسَّرَ إيتاءَ الحكمة بالحث على الشكر، [أو معناه: قلنا له: اشكر لله على ما ءاتاك من الحكمة]، والشكر أَلّا تعصيَ الله بنعَمِه ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنَّ منفعته تعود إليه ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النِّعمة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ غيرُ محتاجٍ إلى الشكر ﴿حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ حَقيقٌ بأن يُحمد وإن لم يَحمَدْه أحدٌ.

١٣- ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ لأنه تسويةٌ بين مَن لا نعمةَ إلا وهي منه ومَن لا نعمةَ له أصلًا.

---

(١) سَجَّلَ عليه بكذا: شَهَرَهُ ووَسَمَهُ به.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

١٤- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ حملته تَهِنُ وَهْنًا على وَهْنٍ أي تضعُفُ ضعفًا فوق ضعفٍ، أي يتزايد ضعفُها ويتضاعف، لأنَّ الحملَ كلما ازداد أو عظُم ازدادت ثِقَلًا وضعفًا ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ فِطامُه عن الرَّضاع لتمام عامين ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ وصَّيناهُ بشكرنا وبشكرِ والديه ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ أي مصيرُك إليَّ وحسابُك عليَّ.

١٥- ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ [وإن اجتهَدا عليك واستفرغا مجهودَهما لك] ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أراد بنفي العلم به نَفيَهُ، أي لا تشرك بي ما [لا يصح أن يكون إلهًا، أو ما ليس لك به علم باستحقاقه الإشراك، تقليدًا لهما]، يريد الأصنام ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الشرك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ بخُلُقٍ جميلٍ وحِلمٍ واحتمالٍ وبرٍّ وصِلةٍ ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ سبيلَ المؤمنين في دينك ولا تتَّبع سبيلَهما فيه وإن كنت مأمورًا بحُسن مصاحبتهما في الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي مرجعُك ومرجعُهما ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ فأُجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما، وقد اعترضَ بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيدًا لِمَا في وصية لقمانَ من النهي عن الشرك.

١٦- ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي إن كانت [الخصلةُ من الإحسان أو الإساءة] مَثَلًا في الصِّغر كحبة خردلٍ ﴿فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي فكانت مع صِغَرها في أخفى موضعٍ وأحرزه كجوف الصخرة، أو حيث كانت في العالم العُلوي أو

﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

السُّفلي ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ يومَ القيامة فيحاسبُ بها عامِلَها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يتوصَّل علمُه إلى كلِّ خَفِيّ ﴿خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ عالمٌ بكُنْهِه، أو لطيفٌ باستخراجها خبيرٌ بمستقَرِّها.

١٧- ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ في ذات الله تعالى إذا أمرتَ بالمعروف ونهيتَ عن المنكر، أو على ما أصابك من المِحَن فإنها تورث المِنَح ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي أُوصيك به ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ مما عَزَمَه اللهُ من الأمور أي قَطَعَه قطعَ إيجابٍ وإلزام، أي أمرَهم به أمرًا حتمًا.

١٨- ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ المعنى: أقبِلْ على الناس بوجهك تواضعًا، ولا تُوَلِّهم شِقَّ وجهك وصفحتَه كما يفعله المتكبرون ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ﴾ لأجل [البطر] والأشر، [أي خُيَلاءَ] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبِّرٍ ﴿فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ مَن يُعَدِّد مناقِبَه تطاولًا.

١٩- ﴿وَٱقْصِدْ﴾ القَصْدُ: التوسط [والاعتدال] ﴿فِي مَشْيِكَ﴾ أي اعدِلْ فيه حتى يكون مشيًا بين مشيَيْن لا تَدِبَّ دبيبَ المُتماوتين[١]، ولا تَثِبْ وَثْبَ الشُّطَّار[٢] ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ﴾ أي اخفِضْ صوتك [ولا ترفَعْه كفعل المتعَظِّم] ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ أوحشَها ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ لأنَّ أوَّلَه زفيرٌ وءاخِرَه شهيقٌ كصوت أهل النار، وفي تشبيه الرافعين أصواتهم [لغير حاجة] بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنُّهاق تنبيه على أن

---

(١) يقال: تَماوَتَ الرجلُ إذا أظهرَ من نفسه التَّخافُتَ والتَّضاعُف.
(٢) الشُّطَّارُ: الخبثاءُ.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ﴾

رفع الصوت [في ذلك] في غاية الكراهة، [فإنه بِحَسْبِ المرء من الكلام ما أسمع جليسَه].

٢٠- ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني الشمسَ والقمرَ والنجوم والسحاب وغيرَ ذلك ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني البحارَ والأنهار والمعادن والدوابَّ وغيرَ ذلك ﴿وَأَسْبَغَ﴾ وأتمَّ ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾ النعمةُ كلُّ نفعٍ قُصِدَ به الإحسانُ ﴿ظَٰهِرَةً﴾ بالمشاهدة ﴿وَبَاطِنَةً﴾ ما لا يُعلمُ إلا بدليلٍ، ثم قيل: الظاهرةُ البصرُ والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة، والباطنةُ القلب والعقل والفهم وما أشبهَ ذلك ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ نزلت في النضر ابن الحارث، وقد مَرَّ في الحجّ(١).

٢١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ معناه: أيتَّبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم، أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب، [وهذا استفهام بمعنى التوبيخ].

٢٢- ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ المراد التوكل عليه والتفويض إليه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فيما يعمل ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ تمسَّك وتعلَّق ﴿بِٱلْعُرْوَةِ﴾ هي ما يُعلَّق به الشيءُ ﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾ تأنيثُ الأَوثق، مَثَّل حالَ المتوكل بحال مَن

---

(١) مَرَّ تفسير هذا عند تفسير الآية الثامنة في سورة الحج، لكن ذكر هناك أنها نزلت في أبي جهل، وقد اختلف المفسرون فيمن نزلت فقيل في أبي جهل، وقيل في النضر، وقيل في الأخنس بن شَرِيْقٍ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾

أراد أن يتدلَّى من شاهقٍ فاحتاط لنفسه بأن استمسكَ بأوثقِ عُروة من حبلٍ متينٍ مأمونٍ انقطاعُه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ هي صائرةٌ إليه فيجازي عليها.

٢٣- ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ ولم يُسْلِمْ وجهَه لله ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ [فلا يَغُمنَّكَ] كُفر مَن كفرَ ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ فنعاقبهم على أعمالهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ إنَّ الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حَسَبِه.

٢٤- ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ زمانًا ﴿قَلِيلًا﴾ بدنياهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ نُلجئُهم ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ شديد، شُبِّه إلزامُهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطرِّ إلى الشيء، والغِلَظُ مستعار من الأجرام الغليظة، والمراد الشدةُ والثِّقَلُ على المعذَّب.

٢٥- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ إلزامٌ لهم على إقرارهم بأنَّ الذي خلق السماواتِ والأرضَ هو اللهُ وحدَهُ، وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر، وألّا يُعبدَ معه غيرُه، ثم قال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أنَّ ذلك يَلْزَمُهم، وإذا نُبِّهوا عليه لم يتنبَّهوا.

٢٦- ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن حمد الحامدين ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ المستحقُّ للحمد وإن لم يَحمَدوه.

قال المشركون: إنَّ هذا أي الوحيَ كلام سيَنْفَدُ، فأَعلمَ اللهُ أنَّ كلامه لا ينفَدُ بقوله:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ
كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾

٢٧- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ﴾ [لأن كلام الله تعالى قديم لا غاية له ولا منتهى، ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة، كلامٌ واحد هو به ءامرٌ ناهٍ واعدٌ متوعدٌ مخبِرٌ، لا يقاس كلامُ غيره من المخلوقات به كما لا تُقاسُ صفةٌ من صفاته تعالى بصفات خلقه، فلا يمكن تصوُّره في الفكر، لأن المخلوق هو الذي يُدرَكُ بالتفكُّر، أما الخالق فلا يُدرَكُ بالتفكر، وكلامُه تعالى وإن كان واحدًا إلا أنه عُبِّرَ عنه في القرءان هنا بصيغة الجمع تفخيمًا، كما أن ذات الله تعالى واحد وعُبِّرَ عنه في القرءان بلفظ نحن كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحجر]، وقيل] المعنى: ولو أنَّ أشجارَ الأرض أقلامٌ والبحرَ [مِدادٌ] ممدودٌ بسبعة أَبحرٍ وكُتِبَت بتلك الأقلام وبذلك المِداد كلماتُ الله [أي العبارات والدِّلالات التي تدل على مفهومات معاني كلامه سبحانه وتعالى] لما نَفِدت كلماتُه ونَفِدت الأقلامُ والمداد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ لا يخرج من علمه وحكمته شيء.

٢٨- ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ﴾ إلا كخَلْقِ نفسٍ واحدةٍ وبعثِ نفسٍ واحدةٍ، أي سواءٌ في قدرته القليلُ والكثير، فلا يَشغَلُه شأنٌ عن شأنٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لقول المشركين إنه لا بعث ﴿بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ بأعمالهم فيجازيهم [عليها].

٢٩- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يُدخِلُ ظلمةَ الليل في ضوء النهار إذا أقبلَ الليلُ ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [فما نَقَصَ من الليل دخلَ في النهار وما نقصَ من النهار دخلَ في الليل وهكذا يتعاقبان]

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٩ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ
ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ
شَكُورٖ ٣١ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ﴾

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ لمنافع العباد ﴿كُلّٞ﴾ كلٌّ واحدٍ من الشمس والقمر ﴿يَجۡرِيٓ﴾ في فَلَكِه[1] ويقطعه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ إلى يوم القيامة، أو إلى وقتٍ معلوم، الشمس إلى ءاخر السنة والقمر إلى ءاخر الشهر[2] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٩﴾ دلَّ أيضًا بتعاقب الليل والنهار، وزيادتهما ونقصانهما، وجَري النَّيرين في فلكَيهما على تقديرٍ وحسابٍ، وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عِظَم قدرته وكمال حكمته.

٣٠- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠﴾ ذلك الوصفُ الذي وُصِف من عجائب قدرته وحِكمته التي يَعجزُ عنها الأحياءُ القادرون العالِمون، فكيف بالجماد الذي يَدْعونه من دون الله، إنما هو بسبب أنه هو الحقُّ الثابت إلهيتُه، وأنَّ مَن دونَه باطلُ الإلٰهية، وأنه هو العليُّ الشانِ الكبيرُ السلطان.

٣١- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ بإحسانه ورحمته، أو بالريح لأنَّ الريحَ من نِعَم الله ﴿لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ﴾ [من] عجائبِ قدرته في البحر إذا ركبتموها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ على بلائِهِ ﴿شَكُورٖ ٣١﴾ لنَعمائه، وهما صفتا المؤمن، فالإيمان نصفان نصفُه شكرٌ ونصفه صبر، فكأنه قيل: إنَّ في ذلك لآياتٍ لكلِّ مؤمن.

٣٢- ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ أي الكفارَ ﴿مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ﴾ الموجُ يرتفع فيعودُ مِثلَ الظُّلَل، والظُّلَّةُ كلُّ ما أَظلَّكَ من جبلٍ أو سحابٍ أو غيرهما

---

(١) أي في مَدارِهِ الذي قدَّر اللهُ تعالى له أن يجريَ فيه.
(٢) دَورة الشمس تتم في سنة ودَورة القمر في شهر.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا
كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ٣٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا
مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا
يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ
وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ﴾ باقٍ على الإيمان والإخلاص الذي كان منه، [مقتصِد في أقواله وأفعاله بين الخوف والرجاء، مُوْفٍ بما عاهد اللهَ عليه في البحر]، ولم يَعُد إلى الكفر، [وتقديره: ومنهم جاحدٌ، ودَلَّ عليه قوله:] ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بحقِّيَّتها ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ﴾ غَدَّار، والخَتْرُ أقبحُ الغدر ﴿كَفُورٖ ٣٢﴾ لربه.

٣٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [فلا تخالفوا أمره ونهيه] ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ لا يقضي عنه شيئًا ﴿وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ﴾ الخطاب للمؤمنين، وعِلْيَتُهُمْ[1] قُبِض ءاباؤهم على الكفر، فأريد حسمُ أطماعهم أن ينفعوا ءاباءهم بالشفاعة في الآخرة ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث والحساب والجزاء ﴿حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ بزينتها فإنَّ نعمتها دانية ولذتها فانية ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ الشيطانُ، أو الدنيا، أو الأمل.

٣٤- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ وقتُ قيامها ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ في إبَّانه[2] من غير تقديم ولا تأخير ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ أَذَكرٌ أم أُنثى، أتامٌّ أم ناقص ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ﴾ بَرَّة أو فاجرة ﴿مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ من خيرٍ أو شَرٍّ، ورُبّما كانت عازمةً على خير فعملت شرًّا، وعازمةً على

---

(١) عِلْيَتُهُمْ: أي أشرافُهم.
(٢) إبَّانُ كل شيء بالكسر والتشديد: وقتُهُ وحينُه الذي يكون فيه.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

شر فعملت خيرًا ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ﴾ أي أين تموت، وربما أقامت بأرضٍ وضربت أوتادَها وقالت: لا أبرَحُها فترمي بها مرامي القَدَر حتى تموتَ في مكان لم يخطر ببالها.

روي أنَّ ملَكَ الموت مرَّ على سليمانَ فجعل ينظر إلى رجلٍ من جلسائه، فقال الرجل: مَن هذا؟ قال له: مَلَكُ الموت، قال: كأنه يريدُني، وسألَ سليمانَ عليه السلام أن يحمِلَه على الريح ويلقِيَهُ ببلاد الهند، ففعلَ، ثم قال مَلَكُ الموت لسليمانَ: كان دوامُ نظري إليه تعجبًا منه لأني أُمرتُ أن أَقبِضَ روحَه بالهند وهو عندك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بالغيوب ﴿خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ بما كان ويكون.

سورة السجدة
مكية وهي ثلاثون ءاية مدني وكوفي، وتسع وعشرون ءاية بصري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ [مَرَّت الأقاويل في ذلك في أول سورة البقرة].

٢- ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ لا رَيْبَ في كونه منزَّلًا من رَبِّ العالمين، لأنه مُعجِزٌ للبشر، ومثلُه أَبعدُ شيء من الرَّيب. ثم أضرب عن ذلك إلى قوله:

٣- ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي اختلقَه محمدٌ ﷺ إنكارًا لقولهم وتعجيبًا منهم لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث ءايات منه، ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحقُّ [بقوله:] ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ ولم يَفترِه محمدٌ ﷺ كما قالوا تعنُّتًا وجهلًا، ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ أي العربَ [إذا كانوا أهلَ الفترة] ﴿مَّآ أَتَىٰهُم﴾ [أي لم يأتِهم] ﴿مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [بإنذارك إياهم، وهو] على الترجي من رسول الله ﷺ كما كان ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة طه] على التَّرجّي من موسى وهارون عليهما السلام.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾

٤- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استولى عليه بإحداثه ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من دون الله ﴿مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ أي إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم وليًّا، أي ناصرًا ينصركم ولا شفيعًا يشفع لكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ تتَّعظون بمواعظ الله.

٥- ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أمر الدنيا ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى أن تقوم الساعة ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ذلك الأمر كلُّه، أي يصيرُ إليه ليحكمَ فيه ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهو يومُ القيامة ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ من أيام الدنيا، ولا تمسُّك للمشبّهة بقوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ في إثبات الجهة، لأن معناه إلى حيث يرضاه، أو أَمْرِهِ، كما لا تشبُّث لهم بقوله: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الصافات] ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة العنكبوت] ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة النساء]، [والمعنى في هذه الآيات الثلاث إلى حيث أمر الله][1].

٦- ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الموصوف بما مرَّ عالمُ ما غاب عن الخلق وما شاهدوه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالبُ أَمْرُه ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ البالغُ لطفُه وتيسيرُه:

---

(١) المراد أنه كما لا تَشبُّثَ للمشبهة بالآيتين الأولى والثانية في إثبات الجهة لله تعالى في مُهاجَر إبراهيم عليه السلام في فلسطين، ولا في الآية الثالثة في إثبات الجهة له تعالى في مُهاجَر الصحابة رضي الله عنهم في المدينة المنورة، كذلك لا تشبث لهم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ في إثبات الجهة له سبحانه وتعالى، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ⑦ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ⑧ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ⑨﴾

٧- ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ حَسَّنَه، لأنَّ كلَّ شيءٍ مرتَّبٌ على ما اقتضته الحكمة ﴿خَلَقَهُۥ﴾ أي كلُّ شيءٍ خلقه فقد أحسنه [أي أتقنه] ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾ آدم ﴿مِن طِينٍ ⑦﴾ [وهو التراب المبلول بالماء].

٨- ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ ذُريَّتَه ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ من نطفةٍ [سُلَّت من أصلاب الرجال وترائب النساء] ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ منيّ ﴿مَّهِينٍ ⑧﴾ ضعيفٍ حقيرٍ [مستقذر لا خَطَرَ له عند الناس].

٩- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ قوَّمه كقوله: ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④﴾ [سورة التين] ﴿وَنَفَخَ﴾ أدخل ﴿فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [وأضاف الروح إلى ذاته دِلالة على أنه خَلْقٌ عجيب لا يَعلمُ حقيقتَهُ إلا هو، وهي إضافة مِلكٍ إلى مالك وخلق إلى خالق]، كأنه قال: ونفخَ فيه من الشيء الذي اختصَّ هو به وبعلمه(١)، [وعلى هذا فالتسوية والنفخ شاملان لآدم عليه السلام وذريته، أو المراد ءادم عليه السلام فقط وعليه فالإضافة إليه تعالى للتشريف، كبيت الله، وناقة الله، وشهر الله، قال في شرح التأويلات: وجائز أن يكون ذكر النفخ لما أن الروحَ تدخل في أجسادهم وتنتشر فيها، وذلك عملُ النفخ، لأن الريح إذا نفخت في وعاء سَرَتْ فيه وانتشرت، فكنى عن دخول الروح في الجسد بالنفخ] ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ⑨﴾ أي تشكرون قليلًا، [وهذا حث لهم على الاستكثار من الشكر له تعالى على هذه النعم لينالوا به النعيم المقيم في الآخرة أيضًا].

---

(١) أي نَفَخَ فيه الروحَ الذي يحيا به البدن، والروح عِلْمُه عند الله تعالى وحدَه، لا يعلم حقيقتَه إلا هو سبحانه وتعالى.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾

١٠- ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ القائل أبيّ بن خلف، ولرضاهم به أُسند إليهم ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ صرنا ترابًا، وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا نتميَّز منه كما يَضِلُّ الماء في اللبَنِ[1]، أو غِبنا في الأرض بالدفن فيها ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ﴾ [أنُبعث ونُعاد بخلق جديد كما كنا قبل موتنا؟! وهو استفهام بمعنى الإنكار] ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠﴾ جاحدون، لمَّا ذكرَ كفرَهم بالبعث أضرب عنه إلى ما هو أبلغ، وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالبعث وحده.

١١- ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ أي بقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١﴾ مبعوثين للحساب والجزاء، وهذا معنى لقاء الله. والتوفّي: استيفاء النفس وهي الروح.

١٢- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكلّ أحدٍ، والجواب محذوف، أي لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ وهم الذين قالوا: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ﴾ من الذل والندم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ عند حساب ربهم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾ صِدْقَ وعدِكَ ووعيدِك ﴿وَسَمِعۡنَا﴾ منك تصديقَ رُسُلك، أو كنَّا عُميًا وصُمًّا فأبصرنا وسمعنا ﴿فَٱرۡجِعۡنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ أي الإيمانَ والطاعة ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢﴾ بالبعث والحساب الآن.

١٣- ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ في الدنيا، أي لو شئنا أعطينا كلَّ نفسٍ ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيارُ ذلك لاهتدوا، لكن لم نعطهم ذلك اللطف لِمَا علمنا منهم اختيار الكفر

---

(١) أي الحليب.

﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣ فَذُوقُواْ بِمَا
نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٤ إِنَّمَا
يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩
١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ
يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾

وإيثاره، وهو حجة على المعتزلة ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾ [ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو] ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾ بما علمت أنه يكون منهم ما يستوجبون به جهنَّم، وهو ما عَلِمَ منهم أنهم يختارون الردَّ والتكذيب، وفي تخصيص الجن والإنس إشارة إلى أنه عصم ملائكته عن عملٍ يستوجبون به جهنم.

١٤- ﴿فَذُوقُواْ﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ﴾ بما تركتم عملَ لقاءِ ﴿يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ﴾ وهو الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾ تركناكم في العذاب كالمنسيّ ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ العذابَ الدائم الذي لا انقطاع له ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ من الكفر والمعاصي.

١٥- ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾ وُعظوا بها ﴿خَرُّواْ سُجَّدٗا﴾ سجدوا لله تواضعًا وخشوعًا وشكرًا على ما رزقهم من الإسلام ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ ونزَّهوا الله عما لا يليق به، وأثنَوا عليه حامدين له ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥﴾ عن الإيمان والسجود له.

١٦- ﴿تَتَجَافَىٰ﴾ ترتفع وتتنحَّى ﴿جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ عن الفُرُش ومضاجع النوم [شُغلًا منهم بالصلاة في أوقات اضطجاع الناس للنوم والاستراحة] ﴿يَدۡعُونَ﴾ داعين ﴿رَبَّهُمۡ﴾ عابدين له ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ لأجل خوفهم من سُخْطه وطمعِهم في رحمته، وهم المتهجدون ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦﴾ في طاعة الله تعالى.

١٧- ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ لا يعلم أحد ما أُعدَّ لهؤلاء من الكرامة ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ عن الحسن رضي الله عنه:

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ
مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ
ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾

أَخفَى القومُ أعمالًا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وفيه دليلٌ على أنَّ المرادَ الصلاةُ في جوف الليل ليكون الجزاء وفاقًا.

ثم بيَّنَ أنَّ مَن كان في نور الطاعة والإيمان لا يستوي مع مَن هو في ظُلمة الكفر والعصيان بقوله:

١٨- ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ﴾ أي كافرًا ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [في الشرف والمثوبة، تأكيدٌ وتصريحٌ، والجمع للحمل] على المعنى بدليل قوله:

١٩- ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ هي نوع من الجنان تأوي إليها أرواح الشهداء، وقيل: هي عن يمين العرش ﴿نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ عطاءً بأعمالهم [الصالحة].

٢٠- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ﴾ ملجؤهم ومنزلهم ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ﴾ تقول لهم خَزَنَةُ النار: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ وهذا دليل على أنَّ المراد بالفاسق الكافر؛ إذ التكذيب يقابل الإيمان.

٢١- ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ عذابِ الدنيا من الأسر وما مُحِنوا[1] به من السَّنة[2] سبع سنين ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة، أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعلَّ المعذَّبين بالعذاب الأدنى ﴿يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ يتوبون عن الكفر.

---

(١) المِحْنَةُ: البَلِيَّةُ التي يُمتَحَنُ بها العبد.

(٢) السَّنة: المجاعة، سلّط الله على كفار قريش المجاعةَ سبعَ سنين.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ
أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾

٢٢- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ﴾ وُعِظ ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾ بالقرءان ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ أي فتولى عنها ولم يتدبر فيها ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ توعَّد المجرمين عامة بالانتقام منهم، فقد دلَّ على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام.

٢٣- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ شكّ ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ من لقاء موسى الكتابَ، أو من لقائك موسى ليلةَ المعراج، أو يوم القيامة ﴿وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾ وجعلنا الكتاب المنزَّل على موسى لقومه هدًى.

٢٤- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ الناسَ ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إياهم بذلك ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ حين صبروا على الحقِّ بطاعة الله ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ التوراة ﴿يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يعلمون علمًا لا يُخالِجه شكٌّ(١).

٢٥- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بين الأنبياء وأممهم ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ فيظهَرُ المُحِقُّ من المُبْطِل.

٢٦- ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يُبَيِّن الله ﴿لَهُمْ﴾ لأهل مكة ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ كعادٍ وثمود وقوم لوطٍ ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ﴾ أي أهلُ مكة يمرُّون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم(٢) ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾ المواعظَ فيتعظون.

---

(١) أي: لا يُنازِعُهُ شكٌّ.

(٢) أهل مكة كانوا يتجرون في الصيف إلى الشام، وفي الشتاء إلى اليمن، فيَمرُّون في=

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ
أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

٢٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ نُجري المطرَ والأنهار ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ الأرض التي جُرِزَ نباتها، أي قُطِعَ إما لعدم الماء أو لأنه رُعِي، ولا يقال للتي لا تُنبت كالسِّباخ[1]: جُرُزٌ بدليل قوله: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ﴾ بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ من الزرع ﴿أَنْعَامُهُمْ﴾ من عَصْفه[2] ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ من حَبِّه ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ بأعينهم فيستدلُّوا به على قدرته على إحياء الموتى.

٢٨- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ الفصل بالحكومة، من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الأعراف]، [أي احكُم بيننا]، وكان المسلمون يقولون: إنَّ الله سيفتح بيننا وبينهم، فإذا سمع المشركون ذلك قالوا: متى هذا الفتح؟ أي في أيِّ وقتٍ يكون ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾ في أنه كائن.

٢٩- ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ يوم القيامة، وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ﴿لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ لـمَّا كان [سؤالهم] عن وقت الفتح استعجالًا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء، أجيبوا على حسب ما عُرِف من غرضهم في سؤالهم، فقيل لهم: لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا، فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وءامنتم، فلا ينفعكم الإيمان.

٣٠- ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ﴾ النُّصرةَ عليهم وهلاكَهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الغلبةَ عليكم وهلاكَكُم.

= أسفارهم على هذه الديار.

(١) السِّباخ: الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت.

(٢) العَصْفُ: بَقْلُ الزرع.

سورة الأحزاب
مدنية وهي ثلاث وسبعون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ يا أيها المُخبرُ عَنّا، المأمونُ على أسرارنا، وإنما لم يُقل: يا محمد، كما قال: يا آدم، يا موسى، تشريفًا له، وتنويهًا بفضله، وتصريحُه باسمه في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة الفتح] ونحوِهِ لتعليم الناس بأنه رسولُ الله ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ اثبت على تقوى الله ودُم عليه وازدَدْ منه، فهو باب لا يُدرَك مَداه ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾ [الذين يُظهرون لك الإيمان بالله، والنصيحة لك، وهم لا يَألونَك وأصحابَك ودِينَك خبالًا[1]، فلا تقبل منهم رأيًا] واحترِسْ منهم، فإنهم أعداءُ الله والمؤمنين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخُبث أعمالهم ﴿حَكِيمًا ۝١﴾ في تأخير الأمر بقتالهم.

٢- ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ﴾ في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين الذي يوحِي إليك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ ﴿كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ لم يزل عالمًا بأعمالهم وأعمالكم.

---

(١) أي: لا يُقصِّرُون في إفساد أموركم وإلقاء أسراركم إلى الكفار.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾

٣- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ وأسنِد أمرك إليه وكِلْه إلى تدبيره ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ حافظًا موكولًا إليه كل أمر.

٤- ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ ما جمع الله قلبين [يُعقلُ بكلّ واحدٍ منهما] في جوف، ولا زوجيةً وأمومةً في امرأة، ولا بنوَّةً ودِعوةً[1] في رجل، والمعنى أنه تعالى كما لم يجعل لإنسان قلبين لم يحكم أيضًا أن تكون المرأة الواحدة أُمًّا لرجل زوجًا له، وأن يكون الرجل الواحد دَعِيًّا لرجل ابنًا له، لأن البنوَّةَ أصالةٌ في النسب، والدِّعوةَ إلصاقٌ عارض بالتسمية لا غير، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلًا غير أصيلٍ، وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة[2]، وهو رجل من كلبٍ سُبِيَ صغيرًا فاشتراه حكيمُ بن حِزام[3] لعمَّته خديجةَ[4]، فلمَّا تزوجها رسول الله ﷺ وهَبَتْه له، فطلبه أبوه وعمُّه، فخُيِّرَ فاختارَ رسولَ الله ﷺ فأعتقه وتبنَّاه، وكانوا يقولون: زيد ابن محمد [وذلك قبل أن ينزل النهي عن ذلك]، فلمَّا تزوَّج النبيُّ ﷺ

---

(١) الدِّعوة في النسب: أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته، ومنه الدَّعِيُّ: المنسوب إلى غير أبيه، والدَّعِيُّ: المُتَبَنَّى الذي تبنَّاه رجلٌ فدعاه ابنَه ونسبُه إلى غيره.
(٢) زيد بن حارثة بن شَراحيل الكلبي، صحابي من أقدمهم إسلامًا، استشهد في غزوة مؤتة عام ٨هـ.
(٣) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى. أبو خالد، صحابي، قرشي، وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين، كان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام، أسلم يوم الفتح، توفي عام ٥٤هـ.
(٤) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش، أم المؤمنين، أول من أسلم من الرجال والنساء، أم أولاد النبي عليه الصلاة والسلام غير إبراهيم، ولدت عام ٦٨ق.هـ، وتوفيت في مكة عام ٣ق.هـ.

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾

زينب[1] [بعدما تركها زيدٌ - وكانت تحته -] قال المنافقون: تزوج محمدٌ امرأةَ ابنهِ، وهو ينهى عنه، فأنزل الله هذه الآية، [وقوله تعالى: ﴿ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾ المراد به قول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي، ويترتب على مَن قال ذلك أحكامٌ تُطلب مِن كتب الفقه] ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ أنَّ قولَكم للزوجة هي أُمٌّ وللدَّعي هو ابنٌ قولٌ تقولونه بألسنتكم لا حقيقةَ له إذ الابن يكون بالولادة، وكذا الأم ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ أي ما هو حقٌّ ظاهِرُه وباطنُه ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ سبيلَ الحق.

ثم هدى إلى ما هو سبيل الحق، وهو قوله:

٥- ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ أعدَلُ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وبيَّن أنَّ دعاءهم لآبائهم هو أدخل الأمرين في القسط والعدل، وقيل: كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه جَلَدُ[2] الرجل ضمَّه إلى نفسه وجعل له مثلَ نصيب الذَّكر من أولاده من ميراثه، وكان يُنسب إليه، فيقال: فلان بن فلان ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ فإن لم تعلموا لهم ءاباء تنسبونهم إليهم ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ فهم إخوانكم وأولياؤكم في الدين، فقولوا: هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي، يريد الأُخوَّة في الدين والولاية فيه ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ لا إثمَ عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النَّهي ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ولكن الإثم عليكم فيما تعمَّدتموه بعد النَّهي ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ لا يؤاخذكم بالخطأ، ويقبل التوبة من المتعمِّد.

---

(١) زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية من أسد خزيمة، أم المؤمنين، وبسببها نزلت ءاية الحجاب، روت ١١ حديثًا، ولدت عام ٣٣ق.هـ وماتت عام ٢٠هـ.

(٢) الجَلَدُ بفتحتين: الصَّلابةُ.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي
كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ
ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾

٦- ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ﴾ أحقُّ بهم في كلّ شيء من أمور الدين والدنيا، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، فعليهم أن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءَه ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ في تحريم نكاحهنَّ ووجوب تعظيمهنَّ، وهُنَّ فيما وراءَ ذلك كالإرث ونحوه كالأجنبيات، ولهذا لم يتعدَّ التحريم إلى بناتهن ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ وذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في التوارث، وكان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة، ثم نُسِخ ذلك وجُعِل التوارث بحقِّ القرابة ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في حكمه وقضائه، أو في اللوح المحفوظ ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أي أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين - أي الأنصار بحق الولاية في الدين - ومن المهاجرين - بحق الهجرة - ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ﴾ لكنَّ فعلَكم إلى أوليائكم معروفًا جائزٌ، وهو أن توصوا لِمَن أحببتم من هؤلاء بشيءٍ فيكون ذلك بالوصية لا بالميراث ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ أي التوارثُ بالأرحام كان مسطورًا في اللوح.

٧- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ واذكر حين أخذنا من النبيّين ميثاقَهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القَيِّم ﴿وَمِنكَ﴾ خصوصًا وقُدِّمَ رسولُ الله ﷺ على نوح ومَن بعده، لأنَّ هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء، لأنهم أولو العزم وأصحاب الشرائع، فلمّا كان محمد ﷺ أفضلَ هؤلاء قُدِّم عليهم، ولولا ذلك لقُدِّم مَن قدَّمه زمانُه ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ وثيقًا، وأعاد ذكرَ الميثاق لانضمام الوصفِ إليه، وإنما فعلنا ذلك:

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ⑧ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ﴾

٨- ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾ الله ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي الأنبياء ﴿عَن صِدْقِهِمْۚ﴾ عما قالوه لقومهم، أو ما الذي أجابتهم به أممهم ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ بالرسل ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ⑧﴾ المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوةَ إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين، وأعدَّ للكافرين عذابًا أليمًا.

٩- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي ما أنعم الله به عليكم يومَ الأحزاب، وهو يومُ الخندق ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ أي الأحزابُ، وهم قريش وغَطَفانُ وقُرَيظةُ والنَّضيرُ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ أي الصَّبا[(١)]، قال عليه السلام: «**نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهلكَتْ عادٌ بالدَّبور**»[(٢)] ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ﴾ وهم الملائكة، وكانوا ألفًا، بعث الله عليهم صبًا باردةً في ليلةٍ شاتيةٍ فأخصرتهم[(٣)]، وسَفَتِ[(٤)] الترابَ في وجوههم، وأَمرَ الملائكةَ فقلعت الأوتاد، وقطعت الأطناب[(٥)]، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وماجت[(٦)] الخيل بعضُها في بعضٍ، وقَذَفَ في قلوبهم الرعبَ، وكبَّرت الملائكةُ في جوانب عسكرهم، فانهزموا من غير قتالٍ، وحين سمع رسولُ الله ﷺ بإقبالهم ضربَ الخندق[(٧)] على المدينة[(٨)] بإشارة سلمان، ثم خرج في ثلاثة ءالافٍ من المسلمين فضرب

---

(١) ريحٌ تَجيء من قِبَلِ المشرق.
(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) الخَصَرُ بفتحتين: البرد، وقد خَصِرَ الرجل إذا ءالَمَه البرد في أطرافه.
(٤) بتخفيف الفاء.
(٥) الأطنابُ: حبال طويلة يشد بها الوتد.
(٦) أي: اضطربت.
(٧) أي: صَنَعَهُ.
(٨) أي: ناحيتِها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾

معسكره، والخندقُ بينه وبين القوم، وأَمرَ بالذراريّ والنِّسوان فرُفعوا في الآطام[1] واشتدَّ الخوف، وكانت قريشٌ قد أقبلت في عشرة ءالافٍ من الأحابيش[2] وبني كنانة وأهل تهامة وقائدُهم أبو سفيان، وخرجَ غَطَفانُ في ألفٍ ومَن تابعهم من أهل نجدٍ، وقائدُهم عُيينةُ بن حِصن وعامر بن الطُّفيل في هوازن، وضامَّتْهم اليهود[3] من قريظةَ والنَّضيرِ، ومضى على الفريقين قريبٌ من شهرٍ لا حربَ بينهم إلا الترامي بالنَّبْل والحجارة حتى أنزل الله النصر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ أي بعملكم أيها المؤمنون من التحصُّن بالخندق والثبات على معاونة النبيّ ﷺ.

١٠- ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قِبَلِ المشرق بنو غَطَفان ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أسفل الوادي من قِبَلِ المغرب قريشٌ ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ عَدَلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوِّها لشدة الرَّوْع ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ هو مَثَلٌ في اضطراب القلوب وإن لم تبلغ الحناجرَ حقيقةً ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ خطاب للذين ءامنوا - ومنهم الثُّبَّتُ القلوب والأقدام، والضِّعافُ القلوب - [وللمنافقين]، فظنَّ الأولون[4] بالله أنه يبتليهم فخافوا الزلل وضعفَ الاحتمال، وأما الآخِرون فظنوا بالله ما حكى عنهم.

---

(١) الآطام: الأبنية المرتفعة كالحصون المبنية بالحجارة، مفردها أُطُمٌ كَعُنُق.

(٢) الأحابيش: هم الذين حالفوا قريشًا، وهم بنو المصطلِق، وبنو الهُون، وبنو الحارث، اجتمعوا بذَنَبَةِ حُبْشِيّ جبلٍ بأسفل مكةَ بنَعمانِ الأراك، بين مكة والطائف، وذَنَبَةُ الجبلُ والوادي ءاخِرُه، فتحالفوا وقالوا: إنّا يَدٌ على غيرنا ما سجا ليلٌ ووَضَح نهار وما رُئِيَ حُبْشِيُّ مكانَهُ فسُمُّوا الأحابيشَ؛ أحابيشَ قريشٍ، وقيل هو وادٍ بمكة، وقيل سُمُّوا أحابيشَ لاجتماعهم.

(٣) أي: انضمَّت إليهم في أمرهم.

(٤) أي: الذين ءامنوا.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ
وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾

١١- ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ امتُحنوا بالصبر على الإيمان ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ وحُرِّكوا بالخوف تحريكًا بليغًا، [أي إن الخوف أزعجهم أشدَّ الإزعاج].

١٢- ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [وهم المُظهرون الإيمان المُبطنون الكفر] ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قيل: هو وصف المنافقين بالواو، وقيل: هم قوم [ضعاف القلوب] لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشُّبَهِ عليهم ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [هو على سبيل الهزء، إذ لو اعتقدوا أنه رسوله حقيقةً ما قالوا هذه المقالة]، روي أنَّ مُعتِّبَ بنَ قُشَير(١) حين رأى الأحزاب قال: يَعِدُنا محمدٌ فتحَ فارسَ والروم، وأحدُنا لا يقدر أن يتبرَّز(٢) فَرَقًا، ما هذا إلا وعدُ غُرورٍ [أي وعدٌ باطلٌ يخدعنا به].

١٣- ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من المنافقين وهم عبد الله بن أُبَيّ وأصحابُه ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هو اسم المدينة ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ لا [إقامة] لكم ههنا ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى الكفر أو من عسكر رسول الله ﷺ إلى المدينة ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ أي بنو حارثة ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي ذاتُ عورة ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ العورة الخلل، اعتذروا أنَّ بيوتهم عُرضَةٌ(٣) للعدو والسُّراق لأنها غيرُ مُحصَّنة، فاستأذنوه ليُحَصِّنوها ثم يرجعوا إليه، فأكذَبهم الله بأنهم لا يخافون

---

(١) مُعتِّبُ بنُ قُشَير الأنصاريُّ الأَوْسيّ، ذكروه فيمن شهدَ العَقَبة، وقيل: إنه كان منافقًا، وإنه الذي قال يوم أُحُد: لو كان لنا من الأمر شيءٌ ما قُتِلنا ههنا، وقيل: إنه تابَ. قاله الحافظ العسقلاني.

(٢) أي: يخرج إلى البَراز - بفتح الباء - وهي الأرض الخالية لأجل قضاء الحاجة.

(٣) أي: مَعْروضةٌ.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾

ذلك، وإنما يريدون الفرار من القتال.

١٤- ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ المدينةُ أو بيوتُهم ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ من جوانبها، أي ولو دخلت هذه العساكر المتحزِّبة التي يَفرُّون خوفًا منها مدينتَهم أو بيوتَهم من نواحيها كلِّها، وانثالت[1] على أهاليهم وأولادهم، ناهبين سابِيْن ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟﴾ عند ذلك الفزع ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ الرِّدَّة والرَّجعة إلى الكفر ومقاتلةَ المسلمين ﴿لَءَاتَوْهَا﴾ لجاؤوها وفعلوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ﴾ بإجابتها ﴿إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾ ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف، والمعنى: أنهم يتعلَّلون بإعوار بيوتهم ليفرُّوا عن نُصرة رسول الله ﷺ والمؤمنين، وعن مُصافَّة الأحزاب الذين ملؤوهم هَوْلًا ورعبًا، وهؤلاء الأحزاب كما هم لو كَبَسوا عليهم[2] أرضَهم وديارهم وعُرِض عليهم الكفر وقيل لهم: كونوا على المسلمين، لسارعوا إليه وما تعلَّلوا بشيء، وما ذلك إلا لمَقتهم الإسلام وحُبِّهم الكفر.

١٥- ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ أي بنو حارثةَ من قبل الخندق ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ منهزمين ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾ مطلوبًا مقتضًى حتى يُوفَّى به.

١٦- ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ أي إن كان حضرَ أجلُكم لم ينفعْكُم الفرارُ، وإن لم يَحضُرْ وفررتم لم تُمتَّعوا في الدنيا إلا قليلًا، وهو مدَّةُ أعماركم، وذلك قليل.

---

(١) انثالت: انصبَّت.

(٢) كَبَسوا عليهم: أغاروا عليهم فجأةً وتغلبوا عليهم.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾

١٧- ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [يمنعكم] مما أراد الله إنزالَه بكم ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ في أنفسكم من قتلٍ أو غيره ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ إطالةَ عمرٍ في عافيةٍ وسلامةٍ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [ولا يجد هؤلاء القوم غير الله مَن يتولَّى حفظهم، ولا مَن ينصرهم على مَن يريد إيقاع مكروه بهم].

١٨- ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ مَن يُعَوِّقُ عن نصرة رسول الله ﷺ أي يمنع، وهم المنافقون [و﴿قَدْ﴾ هنا للتحقيق] ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ في الظاهر من المسلمين ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ قَرِّبوا أنفسَكم إلينا ودعوا محمدًا ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ أي الحربَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ إلا إتيانًا قليلًا، أي يحضرون ساعةً رياءً، ويقفون قليلًا مقدار ما يُرى شهودُهم، ثم ينصرفون.

١٩- ﴿أَشِحَّةً﴾ جمع شحيح، وهو البخيل، أي يأتون الحرب بخلاءَ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالظَّفَر والغنيمة ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ من قِبَلِ العدو ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ في تلك الحالة ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ يمينًا وشمالًا ﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ كما ينظر المغشيُّ عليه من معالجة سكرات الموت حذرًا وخَوَرًا[1] ولِواذًا بك ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ وأمِنوا وحِيزَت الغنائم ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ خاطبوكم مخاطبةً شديدةً وءاذَوكم بالكلام يقولون: وَفِّروا قسمَتنا، فإنا قد قاتلنا معكم، وبمكاننا غَلَبتم عدوَّكم

---

(١) أي: جُبْنًا.

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي
ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي
رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا
ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ﴾

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِۚ﴾ على المال والغنيمة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ في الحقيقة بل بالألسنة ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْۚ﴾ أبطلَ بإضمارهم الكفرَ ما أظهروه من الأعمال ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ إحباطُ أعمالهم ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ هَيِّنًا.

٢٠- ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْۖ﴾ لِجُبنهم يظنّون أنَّ الأحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع أنهم قد انصرفوا ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كرَّةً ثانية ﴿يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي يتمنى المنافقون لجبنهم أنهم خارجون من المدينة إلى البادية ليأمَنوا على أنفسهم ويعتزلوا مما فيه المؤمنون من القتال ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ كلَّ قادم منهم من جانب المدينة ﴿عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ﴾ عن أخباركم وعما جرى عليكم ﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم﴾ ولم يرجعوا إلى المدينة، وكان قتالٌ ﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾ رياءً وسمعةً.

٢١- ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قُدوةٌ وهو المؤتَسَى به، أي المقتدَى به ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ﴾ يخافُ اللهَ ويخافُ اليومَ الآخر، أو يأمل ثواب الله ونعيم الآخرة ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ في الخوف والرجاء، والشدَّة والرَّخاء.

٢٢- ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ لَمَّا جاء الأحزابُ [واضطرب المؤمنون] ورُعبوا الرعبَ الشديد ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ وعلموا أنَّ الجنة والنصر قد وَجَبا لهم[1] [تسليمًا منهم

---

(١) أي: ثَبَتا لهم.

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾

لأمر الله وإيقانًا منهم بأنَّ ذلك إنجاز وعده لهم الذي وعدهم بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة] ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ما رأوا من اجتماع الأحزاب عليهم ومجيئهم ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ بالله وبمواعيده ﴿وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ لقضائه وقدره.

٢٣- ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ﴾ أي فيما عاهدوه عليه [من الثبات مع النبي ﷺ] ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ مات شهيدًا كحمزةَ ومُصعب، وقضاء النَّحْبِ صار عبارة عن الموت لأنَّ كل حيٍّ من المُحدَثات لا بُدَّ له أن يموت، فكأنه نذرٌ لازم في رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه، أي نذرَهُ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ﴾ الموتَ، أي على الشهادة ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ العهدَ ﴿تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ ولا غيَّروه، لا المُستشهَدُ، ولا مَن ينتظر الشهادة، وفيه تعريض لِمَن بدَّلوا مِن أهل النفاق ومرضى القلوب.

٢٤- ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ بوفائهم بالعهد ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ [بأن يميتهم على نفاقهم] ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [بأن يوفقهم للرجوع عن النفاق والدخول في الإسلام قبل الموت] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ بقبول التوبة ﴿رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ بعفو الحَوبة.

٢٥- ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الأحزابَ ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ مَغِيْظِين ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ﴾ ظَفَرًا، أي لم يظفروا بالمسلمين، وسمَّاه خيرًا بزعمهم ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ﴾ بالريح والملائكة [فلم يُحْوِجوهم إلى قتال في دَفْع عدوِّهم] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [ولم يزل] قادرًا غالبًا.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا
تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

٢٦- ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ عاونوا الأحزابَ ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [وهم يهود] بني قريظة [وكانوا ذِمَّةً لرسول الله ﷺ فنقضوا العهد وغدروا] ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ من حصونهم، الصِّيْصِيَةُ: ما تُحُصِّن به، روي أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله ﷺ صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم فقال: يا رسول الله إنَّ الله يأمرك بالمَسِير إلى بني قُرَيْظَةَ وإنهم لكم طُعمةٌ، فأذِّنْ في الناس أن من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة [فخرجوا إليهم] وحاصروهم خمسًا وعشرين ليلةً [فنزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه - وكان سيدَ الأوس - لِحِلف كان بينهم رَجَوا بذلك حُنُوَّه عليهم فحكَمَ] أن تُقتلَ مقاتِلتُهم وتُسبى ذراريهم ونساؤهم ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وهم الرجال ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ وهم النساء والذراري.

٢٧- ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ أي المواشيَ والنقودَ والأمتعة ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ﴾ بقصد القتال، وهي مكةُ، أو فارسُ والرومُ، أو خيبرُ، أو كلُّ أرضٍ تُفتح إلى يوم القيامة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ قادرًا، [فيقدر على ذلك ولا يُعجزه].

٢٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ أي السَّعةَ في الدنيا وكثرةَ الأموال ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أُعطِكُنَّ متعةَ الطلاق(١) ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ وأُطلِّقْكُن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ لا ضِرارَ فيه، أَرَدْنَ

---

(١) المتعةُ: مالٌ يُعطى للمطلقة على تفصيل في ذلك بين وجوبه واستحبابه ومَن طلقت بسبب=

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

شيئًا من الدنيا من ثيابٍ وزيادة نفقةٍ وتغايَرن[1]، فغمَّ ذلك رسولَ الله ﷺ فنزلت، فبدأ بعائشة رضي الله عنها، وكانت أَحبَّهنَّ إليه، فخيَّرها وقرأ عليها القرءان، فاختارت اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة فرؤيَ الفرحُ في وجه رسول الله ﷺ، ثم اختار جميعُهن اختيارَها، رُوي أنه قال لعائشة: «**إني ذاكر لكِ أمرًا ولا عليكِ ألَّا تعجَلي فيه حتى تستأمري[2] أبويك**»، ثم قرأ عليها القرءان، فقالت: أفي هذا أستأمر أبويَّ!؟ فإني أريدُ اللهَ ورسولَه والدار الآخرة.

٢٩- ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [أي رضا الله ورضا رسوله] ﴿وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [أي ثواب الآخرة دون زينة الدنيا] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ [بإرادة الآخرة] ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [في الجنة].

٣٠- ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ﴾ سيئة بليغةٍ في القبح ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ ظاهرٍ فُحشها، قيل: هي عصيانهنَّ رسول الله ﷺ ونشوزهن ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ﴾ ضِعفَي عذاب غيرهنَّ من النساء، لأن ما قبُح من سائر النساء كان أقبح منهن، [وهذا لشرفهن وقدرهن بصحبة النبي ﷺ، فتفحش جناياتهن وتُغَلَّظُ عقوبتهن، وكذلك طاعتُهن وثوابهن] ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ تضعيف العذاب عليهن ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ هيِّنًا.

٣١- ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ القنوتُ: الطاعة ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ مثلَيْ ثوابِ غيرها ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

= منها أو بغير سبب وغير ذلك، يُطلب تفصيل ذلك من كتب الفقه.

(١) أي غارت بعضهن من بعض.

(٢) الاستئمارُ: المشاورَةُ.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾

جليلَ القدرِ وهو الجنةُ.

٣٢- ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ﴾ [بل لكُنَّ فضيلةٌ وشرف بأنكنَّ زوجات رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة] ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ إن أردتُنَّ التقوى، أو إن كنتُنَّ متَّقيات ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ إذا كلمتنَّ الرجال من وراء حجاب، فلا تجئن بقولكنَّ خاضعًا، أي لَيِّنًا خَنِثًا[1] مثل كلام المُريبات[2] ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ رِيبةٌ وفجور ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ حسنًا [يُعرف أنه كلام العفائف الصالحات الصائنات].

٣٣- ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ أي القديمة [أمرهن الله تعالى بملازمة بيوتهن، ونهاهن عن التبرج]، والتبرُّج: التبخترُ في المشي، أو إظهارُ الزينة [للأجانب بقصد أن يستحْلوهن]، والتقدير: ولا تبرَّجن تبرُّجًا مثل تبرُّج النساء في الجاهلية الأولى، وهي الزمان الذي ولد فيه إبراهيم، أو ما بين ءادم ونوحٍ، أو زمنُ داود وسليمان عليهم السلام، والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمدٍ عليه الصلاة والسلام ﴿وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ خصَّ الصلاة والزكاة بالأمر ثم عمَّ بجميع الطاعات تفضيلًا لهما، لأنَّ مَن واظب عليهما جرَّتاه إلى ما وراءهما ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾ [الإثمَ يا] ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ فيه دليل على أنَّ نساءه من أهل بيته. وقال: ﴿عَنكُمُ﴾، لأنه أريد الرجال والنساء من ءاله بدلالة ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ من نجاسة الآثام، ثم بيَّن أنه إنما

---

(١) الخَنِثُ بالكسر: المسترخي.

(٢) المُرِيباتُ: المواقِعات الشكِّ في طهارتهنّ.

﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ﴾

نهاهُنَّ وأمرهنَّ ووعظهنَّ لئلا يقارفَ أهلُ بيت رسول الله ﷺ المآثمَ، وَلِيَتَصَوَّنوا عنها بالتقوى.

٣٤- ﴿وَٱذۡكُرۡنَ[1] مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرءانِ ﴿وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ السنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ عالمًا بغوامض الأشياء ﴿خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ عالمًا بحقائقها.

ولمَّا نزل في نساء النبي ﷺ ما نزل، قال نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء؟ فنزلت:

٣٥- ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ المُسْلِمُ: الداخلُ في السِّلم بعد الحرب المنقادُ الذي لا يعانِدُ ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ المصدِّقين بالله ورسوله وبما يجب أن يُصدَّقَ به ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ القائمين بالطاعة ﴿وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في النيّات والأقوال والأعمال ﴿وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على الطاعات وعن السيئات ﴿وَٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ المتواضعين لله بالقلوب والجوارح، أو الخائفين ﴿وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ فرضًا ونفلًا ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ فرضًا ونفلًا ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ﴾

---

(١) قوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرۡنَ﴾ فيه رد صريح لقول من يقول: إن أزواج الرسول ما دخلن في هذه الآية، وتخصيصه أهلَ البيت بعليّ عليه السلام، ولا دليل لهم في قوله تعالى: ﴿عَنكُمُ﴾. وإنما عُبِّرَ بلفظ المذكر لأنه أرادهن مع الرجال من ءاله عليه الصلاة والسلام، مثل قوله تعالى في سارة: ﴿أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة هود]. الملائكة كانت تخاطِبُ أولًا بلفظ التأنيث، وهو «أتعجبين» ثم ذُكِّرَ اللفظ في «عليكم» ليشمَلَها مع إبراهيمَ وابنهِ إسماعيلَ وهاجر سُرِّيته.

﴿وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾

عما لا يحلُّ ﴿وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرءان، والاشتغالُ بالعلم من الذِّكر ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ اللهَ، ومعناه أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ على طاعاتهم.

خطبَ رسولُ الله ﷺ زينبَ بنتَ جحشٍ بنتَ عمته أُميمة على مولاه زيدِ بن حارثةَ فأَبت وأبى أَخوها عبدُ الله فنزلت:

٣٦- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ وما صحَّ لرجلٍ مؤمن ولا امرأةٍ مؤمنةٍ ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ أي رسول الله، [وذِكر الله تعالى لتعظيم أمره، والإشعار بأنَّ طاعة الرسول ﷺ طاعة لله تعالى] ﴿أَمْرًا﴾ من الأمور ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أن يختاروا من أمرهم ما شاؤوا، بل من حَقِّهم أن يجعلوا رأيَهم تبعًا لرأيه، واختيارَهم تِلْوًا[1] لاختياره، فقالا: رضينا يا رسولَ الله، فأنكحَها إياه، وساق عنه إليها مهرَها ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ فإن كان العصيانُ عصيانَ رَدٍّ وامتناعٍ عن القبول فهو ضلال وكفر، وإن كان عصيانَ فعلٍ مع قبول الأمر واعتقادِ الوجوب فهو ضلالُ خطأٍ وفسقٍ.

٣٧- ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام الذي هو أَجَلُّ النِّعم ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق والتبنِّي [- وذلك قبل نزول النهي عن التبنّي كما مَرَّ -]، فهو متقلِّب في نعمة الله ونعمة رسوله، وهو زيد بن حارثة ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ زينبَ بنتَ جحش، ألقى الله في [نفس زيد]

---

(١) أي: تَبَعًا.

﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ﴾

كراهةَ صحبتها والرغبةَ عنها، فقال لرسول الله ﷺ: إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: «**ما لك، أرابَكَ منها شيء؟**» قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيرًا، ولكنها تتعظَّم عليَّ لشرفها[1] وتؤذيني، فقال له: «**أمسِك عليك زوجَك**» ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فلا تُطلّقها. وهو نهي تنزيهٍ، إذ الأَولى أَلّا يُطَلِّقَ ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ تخفي في نفسك نكاحها إن طلَّقها زيد [لأن الله تعالى أعلمه بوحي غيرِ قرءان[2] أن زيدًا سيطلِّقها وأنها ستصير زوجته]، وهو الذي أبداه الله تعالى [لأنه تعالى أراد إبطال ما كان عليه الناس قبل البعثة من أحكام التبنّي بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوُّج امرأةِ الذي يُدعَى ابنًا له] ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ﴾ أي قالةَ الناس بأنه نكح امرأة ابنهِ ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [في كل شيء فتفعلَ ما أوحى لك به ولا عليك من قالةِ الناس]، عن عائشة رضي الله عنها: لو كتم رسول الله ﷺ شيئًا مما أُوحي إليه لكتم هذه الآية[3] ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا﴾ الوَطَرُ: الحاجة، والمعنى: فلمّا لم يبقَ لزيد فيها حاجة وطلّقها وانقضت عدَّتها ﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ روي أنها لَمّا اعتدَّت قال رسول الله ﷺ لزيد: «**ما أجدُ أحدًا أوثق في نفسي منك، أُخْطُبْ عليَّ زينب**» قال زيد: فانطلقتُ، وقلت: يا زينب، أبشري إنَّ رسول الله ﷺ يخطبك، ففرحت، وتزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها، وما أَوْلَمَ على امرأةٍ من نسائه ما أولم عليها، ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتدَّ النهار[4] ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ

---

(١) أي: بالنسب.
(٢) أما وحي القرءان فالنبيُّ عليه الصلاة والسلام يبلغه فورًا ولا يؤخر تبليغه ولا يخفيه.
(٣) معناه هذا دليل على أن الرسول لا يكتم شيئًا مما أُمِرَ بتبليغه.
(٤) أي: ارتفع.

﴿أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾

أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [مَقضِيُّهُ] الذي يريد أن يكوّنه ﴿مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ مُكوَّنًا لا محالة، وهو مَثَلٌ لِمَا أراد كونه من تزويج رسول الله ﷺ زينبَ.

٣٨- ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ أحلَّ له وأمر له، وهو نكاح زينبَ، أو قَدَّرَ له من عدد النساء ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾، كأنه قيل: سَنَّ اللهُ سُنةً في الأنبياء الماضين ألّا يُحَرِّجَ عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسَّع عليهم في باب النكاح وغيره، وقد كانت تحتهم المهائر(١) والسراري، وكانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة سُرِّية، ولسليمان ثلاثمائة حرةٍ وسبعمائة سُرّيةٍ ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ﴾ في الأنبياء الذين مَضَوا من قبل ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ قضاءً مَقضِيًا وحكمًا مبتوتًا:

٣٩- ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي هم الذين يُبلِّغون ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ﴾ وَصفَ الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ كافيًا للمخاوف.

٤٠- ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ لم يكن أبا رجُلٍ منكم حقيقةً حتى يثبتَ بينه وبينه ما يثبتُ بين الأب وولده من حرمة الصِّهر والنكاح، والمراد من رجالكم البالغين، والحسنُ والحسينُ لم يكونا بالغَين حينئذ، والطَّاهرُ والطَّيِّبُ والقاسمُ وإبراهيمُ تُوفُّوا صِبيانًا ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ وكلُّ رسولٍ أبو أُمَّته فيما يرجع إلى وجوب التوقير

---

(١) المهائر: الحرائر.

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾

والتعظيم له عليهم[١] ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء، وزيدٌ واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة، فكان حُكمهُ حكمَكم ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ ءاخرَهم، يعني لا يُنبَّأ أَحدٌ بعدَه، وعيسى ممن نُبِّئَ قبله، وحين ينزل ينزل عاملًا على شريعة محمدٍ ﷺ كأنه بعضُ أُمَّته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾ [من مصالح العباد وكل شيء].

٤١- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾﴾ أثنوا عليه بضروب[٢] الثَّناء وأكثِروا ذلك.

٤٢- ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ﴾ أولَ النهار ﴿وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ ءاخرَ النهار، وخُصَّا بالذكر لانَّ ملائكةَ الليل وملائكةَ النهار يجتمعون[٣] فيهما.

٤٣- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ﴾ [أي يرحمكم] حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الذِّكر والتوفُّر[٤] على الصلاة والطاعة ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [بالاستغفار لكم والدعاء، فالصلاة من الله تعالى على العبد هي رحمته له وبركته لديه، وصلاة الملائكة دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم] ﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ هو دليل على أنَّ المراد بالصلاة [من الله تعالى] الرحمة.

---

(١) روى هذا القولَ جماعة من السَّلف عن مجاهد.
(٢) أي: أنواع.
(٣) الملائكة الموكلون بابن ءادم يجتمعون عند العصر وعند صلاة الصبح، ثم الذين كانوا قبلًا يصعدون والذين نزلوا الآن يثبتون مع العبد إلى مثل ذلك الوقت.
(٤) التَّوَفُّر على الشيء: صَرْفُ الهمَّة إليه.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا
كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾

٤٤- ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ أي تحية الله لهم ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ يرونه ﴿سَلَٰمٌۚ﴾ [إخبار بالسلامة من الآفات والأمن من المخافات، وجائز أن يكون تحية الملائكة عليهم سلام كقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الرعد]، أو تحية بعضهم لبعض سلام أي أمنٌ لكم من عذاب الله أبدًا] ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ يعني الجنة.

٤٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على مَن بُعثت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم، أي مقبولًا قولُكَ عند الله لهم وعليهم كما يُقبلُ قولُ الشاهد العدل في الحُكم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ للكافرين بالنار.

٤٦- ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ بأمره أو بتيسيره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ جَلَا به اللهُ ظلماتِ الشرك واهتدى به الضالون كما يُجلَى ظلامُ الليل بالسراج المنير، ويُهتدَى به، والجمهور على أنه القرءان فيكون التقدير: وذا سراجٍ منيرٍ [أي كتابٍ نيّرٍ]، أو تاليًا سراجًا منيرًا، [وقيل تقديره: وجعلناك سراجًا منيرًا، فالسراج المنير على هذا التأويل هو الرسول ﷺ].

٤٧- ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ ثوابًا عظيمًا.

٤٨- ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ المراد به التهييج والدوام والثبات على ما كان عليه ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ اجعل إيذاءهم إياك في جانبٍ ولا تُبالِ بهم ولا تَخفْ من إيذائهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فإنه يكفيكهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ وكفى به مفوَّضًا إليه.

٤٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي تزوجتم، وفي

﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ﴾

تخصيص المؤمنات مع أن الكتابيات تساوي المؤمنات في هذا الحكم إشارةٌ إلى أن الأَولى بالمؤمن أن ينكح مؤمنة ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [أي قبل أن تجامعوهن]، والخلوة الصحيحة كالمسّ[(١)] ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ فيه دليل على أنَّ العدة تجب على النساء للرجال، ومعنى تعتدونها تستوفون عددها ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ والمتعة تجب للتي طلَّقها قبل الدخول بها ولم يسمَّ لها مهر، [فإن سُمِّيَ لها مهر فالواجب لها نصف المسمَّى، والمتعة مستحبَّة] ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ لا تُمسكوهنَّ ضرارًا، وأخرجوهن من منازلكم، إذ لا عِدَّةَ لكم عليهن.

٥٠- ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنَّ، وإيتاؤها إعطاؤها عاجلًا، أو فرضها وتسميتها في العقد ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ [أي أغنمَكَ من غنائم المشركين، أُحِلَّ لك أن تَضُمَّها إلى نفسك بالملك دون النكاح] وهي صَفِيَّةُ[(٢)] وجُوَيرِيةُ[(٣)] فأعتقهما وتزوجهما ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ

---

(١) هذا عند الإمام أبي حنيفة، أي أن الخلوة الصحيحة توجب كمال الصداق كالمماسة وإن لم يحصل جماع، والخلوة الصحيحة هي أن يختلي بها بحيث يمكن الوَطْء بأَلّا يكون أحدهما مُحْرِمًا أو مريضًا، أو لم تكن حائضًا أو صائمة في رمضان مثلًا، أما عند الإمام الشافعي فيجب لها قبل الوَطْء نصف المهر ولا يُتِمِّمُ لها المهر بالخلوة كيفما كانت إلا بالوَطْء.

(٢) صفية: أم المؤمنين، صفية بنت حُيي بن أخطب، من أهل المدينة، توفيت عام ٥٠هـ.

(٣) جويرية: أم المؤمنين، جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار من خزاعة، كانت من فُضْلَيات النساء أدبًا وفصاحة، توفيت عام ٥٦هـ.

﴿وَبَنَاتِ خَالَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ﴾

﴿وَبَنَاتِ خَالَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ و«مع» ليس للقِران بل لوجودها فحسب كقوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النمل]. وعن أم هانئٍ بنت أبي طالب: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت، فعذرني، فأنزل الله هذه الآية، فلَم أَحِلَّ له لأني لم أهاجر معه ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ وأحللنا لك مَن وقع لها أن تَهَبَ لك نفسها ولا تطلبَ مهرًا من النساء المؤمنات إن اتَّفق ذلك، قيل: هو بيان حكم في المستقبل ولم يكن عنده أحدٌ منهن بالهبة، وقيل: الواهبة نفسَها ميمونةُ بنت الحارث[1]، [وقيل غير ذلك] ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ استنكاحُها طلبُ نكاحِها والرغبةُ فيه ﴿خَالِصَةً﴾ بلا مهرٍ ﴿لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾ بل يجب المهر لغيرك وإن لم يُسَمِّه أو نَفَاهُ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ أي ما أوجبنا من المهور على أمَّتك في زوجاتهم، أو ما أوجبنا عليهم في أزواجهم من الحقوق ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ بالشراء، وغيره من وجوه المِلك[2]، وقوله ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ﴾ ضِيقٌ، متَّصل بـ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾، [وما بينهما] جملة اعتراضية ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ بالتوسعة على عباده.

٥١- ﴿تُرْجِى﴾ تُؤخِّرُ ﴿مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ﴾ تضمُّ، بمعنى تترك مضاجعة مَن تشاء منهنَّ وتضاجع مَن تشاء، أو تُطلِّقُ مَن

---

(١) أم المؤمنين، ميمونة بنت الحارث الهلالية، وهي ءاخر امرأة تزوجها النبي ﷺ، توفيت قرب مكة ودفنت هناك عام ٥١هـ.

(٢) كالهبة والإرث والاسترقاق بالحرب.

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾

تشاء وتُمسك مَن تشاء، أو لا تَقسم لأيتهنَّ شئتَ وتَقسم لِمَن شئت، أو تترك تزوُّجَ مَن شئت من نساء أُمَّتك، وتتزوَّج مَن شئت، وهذه قسمة جامعة لِمَا هو الغَرَضُ، لأنه إمَّا أن يُطلِّقَ وإمَّا أن يُمسك، فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقَسَمَ أو لم يَقسم، وإذا طلَّق وعَزَلَ فإمَّا أن يُخلِيَ المعزولةَ لا يبتغيها أو يبتغيها ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾ ومَن طلبت صحبتَها ممن عزلتَ عن نفسك بالإرجاء فلا ضِيقَ عليك في ذلك، أي ليس إذا عزلتها لم يَجُزْ لك ردُّها إلى نفسك ﴿ذَٰلِكَ﴾ التفويض إلى مشيئتك ﴿أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ﴾ أي أقرب إلى قُرَّةِ عيونهنَّ وقِلَّة حُزنهنَّ ورضاهنَّ جميعًا، لأنهن إذا عَلِمْنَ أنَّ هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسُهنَّ، وذهب التَّغايرُ، وحصل الرضا، وقَرَّت العيون ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ﴾ [أيها العباد من الرجال والنساء من محبة البعض لبعض] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بذات الصدور ﴿حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ لا يعاجل بالعقوبة، فهو حَقيق بأن يُتَّقى ويُحذر.

٥٢- ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ من بعد التسع، لأنَّ التسعَ نصابُ رسول الله ﷺ من الأزواج، كما أنَّ الأربع نصابُ أُمَّته ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ بالطلاق، والمعنى وأن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجًا أُخَر بكُلِّهنَّ أو بعضِهنَّ كرامةً لهنَّ وجزاءً على ما اخترنَ ورضِينَ [حين خَيَّرهنَّ رسولُ الله ﷺ بين اختيار الدنيا وزينتها وتسريحهن وبين اختيار رسول الله ﷺ فاخترن رسول الله والدار الآخرة]، فقَصَرَ رسولُ الله ﷺ عليهنَّ وهنَّ التسعُ اللاتي مات عنهنَّ: عائشة، حفصة، أمُّ حبيبةَ، سودةُ، أمُّ سلمةَ، صفيةُ، ميمونةُ، زينبُ بنت جحش، جويريةُ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ

﴿حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا
تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ
فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾

﴿حُسْنُهُنَّ﴾ تقديره: مفروضًا إعجابك بهنَّ. وعن عائشة وأم سلمة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أُحلَّ له أن يتزوج من النساء ما شاء، يعني أنَّ الآية نُسخت، ونسخها إمَّا بالسُّنَّة أو بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ﴾ استثنى ممن حرَّم عليه الإماء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ حافظًا [لا يغيب عنه علمُ شيء].

٥٣- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ لا تدخلوا بيوت النبيَّ ﷺ إلا وقت الإذن، ولا تدخلوها إلا غيرَ ناظرين أي غيرَ منتظِرين، وهؤلاء قوم كانوا يتحيَّنون طعامَ رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظِرين لإدراكه، وإنَىٰ الطعام: إدراكُهُ، وقيل: إناه: وقتُه، أي غير ناظرين وقتَ الطعام وساعةَ أكلِه. وروي أنَّ النبيَّ ﷺ أَولَمَ على زينب بتمرٍ وسويقٍ وشاةٍ، وأمر أَنَسًا أن يدعو بالناس، فترادفوا أفواجًا، يأكلُ فوجٌ ويخرج، ثم يدخل فوج إلى أن قال: يا رسولَ الله، دعوتُ حتى ما أَجِدُ أحدًا أدعوه، فقال: «**ارفعوا طعامكم**» وتفرَّق الناس، وبقي ثلاثةُ نفرٍ يتحدثون، فأطالوا، فقام رسول الله ﷺ ليخرجوا، فطاف بالحُجُرات وسلَّم عليهن ودَعَوْنَ له، ورجع، فإذا الثلاثة جلوسٌ يتحدثون، وكان رسول الله ﷺ شديدَ الحياء، فتولَّى، فلَمّا رأَوه متولِّيًا خرجوا، فرجع ونزلت ﴿وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ فتفرَّقوا ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ﴾ نُهوا عن أن يُطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعضٍ لأجل حديثٍ يُحَدِّثه به ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ [يَشُقُّ عليه بتضييقكم المنزل عليه وعلى

﴿فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

أهله] ﴿فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ﴾ من إخراجكم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾ يعني أنَّ إخراجَكم حقٌّ [والله تعالى] لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحَيِيّ منكم ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ الضمير لنساء النبي عليه الصلاة والسلام لدلالة ﴿بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾، لأنَّ فيها نساءَه ﴿مَتَٰعًا﴾ عاريَّةً أو حاجَةً[1] ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ﴾ المتاعَ ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ من خواطر الشيطان وعوارض الفتن، وكانت النساءُ قبل نزول هذه الآية يَبْرُزْنَ للرجال[2]، وكان عمر رضي الله عنه يُحبُّ ضربَ الحجاب عليهنَّ وَيَودُّ أن ينزل فيه، وقال: يا رسول الله، يدخلُ عليك البَرُّ والفاجر، فلو أمرت أُمهاتِ المؤمنين بالحجاب فنزلت. ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ﴾ وما صحَّ لكم إيذاء رسول الله ﷺ [في كل ما يُتَأَذَّى به] ولا نكاح أزواجه من بعد موته ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ أي ذنبًا عظيمًا.

٥٤- ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا﴾ من إيذاء النبي ﷺ أو من نكاحهنَّ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في أنفسكم من ذلكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ فيعاقبكم به.

ولَمّا نزلت ءاية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول الله، أَوَنَحنُ أيضًا نكلِّمهنَّ من وراء حجاب؟ فنزل:

---

(١) أي على سبيل الاستعارة أو على سبيل الهبة.
(٢) مع سَتْر ما يجب عليهنَّ ستره أمامهم.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾

٥٥- ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ أي نساءِ المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ لا إثم عليهنَّ في ألا يحتجبن من هؤلاء، ولم يذكر العمَّ والخالَ لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبًا، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [سورة البقرة] وإسماعيل عم يعقوب ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾ فيما أُمرتُنَّ به من الاحتجاب، وأُنزل فيه الوحي من الاستتار واحتطْن فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ عالمًا يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح.

٥٦- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الصلاة من الله تعالى: الرحمة والمغفرة والرضوان، وصلاةُ الملائكة على النبيّ ﷺ: الدعاء كصلاتنا عليه] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ قولوا: اللهم صلِّ على محمدٍ، أو: صلى الله على محمدٍ ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ قولوا: اللهم سلّم على محمد، أو انقادوا لأمره وحُكمِه انقيادًا.

٥٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي يؤذون رسولَ الله ﷺ، وذِكرُ اسم الله للتشريف، أو عُبِّرَ بإيذاء الله ورسوله ﷺ عن فعلِ ما لا يَرضَى به الله ورسولُه ﷺ، كالكفر وإنكار النبوة مجازًا[1] ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ طردهم الله من رحمته في الدارين ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ في الآخرة.

---

(١) لأن الله في الحقيقة لا يناله أذى، لأنه يستحيل أن يحصل له ضرر من غيره كما يستحيل عليه الانتفاع بغيره.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

٥٨- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ [أي بغير جناية استحقوا بها الإيذاءَ]، أطلقَ إيذاءَ اللهِ ورسولهِ ﷺ وقيَّد إيذاء المؤمنين والمؤمنات، لأنَّ ذاك يكون غيرَ حقٍّ أبدًا، وأما هذا فَمِنْهُ حقٌّ كالحدِّ والتعزير، ومنه باطل، قيل: نزلت في ناسٍ من المنافقين يؤذون عليًّا رضي الله عنه ويُسمعونه، وقيل: في زناةٍ كانوا يتبعون النساء وهُنَّ كارهات ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟﴾ تحمَّلوا ﴿بُهْتَٰنًا﴾ كذبًا عظيمًا ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ ظاهرًا.

٥٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ الجلباب: ما يسترُ الكُلَّ مثلُ المِلحفة، عن المُبَرِّدِ، [وقال الخليل: الجلباب ثوب أوسع من الخمار دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها]. ومعنى ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾: يُرخينها عليهن [من الرأس إلى أسفل]، وذلك أنَّ النساء كنَّ في أول الإسلام تبرز المرأة في درعٍ وخمارٍ لا فضل بين الحرة والأمة [يكشفن العنق وشيئًا من النحر]، وكان [فَسَقَةُ] الفتيان يتعرضون إذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في النخيل والغيطان للإماء، وربما تعرضوا للحرة بحِسبان الأمة، فأُمرن أن يخالفن بزيِّهن عن زِّي الإماء بلُبس الملاحف فلا يطمع فيهنَّ طامع(١)، وذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ أي أولى وأجدر بأن يُعرفن فلا يُتعرض لهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِمَا سلف منهنَّ من التفريط ﴿رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ بتعليمهن اداب المكارم.

---

(١) ستر الوجه غير واجب على النساء بالإجماع، وليس المراد بالمِلحفة تغطية الوجه.=

﴿۞لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠﴾

٦٠- ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ [الذين يُضمرون الكفر ويظهرون الإيمان] ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ فجورٌ، وهم الزناةُ من قوله: ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ [سورة الأحزاب] ﴿وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ هم أناس كانوا يُرجِفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله ﷺ فيقولون: هُزموا وقُتلوا وجرى عليهم كَيت وكَيت، فيكسرون بذلك قلوبَ المؤمنين، يقال: أرجَفَ بكذا إذا أخبرَ به على غير حقيقةٍ لكونه خبرًا متزلزِلًا غيرَ ثابتٍ منَ الرَّجْفَةِ، وهي الزلزلةُ ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ﴾ لَنَأمُرَنَّك بقتالهم، أو لَنُسَلِّطنَّك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠﴾ زمانًا قليلًا، والمعنى: لئن لم يَنته المنافقون عن عداوتهم وكيدِهم، والفَسَقَةُ عن فجورهم، والمُرجِفون عما يؤلِّفونَ من أخبار السوء، لنأمرنَّك بأن تفعل الأفعالَ التي تسوؤُهم، ثمَّ بأن تَضطرَّهم إلى طلبِ الجَلاءِ عن المدينة، وإلى ألّا يساكنوك فيها إلا زمانًا قليلًا ريثما يرتحلون.

= وقد جاءت الآية الأخرى: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ ٣١﴾ [سورة النور] بذكر الجيوب دون الوجه، والجيوب جمع جيب، وهو موضع العنق من القميص، أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور، قال الحافظ أبو الحسن بن القطان المالكي في «كتابه النظر في أحكام النظر»: «إنَّ كثيرًا انحرفوا عن فهم هذه الآية، فاعتقدوا وجوب ستر المرأة وجهها إذا خرجت، وهذا خلاف الإجماع». وليس في الآية وجوب لبس الجلباب للمرأة، فقد تواردت نصوص الفقهاء من المذاهب الأربعة أن الواجب على المسلمة في الصلاة وخارجها أمام الأجانب تغطية جميع بدنها إلا وجهها وكفيها بما يستر لون البشرة وكراهة ما كان ضيقًا من ذلك. نعم لو قيل: إن لبس الجلباب للمرأة شيء حسن أو مستحب أو سنة لكان صوابًا لأنه زيادة في التستر المطلوب للمرأة، وكذلك يقال في ستر المرأة وجهها.

﴿مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ
مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ
ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ
سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي
ٱلنَّارِ﴾

٦١- ﴿مَّلۡعُونِينَۖ﴾ لا يجاورونك إلا ملعونين ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ وُجدوا ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١﴾ [هذا حكمهم إذا ظهر حالهم]، والتشديد يدلُّ على التكثير.

٦٢- ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ سَنَّ الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا أينما وُجدوا ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾ مَضوا ﴿مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ لا يُبَدِّلُ اللهُ سُنَّته، بل يُجريها مُجرًى واحدًا في الأمم.

٦٣- ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ كان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة استعجالًا على سبيل الهُزْءِ، واليهودُ يسألونه امتحانًا، لأنَّ الله تعالى عَمَّى وقتَها في التوراة وفي كلِّ كتابٍ، فأَمرَ رسولَه ﷺ بأن يجيبَهم بأنه عِلْمٌ قد استأثرَ اللهُ به، ثم بَيَّنَ لرسوله ﷺ أنها قريبةُ الوقوع تهديدًا للمستعجِلين وإسكاتًا للممتحِنين بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ شيئًا قريبًا.

٦٤- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [أبعدَهم عن رحمته في ذلك اليوم] ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤﴾ نارًا شديدة الإيقاد.

٦٥- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [يَدُلُّ على] أنَّ الجنة والنار [لا] تفنيان ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا﴾ [يلي دفعَها عنهم] ﴿وَلَا نَصِيرٗا ٦٥﴾ يمنعهم [من العذاب بها].

٦٦- ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ تُصَرَّفُ في الجهات كما ترى

﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا
ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا
تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾

البَضْعَةَ[1] تدور في القِدر إذا غَلَت، وخُصَّت الوجوهُ لأنَّ الوجهَ أكرمُ موضع على الإنسان من جسده، أو يكون الوجه عبارة عن الجملة ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ فنتخلَّصَ من هذا العذاب، فتمنَّوا حين لا ينفعهم التمني.

٦٧- ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ المراد رؤساء الكَفَرة الذين لقَّنوهم الكفر وزيَّنوه لهم ﴿وَكُبَرَآءَنَا﴾ علماءَنا ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [أي عن السبيل، وهو التوحيد].

٦٨- ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ للضلال والإضلال، [أي عذبهم مثلَيْ ما تُعذِّبنا فإنهم ضلوا وأضلوا] ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ يَدُلّ على أشدّ اللعن وأعظمه.

ونزل في شأن زيدٍ وزينبَ وما سُمِعَ فيه من قالة بعض الناس:

٦٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾ أذى موسى عليه السلام هو حديثُ المُومِسَةِ[2] التي أرادها قارونُ على قذفِهِ بنفسها، أو اتِّهامُهم إياه بقتلِ هارون، فأحياه الله تعالى، فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ ذا جاهٍ ومنزلةٍ مستجابَ الدعوة.

٧٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ صدقًا وصوابًا، والمراد نهيُهم عما خاضوا فيه من حديث زينب، والبعثُ على

---

(١) البضعة: بفتح الباء وكسرها القطعة من اللحم.
(٢) المومِسَةُ: الفاجرة.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾

أن يُسَدِّدوا قولهم في كل باب.

٧١- ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يقبل طاعتكم أو يوفِّقْكُم لصالح العمل ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ يَمْحُها، والمعنى: راقِبوا الله[1] في حفظِ ألسنتكم وتسديدِ قولكم، فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطَّلِبَةِ[2] من تقبُّل حسناتكم والإثابةِ عليها، ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها.

ولَمّا علَّق بالطاعة الفوز العظيم بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ -[أي نجا من كل ما يَخافُ، ووصلَ إلى كلِّ ما يرجو]- أتبعه قولَه:

٧٢- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [أي التكاليف الشرعية] ﴿عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الظاهر عرض الأمانة - وهي الأوامر والنواهي - على هذه المخلوقات العظام فأَبَتْ وأشفقتْ منها - أي خافَتْ مِن عدم القيام بها - ويكون ذلك بإدراكٍ خَلَقَهُ اللهُ فيها، وهذا غير مستحيل إذ قد سَبَّح الحصى في كفِّه عليه الصلاة والسلام، وحَنَّ الجذع إليه، وكلمته الذراع، فيكون هذا العرض والإباءُ حقيقةً، قال ابن عباس رضي الله عنه: أُعطيَت الجمادات فهمًا وتمييزًا فَخُيِّرَت في الحمل، وذِكْرُ الجبال مع أنها من الأرض لزيادة قوتها وصلابتها تعظيمًا للأمر] ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ على ضعفه، [فكان له الثواب إن قام بها وعليه العقاب إن لم يَقم بها] ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لكونه تاركًا

---

(١) معنى المراقبة لله: استدامَةُ خوف الله تعالى بالقلب بتجنب ما حَرَّمَهُ وتجنب الغفلة عن أداء ما أوجبه.

(٢) الطَّلِبَةُ بكسر اللام: الشيءُ المطلوبُ، وتُخَفَّفُ بكسر الطاء وإسكان اللام.

﴿جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

لأداء الأمانة ﴿جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ لإخطائه ما يُسعده مع تمكُّنه منه، وهو أداؤها [وهو صفة بعض بني ءادم - مَن كان منهم تاركًا لأداء التكاليف الشرعية - ولا يجوز أن يُجعلَ صفة لآدم عليه السلام فإنه لا يجوز أن يُسمَّى ظالمًا جاهلًا فكيف يُسَمَّى ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾ وهو أبلغ، كما لا يجوز أن يجعل صفة لسائر الأنبياء والمتقين].

٧٣- ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ أي فآلَ الأَمرُ إلى تعذيب الأشقياء وقبول توبة السعداء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للتائبين ﴿رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ بعباده المؤمنين.

سورة سبأ
مكية وهي أربع وخمسون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ فهو بما حَمِدَ به نفسه محمودٌ [وله] لكل المحامد الاستحقاقُ ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ خلقًا ومِلكًا وقهرًا، فكان حقيقًا بأن يُحمدَ سرًّا وجهرًا ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ كما هو له في الدنيا، إذ النِّعَم في الدارين من المولى، غيرَ أنَّ الحمد هنا واجب(١) لأنَّ الدنيا دارُ تكليفٍ، وثَمَّ لا لعدم التكليف، وإنما يَحْمَدُ أهلُ الجنة سرورًا بالنعيم وتلذُّذًا بما نالوا من الأجر العظيم بقولهم: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ ۝٧٤﴾ [سورة الزمر]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ ۝٣٤﴾ [سورة فاطر] ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ بتدبير ما في السماء والأرض ﴿ٱلۡخَبِيرُ ۝١﴾ بضمير مَن يَحمَدُهُ ليوم الجزاء والعرض.

٢- ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ﴾ ما يدخل ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من الأموات والدفائن ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ من النبات وجواهر المعادن ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من

---

(١) الحمد الواجب: معناه عدم معصية الله تعالى بنِعَمِهِ التي أنعم بها على عباده وليس مجرد قول: الحمد لله، أو المدح لله، أو الثناء لله، فهذا مستحب وليس واجبًا.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى
لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ
مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾

الأمطار وأنواع البركات ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ﴾ يصعد إليها من الملائكة والدعوات ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بإنزال ما يحتاجون إليه ﴿ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ لِمَا يجترئون عليه.

٣- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي مُنكِرو البعث ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ﴾ نفيٌ للبعث وإنكارٌ لمجيء الساعة ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ [ردٌّ لكلامهم وإثبات لِمَا نَفَوه] ﴿وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أعيد إيجابهم مؤكَّدًا بما هو الغايةُ في التوكيد والتشديد، وهو التوكيد باليمين بالله عزَّ وجلَّ، ثم أَمَدَّ التوكيد القَسَميَّ بما أتبع المقسمَ به من الوصف بقوله: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ﴾ لَمّا كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخُفية كان الوصف بما يرجع إلى علم الغيب أولى وأحقَّ ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ [لا يبعد ولا يغيب عن عِلمه] ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ مقدارُ أصغرِ نملةٍ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ من مثقال ذرّةٍ ﴿وَلَآ أَكْبَرُ﴾ من مثقال ذرةٍ ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾ إلا في اللوح المحفوظ.

٤- ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ﴾ [عِلةٌ لقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ وبيان لما يقتضي إتيانها] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [لذنوبهم] ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [ولهم مع مغفرة ذنوبهم عَطِيَّة من الله كريمة، وذلك الجنة، وما أُعِدَّ لهم فيها من الكرامة].

٥- ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ جاهدوا في رَدِّ القرءان ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مسابقين ظانِّينَ أنهم يفوتوننا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾ عذابٌ أليم من سَيِّئِ العذاب.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾

٦- ﴿وَيَرَى﴾ أي ويعلَمُ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ يعني أصحابَ رسول الله ﷺ ومَن يَطأُ أعقابَهم من أُمته ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القرءانَ ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ أي ليعلَمَ أولو العِلم عند مجيء الساعة أنه الحقُّ علمًا لا يُزاد عليه في الإيقان ﴿وَيَهْدِىٓ﴾ اللهُ، أو الذي أنزل إليك ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ وهو دين الله.

٧- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال قريشٌ بعضُهم لبعضٍ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون محمدًا ﷺ، وإنما نكَّروه - مع أنه كان مشهورًا عَلَمًا[(١)] في قريش، وكان إنباؤه بالبعث شائعًا عندهم - تجاهلًا به وبأمره ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾ يُحَدِّثكم بأُعجوبةٍ من الأعاجيب، أنكم تُبعثون وتُنشؤون خلقًا جديدًا بعد أن تكونوا رُفاتًا وترابًا ويُمزِّقَ أجسادَكم البِلَى كلَّ مُمَزَّقٍ، أي يُفرِّقكم كلَّ تفريقٍ.

٨- ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أهو مُفترٍ على الله كذبًا فيما نَسَبَ إليه من ذلك؟ ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ جنونٌ يوهِمُه ذلك ويُلقيه على لسانه ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾ ثم قال سبحانه وتعالى: ليس محمدٌ من الافتراء والجنون في شيء، وهو مُبَرَّأٌ منهما، بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم إليه مِنَ الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك، وذلك أَجَنُّ الجنون، جُعِلَ وقوعُهم في العذاب رسيلًا لوقوعهم في الضلال[(٢)]، كأنهم كائنان في

---

(١) أي كالجبل في الشهرة.
(٢) رسيلًا له: أي قرينًا له في الوقوع.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾

وقتٍ واحدٍ، لأنَّ الضلالَ لَمّا كان العقابُ من لوازمه جُعِلا كأنهما مقترنان، ووصفُ الضلال بالبعيد من الإسناد المجازي، لأنَّ البعيدَ صفةُ الضَّالّ إذا بَعُدَ عن الجادَّة(١).

٩- ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ أَعَمُوا فلم ينظروا إلى السماء والأرض، وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامَهم وخلفَهم محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله، ولم يخافوا أن يخسِفَ اللهُ بهم أو يُسقطَ عليهم كِسَفًا -[أي قطعًا من السماء]- لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فَعَلَ بقارون وأصحابِ الأَيكة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ النظرِ إلى السماء والأرض والفِكر فيهما وما تَدُلَّان عليه من قدرة الله تعالى ﴿لَءَايَةً﴾ لَدِلالةً ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ راجع بقلبه إلى رَبِّهِ مطيع له، إذ المنيبُ لا يخلو من النظر في ءايات الله على أنه قادر على كلّ شيء من البعث ومن عقاب مَن يكفر به.

١٠- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ﴾ [أمرًا فضلناه به على غيره] ﴿يَٰجِبَالُ﴾ قلنا: يا جبال ﴿أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ رَجِّعِي(٢) معه التسبيح، ومعنى تسبيح الجبال أنَّ اللهَ يخلقُ فيها تسبيحًا فيُسمَعُ منها كما يُسمَعُ من المُسبِّح، معجزةً لداود عليه السلام ﴿وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾ عطفٌ على محل الجبال، [وكانت الطير تُسبِّح معه إذا سَبَّح]، وفي هذا النظم من

---

(١) وَصفَ الضلالَ بالبعيد إعلامًا بشدة ضلال أولئك الضالين، لتأكيد معنى الضالين.

(٢) أي: رَدِّدي.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ﴾

الفخامة ما لا يَخفى حيث جُعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين إذا أَمرَهم بالطاعة أطاعوا، وإذا دعاهم أجابوا، إشعارًا بأنه ما من حيوانٍ وجمادٍ إلا وهو منقاد لمشيئة الله تعالى ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠﴾ وجعلناه له ليّنًا كالطين المعجون يُصَرِّفُه بيده كيف يشاء من غير نارٍ ولا ضربٍ بمطرقةٍ.

١١- ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ أمرناه أن اعمل ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ دروعًا واسعةً تامةً [تَعُمُّ الإنسان ما دون رأسه بالتغطية]، وهو أول مَن اتَّخذها، وكان يبيع الدرع بأربعة ءالافٍ فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ لا تجعل المساميرَ دقاقًا فَيَقْلَقَ ولا غلاظًا فَيَفْصِمَ الحَلَقَ[1]، والسَّرْدُ: نَسْجُ الدروع ﴿وَٱعْمَلُوا۟﴾ الضمير لداودَ وأهلِه ﴿صَٰلِحًا﴾ خالصًا يصلح للقَبول ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١﴾ فأجازيكم عليه.

١٢- ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ وسخَّرنا لسليمان الريح، وهي الصَّبا ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ جَريها بالغَداة مسيرةُ شهرٍ، وجَريها بالعَشي كذلك، وكان يغدو من دمشقَ فيَقِيلُ[2] بإصْطَخْرِ فارس[3]، وبينهما مسيرة شهرٍ، ويروحُ من إصطخرَ فيبيت بكابُل[4]، وبينهما مسيرة شهرٍ للراكب المسرع، وقيل: كان يتغدَّى بالرَّي[5] ويتعشَّى بسمرقند ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي

---

(١) لو كان غليظًا يَقسِمُ الحَلَقَ، ولو كان ضعيفًا يضطرب ولا يتماسك، معناه اجعل نسجَهُ معتدلًا، لا ضيقًا ولا واسعًا.
(٢) أي يأخذ القيلولة للراحة، ووقتها عند الظهر عند شدة الحَرّ.
(٣) إصطخر فارس: بلدة بفارس وهي من أقدم مدنها وأشهرها، فتحت سنة ٢٨هـ وسط إمارة عثمان رضي الله عنه.
(٤) كابل: هي اليوم عاصمة أفغانستان.
(٥) الرَّي من عراق العجم.

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾

معدن النحاس، فالقِطر النحاس، وهو الصُّفر[1] ولكنه أسالَهُ، وكان يسيل في الشهر ثلاثة أيام كما يسيل الماء، ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ﴾ وسخَّرنا من الجنّ ﴿مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بأمره ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ ومَن يعدل منهم ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمرناه به من طاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ كان معه مَلَكٌ بيده سَوْطٌ من نارٍ، فَمَن زاغ عن أمر سليمان عليه السلام ضربه ضربةً أحرقته.

١٣- ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ أي مساجدَ أو مساكن ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ [جمعُ تمثال، وهو كل ما صُوِّر على مِثلِ صورة من حيوان أو غير حيوان. قيل: كانت من زجاج ونحاس ورُخام]، وكان التصوير مباحًا حينئذ ﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع جَفْنةٍ[2] ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ جمع جابيةٍ وهي الحِياضُ الكبار، قيل: كان يقعد على الجَفنة ألفُ رجلٍ ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثابتات على الأَثافيّ[3] لا تنزل عنها لعظمها، وقيل: إنها باقية باليمن، وقلنا لهم: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ ارحموا أهلَ البلاد واسألوا ربَّكم العافية، [قيل: المراد من ءال داودَ داودُ نفسُه وقيل: داودُ وسليمانُ وأهل بيتهما] و﴿شُكْرًا﴾ أي شاكرين، وسئل الجنيدُ عن الشكر فقال: بذل المجهود بين يدي المعبود [أي في طاعة الله]. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ المتوفِّرُ على أداء الشكر، الباذل وُسْعَه فيه، قد شَغَلَ به قلبَه ولسانَه وجوارحَه اعتقادًا واعترافًا وكَدْحًا.

---

(١) الصُّفْرُ بالضم: الذي تعمل منه الأواني.

(٢) الجَفْنَةُ: القَصْعَةُ الكبيرة، وقيل: أَعظَمُ القِصَاع الجفنةُ، ثم القَصْعَةُ تليها تُشبعُ العشرة، ثم الصَّحْفَةُ تُشبعُ الخمسة.

(٣) الأَثافيُّ: جمع الأُثْفيَّة والإِثفيَّة بضم الألف وكسرها، وهو الحجر الذي توضع عليه القِدر.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ
تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى
مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ
غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

١٤- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي على سليمان ﴿مَا دَلَّهُمْ﴾ أي الجنَّ وءالَ داود ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ الأَرَضَةُ، وهي دُوَيبَّةٌ يقال لها: سُرْفَةُ، والأَرْضُ فِعْلُها(١) فأضيفت إليه، يقال: أُرِضَتِ الخَشَبةُ أَرْضًا إذا أَكَلَتْها الأَرَضَةُ ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ المِنْسَأَةُ: العصا لأنه يُنْسَأُ بها أي يُطرَد [ويُزْجَرُ] ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ سَقَطَ سليمانُ ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ عَلِمَت الجنُّ كلُّهم عِلمًا بَيِّنًا بعدَ التباسِ الأمر على عامَّتِهم وضَعَفَتِهم، [وقيل: أي: ظهر حالُ الجن للإنس] ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟﴾ بعد موت سليمانَ ﴿فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [العملِ الشاقِّ لهم لظنهم حياتَه، خلاف ادِّعائهم علمَ الغيب].

١٥- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ﴾ موضعِ سُكناهم، وهو بلدُهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها باليمن ﴿ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ﴾ معنى كونهما ءايةً أنَّ أهلها لَمّا أعرضوا عن شكر الله سَلَبَهم اللهُ النعمةَ ليعتبروا ويتَّعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغَمْطِ النِّعَم ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أراد جماعتين من البساتين، جماعةً عن يمين بلدهم، وأخرى عن شمالها، وكلُّ واحدةٍ من الجماعتين في تقاربها وتضامِّها كأنها جنةٌ واحدة، كما تكون بساتين البلاد العامرة ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ حكايةٌ لِمَا قال لهم أنبياءُ الله المبعوثون إليهم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ أي هذه البلدةُ التي فيها رزقُكم بلدةٌ طيبة، وربُّكم الذي رزقكم [وأمركم بشكره] ربٌّ غفور لِمَن شَكَرَه. كانت سبأُ على ثلاث فراسخَ من صنعاء، وكانت أخصبَ البلاد، تخرجُ المرأةُ وعلى رأسها

---

(١) وهو أكلُها الخشبَ.

﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾

المِكتَلُ، فتعمل بيدها، وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المِكتل بما يتساقط فيه من الثمر، ليس فيها بَعوضٌ ولا ذبابٌ ولا بُرغوثٌ ولا عقربُ ولا حيةٌ، ومن يَمُرُّ بها من الغرباء يموت قَملُه لطيب هوائها.

١٦- ﴿فَأَعْرَضُوا۟﴾ عن دعوة أنبيائهم، وكذبوهم وقالوا: ما نعرف لله علينا نعمةً ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ أي المطرَ الشديدَ، أو العَرِمُ اسمُ الوادي، أو هو الجُرَذُ(١) الذي نَقَبَ عليهم السَّكْرَ(٢)، لمَّا طغوا سلَّط الله عليهم الجُرَذَ فنَقَبَه من أسفلَ فغرَّقهم ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ﴾ المذكورتين ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ وتسميةُ البَدَلِ جنتين للمشاكلة وازدواج الكلام [والتَّهكُّم]، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الشورى] ﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ الأُكُلُ: الثَّمَرُ، والخَمْطُ: شجرُ الأراك، أو كلُّ شجرٍ ذي شوكٍ ﴿وَأَثْلٍ﴾ الأَثْلُ: شجرٌ يشبه الطَّرْفاءَ(٣) أعظم منه وأجود عُودًا ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ [السِّدْرُ: شجر النَّبِقِ]، وقلَّلَ السِّدْرَ لأنه أكرم ما بُدِّلوا، لأنه يكون في الجنان.

١٧- ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ﴾ جزيناهم ذلك بكفرهم ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ وهل نجازي مثل هذا الجزاء إلا مَن كفر النعمة ولم يشكرها، أو كفر بالله.

١٨- ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالتوسعة على أهلها في النِّعَم، وهي قرى الشام ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ متواصلةً

---

(١) الجُرَذ: الفأر الكبير.
(٢) السَّكْرُ بفتح السين وكسرها: السَّدُّ على الماء.
(٣) الطَّرفاءُ: نوعٌ من الشجر لا ثَمَرَ له.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا
وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ
شَكُورٖ ۝١٩ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾

يُرى بعضُها من بعض لتقاربها، أو ظاهرة للسَّابلة[1] لم تبعُد عن مسالكهم ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ﴾ جعلنا هذه القرى على مقدارٍ معلوم، يَقِيْلُ المسافرُ في قريةٍ ويروحُ في أخرى إلى أن يبلغ الشامَ ﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾ وقلنا لهم: سيروا، [أو] لا قولَ ثَمَّةَ، ولكنهم لَمّا مُكِّنوا من السير وسُوِّيت أسبابُه فكأنهم أُمروا بذلك ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨﴾ سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار، فإنَّ الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات، أو لا تخافون عدوًّا ولا جوعًا ولا عطشًا.

١٩- ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قالوا: يا ليتها كانت بعيدةً، فنسيرَ على نجائبنا[2]، ونربحَ في التجارات، ونُفاخِرَ في الدوابّ والأسباب، بَطِروا النِّعمةَ[3] ومَلُّوا العافية، فطلبوا الكَدَّ والتعب ﴿وَظَلَمُوٓاْ﴾ بما قالوا ﴿أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدثُ الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ وفرَّقناهم تفريقًا اتَّخذه الناسُ مَثَلًا مضروبًا، يقولون: ذهبوا أيدي سَبَا، وتفرَّقوا أَيادِيَ سَبَا، فلحق غسَّانُ[4] بالشام، وأَنمارُ بيثربَ، وجُذامُ بِتِهامَةَ، والأَزْدُ بعُمانَ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٖ ۝١٩﴾ للنّعم، أو لكلِّ مؤمن، لأن الإيمانَ نِصفُه شكرٌ ونِصفُه صبرٌ[5].

٢٠- ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ أي حقَّقَ عليهم ظنَّهُ [أنهم بإغوائه

---

(١) السَّابِلَةُ: الجماعةُ المختلفةُ في الطرقات في حوائجهم.
(٢) النَّجيبُ والنَّجيبةُ من الإبل: المختارةُ التي يُسابَقُ عليها.
(٣) أي: لم يشكروها.
(٤) يعني القبيلة.
(٥) نِصفه شكرٌ أي عملٌ بالطاعات، ونِصفُه صبر أي كفُّ النفس عن المعاصي.

﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

يتَّبعونه] ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾ الضمير لأهل سبأ، أو لبني ءادم، وقلَّل المؤمنين بقوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ لقِلَّتهم، بالإضافة إلى الكفار.

٢١- ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ﴾ لإبليس ﴿عَلَيْهِم﴾ على الذين صار ظنُّه فيهم صدقًا ﴿مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ من تسليطٍ واستيلاءٍ بالوَسْوَسة ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ [إلا لنعلم] موجودًا ما علمناه معدومًا، والتغيُّر على المعلوم لا على العلم[1]، [أما الغيب فهو داخل في علم الله تعالى الأزلي لا يطرأ عليه زيادة ولا نقصان، وقيل: معنى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ إلا لنُظهِرَ - أي للخلق - وهو كما تقول: النارُ تُحرق الحطبَ، فيقول ءاخر: بل الحطب يُحرق النارَ، فتقول: تعالَ نُجربُ النارَ والحطبَ لنعلمَ أيهما يُحرق صاحبَه، أي لنُظهِرَ ذلك، وإن كان ذلك معلومًا لك] ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [عالمٌ به يحفظُهُ على صاحبه ليجازيَهُ جزاءَ عمله].

٢٢- ﴿قُلِ﴾ لمشركي قومك: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ زعمتموهم ءالهةً من دون الله وانتظِروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته [وهذا توبيخ لهم وتقريع] ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خيرٍ أو شرٍّ أو نفعٍ أو ضرٍّ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ من شِركةٍ في الخلق ولا في المُلك ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ تعالى ﴿مِنْهُم﴾ من ءالهتهم ﴿مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ من [مُعين] يعينه على تدبير خلقه، يريد أنهم

---

(١) علم الله أزلي أبدي شامل لكل ما هو كائن في كل زمان ومكان لم يتغير، إنما معلومه تغير، معلوم الله في هذا المقام هو الحادثات، فالمراد من حصولِ العلمِ حصولُ متعلَّقِهِ.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣ ۞قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾

على هذه الصفة من العجز فكيف يصحُّ أن يُدعَوا كما يُدعَى ويُرجَوا كما يُرجَى.

٢٣- ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾ الله، يعني إلا مَن وقع الإذن للشفيع لأجله، [وهو لا يأذن في الشفاعة إلا للمؤمنين]، وهذا تكذيب لقولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ أي كُشِفَ الفَزَعُ عن قلوب الشافعين[1] والمشفوع لهم [حين وردَ عليهم كلامُ الله تعالى بالإذن بالشفاعة] ﴿قَالُواْ﴾ سأل بعضهم بعضًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ أي قولَ الحقِّ، وهو الإذنُ بالشفاعة لِمَن ارتضى ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ ذو العُلُوِّ والكبرياء، ليس لمَلَكٍ ولا نبيّ أن يتكلَّم ذلك اليوم إلا بإذنه، وأن يشفع إلا لِمَن ارتضى.

٢٤- ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ أَمَرَه بأن يُقرِّرَهم بقوله: مَن يرزقكم، ثم أَمره بأن يتولَّى الإجابةَ والإقرارَ عنهم بقوله: يرزقكم الله، وذلك للإشعار بأنهم مُقِرُّون به بقلوبهم، إلا أنهم ربما أَبَوا أن يتكلموا به، لأنهم إن تفوَّهوا بأنَّ الله رازقُهم لزمَهم أن يقال لهم: فما لكم لا تعبدون مَن يرزقكم، وتُؤثرون عليه مَن لا يقدر على الرَّزق؟! وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ وإنَّ أحدَ الفريقين من الموحِّدين ومن المشركين لَعَلَى أحد الأمرين من الهدى والضلال، وهذا من كلام المنصف، وفي

---

(١) معلوم أن الأنبياء والأتقياء ءامِنُون يومَ القيامة لا يخشَون أن يُصيبَهم عذابٌ، لكن يكون فيهم خوفُ الإجلال والتعظيم لله عزَّ وجلَّ.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

دَرْجِهِ[1] بعد تَقْدِمَةِ ما قُدِّمَ من التقرير دِلالةٌ غيرُ خفيَّةٍ على مَن هو مِن الفريقين على الهدى ومَن هو في الضلال المبين، ولكنَّ التعريضَ أوصَلُ بالمجادل إلى الغرض.

٢٥- ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [أي إنما أدعوكم لنَفعِكم ودَفعِ الضُّرِّ عنكم، لا لنفعنا ودفع الضُّرِّ عن أنفسنا، فإنكم لا تؤاخذون عما أجرمنا نحن من جُرم وركِبنا من إثم ولا نُسألُ نحن عما تعملون أنتم من عمل].

٢٦- ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يومَ القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يَحكُمُ ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ بلا جَوْرٍ ولا مَيْلٍ ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكمُ ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ بالحكم.

٢٧- ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم﴾ ألحقتموهم ﴿بِهِۦ﴾ بالله ﴿شُرَكَآءَ﴾ في العبادة معه، ومعنى قوله: ﴿أَرُونِيَ﴾ وكان يراهم: أن يُرِيَهم الخطأَ العظيم في إلحاق الشركاء بالله ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه، أي ارتدِعوا عن هذا القول وتنبَّهوا عن ضلالكم ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب فلا يشاركه أحد ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ في تدبيره.

٢٨- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ أرسلناك جامعًا للناس في الإنذار والإبلاغ ﴿بَشِيرًا﴾ بالفضل لِمَن أَقَرَّ ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالعدل لِمَن أَصَرَّ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فيحملُهم جهلُهم على مخالفتك.

(١) وفي دَرْجِهِ: أي وفي طَيِّهِ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ
عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ
يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ
يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾

٢٩- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي القيامةُ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يخاطبون رسولَ الله ﷺ والمؤمنين].

٣٠- ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ لا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال، ولا التقدم إليه بالاستعجال، ووجهُ انطباق هذا الجواب على سؤالهم أنهم سألوا عن ذلك وهم منكِرون له تعنُّتًا لا استرشادًا، فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقًا للسؤال على الإنكار والتعنُّت، وأنهم مُرصَدون ليومٍ يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرًا عنه ولا تقدمًا عليه.

٣١- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي أبو جهل وذووه ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ﴾ أي ما نزلَ قبلَ القرءان من كتب، أو القيامةِ والجنةِ والنار، يعني أنهم جحدوا أن يكون القرءان من الله، وأن يكونَ لِمَا دَلَّ عليه من الإعادة للجزاء حقيقةٌ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ محبوسون ﴿عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ﴾ يردُّ ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ في الجدال، أَخبرَ عن عاقبة أمرِهم ومآلِهم في الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام: ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أَطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيتَ العجبَ ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ أي الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ للرؤوس والمقدَّمين ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ لولا دعاؤكم إيَّانا إلى الكفر لكنَّا مؤمنين بالله ورسوله ﷺ.

٣٢- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ المرادُ إنكار أن يكونوا هم الصَّادِّينَ لهم عن الإيمان،

﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ
فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ
إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾

وإثبات أنهم هم الذين صدُّوا بأنفسهم عنه، وأنهم أُتُوا من قِبَلِ اختيارهم ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ كافرين لاختياركم وإيثارِكم الضلالَ على الهدى لا لقولِنا.

٣٣- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بل مَكْرُكم بنا في الليل والنهار ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ أشباهًا، كأنهم قالوا: ما كان الإجرامُ من جهتنا، بل من جهة مكركم لنا دائبًا ليلًا ونهارًا، وحَمْلِكم إيّانا على الشرك واتخاذ الأنداد ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أضمروا أو أظهروا، وهو من الأضداد ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ الجحيم ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في أعناقهم، فجاءَ بالصريح للدلالة على ما استحقُّوا به الأغلالَ ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ في الدنيا.

٣٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ نبيّ ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ مُتنعِّمُوها ورؤساؤها ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ هذه تسليةٌ للنبيّ ﷺ مما مُنِيَ به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به، وأنه لم يُرسِلْ قَطُّ إلى أهل قريةٍ من نذيرٍ إلا قالوا له مثلَ ما قال لرسول الله ﷺ أهلُ مكة، وافتخروا بكثرة الأموال والأولاد، كما قال:

٣٥- ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ أرادوا أنهم أكرمُ على الله من أن يُعذِّبَهم نظرًا إلى أحوالهم في الدنيا، وظنُّوا أنهم لو لم يَكْرُموا على الله لَمَا رزقَهم، ولولا أنَّ المؤمنين هانوا عليه لَمَا حَرَمَهم، فأبطلَ اللهُ ظنَّهم بأنَّ الرزق فضلٌ من الله يَقسِمُه كيف

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ
وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ
بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ
مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ
فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

يشاء، فربما وَسَّعَ على العاصي وضَيَّق على المُطيع، وربما عكس، وربما وسَّعَ عليهما، أو ضيَّق عليهما، فلا يَنْقاسُ عليهما أَمرُ الثواب بقوله:

٣٦- ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ قَدْرُ الرزق تَضييقُه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴿٧﴾﴾ [سورة الطلاق] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ذلك.

٣٧- ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [أي درجةً ومنزلةً] ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يعني أنَّ الأموالَ لا تُقرِّبُ أحدًا إلا المؤمنَ الصالحَ الذي يُنفقها في سبيل الله، والأولادَ لا تُقرِّبُ أحدًا إلا مَن علَّمهم الخيرَ وفَقَّههم في الدين ورشَّحَهم للصلاح والطاعة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ تُضاعف لهم حسناتُهم الواحدةُ عشرًا ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ بأعمالهم ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ غُرَفِ منازِلِ الجنة ﴿ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ من كُلِّ هائلٍ وشاغلٍ.

٣٨- ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ في إبطالها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ [ظانِّينَ أنهم يفوتوننا] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [تُحضِرُهم زبانية جهنم فيها].

٣٩- ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يُوسِّعُ ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ يُعَوِّضُه لا مُعَوِّضَ سواه، إما عاجلًا بالمال أو ءاجلًا بالثواب ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ المُطْعِمين، لأنَّ كلَّ ما رَزَقَ غيرَهُ من سلطانٍ أو سيدٍ أو غيرهما فهو مِن رزقِ الله،

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾

أَجراهُ على أيدي هؤلاء، وهو خالقُ الرّزقِ وخالقُ الأسباب التي بها ينتفع المرزوقُ بالرِّزق، وعن بعضهم: الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي، فكم من مشتهٍ لا يَجِد، وواجدٍ لا يشتهي.

٤٠- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ هذا خطابٌ للملائكة، وتقريعٌ للكفار، [وقد علمَ الله تعالى أن الملائكة مُنَزَّهون بُرَءاءُ مما وُجِّهَ إليهم من السؤال، وإنما ذلك على طريق توقيف الكفار، وقد علمَ سوء ما ارتكبوه من عبادة غير الله، وأن مَن عبدوه مُتبرئ منهم] ونحوه قوله تعالى [خطابًا لعيسى عليه السلام]: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى ﴿١١٦﴾﴾ الآيةَ [سورة المائدة].

٤١- ﴿قَالُوا۟﴾ أي الملائكةُ: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك أن يُعبَدَ معك غيرُكَ ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أنت الذي نواليه [ونلتمس قربَهُ بإخلاص العبادة له] ﴿مِن دُونِهِم ۖ﴾ إذ لا موالاة بيننا وبينهم، فبيَّنوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءَتهم من الرضا بعبادتهم لهم ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ﴾ الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله، أو كانوا يدخلون في أجواف الأصنام فيُعبَدون بعبادتها[1] ﴿أَكْثَرُهُم﴾ أكثرُ الإنسِ أو الكفارِ ﴿بِهِم﴾ بالجن ﴿مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٤٢- ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لأنَّ الأمر في ذلك اليوم لله وَحدَهُ، لا يَمْلِكُ فيه أحدٌ منفعةً ولا مَضَرَّةً لأحدٍ، لأنَّ الدارَ دارُ ثوابٍ وعقابٍ، والمُثيبُ والمُعاقِبُ هو الله، فكانت حالُها خلافَ حالِ الدنيا التي هي دار التكليف، والناس فيها مُخلًّى بينهم يتضارُّون

---

(١) الشياطين كانوا يدخلون في بعض الأشجار، وبعض قبائل العرب كانت تعبد تلك الأشجار.

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

ويتنافعون، والمرادُ أنه لا ضارَّ ولا نافع يومئذٍ إلا هو. ثم ذكرَ عاقبةَ الظالمين بقوله: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بوضعِ العبادة في غير موضعها ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ في الدنيا.

٤٣- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ إذا قُرِئَ عليهم القرءانُ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحاتٍ ﴿قَالُوا۟﴾ أي المشركون: ﴿مَا هَٰذَآ﴾ أي محمدٌ ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ أي القرءانُ ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ [كذب] ﴿مُّفْتَرًى ۚ﴾ [بإضافته إلى الله تعالى] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾ للقرءان أو لأمر النبوة كُلِّه ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وعجزوا عن الإتيان بمثله ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ الحقُّ ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ بَتُّوه على أنه سحر، ثم بتُّوه على أنه بَيِّنٌ ظاهر.

٤٤- ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ﴾ ما أعطينا مشركي مكَّة كُتبًا يدرسونها فيها بُرهانٌ على صِحةِ الشرك ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ ولا أرسلنا إليهم نذيرًا يُنذرهم بالعقاب إن لم يشركوا!

ثم توعَّدَهم على تكذيبهم بقوله:

٤٥- ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وكذَّب الذين تقدَّموهم من الأمم الماضية والقرونِ الخاليةِ الرُّسُلَ كما كذَّبوا ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ وما بَلغَ أهلُ مكة عُشر ما أُوتيَ الأوَّلون من طول الأعمار وقوَّة الأجرام وكثرة الأموال ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ أي فحين كذبوا رسُلَهم جاءهم إنكاري بالتدمير والاستئصال ولم يُغن عنهم استظهارُهم بما هم مُستظهِرون، فما بال هؤلاء.

﴿۞قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾﴾

٤٦- ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ بِخَصْلةٍ واحدةٍ، فَسَّرَها بقوله: ﴿أَن تَقُومُواْ﴾ والمعنى: إنما أعظكم بواحدةٍ إن فعلتموها أصبتم الحقَّ وتخلَّصتم، وهي أن تقوموا ﴿لِلَّهِ﴾ لوجه الله خالصًا، لا لحَمِيَّةٍ وعصبيةٍ، بل لطلب الحقّ ﴿مَثۡنَىٰ﴾ اثنين اثنين ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾ فردًا فردًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ في أمر محمدٍ ﷺ وما جاء به، أما الاثنان فيتفكَّران ويَعرِضُ كلُّ واحدٍ منهما محصولَ فِكرهِ على صاحبه، وينظران فيه نَظَرَ الصِّدقِ والإنصافِ حتى يؤديَهما النظرُ الصحيح إلى الحقّ، وكذلك الفردُ يتفكَّر في نفسه بعدلٍ ونَصَفَةٍ ويَعرِضُ فِكرَهُ على عقله، ومعنى تفرُّقهم مَثْنَى وفُرادى أنَّ الاجتماع مما يُشَوِّشُ الخواطرَ، ويُعمي البصائرَ، ويَمنعُ من الرَّوِيَّةِ، ويَقِلُّ الإنصافُ به ويَكثُر الاعتسافُ ويَثورُ عَجاجُ[1] التَّعَصُّب، ولا يُسمَعُ إلا نُصرةُ المذهب ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ يعني محمدًا ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍۚ﴾ جنونٍ، والمعنى: ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جِنَّةٍ ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾﴾ قُدَّامَ عذابٍ شديدٍ، وهو عذابُ الآخرة.

ثم بَيَّنَ أنه لا يَطلبُ أجرًا على الإنذار بقوله:

٤٧- ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ﴾ على إنذاري وتبليغي الرسالةَ ﴿فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾ معناه نفي مسألة الأجر رأسًا، نحو: ما لي في هذا فهو لك، أي ليس لي فيه شيء ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ﴾ [ما ثوابي] ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾﴾ فيعلَمُ أني لا أطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه إلا مِنْهُ.

---

(١) العَجاجُ: الغبارُ، والدُّخانُ كذلك.

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝٤٨ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩ قُلۡ إِن
ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ۝٥٠ وَلَوۡ تَرَىٰٓ
إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٥١﴾

٤٨- ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالوحي، والقذفُ: توجيهُ السهم ونحوه بدفع واعتمادٍ، ويُستعارُ لمعنى الإلقاء، ومنه: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ ۝٢٦﴾ [سورة الأحزاب] ومعنى ﴿يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾: يُلقيه ويُنزله إلى أنبيائه، أو يرمي به الباطلَ فيَدْمَغُه ويُزْهِقُهُ ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝٤٨﴾ [أي هو علَّام الغيوب، فلا تخفى عليه حقائق الأشياء].

٤٩- ﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ الإسلام أو القرءان ﴿وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩﴾ قيل: الباطل الأصنام، وقيل: إبليس، أي لا يخلقُ الشيطانُ ولا الصنمُ أحدًا ولا يبعثه، فالمُنْشِئُ والباعث هو الله.

ولَمّا قالوا: قد ضللتَ بترك دين ءابائك، قال الله تعالى:

٥٠- ﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ﴾ عن الحقّ ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ﴾ إن زَلَلْتُ فَمِنّي وعَلَيَّ ﴿وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ﴾ فبتسديده بالوحي إليَّ ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٞ﴾ لِمَا أقوله لكم ﴿قَرِيبٞ ۝٥٠﴾ مني ومنكم [أي بالعلم، وقيل معناه: سميع ممن دعاه قريبُ الإجابة].

٥١- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ أي لرأيت أمرًا عظيمًا وحالًا هائلةً ﴿إِذۡ فَزِعُواْ﴾ عند البعث، أو عند الموت، أو يومَ بدرٍ ﴿فَلَا فَوۡتَ﴾ فلا مَهْرَبَ، أو فلا يفوتون الله ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٥١﴾ من الموقف إلى النار إذا بُعثوا، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا، أو من صحراء بدرٍ إلى القليب[١].

---

(١) القليبُ: المكان الذي دفن فيه قتلى بدر من المشركين.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٢ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ
وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن
قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ٥٤﴾

٥٢- ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ حين عاينوا العذاب ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بمحمدٍ عليه الصلاة والسلام، أو بالله تبارك وتعالى ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٢﴾ التناوش: التناول، أي كيف يتناولون التوبة وقد بَعُدَت عنهم [إذ هم في الآخرةِ، ومحلُ التوبة في الدنيا]، يريد أنَّ التوبةَ كانت تُقبل منهم في الدنيا، وقد ذهبت الدنيا وبعُدت من الآخرة.

٥٣- ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ﴾ مِن قَبلِ العذاب، أو في الدنيا ﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ وكانوا يتكلّمون بالغيب يقولون: لا بَعثَ ولا حسابَ ولا جنةَ ولا نارَ ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٣﴾ عن الصدق، أو عن الحق والصواب.

٥٤- ﴿وَحِيلَ﴾ وَحُجِزَ ﴿بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ من نفع الإيمان يومَئذٍ والنجاةِ به من النار والفوزِ بالجنة ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ﴾ بأشباههم من الكفرة ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ﴾ في أمر الرُّسل والبعث ﴿مُّرِيبِۭ ٥٤﴾ موقع في الرِّيبة، هذا ردٌّ على مَن زعم أنَّ الله لا يُعذِّب على الشَّك.

سورة فاطر
مكية وهي خمس وأربعون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ حَمِدَ ذاته تعليمًا وتعظيمًا ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مبتدِئِها ومبتدِعها ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [خَلَقَهما على غير مِثالٍ سبق] ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى عباده ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ المعنى أنَّ الملائكة طائفةٌ أجنحتُهم اثنان اثنان، أي لكلّ واحدٍ منهم جناحان، وطائفة أجنحتهم ثلاثةٌ ثلاثة، ولعلَّ الثالثَ يكون في وسط الظَّهر بين الجناحين يَمُدُّهما بقوةٍ، وطائفة أجنحتُهم أربعةٌ أربعة ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾ في خلق الأجنحة وغيرِه ﴿مَا يَشَآءُۚ﴾ وقيل: الآية مطلقة تتناول كلَّ زيادةٍ في الخلق، من طول قامةٍ، واعتدال صورةٍ، وتمامٍ في الأعضاء، وقوةٍ في البطش، وحَصَافةٍ في العقل[1]، وجَزَالةٍ في الرأي[2]، وذلاقة في اللسان[3]، ومحبةٍ في قلوب المؤمنين، وما أشبه ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١﴾ [لا يمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى].

---

(١) حَصَافَةُ العقل: استحكامُهُ وقوَّتُهُ.
(٢) جَزَالَةُ الرأي: جَوْدَتُه وفخامته وإحكامه.
(٣) ذَلاقَةُ اللسان: حِدَّتُه وطلاقتُه.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾

٢- ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ مِن أَيَّةِ رحمةٍ، رزقٍ أو مطرٍ أو صِحَّةٍ أو غيرِ ذلك ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ﴾ فلا أحدَ يقدر على إمساكها وحبسِها، واستُعير الفتحُ للإطلاق والإرسال، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ يمنعْ ويحبسْ ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ مُطلِقَ له ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ من بعد إمساكِهِ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالبُ القادر على الإرسالِ والإمساك ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ الذي يُرسِلُ ويُمسك ما تقتضي الحكمة إرسالَه وإمساكَه.

٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟﴾ باللسان والقلب ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ﴾ من بسط الأرض كالمهاد، ورفع السماء بلا عمادٍ، وإرسالِ الرُّسُل لبيان السبيل، والزيادة في الخلق، وفتح أبواب الرزق، ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [استفهامٌ بمعنى النفي، أي لا خالق سوى فاطر السماوات والأرض الذي بيده[(١)] مفاتيح أرزاقكم ومَغاليقُها] ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِۚ﴾ بأنواع النبات ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ فَمِنْ أَيِّ وَجْهٍ تُصرَفون عن التوحيد إلى الشرك.

٤- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَۚ﴾ نَعَى به على قريشٍ سوءَ تَلَقِّيهم لآيات الله وتكذيبَهم بها، وسَلَّىٰ رسولَه[(٢)] ﷺ بأنَّ له في الأنبياء قبلَه أُسوةً ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾ كلامٌ يَشتمِلُ على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حُكمِهِ ومجازاة المُكذِّبِ والمُكذَّبِ بما يَستحقّانه.

---

(١) أي: بتصرُّفه.

(٢) أي: خَفَّفَ عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾

٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقّٞۖ﴾ كائنٌ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ فلا تَخْدَعَنَّكم الدنيا، ولا يُذهِلَنَّكم التمتُّع بها، والتلذّذُ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ أي الشيطانُ فإنه يُمَنِّيكمُ الأمانِيَّ الكاذبةَ[1] ويقول: إنَّ الله غنيٌّ عن عبادتك وعن تعذيبك.

٦- ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾ ظاهرُ العَداوة، فَعَلَ بأَبيكم ما فَعَلَ، وأنتم تعاملونه معاملةَ مَن لا عِلمَ له بحاله ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ في عقائدكم وأفعالكم، ولا يُوْجَدَنَّ منكم إلا ما يَدُلُّ على معاداته في سِرِّكم وجَهركم، ثم لَخَّصَ سِرَّ أَمرِه وخطأَ مَن اتَّبَعَهُ بأَنَّ غرضَهُ في دعوة شيعته هو أن يُورِدَهم مَوْرِدَ الهلاك بقوله: ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ ثم كشفَ الغِطاءَ فبنَى الأمرَ كلَّه على الإيمان وتركِهِ فقال:

٧- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ أي فمَن أَجابَه حين دعاه فله عذابٌ شديد، لأنه صار من حزبه، أي أتباعِه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ولم يُجيبوه ولم يَصيروا من حِزبه بل عادَوْهُ ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧﴾ لِكِبَرِ جهادِهم. ولمَّا ذكرَ الفريقين قال لنبيّه عليه الصلاة والسلام:

٨- ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ بتزيين الشيطان كَمَن لم يُزَيَّنْ له؟! أو كمَنْ هَدَاهُ الله؟! فحُذِفَ لدلالةِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ عليه ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [أي: لا تُهلِكْ

---

(١) بمعنى: يَعِدكم الوعودَ الكاذبة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾

نفسَكَ تأسُّفًا عليهم وتَحسُّرًا] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨﴾ وعيدٌ لهم بالعقاب على سوءِ صَنيعهم.

٩- ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ [أي تجمعُه بإثارته[1] من مواضعه] ﴿فَسُقۡنَٰهُ﴾ [أي تسوقه الرياح بأمرنا وتقديرنا] ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ [ليس فيه نبات ولا مرعى] ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ﴾ بالمطر لتقدُّم ذكره ضِمنًا ﴿ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ يُبسها ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ مثلُ إحياءِ المَواتِ نشورُ الأموات، [أي البعث بعد الموت].

١٠- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ العِزَّةُ كلُّها مختصةٌ بالله، عِزَّةُ الدنيا وعِزَّةُ الآخرة، وكان الكافرون يتعزَّزون بالأصنام كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ۝٨١﴾ [سورة مريم]، والذين ءامنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعزَّزون بالمشركين، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ۝١٣٩﴾ [سورة النساء]، فبيَّنَ أَنْ لا عِزَّةَ إلا لله، والمعنى فليطلبها عند الله، لأنَّ الشيء لا يُطلبُ إلا عند صاحبه ومالكه، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ ومعنى قوله إليه: إلى مَحلِّ القَبول والرضا، وكلُّ ما اتصف بالقبول وُصِف بالرفعة والصُّعودِ، والكَلِمُ الطيّب: [ككلماتِ] التوحيد أي لا إلـٰه إلا الله، والعمل الصالح: العبادة الخالصة، يعني والعملُ الصالح يرفعُهُ الكلمُ الطيب فالرافع الكلمُ والمرفوعُ العملُ لأنه لا يُقبَلُ عملٌ إلا مِن مُوَحِّدٍ ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المَكَرَاتِ السيئاتِ، والمرادُ مَكرُ قريشٍ به

---

(١) أي: بتحريكه.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾

عليه الصلاة والسلام حين اجتمعوا في دار الندوة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ ومَكرُ أولئك الذين مكروا هو خاصَّةً يبور، أي يفسُدُ ويبطل دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتَلَهم وأَثبتهم في قَليب بدرٍ، فجمَعَ عليهم مكراتِهم جميعًا وحقَّقَ فيهم قولَه تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأنفال]، وقولَه: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة فاطر].

١١- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم﴾ أي أباكم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ﴾ أنشأكم ﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا، أو ذُكرانًا وإناثًا ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ إلا معلومةً له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ وما يُعَمَّرُ من أحدٍ، وإنما سَمَّاهُ معمَّرًا بما هو صائرٌ إليه ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ يعني اللوحَ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي إحصاءَهُ، أو زيادةَ العمر ونُقصانَه ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ سهل.

١٢- ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا﴾ أي أحدُهما ﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديدُ العُذوبة ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ مَريءٌ[1] سَهلُ الانحدار لعُذوبته ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديدُ المُلوحة ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ ومِنْ كلّ واحدٍ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمكُ ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمَرجان ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ﴾ في كلٍّ ﴿مَوَاخِرَ﴾ شَوَاقَّ للماء بجريها، يقال: مَخَرَت السفينةُ الماءَ: أي شَقَّتْهُ ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [لتطلبوا بركوبكم

---

(١) أي: طيّبُ المَساغ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾

فيها لمعايشكم] من فضل الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ الله على ما ءاتاكم من فضله.

١٣- ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يُدخِلُ مِن ساعات أحدهما في الآخر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [ذَلَّلهما في المسير بالطلوع والغروب لا يمتنعان عما سخَّرهما له، وعلَّقَ بهما معايش العباد ومصالحهم كما علَّق ذلك بتفاوت الليل والنهار في الفصول] ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي يومَ القيامة ينقطعُ جَرْيُهما ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [لا يخرج شيء في السماوات والأرض ومَن فيهما عن مِلكه ومُلكه فإيّاه فاعبدوا دون الأصنام] ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأصنامَ التي تعبدونها من دون الله ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ وهي القشرة الرقيقةُ الملتفَّةُ على النَّوَاةِ.

١٤- ﴿إِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ لأنهم جمادٌ ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ على سبيل الفرض ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ لأنهم لا يَدَّعون ما تَدَّعون لهم مِنَ الإلهية ويتبرأون منها ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ بإشراككم لهم، وعبادتِكم إياهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ ولا [يُخبِرُكَ] أيها المفتونُ بأسباب الغرور [مُخبِرٌ كما يُخبِرُكَ] اللهُ الخبيرُ بخَبايا الأمور.

١٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الخَلْقُ محتاجون إليه في كل نَفَسٍ وخَطْرَةٍ ولحظةٍ، وكيف لا ووجودُهم به، وبقاؤهم به ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن الأشياء أجمعَ ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [المستحِقُّ للحمد].

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ
ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

١٦- ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ كلَّكم إلى العدم، فإنَّ غِناه بذاته لا بكم في القِدَم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ يخلق بعدَكم مَن يعبده لا يشرك به شيئًا، وهو بدون حمدِكم حميد.

١٧- ﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ الإنشاء والإفناء ﴿عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ بمُمتنعٍ.

١٨- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ولا تحملُ نفسٌ ءاثمة إثمَ نفسٍ أخرى ولا تؤاخذ نفسٌ بذنب نفس ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ نفسٌ مُثقلةٌ بالذنوب أحدًا ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ ثِقْلِها، أي ذنوبها ليتحمَّلَ عنها بعضَ ذلك ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعوُّ ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ ذا قرابةٍ قريبةٍ كأبٍ أو ولدٍ أو أخٍ، والفرق بين معنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ومعنى ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ أنَّ الأوَّلَ دالٌّ على عَدْلِ الله في حُكمِه وأنه لا يؤاخِذُ نفسًا بغير ذنبها، والثانيَ في بيان أنه لا غِياثَ يومئذٍ لِمَن استغاث حتى إنَّ نفسًا قد أثقلتها الأوزارُ لو دعت إلى أن يُخفَّف بعضُ وِقْرِها[1] لم تُجَبْ ولم تُغَث وإن كان المدعوُّ بعضَ قرابتها ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ إنما ينتفعُ بإنذارك هؤلاء ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أي يخشونَ ربَّهم غائبين عن عذابه، وقيل: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ في السرِّ حيث لا اطِّلاع للغير عليه ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في مواقيتها ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهَّرَ بفعلِ الطاعات وتركِ المعاصي ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ [فنفع ذلك له] ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ المرجعُ، وهو وعد للمتزكَّينَ بالثواب.

---

(١) الوِقْرُ: الحِملُ الثقيل.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا
يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ
إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾

١٩- ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ مَثَلٌ للكافر والمؤمن، أو للجاهل والعالِم.

٢٠- ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ مَثَلٌ للكفر ﴿وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾ للإيمان.

٢١- ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ الحقُّ والباطلُ، أو الجنةُ والنارُ، والحَرورُ: الريحُ الحارُّ كالسَّموم إلا أنَّ السَّمومَ تكون بالنهار، والحرورَ بالليل والنهار.

٢٢- ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ مَثَلٌ للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾[(١)] يعني أنه قد عَلِمَ مَن يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه، فيهدي مَن يشاء هدايتَهُ، وأما أنت فَخَفيٌّ عليك أَمرُهم، فلذلك تَحرِصُ على إسلام قومٍ مخذولين. شبَّه الكفارَ بالموتَى حيث لا ينتفعون بمسموعهم.

٢٣- ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ ما عليك إلا أن تُبلّغَ وتُنذرَ، فإن كان المنذَرُ ممن يسمع الإنذارَ نُفِع، وإن كان من المُصِرِّينَ فلا عليك.

٢٤- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ محقًّا، أو مصحوبًا بالحق ﴿بَشِيرًا﴾ بالوعد ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالوعيد ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ وما من أُمةٍ قبل أُمتِك. والأُمةُ:

---

(١) هذه الآية ليس فيها دليل لِمَا تدعيه الوهابية من إنكارهم التوسلِ بالأولياء، يقال لهم: الآية مُؤوَّلة لثبوت حديث أن الرسول ﷺ نادى قتلى بدر الكفار، فقيل له: أتكلم يا رسولَ الله أجسادًا لا أرواحَ لها؟ فقال: «**والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ ما أنتُمْ بأسمعَ لِما أقولُ منهم**». وحديثِ تلقين الميت، فإن فيه أن الميت عندما يُلقِنه المُلقن يقول الميت: أرشِدنا رَحِمَكَ اللهُ، وهذا دعاء من الميت للمُلَقِّن.

﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ﴾

الجماعة الكثيرة، ويقال لأهل كلِّ عَصرٍ: أُمةٌ، والمراد هنا أهلُ العصر، وقد كانت ءاثار النِّذَارَةِ باقيةً فيما بين عيسى ومحمدٍ عليهم الصلاة والسلام فلم تَخْلُ تلك الأمم من نذيرٍ، وحين اندرست ءاثارُ نِذَارَةِ عيسى عليه السلام بُعِث محمد عليه الصلاة والسلام ﴿إِلَّا خَلَا﴾ مضى ﴿فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ يُخَوِّفُهم وَخامَةَ الطغيان وسوءَ عاقبة الكفران، [أي ما أخلينا أُمةً عن رسول].

٢٥- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رُسُلَهم ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ وبالصُّحُفِ [كصحف إبراهيم عليه السلام] ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ أي [الكتاب المنزل على رسول ذلك الزمان المنوِّر الموضِّح لِمَا يحتاجون إليه كالتوراة] والإنجيل والزبور، ولَمّا كانت هذه الأشياء في جنسهم أُسند المجيء بها إليهم إسنادًا مطلقًا وإن كان بعضُها في جميعهم وهي البينات، وبعضُها في بعضهم وهي الزُّبُر والكتابُ، وفيه مَسلاةٌ[1] لرسول الله ﷺ، [أي فاصبر كما صبروا].

٢٦- ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ﴾ عاقبت ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بأنواع العقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ إنكاري عليهم وتعذيبي لهم [وهو توعُّدٌ لقريش بما جرى لمكذِّبي رسلهم].

٢٧- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماء ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ أجناسُها من الرمان والتفاح والتين والعنب، وغيرها مما لا يحصر، أو هيئاتُها من الحُمرة والصفرة والخضرة ونحوها

---

(١) من السُّلوان.

﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾

﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ طُرُقٌ مختلفةُ اللون، جمع جُدَّةٍ ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧﴾ جمعُ غِرْبيبٍ، وهو تأكيد للأَسْوَد، يقال: أَسودُ غِربيب، وهو الذي أَبْعَدَ في السواد وأغربَ فيه، ومنه الغُراب.

٢٨- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ ومنهم بعضٌ مختلِفٌ ألوانُه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كاختلاف الثمرات والجبال، [والدوابُّ جمع دابة: وهي في الأصل اسمٌ لكل ما يَدِبُّ على الأرض، ويطلق على الخيل والبغال والحمير عند ذكر الركوب، والأنعام: هي الإبل والبقر والغنم] ولمَّا عدد [الله تعالى ءاياته] وأعلامَ قدرتهِ وءاثار صَنعته، وما خلقَ من الفِطَرِ المختلفة الأَجناس، وما يُستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ أي العلماءُ به الذين عَلِموه بصفاته، فعظَّموه، ومَن ازدادَ علمًا به ازدادَ منه خوفًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ تعليل لوجوب الخشية بدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم وإثابةِ أهل الطاعة والعفوِ عنهم، والمعاقِبُ المثيبُ حقُّه أن يُخشَى.

٢٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يداومون على تلاوة القرءان ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ مُسرِّينَ النفلَ، ومُعلنينَ الفرضَ، يعني لا يَقنعون[١] بتلاوته عن حَلاوة العمل به ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً﴾ هي طلبُ الثواب بالطاعة ﴿لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾ لن

---

(١) أي لا يكتفون بالتلاوة دون العمل بما فيه، يجمعون بين التلاوة والعمل.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ
أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ
بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم
مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾

تَكسُدَ، يعني تجارةً ينتفي عنها الكَسَادُ، وتَنْفُقُ عند الله [بمعنى أنهم يرجون من الله قبولَها].

٣٠- ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ بنَفَاقِها عنده ﴿أُجُورَهُمْ﴾ ثوابَ أعمالهم ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ بتفسيح القبور، أو بتشفيعهم فيمن أَحسَنَ إليهم، أو بتضعيف حسناتهم، أو بتحقيقِ وَعْدِ لقائه ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ غفورٌ لهم شكورٌ لأعمالهم، أي يُعطي الجزيلَ على العمل القليل.

٣١- ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي القرءانُ، ومِنْ للتبيين ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لِمَا تقدَّمَه من الكتب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ [لعلمه بهم وبمصالحهم أنزل عليكم وعليهم الكتب لبيان مصالح الدين والدنيا].

٣٢- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي أوحينا إليك القرءانَ ثم أورثناهُ مِنْ بعدك، أي حَكَمْنا بتوريثه ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أُمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومَن بعدَهم إلى يوم القيامة، لأنَّ الله اصطفاهم على سائر الأمم، وجعلَهم أُمةً وسطًا ليكونوا شهداء على الناس، واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رُسُله، ثم رتَّبهم على مراتب فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهو المُرْجَأُ لأمر الله [وهو الذي يقترف الذنوبَ غيرَ مستحِلّ لها ولا جاحدٍ تحريمَها] ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ هو الذي خلط عملًا صالحًا وءاخر سيئًا ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿ذَٰلِكَ﴾ إيراثُ الكتاب ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا
حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا
دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ
جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ
كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ
نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾

٣٣- ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ أي الفِرَقُ الثلاثة ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ جمعُ أَسْوِرَةٍ جمعُ سِوارٍ ﴿مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ﴾ من ذهب مُرَصَّعٍ باللؤلؤ ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾﴾ لِمَا فيه من اللذة والزينة.

٣٤- ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ خوفَ النار ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ﴾ يغفرُ الجناياتِ وإن كَثُرت ﴿شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ يقبلُ الطاعاتِ وإن قَلَّت.

٣٥- ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ أي الإقامةِ لا نَبرحُ منها ولا نفارقها ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ من عطائه وإفضاله لا باستحقاقنا ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ﴾ تَعبٌ ومَشَقة ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾﴾ إعياءٌ من التعب.

٣٦- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ﴾ لا يُقضى عليهم بموتٍ ثانٍ فيستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا﴾ من عذاب نار جهنم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مِثلَ ذلك الجزاء ﴿نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾﴾ [أي كافرٍ بالله ورسوله].

٣٧- ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون، وهو الصِّياحُ بجَهد وشدة ﴿رَبَّنَآ﴾ يقولون: ربَّنا ﴿أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ أي أخرِجْنا من النار، رُدَّنا إلى الدنيا، نؤمنْ بدلَ الكفر، ونُطِعْ بدلَ المعصية، فيجابون بعد قَدْرِ عُمْرِ الدنيا ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ تعميرًا يتذكَّرُ فيه مَنْ تَذَكَّرَ [ويمكن الاتِّعاظ فيه بالكتب ومقالات

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ
كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا
خَسَارٗا ٣٩ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ
شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾

الرسل، وهو استفهام بمعنى التقريع والتوبيخ] ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ الرسولُ عليه الصلاة والسلام ﴿فَذُوقُواْ﴾ العذاب ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾[1] ﴿مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ ناصرٍ يعينُهم.

٣٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ما غاب فيهما عنكم، [أو يعلم أنه لو رَدَّكم إلى الدنيا لم تعملوا غير الذي كنتم تعملون] ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨﴾ [فإذا] عَلِمَ ما في الصدور - وهو أخفى ما يكون - فقد عَلِمَ كلَّ غيبٍ في العالَم.

٣٩- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ المعنى أنه جعلكم خلفاء في أرضه، قد مَلَّكَكُم مقاليدَ التصرف فيها، وسلَّطكم على ما فيها، وأباحَ لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ منكم وغَمَطَ مثلَ هذه النعمة السَّنِيَّة ﴿فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ﴾ فوَبَالُ كفره راجع عليه، وهو مَقْتُ الله وخَسَارُ الآخرة، كما قال: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ﴾ وهو أشدُّ البُغض ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ٣٩﴾ هلاكًا وخُسرانًا.

٤٠- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ﴾ ءالهتكم التي أشركتموهم في العبادة ﴿ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقُّوا به الشِّرْكة، أَروني أيَّ جزءٍ من أجزاء الأرض استبدُّوا بخَلقه دون الله ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أم لهم مع الله شِرْكةٌ

---

(١) الظالمون هنا الكفار.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ﴾

في خلق السماوات ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ﴾ أم معهم كتابٌ من عند الله يَنطِقُ بأنهم شركاؤه، فهم على حجةٍ وبرهانٍ من ذلك الكتاب؟! ﴿بَلْ إِن يَعِدُ﴾ ما يَعِدُ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم﴾ وهم الرؤساء ﴿بَعْضًا﴾ أي الأتباعَ ﴿إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾ [باطلًا] هو قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴿١٨﴾﴾ [سورة يونس].

٤١- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ يَمنَعُهما من أن تزولا، لأنَّ الإمساكَ مَنْعٌ ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ على سبيل الفَرْضِ ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ ما أَمسَكَهُما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ﴾ من بعدِ إمساكه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ غيرَ مُعاجلٍ بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بأن تُهدَّا هَدًّا لِعظَم كلمة الشرك كما قال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة مريم] الآيةَ.

٤٢- ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي إقسامًا بليغًا، أو جاهدين في أيمانهم ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ﴾ بلغَ قريشًا قبلَ مَبْعَثِ النبي ﷺ أنَّ أهلَ الكتاب كذَّبوا رسلَهم فقالوا: لعنَ اللهُ اليهودَ والنصارى أتتهم الرُّسلُ فكذَّبوهم، فوالله لئن أتانا رسولٌ لنكونن أهدى من إحدى الأُمم، أي من الأمة التي يقال فيها: هي إحدى الأُمم تفضيلًا لها على غيرها في الهُدَى والاستقامة ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ فلَمَّا بُعِثَ رسول الله ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ ما زادَهم مجيءُ الرسول -[أي ما ازدادوا مع مجيئه]- إلا تباعدًا عن الحق.

٤٣- ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ﴾ يعني مستكبِرين وماكرين

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ
وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ
أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةًۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا
قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

برسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يُحيطُ وينزلُ ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ﴾ ولقد حاقَ بهم يومَ بدرٍ ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ﴾ هل ينتظرون بعد تكذيبك إلا أن ينزل بهم العذابُ مثل الذي نزل بمَن قبلهم من مكذِّبي الرسل ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ بيَّنَ أنَّ سُنَّته التي هي الانتقامُ من مُكذِّبي الرُّسل سنَّةٌ لا يُبَدِّلُها في ذاتها ولا يُحَوِّلُها عن أوقاتها، وأنَّ ذلك مفعولٌ لا محالة.

٤٤- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ استَشْهَدَ عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم إلى الشام والعراق واليمن[1] من ءاثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة ﴿قُوَّةًۚ﴾ اقتدارًا، فلم يتمكنوا من الفِرار ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ﴾ ليَسْبِقَهُ ويَفوتَه ﴿مِن شَيْءٍ﴾ أيُّ شيء ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ بهم ﴿قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ قادرًا عليهم.

٤٥- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾ بما اقترفوا من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ على ظهر الأرض، ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ من نَسَمَةٍ[2] تَدِبُّ عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ﴾ إلى يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ أي لم تَخْفَ عليه حقيقةُ أمرِهم، وحِكمَةُ حُكمهم.

---

(١) اليمن هلَكَ فيها قومُ عاد، والعراق هلك فيها قوم بابل، أما الشام فهلك فيها قوم لوط.
(٢) أي: ذي روح.

تم الجزء الثالث
ويليه الجزء الرابع
وأوله تفسير سورة يس

سورة يٰس
مكية وهي ثلاث وثمانون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿يسٓ ۝١﴾ معناه يا إنسان، [وقيل: يا محمد، وقيل غير ذلك].

٢- ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ قَسَمٌ [بالقرءان] ﴿ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ ذي الحكمة.

٣- ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ جواب القسم، وهو ردٌّ على الكفار حين قالوا: لستَ مُرْسَلًا.

٤- ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ [أي إنك على صراط مستقيم، أو] الذين أُرسلوا - [وأنت منهم] - على صراط مستقيم، أي طريقة مستقيمة وهو الإسلام.

٥- ﴿تَنزِيلَ﴾ أي نُزِّلَ تنزيلَ ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالبِ بفصاحةِ نَظم كتابهِ أَوهامَ ذوي العناد ﴿ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ الجاذبِ بلَطافةِ معنى خطابه أَفهامَ أُولي الرشاد.

٦- ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ أي أُرسلتَ لِتُنْذِرَ قومًا ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ غيرَ مُنْذَرٍ ءاباؤهم، بدليل قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ[1] ۝٤٦﴾ [سورة القصص]، ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ أي لم يُنْذَروا فهم غافلون.

---

(١) أي في زمان الفترة بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام، وهم أهل الجاهلية.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾

٧- ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾ يعني قولَهُ تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة هود]، أي تعلّق بهم هذا القول وثبتَ عليهم ووجب لأنهم ممن عَلِمَ أنهم يموتون على الكفر.

ثم مَثَّلَ تصميمَهم على الكفر وأنه لا سبيل إلى ارعِوائهم[١] بأن جعلَهم كالمغلولين المقْمَحِين في أنهم لا يلتفتون إلى الحقّ، ولا يعطِفون أعناقَهم نحوه، ولا يُطأطِئون رؤوسهم له، وكالحاصلين بين سدَّين[٢] لا يُبصرون ما قُدَّامهم ولا ما خلفَهم في أنهم لا تأمُّلَ لهم ولا تَبَصُّرَ، وأنهم مُتعامُونَ عن النظر في ءايات الله بقوله تعالى:

٨- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ معناه: فالأغلالُ واصلةٌ إلى الأذقان مَلْزوزَة إليها[٣] ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ مرفوعة رؤوسهم، لأن طَوْقَ الغُلِّ الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفَيه تحت الذَّقَن حَلْقَةٌ فيها رأس العمود خارجًا من الحَلْقَةَ إلى الذَّقَن فلا يُخَلّيهِ يُطَأطِئُ رأسه فلا يزال مُقمَحًا.

٩- ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ فأغشينا أبصارَهم، أي غَطَّيناها وجعلنا عليها غِشاوةً ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ الحقَّ والرَّشادَ، وقيل: نزلت في بني مخزوم، وذلك أنَّ أبا جهل حلَف لَئِن رأى محمدًا يصلي لَيَرضَخَنَّ[٤] رأسَه، فأتاه وهو يصلي ومعه حجر

---

(١) الارعِواءُ: الكفُّ عن القبيح والرجوعُ عنه.
(٢) الثابتين بين حاجزَين من أمامِهم ومن خلفِهم.
(٣) أي مشدودةٌ، واللَّزُّ: لزوم الشيء بالشيء وشدُّه، ومنه لِزَازُ الباب.
(٤) الرَّضْخُ: الدَّقُّ والكسرُ، ورضخُ النوى والحصى وكل ما هو يابسٌ: كسرُهُ.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾

لِيدمَغَه[١] به، فلمّا رفع يدَه انثنت إلى عُنقه ولَزِقَ الحجرُ بيده حتى فكُّوه عنه بجَهْدٍ، فرجعَ إلى قومه فأخبرهم، فقال مخزوميٌّ ءاخرُ: أنا أقتله بهذا الحجر، فذهب فأَعمى اللهُ بصرَه.

١٠- ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ سواء عليهم الإنذارُ وتركُه، والمعنى: مَن أَضلَّه اللهُ هذا الإضلالَ لم ينفعْه الإنذارُ. وروي أن عمرَ بنَ عبدِ العزيز قرأ الآية على غيلانَ القدري[٢] فقال: كأني لم أقرأها أُشْهِدُكَ أني تائب عن قولي في القَدَرِ، فقال عمر: اللهم إن صدق فَتُبْ عليه، وإن كذَبَ فسَلِّطْ عليه مَنْ لا يرحَمُه، فأخذه [فيما بعدُ] هشام بن عبد الملك فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق.

١١- ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ إنما ينتفع بإنذارك مَن اتَّبَع القرءان ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ﴾ وخاف عقابَ اللهِ ولم يَرَه ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ وهي العفو عن ذنوبه ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ أي الجنة.

---

(١) الدَّمغُ: الضربُ على الدماغ، أو الشَّجُّ حتى تبلغَ الشَّجَّةُ الدماغ.
(٢) غيلان القدري: هو غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان القدري، كان يقول بقول المعتزلة إن العبد يخلق أعمالَهُ الاختيارية، وإن كل شر يحصل من العبد يحصلُ بمشيئة العبد لا بمشيئة الله، وكان في أيام الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز فبلغه عنه ذلك فاستدعاه وقال له: بلغنا أنك تكَلَّمُ في القدر فأنكر أولًا وقال: يكذبون عليَّ يا أمير المؤمنين، ثم اعترف وأظهر التوبة والرجوع عن عقيدته الكفرية تلك بعدما أقام عليه سيدنا عمر بن عبد العزيز الحجة وأفحمه بهذه الآية المذكورة هنا وبغيرها، فلما وَلَّى قال عمر بن عبد العزيز: اللهم إن كان أعطاني بلسانه ومِحْنَتُه في قلبه فأَذِقْه حَرَّ السيف، فلم يتكلم في خلافة عمر بن عبد العزيز وتكلم في خلافة يزيد بن عبد الملك، فلما مات يزيدُ وتولَّى هشام بن عبد الملك أرسل إليه فقال له: ألست كنت عاهدت عمر بن عبد العزيز ألا تكلَّم في القدر ثم طلب له الإمامَ الأوزاعي فناظره وأفحمه وأفتى بقتله، فأُخِذَ فقطعت يداه ورجلاه وصلب على باب دمشق، فقال حين أُمِرَ به: أدركتني دعوة العبد الصالح عمرَ بنِ عبد العزيز.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾

١٢- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ نَبعَثُهم بعد مماتهم، أو نخرجهم من الشرك إلى الإيمان ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾ ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها ﴿وَءَاثَٰرَهُمْۚ﴾ ما هَلَكوا عنه من أَثَرٍ حَسَن كعِلم علَّموه، أو كتابٍ صَنَّفوه أو حَبيسٍ[1] حَبَسوهُ، أو رِباط[2]، أو مسجد صنعوه، أو سَيِّئ كوظيفة وَظَّفَها بعضُ الظَّلَمة، وكذلك كل سُنَّة حسنة أو سيِّئة يُسْتَنُّ بها[3] ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾ عَدَدْناه وبيَّنَّاهُ ﴿فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾﴾ يعني اللوحَ المحفوظ، لأنه أصلُ الكتب ومُقتداها.

١٣- ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ المعنى: واضرب لهم مَثَلًا مَثَلَ أَصحابِ القرية، أي أنطاكية، أي اذكر لهم قصةً عجيبة قصةَ أصحاب القرية ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ رُسُلُ عيسى عليه السلام إلى أهلها، بَعَثَهم دعاةً إلى الحقّ وكانوا عَبَدَةَ أوثان[4].

١٤- ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ﴾ [قيل: المرسَلون الثلاثة هم أنبياءُ أرسلهم الله تعالى إلى أهل هذه القرية لدعوتهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأوثان، وقيل: معناه:] أرسَلَ عيسى بأمرنا ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ صادقًا وصدوقًا، فلمّا قَرُبا من المدينة رأيا شيخًا يرعى غُنَيْماتٍ له، وهو حبيبُ النجار، فسأل عن حالهما، فقالا: نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمٰن، فقال: أمعكما ءاية؟ فقالا: نَشفي

---

(١) الحبيس: الموقوف في سبيل الله.
(٢) الرِّباط: المرابطةُ، وهي ملازمة ثغر العدو، أي الموضع الذي يخشى منه دخول العدو، ويكون عند الحد الفاصل معهم.
(٣) يُسْتَنُّ بها: يُقتَدَى بها.
(٤) أي كان أهل القرية عَبدة أوثان.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾

المريضَ ونُبرئُ الأكمَهَ[(١)] والأبرصَ[(٢)]، وكان له ابن مريض مذ سنين، فمسحاه فقامَ، فآمن حبيبٌ، وفشا الخبر فشُفِيَ على أيديهما خلقٌ كثيرٌ، فدعاهما المَلِك وقال لهما: أَلَنا إلٰهٌ سوى ءالهتِنا؟ قالا: نعم مَنْ أَوْجَدَكَ وءالهتَك، فقال: [قُوما] حتى أنظر في أمرِكما، فتبعهما الناسُ وضربوهما، وقيل: حُبِسا، ثم بَعثَ عيسى شَمعونَ فدخل متنكرًا، وعاشرَ حاشيةَ المَلِك حتى استأنسوا به[(٣)]، ورفعوا خبرَه إلى الملك، فأَنِسَ به فقال له ذات يوم: بلغني أنك حَبَسْتَ رجلين فهل سمعتَ قولَهما؟ قال: لا، فدعاهما، فقال شَمعونُ: مَنْ أرسلَكما؟ قالا: اللهُ الذي خلقَ كُلَّ شيء، ورزقَ كل حَيّ، وليس له شريك، فقال: صِفَاهُ وأَوجِزا، قالا: يفعلُ ما يشاء ويحكم ما يريد، قال: وما ءايتُكما؟ قالا: ما يتمنَّى المَلِكُ، فدعا بغلام أَكْمَه، فدعَوَا اللهَ، فأبصرَ الغلامُ، [ثم] نصحه [شمعون] فآمن وءامن قوم، ومَن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ فكذَّبَ أصحاب القرية الرسولَيْن ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ فقوَّيناهما ﴿بِثَالِثٍ﴾ وهو شمعون ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ أي قال الثلاثة لأهل القرية ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [لتبليغكم أمر دينكم].

١٥- ﴿قَالُواْ﴾ أي أصحاب القرية ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [لا مَزِيَّةَ لكم علينا تقتضي اختصاصَكم بما تدَّعون] ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾ وحيًا ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ ما أنتم إلا كَذَبَةٌ [في دعوى الرسالة].

---

(١) الأكْمَهُ: الذي يولد أعمى.
(٢) الأبرص: مَنْ به بَرَص، وهو داءٌ يقع بسببه في الجسد بياض.
(٣) أي خالَطَهم حتى اطمأنوا له، والاسمُ: العِشرةُ والمعاشرةُ أي المخالطة.

﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا
بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾

١٦- ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [ويشهد على صدق دعوانا، والاستشهاد بالله تعالى تأكيد وتحقيق وتقرير في النفوس].

١٧- ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ التبليغُ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته.

١٨- ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ﴾ تشاءَمْنا بكم، وذلك أنهم كرهوا دينَهم، ونفرت منه نفوسُهم، وعادةُ الجهال أن يتيمَّنوا[1] بكل شيء مالوا إليه وقَبِلَتْهُ طِباعُهم، ويتشاءموا بما نَفَروا عنه وكرهوه، فإن أصابهم بلاء أو نعمة قالوا: بشؤم هذا وبركةِ ذلك، وقيل: حُبس عنهم القَطْرُ[2]، فقالوا ذلك ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟﴾ عن مَقالتكم هذه ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ لَنقتُلَنَّكم، أو لَنطرُدنَّكم، أو لَنَشتِمنكم ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ ولَيُصيبنكم منا عذاب الحريق، وهو أشد عذاب.

١٩- ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم﴾ سبب شؤمكم ﴿مَّعَكُمْ ۚ﴾ وهو الكفر ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ﴾ وُعِظتم ودُعِيتم إلى الإسلام تطيَّرتم؟! ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ مجاوزون الحدَّ في العصيان، فَمِنْ ثَمَّ أتاكم الشؤمُ لا من قِبَلِ رُسُلِ الله وتذكيرِهم.

٢٠- ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ هو حبيبُ النجارُ، وكان في غارٍ يعبدُ الله، فلمَّا بلغه خبر الرسل[3] أتاهم وأظهر دينه وقال:

---

(١) من اليُمن: أي البركة، خلاف الشؤم.
(٢) القَطْرُ: المطر.
(٣) أي خبر إيذاءِ الناس لهم، فقد سبق ذِكر التقائهما به، ودعوتهما له، وشفاء ابنه بسببهما وإسلامه عقب ذلك، قبل مجيء الثالث شمعون أوَّلَ ما دخلا المدينة، أنطاكية.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِىَ لَآ
أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ
عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ
فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦﴾

أتسألون على ما جئتم به أجرًا؟ قالوا: لا، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠﴾.

٢١- ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ على تبليغ الرسالة ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١﴾ أي الرسلُ، فقالوا: أَوَأَنتَ على دين هؤلاء؟ فقال:

٢٢- ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [وأيُّ شيء يمنعني من أن أعبد الربَّ الذي] خَلَقَني ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢﴾ وإليه مرجعكم [بعد الموت فيجازيكم على أعمالكم].

٢٣- ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يعني الأصنامَ ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ﴾ [بمكروه وبلاء] ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ [التي تزعمونها] ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣﴾ [لا يُخَلِّصوني من ذلك المكروه والبلاء].

٢٤- ﴿إِنِّىٓ إِذًا﴾ أي إذا اتَّخذتُ [الأصنام ءالهةً] ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ ظاهرٍ بَيِّن.

ولَمّا نصحَ قومَه أخذوا يرجمونه، فأسرعَ نحو الرُّسُل قبل أن يُقْتَلَ فقال لهم:

٢٥- ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥﴾ أي اسمعوا إيماني لتشهدوا لي به، ولَمّا قُتِلَ:

٢٦- ﴿قِيلَ﴾ له: ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [بشرى له بأنه من أهل الجنة، وذلك والله أعلم بأَنْ عُرِضَ عليه مقعدُه منها، وتحقق أنه من ساكنيها، فرأى ما أقرَّ عينَهُ، فلما حصل ذلك، فلَمّا حصلت له تلك البشارة بدخول الجنة] ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦﴾ [تمنَّى أن يعلم قومه ذلك فيرغبوا في الإيمان، وقيل: إنَّ] قبرَهُ في سوق أنطاكية.

﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۝٢٧ ۞ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ
السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ۝٢٩ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ
مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٣٠ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ
أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٣١﴾

٢٧- ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ بمغفرة ربي لي ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۝٢٧﴾ بالجنة.

٢٨- ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ قوم حبيب ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ مِن بَعدِ قتله ﴿مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ لتعذيبهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨﴾ وما كان يصحُّ في حكمتنا أن نُنزلَ في إهلاك قوم حبيب جندًا من السماء، وذلك لأنَّ الله تعالى أَجرَى هلاكَ كلِّ قومٍ على بعضِ الوجوه دون بعضٍ لحكمة اقتضت ذلك.

٢٩- ﴿إِن كَانَتْ﴾ الأَخذةُ أو العقوبة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاحَ جبريلُ عليه السلام صيحةً واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ۝٢٩﴾ مَيّتون كما تَخمُدُ النار، والمعنى أنَّ الله كفَى أمرَهم بصيحة مَلَكٍ ولم يُنزل لإهلاكهم جندًا من جنود السماء، كما فعلَ يومَ بدر والخندق.

٣٠- ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٣٠﴾ الحَسرةُ: شِدَّةُ الندم، والمعنى أنهم أَحِقَّاءُ بأن يَتَحسَّرَ عليهم المُتحسِّرون[١]، ويتلهَّفَ على حالهم المتلهِّفون[٢] [لتركهم الإيمان بالله وتكذيبهم الرسل واستهزائهم بهم].

٣١- ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ ألم يعلموا[٣] ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٣١﴾ ألم يَرَوا كثرةَ إهلاكِنا القرونَ من قبلهم أنهم غير

---

(١) معناه هذا شيء شأنُه أن يَتحسَّرَ عليه المتحسِّرون، أي من الخلق، أما الله تعالى فلا يجوز عليه ما يجوز على الخلق.
(٢) اللَّهْفُ بفتح اللام وسكونها: الأَسَى والحزن، أي يأسَى ويحزن عليهم المتحسرون المحزونون.
(٣) أي مشركو مكة.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ
ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

راجعين إليهم [إلى الدنيا، بل هم مُبقَون إلى أن يُبعثوا فيجازَوا بأعمالهم؟].

٣٢- ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [وما] كلُّهم [إلا] محشورون مجموعون للحساب.

٣٣- ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ وعلامة تدلُّ على أن الله يبعثُ الموتى إحياءُ الأرضِ المَيْتَةِ ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ اليابسةُ(١) ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ بالمطر ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الحَبُّ [كالحِنطة والشعير والأقوات] هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش، ويقوم بالارتزاق منه صلاحُ الإنسان، وإذا قَلَّ جاء القَحط ووقع الضُّرُّ، وإذا فُقِدَ حضرَ الهلاكُ ونزل البلاء.

٣٤- ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ في الأرض ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتينَ ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾ ما ينتفعون به [من عيون الماء].

٣٥- ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ومما عملته أيديهم من الغَرْسِ والسَّقْي والتلقيح وغير ذلك من الأعمال إلى أن يبلغ الثمرُ منتهاه، يعني أنَّ الثمرَ في نفسه فِعلُ الله وخَلْقُه، وفيه ءاثارٌ مِن كَدِّ بني ءادم، وقيل: ﴿ما﴾ نافية، على أن الثمر خَلْقُ الله ولم تعملْهُ أيدي الناس ولا يقدرون عليه(٢) ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ استبطاءٌ وحَثٌّ على شكر النعمة.

---

(١) التي لا نَبْتَ فيها ولا زرع، وموتها جَدْبُها.
(٢) أي: لا يقدرون على صُنع شيء بغير خلق الله تعالى، فالعبدُ وفِعلُه ومَفعولُه كلٌّ بخلق الله تعالى.

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾

٣٦- ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ من النخيل والشجر والزرع والثمر ﴿وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ الأولادَ ذكورًا وإناثًا ﴿وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ومِنْ أزواج لم يُطلِعْهم اللهُ عليها ولا تَوصَّلوا إلى معرفتها؛ ففي الأودية والبحار أشياءُ لا يعلمها الناس.

٣٧- ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ﴾ [ومن علامات قدرتنا وعِلْمِنا ورحمتنا] ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ نُخرجُ منه النهارَ إخراجًا لا يبقى معه شيءٌ مِن ضوء النهار ﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ داخلون في الظلام.

٣٨- ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي﴾ وءايةٌ لهم الشمسُ تجري ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ لِحَدٍّ لها مُوَقَّتٍ مُقدَّر تنتهي إليه مِن فَلَكها في ءاخر السنة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجَريُ على ذلك التقدير والحساب الدقيق ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ الغالبِ بقدرته على كل مقدور ﴿ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ بكل معلوم.

٣٩- ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ قدَّرنا سيرَه منازلَ، هي ثمانيةٌ وعشرون منزلًا، يَنزِلُ القمرُ كلَّ ليلة في واحد منها لا يتخطّاه ولا يتقاصر عنه من ليلةِ المستَهَلّ إلى الثامنة والعشرين، ثم يستتر ليلتين أو ليلةً إذا نَقَصَ الشهر، فإذا كان في ءاخر منازله دَقَّ واستَقْوَسَ ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ﴾ هو عود الشِّمْراخ[١] إذا يَبِسَ واعوجَّ ﴿ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ العتيقِ المُحْوِلِ[٢]، وإذا

---

(١) الشِّمْرَاخُ: العود الدقيق الذي يكون عليه البُسْرُ (البلح)، ثم يصير البُسْرُ تمرًا، وأصل الشماريخ من العِذْقِ، وقيل: العُرجون هو العِذْقُ نفسُه تقطع منه الشَّماريخُ ويبقى على النخل يابسًا متقوّسًا.

(٢) المُحْوِلُ: الذي مَرَّ عليه الحولُ.

﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ
يَسۡبَحُونَ ۝٤٠ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ۝٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا
يَرۡكَبُونَ ۝٤٢ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ۝٤٣﴾

قَدُمَ دَقَّ وانحنى واصفرَّ، فشُبِّهَ القمر به من ثلاثة أوجهٍ.

٤٠- ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ﴾ لا يَتَسَهَّلُ لها ولا يصحُّ ولا يستقيم ﴿أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فتجتمعَ معه في وقت واحد وتُداخِلَه في سلطانه فتطمسَ نورَه، لأن لكل واحد مِن النَّيِّرَين سلطانًا على حِياله[1]، فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ ولا يسبق الليلُ النهارَ، أي ءايةُ الليل ءايةَ النهار وهما النَّيِّران، ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن تقوم القيامة فيُجمع بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها، [أو الليلُ لا يسبقُ النهارَ فيجيءُ في غير الوقت المقدَّر له] ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ﴾[2] ﴿يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾ يَسيرون.

٤١- ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ۝٤١﴾ أي المملوء، والمراد بالذرّية الأولادُ ومَن يُهِمُّهم حملُه، وكانوا يبعثونهم إلى التجارات في برّ أو بحر: وقيل: معنى حَمْلِ اللهِ ذرياتهم فيها أنه حَمَلَ فيها ءاباءَهم الأقدمين وفي أصلابهم هم وذُرّياتهم، والفُلك على هذا سفينةُ نوح عليه السلام، وإنما ذَكرَ ذرياتِهم دونَهم لأنه أبلغُ في الامتنان عليهم.

٤٢- ﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ مِن مِثلِ الفُلك ﴿مَا يَرۡكَبُونَ ۝٤٢﴾ مِن الإبل، وهي سفائنُ البَرّ.

٤٣- ﴿وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ﴾ في البحر ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ﴾ فلا مُغيثَ [لهم يحفظهم من أن يغرقوا] ﴿وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ۝٤٣﴾ لا يُنْجَوْن.

---

(١) أي على انفراده، إذا طلعت الشمس نهارًا لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر ليلًا لم يكن للشمس ضوء.
(٢) الفَلَكُ: المدار، الشمس لها مدار، والقمر له مدار، والليل له مدار والنهار له مدار.

﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٤٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ
تُرۡحَمُونَ ٤٥ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤٦ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ
أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ
أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا
صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾

٤٤- ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٤٤﴾ ولا يُنقَذون إلا لرحمة مِنَّا ولتمتيع بالحياة إلى انقضاء الأجل.

٤٥- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ [لهؤلاء المشركين]: ﴿ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [احذروا] من مِثْلِ الوقائع التي ابتُلِيَت بها الأممُ المكذِّبة بأنبيائها [أن ينزلَ بكم مِثْلُها]، ﴿وَمَا خَلۡفَكُمۡ﴾ مِن أمر الساعة [فاعملوا لها] ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٥﴾ لتكونوا على رجاءِ رحمةِ الله، وجواب ﴿إذا﴾ مُضمرٌ، أي: أعْرَضوا.

٤٦- ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤٦﴾ أي دأبُهم الإعراضُ عند كل ءاية وموعظة.

٤٧- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ﴾ لمشركي مكة: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ تَصدَّقوا على الفقراء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان بمكةَ زنادقةٌ، فإذا أُمروا بالصدقة على المساكين قالوا: لا واللهِ أَيُفْقِرُه اللهُ ونُطْعِمُه نحن؟! ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٧﴾ قولُ الله لهم، أو حكايةُ قولِ المؤمنين لهم، أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين.

٤٨- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ وعدُ البعثِ والقيامة ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨﴾ فيما تقولون، خطابٌ للنبيّ وأَصحابِه.

٤٩- ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون، [أي لَمَّا كانت هذه الصيحةُ لا بُدَّ من وقوعها جُعلوا كأنهم منتظروها] ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ هي النفخة الأولى

﴿تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ٤٩ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ٥٠ وَنُفِخَ فِي
ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ٥١ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا
مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ
لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٥٣﴾

﴿تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ٤٩﴾ تأخذهم [في غفلة عنها] وبعضُهم يَخصِم بعضًا في معاملاتهم.

٥٠- ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ﴾ فلا يستطيعون أن يُوْصُوا في شيء من أمورهم توصية ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ٥٠﴾ ولا يقدرون على الرجوع إلى منازلهم، بل يموتون حيث يسمعون الصيحة.

٥١- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هي النفخةُ الثانيةُ، والصُّورُ: القَرْنُ ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ٥١﴾ [إلى موضع حساب ربهم] يَعْدُونَ(١).

٥٢- ﴿قَالُواْ﴾ أي الكفارُ: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا﴾ مَنْ أَنْشَرنا(٢) ﴿مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ﴾ مَضجعِنا [أي إذا عاينوا عذاب الآخرة وشاهدوا أهوالها قالوا ذلك من شدة الفزع، أي صار عذاب القبر كالرُّقاد في جَنْبِ ما نستقبله من عذاب جهنم، أي ما نستقبله أشَدُّ علينا] ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢﴾ كلام الملائكة، أو المتَّقين، أو الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيُجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضًا، ومعناه: هذا وعدُ الرحمٰن وصِدقُ المرسلين، أو هذا الذي وعدهُ الرحمٰن وصَدَق فيه المرسلون.

٥٣- ﴿إِن كَانَتۡ﴾ النفخة الأخيرة ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [إلا نفخة واحدة في البوق] ﴿فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٥٣﴾ للحساب، ثم ذكرَ

---

(١) يخرجون سراعًا يركضون.
(٢) مَنْ أحيانا بعد موتِنا، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾ [سورة عبس] أي أحياه بعد موته.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

ما يقال لهم في ذلك اليوم.

٥٤- ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الظلمُ: وضعُ الشيء في غير موضعه، كأنه يقول - والله أعلم -: اليوم لا تُوضع نفس في غير موضعها الذي قَدَّره الله تعالى لها، ولكن توضع بحسب عملها في الدنيا على ما وَعَدَ الله تعالى وأوعد، أو يكون الظلم عبارةً عن النقصان، كأنه يقول - والله أعلم -: فاليوم لا تُنقَصُ نفس عمّا استوجبت وتُوَفَّى كلُّ نفس ما كَسَبَت؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الكهف] أي: لم تَنْقُصْ منه شيئًا، أو لا يُحمَلُ على نفسٍ ذنبُ غيرها، بل يجزي الله تعالى كل نفس جزاء عملها، والله أعلم].

٥٥- ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ [مما فيه أهل النار من العذاب، ومما هم فيه من التقلب في النعيم وأنواع المَلاذِّ] ﴿فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ الفاكِهُ والفَكِهُ: المُتنعِّم المتلذذ.

٥٦- ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾ جمعُ ظِلٍّ وهو الموضع الذي لا تقع عليه الشمس ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع الأريكة، وهي السرير في الحَجَلَةِ[1]، أو الفراش فيها ﴿مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٥٧- ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ مِنَ الدعاء، أي كلُّ ما يدعو به أهلُ الجنة يأتيهم، أو يتمنَّون.

٥٨- ﴿سَلَٰمٌ﴾ كأنه قال: لهم سلام يقال لهم ﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ المعنى أنَّ الله يُسَلِّم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير

---

(١) الحَجَلَةُ بفتحتين: بيت يُزَيَّن بالثياب والأسِرَّة والستور.

﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ
إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا
كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

واسطة[١] تعظيمًا لهم، وذلك مُتمنّاهم، ولهم ذلك لا يُمْنَعونه.

٥٩- ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ وانفرِدوا عن المؤمنين وكونوا على حِدَةٍ، [فإنهم يُجزَون على ضد ما تُجزَون به] وذلك حين يُحشَرُ المؤمنون ويُسارُ بهم إلى الجنة.

٦٠- ﴿۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾﴾ العهدُ: الوصية، وعَهْدُ الله إليهم ما رَكَزَه فيهم من أدلة العقل، وأنزلَ عليهم من دلائل السمع[٢]، وعبادةُ الشيطان: طاعتُه فيما يوسوس به إليهم ويزيِّنُه لهم [من الشرك][٣].

٦١- ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ﴾ وَحِّدوني وأطيعوني ﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى ما عَهِدَ إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمٰن ﴿صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾﴾ أي صراطٌ بليغ في استقامته، ولا صراطَ أقوَمُ منه.

٦٢- ﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ﴾ [أي خلقًا كثيرًا] ﴿أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ استفهامُ تقريعٍ[٤] على تركهم الانتفاعَ بالعقل.

٦٣- ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ بها.

---

(١) أي أن الله يُسمعهم ذلك السلام بكلامه الذي ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة.
(٢) ما يُبَلِّغهم به الأنبياء من الكتب السماوية، وما يوحي به على ألسنة الأنبياء، لأن الكتب السماوية فيها نهي أكيد عن الشرك والأنبياءُ يبينون ذلك بيانًا كافيًا.
(٣) لا تُسَمّى كلُّ طاعة للشيطان عبادةً له، وإنما لمَّا عبدوا غير الله تعالى طاعةً للشيطان وبوسوسته نسبت العبادة له؛ كأنهم عبدوه.
(٤) التقريع: توبيخٌ وتأنيب وتعنيف، وقيل هو الإيجاع باللوم.

﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ٦٧﴾

٦٤- ﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤﴾ ادخلوها بكفركم وإنكاركم لها.

٦٥- ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ نمنعهم من الكلام ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ يُروى أنهم يَجحدون ويُخاصِمون فتشهد عليهم جيرانُهم وأهاليهم وعشائرهم، فيحلفون ما كانوا مشركين، فحينئذ يُخْتم على أفواههم وتَكَلَّمُ أيديهم وأرجلُهم، وفي الحديث: «**يقولُ العبدُ يومَ القيامةِ: إني لا أُجيزُ عليَّ إلا شاهدًا مِنْ نفْسي، فيُخْتَمُ على فيهِ ويُقالُ لأركانه: انطِقِي فتنطِقُ بأعمالِهِ، ثم يُخَلَّى بينَهُ وبينَ الكلامِ فيقولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وسُحْقًا فعَنْكُنَّ كنتُ أُناضلُ**»[1].

٦٦- ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ لأعميناهم وأذهبنا أبصارَهم، والطَّمْسُ: تَعفيةُ شِقِّ العين[2] حتى تعود ممسوحةً ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ فاستبَقوا إلى الصراط ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦﴾ فكيف يبصرون حينئذ وقد طَمَسنا أعينهم.

٦٧- ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ﴾ قِرَدَةً وخنازيرَ، أو حجارةً ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ﴾ في منازلهم حيث يجترحون[3] المآثم ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ٦٧﴾ فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيء.

---

(١) أي: هو يعود يذم أعضاءه التي شهدت عليه بلسانه، سُحقًا مثلُ بُعدًا: دعاءٌ بمعنى الإبعاد من الخير، هذا الأصل فيه، ويستعمل بمعنى المسَبَّة، وسحقًا من سحيق أي بعيد.

(٢) أي: مَحْوُ أثَرِها كأنها لم تكن.

(٣) أي: يكتسبون، كقوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ٢١﴾ [سورة الجاثية] أي اكتسبوا.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِۚ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

٦٨- ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ مَنْ أَطَلْنا عُمُرَهُ نَكَّسنا خلقَه فصار بَدَلَ القوة ضعفًا وبدلَ الشباب هَرَمًا، وذلك أنَّا خلقناه على ضعف في جَسَدٍ وخُلُوٍّ من عقل وعِلم[1]، ثم جعلناه يتزايدُ إلى أن يبلغَ أَشُدَّه ويستكملَ قُوَّتَه ويعقِلَ ويعلمَ ما له وما عليه، فإذا انتهى نكَّسناه في الخَلقِ، فجعلناه يتناقصُ حتى يرجعَ إلى حالٍ شبيهةٍ بحالِ الصَّبي في ضعف جسده وقِلَّة عقله وخُلُوِّه من العلم كما يُنَكَّسُ السهمُ، فيُجْعَلُ أعلاه أسفلَه ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أنَّ مَن قَدَرَ على أن ينقلَهم من الشباب إلى الهرم، ومن القوة إلى الضعف، ومن رجاحة العقل إلى الخَرَف وقِلةِ التمييز قادرٌ على أن يَطمِسَ على أعينهم ويَمسخَهم على مكانتهم ويبعثهم بعد الموت.

وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: شاعر، فنزل:

٦٩- ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ أي وما علَّمنا النَّبيَّ عليه الصلاة والسلام قولَ الشعر على معنى أنَّ القرءان ليس بشعر، فهو كلامٌ موزون مُقفًّى يدل على معنًى، فأينَ الوزنُ وأين التقفية؟ فلا مناسبةَ بينه وبين الشعر إذا حَقَّقْتَ ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ وما يصح له، ولا يَليقُ بحاله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ ما هو إلا ذِكرٌ منَ الله يُوعَظُ به الإنسُ والجن، وما هو إلا قرءانٌ كتابٌ سماوي، يُقرأُ في المحاريب، ويُتلى في المتعبَّدات، ويُنال بتلاوته والعملِ به فوزُ الدارين.

٧٠- ﴿لِّيُنذِرَ﴾ القرءانُ، أو الرسولُ ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ عاقلًا متأمِّلًا، لأن الغافلَ كالميت ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ [وتَثبتَ] كلمةُ العذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ الذين لا يتأمّلون وهم في حكم الأموات.

---

(١) أي: من تمييزٍ وعِلم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا
رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

٧١- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ مما تولَّينا نحن إحداثَه ولم يقدر على تولِّيه غيرُنا ﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ أي خلقناها لأجلهم فملَّكناها إياهم، فهم متصرِّفون فيها تصرُّفَ المُلَّاك، مختصُّون بالانتفاع بها.

٧٢- ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾ وصيَّرناها منقادةً لهم، وإلا فَمَنْ كان يقدر عليها لولا تذليلُه تعالى وتسخيرُه لها، ولهذا [أرشد] الله سبحانه الراكب أن يشكرَ هذه النعمةَ ويسبِّحَ بقوله: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الزخرف] ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ وهو ما يُركَبُ ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ سخَّرناها لهم ليركبوا ظهرَها ويأكلوا لحمَها.

٧٣- ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾ من الجلود والأوبار(١) وغير ذلك ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من اللبن، وهو جمع مَشْرَب، وهو موضع الشرب، أو الشراب ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ اللهَ على إنعام الأنعام.

٧٤- ﴿وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾ لعلَّ أصنامَهم تنصرُهم إذا حَزَبَهم(٢) أمرٌ.

٧٥- ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي ءالهتُهم ﴿نَصْرَهُمْ﴾ نصرَ عابديهم ﴿وَهُمْ لَهُمْ﴾ أي الكفارُ للأصنام ﴿جُندٌ﴾ أعوانٌ ﴿مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ يَخدمونهم ويذبُّون عنهم(٣).

---

(١) الوَبَرُ: صوف الإبل.
(٢) حزبَهم: أي أصابهم واشتد عليهم.
(٣) يدفعون عنهم المسبَّة والذَّمَّ.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾

٧٦- ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ فلا يُهِمَّنَّك تكذيبُهم وأذاهم وجَفاؤهم ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من عداوتهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ وإنا مُجازوهم عليه، فحقٌّ مثلك أن يتسلَّى بهذا الوعيد ويستحضرَ في نفسه صورةَ حالِهِ وحالِهم في الآخرة حتى ينقشِعَ عنه الهَمُّ ولا يُرْهِقَه الحُزنُ[1].

ونزل في أُبيّ بن خلف حين أخذ عظمًا باليًا وجعل يَفُتُّهُ بيده ويقول: يا محمدُ: أتَرى الله يُحيي هذا بعدما رَمَّ[2]؟! فقال رسول الله ﷺ: «**نعم ويبعثك ويُدخلك جهنم**».

٧٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مَذِرَةٍ[3] خارجةٍ من الإحليل الذي هو قناة النجاسة ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ بيِّنُ الخُصومة، أي فهو على مَهانة أصله ودناءَة أوَّلِه يَتصدَّى لمخاصمة ربه وينكر قدرته على إحياء الميت بعدما رَمَّت عظامه، ثم يكون خصامه في ألزَمِ وصفٍ وألصقِه به وهو كونه مُنشَأً من مَواتٍ[4] وهو ينكر إنشاءه [بعد الموت والبِلَى] من مَوات، وهو غاية المكابرة.

٧٨- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ بفتِّه العظم ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ مِنَ المَنيّ، فهو أَغربُ مِن إحياءِ العظم ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ هو اسمٌ

---

(١) قال الطبري في تفسيره: إنا نعلم أن الذي يدعوهم إلى قول ذلك الحسدُ، وهم يعلمون أن الذي جئت به ليس بشعر ولا يُشبهُ الشعر، وأنك لست بكذاب، فنعلم ما يُسِرّون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم إليه، وما يعلنون من جحودهم ذلك بألسنتهم علانية.

(٢) رَمَّ: بَلِيَ.

(٣) مَذِرَة: فاسدة.

(٤) المَوات بالفتح: ما لا روح فيه، والأرض التي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد، والمراد هنا المعنى الأول.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

لِمَا بَلِيَ من العظام، المراد بإحياء العظام في الآية رَدُّها إلى ما كانت عليه غَضَّةً[1] رَطبة في بَدَنٍ حَيٍّ حَسَّاس.

٧٩- ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ﴾ خلَقَها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍۖ﴾ أي ابتداءً ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مخلوقٍ ﴿عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ لا تخفَى عليه أجزاؤه وإن تفرَّقت في البرِّ والبحر، فيجمعُه ويعيده كما كان.

٨٠- ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ تَقْدَحون، ثم ذكرَ من بدائع خَلقِه انقداحَ النار من الشجر الأخضر مع مُضادَّةِ النارِ الماء وانطفائها به وهي الزِّنادُ التي تُوري[2] بها الأعراب، وأكثرها من المَرْخِ والعَفَار، لأن المرخَ سريعُ الوَرْي والعَفار: شجر تُقْدَحُ منه النار، يقطع الرجل منهما غُصنين مثلَ السِّواكَين وهما خَضروان فيسحق المرخ على العفار فتنقدح النار بإذن الله، فَمَن قدَرَ على جمع الماء - [لأنَّ خضرةَ الشجر بسبب المائيَّةِ التي فيه] - والنارِ في الشجر قدَرَ على المعاقبة بين الموت والحياة في البشر، وإجراءُ أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل في العقل من الجمع معًا بلا ترتيب[3].

---

(١) الغَضُّ: الطَريّ.

(٢) تُورِي: أي تُوقِدُ، والوَرْيُ: الإيقاد.

(٣) الله تعالى جعل الموت والحياة في البشر على التعاقب، حياة ثم موت ثم حياة، ولم يجمع في إنسان واحد الموتَ والحياة في ءان واحد، أما الشجر فقد جمع فيه الماء والنار في وقت واحد، فيخرج منه النار وهو أخضر ما زالت المائية فيه، فجمع الضدين فيه في ءانٍ واحد أغرب من وجود الحياة والموت في الناس وهما ضدان على التعاقب، فمن أخرج من الشجر الأخضر نارًا تحرق الشجر لا يمتنع عليه ما أراد.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

ثم بيَّن أنَّ مَن قدرَ على خلق السماوات والأرض مع عِظَمِ شأنهما فهو على خلق الأناسيّ[1] أَقْدَرُ بقوله:

٨١- ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ﴾ في الصغر بالإضافة إلى السماوات والأرض، [بمعنى أن مَن قَدَرَ على الأكبر قَدَرَ على الأصغر] ﴿بَلَىٰ﴾ أي قُلْ: بلى هو قادر على ذلك ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ﴾ الكثيرُ المخلوقات ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ الكثيرُ المعلومات.

٨٢- ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾ شأنه ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾ أن يُكَوِّنَه ﴿فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فيَحدثُ، أي فهو كائن موجود لا محالة، فالحاصل أن المكوَّنات بتخليقه وتكوينه، ولكن عبَّرَ عن إيجاده بقوله: ﴿كُنْ﴾ مِن غير أن كان منه كافٌ ونونٌ، وإنما هو بيانٌ لسرعة الإيجاد، كأنه يقول: كما لا يثقُل قولُ: ﴿كن﴾ عليكم، فكذا لا يثقلُ على الله ابتداءُ الخلق وإعادتُهم.

٨٣- ﴿فَسُبْحَـٰنَ﴾ تنزيهٌ مما وصَفَه به المشركون وتعجيبٌ من أن يقولوا فيه ما قالوا ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مُلْكُ كلِّ شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ تُعادون بعد الموت بلا فَوْت.

---

(١) الأناسي: جمع إنسان، والإنسان يقال للرجل والمرأة، والأناسي: جمع إنسيّ أيضًا.

سورة الصافّات
مكية وهي مائة وإحدى أو اثنتان وثمانون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ
شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ٣- ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣﴾ أَقسَمَ سبحانه وتعالى بطوائفِ الملائكةِ، أو بنفوسِهم الصَّافَّاتِ أقدامَها في الصلاة، فالزاجراتِ السحابَ سَوقًا، أو عن المعاصي بالإلهام، فالتالياتِ لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرِها، وجواب القسم:

٤- ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤﴾ قيل هو جواب [قول كفار قريش]: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ ٥﴾ [سورة ص].

٥- ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥﴾ أي مَطالع الشمس وأمّا ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ١٧﴾ [سورة الرحمٰن] فإنه أراد به مشرقَي الصيف والشتاء ومغربَيهما، وأما: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ٢٨﴾ [سورة الشعراء] فإنه أراد به الجهة، فالمشرقُ جهةٌ، والمغربُ جهة.

٦- ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦﴾ إنّا زيّنّا السماء القُربَى منكم بالكواكب.

٧- ﴿وَحِفۡظٗا﴾ المعنى: إنا خلقنا الكواكبَ زينةً للسماء وحفظًا من الشياطين ﴿مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧﴾ خارج من الطاعة.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾

٨- ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ لا يَتَسَمَّعون، والتسمُّعُ: تَطَلُّبُ السماع يقال: تَسَمَّعَ فسمع أو فلم يسمع، [أي] لا يقدرون أن يَسَّمَّعوا إلى كلام الملائكة، أو يتسمَّعوا ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي الملائكةِ لأنهم يسكنون السماوات، والإنسُ والجن هم الملأُ الأسفلُ لأنهم سكانُ الأرض ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ يُرمَون بالشُّهُب ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾ من جميع جوانب السماء، مِن أيّ جهة صَعِدوا للاستراقِ.

٩- ﴿دُحُورًاۖ﴾ أي يُقذَفون للدُّحور، وهو الطردُ، أو مدحورين ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ دائم، أي أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب، وقد أُعِدَّ لهم في الآخرة نوع من العذاب دائمٌ غيرُ منقطع.

١٠- ﴿إِلَّا مَنْ﴾ أي إلا الشيطانَ الذي ﴿خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ سَلَبَ السَّلْبَة، يعني أخذ شيئًا من كلامهم بسرعة ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾ لَحِقَه ﴿شِهَابٌ﴾ نَجْمُ رَجْمٍ ﴿ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ مُضيءٌ.

١١- ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ فاستخبِر كفارَ مكةَ ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أقوى خَلْقًا [من الأُمم الماضية الذين كانوا أشَدَّ قوةً]، أو أصعبَ خلقًا؛ على معنى الرد لإنكارهم البعثَ، وأنَّ مَن هانَ عليه خَلْقُ هذه الخلائق العظيمة ولم يصعُب عليه اختراعُها كان خلقُ البشر عليه أهونَ ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآۚ﴾ يريد ما ذَكَرَ من خلائقه من الملائكة والسماوات والأرض وما بينهما ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ لاصِقٍ، [يعني خلقَ أصلهم منه - وهو ءادم - ثم خَلَقَهم منه] وهذا شهادة عليهم بالضعف، لأن ما يُصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة، أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازبَ الذي خُلقوا منه تُرابٌ فَمِن أين استنكروا أن يُخلقوا من تراب مثله حيث قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا ۝٥﴾ [سورة الرعد].

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ
دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ
ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾

١٢- ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ مِن تكذيبهم إيّاكَ ﴿وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ هم منك ومن تَعجُّبك، أو عجبتَ من إنكارهم البعثَ وهم يسخرون من أمر البعث.

١٣- ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾ ودأبهم أنهم إذا وُعِظُوا بشيء لا يتّعظون به.

١٤- ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ معجزةً كانشقاق القمر ونحوه ﴿يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ يستدعي بعضُهم بعضًا أن يسخرَ منها، أو يبالغون في السُّخرية.

١٥- ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ﴾ ما هذا ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [تخييلٌ وتمويه] ظاهرٌ.

١٦- ﴿أَءِذَا﴾ استفهام إنكار ﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي أَنُبعثُ إذا كنا ترابًا وعظامًا؟!

١٧- ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ أَيُبعثُ أيضًا ءاباؤنا؟! على [معنى] زيادةِ الاستبعاد، يعنون أنهم أَقدمُ فبعثُهم أبعدُ وأبطل ﴿ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ الأقدمون.

١٨- ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تُبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ صاغرون [أَذِلّاءُ].

١٩- ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ فما هي إلا ﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ الزجرة الصَّيحة، وهي النفخة الثانية ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أحياءٌ بُصَراءُ ﴿يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾ إلى سوء أعمالهم، أو ينتظرون ما يَحُلُّ بهم.

٢٠- ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا﴾ الويل كلمة يقولها القائلُ وقتَ الهَلَكَةِ ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾ اليومُ الذي نُدانُ فيه، أي نُجازَى بأعمالنا.

٢١- ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ يومُ القضاء والفَرْق بين فِرَق الهُدَى والضلال ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ ثم يحتمل أن يكون: ﴿يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ

﴿ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

ٱلدِّينِ﴾ من كلام الكفرة و﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ من كلام الملائكة جوابًا لهم.

٢٢- ﴿ٱحۡشُرُواْ﴾ خطابُ اللهِ للملائكة ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ وأَشباهَهم، أو قُرَناءَهم من الشياطين، أو نساءَهم الكافرات ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

٢٣- ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنامَ ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ﴾ دُلُّوهم [وسوقوهم] ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ طريقِ النار.

٢٤- ﴿وَقِفُوهُمۡۖ﴾ ٱحبِسُوهم [في موقف العرض والحساب] ﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ عن أقوالهم وأفعالهم.

٢٥- ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ لا يَنصُر بعضُكم بعضًا، وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا متناصرين في الدنيا.

٢٦- ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ منقادون [لِمَا يُرادُ بهم]، أو قد أَسلمَ بعضُهم بعضًا وخَذَلَه عن عَجْز، وكلُّهم مستسلمٌ غيرُ منتصر.

٢٧- ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ أي التابعُ على المتبوع ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يتخاصمون.

٢٨- ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الأتباعُ للمتبوعين ﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ عن القُوَّةِ والقهر، إذ اليمينُ موصوفةٌ بالقوَّة، وبها يقع البَطْشُ، أي إنكم كنتم تحملوننا على الضلال وتقسِروننا[١] عليه.

٢٩- ﴿قَالُواْ﴾ أي الرؤساء ﴿بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ بل أبَيتم أنتم

---

(١) القَسْرُ: القهر، أي كنتم تقهروننا على الضلال.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾

الإيمانَ وأعرضتم عنه مع تمكُّنكم منه مختارينَ له على الكفر غيرَ مُلْجَئين[١].

٣٠- ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾ تَسَلُّطٍ نَسْلُبُكم به تمكُّنَكم واختيارَكم ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ مختارينَ الطغيانَ.

٣١- ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ فَلَزِمَنا جميعًا ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ وعيدُ الله بأنّا ذائقون لعذابه لا محالةَ لعِلمِه بحالنا.

٣٢- ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ فدعوناكم إلى الغيّ[٢] [وكانت فيكم قابليَّةٌ له فَغَوَيتم] ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ فأردنا إغواءَكم لتكونوا أمثالَنا.

٣٣- ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ فإن الأتباعَ والمتبوعين جميعًا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يومَ القيامة ﴿فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ كما كانوا مشتركين في الغَواية.

٣٤- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ إنَّا مثلَ ذلك الفعل نفعلُ بكل مجرم.

٣٥- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إنهم كانوا إذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبَوا إلا الشركَ.

٣٦- ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا﴾ [أي لِمَ نتركُ عبادةَ أصنامِنا؟! وهو استفهام بمعنى النفي] ﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [أي لقول رجل يأتي بكلام منظوم لا يعقل ما يقول لأنه يخبرنا بالبعث بعد الموت]، يعنون محمدًا عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أي غير مُجْبَرين.
(٢) الغَيّ بالفتح: الضلالُ والخيبةُ والفساد.

﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى
جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾

٣٧- ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ ردٌّ على المشركين، [أي: ليس بشاعر ولا مجنون، بل هو رسولٌ جاء بما يوافق العقول السليمة] ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [أي: وحقَّقَ بشارات الأنبياء الماضين به، ووافق ما جاؤوا به من توحيد الله وطاعتِه] كقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة البقرة].

٣٨- ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [بسبب الإشراك وتكذيب الرسُل، إذ هو ثَمَرَة عملكم].

٣٩- ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [إلا جزاء ما كنتم تعملون بلا زيادة.

٤٠- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ لكنَّ عبادَ الله الذين أخلَصَهم الله تعالى لطاعته ودينه وولايته.

٤١- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ منعوت بخصائص خُلِقَ عليها من طيبِ طعمٍ ورائحةٍ ولَذَّةٍ وحُسنِ مَنظر.

٤٢- ﴿فَوَٰكِهُ﴾ فسَّرَ الرزقَ المعلومَ بالفواكه، وهي كلُّ ما يُتلذذ به، [وهو إشارة إلى أنهم يتناولون المأكولات التي يُتنعم بها، وهو كقوله: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الواقعة] أي يأكلونها مشتهين لها، لا مضطرين إليها] ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ مُعَظَّمون.

٤٣- ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ [في جنات ليس فيها إلا النعيم].

٤٤- ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ التقابلُ أَتَمُّ للسرور وءانَس.

٤٥- ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾ يقال للزجاجة فيها الخمرُ كأسٌ، وتُسمَّى الخَمْرُ نفسُها كأسًا ﴿مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ من شراب مَعِين، أو مِن نهر مَعِين،

﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾

وهو الجاري على وجه الأرض الظاهرُ للعيون، وُصف بما وُصفَ به الماءُ لأنه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ ﴿١٥﴾﴾ [سورة محمد].

٤٦- ﴿بَيْضَآءَ﴾ صفةٌ للكأس ﴿لَذَّةٍ﴾ وُصفت باللذة كأنها نفسُ اللذة وعينُها، أو ذات لذة ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [لشاربيها، ليست كخمور الدنيا في كراهة الطعم].

٤٧- ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا، وهو مِن غالَهُ: إذا أهْلَكَهُ وأفسدَه ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ يَسكَرون، مِن نُزِفَ الشاربُ إذا ذَهبَ عقلُه.

٤٨- ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قَصَرْنَ أَبصارَهن على أزواجهن لا يَمدُدْنَ طَرْفًا إلى غيرهم ﴿عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ جمعُ عَيناءَ أي نَجلاءَ[1] واسعةِ العَين.

٤٩- ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ مَصُونٌ، شَبَّهَهُنَّ بِبَيضِ النَّعام المكنون - [تَكُنُّهُ النعامةُ بالريش؛ أي تستره وتصونه عن الغبار ونحوه] - في الصفاء [والبياض المخلوط بأدنى صفرة]، وبها تُشبِّه العربُ النساءَ وتُسَمِّيهن بيضاتِ الخدور[2].

٥٠- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ يعني أهلَ الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ يشربون ويتحادثون [بما أنعم الله عليهم من حين كانوا في الدنيا إلى أن صاروا إلى الجنة].

---

(١) نجلاءُ: واسعةُ شَقِّ العين مع حُسن.
(٢) الخدور جمعُ الخِدْرِ: وهو سِتر يُمد للجارية في ناحية البيت.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ
لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا
نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾

٥١- ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [صاحبٌ مُقارِنٌ كافرٌ بالبعث].

٥٢- ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾﴾ بيوم الدين؟! [استفهامٌ بمعنى الإنكار].

٥٣- ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ لَمَجْزِيُّون [ومُحاسَبون].

٥٤- ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل [لرفقائِهِ في الجنة الذين كان وإياهم يتساءلون]: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾ إلى النار لأُرِيكم ذلك القرينَ. قيل: إن في الجنة كُوًى ينظر أهلها منها إلى أهل النار.

٥٥- ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ المسلمُ ﴿فَرَءَاهُ﴾ أي [رأى] قرينَه ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ في وسطها.

٥٦- ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾ الإرداءُ: الإهلاك، [أي لقد كنتَ قاربتَ أن تهلكَني بإضلالك، أو ما أردتَ إلا أن تهلكني].

٥٧- ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ وهي العِصمةُ والتوفيقُ في الاستمساك بعُروة الإسلام ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ من الذين أُحضِروا العذابَ كما أُحضرتَه أنتَ وأمثالُك.

٥٨- ٥٩- ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾ أنحن مُخلَّدون مُنعَّمون فما نحن بميتين ولا مُعَذَّبين، والمعنى أن هذه حال المؤمنين، وهو ألّا يذوقوا إلا المَوتَةَ الأولى [التي كانت في الدنيا، وهي متناولةٌ لِمَا في القبر بعد الإحياء للسؤال] بخلاف الكفار،

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾

فإنهم فيما يتمنَّون فيه الموتَ كل ساعة. وقيل لحكيم: ما شَرٌّ مِنَ الموت؟ قال: الذي يُتمنَّى فيه الموت. وهذا قولٌ يقوله المؤمن تحدثًا بنعمة الله بمَسمَع من قرينه ليكون توبيخًا له وزيادةَ تعذيب، [وهو كقول الشخص عند التعجب: أَوَكلُّ هذه النعم لي؟! لا يكونُ إنكارًا، بل تعجبًا وشكرًا].

٦٠- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الأَمرَ الذي نحن فيه ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

ثم قال الله عز وجل:

٦١- ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [لِنَيل مثلِ هذا يجب أن يعمل العاملون، لا للحظوظ الدنيوية المَشوبة بالآلام، السريعة الانصرام]، وقيل: هو أيضًا من [كلام المؤمن المتحدث بنعمة الله في الجنة].

٦٢- ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ أي نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خيرٌ نزلًا أم شجرة الزقوم خير نزلًا؟ والنُّزُل ما يُقامُ للنازل بالمكان [من ضيف وغيره] من الرزق. والزقوم: شجرةٌ مُرَّةٌ تكون بتِهامة، [من أخبث الشجر، يُنبتها الله تعالى في الجحيم].

٦٣- ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ مِحنةً وعذابًا لهم في الآخرة، أو ابتلاءً لهم في الدنيا، وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرةٌ، والنارُ تُحرق الشجر؟ فكُذِّبوا.

٦٤- ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ قيل: مَنبِتُها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

٦٥- ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ الطلعُ للنخلة فاستُعير لِمَا طَلَعَ

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

من شجرة الزقوم من حَمْلِها، وشُبِّهَ برؤوس الشياطين للدلالة على تناهيه في الكراهة وقُبح المنظر، لأن الشيطانَ مكروهٌ مُستقبَحٌ في طِباع الناس لاعتقادهم أنه شَرٌّ مَحْضٌ.

٦٦- ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ من الشجرة، أي من طلعها ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾ فمالئون بطونَهم لِمَا يغلِبُهم من الجوع الشديد.

٦٧- ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ على أَكلِها ﴿لَشَوْبًا﴾ لَخَلْطًا ولَمِزاجًا ﴿مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ ماءٍ حارٍّ يَشوي وجوهَهم ويُقَطِّع أمعاءَهم، والمعنى: ثم إنهم يملؤون البطون من شجر الزقوم، وهو حار يحرق بطونهم ويُعطشهم فلا يُسقَونَ إلا بعد مَلِيٍّ[1] تعذيبًا لهم بذلك العطش، ثم يُسقَون ما هو أحَرُّ، وهو الشراب المَشوب بالحميم، [قيل: يُخلط لهم الحميم بغسَّاق أعينهم وصديد من قيحهم ودمائهم، وقيل: يُخرج لهم الزَّقوم بالحميم ليُجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم].

٦٨- ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ أي أنهم يُذهبُ بهم عن مَقارِّهم ومنازلهم في الجحيم، وهي الدَّرَكات التي أُسكنوها إلى شجرة الزقوم، فيأكلون إلى أن يمتلؤوا، ويُسقَون بعد ذلك، ثم يُرجَعون إلى دركاتهم.

٦٩- ٧٠- ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾﴾ [وجدوا ءاباءَهم على ضلال] ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ عَلَّلَ استحقاقَهم للوقوع في تلك الشدائد بتقليد الآباء في الدين واتِّباعِهم إياهم في الضلال وترك اتِّباع الدليل. والإهراعُ: الإسراعُ الشديد كأنهم يُحَثُّونَ حثًّا.

---

(١) أي: زَمانٍ طويل.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٧١ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٧٣ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٧٤ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝٧٥ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝٧٨﴾

٧١- ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قوم قريش ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٧١﴾ يعني الأممَ الخاليةَ بالتقليد وترك النظر والتأمل.

٧٢- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢﴾ أنبياءَ حَذَّروهم العواقبَ.

٧٣- ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٧٣﴾ الذين أُنذِروا وحُذِّروا [فلم يَقبلوا وعاندوا]؛ أي أُهلكوا جميعًا.

٧٤- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٧٤﴾ إلا الذين ءامنوا منهم وأخلَصهم الله لدينه.

ولمَّا ذكرَ إرسالَ المنذرين في الأمم الخالية وسوءَ عاقبةِ المنذَرين [المعاندين] أتبعَ ذلك ذكرَ نوح ودعائه إياهُ حين أَيِسَ من قومه بقوله:

٧٥- ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ دعانا لِنُنَجِّيَهُ من الغَرَق، وقيل: أُريد به قولُه ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠﴾ [سورة القمر] ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝٧٥﴾ تقديره: ولقد نادانا نوحٌ فوالله لنعمَ المُجيبونَ نحنُ، والمعنى أنَّا أجبناهُ أحسنَ الإجابة، ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بأبلغ [انتقام].

٧٦- ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ ومَنْ ءامَنَ به وأولادَه ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦﴾ وهو غَمُّ الغَرَقِ، [أو الغَمُّ الذي كان فيه من أذى قومه].

٧٧- ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ وقد فَنِيَ غيرُهم، قال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح، وكان لنوح ثلاثة أولادٍ: سامُ وهو أبو العرب وفارسَ والروم، وحامُ وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب، ويافثُ وهو أبو التُّرك ويأجوجَ ومأجوجَ.

٧٨- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝٧٨﴾ من الأُمم هذه الكلمة، وهي:

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨١ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا
ٱلۡأٓخَرِينَ ٨٢ ۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦﴾

٧٩- ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ يعني يُسَلِّمون عليه تسليمًا ويدعون له ﴿فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾ أي ثَبَّتَ هذه التحيةَ فيهم جميعًا، [أي ترك عليه ثناءً حسنًا في كل أمة].

٨٠- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠﴾ علَّلَ مُجازاتَه بتلك التكرِمَةِ السَّنية بأنه كان مُحسنًا.

٨١- ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨١﴾ ثم علَّل كونَه مُحسِنًا بأنه كان عبدًا مؤمنًا ليُرِيَكَ جلالةَ مَحَلِّ الإيمان، وأنه القُصارَى[(١)] من صفاتِ المدح والتعظيم.

٨٢- ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٨٢﴾ أي الكافرين.

٨٣- ﴿۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣﴾ أي من شِيعةِ نوحٍ، أي ممن شايَعَهُ[(٢)] على أصول الدين، أو على التصلُّب في دين الله ومصابرة المكذبين، وكان بين نوحٍ وإبراهيمَ ألفان وستُّمائةٍ وأربعونَ سنةً، وما كان بينهما إلا نبيّان هودٌ وصالحٌ.

٨٤- ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤﴾ من الشرك، أو من ءافات القلوب.

٨٥- ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥﴾ [وهذا سؤالُ توبيخ؛ كقولك لِمَن لا ترضى عملَه: ماذا تعمل؟!].

٨٦- ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦﴾ أتريدون [أن تتخذوا] ءالهة من

---

(١) القُصارَى: الغاية.
(٢) أي: تَبِعَه.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

دون الله [أي أصنامًا] إفكًا [أي كذبًا في تسميتكم الأصنام ءالهةً، وهو استفهام على وجه الإنكار].

٨٧- ﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ أيُّ شيء ظنكم ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ ماذا يفعلُ بكم وكيف يعاقبكُم وقد عَبَدتُم غيرَه.

٨٨- ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾ نظرَ في النجوم راميًا ببصره إلى السماء مُتفكرًا في نفسه [كيف يفعل معهم ليثبت لهم صحة قوله في أنَّ الأصنام والكواكب لا تصلح للعبادة بماذا يَحتجُّ لهم للتَّخلُّف عنهم وعدم الخروج معهم إلى عيدهم].

٨٩- ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ أي مشارِفٌ للسَّقَم، وكان [الطاعونُ] أغلبَ الأسقام عليهم [إذ ذاك]، وكانوا يخافون العَدوى [فتفرَّقوا عنه وذهبوا] إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد، ففعل بالأصنام ما فعل، والذي قاله إبراهيم عليه السلام مِعراضٌ[1] من الكلام، أي سأسقُم [في المآل، أي مُشارفٌ للسَّقَم]، أو مَن في عنقه الموتُ سقيمٌ، ومات رجل فجأةً فقالوا: مات وهو صحيح، فقال أعرابي: أصحيحٌ مَن الموت في عنقه، أو أراد: إني سقيم النفس لِكفركم، كما يقال: أنا مريض القلب مِن كذا.

٩٠- ﴿فَتَوَلَّوْا۟﴾ فأَعرَضوا ﴿عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ مُوَلِّينَ الأدبار.

٩١- ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ فمال إليهم سرًّا ﴿فَقَالَ﴾ استهزاءً: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾ وكان عندها طعامٌ.

٩٢- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ والجمع بالواو والنون لِمَا أنه خاطبها خطابَ مَن يَعقِلُ.

---

(١) المِعراضُ: التورية.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

٩٣- ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا﴾ فأقبلَ عليهم يضربهم ضربًا ﴿بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ أي ضربًا شديدًا بالقوة، لأنَّ اليمينَ أقوى الجارحتين وأشدُّهما، أو بسبب الحَلِف الذي سبق منه، وهو قوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الأنبياء].

٩٤- ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ إلى إبراهيم ﴿يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ يُسرعون، فكأنه قد رءاه بعضُهم يكسِرُها وبعضُهم لم يره، فأقبل مَن رءاه مُسرعًا نحوَه، ثم جاء مَنْ لم يَرَه يكسِرُها، فقال لِمَن رءاه: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأنبياء] فأجابوه على سبيل التعريض بقولهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الأنبياء] ثم قالوا بأجمعهم: نحن نعبدُها وأنت تكسِرُها، فأجابهم بقوله:

٩٥- ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [أتعبدون أصنامًا تعملونها] بأيديكم، [وهو استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ].

٩٦- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ أي وخلَقَ ما تعملونَه مِنَ الأصنام، أو وخلَقَ أعمالَكم، وهو دليلُنا في خلق الأفعال، أي اللهُ خالقُكم وخالقُ أعمالكم فلمَ تعبدون غيره؟!

٩٧- ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ﴾ أي لأجله ﴿بُنْيَٰنًا﴾ مِنَ الحَجَر طولُه ثلاثون ذراعًا وعرضُه عشرون ذراعًا، [لَمَّا لَزِمَتهم الحجةُ وعَجَزوا عن مُحاجَّتِه صاروا إلى قصد هلاكِه معاندين في مُخالفته فتشاوروا فيما بينهم فاتفق رأيُهم على أن يبنوا له بُنيانًا يملؤونه حطبًا فيُضرِمونه فيُلْقُونه فيه] ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ في النار الشديدة.

٩٨- ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ المقهورين عند الإلقاء، [أي أعْلَيناه عليهم بالظَّفَرِ والنجاةِ من قصدهم،

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

فجعلنا النار عليه بردًا وسلامًا، وقد بُيِّنَت قصتُه في سورة الأنبياء]، فخرج من النار.

٩٩- ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ إلى موضعٍ أمرني بالذهاب إليه ﴿سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ سيُرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني ويَعصِمُني ويوفّقُني، [وليس معناه يخرجني من الضلال إلى الهدى، كما زعمه قوم، فخرج أوّلًا إلى حَرَّانَ فأقام فيها مدةً، ثم إلى بيت المقدس].

١٠٠- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [صالحًا مِنَ الصالحين]، يريد الولدَ.

١٠١- ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ انطوَتِ البِشارةُ على ثلاث: على أنَّ الولدَ غلامٌ ذكرٌ، وأنه يبلغ أَوانَ الحُلُم، وأنه يكون حليمًا، وأيُّ حِلْم أعظمُ من حِلْمِه حين عرضَ عليه أبوه الذبحَ فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة الصافات] ثم استسلمَ لذلك.

١٠٢- ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ﴾ بلغ أن يَسعَى مع أبيه في أشغاله وحوائجه، وكان إذ ذاك ابنَ ثلاثَ عشرةَ سنةً ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ قيل له في المنام: اذبح ابنَكَ، [أي بأمر من الله تعالى، ويدلُّ عليه قوله: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ﴾]، ورؤيا الأنبياءِ وحيٌ كالوحي في اليقظة ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ مِنَ الرأي، على وجه المشاوَرة، ولم يُشاوِره ليرجع إلى رأيه ومَشُورته، ولكن ليعلم [صبرَه لأمر الله، أو لتقَرَّ عينُه إذا رأى من ابنهِ طاعةً في أمر الله] ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ﴾ أي ما تؤمَرُ به ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ على الذبح.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۝١٠٧﴾

١٠٣- ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ انقادا لأمر الله وخضعا ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۝١٠٣﴾ صَرَعَهُ على جبينه، [أي: جانب الجبهة، ولها جَبينان يكتنفانها - وكان هذا إضجاعًا على الجنب كإضجاع الشاة للذبح -] ووضعَ السكين على حلقه فلم يعمل، ثم وضع السكين على قفاه[1] فانقلب السكين، روي أن ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى.

١٠٤- ١٠٥- ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ ۝١٠٥﴾ حَقَّقْتَ ما أمرناك به في المنام مِن تسليم الولد للذبح ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٠٥﴾ تعليل لتخويل[2] ما خوَّلهما من الفَرَج بعد الشدة، [فقد كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف مِن استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما مِن دفع البلاء العظيم بعد حلوله.

١٠٦- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝١٠٦﴾ الاختبار البيِّن الذي يتميز فيه المخلِصون مِن غيرهم.

١٠٧- ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ﴾ هو ما يُذبَحُ، وعن ابن عباس: هو الكَبش الذي قَرَّبه هابيلُ فقُبِلَ منه، وكان يَرْعى في الجنة حتى فُدِيَ به إسماعيلُ ﴿عَظِيمٖ ۝١٠٧﴾ ضخمِ الجُثَّةِ سمينٍ، وهي السُّنَّةُ في الأضاحي.

والأظهر أنَّ الذبيحَ إسماعيلُ [وليس إسحاق]، وهو قول أبي بكر وابنِ عباس وابنِ عمرَ وجماعةٍ من التابعين رضي الله عنهم، [واحتجَّ مَن قال بذلك بقول الله تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ۝٧١﴾ [سورة هود]، فلمَّا بُشِّرت سارةُ بأن لها من ولدها إسحاقَ

---

(١) القفا: مؤخَّرُ العنق.
(٢) التَّخويلُ: الإعطاءُ.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

نافلةً[١] هو يعقوب، وعَلِمَ بذلك إبراهيم، كان يتيقنُ أنَّ إسحاق لا يُذبَحُ، فلا يتحققُ الابتلاء بأمره بذبحه، ولأنه تعالى قال في هذه السورة بعد تمام قصة الغلام: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾، فكان التبشير بإسحاق بعد مُضِيّ قِصة الغلام وفِدائه بالكَبش العظيم] ولأنَّ قَرْنَي الكبش كانا مَنُوطَين في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت في زمن الحجاج وابن الزبير.

١٠٨- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ [أي إبراهيم ثناءً حسنًا] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [في الأنبياء بعده، وقيل: في الأمم بعده].

١٠٩- ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ [أي أبقينا عليه هذا السلامَ في الآخِرين، أي يُسَلِّمون عليه تسليمًا].

١١٠- ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [فنُبقي لهم الثناءَ الجميل].

١١١- ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الذين حَقَّقوا الإيمان قولًا وفعلًا ووفاءً بما عليهم].

١١٢- ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾ وبشّرناه بوجود إسحاق نبيًّا، أي بأن يوجدَ مُقَدَّرةً نبوَّتُهُ ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ كل نبيٍّ لا بد وأن يكون من الصالحين.

١١٣- ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ﴾ أَفَضْنا عليهما بركات الدين والدنيا ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ كافر ﴿مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ ظاهر، وفيه تنبيهٌ على أنَّ الخبيث والطيب لا يَجري أمرُهما على العِرق والعُنصر، فقد يَلدُ البَرَّ الفاجرُ والفاجرَ البَرُّ.

---

(١) أي: عَطِيَّةً وفضلًا من غير سؤال.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ
فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾

١١٤- ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾ بالنبوة.

١١٥- ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ منَ الغرق، أو مِنْ سلطان فرعون وقومه وغَشْمِهم[(١)].

١١٦- ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ أي موسى وهارونَ وقومَهما ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾ على فرعون وقومه[(٢)].

١١٧- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾ البليغَ في بيانه وهو التوراةُ.

١١٨- ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ صراط أهل الإسلام.

١١٩- ١٢٣- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ هو إلياسُ بنُ ياسينَ من وَلَدِ هارونَ أخي موسى، وقيل: هو إدريسُ النبيُّ عليه السلام.

١٢٤- ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ ألا تخافونَ الله.

١٢٥- ﴿أَتَدْعُونَ﴾ أتعبدون ﴿بَعْلًا﴾ هو عَلَمٌ لصنم كان من ذهب، وكان طولُه عشرينَ ذراعًا وله أربعةُ أَوجُهٍ فُتِنوا به وعظَّموه حتى أَخدَموه أربعَمائة سَادِنٍ[(٣)] وجعلوهم أنبياءَ، وكان موضِعُه يقال له «بَكُّ» فَرُكِّبَ

---

(١) الغَشْمُ: الظلمُ والغَصْبُ.

(٢) أي من حيث المعنى، بالحجة والقوة وليس بالقتال، لأنه لم يحصل بينهم قتال، بل هؤلاء أُنجوا وخُلِّصوا من ظلم فرعون ومما كانوا يقاسونه، وأولئك غرقوا.

(٣) السَّادِنُ: الخادم، والجمع سَدَنَةٌ، كَسَدَنة الكعبة، والفرق بين السَّادِن والحاجب أن الحاجب يحجب وإذنُه لغيره، والسَّادِنُ يحجب وإذنُه لنفسه.

﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ
لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا
كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

وصارَ «بَعْلَبَكَّ» وهو من بلاد الشام، وقيل: إلياسُ مُوَكَّلٌ بالفَيَافي[1] كما وُكِّلَ الخَضِرُ[2] بالبحار ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ وتتركون عبادة الله الذي هو أحسنُ المُقدِّرين.

١٢٦- ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [وتأويل الكلام: معبودُكم أيها الناس الذي يستحق عليكم العبادةَ ربُّكم الذي خلقكم وربُّ ءابائكم الماضين قبلكم، لا الصنمُ الذي لا يَخلق شيئًا ولا يَضُرّ ولا ينفع].

١٢٧- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [فكذَّبَ إلياسَ قومُه] ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ في النار.

١٢٨- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الذين أخلَصَهم الله بالإيمان] من قومه.

١٢٩- ١٣٠- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ أي إلياسَ وقومِهِ المؤمنين.

١٣١- ١٣٤- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [أي أهل بيته والمتَّبعين له على دينه بإخراجهم من بينهم قبل حلول العذاب بهم].

١٣٥- ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ في الباقين [في العذاب فلم تَنْجُ، وهي امرأتُه لأنها كانت تَدُلُّ قومَها على الأضياف].

---

(١) الفيافي: جمعُ الفَيفاء، وهي الصحراءُ المَلساءُ، والفيافي البراري الواسعة أيضًا.
(٢) أكثر الصالحين على أن الخضر حي لم يمت.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾

١٣٦- ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [بالخَسْفِ والحَصْبِ[1]، فقيل خَسَفَ اللهُ بقوم لوط قريتهم، بأن جعل جبريلُ عاليَها سافِلَها، ثم أمطر على مَن كان خارجًا مِن القرية الحجارة].

١٣٧- ﴿وَإِنَّكُمْ﴾ يا أهلَ مكة ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ داخلين في الصباح.

١٣٨- ﴿وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ تَمُرُّون على منازلهم في متاجركم إلى الشام ليلًا ونهارًا، فما فيكم عقولٌ تعتبرونَ بها [فتتَّقوا مثلَ فِعلهم لِئَلَّا تُجازَوا مثلَ جزائهم؟!].

١٣٩- ١٤٠- ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ ﴿١٤٠﴾﴾ الإبـاقُ: الهربُ إلى حيث لا يَهتدي إليه [الطُّلَّابُ]، فسُمِّي [خروجه من بين] قومه بغير إذن رَبّه إباقًا مَجازًا ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ المملوء، وكان يونسُ عليه السلام وَعَدَ قومَه العذابَ [حين كذَّبوه ثم خرج من بينهم من غير علمهم قبل أن يأمره الله بذلك]، فقصد البحر وركب السفينة، فوقفت، فقالوا: ههنا عَبدٌ ءابِقٌ من سيِّده، وفيما يَزْعُمُ البَحَّارون أن السفينةَ إذا كان فيها ءابقٌ لم تَجْرِ، فاقترعوا، فخرجت القرعة على يونس، فقال: أنا الآبِقُ وزجَّ بنفسه في الماء، فذلك قوله:

١٤١- ﴿فَسَاهَمَ﴾ فقارَعَهم مَرةً أو ثلاثًا بالسهام، والمساهَمَةُ: إلقاءُ السهام على جهة القُرعة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ المغلوبين بالقُرعة.

١٤٢- ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ فابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ داخل في المَلامة، [أو مُليمٌ نفسَه].

---

(١) الحَصْبُ: الرَّمي.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾

١٤٣- ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ من الذاكرين الله كثيرًا بالتسبيح، أو مِنَ القائلين: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الأنبياء]، أو من المُصلّين قبل ذلك.

١٤٤- ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ الظاهرُ لُبْثُه حيًّا إلى يومِ البعثِ، وعن قتادة: لكانَ بطنُ الحوت له قبرًا إلى يوم القيامة، وقد لَبِثَ في بطنه ثلاثة أيام، أو سبعةً، [وقيل غير ذلك].

١٤٥- ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ فألقيناه بالمكان الخالي الذي لا شجر فيه ولا بناء ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ عليل مما ناله من التقام الحوت.

١٤٦- ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً﴾ أنبتناها فوقه مُظِلَّةً له ﴿مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ الجمهور على أنه القرعُ، وفائدته أن الذِّبَّانَ[1] لا يجتمع عنده، وأنه أسرعُ الأشجار نباتًا وامتدادًا وارتفاعًا.

١٤٧- ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ﴾ المرادُ به القومُ الذين بُعثَ إليهم قبل الالتقام ﴿أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ في مرأى الناظِرِ، أي إذا رءاها الرائي قال: هي مائةُ ألفٍ أو أكثرُ، وقال غير واحد: معناه بل يزيدون.

١٤٨- ﴿فَـَٔامَنُوا۟﴾ به وبما أُرسلَ به [بعد مفارقته إياهم، وقيل معناه: وأرسلناه إليهم بعد الخروج من بطن الحوت، أي: أعدناه إليهم] ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ إلى منتهى ءاجالهم.

١٤٩- ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ معطوف على مثله في أول السورة، أي على: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾، وإن تباعدت

---

(١) الذِّبَّانُ: جمعٌ، الواحِدُ ذُبابٌ، والواحدة ذُبابةٌ.

﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ
سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾

بينهما المسافة. أمرَ رسوله [باستخبار] قريش [على وجه الإنكار عليهم] عن وجه إنكار البعثِ أوّلًا، ثم ساق الكلام موصولًا بعضُه ببعض، ثم أمرهُ باستفتائهم عن وَجْهِ القِسْمَةِ الضِّيْزَى(١) التي قَسموها حيث جعلوا لله تعالى الإناثَ ولأنفسهم الذكورَ في قولهم: الملائكة بنات الله، مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدِهم [لهن] واستنكافِهم(٢) من ذِكرِهن.

١٥٠- ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ حاضرون، تخصيصُ عِلمِهم بالمشاهدة استهزاءٌ بهم وتجهيلٌ لهم، لأنهم كما لم يَعلموا ذلك مشاهدةً لم يعلموه بخلق الله عِلْمَه في قلوبهم، ولا بإخبارِ صادقٍ، ولا بطريقِ استدلالٍ ونَظَرٍ.

١٥١- ١٥٢- ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ الإفك: الكلامُ المصروفُ عن الحق إلى الباطل] ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴿١٥٢﴾﴾ [بقولهم: الملائكة بنات الله] ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ في قولهم.

١٥٣- ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ هو استفهام توبيخ.

١٥٤- ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ هذا الحكمَ الفاسدَ.

١٥٥- ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [اي أفلا تتَّعظون بمواعظ ربكم في أنه تعالى تنزَّه عن أن يكون له ولد].

١٥٦- ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ حجة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناتُ الله.

---

(١) أي القسمةِ الفاسدة الجائرة.
(٢) استنكافهم: امتناعهم تكبُّرًا.

﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ
لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ
عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾

١٥٧- ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ الذي أُنزل عليكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ في دعواكم.

١٥٨- ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ﴾ بينَ الله ﴿وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ الملائكة لاستتارهم ﴿نَسَبًا ۚ﴾ وهو زَعمُهم أنهم بناتُه، أو قالوا: إنَّ الله تزوجَ مِن الجن فولدت له الملائكة ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ ولقد علمت الملائكة أنَّ الذين قالوا هذا القول لمحضرون في النار، [أو علمت الجن أنها محضرةٌ أَمرَ الله تعالى من ثواب وعقاب].

١٥٩- ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ نزَّه نفسه عن الولد والصاحبة.

١٦٠- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ ولكنَّ المخلَصِينَ ناجون من النار، [أو] ولكنْ المخلَصون بَرَاءٌ من أن يصفوه تعالى [بالصاحبة والولد].

١٦١- ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾﴾ ومعبوديكم.

١٦٢- ﴿مَآ أَنتُمْ﴾ وهم جميعًا ﴿عَلَيْهِ﴾ على الله ﴿بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ بِمُضِلِّين، يقال: فَتَنَ فلانٌ على فلانٍ امرأَتَه كما تقول: أفسدَها عليه.

١٦٣- ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ لستم تُضِلّون أحدًا إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يَصْلَوها.

١٦٤- ﴿وَمَا مِنَّآ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ في العبادة لا يتجاوزه.

١٦٥- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ نَصُفُّ أقدامَنا في الصلاةِ، أو نَصُفُّ حولَ العرش داعين للمؤمنين.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

١٦٦- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ المُنزِّهون، أو المُصَلُّون، والوجهُ أن يكون هذا وما قبلَه من قوله: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾، كأنه قيل: ولقد علمَ الملائكةُ وشهدوا أنَّ المشركين مُفْتَرُون عليهم في مناسَبَةِ[1] ربِّ العزة وقالوا: سبحان الله، فنزَّهوه عن ذلك، واستثنَوا عبادَ الله المخلَصين وبَرَّؤوهم منه، وقالوا للكفرة: فإذا صحَّ ذلك فإنكم وءالهتَكم لا تَقدِرون أن تَفتِنوا على الله أحدًا مِن خلقه وتُضِلُّوه إلا مَن كان مِن أهل النار، وكيف نكونُ مناسِبينَ لربِّ العزة وما نحن إلا عبيدٌ أَذِلَّاءُ بين يديه، لكلٍّ مِنّا مقامٌ معلومٌ مِن الطاعة لا يستطيع أن يَزِلَّ عنه ظُفرًا خشوعًا لعظمته، ونحن الصافّون أقدامنا لعبادته مُسَبِّحين مُمَجِّدين كما يجب على العباد لربهم.

١٦٧- ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ أي مُشرِكو قريش قبلَ مَبْعَثه عليه الصلاة والسلام.

١٦٨- ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ كتابًا من الأولين الذين نزلَ عليهم التوراةُ والإنجيل.

١٦٩- ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الذين أخلصهم الله لعبادته واصطفاهم لجنَّته]، ولَمَا خالفْنا كما خالفوا؛ فجاءهم الذكر الذي هو سيدُ الأذكار والكتابُ الذي هو مُعجِزٌ من بين الكتب.

١٧٠- ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ مَغَبَّةَ[2] تكذيبهم وما يَحُلُّ بهم من الانتقام.

---

(١) معناه قرابة، جعلوا الملائكةَ ذريةً لله، أثبتوا لهم القرابةَ.
(٢) مَغَبَّة: عاقبة.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝١٧٤ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝١٧٥ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝١٧٦ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝١٧٧﴾

١٧١- ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١﴾ الكلمةُ قولُه:

١٧٢- ١٧٣- ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾ والمراد المَوعِدُ بعُلُوِّهم على عدوِّهم في مَقام الحِجاج ومَلاحِم القتال في الدنيا وعُلُوِّهم عليهم في الآخرة[١].

١٧٤- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأَعرِض عنهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ۝١٧٤﴾ إلى مُدة يسيرة، وهي المدةُ التي أُمهِلوا فيها، أو إلى يوم بدر، أو إلى فتح مكة.

١٧٥- ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ أَبصِرْ ما ينالُهم يومَئذ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝١٧٥﴾ ذلك، وهو للوعيد لا للتبعيد، أو فسوف يبصرون ما أنكروا.

١٧٦- ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝١٧٦﴾ قبلَ حِينه.

١٧٧- ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ العذابُ ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفِنائِهم[٢] ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝١٧٧﴾ قيل: هو نزولُ رسول الله ﷺ يوم الفتح بمكة، مُثِّلَ العذابُ النازلُ بهم بعدما أُنذِروه فأنكروه بجيشٍ أَنذرَ بهجومه قومَه بعضُ نُصَّاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره حتى أناخ بفِنائهم بَغتةً فَشَنَّ عليهم الغارةَ، وكانت عادة مَغاويرهم[٣] أن يُغيروا صباحا، فسُمِّيت الغارة صباحًا وإن وقعت في وقت ءاخر.

---

(١) إن الأنبياء وأتباعهم هم منصورون في الدنيا بالحجة مع الغلبة الحسية في بعض الحالات، وهم الغالبون في الآخرة حِسًّا ومعنى، لأن الكفار في الآخرة ليس لهم من رحمة الله نصيبٌ، لأنهم دائمًا في نكد وقلق لا ينقطع، فالأنبياء وأتباعهم هم المنصورون في الدنيا والآخرة، لأن غلبةَ الكفار بالحِسّ في بعض الحالات كلا غلبة، لأنه بسرعة ينقطع ويعقُبه الموت، ويأتي بعده العذاب في الآخرة.

(٢) الفِناءُ: سَعَةٌ او مُتَّسَعٌ أمام الدار.

(٣) المِغْوارُ: المُقاتِل.

﴿وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ١٧٨ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ١٧٩ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾

١٧٨- ١٧٩- ﴿وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ١٧٨ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ١٧٩﴾ وإنما ثُنِّيَ ليكون تسليةً[1] على تسلية، وتأكيدًا لوقوع الميعاد إلى تأكيد، وقيل: أُريد بأحدهما عذابُ الدنيا وبالآخر عذابُ الآخرة.

١٨٠- ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ﴾ أضيف الربُّ إلى العزة لاختصاصه بها، كأنه قيل: ذو العِزَّة، ويجوز أن يُرادَ أنه ما مِن عِزَّة لأحد [من المخلوقات] إلا وهو ربُّها ومالكها، كقوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ ٢٦﴾ [سورة آل عمران]، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ من الولد والصاحبة والشريك.

١٨١- ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١﴾ عَمَّ الرُّسُلَ بالسلام بعد ما خَصَّ البعضَ في السورة، لأن في تخصيص كلٍّ بالذكر تطويلًا.

١٨٢- ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ على هلاك الأعداء ونُصرة الأنبياء. اشتملت السورة على ذِكرِ ما قالَه المشركون في الله ونسبوه إليه مما هو منزَّه عنه، وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خُوِّلُوه[2] في العاقبة من النُّصرة عليهم، فختَمَها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وَصَفَه به المشركون، والتسليمِ على المرسلين والحمدِ لله ربِّ العالمين على ما قَيَّضَ[3] لهم من حُسن العواقب، والمرادُ تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يُخِلُّوا به ولا يَغفُلوا عن مُضَمَّنات كتابه الكريم ومُوْدَعات قرءانه المجيد.

---

(١) أي: تخفيفًا للحزن.
(٢) أي: أُعطُوه.
(٣) أي: هَيَّأَ وسَبَّب.

سورة ص
مكية وهي ثمان وثمانون ءاية كوفي وتسع بصري وست مدني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿صٓ﴾ ذِكرُ هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز، ثم أَتبعَه القَسَمَ محذوفَ الجواب لدِلالة التحدي عليه كأنه قال: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ أي ذِي الشَّرَفِ إنه لَكَلامٌ مُعجِزٌ.

٢- ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ﴾ تَكبُّرٍ عن الإذعان لذلك والاعترافِ بالحقّ ﴿وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ خِلافٍ لله ولرسوله ﷺ، والتنكيرُ في عِزَّةٍ وشِقاقٍ للدلالة على شِدَّتهما وتَفاقُمهما.

٣- ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وَعيدٌ لذَوي العِزَّة والشِّقاق ﴿مِن قَبْلِهِم﴾ مِن قبلِ قومِك ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ مِن أُمةٍ ﴿فَنَادَوا۟﴾ فدعَوا واستغاثوا حين رأوا العذابَ ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾ منجًى، أي وليس الحينُ حينَ مَنَاصٍ، [أي استغاثوا والحال أن لا مهربَ ولا منجًى، وما اعتبر بهم[١] كفارُ مكة].

---

(١) أي: بالقرون الماضية الهالكة.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾

---

٤ - ٥ - ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم﴾ مِن أن جاءهم ﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ﴾ رسولٌ من أنفسهم، يعني استبعدوا أن يكون النبيُّ من البشر ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ ولم يقل: (وقالوا) إظهارًا للغضب عليهم، ودِلالةً على أَنَّ هذا القول لا يَجسُرُ عليه إلا الكافرون المتوغِّلون في الكفر، المُنهَمِكون في الغَيّ(١)، إذ [يتعجبون] من التوحيد؛ وهو الحقُّ الأَبلجُ، ولا يتعجبون من الشرك؛ وهو باطلٌ لَجْلَجٌ(٢). روي أن عمر رضي الله عنه لَمّا أسلمَ فرح به المؤمنون وشقَّ على قريشٍ فاجتمع خمسة وعشرون نَفْسًا من صناديدهم(٣) ومَشَوا إلى أبي طالب وقالوا: أنت كبيرنا، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء - يريدون الذين دخلوا في الإسلام - وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فاستحضرَ أبو طالب رسولَ الله ﷺ فقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السَّواءَ(٤)، فلا تمِلْ كل الميل على قومك، فقال عليه السلام: «**ماذا يسألونني؟**» فقالوا: ارفُضنا وارفُض ذِكرَ ءالهتِنا وندعك وإلٰهك، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أتُعطوني كلمةً واحدة تملكون بها العربَ وتدِينُ(٥) لكم بها العجم؟**»، قالوا: نعم وعشرًا - أي نعطيكها وعشر كلمات معها - فقال: «**قولوا لا إلٰه إلا الله**» فقاموا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [أي عَجيبٌ، أو نهايةُ العَجَب].

---

(١) الغَيُّ: الضلالُ والخيبةُ والفسادُ.
(٢) التَّلَجْلُجُ: التَّردُّد في الكلام، والباطلُ لَجْلَجٌ: أي يَتَردَّدُ من غير أن يَنْفُذَ.
(٣) صناديدهم: ساداتهم وأشرافهم.
(٤) أي: العدلَ.
(٥) أي: تُطيعُكم.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾

٦- ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ وانطلق أشرافُ قريشٍ بَعْدَمَا بكَّتهم رسولُ الله ﷺ بالجواب العتيد[١] قائلينَ بعضُهم لبعضٍ أنِ امشوا ﴿وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ﴾ عبادةِ ﴿ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا﴾ الأمرَ ﴿لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ يريدُهُ اللهُ تعالى ويحكُمُ بإمضائه، فلا مَرَدَّ له ولا ينفَعُ فيه إلا الصبرُ، أو إنَّ هذا الأمرَ لشيء من نوائب الدهر[٢] يُراد بنا فلا انفكاك لنا منه.

٧- ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ بالتوحيد ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ في مِلَّة عيسى التي هي ءاخِرُ المِلَل، لأنَّ النصارى مُثَلِّثَةٌ غيرُ مُوَحِّدَةٍ، أو في مِلَّة قريشٍ التي أدركنا عليها ءاباءَنا ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ ما هذا ﴿إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ كَذِبٌ اختلقَه محمدٌ من تِلقاء نفسه.

٨- ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ القرءانُ ﴿مِنۢ بَيْنِنَا ۚ﴾ أنكَروا أن يُختَصَّ بالشَّرَف من بين أشرافهم، وينزلَ عليه الكتابُ من بينهم حَسَدًا ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ﴾ من القرءان ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾﴾ بل لم يذوقوا عذابي بَعْدُ، فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشكِّ والحَسَد حينئذ.

٩- ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يُصيبوا بها مَن شاءوا، أو يَصرفوا عَمَّن شاءوا، ويَتخيَّروا للنبوة بعضَ صناديدهم، ويترفَّعوا بها عن محمدٍ، وإنما الذي يملك الرحمةَ وخزائِنَها العزيزُ القاهر على خَلْقِهِ الوهابُ الكثيرُ المَواهب المصيبُ بها مواقعَها، الذي يقسمُها على ما تقتضيه حِكمتُه.

---

(١) بَكَّتَهم بالجواب العتيد: غَلَبَهم بالحجة الحاضرة المُهيَّأة.
(٢) نوائبُ الدَّهْر: مَصائبُه.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾

١٠- ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ حتى يتكلموا في الأمور الربَّانية والتدابير الإلهية التي يَختصُّ بها ربُّ العزة؟! ثم تهكَّم بهم غايةَ التَّهكُّم فقال: فإن كانوا يَصلُحون لتدبير الخلائق والتَّصرُّف في قِسمة الرحمة ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾ فليصعَدوا في المَعارج والطُّرُق التي يُتَوصَّلُ بها إلى السماء حتى يُدَبِّروا أَمرَ العالَم وملكوتَ اللهِ ويُنَزِّلوا الوحيَ إلى مَن يختارون.

ثم وعدَ نبيَّهُ ﷺ النصرةَ عليهم بقوله:

١١- ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ﴾ ﴿مَّا﴾ صِلةٌ، والتقديرُ: هم جندٌ، أو مَزِيدةٌ للتقليل كقولك: أكلتُ شيئًا ما، و﴿هُنَالِكَ﴾] إشارةٌ إلى بدر ومصارعهم، أو إلى حيث وَضَعوا فيه أنفسَهم من الانتداب[1] لمثل ذلك القول العظيم[2]، من قولهم لِمَن يُنتَدَبُ لأمرٍ ليس من أَهلِه: لستَ هنالِكَ ﴿مَهْزُومٌ﴾ مَكسورٌ ﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ يريد ما هم إلا جند من الكفار المُتَحَزِّبِيْنَ على رسول الله مهزومٌ عما قريب، فلا تبالِ بما يقولون ولا تكترثْ لِمَا به يَهذون[3].

١٢- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبلَ أهلِ مكَّة ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحًا ﴿وَعَادٌ﴾ هودًا ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ موسى ﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾ قيل: كانت له أَوتادٌ وحِبالٌ يُلعَبُ بها بين يديه، وقيل: يوتِدُ مَن يُعذِّبُ بأربعة أوتادٍ في يديه ورجلَيه.

---

(١) يقال: نَدَبَ القومَ إلى الأمر: دعاهم وحَثَّهم، وانْتَدَبوا إليه: أسرعوا، وانتَدَبَ القومُ من ذوات أنفسهم أيضًا دون أن يُنْدَبوا له: انتهضوا للفعل مسرعين من غير أن يَحُثَّهم أحد.

(٢) كقولهم الوارد في قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾.

(٣) يهذون: من الهَذَيان، وهو الكلامُ غيرُ المعقول، مثلُ كلام المعتوه.

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ
عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ
يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾

١٣- ﴿وَثَمُودُ﴾ وهم قوم صالح صالحًا ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ لوطًا ﴿وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ﴾ الغيضةِ[1] شعيبًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾ أراد بهذه الإشارةِ الإعلامَ بأنَّ الأحزابَ الذين جُعِلَ الجندُ المهزومُ منهم هم هم، وأَنهم الذين وُجِدَ منهم التكذيب.

١٤- ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ كلُّ واحدٍ منَ الأحزاب كذَّب جميعَ الرسل، لأنَّ في تكذيب الواحد منهم تكذيبَ الجميع لاتِّحاد دَعوَتِهم ﴿فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ فَحَقَّ لذلك أن أُعاقِبَهم حَقَّ عقابهم [فكذلك أفعلُ بمُكذِّبيك يا محمد].

١٥- ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وما ينتظر أهل مكة، ويجوز أن يكون إشارةً إلى جميع الأحزاب ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ أي النفخةَ الأولى، وهي الفَزَعُ الأكبر ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ ما لها من رجوع وتَرداد، وفَواقُ الناقة ساعةُ يرجع الدَّرُّ إلى ضَرعها، يريد أنها نفخةٌ واحدةٌ فحسبُ لا تُثَنَّى ولا تُرَدَّدُ.

١٦- ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ حَظَّنا منَ الجنة لأنه عليه الصلاة والسلام ذكرَ وَعْدَ اللهِ المؤمنينَ الجنةَ، فقالوا على سبيل الهُزء: عَجِّلْ لنا نصيبَنا منها، أو نصيبنا من العذاب الذي وَعَدْتَه كقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الحج] ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾.

١٧- ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فيكَ وصُنْ نفسَك أن تَزِلَّ فيما كُلِّفتَ من مصابرتهم وتحمُّل أذاهم ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ وكرامتَه على الله كيف زَلَّ تلك الزَّلَّةَ اليسيرةَ فلقيَ مِن عِتابِ الله ما لقي ﴿ذَا ٱلْأَيْدِۖ﴾ ذا القوة في الدين ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ رجَّاعٌ إلى مرضاة الله تعالى، رُوي أنه كان يصوم

---

(١) الغيضةُ الشجرُ الملتف المجتمع حيث مَغيضُ الماء.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾

يومًا ويُفطر يومًا، وهو أشدُّ الصوم، ويقومُ نصفَ الليل.

١٨- ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا﴾ ذلَّلنا ﴿ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾ قيل: كان تسخيرها أنها تَسيرُ معه إذا أراد سيرَها إلى حيث يريدُ ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ [بتسبيحه] ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ في طرفَي النهار، والعشيُّ وقتُ العصر إلى الليل، والإشراقُ حين تُشرق الشمس [ويصفو شعاعها]، وهو وقت الضحى.

١٩- ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ وسخَّرنا الطيرَ مجموعةً من كلِّ ناحيةٍ، كان إذا سبَّح جاوبته الجبالُ بالتسبيح، واجتمعت إليه الطير فسبَّحت، فذلك حَشْرُها ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ كلُّ واحدٍ من الجبالِ والطيرِ لأجل داود، أي لأجل تسبيحه مُسَبِّحٌ، لأنها كانت تُسَبِّحُ بتسبيحه.

٢٠- ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قوَّيناه، [قيل بكثرة الرجال، وقيل بأسباب المَنَعَة، وقيل غير ذلك] ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ الزبورَ وعلمَ الشرائع ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ عِلمَ القضاءِ وقطعِ الخِصام، والفصلَ بين الحقِّ والباطلِ.

٢١- ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ ظاهِرُهُ الاستفهامُ ومعناهُ الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة [ليكون ذلك داعيًا إلى الإصغاء للقِصَّة والاعتبار بها]، والخصمُ الخُصَماءُ، وهو يقع على الواحد والجمع، ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ تَصَعَّدوا سُوْرَهُ ونزلوا إليه، [وذلك أنه كان في يوم عبادته محتجبًا عن الخصوم مُتفرِّغًا للعبادة متخليًا لها، فطلبوا أن يُدخلوا عليه فمنعهم الحرس فتسوَّروا عليه المحراب ونزلوا إليه]، والمحرابُ الغرفة أو المسجدُ أو صَدْرُ المسجد.

٢٢- ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنهم دخلوا عليه المحرابَ في

﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ
ٱلصِّرَٰطِ ٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي
ٱلۡخِطَابِ ٢٣﴾

غير يوم القضاء، ولأنهم نزلوا عليه من فوقٍ وفي يوم الاحتجاب، والحرسُ حولَهُ لا يتركون مَن يدخلُ عليه ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ﴾ نحن خصمان، [وقيل: أي: فينا خصمان، وقد كانوا جماعة بدليل قوله تعالى: ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١﴾، ﴿دَخَلُواْ﴾، ﴿قَالُواْ﴾، ﴿مِنۡهُمۡۖ﴾، والجماعة مُدَّعٍ ومُدَّعًى عليه وشهودٌ، فإنه لا يقول: ﴿ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ بمجرد دعوى المدَّعي، فالظاهر أنّه قال ذلك بعد شهادتهم للمُدَّعي] ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ تعدَّى وظلمَ ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ ولا تَجُرْ منَ الشَّطَط وهو مجاوزة الحَدِّ وتخطِّي الحق [وفي أمرهما له ونهيهما له بعضُ فظاظة، حَمَلَ على ذلك ما هما فيه من التخاصم والتشاجر فاستدعيا عدلَه من غير ارتياب بأنه يحكم بالعدل] ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢﴾ وأرشِدنا إلى وسط الطريق ومَحجَّته، والمرادُ عين الحقِّ ومحضه.

٢٣- ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي﴾ المراد أُخوَّةُ الدين، أو الشركة والخلطة ﴿لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ [الظاهر إبقاء لفظ النعجة على حقيقتها من كونها أنثى الضأن، ولا يكنى بها عن المرأة، ولا ضرورة تدعو إلى ذلك، وقيل: كان الخصمان أخوين من بني إسرائيل من أم وأب، فالقصة على ظاهرها، والخصمان كانا من الإنس، وقعت لهما هذه الخصومة على الحقيقة فاستعجَلا الوصولَ إلى نبي الله بتسَوُّر المحراب ولم ينتظرا خروجه ولا إذنَ الحُجَّاب والله أعلم] ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ مَلِّكْنِيها، وحقيقته اجعلني أكفُلُها كما أكفُل ما تحت يدي ﴿وَعَزَّنِي﴾ وغلبني ﴿فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣﴾ أي أنه كان أقدرَ على الاحتجاج مني، وأراد بالخطاب مخاطبةَ المُحاجِّ المجادِل.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾

٢٤- ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ [مضمومةً إلى نعاجهِ]، وفي ذلك استنكار لفعل خليطه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ الشركاء والأصحاب ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [أي: يطلبُ الفضلَ لنفسه ويظلمُ] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [فإنهم لا يبغون] ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ﴾ [أي: وهم قليل] ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ عَلِمَ وأيقن ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ ابتليناه ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ لِزَلَّتِه[1]، [قيل: إن ذنبه كان في المبادرة إلى تصديق المدعي بعدما شهد له شهودهُ وتظليم الآخر قبل سؤاله عن روايته لقصتهما إذ لم يحك القرءان عنه إلا سماعه من أحدهما ولم يحك استفساره من الآخر عما ادُّعِيَ عليه والله أعلم] ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ سقط على وجهه ساجدًا لله ﴿وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ ورجع إلى الله بالتوبة.

٢٥- ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ﴾ أي زلته ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ لقربةً ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ مرجعٍ، وهو الجنة.

٢٦- ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ استخلفناك على المُلك

---

(١) القصة المنسوبة كذبًا وزورًا لنبي الله داود عليه السلام أنه أُعجب بزوجة قائد جيشه أوريا فأرسله للمعركة ليُقتل، فيتزوج امرأته، ليس لها صحة، ولا تناسب منصب الأنبياء، بل لا تليق بالمتَّسِمين بالصلاح من أفراد المسلمين فضلًا عن بعض أعلام الأنبياء، فالأنبياء جميعهم تجب لهم العصمة من الكفر والكبائر وصغائر الخسة ومن جميع الرذائل قبل النبوة وبعدها. وأما استغفار داود عليه السلام فإنّه كان من أنه قال لأحد الخصمَين: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، قبل أن يسمع من الآخر، فإنه قد يكون له أيضًا حجة وبيّنة على صاحبه، هذا ما ذكره بعض المفسرين، وقال بعضهم: نقتصر على تلاوة ما ورد في القرءان الكريم في القصة ونردُّ عِلمَ ما كان إلى الله عزَّ وجلَّ.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾

في الأرض ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ بحكم الله ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ هوى النفس في قضائك ﴿فَيُضِلَّكَ﴾ الهوى ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ بنسيانهم يوم الحساب، [أي بتركهم سلوك سبيل الله المنجي يوم الحساب].

٢٧- ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ من الخلق ﴿بَٰطِلٗاۚ﴾ خلقًا باطلًا لا لحكمةٍ بالغةٍ، أو عَبَثًا، أي ما خلقناهما وما بينهما للعَبَث واللعب، ولكن للحق المبين، وهو أنّا خلقنا نفوسًا أودعناها العقلَ، ومنحناها التمكينَ، وأزحنا عِلَلَها، ثم عَرَّضناها للمنافع العظيمة بالتكليف، وأعددنا لها عاقبةً وجزاءً على حسب أعمالهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى خلقها باطلًا ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ الظنُّ بمعنى المظنون، أي خَلقُها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا، وإنما جُعلوا ظانِّينَ أنه خَلَقَها للعَبث لا للحكمة مع إقرارهم بأنه خالق السماوات والأرض وما بينهما لقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ٢٥﴾ [سورة لقمان] لأنه لمَّا كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديًا إلى أنَّ خَلْقَها عَبَثٌ وباطل، جُعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ [بسبب هذا الظن].

٢٨- ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾ [الاستفهام هنا بمعنى النفي والإنكار] والمراد أنه لو بَطلَ الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال مَن أصلح وأفسد واتَّقى وفجر، ومَن سوَّى بينهم كان سفيهًا، ولم يكن حكيمًا.

٢٩- ﴿كِتَٰبٌ﴾ أي هذا كتاب ﴿أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ يعني القرءان ﴿مُبَٰرَكٞ

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ليتفكروا فيها، فيقفوا على ما فيه ويعملوا به ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ وليتعظَ بالقرءان أُولو العقول.

٣٠- ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ﴾ [أي: رزقناه ولدًا اسمه سليمان] ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أي سليمانُ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ كثيرُ الرجوع إلى الله تعالى.

٣١- ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ بعد الظهر ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الخيول القائمة على ثلاث قوائم، وقد أقامت الأخرى على طرف حافرٍ [وهو من الصفات المحمودة في الخيل ولا يكاد يكون في الهِجان(١) وإنما هو في العِراب(٢)] ﴿ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ السِّراع جمع جوادٍ، لأنه يجود بالركض، وصفها بالصُّفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفةً وجارية.

ورُوي أنَّ سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونَصِيْبِين(٣) فأصاب ألف فرسٍ، وقيل: ورثها من أبيه(٤)، وأصابها أبوه من العمالقة(٥)، فقعد يومًا بعدما صلى الظهر على كرسيّه واستعرضها، فلم تزل تُعرض عليه حتى غربت الشمس، [وَسَها] عن العصر، وكانت فرضًا عليه، فاغتمَّ لِما فاتَه، فاستردَّها، وعَقَرَها [وأطعم الناس لحمَها] تقربًا لله [بأحب الأموال إليه]، وبقي مائةٌ، فما في أيدي الناس مِنَ الجِياد فَمِن نسلها، وقيل: لمَّا عقرها أبدله الله خيرًا منها، وهي الريح تجري بأمره.

---

(١) الهِجان: جمع هَجِين، والهَجين من الخيل: الذي وَلَدَتْه فَرَسٌ برْذَونَةٌ من حصان عربي.
(٢) أي: الخيل العربية.
(٣) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادَّة القوافل من الموصل إلى الشام، فتحت عام ١٧هـ.
(٤) على أنها لمصالح المسلمين، فالإرثُ هنا بمعنى حيازةِ التصرُّف في المصالح.
(٥) هم الجبابرة الذين كانوا بالشّام من نَسْل عِمْليق.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾

٣٢- ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ ءاثرتُ حبَّ الخيل عن ذكر ربّي [أي شُغلت بها حتى سَهَوت عن صلاة العصر حتى فات وقتها] ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ﴾ الشمس ﴿بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ بحجاب الليل يعني الظلام.

٣٣- ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾ أي رُدُّوا الصافنات ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ فجعل يمسح السيف بسُوقها - وهي جمع ساقٍ - وأعناقِها، يعني يُقطعها لأنها منعته عن الصلاة، وكانت الخيل مأكولةً في شريعته فلم يكن إتلافًا [بل تقرّبًا إلى الله تعالى بالتصدق بأحب الأموال إليه والتصدق بلحومها]، وقيل: مسحها بيده استحسانًا لها وإعجابًا بها، [وقد نقل الطبري هذا القول عن ابن عباس، وأبو حيان عنه وعن الزهري، ورجَّح الطبري هذا التفسير وقال: إنه الأَشبهُ بتأويل الآية].

٣٤- ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ﴾ ابتليناه ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ﴾ سرير مُلكه ﴿جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ رجع إلى الله، عن النبي ﷺ: «**قال سليمانُ: لأطوفنَّ الليلةَ على سبعينَ امرأةً كلُّ واحدةٍ منهنَّ تأتي بفارسٍ يُجاهدُ في سبيلِ اللهِ، ولم يَقُلْ: إنْ شاءَ اللهُ، فطافَ عليهنَّ فلمْ تحمِلْ إلا امرأةٌ واحدةٌ جاءتْ بشِقِّ رجلٍ، فجيءَ بهِ على كرسيِّهِ فوُضِعَ في حِجْرِهِ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لوْ قالَ: إن شاءَ اللهُ، لجاهدوا في سبيلِ اللهِ فرسانًا أجمعونَ**»(١) وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان(٢)

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) يُروى ولا يصح أن شيطانًا اسمه صخرُ بن عمير قال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أعطني خاتمك حتى أخبرك، فأعطاه خاتمه فرماه في البحر، فانتقل ملك سليمان=

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾

وعبادة الوثن[1] في بيت سليمان عليه السلام فَمِن أباطيل اليهود.

٣٥- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا﴾ قدَّمَ الاستغفارَ على استيهاب المُلك جريًا على عادة الأنبياء عليهم السلام والصالحين في تقديم الاستغفار على السؤال ﴿لَّا يَنۢبَغِى﴾ لا يتسهَّل ولا يكون ﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [لم يسأل ذلك نَفاسَةً على غيره، وطلبًا للاستئثار بمثله، لكن أراد أن يكون مُلكه على هذا الوجه ءاية لنبوته يَبينُ بها عن غيره من ملوك الأرض في عصره] وليكون ذلك معجزةً له لا حسدًا، وكان قبل ذلك لم تُسَخَّر له الريح والشياطين، فلمَّا دعا بذلك سُخِّرت له، [ويحتمل أنه سأل ذلك ليبقى له الذكر والثناء الحسن في الخلق كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة الشعراء]، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [المعطي ما تشاء لِمَن تشاء].

٣٦- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ [ذللناها له] ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ﴾ بأمر سليمان ﴿رُخَآءً﴾ لينةً طيبةً [طيّعَةً لا تُخالف إرادتَه كالمأمور المنقاد] ﴿حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ قصد وأراد.

= عنه لزوال خاتمه، وقيل: تَختَّمَ به صخرٌ فصار الملك له، وقيل: كان لسليمان امرأة يقال لها جرادة فدخل سليمان الخلاء مرة فنزع خاتمه واستأمنها إياه فجاء شيطان على صورة سليمان فأخذ منها الخاتم وقعد على كرسي سليمان يقضي بين الناس وهم يعتقدونه نبيَّ الله وكل هذا من الأباطيل الفاسدة التي لا تليق بالأنبياء ولا تقبلها العقول السليمة وتردُّها العقائد المستقيمة.

(١) وهذا من القصص الباطلة التي زَلَّ فيها بعض الناس وفيها أن سليمان غزا ملكًا من الملوك فقهره وسَبَى ابنةً له وشُغِفَ بها اسمُها جرادة فقالت لسليمان إن رأيت أن تأذن لي حتى أتخذ صورةً على صورة أبي، فلست أتمالك شوقًا إليه، فأذن لها، فاتخذت صنمًا، فعبدته في دار سليمان أربعين يومًا فابتلى الله سليمان بسبب ذلك بنقل ملكه عنه، وهذا من أشد الإسرائيليات المفتراة على الأنبياء عليهم السلام فسادًا.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾

٣٧- ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ وسخَّرنا له الشياطين ﴿كُلَّ بَنَّآءٖ﴾ كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية ﴿وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾﴾ ويغوصون له في البحر لإخراج اللؤلؤ، وهو أول مَن استخرج اللؤلؤ من البحر، أي وسخَّرنا له كل بَنَّاءٍ وغوَّاصٍ من الشياطين.

٣٨- ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ وكان يُقرِّن مَرَدَةَ الشياطين بعضَهم مع بعضٍ في القيود والسلاسل للتأديب والكفِّ عن الفساد.

٣٩- ﴿هَٰذَا﴾ الذي أعطيناك من المُلك والمال والبَسْطة ﴿عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ﴾ فأعطِ منه ما شئت، من المِنَّة: وهي العطاءُ ﴿أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾ عن الإعطاء، وكان إذا أعطى أُجِرَ وإذا مَنَعَ لم يأثم ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾﴾ أي هذا عطاؤنا جمًّا كثيرًا لا يكاد يُقدرُ على حصره.

٤٠- ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ [قُربةً في المنزلة يوم القيامة] ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾﴾ [أي: مرجع، وهو الجنة].

٤١- ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ [أيها الرسول] ﴿عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ دعاه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ﴾ حكايةٌ لكلامه الذي ناداه بسببه، [أي بأني مَسَّنِيَ] ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ﴾ هو التعب والمشقة ﴿وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ أَلَم، يريدُ مرضَه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوَصَب[1]، قيل: أراد ما كان يوسوس به إليه من تعظيم ما نزل به من البلاء، فالتجأ إلى الله في أن يكفيَهُ ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه وردِّه بالصبر الجميل، وذُكر في سبب بلائه أنه لرفع الدرجات بلا زَلَّةٍ سبقت منه.

---

(١) الوصب: دوام الوجع ولزومه.

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ﴾

٤٢- ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ حكاية ما أُجيب به أيوب عليه السلام، أي أرسلنا إليه جبريل عليه السلام فقال له: اركُضْ برجلك، أي اضربْ برجلك الأرضَ، وهي أرض الجابية[1]، فضربها، فنبعت عينٌ فقيل: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ أي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنُك وظاهرك[2].

٤٣- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أحياهم الله تعالى بأعيانهم وزاده مثلَهم[3] ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولي الألباب، لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لِصَبْرِه رغَّبهم في الصبر على البلاء.

٤٤- ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ حُزمةً صغيرةً من حشيشٍ، أو ريحان، أو غير ذلك ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ﴾ وكان حلف في مرضه ليضربنَّ امرأته مائةً إذا بَرَأَ، فحلَّل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحُسن خدمتها إياه، وهذه الرخصة باقيةٌ، ويجبُ أن يصيبَ المضروبَ كلُّ واحدةٍ من المائة، [وقيل: إن] السبب في يمينه أنها باعت ذؤابتيها[4] برغيفين [وقيل: لسنا ندري ما الذي حمله على الحلف بضربها ولا حاجة لنا

---

(١) الجابية: قرية بالشام من أعمال دمشق.

(٢) أي من أمراضك البدنية الباطنة والظاهرة، ولم يكن منها ما هو مُنَفِّرٌ للناس عنه كما يُروى في بعض القصص المفتراة، وأمّا قلبُه عليه السلام فنَقيٌّ طاهر من كل الأمراض كسائر الأنبياء عليهم السلام.

(٣) روي أن أيوب عليه السلام كان له سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة ءالآف بعير وسبعة ءالآف شاة فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثماني عشرة سنة، ولم يذكر في القرءان ولا في الحديث نوع مرضه.

(٤) الذؤابة: الضَّفيرة من الشعر.

﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾

إلى معرفة ذلك السبب غير أنّا نعلم أن الأنبياء عليهم السلام لا يفعلون ذلك لغير ما سبب] ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ﴾ عَلِمناه ﴿صَابِرًا﴾ على البلاء، نعم قد شكا إلى الله ما به واسترحمه، لكن الشكوى إلى الله لا تسمَّى جزعًا، على أنه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفةً على قومه من الفتنة، حيث كان الشيطان يوسوس إليهم أنه لو كان نبيًّا لَما ابتُليَ بمثل ما ابتُلِيَ به، وإرادةَ القوة على الطاعة ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أيوبُ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [كثير الرجوع إلى الله تعالى ومرضاته].

٤٥- ﴿وَٱذْكُرْ﴾ [يا محمد] ﴿عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ لمَّا كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غُلِّبَت فقيل في كل عمل: هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملًا لا تتأتى فيه المباشرة بالأيدي، وعلى هذا ورد قوله: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ أولي الأعمال الظاهرة والفِكَر الباطنة، كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة، ولا يجاهدون في الله، ولا يُفكرون أفكار ذوي الديانات في حكم الزَّمْنَى الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم، والمسلوبي العقول الذين لا استبصار لهم، وفيه تعريضٌ بكلّ مَن لم يكن من [العاملين في طاعة] الله ولا من المستبصِرين في دين الله، وتوبيخٌ على تركهم المجاهدةَ والتأمُّلَ مع كونهم متمكنين منهما.

٤٦- ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم﴾ جعلناهم لنا خالصين ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ بخَصلةٍ خالصةٍ لا شَوْبَ[1] فيها ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ المعنى إنا أخلصناهم بذكر الدار، والدارُ هنا: الدارُ الآخرة، يعني جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم

---

(١) أي لا يخالطها شيء ءاخر من التعلق بالدنيا.

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ
ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا
يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ
لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾

يُذَكِّرون الناسَ الدارَ الآخرة ويُزهِّدونهم في الدنيا كما هو دَيْدَن[1] الأنبياء عليهم السلام.

٤٧- ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ المختارِينَ من بين أبناء جنسِهم ﴿ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [الأفاضل]، جمع خيِّرٍ.

٤٨- ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ﴾ وكلُّهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [أي: الأفاضل].

٤٩- ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾ هذا شَرفٌ وذِكرٌ جميل يُذكرون به أبدًا، وإنَّ لهم مع ذلك لَحُسنَ مرجعٍ.

ثم بيَّن كيفيةَ حُسن ذلك المرجع فقال:

٥٠- ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [يأتونها وقد فُتِحَت لهم أبوابُها].

٥١- ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ [على الأرائك] ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ كثيرٍ، [كُلُّ ما يتمنَّونه بقلوبهم يأتيهم من غير لَبْثٍ ولا كُلفة].

٥٢- ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قصَرن طرفهنَّ[2] على أزواجهنَّ ﴿أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [لِداتٌ على سِنٍّ واحدة، متساوياتٌ في الحسن والجمال].

٥٣- ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾ ليومٍ تُجزى [فيه] كلُّ نفسٍ بما عملت.

---

(١) الدَّيْدَن: الدأب والعادة.

(٢) الطَّرْفُ: النظر، وامرأة قاصرة الطرف لا تمد طرفها إلى ما لا يجوز.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾﴾

٥٤- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ من انقطاعٍ.

٥٥- ﴿هَٰذَاۚ﴾ أي: الأمر هذا [كما وصفنا] ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾﴾ [لَأَسوأَ] مرجع.

٥٦- ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلُونها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾﴾ شَبَّه ما تحتهم من النار بالمِهاد الذي يفترشُه النائم.

٥٧- ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ أي: هذا حميمٌ وغسَّاق فليذوقوه، [والحميم: الماء الحار الذي تناهَى حَرُّه] والغسَّاق ما يَغْسِقُ من صَديد(١) أهل النار.

٥٨- ﴿وَءَاخَرُ﴾ وعذاب ءاخرُ ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ مِنْ مِثل العذاب المذكور [من الحميم والغَسَّاق] ﴿أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ضروبٌ وألوان، كالضريع(٢) والغِسْلين(٣) والزَّقُّوم(٤)].

٥٩- ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْۖ﴾ هذا جمعٌ كثيف دخل النارَ في صحبتكم، وهذه حكايةُ كلام الطاغين بعضِهم مع بعض، والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْۚ﴾ دعاء منهم على أتباعهم، تقول لِمَن تدعو له: مرحبًا أي أتيتَ رَحْبًا من البلاد لا ضَيِّقًا، ثم تدخل عليه (لا) في دعاء السوء ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾﴾ داخِلوها [فمُقاسون حرَّها كما نقاسيه].

---

(١) الصديد: القيح المنتن الذي يسيل من جلود أهل النار.
(٢) الضريع: نبت من الشوك لا ترعاه دابةٌ لخبثه، وهو سمٌ قاتل.
(٣) الغِسلين: غُسالةُ جروح أهل النار وقيحُهم.
(٤) الزَّقوم: هي على صور شجر الدنيا وهي شجرة مُرَّةٌ تكون بِتهامة، من أخبث الشجر، ينبتها الله تعالى في الجحيم.

﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

٦٠- ﴿قَالُوا۟﴾ أي الأتباعُ: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ﴾ الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحقُّ به ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ [قدَّمتم الصَّلْيَ أو اقتحام النار] ﴿لَنَا ۖ﴾ أي إنكم دعوتمونا [وحملتمونا على الكفر بالدعوة والتزيين حتى أَوردتُّمونا هذه الموارد]، فكفرنا باتّباعكم ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾ النارُ.

٦١- ﴿قَالُوا۟﴾ أي الأتباع: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ [مَن كان سببًا لهذا بدعوته] ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضاعَفًا ﴿فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾ وهو أن يزيد على عذابه مثلَه [بكفره وبدعوته إيّانا إليه].

٦٢- ﴿وَقَالُوا۟﴾ الضمير لرؤساء الكفرة: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ يعنون فقراءَ المسلمين ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾ من الأرذال الذين لا خير فيهم ولا جدوى.

٦٣- ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ إنكار على أنفسهم [وتأنيب لها] في الاستسخار[1] منهم ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ مالت ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ أي ما لنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها، بل أزاغت عنهم أبصارُنا فلا نراهم وهم فيها، قسموا أمرَهم بين أن يكونوا من أهل الجنة، وبين أن يكونوا من أهل النار، إلا أنه خفي عليهم مكانُهم.

٦٤- ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي حَكَينا عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ لَصدقٌ كائن لا مَحالةَ، لا بدَّ أن يتكلموا به، ثم بيَّن ما هو فقال: هو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ ولمَّا شبَّه تقاولَهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصِمين سَمَّاه تخاصمًا، ولأنَّ قولَ الرؤساء: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ﴾،

(١) الاستسخار: من السخرية بمعنى الاستهزاء.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡغَفَّٰرُ ٦٦ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ٦٨ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ
يَخۡتَصِمُونَ ٦٩ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٧٠﴾

وقولَ أتباعهم: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ﴾ من باب الخصومة، فسمَّى التقاول كلَّه تخاصمًا لاشتماله على ذلك.

٦٥- ﴿قُلۡ﴾ يا محمد لمشركي مكة: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ﴾ ما أنا إلّا رسولٌ منذِرٌ أُنذركم عذابَ الله تعالى ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وأقول لكم: إنَّ دينَ الحقّ توحيدُ الله وأنْ نعتقد أن لا إلٰه إلا الله ﴿ٱلۡوَٰحِدُ﴾ بلا نِدٍّ ولا شريكٍ ﴿ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥﴾ لكلِّ شيءٍ.

٦٦- ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ له المُلك والرُّبوبيَّةُ في العالَم كلِّه ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلَبُ إذا عاقب ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ ٦٦﴾ لذنوب مَن التجأ إليه.

٦٧- ﴿قُلۡ هُوَ﴾ أي هذا الذي أَنبأتُكم به من كوني رسولًا مُنذِرًا، وأنَّ الله واحدٌ لا شريك له ﴿نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ٦٧﴾ لا يُعرِضُ عن مِثلِه إلّا غافلٌ شديدُ الغفلة. ثمَّ:

٦٨- ﴿أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ٦٨﴾ [لِتَمادي غفلتكم].

٦٩- ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٦٩﴾ احتجَّ لصحة نبوَّته بأنَّ ما يُنبِئُ به عن المَلَإِ الأعلى [الملائكة وإبليس حين كان في السماء] واختصامِهم [وتقاولِهم في شأن ءادم عليه السلام وخلقه من طين واستحقاقِه للخلافة والسجود] أمرٌ ما كان له به من علم قَطُّ، ثم عَلِمَه، ولم يَسلُك الطريقَ الذي يسلُكه الناسُ في عِلم ما لم يعلموا، وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب، فعُلِم أنَّ ذلك لم يحصل له إلا بالوحي من الله تعالى.

٧٠- ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٧٠﴾ معناه ما يوحى إليَّ إلا للإنذار [لأني رسولٌ نذيرٌ لكم من عذابه تعالى مُبَيِّنٌ لكم شرعَه].

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

٧١- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ في شأن ءادم على لسان مَلَكٍ ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا﴾ [يعني بذلك خلق ءادم] ﴿مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [ذكر هنا أنه خلقه من طين، وفي ءال عمران ﴿مِن تُرَابٍ ﴿٥٩﴾﴾ وفي الحجر ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ ولا منافاةَ فإنَّ المادة البعيدة هي التراب، ثم ما يليه وهو الطين، ثم ما يليه وهو الحمأ المسنون، ثم ما يليه وهو الصلصال].

٧٢- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ فإذا أتممتُ خَلْقَه وعدَّلتُه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ الذي خلقتُه، وأَضافَهُ إليه تخصيصًا كبيتِ الله وناقةِ الله، والمعنى: أَحييتُه وجعلتُه حسَّاسًا مُتنفِّسًا ﴿فَقَعُوا۟﴾ أمرٌ من: اسقطوا على الأرض، والمعنى: اسجدوا ﴿لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ سجدةَ التحية [بوضع الجبهة على الأرض إكرامًا له عليه السلام وتعظيمًا لا عبادة، ويدلُّ على ذلك قولُه تعالى ﴿فَقَعُوا۟﴾. وقد نُسِخَ جواز السجود للتحية في شرع نبيّنا عليه الصلاة والسلام].

٧٣- ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ كلٌّ للإحاطة، وأجمعون للاجتماع، فأفاد أنهم سجدوا عن ءاخِرهم جميعًا في وقتٍ واحدٍ غيرَ متفرقينَ في أوقاتٍ.

٧٤- ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾ تعظَّم عن السجود، [والاستثناء منقطع بمعنى لكن إبليس استكبرَ، ولم يكن إبليسُ من الملائكة بدليل قوله تعالى عن الملائكة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [سورة التحريم] وقوله تعالى ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الأنبياء] فلو كان اللعين الرَّجيم منهم لأطاعَه كما أطاعوه، وقولِهِ تعالى إخبارًا عن إبليسَ قولَه ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأعراف] والملائكة إنما خلقوا من النور، وقولِهِ تعالى ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الكهف] ولم يقل من الملائكة]. ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ وصار من الكافرين بإباءِ الأَمر.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ
مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ
ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾﴾

٧٥- ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ﴾ ما منعك عن السجود امتثالًا لأمري وإعظامًا لخطابي ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ أي بلا واسطة، [ويجوز أن يقال: المراد باليدين هنا العناية والحفظُ على أنَّ ءادم عليه السلام خُلقَ مُشَرَّفًا مُكَرَّمًا بخلاف إبليس، أي خَلَقتُه بعنايتي وحفظي على وجه الإكرام والتعظيم له، أي أنَّ الله تعالى أراد له هذا المقام العالي والخير العظيم] ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ استفهام إنكارٍ [وتوبيخ] ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ مِمَّن عَلَوْتَ وفُقت [فأجاب بأنه من العالين، حيث]

٧٦- ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾﴾ يعني لو كان مخلوقًا من نارٍ لما سجدتُ له لأنه مخلوقٌ مِثلي، فكيف أَسجدُ لِمَن هو دوني لأنه من طينٍ، والنار تغلب الطينَ وتأكلُه.

٧٧- ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾﴾ مرجومٌ أي: مطرودٌ [من الرحمة ومحل الكرامة].

٧٨- ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ﴾ إبعادي من كلّ الخير ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ أي الجزاء، [وفيه إخبارٌ أنه يبقى على الكفر إلى يوم القيامة].

٧٩- ٨١- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ﴾ فأمهلني ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾﴾ الوقت الذي تقع فيه النفخة الأولى، ومعنى المعلوم أنه معلومٌ عند الله مُعَيَّن لا يتقدَّم ولا يتأخر، [وقيل: إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يُبعثون لئلا يموت، لأنه لا يموت يوم البعث أحد، فلم يُجَبْ إلى ذلك، وأُنظِرَ إلى ءاخر أيام التكليف].

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ
أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

٨٢- ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ أي أُقسم بعزة الله وهي سُلطانه وقهره ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [أي لأُضِلَّنَّ بني ءادم بالوسوسة].

٨٣- ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الذين أخلصتَهم لعبادتك، وعصمتَهم مني، فإنه لا يعمل فيهم إغوائي].

٨٤- ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ﴾ [فالحقُّ بأني أملأ جهنم منك ومن متَّبعيك] ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ معناه ولا أقول إلا الحقّ.

٨٥- ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ من جنسك، وهم الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من ذرية ءادم ﴿أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ لأملأنَّ جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين، لا أترك منهم أحدًا.

٨٦- ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ الضمير للقرءان أو للوحي ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ من الذين يتصنَّعون ويتحلَّون بما ليسوا من أهله، وما عرفتموني متصنِّعًا ولا مدَّعيًا بما ليس عندي حتى أنتحلَ النبوةَ وأتقوَّلَ القرءان.

٨٧- ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرءان ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ من الله ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ للثقلَين أُوحِيَ إليَّ فأنا أُبلِّغه.

٨٨- ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ نبأَ القرءانِ وما فيه من الوعد والوعيد وذِكرِ البعث والنشور ﴿بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ بعدَ الموت، أو يومَ بدرٍ، أو يومَ القيامة، ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر [بقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ وكذا قال في أثنائها: ﴿وَٱذْكُرْ﴾ عدة مرات وفي ءاخرها ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

سورة الزمر

مكية إلا قوله ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ إلى ﴿يَشۡعُرُونَ﴾ وهي خمس وسبعون ءاية كوفي وثنتان وسبعون بصري ومدني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي القرءان ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ نُزّل من الله ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ [الغالب] في سلطانه [الذي لا يُغلَب] ﴿ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ في تدبيره.

٢- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [يا محمد] ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [أي القرءان] ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ [ببيان الحق] ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ مُمَحِّضًا له الدينَ من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفيةِ السِّر.

٣- ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ هو الذي وَجَبَ اختصاصُه بأن تُخْلَصَ له الطاعةُ من كل شائبةِ كَدَرٍ لاطّلاعِهِ على الغيوب والأسرار ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ أي ءالهة تقديره: والذين عَبَدوا الأصنام يقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ تقريبًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ بين المسلمين والمشركين ﴿فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾ قيل: كان

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾

المسلمون إذا قالوا لهم: مَن خلقَ السمواتِ والأرضَ؟ قالوا: الله، فإذا قالوا لهم [إنكارًا عليهم]: فما لكم تعبدون الأصنام؟ قالوا: ما نعبدهم إلا ليقرِّبونا إلى الله زُلفى[1]، والمعنى أنَّ الله يحكم يوم القيامة بين المتنازِعِين من الفريقين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ لا يهدي من هو في علمه أنه يختار الكفر، يعني لا يوفقه للهدى ولا يُعينُه[2] وقتَ اختيارِهِ الكفرَ ولكنه يَخذُله.

وكَذِبُهم قولُهم في بعض مَن اتخَذوا مِن دون الله أولياءَ: بناتُ الله، ولذا عَقَّبه محتجًّا عليهم بقوله:

٤- ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ لو جاز اتخاذُ الولد على ما تظنون لاختارَ مما يَخلُقُ ما يشاء، لا ما تختارون أنتم وتشاؤون ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ نزَّه ذاتَه من أن يكون له أحدُ ما نَسَبوا إليه من الأولياء والأولاد، ودلَّ على ذلك بقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾ يعني أنه واحدٌ مُتبرِّئٌ عن انضمامِ الأعداد، متعالٍ عن التجزُّؤ والوِلاد قَهَّارٌ لكل شيء، ومِنَ الأشياءِ ءالهتُهم فأنَّى يكون له أولياءُ وشركاء؟

---

(١) لا يصح الاستشهاد بهذه الآية لتكفير المسلمين المتوسلين والمستغيثين بالأنبياء والأولياء، فإن الآية الكريمة وردت في المشركين الذين يعبدون الأصنام كما هو واضح في صريح الآية: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، أما المسلمون المستغيثون والمتوسلون بالأنبياء والأولياء فإنهم لا يعبدون الأنبياء والأولياء بل يعبدون الله تعالى الواحد الأحد خالق الأنبياء والأولياء وخالق كل شيء الذي بيده ملكوت كل شيء، ومعنى استغاثتهم وتوسلهم أنهم يطلبون من الله أن يقضيَ حاجاتهم ويدفع عنهم ما أهمَّهم بما لهؤلاء من الفضل عند الله تعالى.

(٢) أي لا يعينُه على الاهتداء ولا يُمَكِّنُه منه ولا يُقْدِرُه عليه وقتَ اختيارِه الكفرَ.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾

ثم دلَّ بخلق السماوات والأرض، وتكوير كلِّ واحد من المَلَوَيْن[1] على الآخر، وتسخير النَّيِّرَين[2] وجَرْيِهما لأجلٍ مسمًّى، وبَثِّ الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة، وخلقِ الأنعام، على أنه واحد لا يشارَكُ قهارٌ لا يغالَبُ بقوله:

٥- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ﴾ [أي بالحكمة، إذ جعلَ في كل شيء ءاية على ربوبيته ووَحدانيته] ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِۖ﴾ والتكويرُ: اللفُّ واللَّيُّ، يقال: كارَ العِمامةَ على رأسِه وكوَّرَها، والمعنى أنَّ كلَّ واحد منهما يُغَيِّبُ الآخرَ إذا طرأ عليه ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ﴾ [ذلَّلهما وجعلهما يَطلُعان ويَغرُبان لمنافع العباد] ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ﴾ أي يوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالبُ القادر على عقاب مَن لم يعتبر بتسخير الشمسِ والقمر فلم يؤمن بمُسَخِّرِهما ﴿ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾ لِمَن فكَّرَ واعتبرَ فآمن بمدَبِّرهما.

٦- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ ءادم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حوّاء من قُصَيراه[3] ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [أي خَلَقَ، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ ۝٢٥﴾ [سورة الحديد] أي خلقنا، وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ ۝٢٦﴾ [سورة الأعراف] ومعلوم أنه تعالى لم يُنزل اللباس على ما هو عليه؛ ولكن

---

(١) المَلَوان: الليل والنهار.
(٢) النَّيِّران: الشمس والقمر.
(٣) القُصَيْرَى: أسفل الأضلاع وأقصرها.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

معناه: خَلَقَهُ لباسًا لهم، فكذلك هذا] ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ ذكرًا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز، كما بيَّن في سورة الأنعام[1] ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ نُطفةً، ثم عَلَقَةً، ثم مُضغةً إلى تمام الخلق ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ ظلمةِ البطن والرَّحِم والمَشِيْمَة[2]، ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الذي هذه مفعولاتُه هو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [التامُّ في الدنيا والآخرة، فهو مُبدئ كل شيء مهيمن عليه] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ فكيف يُعْدَلُ بكم عن عبادته إلى عبادة غيره.

ثم بيَّن أنه غنيٌّ عنهم بقوله:

٧- ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْۖ﴾ عن إيمانكم [إذ لم يأمركم بعبادته لنفع يَجُرُّه لنفسه أو ضُرٍّ يدفعه عن نفسه بل هو غنيٌّ عنكم وعن عبادتكم] وأنتم مُحتاجون إليه لتضرركم بالكفر ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ﴾ لأنّ الكفر ليس برضا الله تعالى وإن كان بإرادته ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟﴾ فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ لَكُمْۗ﴾ يرضى الشكر لكم، لأنه سببُ فوزكم فيثيبكم عليه الجنةَ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ [لا تَحمِلُ نفس آثمةٌ] ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰۗ﴾ [ذنبَ نفس أخرى]، أي لا يؤخذ أحدٌ بذنبِ ءاخرَ ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ إلى جزاء ربكم رجوعُكم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيُخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ بخَفِيَّاتِ القلوب.

---

(١) الآية (١٤٣- ١٤٤).

(٢) المَشِيْمَةُ: الكيس الذي يكون فيه الولد في بطن أُمه.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟
إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ
يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟
رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ﴾

٨- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هو أبو جهل أو كلُّ كافر ﴿ضُرٌّ﴾ بلاءٌ وشدة ﴿دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعًا إلى الله بالدعاء لا يدعو غيرَه ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾ أعطاه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ منَ الله عز وجل ﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ نسيَ رَبَّه الذي كان يتضرع إليه، و﴿مَا﴾ بمعنى مَنْ ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أمثالًا ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي الإسلام ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ [لهذا الإنسان]: ﴿تَمَتَّعْ﴾ أمرُ تهديدٍ ﴿بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ مِن أهلها.

٩- ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ كغيرِهِ؟ أي أَمَّنْ هو مطيعٌ كَمَن هو عاصٍ؟ وحُذِف لدِلالة الكلام عليه، وهو جَرْيُ ذكر الكافر قبله ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاتِهِ ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي عذابَ الآخرة ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ أي الجنةَ، ودلَّت الآيةُ على أن المؤمنَ يجب أن يكون بين الخوف والرجاء، يرجو رحمتَه لا عَمَلَه، ويحذَرُ عِقابَه لتقصيره في عَمَلِه ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي كما لا يستوي العالِمُ والجاهل كذلك لا يستوي المُطيعُ والعاصي ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ جمعُ لُبٍّ، أي إنما يَتَّعِظُ بوَعظِ الله أُولُو العقول [المنتفعون بعقولهم].

١٠- ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ بامتثالِ أوامره واجتناب نواهِيه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أي أطاعوا الله في الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ أي لا عُذرَ للمفرِّطين في الإحسان أَلبتةَ، حتى إن اعتَلُّوا بأنهم لا يتمكنون في

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾

أوطانهم من التوفُّر على الإحسان، قيل لهم: فإن أرضَ الله واسعةٌ وبلادَه كثيرة، فتحوَّلوا إلى بلاد أُخر، واقتدُوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم، ليزدادوا إحسانًا إلى إحسانهم وطاعةً إلى طاعتهم ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على مفارقةِ أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تَجرُّعِ الغُصَص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ مُوَفَّرًا [أضعافًا مضاعَفَةً، لا يدخل في حساب الخلق لكثرته].

١١- ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ أُمرتُ بأن أعبدَ الله [مخلصًا له الطاعة والانقياد].

١٢- ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢﴾ وأُمـرتُ بـذلـك لأجـل أن أكون أوّلَ المسلمين، أي مُقدَّمَهم وسابقَهم في الدنيا والآخرة [فأنالَ شرفَ ذلك وثوابَه].

١٣- ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣﴾ [قل يا محمد لِمَن دعاك إلى دين ءابائك، وذلك أنّ كفار قريش قالوا له عليه الصلاة والسلام: ألا تنظر إلى أبيك وجدِّك وسادات قومك يعبدون اللَّات والعُزَّى فنزلت ردًّا عليهم. [فقوله ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ أي فعبدت غيره كما تدعونني إلى ذلك، واليوم العظيم: يوم القيامة، ووصفه بالعظيم لِمَا فيه من الأهوال العظام].

١٤- ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾ وهذه الآية إخبار بأنَّه يَخُصُّ اللهَ وحده بعبادته مخلصًا له دينه دون غيره.

١٥- ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ وهذا أمر تهديد، [وإن كان لفظهُ

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم
مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ﴾

لفظَ تخيير لكنه جاء للمبالغة في الخِذلان والتخليةِ]، وقيل له[1] عليه الصلاة والسلام: إن خالفت دين ءابائك فقد خسرت، فنزلت: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الكاملين في الخُسران الجامعين لوجوهه وأسبابه ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بإهلاكها في النار ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ أي وخَسِروا أهليهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ لأنهم أضلُّوهم فصاروا إلى النار، ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الظاهر الواضح]، وذلك لأنهم استبدلوا بالجنة نارًا، وبالدرجات دركاتٍ.

١٦- ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أطباقٌ ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ﴾ أطباق من النار هي ظلل لآخرين، أي النار محيطة بهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي وُصِفَ من العذاب ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ﴾ ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهِيَه ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ ولا تتعرَّضوا لما يُوجِبُ سُخْطي، خوَّفهم بالنار ثم حذَّرهم نفسَه.

١٧- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أُطلقت على الشيطان، أو الشياطين، والمراد بها ههنا الجمع[2] ﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾ أي عبادَتَها، [أي مَن أخلص العبادة لله، وتباعد عن عبادة الشياطين، وعن طاعتهم في الإشراك به] ﴿وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ رجعوا، [أو أقبلوا إلى الله بطاعتهم وعبادتهم مخلصين له الدين] ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ﴾ هي البشارة بالثواب، تتلقّاهم الملائكة عند حضور الموت مُبَشِّرين، وحين يحشرون ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ هم الذين اجتنبوا وأنابوا.

١٨- ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ﴾ يُميزون بين الحسن

---

(١) والقائل كُفّارُ قريش.
(٢) أي: الطواغيت.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢١﴾

والأحسن، والفاضلِ والأفضل، فإذا اعترضهم أمران: واجبٌ وندبٌ اختاروا الواجب، وكذا المباح والندب، [فهم حِراصٌ] على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ المنتفعون بعقولهم.

١٩- ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾ أي لا يقدرُ أحدٌ أن يُنقذَ مَن أَضلَّه اللهُ وسبق في علمه أنه مِن أهل النار.

٢٠- ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ﴾ لهم منازلُ في الجنة رفيعةٌ، وفوقَها منازلُ أرفعُ منها، يعني للكفار ظُلَلٌ من النار، وللمتّقين غُرَفٌ ﴿مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ من تحت منازلها ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ وعدهم الله ذلك ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾ [أي الوعدَ في الفريقين جميعًا].

٢١- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ يعني المطرَ ﴿فَسَلَكَهُۥ﴾ فأدخله ﴿يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ عيونًا ومسالكَ ومجاريَ كالعروق في الأجساد ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ﴾ بالماء ﴿زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ هيئاتُه من خُضرة وحُمرة وصُفرة وبياض، أو أَصنافُه من بُرٍّ وشعير وسِمْسِم وغيرِ ذلك ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يَجِفُّ ﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا﴾ بعدَ نَضارته وحُسْنه ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ﴾ فُتاتًا متكسّرًا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ في إنزالِ الماء وإخراج الزرع ﴿لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢١﴾ لَتذكيرًا وتنبيهًا على أنه لا بُدَّ من صانع حكيم، وأنَّ ذلك كائنٌ عن تقديرٍ وتدبير، لا عن إهمال

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾

وتعطيل[١].

٢٢- ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ وَسَّعَ صَدْرَه[٢] [وفتح قلبَه فاتَّسَعَ للتَّدبُّر والعلم والإيمان] فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ بيانٍ وبَصيرةٍ، والمعنى: أفَمَن شرح الله صدره فاهتدى كَمَن طُبع على قلبه فقَسا قلبُه، فَحُذِفَ لأن قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ يَدُلُّ عليه ﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ مِنْ تَرْكِ ذكرِ الله، [أي فويلٌ للقاسية قلوبهم عن قبول ذكر الله وهو القرءان] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ غَوايةٍ ظاهرة.

٢٣- ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [أحسنَ ما يُتَحدَّث به] ﴿كِتَٰبًا﴾ [قرءانًا من الله تعالى إلى عباده] ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ يُشبه بعضُه بعضًا في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والإعجاز وغير ذلك ﴿مَّثَانِىَ﴾ جمع مُثَنًّى بمعنى مُرَدَّدٍ ومُكرَّر، لِمَا ثَنَّى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره

---

(١) التغير دليل حدوث العالَم، الأرض لها صفات تتحول إليها، والسماء كذلك لها صفات مختلفة. هذا دليل على أن العالم لم يكن موجودًا ثم وُجد، فالذي خلقه لا يكون له أول، العالَم متغيِّرٌ، وكلُّ متغيرٍ حادثٌ، فالعالم حادث، هذا دليل حدوث العالم، ثم دليل حدوث العالم دليلُ وجود الله الذي أحدث العالم، معرفة الدليل العقلي الإجمالي واجب على كل مكلف، أبو الحسن الأشعري رحمه الله قال: معرفة الدليل في الأحكام فرض كفاية أما في العقيدة فرض عين على كل مكلف.

(٢) لأن الذي عقله صحيح عندما ينظر إلى الأرض إلى نباتها وجبالها وأنهارها، وإلى السماء وإلى الليل والنهار، يقول: هذا بخلق خالق يغيّره، أما ذلك الخالق فلا يتغيّر، هكذا العقل يستدل، مَن عرف ذلك القَدْر من الدليل العقلي يكون أدى الواجب، ثم من جزم بأن الله موجود من غير تشبيه له بالعالم بأي وجه من الوجوه، وجزم بأن محمدًا ﷺ رسولُهُ فهو مسلم مؤمن، لكن عليه أن يتعلم الدليل العقلي الإجمالي، فإن لم يتعلم ذلك، ما خطر بباله بالمرة، فهو مسلم عاصٍ.

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه [وذلك للتقرير والتأكيد] ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ تضطرب وتتحرك ﴿مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ المعنى أنهم إذا سمعوا بالقرءان وبآيات وعيده أصابَتْهم خَشيةٌ تقشعِرُّ منها جلودُهم ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي إذا ذُكرت ءاياتُ الرحمة لانت جلودُهم وقلوبهم، وزال عنها ما كان بها من الخَشية والقُشَعْرِيرة ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الكتاب وهو ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده، وهو مَن علم منه اختيار الاهتداء[1] ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ بخلق الضَّلالة فيه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ إلى الحق.

٢٤- ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ كمن أمِنَ العذاب؟ [وهو استفهام بمعنى النفي] فحُذفَ الخبر لوضوح المراد، وسوءُ العذاب شِدَّتُه، ومعناه أن الإنسان إذا لقي مخوفًا من المخاوف استقبله بيده وطلبَ أن يقيَ بها وجهَه لأنه أعزُّ أعضائه عليه، والذي يُلقَى في النار يُلقَى مغلولةً يداه إلى عنقه فلا يتهيأُ له أن يتّقيَ النارَ إلا بوجهه الذي كان يتّقي المخاوفَ بغيره وِقايةً له ومحاماةً عليه ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ تقول لهم خزنةُ النار: ﴿ذُوقُوا۟﴾ وبالَ ﴿مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي كسبِكم.

٢٥- ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنْ قبلِ قريش ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من الجهة التي لا يحتسبون ولا يَخطرُ ببالهم أنَّ الشرَّ يأتيهم منها.

---

(١) الله تعالى هو الذي يخلق الاختيار وفعل العبد، العبد لا يَخْلُقُ بل يَكتسبُ فقط.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

٢٦- ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ﴾ الذُّلَّ والصَّغارَ، كالمَسخ والخَسف والقتل والجَلَاء[1] ونحوِ ذلك من عذاب الله ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ من عذاب الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [لو كانوا من أهل العلم والنظر والتَّدَبُّر لعلموا ذلك واعتبروا به وءامنوا].

٢٧- ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [أي: وصفنا في هذا القرءان من كلِّ ما للناس به حاجةٌ من أمور دينهم ومصالح دنياهم مثلًا] ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ليتّعظوا [فيؤمنوا ويطيعوا].

٢٨- ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [أنزلناه بلسان العرب ليفهموه ويعلموا حسن نظمه وصوابَ معانيه] ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ مستقيمًا بريئًا من التناقض والاختلاف ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ الكفر [وما توعَّدَ الله به الكافرين من العذاب].

٢٩- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ متنازِعون ومختلفون ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ ذا سلامة ﴿لِّرَجُلٍ﴾ أي ذا خلوص له من الشركة ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ المعنى: هل تستوي صفتاهما وحالاهما ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الذي لا إلـٰه إلا هو [على التخصيص بالتوحيد] ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [توحيدَ ربهم] فيشركون به غيره. مَثَّلَ الكافرَ ومعبوديه بعبدٍ اشتَرَكَ فيه شركاءُ بينهم تنازعٌ واختلافٌ وكلٌّ واحدٍ منهم يدَّعي أنه عبدُه، فهم يتجاذبونه ويتعاورونه[2] في مِهَنٍ شتَّى، وهو مُتَحيِّرٌ لا يدري أيَّهم يُرضِيْ بخدمته، وعلى أيِّهم يعتمد في حاجاته، وممن يطلب رزقَه،

---

(١) الجلاءُ: هو إخراجهم من أرضهم.
(٢) يتعاورونَهُ: أي يتناوبون عليه.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾

وممن يلتمس رِفْقَهُ، فهَمُّهُ شَعاعٌ[1]، وقلبُه أوزاعٌ[2]، والمؤمنَ بعَبْدٍ[3] له سيِّدٌ واحدٌ فَهَمُّهُ واحدٌ وقلبُه مُجتمِع.

٣٠- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ ستموت ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [سيموتون، لأن ءاجال الجميع منقضيةٌ منقطعةٌ]، وبالتخفيف مَنْ حَلَّ بِهِ الموتُ.

كانوا يتربَّصون برسول الله ﷺ موتَه، فأخبر أنَّ الموت يَعُمُّهم فلا معنى للتربُّص وشماتَةِ الباقي بالفاني.

٣١- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أي إنك وإياهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ فتحتجُّ أنت عليهم بأنك بلَّغتَ فكذَّبوا، واجتهدتَ في الدعوة فلَجُّوا[4] في العناد، ويعتذرون بما لا طائل[5] تحته، تقول الأتباع: أطعنا سادَتَنا وكُبَراءَنا، وتقول السادات: أَغوتنا الشياطينُ وءاباؤنا الأقدمون.

٣٢- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [لا أحد من المكذِّبين أفحش ظلمًا مِمَّن] افترى عليه بإضافة الولد والشريك له ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ بالأمر الذي هو الصِّدق بعينه، وهو ما جاء به محمد ﷺ ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ لَمَّا سمع به مِنْ غير وَقْفَةٍ لإعمال رَوِيَّةٍ[6] أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعلُ أهلُ النَّصَفَةِ فيما يسمعون ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾ أي لهؤلاء الذين كذَبوا على الله وكذَّبوا بالصدق

---

(١) شَعاعٌ: أي منتشرٌ متفرق.
(٢) الأَوزاعُ: الفِرَق، والمعنى أن قلبه مُشَتَّتٌ.
(٣) أي: ومَثَّلَ المؤمن بعبدٍ.
(٤) لَجُّوا: تمادَوا وأصَرُّوا.
(٥) أي: لا نفعَ ولا فائدةَ.
(٦) الرَّوِيَّةُ: الفِكرُ والتَّدَبُّر.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾

[وهو استفهام بمعنى التقرير؛ أي هذا جزاء وقع لهم باستحقاقهم، يُقيمون فيها خالدين].

٣٣- ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هو رسول الله ﷺ جاء بالحق وءامن به، وأراد به إيّاه ومَن تبعه فلذا قال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ورُوِيَ أن الذي جاء بالصدق محمدٌ رسولُ الله ﷺ والذي صدَّقَ به المؤمنون.

٣٤- ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ﴾ [أي: ما يشتهونه من أنواع النعم في الجنان التي أعدَّها لهم] ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [في اعتقادهم وأعمالهم].

٣٥- ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [يسَّرَ لهم الإحسانَ ليكفِّرَ عنهم] ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [هو كفر أهل الجاهلية، ومعاصي أهل الإسلام، والتكفير يدلُّ على سقوط العقاب عنهم على أكمل الوجوه كما أن الجزاء بالأحسن يدل على حصول الثواب على أكمل الوجوه] ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إضافة أسوأ وأحسن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضُه من غير تفضيل، [فمعنى ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ السيّئَ الذي عملوا، وكذا ﴿بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: بالحسن الذي كانوا يعملون].

٣٦- ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ﴾ أي محمدًا ﷺ [كَيْدَ المشركين من أن ينالوه بسوء؟ وهو استفهام على معنى التقرير، لأَنَّ جوابَه: بَلَى] ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ بالأوثان التي اتَّخذوها ءالهةً من دونه، وذلك أن قريشًا قالت لرسول الله ﷺ: إنا نخاف أن تُخَبِّلَكَ ءالهتُنا،

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ
بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ
أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ
أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ
ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾

وإنا نخشى عليك مَضَرَّتَها لِعَيبك إياها ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٦﴾﴾ [يهديه إلى الرشاد].

٣٧- ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ﴾ [ومَن يُوفِّقْهُ اللهُ للإيمان به والعمل بكتابه فما له من مُزيغ يُزيغُه عن الحق إلى الكفر] ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ﴾ بغالبٍ مَنِيع ﴿ذِي ٱنتِقَامٖ ﴿٣٧﴾﴾ ينتقم من أعدائه، وفيه وعيدٌ لقريش ووعدٌ للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم.

ثم أَعْلَمَ بأنهم مع عبادتهم الأوثانَ مُقِرُّونَ بأن الله تعالى خلقَ السمٰواتِ والأرضَ بقوله:

٣٨- ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [أي تَدْعونَه ءالهة، وقيل: أي: تعبدونه، وهي الأصنام] ﴿إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ مَرَض أو فقر أو غير ذلك ﴿هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ دافعاتُ شِدَّتِهِ عَنّي ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ﴾ صِحةٍ أو غنًى أو نحوِهما ﴿هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ [هن قادراتٌ على شيء من ذلك؟] ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ﴾ كافيًا لِمَعَرَّةِ[1] أوثانكم ﴿عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [إذ هو القادر الذي لا مانع لِمَا يريده من خير أو شرّ].

٣٩- ٤٠- ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ على حالكم التي أنتم

---

(١) المَعَرَّةُ: الأمر القبيح المكروه والأذى.

﴿إِنِّي عَـٰمِلٌۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٩ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٌ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٤٠ إِنَّآ
أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ
وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ٤١ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ
فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾

عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها [وهو أمرٌ بمعنى التهديد والوعيد] ﴿إِنِّي عَـٰمِلٌۖ﴾ أي على مكانتي، وحُذِفَ للاختصار، ولِمَا فيه من زيادة الوعيد، والإيذان بأنَّ حالَهُ تزدادُ كلَّ يوم قوةً، لأن اللهَ تعالى ناصرُه ومُعينُه، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٩ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٌ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٤٠﴾ كيف توعَّدَهم بكونه منصورًا عليهم غالبًا عليهم في الدنيا والآخرة، لأنهم إذا أتاهم الخِزيُ والعذاب فذاك عِزُّه وغلبتُه و﴿يُخۡزِيهِ﴾ صفة للعذاب كـ﴿مُّقِيمٌ﴾، أي عذابٌ مُخزٍ له، وهو يومَ بدر، وعذابٌ دائمٌ؛ وهو عذاب النار.

٤١- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرءانَ ﴿لِلنَّاسِ﴾ لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [ببيان الحق]، ليُبَشَّروا ويُنْذَروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾ فمَن اختار الهُدَى فقد نفع نفسَه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ﴾ ومَن اختار الضَّلالةَ فقد ضرَّها ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ٤١﴾ [وما أنت يا محمد على مَنْ أرسلتك إليهم من الناس] بحفيظٍ [تحفظ عليهم أعمالَهم، إنما أنت رسول عليك البلاغ وعلينا الحساب].

ثم أَخبرَ بأنه الحفيظُ القديرُ عليهم بقوله:

٤٢- ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ تَوَفِّيْها: إماتَتُها، وهو أن تُسْلَبَ ما هي به حَيَّةٌ حَسَّاسةٌ درَّاكةٌ ﴿وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ ويَتوفَّى الأنفسَ التي لم تَمُت حين تنام تشبيهًا للنائمين بالموتى حيث لا يُميّزون ولا يتصرفون كما أنَّ الموتى كذلك ﴿فَيُمۡسِكُ﴾ الأنفسَ ﴿ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ﴾ الحقيقيَّ أي لا يَردُّها في وقتِها حية ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾

النائمةَ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ إلى وقتٍ ضَرَبَهُ لموتها.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: في ابن ءادم نَفْسٌ ورُوحٌ بينهما شعاعٌ مثلُ شعاع الشمس، فالنَّفْسُ هي التي بها العقل والتمييز، والرُّوحُ هي التي بها النَّفَسُ والتحرك، فإذا نام العبدُ قبضَ اللهُ نَفْسَهُ ولم يقبض روحَه.

وعن عليّ رضي الله عنه: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعُها في الجسد(١) فبذلك يرى الرؤيا، فإذا انتبهَ من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ في تَوَفِّي الأَنفسِ مائتةً ونائمةً وإمساكِها وإرسالِها إلى أجل ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ على قدرة الله وعِلمِه ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يُجِيلون فيه أفكارَهم ويعتبرون.

٤٣- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ بل اتَّخذَ قريش ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من دون إذنه ﴿شُفَعَآءَ﴾ حين قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴿١٨﴾﴾ [سورة يونس] ولا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ معناه: أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئًا قَطُّ ولا عَقْلَ لهم.

٤٤- ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ هو مالكُها فلا يستطيع أحد شفاعةً إلا بإذنه ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ له المُلكُ كلُّه، والشفاعةُ من المُلك

---

(١) أي تبقى متصلة بالجسد، الرُّوح لها شأن غريب في حال النوم، فهي لا تفارق الجسد كُليًّا حين الرؤيا، بل يكون لها امتدادٌ من غير أن تُفارقَ الجسد، أما عند الموت فتفارق الروح الجسد.

﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ
وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ
ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٤٦ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ
ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ٤٧﴾

[فلا يملك أحدٌ أن يتكلم في الشفاعة دون إذنه ورضاه] ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤﴾ له مُلك السمٰوات والأرضِ اليومَ ثم إليه تُرجعون يومَ القيامة فلا يكون المُلك في ذلك اليوم إلا له، فله مُلكُ الدنيا والآخرة.

٤٥- ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾ إذا أُفردَ اللهُ بالذكر ولم تُذكر معه ءالهتُهم ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾ نفَرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يعني ءالهتهم، ذُكِرَ اللهُ معهم أو لم يُذكر ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ لافتتانهم بها، [والاستبشارُ: أن يمتلئ القلب سرورًا حتى تنبسط له بَشَرَةُ الوجه، والاشمِئزازُ: أن يمتلئ غَمًّا حتى ينقبضَ أديمُ الوجه].

٤٦- ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي يا [خالقَ السماوات والأرض] ﴿عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [أي يا عالمَ] السِّرِّ والعلانية ﴿أَنتَ تَحۡكُمُ﴾ تقضي ﴿بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٤٦﴾ من الهُدَى والضلالة، [أي قد علمتَ حالي وحالَ هؤلاء، وأني قد بلَّغتُهم واجتهدتُ في النصح لهم وأوضحت لهم دلائلك، فأعرَضوا واشمأزّوا فاحكم بيني وبينهم، وهذا الحكم قد يكون في الدنيا وقد يكون في الآخرة].

٤٧- ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [أي كفروا وظلموا أنفسَهم بوضعهم العبادةَ غيرَ موضعها] ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [من صنوف الأموال] ﴿وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ﴾ شِدَّته، [أي لَبَذَلوه ليدفعوا عن أنفسهم شدة العذاب] ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ٤٧﴾ وظهر لهم من سَخَط الله وعذابه ما لم يكن قَطُّ في

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ
دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾

حسابهم ولم يُحَدِّثوا به نفوسَهم.

٤٨- ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ سيئات أعمالهم التي كَسَبوها حين تُعرض صحائف أعمالهم ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ ونزل بهم وأحاط ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ جزاءُ هُزئهم.

٤٩- ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ [بلاءٌ وشدة وأمرٌ يَخافُه] ﴿دَعَانَا﴾ [التجأ إلينا وأخلص الاستغاثة بنا] ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾ أعطيناه تفضلًا ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾ [فَرَجًا مما كان فيه من الضُّرِّ] ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ﴾ مِنّي أني سأُعطاه لما فِيَّ من فَضْل واستحقاق، كما قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة القصص] ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ إنكارٌ له، كأنه قال: ما خوَّلناك من النعمة لِما تقولُ بل هي فتنةٌ؛ أي ابتلاءٌ وامتحان لك أتشكر أم تكفر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أنها فتنة.

٥٠- ﴿قَدْ قَالَهَا﴾ هذه المقالةَ، وهي قولُه: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة القصص] ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي قارونُ وقومُه [فقد كانوا راضين بها] فكأنهم قالوها، ويجوز أن يكون في الأمم الخالية ءاخرون قائلون مثلَها ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ من متاع الدنيا وما يجمعون منها [وظنوا ذلك لفضل فيهم، وأنه يعصمهم من عذاب الله، وما دفع العذاب عنهم].

٥١- ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ﴾ جزاءُ سيئاتِ كَسْبِهم ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من مشركي قومِك ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ سيصيبهم مثلُ ما أصابَ أولئك، فقُتِلَ صناديدُهم ببدر، وحُبِسَ عنهم الرزقُ، فقُحِطوا سبعَ سنين ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾ بفائتين [فلا

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ
ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن
يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾

يستطيعون الهرب] من عذاب الله [إذا نزل بهم].

ثم بُسِطَ لهم فمُطروا سبعَ سنين، فقيل لهم:

٥٢- ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ [يوسعه] ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [امتحانًا] ﴿وَيَقْدِرُ ۚ﴾ ويُضَيّقُ [لِمَن يشاء ابتلاءً] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ﴾ [لدِلالاتٍ وعلامات] ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ بأنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل.

٥٣- ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ جَنَوا عليها بالإسراف في المعاصي والغُلُوِّ فيها ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾ ولا تيأسوا ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ بالعفو عنها [إن كانت دون الكفر بالإقلاع عنها والتوبة منها لِمَن شاء اللهُ تعالى له أن يتوب من عباده، وبدون توبة لِمَن شاء الله تعالى له ذلك منهم] إلا الشرك [فإنه لا يغفره إلا بالدخول في الإسلام] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ بسَتر عظائم الذنوب ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ بكشف فظائع الكروب.

٥٤- ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ وتوبوا إليه ﴿وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [انقادوا له وأخلِصوا له العمل ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [في الدنيا والآخرة] ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ إن لم تتوبوا قبل نزول العقاب، [فإذا أتاكم العذاب لم ينصركم ناصر ولم يمنعكم من عذاب الله مانع].

٥٥- ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [أي القرءان، فاتَّبِعوا ما أُمرتم به فيه واجتنبوا ما نُهيتم عنه فيه، واتَّبِعوا العزائم دون الرُّخَص، وإذا اعترضكم أمران: واجبٌ وندبٌ فاختاروا الواجب وكذا المباحُ والندب، فالعدل حسنٌ، والفضل أحسن منه، وطلب الحق

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا
فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ
مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾

حسنٌ، والعفو أحسن منه، وقيل: ﴿أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ من أخبار الأمم الماضية، فإن ذكرنا لكم أفعالَها: محاسنَها ومساوِئها، فاتَّبِعوا محاسنها] ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي يَفجَؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تَخْشَوْن شيئًا لِفَرْط غفلتكم.

٥٦- ﴿أَن تَقُولَ﴾ لئلا تقولَ ﴿نَفْسٌ﴾ وهي نفس الكافر: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ قَصَّرتُ ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ في أمر الله، [أو في دين الله] ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ المستهزئين، كأنه قال: فَرَّطتُ وأنا ساخر.

٥٧- ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ أعطاني الهداية ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ من الذين يَتَّقون الشركَ.

٥٨- ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ رَجعةً إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ من المُوَحِّدين.

٥٩- ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ ردٌّ مِنَ الله عليه كأنه يقول: بلى قد جاءتك ءاياتي، وَبيَّنَتْ لك الهدايةَ من الغَواية، وسبيلَ الحق من الباطل، ولكنْ تركتَ ذلك وضَيَّعتَه واستكبرتَ عن قبوله، وءاثرتَ الضلالةَ على الهدى، واشتغلت بضدِّ ما أُمرتَ به، فإنما جاء التضييعُ مِن قِبَلِكَ فلا عُذرَ لك.

٦٠- ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وَصَفوه بما لا يجوز عليه من إضافة الشريك والولد إليه ونفي الصفات عنه ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [وسوادُ الوجوه قد يكون قبل دخول النار علامةً لهم، وقد يكون في

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾

النار بتغيير النار، وقد يكون عبارة عن الذِّلة والخَيبة والفضيحة] ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ [مَنْزِلٌ] ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [عن الإيمان والطاعة، وهو استفهام بمعنى التقرير].

٦١- ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشركَ ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بفَلاحهم، يقال: فاز بكذا إذا أفلح وظفِرَ بمراده منه، وتفسير المفازة: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾ النارُ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ أي: يُنَجِّيْهِم بنفي السوء والحزن عنهم، أي: لا يمسُّ أبدانهم أذًى ولا قلوبَهم حُزْنٌ.

٦٢- ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [من خير وشَرٍّ وإيمان وكفر] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ حافظ [يُدبِّر جميع شؤون خلقه كيف يشاء].

٦٣- ﴿لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو مالك أمرها وحافظُها [فيفتح على عباده منها ما يشاء من المطر والنبات وغيرهما] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [بدلائل قدرته واستبداده بأمر السموات والأرض وجحدوا أن يكون الأمر كذلك] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الهالكون الذين خسروا الرحمة والثواب].

٦٤- ﴿قُلْ﴾ لِمَن دعاك إلى دين ءابائك: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ﴾ أفغيرَ اللهِ أعبدُ بأمركم بعد هذا البيان ﴿أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ بتوحيد الله، [وهذا توبيخ لهم وتقريع].

٦٥- ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الأنبياء عليهم السلام ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ لَيتلاشَيَنَّ ويبطُلَنَّ عملُك الذي عملت قبل الشرك [فلا يُعتَدُّ به ولا يثاب عليه] ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

وإنما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بأن رُسُلَه لا يشركون، لأن الخطابَ للنبي عليه الصلاة والسلام، والمراد به غيره.

٦٦- ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ رَدٌّ لِمَا أمروهُ به من عبادة ءالهتهم ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ على ما أنعمَ به عليك من أن جعلك سَيِّدَ ولدِ ءادم.

٦٧- ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ وما عظَّموه حقَّ عَظَمَته إذ دَعَوكَ إلى عبادة غيره، ثم نَبَّههم على عظمته وجَلالةِ شأنه فقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾ المراد بهذا الكلام إذا أخذتَه كما هو بجُملته ومجموعه تصويرُ عظمتِهِ والتوقيفُ على كُنْهِ جلاله لا غيرُ، من غير ذهابٍ بالقبضة ولا باليمين إلى جهةِ حقيقةٍ أو جهةِ مجازٍ [مُعَيَّن، فلفظ القبضة واليمين حقيقة في الجارحة، والدليل العقلي قائم على امتناع ثبوت الأعضاء والجوارح لله تعالى، فوجب الحمل على المجاز، قاله أبو حيان في البحر المحيط]، وقيل: قبضتُه: مِلكُه بلا مُدافعٍ ولا مُنازع. وبيمينه: بقدرته [وقال أبو حفص النسفي صاحب العقيدة النسفية المشهورة في كتابه «التيسير في التفسير»: وذِكرُ القبضة واليمين من المتشابه ولا يفهم من ذلك ما يفهم من أيدي الخلق وقبضتهم؛ لأنه تشبيه، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]، بل يفهم منه التصرف فيها والقدرة على تغييرها، وهو مستعمل في كلام الناس على هذا المراد، يقال: هذه الولاية في يد السلطان وفي قبضته، ويُراد به الاستيلاء والقُدرة دون حقيقةِ إثباتِ اليد عليها وإدخالِها في قبضتها]. والمراد بالأرض الأرَضونَ السبع يشهد لذلك قوله: ﴿جَمِيعًا﴾، والمطويات: مِنَ الطيِّ الذي هو ضد النشر كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنبياء] ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ما أبعدَ مَنْ هذه قدرتُه

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

وعظمتُه وما أعلاه عما يُضافُ إليه من الشركاء، [نَزَّه الله تعالى نفسه عن أن يكون ما ذكر من القبضِ والطي واليمين بجارحة].

٦٨- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [النفخة الأولى] ﴿فَصَعِقَ﴾ مات ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ أي جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ومَلَكَ الموت، وقيل: هم حملةُ العرش ورِضوانُ والحورُ العِينُ ومالكٌ والزبانيةُ، [وقيل غير ذلك] ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ﴾ نفخةٌ أخرى ﴿فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [فإذا الأمواتُ قيامٌ من قبورهم] يُقَلِّبونَ أبصارَهم في الجهات نَظَرَ المَبْهوت إذا فاجأه خَطْبٌ(١).

٦٩- ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي بعدله بطريق الاستعارة يقال للملك العادل: أشرقت الآفاق بعَدلِكَ وأضاءت الدنيا بقسطك، كما يقال أظلمت الدنيا بِجَوْر فلان، وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يجوز أن يخلق الله نورًا فينوِّرُ به أرض الموقف وإضافته إليه تعالى للتخصيص كبيت الله، وناقة الله. ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أي صحائفُ الأعمال ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليسألَهم ربُّهم عن تبليغ الرسالة وما أجابَهم قومُهم ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ والحَفَظَةِ، وقيل: هم الأبرار في كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم﴾ بين العباد ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ خَتَمَ الآيةَ بنفي الظلم كما افتتحها بإثباتِ العدل.

٧٠- ﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ﴾ أي جـزاءَهُ ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ مِن غير كتاب ولا شاهد، وقيل: هذه الآيةُ تفسيرُ قوله:

---

(١) المبهوتُ: المُتحيّر، والخَطْب: الأمرُ الشديد.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾

﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٦٩﴾ أي وَوُفِّيتْ كلُّ نفس ما عملت من خير أو شَرّ لا يُزادُ في شَرّ ولا يُنقصُ من خير.

٧١- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ سَوقًا عنيفًا، كما يُفعلُ بالأُسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل ﴿زُمَرًاۖ﴾ أفواجًا متفرقة بعضُها في إثر بعض ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ وهي سبعةٌ ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ حَفَظَةُ جهنمَ وهم الملائكة المُوَكَّلون بتعذيب أهلها [على وجه التقريع والتوبيخ]: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ من بني ءادم ﴿يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ أي وقتِكم هذا، وهو وقتُ دخولهم النارَ لا يومُ القيامة ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أَتَوْنا وتَلَوا علينا ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧١﴾ ولكن [ثبتت] علينا كلمة الله ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ۝١١٩﴾ [سورة هود] بسوء أعمالنا فذكروا عملَهم الموجِبَ لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال.

٧٢- ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ أي مُقَدِّرِينَ الخلودَ ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢﴾ [فَقَبُحَ منزلُ المتعالين في الدنيا على الله أَنْ يوحدوه ويؤمنوا برسله اليوم] جهنمُ.

٧٣- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ المرادُ سَوْقُ مراكبهم، لأنه لا يُذهبُ بهم إلا راكبين إلى دار الكرامة والرِّضوان، كما يُفعلُ بمَن يُكَرَّمُ ويُشَرَّفُ من الوافدين على بعض الملوك [فشَتَّانَ ما بين السَّوقَين] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ المعنى: حتى إذا جاؤوها وقعَ مجيئُهم مع فتح أبوابها، وقيل: أبوابُ جهنم لا تُفتح إلا عند دخول

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

أهلها فيها، وأما أبواب الجنة فمتقدمٌ فتحُها لقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [سورة ص] ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ أي: حَفظةُ الجنة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [أي يتلقَّونهم بتحية من الله، وقيل معناه: سلامةٌ لكم لا يعتريكم بعدُ مكروهٌ ﴿طِبْتُمْ﴾ من دَنَس المعاصي، وطُهِّرْتُم من خَبَثِ الخطايا ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [مُقَدِّرين الخلود فيها].

٧٤- ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ أنجزَنا ما وعدنا في الدنيا من نعيم العُقبَى ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أرضَ الجنة، وقد أُورِثُوها أي: مُلِّكوها وجُعلوا ملوكَها، وأُطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبيهًا بحال الوارث وتصَرُّفِه فيما يرثُه واتِّساعِه فيه ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ يكون لكل واحد منهم جنةٌ لا توصف سَعَةً، فيتبوأُ أي: فيتَّخذُ مَقرًّا [ومنزلًا] مِن جنَّته حيث يشاء ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ في الدنيا الجنةُ.

٧٥- ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ مُحْدِقينَ[1] من حوله ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقولون: سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر، وذلك للتلذذ [بذكر الله] ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين الأنبياء والأمم، أو بين أهل الجنة والنار ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ أي يقول أهلُ الجنة [ذلك] شكرًا حين دخولها، وتمَّ وعدُ الله لهم، كما قال: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة يونس].

---

(١) محدقين: مِنَ الإحداق، وهو الإحاطة.

سورة غافر(١)
خمس وثمانون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿حمٓ ۝١﴾ [قال بعضهم: هي والتي في بداية السُّوَر السِّت التي تلي هذه السورة حتى سورة الأحقاف كلُّها فواتحُ السُّوَر، وقيل: هي أسماء للسُّوَر التي قيل فيها «الحواميم السبع»، وقيل غيرُ ذلك مما ورد في أول التفسير عند ذكر ﴿الٓمٓ ۝١﴾ في أول البقرة].

٢- ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هذا تنزيل الكتاب ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ المنيعِ بسلطانه عن أن يَتقوَّلَ عليه مُتقوِّلٌ(٢) ﴿ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ بمَن صَدَّق به وكذَّب، فهو تهديدٌ للمشركين وبِشارةٌ للمؤمنين.

٣- ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ ساترِ ذنب المذنبين المؤمنين ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ قابلِ توبةِ الراجعين [عن المعصية] ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ على المخالفين [المصرِّين غير التائبين] ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ ذي الفَضْلِ على [كل عباده بالخلق والرزق والبيان وكل وجوه الإحسان]، أو ذي الغِنَى عن الكل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ المرجع [فيجازي المطيع والعاصي].

---

(١) وتُسَمَّى سورةَ المؤمِن أيضًا.
(٢) يقال: تَقَوَّلَ قولًا: ابتدعَه كذبًا.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ
قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ
لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٦﴾

٤- ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ما يُخاصِم فيها بالتكذيب بها والإنكار لها ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، فأما الجدال فيها لإيضاح مُلتَبِسها، وحَلِّ مُشكِلها، واستنباط معانيها، وَرَدِّ أهل الزَّيْغ[1] بها، فأعظمُ جهاد في سبيل الله ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤﴾ بالتجارات النافقة[2]، والمكاسب المربحة، فإنَّ عاقبةَ أمرِهم إلى العذاب.

ثم بيَّنَ كيف ذلك، فأعلمَ أن الأُمَمَ [التي] كذَّبت قبلهم أُهلكت فقال:

٥- ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ نوحًا ﴿وَٱلۡأَحۡزَابُ﴾ الذين تحزَّبوا على الرسل وناصَبوهم[3]، وهم عادٌ وثمودُ وقومُ لوط وغيرُهم ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ من بعد قوم نوح ﴿وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ﴾ من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب ﴿بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ﴾ ليتمكنوا منه فيقتلوه. والأَخيذُ: الأسيرُ ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بالكفر ﴿لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ لِيُبطلوا به الإيمانَ ﴿فَأَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ قَصَدوا أخذَه فجعلتُ جزاءَهم على إرادة أخذِ الرسل أَنْ أخذتُهم فعاقبتُهم [بالعذاب المستأصِل] ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥﴾ فإنكم تَمُرُّون على بلادهم فتُعاينون أَثَرَ ذلك، وهذا تقريرٌ فيه معنى التعجيب [من استئصالهم واستعظامٌ لِمَا حَلَّ بهم، وأنَّ عقابَهم واقعٌ موقعَه، وليس استفهامًا عن كيفية عقابهم].

٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [مَنْ تقدَّمَ منهم ومَن تأخَّر] ﴿أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٦﴾ أي مثلَ ذلك الوجوب وجبَ على

---

(١) أي رَدُّ أهل الميل عن الهُدَى إلى الحق بالآيات الكريمة.
(٢) التجارة النافقة: المرغوب فيها، مِنَ النَّفاق، وهو ضد الكَساد.
(٣) أي أظهروا لهم العداء.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾

الكفرة كونُهم من أصحاب النار، ومعناه كما [ثبت] إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك [ثبت] إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة.

٧- ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ يعني حاملي العرش والحافِّين حولَه [يطوفون حوله ويعظمونه]، وهم الكَرُوبيُّون[1] سادةُ الملائكة.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [يُنَزِّهونه عما يُضيف إليه المشركون المجادلون، فيحمَدونه بمَحامده] ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ وفائدتُه - مع علمنا بأن حَمَلةَ العرش ومَن حولَه من الملائكة مؤمنون - إظهارُ شرفِ الإيمان وفضلِه والترغيبُ فيه كما وصفَ الأنبياءَ في غير موضع بالصلَّاح لذلك ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ويستغفرون لِمَن في مِثل حالهم [الذين أقرُّوا بمثل إقرارهم من توحيد الله والبراءة من كل معبود سواه]، وفيه دليل على أنَّ الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة والشفقة، وإن تباعدت الأجناس والأماكن ﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولون: ربَّنا ﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ فالرحمة والعلم هما اللذان وَسِعا كلَّ شيء في المعنى، ولكن أُزيلَ الكلام عن أصله بأن أُسنِدَ الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم مبالغةً في وصفه بالرحمة والعلم. [أما في الدنيا فالرحمة تَسَعُ المؤمن والكافر، وأما في الآخرة فلا تنال إلا المؤمن، قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۝١٥٦﴾ [سورة الأعراف]، وما من شيء إلا أحاط به علمُك]. ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ للذين علمتَ منهم التوبة لتَنَاسُبِ ذكر الرحمة والعلم ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ أي طريقَ الهُدَى الذي دعوتَ إليه ﴿وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾

---

(١) الكَرُوبِيُّون: سادةُ الملائكة، المقربون، كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومن في طبقتهم.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ
وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾

[أي: اصرفْهُ عنهم حتى لا يصلَ إليهم].

٨- ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ وعدتَهم ووعدتَ مَن صَلَح من ءابائهم، [وإنما قالوا: ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ لأن مَن أشرك منهم لم يستحقوا ذلك]. ﴿وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ المَلِكُ الذي لا يُغلَب، وأنت مع مُلكك وعِزَّتِك لا تفعل شيئًا خاليًا عن الحكمة، وموجَبُ حكمتك أن تفيَ بوعدك.

٩- ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [واصرف عنهم] جزاءَ السيئات؛ وهو عذابُ النار ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ﴾ أي دفعُ العذاب ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [لأنه باقٍ بخلاف الفوز في الدنيا فهو غير باق].

١٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ يومَ القيامة إذا دخلوا النار ومَقَتوا أنفسَهم فيناديهم خزنةُ النار ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ لَمَقْتُ الله أنفسَكم أكبرُ مِن مقتِكم أنفسَكم، والمَقْتُ: أشدُّ البغض ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ المعنى أنه يقال لهم يوم القيامة: كان الله يَمقُت أنفسَكم الأمّارةَ بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبَوْنَ قبوله وتختارون عليه الكفر أَشدَّ مما تمقتونهن اليومَ وأنتم في النارِ إذا وقعتم فيها باتّباعكم هواهُنَّ ﴿فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ فتُصِرُّون على الكفر.

١١- ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي إماتتين وإحياءتين، وأراد بالإماتتين خلقَهم أمواتًا وإماتتَهم عند انقضاء ءاجالهم، وصحَّ أن يُسمَّى خلقُهم أمواتًا إماتةً كما صح أن يقال: سبحان مَن صَغَّرَ جسمَ

﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ۝١١ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ۝١٢﴾

البعوضةِ وكبَّرَ جسمَ الفيل، وليس ثَمَّةَ نقلٌ من كِبَرٍ إلى صِغَرٍ، ولا من صِغَرٍ إلى كِبَر، والسبب فيه أن الصِّغَرَ والكِبَر جائزان على المصنوع الواحد، فإذا اختار الصانع أحدَ الجائزين فقد صَرَفَ المصنوع عن الجائز الآخر، فَجُعل صرفُه عنه كنُقلةٍ منه. وبالإحياءتين: الإحياءةَ الأُولى، وإحياءَة البعث، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ۝٢٨﴾ [سورة البقرة]، [أي كنتم نُطَفًا في أصلاب ءابائكم فأحياكم في الأرحام ثم يُميتكم عند انقضاء ءاجالكم ثم يحييكم للبعث]. ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ لمَّا رأوا الإماتة والإحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادرٌ على الإعادة كما هو قادرٌ على الإنشاء، فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعَه من معاصيهم ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾ من النار [للرجوع إلى الدنيا لنطيع ربَّنا] ﴿مِّن سَبِيلٖ ۝١١﴾ قَطُّ، أم اليأسُ واقعٌ دون ذلك فلا خروجَ ولا سبيلَ إليه؟ وهذا كلامُ مَن غَلَب عليه اليأسُ، وإنما يقولون ذلك تحيُّرًا، ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله:

١٢- ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ أي ذلكم الذي أنتم فيه بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ﴾ حيث حكمَ عليكم بالعذاب السَّرْمَدِ[1] ﴿ٱلۡعَلِيِّ﴾ شأنه، فلا يُرَدُّ قضاؤه ﴿ٱلۡكَبِيرِ ۝١٢﴾ العظيمِ سلطانُه، فلا يُحَدُّ جزاؤه، [ومِن حُكمه تخليدُ الكفار في النار، وتخليدُ المؤمنين في الجنة، وفيه بيان أنه لا سبيل لهم إلى الخروج].

---

(١) السَّرْمَدُ: الدائمُ الذي لا ينقطع.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ﴾

١٣- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ﴾ مطرًا؛ لأنه سببُ الرزق ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ وما يَتَّعظُ وما يعتبر بآيات الله إلا مَن يتوبُ من الشرك ويرجعُ إلى الله، فالمعاند لا [يتفكَّر] ولا يَتَّعظ، ثم قال للمُنيبين:

١٤- ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فاعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ وإن [كره] ذلك أعداؤكم ممن ليس على دينكم.

١٥- ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ رافعُ السماوات بعضِها فوق بعض [دَرجةً على درجةٍ، وطَبَقًا على طبق]، أو رافع درجات عباده في الدين بالمنزلة، أو رافع منازلهم في الجنة، أو معناه عالي الصفات ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ مالكُ عرشِهِ الذي فوق السماوات خَلَقَه مَطافًا للملائكة إظهارًا لعَظَمتهِ ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ الروحُ: جبريلُ عليه السلام، أو الوحيُ الذي تحيا به القلوبُ [من الحَيْرَة إلى المعرفة] ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ من أجل أمره، أو بأمرِهِ ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [فيختاره للرسالة] ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ ليُخوّف اللهُ تعالى، أو الملقَى عليه؛ وهو النبي عليه الصلاة والسلام يومَ القيامة، لأنه يلتقي فيه أهلُ السماء وأهلُ الأرض، والأوَّلونَ والآخِرون.

١٦- ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ ظاهرون لا يستُرُهم شيءٌ من جبل أو أكَمَة[1] أو بناء ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ﴾ من أعمالهم وأحوالهم [على

---

(١) الأَكَمَةُ: الموضع الذي هو أشدُّ ارتفاعًا عما حوله، دون الجبل.

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾

كثرتهم] ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [إذا بعث الله أهلَ المحشر وأحياهم] ينادي منادٍ فيقول: لِمَن المُلك اليوم؟ فيجيبه أهل المحشر: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [يُقِرُّون له تعالى جميعًا يومئذ بالملك والربوبية وإن كان بعض الخلائق في الدنيا كافرين مُدَّعين لأنفسهم، أما ذلك اليوم فيجيب العباد كلهم مؤمنهم وكافرهم ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ لزوال الشكوك عنهم ووقوع الضرورة بهم إلى المعرفة بوحدانيته. وقيل: إن السائل يومئذ - عندما يقوم الناس من القبور - هو مَلَك ينادي بأمر الله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ ثم هو هذا المَلَك يقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ فيُسمِعُ أهلَ الموقف كُلَّهم أنه لا يوجد في الآخرة ملوكٌ كما كان في الدنيا، هو الله مَلِكُ ذلك اليوم، لا مَلِكَ يوم القيامة غيرُه كما قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾].

١٧- ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ لَمَّا قَرَّرَ أن المُلك لله وحدَه في ذلك اليوم عدَّدَ نتائجَ ذلك وهي أن كلَّ نفس تُجزَى بما عملت في الدنيا من خير وشَرٍّ، وأن الظلمَ مأمونٌ لأنه ليس بظلَّام للعبيد، [فلا بَخْسَ على أحد من أجر عمله فينقص منه إن كان محسنًا، ولا يُحَمَّلُ على مسيء إثمُ ذنب لم يعمله فيعاقبَ عليه]، وأنَّ الحسابَ لا يُبطِئُ، لأنه تعالى لا يَشْغَلُه حسابٌ عن حساب، فيحاسبُ الخلقَ كلَّه في وقت واحد، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الأنعام]. [في هاتين الآيتين دليل على أن كلام الله تعالى الذاتي الأزلي ليس بحرف ولا بصوت ولا بلُغة، وذلك لأن عدد الجن والإنس الذين سيحاسبهم الله تعالى يوم القيامة كثير لا يحصيهم إلا هو، ومِنَ الجن مَن يعيش ءالافًا من السنين، ومِنَ الإنس مَن عاش ألفي سنة فأكثر؛ فقد عاش ذو القرنين في ملكه ألفي عام،

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ﴾

ومن الإنس أيضًا يأجوج ومأجوج، وقد ورد أنهم أكثر أهل النار؛ هؤلاء جميعًا مع كثرتهم الله يحاسب كل فرد منهم على عقائدهم ونواياهم وأفعالهم وأقوالهم، يكلم كلَّ فرد منهم تكليمًا بلا تَرجمان، فلو كان كلامه تعالى حرفًا وصوتًا ولغة على موجَبِ قول المشبِّهة لكان حساب الخلق يستغرق عشرات الألوف من السنين ولم يكن سريع الحساب ولا أسرع الحاسبين؛ فلا يتحقق معنى أسرع الحاسبين إلا على مذهب أهل السنة أنَّ الله تعالى متكلم بكلام أزلي أبدي بغير حرف ولا صوت].

١٨- ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾ القيامةُ سُمِّيت بها لأُزُوفها، أي لقُربها، [وجُعلت قريبةً لأنها ءاتيةٌ لا محالةَ ولو بعد حين] ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ يعني ترتفع قلوبُهم عن مَقارِّها فتَلصَقُ بحناجرهم، فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفَّسوا ويتروَّحوا ﴿كَـٰظِمِينَ ۚ﴾ ممسكين بحناجرهم، مِنْ كَظَمَ القِرْبَةَ: شدَّ رأسَها ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ مُحِبٍّ مُشْفِق ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ والمراد نفي الشفاعة[(١)] والطاعة، فعن الحسن: والله ما يكون لهم شفيعٌ ألبتة.

١٩- ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [يعلم ما كان منهم من] استراق النظر إلى ما لا يَحِلّ ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ وما تُسِرُّه من أمانة أو خيانة.

٢٠- ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ لا يحكم إلا بالعدل [فيجازي على النظرة والفِكرة في الخير والشَّرّ] ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ﴾

---

(١) معناه لا توجد شفاعة لهم، ليس المعنى يوجد شفعاء ولكن لا تُقبَلُ شفاعتُهم، هذا بالنسبة للكفار، أما الشفاعة للمؤمنين فهي ثابتة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ
كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ
لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ
إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾

[والذين يعبدونهم من دون الله لا يقدرون أن يقضوا بشيء] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ تقرير لقوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾، ووعيدٌ لهم بأنه يسمع ما يقولون ويُبصر ما يعملون، وأنه يعاقبهم عليه، وتعريضٌ بما يَدْعُون من دون الله، وأنها لا تَسمعُ ولا تُبصر.

[ثم خَوَّفهم عقوبةَ الدنيا بعد أن خوَّفَهم عقوبةَ العُقبَى فقال]:

٢١- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [هذا استفهام بمعنى الإثبات؛ أي قد ساروا في الأرض] ﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ أي ءاخرُ أمرِ الذين كذَّبوا الرسلَ من قبلهم، [وذلك أنهم كانوا يَمُرُّون بديار عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم في جوار بلادهم، وكان شأن بعضهم معلومًا عندهم عيانًا وخبرًا] ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [في أبدانهم وعلى أعدائهم بعُدَّتهم] ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حصونًا وقصورًا ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ عاقبَهم بسبب ذنوبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ ولم يكن لهم شيء يَقيهم من عذاب الله؛ [فهؤلاء المشركون الذين هم دون أولئك قوةً وءاثارًا أولى ألّا يقيَهم شيء].

٢٢- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي الأخذُ بسبب أنهم ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ [أي عاقبهم وأهلكهم] ﴿إِنَّهُۥ قَوِىٌّ﴾ قادر على كل شيء ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾ إذا عاقب.

٢٣- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [بالعلامات الدالة على صدقه، وهي المعجزات] ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ وحجة ظاهرة.

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾

٢٤- ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾ [خصَّهم بالذكر لأنَّ فرعون كان ملكَهم، وهامانَ وزيرَه، وقارونَ صاحبَ الأموال والكنوز، وكان موسى مبعوثًا إلى كل القوم] ﴿فَقَالُواْ سَٰحِرٞ﴾ [فيما يُظهره من المعجزات] ﴿كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾﴾ [في دعوى الرسالة والدعاء إلى التوحيد]، فسمَّوا [الآياتِ و]السلطانَ المبينَ سحرًا وكذبًا.

٢٥- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ بالنبوة ﴿مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ أَعيدوا عليهم القتلَ كالذي كان أوّلًا ﴿وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ [استَبْقُوهم] للخدمة ﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾﴾ ضياع، يعني أنهم باشروا قتلَهم أوّلًا فما أغنى عنهم، ونفَذَ قضاءُ الله بإظهار مَن خافوه، فما يُغني عنهم هذا القتلُ الثاني، وكان فرعون قد كفَّ عن قتل الوِلْدان، فلمّا بُعث موسى عليه السلام وأحسَّ بأنه قد وقَعَ [ما كان يخشى] أعادَه عليهم غيظًا وظنًّا منه أنه يَصُدُّهم بذلك عن مُظاهرة موسى عليه السلام، وما علمَ أنَّ كيدَه ضائعٌ في الكَرَّتين جميعًا.

٢٦- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾ لِمَلَئِهِ[1] ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ كان إذا هَمَّ بقتله كَفُّوه بقولهم: ليس بالذي تخافُه، وهو أقل من ذلك، وما هو إلا ساحر، وإذا قتلتَه أدخلتَ الشُبهةَ على الناس واعتقدوا أنك عَجَزت عن معارضته بالحُجَّة، والظاهرُ أن فرعون قد استيقنَ أنه نبيٌّ وأنَّ ما جاء به ءاياتٌ وما هو بسحر، ولكن كان فيه خِبٌّ[2]، وكان قتّالًا سَفَّاكًا للدماء في أهون شيء، فكيف لا يقتل مَن أحسَّ بأنه هو الذي يَهدِم مُلكه، ولكنه كان

---

(١) الملأ: الأشراف والسادة.
(٢) الخِبُّ: الخِداع والخُبث والغِش، ورجلٌ خَبٌّ وخِبٌّ: خَدَّاعٌ خبيثٌ مُنكر.

﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ
مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ﴾

يخاف إن همَّ بقتله أن يعاجَلَ بالهلاك ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ شاهدُ صِدقٍ على فَرْط خوفه منه ومِن دعوته ربَّه، [أو أراد: وليدع رَبَّه الذي يزعم أنه أرسله فيمنعَه منا]، وكان قوله: ذروني أقتل موسى تمويهًا على قومه وإيهامًا أنهم هم الذين يَكُفُّونه، وما كان يَكُفُّهُ إلا ما في نفسه من هَوْل الفزع ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ﴾ إن لم أقتله ﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ أن يُغيِّرَ ما أنتم عليه، وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام [بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴿١٢٧﴾﴾ [سورة الأعراف]] ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ﴾ موسى ﴿فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ الفسادُ في الأرض التقاتل الذي يذهب معه الأمن، وتتعطل المعايش ويهلك الناس قتلًا وضياعًا، كأنه قال: إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه، أو دنياكم بما يَظْهَر من الفِتَن بسببه.

٢٧- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ [لقومه] لَمَّا سمعَ بما أجراه فرعونُ من حديث قتله ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ وفي قوله: ﴿وَرَبِّكُم﴾ بعثٌ لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه، ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه، وقال: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ لتشمل استعاذتُه فرعونَ وغيرَه من الجبابرة، وأراد بالتكبر الاستكبارَ عن الإذعان للحق، وهو أقبح استكبار وأدَلُّهُ على دناءَة صاحبه وعلى فرط ظلمه، وقال: ﴿لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾؛ لأنه إذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقِلةُ المبالاة بالعاقبة فقد استكملَ أسباب القسوة والجَراءة على الله وعباده، ولم يترك عظيمةً إلا ارتكبها.

٢٨- ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ قيل: كان قِبطيًّا ابنَ عَمّ لفرعونَ ءامن بموسى سرًّا ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ﴾ أَترتكبون الفِعلَةَ الشنعاءَ التي هي قتلُ نفس مُحَرَّمة وما لكم عِلَّةٌ في

﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ
صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ
أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾

ارتكابها إلا كلمةُ الحق، وهي قوله: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ وهو ربُّكم أيضًا لا ربُّه وحدَه ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [بالمعجزات الظاهرات] ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ هو استدراج لهم إلى الاعتراف به ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ احتجَّ عليهم بطريق التقسيم، وهو أنه لا يخلو من أن يكون كاذبًا أو صادقًا، فإن يك كاذبًا فعليه وبالُ(١) كَذِبه ولا يتخطاه، وإن يك صادقًا يُصِبْكم بعض الذي يعِدُكم من العذاب، وهو العذاب العاجل، وفي ذلك هلاكُكم، وكان وَعَدهم عذابَ الدنيا والآخرة، والمعنى أنه إن كان مُسرفًا كذابًا خذله الله وأهلكه فتَخَلَّصُون منه، أو لو كان مسرفًا كذّابًا لَمَا هداه الله بالنبوة ولَمَا عَضَدَه بالبينات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مجاوز للحدِّ ﴿كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ في ادِّعائه.

٢٩- ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرضِ مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ فلا تُفسدوا أمركم على أنفسكم، ولا تتعرضوا لبأس الله أي عذابه، فإنه لا طاقة لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد، وقال: ﴿يَنصُرُنَا﴾، و﴿جَآءَنَا﴾ لأنه منهم في القرابة ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي ما أُشير عليكم برأي إلا بما أرى من قتله، يعني لا أستَصْوِبُ إلا قتلَه، وهذا الذي تقولونه غيرُ صواب ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ﴾ [وما أدعوكم] بهذا الرأي ﴿إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [إلا إلى] طريقِ الصواب والصلاح.

---

(١) الوَبال: الفسادُ والشدَّةُ والمكروه، والمراد هنا أن إثم كذبه إن كان كاذبًا عليه لا يتخطاه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

٣٠- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾﴾ أي مثل أيامهم؛ [أي يومًا ينزل عليكم فيه العذاب المستأصِل بتكذيبكم رسولَه، مثلَ أيام الكفار الذين تَحزَّبوا على الأنبياء وتَجمَّعوا عليهم بالتكذيب، وفسرَ الأحزاب بقوله]:

٣١- ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي مِثْلَ جزاء دأبهم، [أي مِثلَ جزاء ما كانوا عليه دأبًا من الكفر وإيذاء الرسل] ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ﴾ [كقوم لوط وقوم شعيب ومَن جاء بعدهم مِن أمثالهم من الكفار] ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾، يعني أن تدميرهم كان عدلًا لأنهم استحقُّوه بأعمالهم، وهو أبلغ من قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة فصلت] حيث جعلَ المنفيَّ إرادةَ ظُلْمٍ مُنَكَّرٍ، ومَنْ بَعُدَ عن إرادةِ ظُلمٍ ما لعباده كان عن الظلم أبعدَ وأبعدَ، وهذا تخويف بعذاب الدنيا.

ثم خوَّفهم من عذاب الآخرة بقوله:

٣٢- ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ أي يومَ القيامة، وهو ما حكى الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴿٤٤﴾﴾، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴿٥٠﴾﴾، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ ﴿٤٨﴾﴾، وقيل ينادي منادٍ: ألا إنَّ فلانًا سَعِدَ سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، ألا إن فلانًا شقيَ شقاوةً لا يسعَدُ بعدها أبدًا.

٣٣- ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ منصرفين عن موقف الحساب إلى النار ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذاب الله ﴿مِنْ عَاصِمٍ ۗ﴾ مانعٍ ودافع ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ مُرشِد.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا
هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى
صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾﴾

٣٤- ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ هو يوسفُ بنُ يعقوبَ، قيل: إن فرعونَ موسى هو فرعونُ يوسفَ عُمِّرَ إلى زمنه، وقيل: هو فرعونٌ ءاخرُ، وَبَّخهم بأنَّ يوسفَ أتاكم مِن قَبلِ موسى بالمعجزات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ فشككتم فيها ولم تزالوا شاكّين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ [أي: فلمّا مات يوسفُ] ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [أي: من يَدَّعي الرسالة، وليس هذا تصديقًا لرسالته، وقلتم ذلك] حُكمًا من عند أنفسكم من غير برهان، أي أقمتم على كفركم وظننتم أنه لا يُجَدَّدُ عليكم إيجاب الحُجَّة ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ أي مثلَ هذا الإضلال يُضلُّ الله كلَّ مُسرف في عصيانه مرتابٍ شاكٍّ في دينه.

٣٥- ﴿ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ في دفعها وإبطالها ﴿بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ [بغير] حجة [أتتهم من عند الله] ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ عظم بُغضًا ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [أي: مَن كان كذلك فهو مُبغَضٌ عند الله وعند المؤمنين أشدَّ بُغض] ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ إنما وُصف القلب بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما، [والطَّبْعُ: هو الختم على القلب بالإضلال].

٣٦- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ تمويهًا على قومه أو جهلًا منه: ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ قصرًا. وقيل: الصرحُ: البناءُ الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بَعُدَ، [أي: قصرًا عاليًا] ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾﴾ ثم أَبْدَلَ منها تفخيمًا لشأنها وإبانةً أنه يقصد أمرًا عظيمًا.

﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾

٣٧- ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ طُرُقَها وأبوابَها وما يؤدي إليها ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ فأنظرَ إليه، [قال ذلك توهُّمًا منه أنه جسم تحويه الأماكن، حتى تكون بعض الأماكن تحته وبعضها فوقه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. إذ كان فرعون موصوفًا بهذا - أي تحويه الأماكن - ويدَّعي مع ذلك إلهيَّةَ نفسه، وكان أراد بما أضافه إلى الله تعالى تقريبَ معنى إلهيَّة نفسه من نفوس الجهلة من قومه، أي: فإن وجدته هناك نظرتُ في أمري وأمره، وكفى للمجسمة خِزيًا أن يكون اعتقادهم في الله كاعتقاد فرعون. وقيل: كان هذا إيهامًا لضَعَفَةِ قومه الذين لا تمييز لهم أنه يتمكن من صعود السماء، وإن كان عند نفسه عالمًا بامتناع ذلك عليه، فإن لم يكن هذا، فقد كان فرعون في غاية الجهل والغَواية والغباوة] ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي موسى ﴿كَٰذِبًاۚ﴾ في قوله: له إلٰهٌ غيري ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثلَ ذلك التزيين وذلك الصَّدِّ ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ المستقيمة، والمُزَيِّنُ: الشيطانُ بوسوسته، كقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة النمل]، أو الله تعالى، ومِثلُه: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة النمل] ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ خُسران وهلاك.

٣٨- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ وهو نقيض الغيِّ، وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعونُ وقومُه سبيلُ الغيِّ.

أَجْمَلَ أولًا، ثم فَسَّرَ فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها بقوله:

﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠ ۞وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢﴾

٣٩- ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ تَمتُّعٌ يسير، فالإخلادُ[1] إليها أَصلُ الشر ومَنْبَعُ الفِتَن، وثَنَّى بتعظيم الآخرة وبيَّن أنها هي الوطن والمستقرُّ بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾.

ثم ذكر الأعمالَ سيئَها وحَسَنَها، وعاقبةَ كل منهما لِيُثَبِّطَ عما يُتْلِفُ ويُنشِّطَ لِمَا يُزْلِفُ بقوله:

٤٠- ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ﴾ [أي يجزى بالسيئة الواحدة مثلَها، وبالحسنة الكثيرَ الذي لا يَحصره حساب] ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠﴾ [بلا تقدير[2] عليهم ولا تقتير].

ثم وَازَنَ بين الدعوتين، دعوتِه إلى دين الله الذي ثمرتُه الجناتُ، ودعوتِهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبتُه النارُ بقوله:

٤١- ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ أي الجنة ﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١﴾ [إلى عمل يؤدي إلى عذاب الله وعقوبته في النار].

٤٢- ﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ بربوبيته، والمرادُ بنفي العلم نفيُ المعلوم، كأنه قال: وأُشركَ به ما ليس بإلٰه، وما ليس بإلٰه كيف يصح أن يُعلَمَ إلٰهًا ﴿وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ﴾ [الذي لا يُغالَبُ] ﴿ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢﴾ [المُتفضِّلُ بعفوه ومغفرته على العباد]، وهو الله سبحانه وتعالى.

---

(١) أي: الرُّكون.

(٢) التقدير: التضييق.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾

٤٣- ﴿لَا جَرَمَ﴾ حَقَّ ووَجَب ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [إلى عبادته من دون الله] ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ ليس له استجابةُ دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، أو دعوةٌ مستجابةٌ، جُعلت الدعوة التي لا استجابةَ لها ولا منفعةَ كلا دعوة ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وأن رجوعَنا إليه، [أي إلى جزائه] ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾ [الخالدون فيها].

٤٤- ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ من النصيحة عند نزول العذاب ﴿وَأُفَوِّضُ﴾ وأُسَلِّم ﴿أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فإنه الكافي مَنْ توكل عليه]، لأنهم تَوَعَّدُوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ بأعمالهم ومآلهم.

٤٥- ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [فحفظه الله من] شدائدِ مكرهم وما هَمُّوا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم، قيل: إنه خرج من عندهم [فارًّا] إلى جبل فبعث [فرعون] قريبًا من ألف في طلبه [فوجدوه يصلي والوحوش حوله صفوفًا] فمنهم من أكلته السباع ومَن رجع منهم صَلَبه فرعون ﴿وَحَاقَ﴾ ونزل [وأحاط] ﴿بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [بأشياع فرعون مع فرعون عذابُ الله وشِدَّتُه].

٤٦- ﴿ٱلنَّارُ﴾ كأنه قيل: ما سوء العذاب؟ فقيل: هو النار ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ وعرضُهم عليها إحراقُهم بها ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ في هذين الوقتين يُعذَّبون بالنار، وفيما بين ذلك [يُعذَّبون] بجنس ءاخر، ويجوز أن يكونَ غدوًّا وعشيًّا عبارةً عن الدَّوام؛ هذا في الدنيا ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يقال لخَزَنة جهنم: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ أي عذابَ جهنم، وهذه الآية دليلٌ على عذاب القبر.

﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم
مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ
حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا
مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا
دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ
يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾

٤٧- ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ﴾ واذكُر [يا محمد تخاصُمَ أهل النار فيما بينهم] ﴿فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ﴾ [أي: الأتباع] ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ [عن الانقياد للأنبياء]، يعني الرؤساء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ تُبّاعًا [لكم فيما دعوتمونا إليه من الشرك في الدنيا] ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبٗا﴾ جزءًا ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ [من العذاب في النار].

٤٨- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ﴾ إنا كلُّنا فيها لا يُغني أَحدٌ عن أحد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ قضى بينَهم بأنْ أدخلَ أهلَ الجنةِ الجنةَ، وأهلَ النارِ النارَ.

٤٩- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ للقُوّام بتعذيب أهلها، وإنما لم يقل: «لخزنتها» لأن في ذكر جهنم تهويلًا وتفظيعًا ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا﴾ قَدْرَ يومٍ من [أيام] الدنيا ﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [الذي نحن فيه].

٥٠- ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الخزنةُ توبيخًا لهم بعد مدة طويلة: ﴿أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ بالمعجزات ﴿قَالُواْ﴾ أي الكفار: ﴿بَلَىٰۚ قَالُواْ﴾ أي الخزنةُ تَهَكُّمًا بهم: ﴿فَٱدۡعُواْۗ﴾ أنتم، ولا استجابةَ لدعائكم، [وليس بأمر حقيقةً، ولكن معناه: إن دعوتم لن ينفعكم] ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ بطلان.

٥١- ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾

في الدنيا والآخرة، يعني أن يُغَلِّبَهُم[١] في الدارين جميعًا بالحجة والظفر على مخالفيهم، وإن غُلِبُوا في الدنيا في بعض الأحايين[٢] امتحانًا من الله، والعاقبة لهم، ويتيح الله من يقتصُّ من أعدائهم ولو بعدَ حين.

[والنصرُ: المعونةُ على العدو بالاستعلاء عليه، وهو على وجوه: نصرٌ بالحجة، ونصرٌ بالغَلَبة والمحاربة، ونصرٌ بعقاب العدو ونصرٌ بإكرام الولي بالثواب]. والأَشهادُ جمع شاهد: الأنبياء والحَفَظَةُ، فالأنبياء يشهدون عند رب العِزة على الكفرة بالتكذيب، والحَفظةُ يشهدون على بني ءادم بما عملوا من الأعمال.

٥٢- ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ﴾ لا يُقبل عذرُهم ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ البعدُ من رحمة الله ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾ أي سوءُ دار الآخرة، وهو عذابها.

---

(١) الله تعالى ينصر الأنبياء وأتباعَهم على الكفار في الدنيا ظاهرًا ومعنًى، أو معنًى فقط، أما في الآخرة فظاهرًا ومعنًى، في الدنيا قد يؤذي الكفار المؤمنين ويتسلطون عليهم ويقتلون وينهبون ويؤذون بأنواع من الأذى، في هذه الحال المؤمنون هم المنصورون معنًى، لأن الحق معهم، أولئك ليس معهم حق، هؤلاء المسلمون الذين يقتلون ويعذبون هم المنصورون من حيث المعنى، ولو لم يكونوا ظاهرًا منتصرين على الكفار، لكن معنًى هم المنتصرون، لهم في الآخرة ثواب عظيم على هذا البلاء الذي أصابهم، ومتاع هؤلاء الكفار متاع قليل، ثم يفارقون هذه الدنيا فيلقَون العذاب في القبر، ثم في الآخرة إلى ما لا نهاية له، في الآخرة يُهانُون ويُذَلُّون ويُحَقَّرُون، تظهر ذِلتهم ومَهانتهم للعالم، لأهل موقف يوم القيامة، لأن الملائكة ينادون على الكفار: هؤلاء الذين كَذَبوا على ربهم، يسمعهم أهلُ المحشر، الكفار تنزل بهم ذِلَّةٌ ومَهانة قبل أن يدخلوا جهنم، ثم إذا دخلوا جهنم لا يلقَون بعد ذلك تخفيفًا، لا يوجد تخفيفٌ لعذابهم، لا يخفف إلى أبد الآباد، لا النارُ تنطفئ، ولا هم يخرجون، فإذا كان الأمر هكذا، فالكفار في الدنيا والآخرة مغلوبون، والمؤمنون منتصرون في الدنيا والآخرة.

(٢) الأحايين: جمع الأحيان، والأحيانُ: جمع الحين، وهو: وقت من الزمان.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾

٥٣- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ يريد به جميعَ ما أَتى به من باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾﴾ أي التوراةَ والإنجيلَ والزبور.

٥٤- ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾ إرشادًا وتذكرة [يتذكرون به وعد الله ووعيده، وما كان منسيًّا من الأحكام] ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾ لذوي العقول [الذين يتفكرون ويتأملون فيها].

٥٥- ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على ما يُجَرِّعُك قومُك من الغُصَص ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ إن ما سبق به وَعْدي من نصرتك وإعلاء كلمتك حق [لا خُلْفَ فيه، وهو مُنَجَّزٌ لك] ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ لذنب أمتك، [وقيل: لذنب نفسك على مَنْ يُجَوِّز الصغائر على الأنبياء، قالهُ القرطبي في تفسيره. وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون قبل إعلام الله إياه أنه غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لأن ءاية هذه السورة مكية، وءاية سورة الفتح مدنية متأخرة. وقال الرازي: محمولٌ على التوبة من ترك الأفضل والأَوْلَى. وقيل: المقصود منه مَحض تَعَبُّدٍ، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴿١٩٤﴾﴾ [سورة آل عمران] ومعلوم أن إيتاء ما وعد الله كائن لا محالة لأن الله لا يُخلف وعدَه، ثم إنه تعالى أمرنا بطلبه تعبُّدًا، نقل هذه الأقوال أبو حيان في تفسيره] ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ دُم على عبادة ربك والثناء عليه، [والعشيُّ: من الزوال إلى الغروب، والإبكارُ: من طلوع الشمس إلى وقت الضحى].

٥٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ﴾ [بغير حجة أتتهم وبرهان] ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ تَعظُّمٌ، وهو إرادةُ

﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي
ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا
تَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾

التقدُّم والرئاسة، وألّا يكون أحدٌ فوقَهم، فلهذا عادَوك ودفعوا ءاياتِك خيفةَ أن تتقدمَهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك، لأن النبوة تحتها كل مُلك ورئاسة ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ ببالغي موجَب الكِبْر ومقتضيه من الرئاسة، أو النبوة، أو دفع الآيات ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ فالتجِئْ إليه مِن كيد مَن يحسُدُك ويبغي عليك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما تقول ويقولون ﴿ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ بما تعمل ويعملون، فهو ناصرك عليهم، وعاصمك من شرهم.

٥٧- ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ لَمَّا كانت مجادلتُهم في ءايات الله مشتملةً على إنكار البعث - وهو أصلُ المجادلة ومدارُها - حُجُّوا[1] بخلق السماوات والأرض، لأنهم كانوا مُقرّينَ بأن الله خالقُها، فإنَّ مَن قَدَرَ على خلقها مع عِظَمِها كان على خلق الإنسان مع مَهانته[2] أقدرَ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ لأنهم لا يتأملون لغَلَبة الغفلة عليهم.

٥٨- ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ [مَنْ عَمِيَ عن رؤية الآيات والاستدلال بها ومَنْ أبصرها واستدلَّ بها] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾ [المسيء: هو الكافر، لأن المؤمن مُحسنٌ؛ أي لا يساوي المؤمنُ الكافرَ ولا الكافرُ المؤمنَ] ﴿قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ تتعظون [أيها الناس].

---

(١) حُجُّوا: غُلبوا.
(٢) معناه: مع ضَعفه، ليس معناه الحقارة، الإنسان ليس حقيرًا، الإنسان أفضل خلق الله لوجود الأنبياء فيهم.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾

٥٩- ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا بد من مجيئها، وليس بمُرتابٍ فيها، لأنه لا بد من جزاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ لا يُصدِّقون بها [لقصور نظرهم].

٦٠- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ﴾ اعبدوني ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أُثِبْكم، فالدعاء بمعنى العبادة كثير في القرءان، ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ [يتعاظمون عن توحيدي] ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ صاغرين[1].

٦١- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [لتستريحوا فيه بأن خَلَقه مُظلِمًا ليؤدي إلى ضعف الحركات وهدوء الحواس] ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ هو أي مُبْصَرًا فيه، لأن الإبصار في الحقيقة لأهل النهار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [حيث يُبَصِّرُهم ما يعتبرون به] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ وهم الذين يكفرون[2] فضل الله ولا يشكرونه.

٦٢- ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الذي خلق لكم الليلَ والنهار ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو الجامع لهذه الأوصاف من الربوبية والإلٰهية وخلق كل شيء والوحدانية ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ فكيف ومِن أيّ وجهٍ تُصرَفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان.

---

(١) الصَّغارُ: الذُّلُّ والهَوان.
(٢) كُفرانُ النعمة: جَحْدُها وعدم شكرها.

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ
رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى﴾

٦٣- ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق أُفِك كما أُفِكوا، [أي: كما انصرفتم عن الحق مع وضوحه صُرِف مَن قبلكم مِنَ الأمم الجاحدة عن ذلك].

٦٤- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ مستقرًّا ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [مبنية مرفوعة] سقفًا فوقكم ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ لم يخلقهم منكوسين كالبهائم ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ اللذيذات ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ﴾ [فالذي فعل هذه الأفعال وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم هو الله ربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره، لا الذي لا ينفع ولا يضر ولا يخلق ولا يرزق] ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [أي: جَلَّ الله وتقدَّس وتعالى أمره ودامت وتتابعت خيراته، وفيه حَثٌّ على وصفه تعالى به].

٦٥- ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾ فاعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ﴾ أي الطاعةَ من الشرك والرياء قائلين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من قال لا إلٰه إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين.

ولَمّا طلب الكفار منه عليه السلام عبادةَ الأوثان نزل:

٦٦- ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى﴾ هي القرءان، [أمر الله تعالى نبيَّه أن يخبرهم بأنه نُهيَ عن عبادة أصنامهم لَمَّا جاءته البينات من ربه، فهذا نهيٌ بالسَّمْع وإن

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٦ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ
عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن
قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦٧ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٦٨ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۝٦٩﴾

كان منهيًّا بدلائل العقل، فتظافرت أدلة السمع وأدلة العقل[١] على النهي عن عبادة الأوثان] ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾ أستقيم وأنقاد ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٦﴾.

٦٧- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي [خلقَ] أصلكم [من تراب] ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [ثم خلقكم من نطفة] ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ المراد بيان الجنس [أي يُخرج كلَّ واحد منكم طفلًا] ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ ثم يُبقيكم لتبلغوا [تمامَ قُوَّتِكم] ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ﴾ من قبلِ بلوغِ الأَشُدّ، أو من قبلِ الشيخوخة ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ معناه ويَفعلُ ذلك لتبلغوا أجلًا مسمًّى، وهو وقتُ الموت أو يومُ القيامة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ ما في ذلك من العِبَر والحُجَج.

٦٨- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [أي قَدَّرَ شيئًا وأراد كونه] ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٦٨﴾ فإنما يكون سريعًا من غير كلفة[٢].

٦٩- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ﴾ [في دفعها وإبطالها] ﴿ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۝٦٩﴾ [كيف يعدِلون عن ءايات الله بعدما تقرر عندهم أنها ءايات الله]. ذكرَ الجدالَ في هذه السورة في ثلاثة مواضع، فجاز

---

(١) أي: قوَّى بعضُها بعضًا.

(٢) الماتريدية في هذه الآية وما أشبهها يفسرون قول: «كن فيكون» بأنه عبارة عن سرعة الإيجاد، أما المشبهة فيقولون: إن الله بِعَدَدِ ما يخلق يقول: «كن» بالكاف والنون؛ وهذا سخافة عقل.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ٧٥﴾

أن يكون في ثلاثة أقوام، أو ثلاثة أصناف، أو للتأكيد.

٧٠- ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ بالقرءان ﴿وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ﴾ من الكتب ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠﴾ [بطلان ما هم فيه، وسوء عاقبته إذا أدخلوا النار].

٧١- ٧٢- ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ المعنى: إذ الأغلال والسلاسل في أعناقهم ﴿يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ﴾ يُجَرُّون في الماء الحارّ ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢﴾ مِن: سَجَرَ التَّنُّورَ إذا ملأه بالوَقود، ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم، وهم مسجورون بالنار مملوءةٌ بها أجوافهم.

٧٣- ٧٤- ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ﴾ تقول لهم الخزنة [توبيخًا لهم زيادةً في إيلامهم]: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ يعني الأصنام التي كنتم تعبدونها ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ غابوا فلا نراهم ولا ننتفع بهم ﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ أي: تَبيَّنَ لنا أنهم لم يكونوا شيئًا، كما تقول: حسِبتُ أن فلانًا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خَبَرتَه فلم تَرَ عنده خيرًا ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤﴾ كما أضلَّ هؤلاء المجادلين يُضِلُّ سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الهدى.

٧٥- ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب الذي نزل بكم ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ٧٥﴾ بسبب ما كان لكم من الفَرَح والمَرَح بغير الحق، وهو الشركُ وعبادةُ الأوثان، فيقال لهم:

﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

٧٦- ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ السبعةَ المقسومةَ لكم. قال الله تعالى: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الحجر]، [أي: نصيب معلوم مُفْرَز. قيل: أبواب النار أطباقُها وأدراكها] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ مُقَدِّرين الخلودَ ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [فَقَبُحَ مصيرُ ومكانُ المتعالين عن قبول الحق] جهنمُ.

٧٧- ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بإهلاك الكفار ﴿حَقّٞۚ﴾ كائن ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ تقديره: فإما نُرينَّك بعضَ الذي نعدهم من العذاب [في حياتك] فذاك، أو إن نتوفَّينَّك قبل [ذلك] فإلينا يُرجعون يوم القيامة فَنَنْتَقِم منهم أشد الانتقام.

٧٨- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ﴾ إلى أُمَمِهم ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادًا، يعني إنا قد أرسلنا كثيرًا من الرسل، وما كان لواحد منهم أن يأتي بآية [من قِبَل نفسه، بل أتى بما ءاتاه الله وأجراه على يده، فكذا أنت مع قومك إنما تأتيهم بالآيات من عند الله، وقد أتيتهم بما أذِنَ الله تعالى لك فيه بما فيه كفايةٌ ومَقْنَع] ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [بإقامة] القيامة، وهو وعيد ورد عقيب اقتراحهم الآيات ﴿قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [فأدخلتك وأتباعَك الجنة، وأدخلت الكفار النار] ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادًا.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟
عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟
أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا
جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾

٧٩- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ خلق ﴿لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ الإبلَ ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ لتركبوا بعضَها، وتأكلوا بعضها.

٨٠- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ أي الألبانُ والأوبار ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ لتبلغوا عليها ما تحتاجون إليه من الأمور ﴿وَعَلَيْهَا﴾ وعلى الأنعام ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ في البَرّ والبَحْر.

٨١- ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ أنها من عند الله، [وهو استفهام بمعنى التوبيخ].

٨٢- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عددًا ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ بدنًا ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قصورًا ومصانعَ(١) ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [فما نفعَهم ولا دفعَ عنهم العذابَ كسبُهم من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الأموال النفيسة].

٨٣- ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ يريد علمَهم بأمور الدنيا ومعرفتَهم بتدبيرها، [والمعنى]: فلمّا جاءتهم الرسل بعلوم الديانات - وهي أبعدُ شيء من عِلمِهم لِبَعثها على رفض الدنيا والظَّلْفِ(٢) عن المَلاذِّ والشهوات - لم يلتفتوا إليها وصَغَّروها واستهزؤوا بها، واعتقدوا أنه لا عِلمَ أنفعُ وأجلبُ للفوائد من علمهم ففرحوا به ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [ونزل] بالكافرين

---

(١) مصانعُ: أي حصونٌ.
(٢) يقال: ظَلَفَ نفسَه ظَلْفًا: مَنَعَها عما لا خير فيه.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

جزاءُ جهلِهم واستهزائهم.

٨٤- ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾ شِدَّةَ عذابنا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [تبَرَّأنا من الأوثان التي أشركنا بعبادتها].

٨٥- ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ﴾ فلم يصحَّ ولم يستقم أن ينفعَهم إيمانُهم [إذا عاينوا العذاب] ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ﴾ [أي: سَنَّ الله ذلك سُنَّةً ماضيةً في العباد] أن الإيمانَ عند نزول العذاب لا ينفع، وأن العذاب نازل بمكذِّبي الرُّسُل ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ الكافرون خاسرون في كل أوان، ولكن يتبينُ خسرانُهم إذا عاينوا العذاب.

سورة فُصّلت
مكية وهي أربع وخمسون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ
يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا
تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿حمٓ ۝١﴾ [مَرَّ الكلام فيها في أول السورة السابقة سورة غافر].

٢- ﴿تَنزِيلٞ﴾ [هذا تنزيل] ﴿مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾.

٣- ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ مُيزت وجُعلت تفاصيلَ في معانٍ مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظَ ووعد ووعيد وغير ذلك ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ لقوم عرب يعلمون ما نُزِّلَ عليهم من الآيات المفصَّلة المُبيَّنة بلسانهم العربي.

٤- ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [فيه بِشارةُ المطيعين، وإنذار العاصين] ﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤﴾ لا يقبلون، مِن قولك: تَشفَّعْتُ إلى فلان فلم يسمع قولي، ولقد سمِعَهُ ولكنه لَمَّا لم يقبلْه ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعْه.

٥- ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ أغطية، جمعُ كِنَانٍ: وهو الغِطاء ﴿مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ من التوحيد ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾ ثِقَلٌ يمنعُ من استماع قولك

﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ
إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ
مَمۡنُونٖ ۝٨﴾

﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ سِتْرٌ، وهذه تمثيلات لِنُبُوِّ قلوبهم عن تقبُّل الحق واعتقاده، كأنها في غُلَف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ على ديننا، [قالوا ذلك ليُؤَيِّسُوه عن إيمانهم واتّباعهم له]، أو فاعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك.

٦- ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ قال لهم: إني لست بمَلَك وإنما أنا بشر مثلُكم، وقد أُوحيَ إليَّ دونكم، فصحَّت نبوَّتي بالوحي إليَّ، وأنا بشر، وإذا صحَّت نبوَّتي وجب عليكم اتباعي، وفيما يُوحَى إليَّ أن إلَهكم إلٰهٌ واحد ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ بالتوحيد وإخلاص العبادة ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ من الشرك[1] ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦﴾.

٧- ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ وإنما جعلَ منعَ الزكاة مقرونًا بالكفر بالآخرة، لأن أحبَّ شيء إلى الإنسان مالُه، وهو شقيقُ روحه، وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها.

٨- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٨﴾ [أي غير] مقطوع [في الآخرة]، قيل: نزلت في المَرْضَى والهَرْمَى إذا عجزوا عن الطاعة، كُتِبَ لهم الأجرُ كما كانوا يعملون.

---

(١) الاستغفار من الشرك يكون بالدخول في الإسلام بالشهادتين.

﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾

٩- ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ الأَحدِ والاثنين تعليمًا للأَناةِ[1]، ولو أرادَ أن يخلقَها في لحظة لفعلَ ﴿وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ شركاءَ وأشباهًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي خلق ما سبقَ ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩﴾ خالقُ جميع الموجودات وسيدُها.

١٠- ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ثوابت ﴿مِن فَوۡقِهَا﴾ [من فوق الأرض على ظهرها]، إنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون منافعُ الجبال ظاهرةً لطالبيها، وليُبصَرَ أن الأرض والجبال أثقالٌ على أثقال كلُّها مفتقرة إلى مُمْسِكٍ[2] وهو الله عز وجل ﴿وَبَٰرَكَ﴾ بالماء والزرع والشجر والثمر ﴿فِيهَآ﴾ في الأرض ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ أرزاقَ أهلِها ومعايشَهم وما يُصْلِحُهم ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ﴾ في تِتِمَّة أربعة أيام، [أي: في يومين ءاخَرين مع اليومين الأولين]، تقول: سرتُ من البصرة إلى بغداد في عشرة، وإلى الكوفة في خمسةَ عشَرَ، أي تِتِمَّةِ خمسةَ عشر ﴿لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾ قدَّر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها والمحتاجين إليها، لأن كلًّا يطلب القوت ويسأله.

١١- ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [قيل: إن المادةَ التي خلقت منها السماء كانت دخانًا[3]، وروي أنها كانت جسمًا رِخوًا كالدخان أو البخار فجعلها سماءً واحدة ففتقها[4] فجعلها سبع سماوات في يومين]

---

(١) الأناةُ: التُّؤَدة وعدمُ الاستعجال.
(٢) أي: حافظ.
(٣) كانت دخانًا ثم صارت جِرمًا صُلبًا.
(٤) أي: شقَّها.

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ هو مجاز عن إيجاد الله تعالى السماءَ على ما أراد، تقول العرب: فعلَ فلانٌ كذا، ثم استوى إلى عملِ كذا، يريدون أنه أكملَ الأولَ وابتدأ الثانيَ، ويفهم منه أنَّ خلقَ السماءِ كان بعد خلق الأرض، وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالِهما: أنه تعالى أراد أن يكوِّنَهما فلم يمتنعا عليه، وَوُجِدَتا كما أرادهما: وإنما ذكر الأرضَ مع السماء في الأمر بالإتيان - والأرضُ مخلوقةٌ قبل السماء بيومين - لأنه تعالى خلقَ جِرمَ الأرض أولًا غيرَ مدحُوَّةٍ ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾ [سورة النازعات]، فالمعنى: ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف، ائتي يا أرضُ مَدْحُوَّةً قرارًا لأهلك، وائتي يا سماءُ مُقَبَّبةً سقفًا لهم، ومعنى الإتيان: الحصول والوقوع، كما تقول: أتى عملُه مرضيًّا، وقوله تعالى: ﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾: لبيان تأثير قدرته فيهما، كما تقول لمن تحت يدك: لتفعلنَّ هذا شئت أم أبيت.

١٢- ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ فأحكم خلقهن ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ في يوم الخميس والجمعة ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا﴾ ما أمَر به فيها ودبره من خلقِ الملائكة والنَّيِّراتِ[1] وغيرِ ذلك ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾ القريبةَ من الأرض ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بكواكبَ [فإن الكواكب كلها تُرى كأنها تتلألأ عليها] ﴿وَحِفۡظٗاۚ﴾ وحفظناها من المسترِقَة[2] بالكواكب حفظًا[3] ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ الغالبِ غيرِ المغلوب ﴿ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ بمواقع الأمور.

---

(١) النَّيِّرات: النجوم.
(٢) يعني: الشياطين.
(٣) يعني أن الملائكة تقتبِسُ من الكواكب شُهُبًا فترمي بها الشياطين.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ﴾

١٣- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ خوَّفتكم ﴿صَٰعِقَةً﴾ عذابًا شديدَ الوقع كأنه صاعقةٌ، وأصلُها رَعْدٌ معه نارٌ ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [أي خوفتكم عذابًا شديدًا يهلككم مثلَ الذي أهلكهم].

١٤- ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾ [إذ جاءت عادًا وثمودَ الرسلُ؛ وذلك أن الله بعث إلى عادٍ هودًا فكذبوه من بعد رُسل قد كانت تقدمته إلى ءابائهم أيضًا فكذبوهم فأهلكوا، وبعث صالحًا إلى ثمودَ فكذبوه فأُهلكوا هكذا] ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أَتَوْهم من كل جانب، وعملوا فيهم كلَّ حيلة فلم يَرَوا منهم إلا الإعراضَ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [جاءتهم الرسلُ بألّا تعبدوا إلا الله] ﴿قَالُواْ﴾ [لرسلهم]: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾ إرسالَ الرسل ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ معناه: فإذا أنتم بشرٌ ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به، وقوله: ﴿أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ ليس بإقرار بالإرسال، وإنما هو على كلام الرسل، وفيه تهكم، وقولهم: ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ خطابٌ منهم لهودٍ وصالحٍ ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان.

ثم بيَّن ما ذكرَ مِن صاعقة عادٍ وثمودَ فقال:

١٥- ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ تعظَّموا [على نبيهم بغير حق لَـمَّا خوِّفوا بالعذاب] ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ كانوا ذوي أجسام طوال وخَلْقٍ عظيم، وبلغَ من قُوَّتهم أن الرجل كان يقلع الصخرةَ من الجبل بيده ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ أولم يعلموا علمًا يقوم مَقام العِيان ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أوسَعُ منهم قدرةً، لأنه قادر على كل

﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ
ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ
فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾

شيء، وهم قادرون على بعض الأشياء بإقداره ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ كانوا يعرفون أنها حَقٌّ، ولكنهم جَحَدوها كما يَجحد المُوْدَعُ الوديعةَ.

١٦- ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ عاصفة تُصَرْصِرُ، أي تُصَوِّتُ في هبوبها؛ من الصَّرير، أو باردةً تُحرق لشدةِ بردِها [مِنَ] الصِّرِّ وهو البردُ، [وهي] الدَّبور[1] ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ مشؤومات عليهم ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ وهو الذل [والفضيحة] ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾ [أي: أَشدُّ فضيحةً] ﴿وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ من الأصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم.

١٧- ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ بيَّنا لهم الرُّشْدَ ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ فاختاروا الكفر على الإيمان ﴿فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ﴾ داهية العذاب [المُهلِك المُهين] ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ بكسبهم؛ وهو شركُهم ومعاصيهم.

١٨- ﴿وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ اختاروا الهُدى على العمى من تلك الصاعقة ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ اختيار العمى على الهُدَى.

١٩- ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي الكفارُ من الأولين والآخِرين، [ذكر عذابهم في الدنيا ثم عذابهم في الآخرة] ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ يُحبس أولهم على ءاخرهم، أي يُستوقف سوابقهم حتى

---

(١) قال عليه الصلاة والسلام: «**نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهلكت عادٌ بالدبور**» رواه البخاري ومسلم. الدَّبور ريح تُقبلُ من جهة المغرب، والصَّبا الريحُ التي تهب من مَطلِعِ الشمس.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ﴾

يَلحقَ بهم تواليهم، وهي عبارة عن كثرة أهل النار؛ [أي: فهم مع كثرتهم وتفاوتهم لا يكونون مهملين بل يُحبس أوَّلُهم على ءاخرهم إذا تفرقوا، وهذا الوَزْعُ(١) على سبيل العقوبة].

٢٠- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ صاروا بحضرتها(٢) ﴿شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ﴾ [أي: ءاذانهم] ﴿وَأَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ [أي: عيونهم] ﴿وَجُلُودُهُم﴾ شهادة الجلود بالملامسة الحرام ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾ [بهذه الأعضاء؛ وذلك إذا جحدوا بألسنتهم وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۢ ٢٨﴾(٣) [سورة النحل]].

٢١- ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ﴾ لِمَا تعاظَمَهُم من شهادتها عليهم ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ من الحيوان، والمعنى أن نُطْقَنا ليس بعَجَب من قدرة الله الذي قَدَرَ على إنطاق كل حيوان ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾ هو قادرٌ على إنشائكم أولَ مرة وعلى إعادتكم ورَجْعِكم إلى جزائه.

٢٢- ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ﴾ أي أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحُجُب عند ارتكاب الفواحش، وما كان استتارُكم ذلك خِيفةَ أن يشهدَ عليكم جوارحُكم، لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم، بل كنتم جاحدين بالبعث

---

(١) أي: الحَبْس.
(٢) أي: بحضورها.
(٣) عندما ينكرون كفرَهم ومعاصيَهم يَختِم الله تعالى على أفواههم فيُعجزها عن الكلام ويُنطِق جوارحَهم وجلودَهم فتشهد عليهم بما عملوا.

﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾

والجزاء أصلًا ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وهو الخفِيَّات من أعمالكم.

٢٣- ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ وذلك الظنُّ هو الذي أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [من الهالكين].

٢٤- ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [أي: إن صبروا أو لم يصبروا لم ينفعهم الصبرُ ولم ينفكُّوا به من الثَّواء[1] في النار ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ وإن يطلبوا الرضا فما هم من المَرْضِيّين.

٢٥- ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾ قَدَّرنا لمشركي مكة، وقيل: سلَّطنا عليهم] ﴿قُرَنَآءَ﴾ أخدانًا[2] من الشياطين، جمع قرين ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتِّباع الشهوات، وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب، [فقيل: ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الآخرة؛ لأنها أمامهم، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الدنيا؛ لأنهم يتركونها، وقيل: هو على القلب، ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا؛ لأنها حاضرة لهم، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الآخرة؛ لأنها من بعد هذا تأتيهم] ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ كلمةُ العذاب، [هو قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة ص]، أي: تحقق هذا الوعد فيهم] ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ في جملة أمم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ [مَضَت] ﴿مِن قَبْلِهِم﴾ قبلَ أهلِ مكة ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ

---

(١) الثواء: الإقامة.
(٢) الخِدْن والخَدِينُ: الذي يكون معك في كل أمر ظاهر وباطن.

﴿وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ هو تعليل لاستحقاقهم العذاب، والضمير لهم وللأمم.

٢٦- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [أي: مُشركو قريش] ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ إذا قُرِئَ ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ وعارِضوه بكلامٍ غيرِ مفهوم حتى تُشَوِّشوا عليه وتَغلِبوا على قراءته، واللغوُ: الساقطُ من الكلام الذي لا طائلَ تحته(١).

٢٧- ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يجوز أن يُريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغِين والآمرين لهم باللغو خاصة، ولكن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم، [والعذاب الشديد: قيل: في الدنيا؛ وكان ذلك يوم بدر] ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي أعظمَ العقوبة على أسوأ أعمالهم، وهو الكفر.

٢٨- ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلى الأسوأ ﴿ٱلنَّارُۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِۖ﴾ أي النارُ في نفسها دار الخلد، كما تقول: لكَ في هذه الدارِ دارُ السرور؛ وأنت تعني الدارَ بعينها ﴿جَزَآءًۢ﴾ جُوزوا بذلك جزاء ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [بسبب جحودهم في الدنيا بآياتنا].

٢٩- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ الشيطانَيْنِ اللَّذَين أضلَّانا ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ لأن الشيطانَ على ضربين جني وإنسي، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة الأنعام] ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [في الدَّرْك

---

(١) أي: لا فائدةَ فيه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ
وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ
وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَنۡ
أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾

الأسفل] في النار جزاءَ إضلالهم إيَّانا.

٣٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي نَطقوا بالتوحيد ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ ثم ثبتوا على الإقرار ومقتَضَياته، وعن الصديق رضي الله عنه: استقاموا فعلًا كما استقاموا قولًا، وعنه أنه تلاها ثم قال: ما تقولون فيها؟ قالوا: لم يُذنبوا، قال حَملتُم الأمر على أشَدِّه، قالوا: فما تقول؟ قال: لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان، وعن عمر رضي الله عنه: لم يَرُوْغُوا رَوَغان الثعالب؛ أي لم ينافقوا، وعن عثمان رضي الله عنه: أخلَصوا العمل، وعن علي رضي الله عنه: أدَّوا الفرائضَ ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت [بالبشارة مترادفين] ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ أي لا تخافوا ما تُقدِمونَ عليه ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ على ما خلَّفتم، فالخوف غمٌّ يَلحقُ الإنسان لِتَوقُّع المكروه، والحزنُ غمٌّ يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضارّ، والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدًا ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ في الدنيا.

٣١- ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ كما أن الشياطين قرناءُ العصاة وإخوانُهم، فكذلك الملائكة أولياءُ المتقين وأحِبّاؤهم في الدارين ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا﴾ [أي: في الجنة] ﴿مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ﴾ من النعيم ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ تتمنَّون.

٣٢- ﴿نُزُلٗا﴾ هو رِزْقُ النَّزِيل، وهو الضيف ﴿مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [أي: رزقًا أقامه الله تعالى - الذي غفر لكم ورحمكم - لإنزالكم الجنة].

٣٣- ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وهو رسول الله دعا إلى

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾

التوحيد، [وأيُّ قولٍ أحسنُ من قوله؟! وأيُّ قائل أحسن قولًا منه وهو يدعو إلى عبادة الله ولا تُهَمَةَ فيه؟! فهو يعمل بما يقول. وهو استفهام بمعنى النفي] ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ خالصًا ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ تفاخرًا بالإسلام ومعتقدًا له.

٣٤- ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يعني أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أَنفُسِهما، فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتكَ حَسَنَتان فادفع بها السيئة التي تَرِدُ عليك، كما لو أساءَ إليك رجلٌ إساءَةً فالحسنة أن تعفوَ عنه، والتي هي أحسنُ أن تُحسِنَ إليه مكان إساءتِه إليك ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ فإنك إذا فعلتَ ذلك انقلب عدوُّك المُشَاقُّ[1] مثلَ الوَلي الحميم مُصافاةً[2] لك، ثم قال:

٣٥- ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ وما يُلَقَّى هذه الخَصلةَ التي هي مقابلةُ الإساءة بالإحسان [أي: وما يُعطى هذه الخصلةَ وما يوفَّقُ لقَبولها وأخذها] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ إلا أهلُ الصبر ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ إلا رجلُ خيرٍ وُفِّقَ لحَظّ عظيم من الخير.

٣٦- ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ النَّزْغُ شِبْهُ النَّخس[3]، والشيطانُ يَنْزَغُ الإنسانَ كأَنه ينخُسُه، يَبْعَثُه على ما لا ينبغي، والمعنى: [وإن أراد الشيطان أن يَصُدَّك ويصرفَك] عما وُصِّيْت به من الدفع بالتي هي أحسن

---

(١) العدو المُشَاقُّ: الذي يعاديك أشدَّ العداوة.
(٢) أي: مَوَدَّة.
(٣) النَّخْسُ: الغَرْزُ بعود أو نحوه للدَّفع والحركة.

﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ
لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ
تَعۡبُدُونَ ٣٧ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا
يَسۡـَٔمُونَ ۩ ٣٨ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ
إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾

﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ من شَرِّه وامضِ على حِلْمِك ولا تُطِعْه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لاستعاذتك ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ بنَزْغ الشيطان.

٣٧- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ﴾ الدالة على وَحدانيته ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ في تعاقبهما على حَدٍّ معلوم وتناوبهما على قَدْر مقسوم ﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ﴾ في اختصاصهما بسَير مُقدَّر ونور مُقرَّر ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾ فإنهما مخلوقان وإن كثُرت منافعهما ﴿وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [إن كنتم] موحِّدِينَ غيرَ مشركين، فإنَّ مَن عبدَ مع الله غيرَه لا يكون عابدًا له.

٣٨- ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ ولم يمتثلوا ما أمروا به ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة، [العبادُ المقرَّبون] ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ٣٨﴾ لا يَملُّون، و﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ عبارةٌ عن الزُّلفَى(١) والمكانةِ والكرامة.

٣٩- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ﴾ يابسة مُغْبَرَّةً، والخُشوع: التذلُّل، فاستُعير لحال الأرض إذا كانت قَحْطَةً لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ﴾ المطرَ ﴿ٱهۡتَزَّتۡ﴾ تحرَّكت بالنبات ﴿وَرَبَتۡۚ﴾ انتفخت [وعَلَتْ] ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ فيكون قادرًا على البعث ضرورةً.

---

(١) أي: القُرْبُ المعنويُّ لا الحِسّيُّ، فالله تبارك وتعالى مُنزَّهٌ عن المكان والجهة والكيف أزلًا وأبدًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾﴾

٤٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ يَميلونَ عن الحق في أدلَّتنا [بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والإلغاء] ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ وعيدٌ لهم على التحريف ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ هذا تمثيل للكافر والمؤمن، [وهو استفهامٌ بمعنى التوبيخ للكافرين الملحدين في الآيات؛ فإن جوابَه: بل مَن يأتي ءامنًا يوم القيامة خيرٌ، فكان تقريرًا لهم على قُبح أعمالهم] ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ هذا نهايةٌ في التهديد ومبالغةٌ في الوعيد، [ومعناه: فليختر امرؤٌ لنفسه ما شاء من هذين، وهما الوقوعُ في النار، والأمنُ منها، وليعمل ما يراهُ، فإنه إن عملَ بعملِ أهل النار أُلقيَ فيها، وإن عملَ غير ذلك أمِنَها] ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ فيجازيكم عليه.

٤١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾ بالقرءان، لأنهم لكُفرهم به طَعَنوا فيه وحرَّفوا تأويله ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡۖ﴾ حين جاءهم، وخبرُ ﴿إِنَّ﴾ محذوف [وهو ثابتٌ تقديرًا، وخبرُ إنَّ يُحذف لفهم المعنى] أي يعذّبون، أو هالكون ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾﴾ مَنيعٌ مَحْمِيٌّ بحماية الله.

٤٢- ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ التبديل، أو التناقضُ ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ بوجه من الوجوه، [فهو محفوظٌ من أن يُنقصَ منه أو يزاد فيه] ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ [مُصيبٍ في أقواله وأفعاله]، مستحق للحمد.

٤٣- ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ ما يقولُ لك كفارُ قومِك ﴿إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ إلا مثلَ ما قال للرسل كفارُ قومِهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ﴾ [للمؤمنين] ورحمةٍ لأنبيائه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾﴾ لأعدائهم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾

٤٤- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الذكرَ ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ بلُغةِ العَجَم، كانوا لتعنُّتهم يقولون: هَلَّا نُزِّلَ القرءانُ بلغة العجم؟ فقيل في جوابهم: لو كان كما يقترحون ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ بُيِّنت بلسان العرب حتى نفهمَها تَعنُّتًا ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ يعني لأنكروا وقالوا: أقرءانٌ أعجمي ومُرْسَلٌ إليه عربي؟! والمعنى أن ءايات الله على أيّ طريقة جاءتهم وجدوا فيها مُتَعَنَّتًا[1] لأنهم غيرُ طالبين للحق وإنما يتبعون أهواءهم ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي القرءانُ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ إرشادٌ إلى الحق ﴿وَشِفَآءٌ﴾ لما في الصدور من الشك، إذ الشك مرضٌ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ هو للذين ءامنوا هدًى وشفاء، والذين لا يؤمنون هو في ءاذانهم وَقْرٌ، أي صَمَمٌ، أو في ءاذانهم منه وقرٌ، [أي صممٌ عن سماعه وفهمه] ﴿وَهُوَ﴾ أي القرءان ﴿عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ ظُلمةٌ وشُبهةٌ [لتعاميهم عمّا يُريهم من الآيات وتركهم تدبُّرَه] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ يعني أنهم لعدم قَبولهم وانتفاعهم، كأنهم ينادَون إلى الإيمان بالقرءان من حيث لا يسمعون لِبُعد المسافة.

٤٥- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ [بالتصديق والتكذيب كما اختُلف في القرءان] فقال بعضهم: هو حق، وقال بعضهم: هو باطل ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ [ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم] بتأخير العذاب [إلى يوم القيامة]، وأن الخصومات تُفْصَلُ في ذلك اليوم ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ لأهلكَهم إهلاك استئصال [في الدنيا]

(١) أي: موضِعَ عِنادٍ وتكبُّر.

﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وإن الكفار ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾ موقع للرِّيبة [لتركهم التأمُّلَ في الدلائل].

٤٦- ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ فَنَفْسَه نفعَ ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ فنفسَه ضَرَّ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [حقيقة الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، والله تعالى وعد بإثابة المطيع والزيادة في ثوابه، وتعذيب العاصي بمقدار جُرمه من غير زيادة، وأنه قد يَغفر له ما سوى الكفر، وذكر أنه لا يخلف الميعاد، فما كان الله ليضع عقوبتَهُ في غير مستحقيها].

٤٧- ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي علمُ قيامها، أي يجب على المسؤول أن يقول: الله يعلم ذلك [لا يعلمُه غيرُه] ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أَوْعِيَتها قبل أن تنشَقَّ، جمع كِمّ[1] ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ حملَها ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي ما يَحدُث شيء من خروج ثَمَرة ولا حَمْل حامل ولا وَضْع واضع إلا وهو عالم به، يعلمُ عددَ أيام الحَمْل وساعاتِه وأحوالِه من الخِداج[2] والتَّمام والذكورة والأنوثة والحُسن والقبح وغيرِ ذلك ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ أضافهم إلى نفسِه على زَعْمِهم، وبيانه في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة القصص] وفيه تَهكُّمٌ وتقريع ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أخبرناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ أي ما منا أحدٌ يشهد اليومَ بأن لك شريكًا، وما منا إلا مَنْ هو مُوَحِّد لك.

---

(١) الكَمُّ: السَّتْر، والكِمُّ مكسور الكاف في الثَّمر، ومضمومُها في القميص.

(٢) الخِداجُ: النقصان، والخديجُ: إذا وُلد قبل تمام الأيام وإن كان تامَّ الخَلْق.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ
ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ
هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ﴾

٤٨- ﴿وَضَلَّ﴾ [غاب] ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾ يَعبُدون ﴿مِن قَبْلُ ۖ﴾ في الدنيا [أي غابت عنهم أصنامهم وتَلِفَتْ وتلاشت، فلم يجدوا منها نصرًا ولا شفاعةً] ﴿وَظَنُّوا۟﴾ وأيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾ مَهرَب [من العذاب].

٤٩- ﴿لَّا يَسْـَٔمُ﴾ لا يَملُّ ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر، بدليل قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ من طلب السَّعَة في المال والنعمة ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر ﴿فَيَـُٔوسٌ﴾ من الخير ﴿قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ من الرحمة، والقُنوط: أن يقطع الرجاء من فضل الله ورَوْحِه[1].

٥٠- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ وإذا فَرَّجْنا عنه بصحة بعد مرض، أو سَعة بعد ضيق، قال: هذا لي، أي هذا حَقّي وَصَلَ إليَّ لأني استوجبتُه بما عندي من خير وفضلِ أعمالِ بِرٍّ ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ ما أظنها تكونُ ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ كما يقول المسلمون ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ﴾ عند الله ﴿لَلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ أي الجنةَ، أو الحالةَ الحُسْنَى من الكرامة والنعمة قائسًا أمرَ الآخرة على أمر الدنيا ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ فَلَنخبرنَّهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجِبَة للعذاب ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ شديد لا يُفَتَّرُ[2] عنهم.

٥١- ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ﴾ هذا ضربٌ ءاخَرُ من طغيان

---

(١) أي: رَحْمَته.
(٢) أي: لا يُخَفَّفُ.

﴿وَنَا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ
ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ
أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ
فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾﴾

الإنسان، إذا أصابه اللهُ بنعمة أَبْطَرَتْه النعمةُ فنسيَ المُنعِمَ وأعرضَ عن شكره ﴿وَنَا بِجَانِبِهِۦ﴾ وتباعَدَ عن ذكر الله ودعائه، أو ذهب بنفسه وتكبَّر وتعظَّم ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الضُّرُّ والفقر ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ كثيرٍ، أي أَقبلَ على دوام الدعاء، وأخذ في الابتهال والتَّضرُّع، ولا منافاة بين قوله: ﴿فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾﴾ وبين قوله: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ لأن الأول في قوم والثانيَ في قوم.

٥٢- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أخبروني ﴿إِن كَانَ﴾ القرءانُ ﴿مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ﴾ ثم جحدتم أنه من عند الله ﴿مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾﴾ [أي لا أحد أضلُّ منكم أيها الكفار المشاقُّون المعادون لله تعالى، ومآلكم الهلاك في الدنيا والآخرة].

٥٣- ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ مِن فتحِ البلاد شرقًا وغربًا ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [أراد به] فتحَ مكة، [وتضمَّنَ ذلك الإخبارَ بالغيب، ووقع كما أخبر] ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ أي القرءانُ أو الإسلام ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ تقديره: أولم يكفِهمْ أنَّ ربَّك على كل شيء شهيد، ومعناه: هذا الموعود من إظهار ءايات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرَونه ويشاهدونَه فيتبينون عند ذلك أن القرءان تنزيلُ عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد.

٥٤- ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ﴾ [بالبعث والجزاء] ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾﴾ عالِمٌ بجُمَل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها، فلا تخفى عليه خافية، فيجازيهم على كفرهم وَمِرْيتهم في لقاء ربِّهم.

سورة الشورى
مكية وهي ثلاث وخمسون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٢ - ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢﴾ [قال بعضهم: هي والتي في سائر السُّوَر السِّتِّ الأخرى التي تبدأ بـ﴿حمٓ ١﴾ التي يقال لها الحواميم السبع - أولها سورة غافر وءاخرها سورة الأحقاف - كلها فواتحُ السُّوَر، وقيل: هي أسماءٌ للسور، وقيل غير ذلك مما ورد في أول التفسير، عند ذكر ﴿الٓمٓ ١﴾ في أول البقرة].

٣- ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾ مثلَ ذلك الوحي، أو مثلَ ذلك الكتاب يوحِي إليك ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ وإلى الرسل من قبلك ﴿ٱللَّهُ﴾ يعني أن ما تضمَّنته هذه السورةُ من المعاني قد أوحى الله إليك مثلَه في غيرها من السور وأوحاه إلى مَنْ قبلَكَ، يعني إلى رسله، والمعنى أن الله كرر هذه المعانيَ في القرءان وفي جميع الكتب السماوية لِما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب بقهره ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾ المصيب في فِعله وقوله.

٤- ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ مُلكًا ومِلكًا ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ شانُه، [الممتنعُ بعلوِّ اقتداره أن يُغالَب] ﴿ٱلۡعَظِيمُ ٤﴾ برهانُه.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ٦ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾

٥- ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾ يتشقّقن، يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته، [خشيةً لله وإجلالًا له، كما قال: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ ٢١﴾ [سورة الحشر]، وقيل: يتشقّقن لفظاعة قول المشركين، كما قال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١﴾ [سورة مريم]] ﴿مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ [من أعلَى سماء منها، فلا تبقى سماءٌ إلا وقد سقطت على الأخرى كالسقف على السقف] ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ خضوعًا لِما يَرون من عظمته [فينزّهونه ويَحمَدونه بمحامده] ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي للمؤمنين منهم كقوله: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٧﴾ [سورة غافر] ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ لهم ﴿ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [بهم].

٦- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ جعلوا له شركاءَ وأندادًا ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ رقيبٌ على أحوالهم وأعمالهم، لا يَفوتُه منها شيء، فيجازيهم عليها ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ٦﴾ بِمُوْكَل عليهم ولا مُفَوَّضٍ إليك أمرُهم، إنما أنت مُنذِر فحسبُ.

٧- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثلَ ذلك ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ وذلك إشارةٌ إلى معنى الآية التي قبلَها مِن أنّ الله رقيبٌ عليهم لا أنت بل أنت مُنذِر ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ أوحيناه إليك وهو قرءان عربي بيّن ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي مكةَ، لأنها أشرفُ البقاع، والمرادُ أهلُ أُمّ القرى ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ من العرب ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ [ولتُخوِّف الناسَ من] يوم القيامة [الذي هو يوم جمع الخلائق من الأولين والآخرين للحساب والجزاء] ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ [لا شكَّ في مجيئه وكونه] ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ أي منهم

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ﴾

فريق في الجنة، ومنهم فريق في السعير.

٨- ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ مؤمنينَ كلَّهم ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾ يكرم من يشاء بالإسلام ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ والكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ﴾ شافع ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾ دافعٍ [يدفع العذاب عنهم].

٩- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ﴾ [أم اتخذ المشركون الأوثانَ أولياءَ من دون الله يتولَّونهم وهم لا يملكون لهم ضَرًّا ولا نفعًا] ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ كأنه قيل: بعد إنكار كل ولي سواه إن أرادوا وليًّا بحَقٍّ فالله هو الولي بالحق، وهو الذي يجب أن يُتَوَلَّى وحده لا وليَّ سواه ﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [من بعد مماتهم للحساب والجزاء] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ فهو الحقيق بأن يُتَّخذَ وليًّا دون مَن لا يقدر على شيء.

١٠- ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ﴾ حكايةُ قولِ رسول الله ﷺ للمؤمنين، أي ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [فالحكم فيه لله تعالى وحده يوم القيامة]، وهو إثابةُ المُحِقِّين فيه من المؤمنين، ومعاقبة المُبطِلين ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الحاكمُ بينكم ﴿ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في رَدِّ كيد أعداء الدين ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ أرجع في كفاية شَرِّهم.

١١- ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [أي: ذلكمُ اللهُ ربي خالق السماوات والأرض] ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ خلق لكم من جنسكم من الناس ﴿أَزْوَٰجًا﴾ [إناثًا] ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ﴾ وخلق للأنعام أيضًا من أنفسها

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ﴾

أزواجًا [إناثًا، أو أنواعًا كثيرة، ذكورًا وإناثًا] ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يُكَثِّرُكم ﴿فِيهِۚ﴾ في هذا التدبير، وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجًا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالدُ والتناسل، والضمير في ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يرجع إلى المخاطَبين والأنعام مُغَلَّبًا فيه المخاطبون العقلاء على الغُيَّب مما لا يعقل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ﴾ قيل إن كلمةَ التشبيه كررت لتأكيد نفي التماثل، وتقديره ليس مِثْلَه شيءٌ، وقيل المِثلُ [صِلَةٌ]، وتقديرُه ليس كَهُوَ شيءٌ، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة البقرة]، أي فإن ءامنوا بما ءامنتم به، أو بالذي ءامنتم به وهذا لأن المرادَ نفيُ المِثلية، وإذا لم تُجْعَل الكافُ أو المِثلُ زيادةً كان إثباتَ المِثْلِ(١)، وقيل: المراد ليس كذاته شيء، لأنهم يقولون: مِثلُك لا يبخَلُ، يريدون به نفيَ البُخل عن ذاتِه، ويقصدونَ المبالغةَ في ذلك بسلوك طريق الكناية لأنهم إذا نَفَوْه عمن يَسُدُّ مَسَدَّه فقد نَفَوه عنه، فإذا عُلِمَ أنه من باب الكناية لم يقع فَرْقٌ بين قوله: ليس كاللهِ شيءٌ وبينَ قولِه: ليس كمثله شيءٌ إلا ما تُعطيه الكنايةُ من فائدتها، وكأنهما

(١) يعني أنه يصير المعنى «ليس مِثلَ مِثلِهِ شيءٌ» فيَلزمُ المُحالُ وهو إثبات المِثل لله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.
وفي تأوُّل بعضهم التعبيرَ «بنفي مِثلِ المثل» على معنى أنه يَستلزم نفيَ المِثل ضرورةً تكلُّفٌ ظاهر.
قال الزَّجاج في «معاني القرءان»: ولا يجوز أن يقال: المعنى ليس مِثلَ مثلِهِ شيءٌ؛ لأن مَن قال هذا فقد أثبت المِثلَ لله، تعالى الله عن ذلك».
وقال السَّمين في «الدُّر المصون»: «وقال أبو البقاء: ولو لم تكن زائدةً لأفضى ذلك إلى المحال؛ إذ كان يكون المعنى أن له مِثلًا وليس لِمثلهِ مِثلٌ، وفي ذلك تناقض؛ لأنه إذا كان له مِثلٌ فلمِثلِه مِثلٌ وهو هو، مع أن إثبات المِثل لله تعالى محالٌ. قلت: وهذه طريقةٌ غريبة في تقرير الزيادة، وهي طريقةٌ حسنةٌ فيها حُسنُ صناعةٍ».

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٢ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

عبارتان مُعتقبتان على معنًى واحدٍ، وهو نفيُ المماثلة عن ذاته، ونحوُهُ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ۝٦٤﴾ [سورة المائدة] فمعناه بل هو جَوادٌ من غير تَصوُّر يدٍ ولا بَسْطٍ لها، لأنها وقعت عبارةً عن الجُوْد، حتى إنهم استعملُوها فيمن لا يَدَ له، فكذلك استُعمِلَ هذا فيمن له مِثْلٌ ومَنْ لا مِثلَ له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لجميع المسموعات بلا أُذُن ﴿ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ بجميع المَرئيّات بلا حَدَقَة، وكأنه ذَكَرَهما لئَلا يُتَوَهَّم أنه لا صفةَ له كما لا مِثلَ له.

١٢- ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [هو مالك أمرها وحافظها، بيده[1] مفاتيح الأرزاق التي تنزل من السماء من المطر وغيره، وما يخرج من الأرض من النبات وغيره] ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يُضَيِّق [على من يشاء] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٢﴾ [من المصالح والعواقب وغير ذلك].

١٣- ﴿شَرَعَ﴾ بيَّن وأظهرَ ﴿لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ شرع لكم من الدين دينِ نوحٍ ومحمد ومَنْ بينهما من الأنبياء عليهم السلام، ثم فسَّرَ المشروع ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ والمرادُ إقامةُ دين الإسلام الذي هو توحيدُ الله وطاعتُه، والإيمان برسُله وكتبه وبيوم الجزاء، وسائرُ ما يكون المرءُ بإقامته مسلمًا، ولم يُرِدْ به الشرائعَ فإنها مختلفة، قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة] ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ ولا تختلفوا في الدين ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عَظُمَ عليهم وشَقَّ عليهم

---

(١) أي: بتصرُّفه.

﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا
مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ
بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ
كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ﴾

﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ﴾ من إقامة دين الله والتوحيد ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ﴾ يَجْتَلِبُ ويجمعُ ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الدين بالتوفيقِ والتسديدِ والتثبيت ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [مَنْ] يُقبل على طاعته.

١٤- ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ أي أهلُ الكتاب بعد أنبيائهم ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ إلا من بعد أن علموا أن الفُرْقَةَ ضلالٌ وأَمْرٌ مُتَوَعَّدٌ عليه على ألسنة الأنبياء عليهم السلام ﴿بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ﴾ حَسَدًا وطلبًا للرئاسة والاستطالة[1] بغير حق ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهي: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ۝٤٦﴾ [سورة القمر] ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ﴾ لأُهلكوا حين افترقوا لعظم ما اقترفوا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من كتابهم لا يؤمنون به حَقَّ الإيمان ﴿مُرِيبٍ ۝١٤﴾ مُدخِلٍ في الرِّيبة.

١٥- ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ فلأجل ذلك التفرُّق ولِمَا حدث بسببه من تشعُّب الكفر شُعَبًا ﴿فَٱدْعُۖ﴾ إلى الاتفاق والائتلاف على المِلَّة الحنيفيَة[2] ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ عليها وعلى الدعوة إليها ﴿كَمَآ أُمِرْتَۖ﴾ كما أمرك الله ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْۖ﴾ المختلفةَ الباطلة ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ﴾ أَيِّ كتابٍ صَحَّ أن الله تعالى أنزلَه، يعني الإيمانَ بجميع الكتب المُنْزلة، لأن المتفرقين ءامنوا ببعض وكفروا ببعض، كقوله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ۝١٥٠﴾ [سورة النساء] إلى قوله:

---

(١) الاستطالة على الناس: أن يَرى أن له عليهم فضلًا في القَدْر.
(٢) الحنيفيَّة: المائلةُ عن الباطل إلى الحقّ.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ
ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ
وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴿١٥١﴾﴾ [سورة النساء] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في الحُكم إذا تخاصمتُم فتحاكمتم إليَّ ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي كُلُّنا عبيدُه ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ إنا لا نؤاخذ بأعمالكم وأنتم لا تؤاخذون بأعمالنا ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي لا خصومةَ، لأن الحقَّ قد ظهر وصِرتُم محجوجين به، فلا حاجَةَ إلى المُحاجَّة ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يومَ القيامة ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ المَرجِعُ لفَصْل القضاء فيفصِلُ بيننا وينتقمُ لنا منكم.

١٦- ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ يخاصِمُونَ في دينه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ من بعد ما استجاب له الناسُ ودخلوا في الإسلام ليردُّوهم إلى دين الجاهلية، كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين: كتابُنا قبلَ كتابكم، ونبيُّنا قبلَ نبيّكم، فنحن خيرٌ منكم وأَولى بالحق ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة، وسمَّاها حجةً وإن كانت شُبهةً لزعمهم أنها حُجَّةٌ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ في الآخرة.

١٧- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق [من العقائد والأحكام] ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ والعدلَ والسَّوِيَّة، ومعنى إنزال العدل أنه أنزله في كتبه المُنزلة ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ لعل الساعة قريب منك وأنت لا تدري؛ والمراد مَجيء الساعة، ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع إنزال الكتب والميزان أن الساعة يومُ الحسابِ ووضعِ الموازين بالقِسط، فكأنه قيل: أَمَرَكم اللهُ بالعدل والسَّوِيَّة والعمل بالشرائع، فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزنِ أعمالكم.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾

١٨- ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ﴾ استهزاءً [يقولون: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ ﴿١٨٧﴾﴾ [سورة الأعراف]، ويقولون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة يونس]] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ خائفون وَجِلُون لِهَوْلِها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ﴾ الكائنُ لا مَحالةَ ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ المُماراةُ المُلاحَّةُ، لأن كل واحد منهما يَمْرِي[1] ما عند صاحبه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾ عن الحق، لأن قيامَ الساعة غيرُ مستبعَد من قدرة الله تعالى، وقد دَلَّ الكتاب والسنة على وقوعها، والعقول تشهد [أن أَمْرَ الإعادة أيسَرُ من أمر الابتداء].

١٩- ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ في إيصال المنافع، وصرف البلاء ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ يوسِّعُ رزقَ من يشاء، [ويُقَتِّرُ[2] على من يشاء] ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ الباهرُ القدرةِ، الغالبُ على كل شيء ﴿ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ المنيع الذي لا يُغْلَب.

٢٠- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ سُمِّيَ ما يَعمَلُه العاملُ مما يبتغي به الفائدةَ حرثًا مجازًا ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ﴾ [أي: من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه] بالتوفيق في عمله، أو التضعيف في حسناته، أو بأن ينال به الدنيا والآخرة ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي مَن كان عملُه للدنيا ولم يؤمن بالآخرة ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ أي شيئًا منها، وهو رزقُه الذي قُسِمَ له، لا ما يريده ويبتغيه ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ وما له نصيب قَطُّ في الآخرة.

---

(١) يقال: ماريتُه إذا طعنتُ في قوله تزييفًا للقول وتصغيرًا للقائل.
(٢) أي: يُضَيِّق.

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢١ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾

٢١- ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ تقديره: أيقبلون ما شرع الله من الدين، أم لهم ءالهةٌ ﴿شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ أي لم يأمر به؟ [والاستفهام للتوبيخ] ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ القضاء السابق بتأجيل الجزاء، ولولا العِدَةُ[1] بأن الفصلَ يكون يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ﴾ بين الكافرين والمؤمنين [في الدنيا] ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢١﴾ وإن المشركين لهم عذاب أليم في الآخرة، وإن أُخِّرَ عنهم في دار الدنيا.

٢٢- ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركينَ في الآخرة ﴿مُشۡفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ مِن جزاءِ كفرهم ﴿وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ﴾ نازلٌ بهم لا مَحالةَ أَشفقوا أو لم يُشفقوا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾ كأَنَّ روضةَ جنةِ المؤمنِ أَطيبُ بقعة فيها وأَنزَهُها ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ [في الجنة] ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢﴾ على العمل القليل، [إذ ءاتاهم على العمل القليلِ المنقطعِ الجزاءَ الكثيرَ الدائمَ الذي لا ينقطع].

٢٣- ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ أي: ذلك الفضل الكبير [هو البشرى التي يبشر بها عباده] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ﴾ ولمَّا قال المشركون: أيبتغي محمدٌ على تبليغ الرسالة أجرًا؟ نزل: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على التبليغ ﴿أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ ولكني أسألكم أن تَوَدُّوني

(١) العِدَة: الوعد.

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ
فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾

لقرابتي فيكم، ولا تؤذوني، ولا تُهَيِّجوا عليَّ، إذ لم يكن من بطون قريشٍ إلا بين رسول الله وبينهم قرابةٌ ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ يكتسب طاعةً ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ نضاعِفْها [عشرًا، وسبعمائة، وبغير حساب] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَن أذنب بطَوْلِه[1] ﴿شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ لِمَن أطاع بفضله، والشكورُ في صفة الله تعالى عبارةٌ عن الاعتداد بالطاعة وتَوْفِيَةِ ثوابِها والتفضُّل على المُثاب.

٢٤- ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ معنى الهمزة فيه التوبيخُ، كأنه قيل: أيتمالكون أن ينسُبوا مثلَه إلى الافتراء، ثم إلى الافتراءِ على الله الذي هو أعظمُ الفِرَى وأفحشُها؟ ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يربِطْ على قلبك بالصبر على أذاهم لئلا تدخُلَه مَشَقَّةٌ بتكذيبهم ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ أي الشركَ، وهو كلامٌ مبتَدَأٌ غيرُ معطوف على ﴿يَخْتِمْ﴾، لأن محوَ الباطل غيرُ متعلِّق بالشرط، بل هو وعدٌ مطلق ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾ ويُظهرُ الإسلامَ ويُثبتُه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام، وقد فعلَ اللهُ ذلك، فمحا باطِلَهم وأظهرَ الإسلام ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ عليم بما في صدرك وصدورهم، فيُجري الأمرَ على حسب ذلك.

٢٥- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [بالتجاوز عما تابوا عنه] والتوبةُ أن يرجعَ عن [المعصية] والإخلالِ بالواجب بالندم عليهما والعَزْمِ على ألّا يُعاوِدَ، وإن كان لعبد فيه حقٌّ لم يكن بُدٌّ من التَّفَصِّي[2]

---

(١) الطَّوْلُ: الفَضْلُ والمَنُّ، والمراد: بفضل الله تعالى وإحسانه.

(٢) أي: لا بُدَّ من الخروج من ذلك بِرَدِّ الحقوق إلى أهلها ونحو ذلك.

﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن
فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن
يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ
وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ﴾

على طريقه ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ هي ما دون الشرك، يعفو لِمَن يشاء بلا توبة ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من التوبة والمعصية [والخير والشر، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم على ذلك بما يشاء].

٢٦- ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ﴾ أي إذا دَعَوْه استجابَ دعاءَهم، وأعطاهم ما طلبوه وزادَهم على مطلوبهم، واستجاب وأجابَ بمعنًى. مَنَّ عليهم بأن يقبلَ توبتهم إذا تابوا، ويعفوَ عن سيئاتهم، ويستجيبَ لهم إذا دعَوْهُ، ويزيدَهم على ما سألوه ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾ في الآخرة [بدلَ ما للمؤمنين من الثواب والتَّفضُّل].

٢٧- ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ أي لو أَغناهم جميعًا ﴿لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مِنَ البغي: الظلمُ، أي لَبَغَى هذا على ذاك، وذاك على هذا، لأن الغنى مَبْطَرَةٌ مَأشَرَةٌ[1]، وكفى بحال قارونَ وفرعونَ عبرةً ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ﴾ بتقدير ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ يعلمُ أحوالَهم [فيُعطيهم على] ما تقتضيه حكمتُه، فيُفقر ويُغني ويَمنع ويُعطي، ويقبِضُ ويبسُط، ولو أغناهم جميعًا لَبَغوا، ولو أفقرهم لهلكوا، وما ترى من البغي بدون البسط فهو قليل، ولا شك أن البغي مع الفقر أقلُّ، ومع البسط أكثرُ وأغلب.

٢٨- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [المطرَ] ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [أيسوا منه لتأخر نزوله] ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ﴾ أي بركاتِ الغيثِ ومنافعَه وما يحصل

---

(١) البَطَرُ كالأَشَرِ: الطغيانُ عند النعمة.

﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾

به من الخِصْب ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ الذي يتولى عبادَه بإحسانه ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ المحمودُ على ذلك، يحمَدُه أهلُ طاعته.

٢٩- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي علاماتِ قدرته ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مع عظمهما ﴿وَمَا بَثَّ﴾ فَرَّقَ ﴿فِيهِمَا﴾ في السماوات والأرض ﴿مِن دَآبَّةٍۚ﴾ الدوابُّ تكون في الأرض وحدَها، لكن يجوز أن يُنسَبَ الشيءُ إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسًا ببعضه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الرحمـٰن] وإنما يخرج من المِلْح [دون العذب]، ولا يبعُدُ أن يكون للملائكة مَشيٌ مع الطيران فوُصفوا بالدبيب كما وُصِفَ به الأناسِيُّ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [لا يتعذَّرُ عليه جمعهم كما لم يتعذر عليه خلقهم وتفريقهم].

٣٠- ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ غَمّ وألم ومكروه ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي بجِنَايَةٍ كَسَبْتُموها عقوبةً عليكم، [والآيةُ على هذا مخصوصة بالمجرمين، فإن ما أصاب غيرهم من الصِّغار والأخيار فلأسباب أُخَر، منها تعريضُه للأجر العظيم بالصبر عليه، وكيفما كان فهو غيرُ خارج عن الحكمة] ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ من الذنوب فلا يُعاقب عليه.

٣١- ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِۖ﴾ أي بفائتين ما قُضِيَ عليكم من المصائب ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ مُتَوَلٍّ بالرحمة ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾ ناصِرٍ يدفع عنكم العذابَ إذا حَلَّ بكم.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

٣٢- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ [ومن العلامات الدالة على قدرته تعالى] ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ جمعُ جاريةٍ، وهي السفينةُ ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾ كالجبال [في عِظَمها].

٣٣- ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ﴾ ثوابتَ لا تجري ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ على ظهر البحر ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على بلائِهِ ﴿شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ لنَعْمائه، أي لكل مؤمن مُخلص، فالإيمانُ نصفان[1]، نصفٌ شكرٌ ونصف صبر، أو صَبَّارٍ على طاعته شكورٍ لنعمته.

٣٤- ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ يُهْلِكهن؛ والمعنى إن يشأ يُسكِن الريحَ فيَرْكُدْنَ أو يَعصِفْها فيَغرقْنَ بعصفها، [وفي إهلاك السفن إهلاكُ مَن فيها وما فيها] ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ من الذنوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ منها، فلا يجازي عليها، والمعنى أو إن يشأ يُهلكْ ناسًا وينجِّ ناسًا على طريق العفو عنهم.

٣٥- ﴿وَيَعْلَمَ﴾ تقديره: [يغرقُهم] لينتقمَ منهم ويعلمَ ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ في إبطالها ودفعها ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾ مَهْرَبٍ من عذابه [فيُخلصون العبادة له].

٣٦- ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ [من سَعةٍ في الرزق وغير ذلك من نعيم الدنيا] ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [أي: شيء قليلٌ يُتمتَّعُ به في الدنيا قليلًا ثم يزول، فما ينبغي أن يُطمأنَّ إليه] ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب [ونعيم الآخرة] ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [من نعيم الدنيا] ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [أي: ذلك للمؤمنين الذين يفوِّضون الأمور إليه، ويرضَون

(١) أي: شُعَبُهُ كذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ
وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ
يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾

بما قسمَ لهم من الرزق]. نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدَّق بجميع ماله فلامَه الناس.

٣٧- ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ [أي: وذلك النعيم أيضًا للذين يتوقَّون] الكبائر ﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ ما عَظُم قُبحه فهو فاحشةٌ كالزنا ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ﴾ من أمور دنياهم ﴿هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي هم الأَخِصَّاءُ بالغفران في حال الغضب من غير أن يحملهم عليه شفيعٌ أو سائل].

٣٨- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ نزلت في الأنصار، دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعتِه فاستجابوا له بأن ءامنوا به وأطاعوه ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وأتمُّوا الصلواتِ الخمسَ ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي ذو شورى، لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه، وعن الحسن: ما تشاور قوم إلا هُدُوا لأرشَدِ أمرهم ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يتصدَّقون.

٣٩- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ﴾ الظُّلم ﴿هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ينتقمون مِمَّن ظلمهم، أي يَقْتَصِرون في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم، ولا يعتدون، وكانوا يكرهون أن يُذِلُّوا أنفسهم فيجترِئَ عليهم الفُسَّاق، وإنما حُمدوا على الانتصار لأنَّ مَن انتصر وأخذ حقَّه ولم يُجاوز في ذلك حَدَّ الله، فلم يُسرِف فهو مطيع لله، وكل مطيع محمودٌ.

ثم بيَّن حدَّ الانتصار فقال:

٤٠- ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ فالأُولى سيئةٌ حقيقةً، والثانيةُ لا، وإنما سُمِّيت سيئةً لأنها مجازاةٌ لسوءٍ، أو لأنها تَسوءُ مَن تنزل به، وفي تسميةِ الثانيةِ سيئةً إشارةٌ إلى أن العفوَ مندوبٌ إليه ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ﴾ بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء ﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ عِدَةٌ مُبهمةٌ [تدل على

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ
عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ
وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ
ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ﴾

عِظَم الموعود] ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الذين يبدأُون بالظلم، أو الذين يجاوزون حَدَّ الانتصار.

٤١- ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾ أخذَ حقَّه بعدما ظُلم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ للمُعاقَبِ ولا للمُعاتِبِ والمُعايِب، [أي لا مؤاخذة عليهم ولا مَلامة]، وفُسِّرَ السبيل بالتَّبِعَةِ والحُجَّة.

٤٢- ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يبتدئونهم بالظُّلم ﴿وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ يتكبرون فيها ويَعْلُون ويُفسدون ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾﴾ [على ظلمهم وبَغيهم يوم القيامة].

٤٣- ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ على الظُّلم والأذى ولم ينتصرْ ﴿وَغَفَرَ﴾ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي الصبرَ والغفران منه ﴿لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ من الأمور التي نُدب إليها، أو مما ينبغي أن يُوجبَه العاقلُ على نفسه ولا يَترخَّصَ في تركه.

٤٤- ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ [ومَن خذلَه اللهُ عن الرشاد] ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ فما له من أحد يلي هدايته من بعد إضلال الله إياه ويمنَعه من عذابه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يومَ القيامة ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ حين يرون العذاب [يوم القيامة]، ولفظ الماضي للتحقيق ﴿يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾﴾ يسألون ربهم الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا به.

٤٥- ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ على النار ﴿خَٰشِعِينَ﴾ متضائلين متقاصرين مما يلحقهم ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ﴾ إلى النار ﴿مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ
إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾

ضعيفٍ بمُسارَقةٍ، كما ترى المصبورَ[1] ينظر إلى السيف ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ وقول المؤمنين واقع في الدنيا، أو يومَ القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة؛ [أي الخسران في الحقيقة لهؤلاء الذين أُهلكوا وأَهلكوا أهاليَهم بالإغواء، أو حُرموا الحورَ العينَ بترك الإيمان] ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾ دائم.

٤٦- ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ﴾ من دونِ عذابِهِ، [أي يدفعون عنهم العذاب] ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾ إلى النجاة.

٤٧- ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ أَجيبوه إلى ما دعاكم إليه، [وهو الإيمان] ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ أي يوم القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ لا يردُّه اللهُ بعد ما حكمَ به، [أي إذا أتى به لا يَرُدُّه]، أو لا يقدر أحدٌ على ردِّه ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾ أي ليس لكم مَخْلَصٌ من العذاب، ولا تقدرون أن تُنكروا شيئًا مما اقترفتموه ودُوِّن في صحائف أعمالكم.

٤٨- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ عن الإيمان [فلم يستجيبوا] ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ﴾ رقيبًا [تحفظ أعمالَهم عليهم وتُحصيها] ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ﴾ ما عليك إلا تبليغ الرسالة وقد فعلتَ ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ المرادُ

---

(١) المصبور: المحبوس للقتل.

﴿مِّنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾

الجَمْعُ ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ نِعمةً وسَعَة وأمنًا وصِحّة ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ بَطِرَ لأجلها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بلاءٌ كالمرض والفقر ونحوهما ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب معاصيهم ﴿فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ الكَفور: البليغُ الكفران، والمعنى أنه يذكرُ البلاءَ وينسَى النِّعَم ويَغْمَطُها[1].

٤٩- ٥٠- ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ يَقْرُنُهم ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ لما ذكر إذاقةَ الإنسان الرحمةَ وإصابتَه بضدها أتبعَ ذلك أنَّ له تعالى الملكَ، وأنه يَقسم النعمة والبلاء كيف أراد، ويهَبُ لعباده من الأولاد ما يشاء فيَخصُّ بعضًا بالإناث، وبعضًا بالذكور، وبعضًا بالصنفين جميعًا، ويجعل البعض عقيمًا، والعقيم: التي لا تلد، وكذلك رجلٌ عقيمٌ: إذا كان لا يُولَد له ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ قادر على كل شيء.

٥١- ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ وما صَحَّ لأحد من البشر ﴿أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ أي إلهامًا، كما روي [عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**إن روحَ القدس] نفث في رُوعي**»[2] أو رُؤيا في المنام كقوله عليه الصلاة والسلام: «**رؤيا الأنبياء وحيٌ**»، وهو كأمر إبراهيم بذبح الولد ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي يَسمعُ كلامًا من الله تعالى [ولا يراهُ]، كما سمع موسى عليه السلام، وليس المرادُ به حجابَ الله تعالى، لأن الله تعالى

---

(١) غَمِطَ النعمةَ والعافيةَ يَغْمَطُها: لم يشكرها.

(٢) أي إن جبريل عليه السلام ألقَى في قلبي من غير أن يكلمني.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

لا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام من الحجاب، [ولا القرب والبعدُ المكاني، ولا الكون في جهة من السامع، بل كلمه الله تعالى بكلامه الأزلي الأبدي الذي ليس بصوت ولا حرف ولا لغة، وذلك بأن رفع الله الحجاب عن سمعه فسمع ما أراد الله تعالى له أن يسمعَه] ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ أي ملَكًا ﴿فَيُوحِيَ﴾ المَلَكُ إليه، [أي يكلمُه] ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ إذنِ الله ﴿مَا يَشَآءُ﴾ من الوَحْي ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ قاهِرٌ فلا يُمانَعُ ﴿حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ مُصيبٌ في أقواله وأفعاله فلا يُعارَضُ.

٥٢- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما أَوحينا إلى الرسُل قبلَك ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ يُريد ما أُوحي إليه، لأن الخلق يَحيَوْن به في دينهم كما يحيا الجسدُ بالروح ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرءانُ ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ شرائعُه، أو ولا الإيمانُ بالكتاب، لأنه إذا كان لا يعلم بأن الكتاب ينزل عليه لم يكن عالمًا [أنه يلزمه الإيمان] بذلك الكتاب، وقيل: الإيمان يتناول أشياءَ بعضُها الطريقُ إليه العقلُ وبعضُها الطريقُ إليه السمعُ، فعُنِيَ به ما الطريقُ إليه السمعُ دون العقل، وذاك ما كان له فيه علمٌ حتى كَسَبَه بالوحي ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [بالتوفيق للنظر فيه والقَبول] ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ﴾ لَتدعو ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [هو] الإسلام.

٥٣- ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ مِلكًا ومُلكًا، [وهو الطريق المستقيم المُفضي بسالكه إلى مرضاة الله تعالى] ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ هو وَعيدٌ بالجحيم ووعدٌ بالنعيم.

سورة الزخرف
تسع وثمانون ءاية مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١-٣- ﴿حمٓ ۝١﴾ [مَرَّ الكلام فيها في أول سورة غافر] ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ أقسَمَ بالكتاب المُبين - وهو القرءان - وجعلَ قولَه: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ﴾ صَيَّرناهُ ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ جوابًا للقسم، و﴿ٱلۡمُبِينِ﴾: البَيِّنُ للذين أُنزل عليهم؛ لأنه بلُغتهم وأساليبهم، أو الواضحُ للمتدبِّرين، أو الذي أبانَ طُرُقَ الهُدَى من طُرقِ الضلالة ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾ لكي تفهموا معانيه.

٤- ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا﴾ وإن القرءانَ مُثبَتٌ عند الله في اللوح المحفوظ، دليلُه قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾ [سورة البروج] وسُمِّيَ أُمَّ الكتاب لأنه الأصلُ الذي أُثبتت فيه الكتبُ، منه تُنقلُ وتُستنسخ ﴿لَعَلِيٌّ﴾ في أعلى طبقات البلاغة، أو رفيع الشأن لكونه مُعجزًا ﴿حَكِيمٌ ۝٤﴾ ذو حكمة بالغة.

٥- ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ﴾ أَفَنَعْزِلُ عنكم إنزالَ القرءانِ وإلزامَ الحُجَّة به ﴿صَفۡحًا﴾ إعراضًا عنكم؟ ﴿أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥﴾ لِأَن كنتم مُفْرِطين في الجهالة، مجاوزين الحدَّ في الضلالة؟ [وهو

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

استفهامٌ بمعنى الإنكار؛ أي: لا نَفعلُ ذلك].

٦- ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾﴾ أي كثيرًا من الرسل أرسلنا إلى مَنْ تَقدَّمك.

٧- ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾﴾ أي كانوا على ذلك، وهذه تَسليةٌ لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه.

٨- ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ صَرَفَ الخطابَ عنهم إلى رسول الله ﷺ يُخبره عنهم [أنه أهلك مَن كان أقوى من هؤلاء المشركين في أبدانهم، وأكثر منهم في أتباعهم وأنصارهم] ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ أي سَلَفَ في القرءان في غيرِ موضع منه ذِكرُ قصتهم وحالهم العجيبةِ التي حَقُّها أن تسيرَ مَسيرَ المَثَلِ، [أي: فليس هؤلاء إلا كأولئك في استحقاق العقاب]؛ وهذا وعدٌ لرسول الله ﷺ ووعيد لهم.

٩- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي المشركينَ ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [أي العزيز بسلطانه فلا يُغالَبُ، العليم بكل شيء].

١٠- ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ موضع قرار، [وهذا ابتداءُ إخبار منه تعالى عن نفسه، وليس تتمَّةً لمقولة المشركين، وهو] على تقدير: هو الذي، لأن هذه الأوصاف ليست من مَقُول الكفار لأنهم ينكرون الإخراج من القبور فكيف يقولون: ﴿تُخْرَجُونَ﴾؛ بل الآية حجةٌ عليهم في إنكار البعث ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طُرُقًا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ لكي تهتدوا في أسفاركم.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

١١- ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ بمقدار يَسلم معه العباد ويَحتاجُ إليه البلاد، [لا طُوْفانٌ مُغرِقٌ، ولا قاصرٌ عن الحاجة، حتى يكون معاشًا لكم ولأنعامكم] ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ فأحيينا ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ﴾ [مُقفِرَةً من النبات] ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾ من قبوركم أحياء، [لأن مَن قَدَرَ على هذا قَدرَ على ذلك].

١٢- ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف، [أصنافَ المخلوقات] ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي تركبونه.

١٣- ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ على ظُهور ما تركبونَه وهو الفُلكُ والأنعام ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟﴾ بقلوبكم ﴿نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟﴾ بألسنتكم: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ ذَلَّلَ لنا هذا المركوبَ ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ مُطِيقين.

١٤- ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ لراجعون في المَعاد، قيل: يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا ءاخرَ مَركَبهم منها وهو الجِنازة. وعن النبي ﷺ أنه كان إذا وضع رجلَه في الركاب قال: «**بسم الله**»، فإذا استوى على الدابة قال: «**الحمدُ لله على كلِّ حالٍ** ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ إلى قوله: ﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾ **وكبَّر ثلاثًا وهلَّل ثلاثًا**. وقالوا: إذا ركب في السفينة قال[1]: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [سورة هود].

---

(١) هذا استطرادٌ لبيان حال الراكب للسفينة وما يَتأدَّبُ به، وليس المراد أن الرسول عليه الصلاة والسلام فعلَ ذلك.

﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ۝١٥ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ۝١٦ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝١٧ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ۝١٨﴾

١٥- ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ﴾ هذا متصل بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ أي ولئن سألتهم عن خالق السماوات والأرض ليعترفُنَّ به، وقد جعلوا له مع ذلك الاعترافِ من عبادِهِ جُزءًا، أي قالوا: الملائكة بناتُ الله، فجعلوهم جُزءًا له وبعضًا منه كما يكون الولدُ جزءًا لوالده ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [المراد بالإنسان: مَن جعل لله جزءًا، وغيرُه من الكفرة] ﴿لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ لجَحُودٌ للنعمةِ ظاهرٌ جُحودُه، لأن نسبة الولد إليه كفرٌ، والكفرُ أصلُ الكفران كلِّه.

١٦- ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ الهمزةُ للإنكار تجهيلًا لهم وتعجيبًا من شأنهم حيث ادعَوا أنه اختار لنفسه [مما يخلق بناتٍ، ولا يرضَون ذلك لأنفسهم] ﴿وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ۝١٦﴾ [وأخلصكم بالبنين فجعلهم لكم، وقوله: ﴿مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ فيه تنبيه على استحالة الولد، ذكرًا كان أو أنثى].

١٧- ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا﴾ بالجنس الذي جعله له شَبَهًا؛ لأنه إذا جَعَلَ الملائكةَ - [الذين كانوا يقولون عنهم بنات الله] - جُزءًا لله وبعضًا منه فقد جعلَه من جنسه ومماثلًا له، لأن الولدَ لا يكون إلا من جنس الوالد ﴿ظَلَّ﴾ [صار] ﴿وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝١٧﴾ يعني أنهم نسبوا إليه هذا الجنسَ، ومِن حالِهم أَنَّ أحدَهم إذا قيل له: قد وُلِدَت لك بنتٌ اغتمَّ وارْبَدَّ(١) وجهُهُ غيظًا وتأسُّفًا وهو مملوءٌ من الكرب.

١٨- ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ۝١٨﴾ أي: أَوَيُجْعَلُ للرحمٰن من الولد مَنْ هذه الصفةُ المذمومة صفتُه، وهو أنه

---

(١) ارْبَدَّ: اسودَّ.

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾

يُنَشَّأُ في الحِلْيَة؛ أي: يَتَرَبَّى في الزينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلى [مخاصمة] الخصوم ومُجاراة الرجال[1]، كان غيرَ مُبين ليس عنده بيان، ولا يأتي ببرهان، وذلك لضعف عقولهن [ونقصانهن عن فطرة الرجال]، وفيه أنه تعالى جعل النشأة في الزينة من المعايب، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويَتزين بلباس التقوى.

١٩- ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ أي سَمَّوْهم وقالوا: إنهم إناث ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ وهذا تهكُّم بهم، يعني أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولُهم إلى علم، فإن الله لم يَضْطَرَّهُم إلى علمِ ذلك، ولا تطرَّقوا إليه باستدلال، ولا أحاطوا به عن خبرٍ يوجبُ العلمَ، ولم يشاهدوا خلقَهم حتى يُخبِروا عن المشاهدة ﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ﴾ التي شهدوا بها على الملائكة من أُنوثتهم ﴿وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ عنها، وهذا وعيدٌ.

٢٠- ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾ أي الملائكةَ، أرادوا بالمشيئة الرِّضا، وقالوا: لو لم يَرضَ بذلك لعَجَّلَ عقوبتَنا، أو لمنعنا من عبادتها مَنْعَ قهرٍ واضطرار، وإذ لم يفعل ذلك فقد رضي بذلك، فردَّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المَقول [مِن الرِّضا بعبادتها] ﴿مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أي يكذبون.

٢١- ﴿أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ مِن قبلِ القرءان، أو من قبل قولهم هذا ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ ءاخذون عاملون، تقديره: أَشَهدوا خلقَهم أم ءاتيناهم كتابًا فيه أن الملائكة إناث.

---

(١) أي: مُجادلتهم.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

٢٢- ﴿بَلْ قَالُوٓاْ﴾ بل لا حجةَ لهم يتمسكون بها، لا من حيث العيانُ، ولا من حيث العقلُ، ولا من حيث السمعُ إلا قولُهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ على دين فقلَّدناه، وهي منَ الأَمّ وهو القصدُ، فالأُمّةُ: الطريقةُ التي تُؤَمُّ أي تُقْصَدُ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

٢٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ نبيّ ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ مُتنعِّموها - وهم الذين أترفتهم النعمةُ، أي أبطَرَتهم فلا يُحبّون إلا الشهواتِ والملاهي، ويَعافُونَ[1] مَشاقَّ الدين وتكاليفَه -: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وهذه تسلية للنبي ﷺ وبيان أن تقليد الآباء داء قديم.

٢٤- ﴿قَٰلَ﴾ أي النذيرُ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ أي أتتّبعون ءاباءَكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين ءابائكم، [أي أرشدَ وأقوَمَ طريقةً مما وجدتم عليه ءاباءكم؟ أم تتركونهم بهذا الاهتداء؟] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: إنا ثابتون على دين ءابائنا وإن جئتنا بما هو أهدى.

٢٥- ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فعاقبناهم بما استحقُّوه على إصرارهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [وأنذِر قومَك مثلَه ليرتدعوا].

٢٦- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ واذكر إذ قال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ بريء ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [من أصنامكم].

---

(١) أي: يكرهون.

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٢٨ بَلۡ
مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ۝٢٩ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٌ وَإِنَّا
بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٠ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾

٢٧- ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [معناه: لكن الذي خلقني أعبدُه] ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ۝٢٧﴾ يُثَبِّتُني على الهداية.

٢٨- ﴿وَجَعَلَهَا﴾ وجعل إبراهيمُ عليه السلام كلمةَ التوحيد التي تكلَّمَ بها وهي قولُه: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۝٢٧﴾ ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ في ذُريته، فلا يزالُ فيهم مَن يوحِّدُ اللهَ ويدعو إلى توحيده ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٢٨﴾ لعلَّ مَن أشركَ منهم يرجعُ [عن شِركِه] بدعاء مَن وَحَّدَ منهم، والتَّرَجِّي لإبراهيم.

٢٩- ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ﴾: [﴿بَلۡ﴾: لِرَدِّ ما قبله؛ يعني: ليس شركُ هؤلاء ولا شركُ ءابائهم لقصور البيان من جهة الرسل، بل أمهلتُ هؤلاء وءاباءهم وأخَّرتُ العذابَ عنهم]، يعني أهلَ مكة وهم مِن عَقِب إبراهيمَ بالمَدِّ في العمر والنعمة، فاغترّوا بالمُهلة وشُغلوا بالتنعم واتِّباع الشهواتِ وطاعةِ الشيطان عن كلمة التوحيد ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ أي القرءانُ ﴿وَرَسُولٌ﴾ أي محمدٌ عليه الصلاة والسلام ﴿مُّبِينٌ ۝٢٩﴾ واضحُ الرسالة بما معه من الآيات البيِّنة.

٣٠- ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ القرءانُ ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٠﴾ [ضمُّوا إلى شركهم معاندةَ الحق والاستخفافَ به فسمَّوا القرءان سحرًا وكفروا به].

٣١- ﴿وَقَالُواْ﴾ متحكِّمين بالباطل: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ أي رجلٍ عظيم من إحدى القريتين، والقريتان: مكةُ والطائفُ. وعنَوا بعظيم مكةَ الوليدَ بنَ المغيرةِ، وبعظيم الطائفِ عُروةَ ابنَ مسعودٍ الثَّقَفيَّ، وأرادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه، ولم

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًاۚ﴾

يعرفوا أن العظيم من كان عند الله عظيمًا.

٣٢- ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ﴾ أي النبوةَ، والهمزة للإنكار [والتجهيل] والتعجيب من تحكُّمهم في اختيار مَن يصلُح للنبوة ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ ما يعيشون به؛ وهو أرزاقُهم ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾ لم نجعلْ قِسمةَ الأَدْوَن إليهم وهو الرزقُ فكيف النبوةُ، أو كما فَضَّلتُ البعض على البعض في الرزق، فكذا أخص بالنبوة مَن أشاء ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ جعلنا البعضَ أقوياءَ وأغنياءَ ومواليَ، والبعضَ ضُعَفاءَ وفقراءَ وخَدَمًا ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ﴾ ليُصرِّفَ بعضُهم بعضًا في حوائجهم، ويستخدموهم في مِهَنِهم، ويُسَخِّروهم في أشغالهم، حتى يتعايشوا ويصلوا إلى منافعهم، هذا بماله، وذا بأعماله ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ [يا محمد]، أي النبوةُ، أو دينُ الله وما يتبَعُه من الفوز في المآب ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ مما يجمع هؤلاء من حُطام الدنيا [فليس لهم فضيلةٌ عليه، بل له عليهم].

ولَمّا قلَّل أمر الدنيا وصغَّرها أردفه(١) بما يُقرر قِلَّة الدنيا عنده فقال:

٣٣-٣٥- ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ولولا أن يجتمعوا على الكفر ويُطبقوا عليه [إذا رأوا الكفار في سَعَة] ﴿لَّجَعَلْنَا﴾ لِحَقارة الدنيا عندنا ﴿لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًاۚ﴾ أي لَجعلنا للكفار سقوفًا ومصاعدَ [لِيعلوا بها على السقوف] وأبوابًا وسُرُرًا كلُّها

---

(١) أي: أتْبَعَه.

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعۡشُ عَن
ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم
مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن
يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾

من فضة، وجعلنا لهم زخرفًا؛ أي زينةً من كل شيء، والزُّخرفُ: الذهبُ والزينة ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ لَمَّا بمعنى: إلَّا، أي: وما كل ذلك إلا متاعُ الحياة الدنيا ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ﴾ أي ثوابُ الآخرة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ لِمَن يتقي الشرك.

٣٦- ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي القرءان، أي: ومَن يَتَعامَ عن ذكره - يعرفُ أنه الحق وهو يتجاهلُ - [ويُعْرِضْ عنه إلى أقاويل المُضِلّين وأباطيلهم] ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾﴾ نُسلِّطْه عليه فهو معه في الدنيا والآخرة يحمله على المعاصي [في الدنيا، ويكون معه في العذاب في الآخرة لا يفارقه].

٣٧- ﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ أي الشياطينَ ﴿لَيَصُدُّونَهُمۡ﴾ ليمنعون العاشِينَ ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن سبيل الهدى [فيُزَيّنون لهم الضلالة، ويُكَرِّهون لهم الإيمان والعمل بالطاعة] ﴿وَيَحۡسَبُونَ﴾ أي العاشون [بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلال] ﴿أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [أنهم على الحق والهدى].

٣٨- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ أي العاشي ﴿قَالَ﴾ لشيطانه: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ يريدُ المشرقَ والمغربَ، والمرادُ بعدُ المشرق من المغرب والمغربِ من المشرق ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ أنتَ [أضللتني عن السبيل وأوردتَني ونفسَكَ عذاب الجحيم].

٣٩- ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ﴾ إذ صَحَّ ظُلمُكم، أي كفركم، وتبيَّن ولم يبق لكم ولا لأحد شُبهةٌ في أنكم كنتم ظالمين ﴿أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أي ولن ينفعكم اشتراكُكم في العذاب.

﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا
مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ
إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا
مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

٤٠- ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ [استفهام بمعنى النفي، يعني: إنك يا محمد لست بقادر على أن تُسمع] مَن فقدَ سَمْعَ القَبول ﴿أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾ مَن فَقدَ البصائرَ ﴿وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٠﴾﴾ ومن كان في علم الله أنه يموت على الضلالة.

٤١- ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ﴾ أي: نتوفَّينَّك، [والمعنى: إن قبضناك - أيها الرسول -] قبل أن ننصرَك عليهم [حِسًّا] ونشفيَ صدورَ المؤمنين منهم ﴿فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ أشدَّ الانتقام في الآخرة.

٤٢- ﴿أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ﴾ قبل أن نتوفاك، يعني يومَ بدر ﴿فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ قادرون، وصفَهم بشدة الشَّكِيمة(١) في الكفر والضلال بقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ الآية، ثم أوعدَهم بعذاب الدنيا والآخرة.

٤٣- ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ﴾ فتمسَّكْ ﴿بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ﴾ وهو القرءانُ واعمَلْ به ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾﴾ أي على الدين الذي لا عِوَجَ له [ولا يَحيد عنه إلا ضالٌّ شقي].

٤٤- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن الذي أُوحي إليك ﴿لَذِكۡرٞ لَّكَ﴾ لَشَرَفٌ لك ﴿وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ ولأُمَّتك ﴿وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ عنه يومَ القيامة، وعن قيامكم بحقه، وعن تعظيمكم له، وعن شكركم هذه النعمةَ.

٤٥- ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ليس المرادُ بسؤال الرسل حقيقةَ السؤال، ولكنه مَجازٌ عن

(١) أي بشدة الإصرار والتمسُّك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾

النظر في أديانهم والفحصِ عن مِلَلِهم، هل جاءت عبادةُ الأوثان قَطُّ في مِلَّةٍ من مِلَل الأنبياء؟ وكفاه نظرًا وفحصًا نَظرُهُ في كتاب الله المُعجِز المُصَدِّق لِما بين يديه، وإخبارُ الله فيه [بأنَّ المشركين] يعبدون من دون الله ما لم يُنَزِّلْ به سلطانًا، وهذه الآية في نفسها كافيةٌ لا حاجةَ إلى غيرها. وقيل: معناه: سل أُمَمَ من أرسلنا، وهم أهل الكتابين؛ أي التوراةِ والإنجيلِ، وإنما يخبرونه عن كتب الرسل، فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء، ومعنى هذا السؤال: التقريرُ لعبدة الأوثان أَنهم على الباطل [لأنهم كانوا يرجعون إليهم ويعتمدون على قولهم، فإذا سألهم وقالوا: لم يجعلِ اللهُ تعالى للخلق ءالهةً يعبدونهم، لزمتهم الحجةُ].

ثم سَلَّى رسولَه ﷺ بقوله:

٤٦- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [أي: أرسلناه كما أرسلناك، فكذبوه كما كذبوك، فجُعلت العاقبة له، وإنا نجعلها لك، وانتقمنا له منهم، ونحن ننتقم من هؤلاء لك].

٤٧- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [بالمعجزات من عندنا] ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾ يسخرون منها ويهزؤون بها ويسمُّونها سحرًا [إيماءً لأَتباعهم أن ذلك تمويهٌ].

٤٨- ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ قرينَتِها وصاحبَتِها التي كانت قبلَها في نَقضِ العادة، وظاهر النظم يدل على أن اللاحقة أعظمُ من السابقة وليس كذلك، بل المراد بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكِبَر ولا يَكَدنَ يتفاوَتْنَ فيه، وعليه كلام الناس، يقال: هما أخوان كلُّ واحدٍ منهما أكرم من الآخر، [وقيل: الأولى تقتضي علمًا، والثانية

﴿وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا
لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ
يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ
هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾

تقتضي علمًا مُنضَمًّا إلى علم الأُولى فيزداد الرجوح]. ﴿وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ﴾ وهو ما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴿١٣٠﴾﴾ [سورة الأعراف] ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة الأعراف] الآيةَ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ عن الكفر إلى الإيمان.

٤٩- ﴿وَقَالُواْ﴾ [لموسى عليه السلام]: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ كانوا يقولون للعالِم الماهر: ساحر، لتعظيمهم علمَ السحر ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [سَلْ لنا ربك كشفَ العذاب] ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [بما وعدَك به] مِن أنَّ دعوتَك مستجابةٌ ﴿إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ مؤمنون، [أي: إن أُجيبَ لنا اهتدينا بالإيمان بك].

٥٠- ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ينقضون العهد بالإيمان ولا يَفُونَ به.

٥١- ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ﴾ نادى بنفسه عظماءَ القِبط أو أمرَ مناديًا فنادى ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [أي: نيلُ مصرَ وسائرُ الأنهار المتشعِّبة منه وأعظمها أربعةٌ] ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ﴾ من تحت [قصوري] ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ قُوَّتي وضعفَ موسى؟ وغناي وفقرَه؟

٥٢- ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ﴾ كأنه قال: أَثبَتَ عندكم واستقرَّ أني أنا خير وهذه حالي ﴿مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾ ضعيفٌ حقيرٌ ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ الكلامَ لِمَا كان به من [العقدة الخفيفة - وهي بطء خفيف في الكلام - من أثر تلك الجمرة التي وضعها على لسانه عندما كان صغيرًا، وقد أذهبَ الله عنه هذه العقدةَ بدعائه عليه السلام عندما نزل عليه الوحي،

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

وكان عليه السلام في غاية البيان في حال مخاطبة فرعون ومَلَئِهِ، ولكن الخبيث وصفه بذلك تمويهًا على الضَّعَفة وإرادةَ التنقيص].

٥٣- ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلَّا ﴿أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ﴾ جمع سِوَارٍ ﴿مِّن ذَهَبٍ﴾ أراد بإلقاء الأَسْوِرة عليه إلقاءَ مقاليدِ المُلك[1] إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويدَ الرجل سَوَّروه بسوار، وطوَّقوه بطَوق من ذهب ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضادَهُ[2] وأنصاره وأعوانه، [وقول اللعين: هَلَّا ألقَى عليه ربُّه كذا، وهلا أرسلَ معه الملائكة، ليس لإقراره بالله وملائكته ورسله، لكن بناهُ على قول موسى عليه السلام؛ يعني: إن كان الأمرُ على ما يقول فهلَّا ضمَّ إليه ملائكتَه، وهلَّا أظهرَ إليه تشريفَه وكرامتَه].

٥٤- ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ استفزَّهم بالقول واستنزلَهم وعمل فيهم كلامُه ﴿فَأَطَاعُوهُ ۚ﴾ [في تكذيب موسى] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ خارجين عن دين الله.

٥٥- ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [أَسخطونا] ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ ومعناه أنهم أفرطوا في المعاصي، [فاستحقُّوا] أن نُعجِّلَ لهم عذابَنا وانتقامنا وألّا نحلُمَ عنهم [فأغرقناهم في البحر].

٥٦- ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ أي: [فريقًا] قد سلف ﴿وَمَثَلًا﴾ وحديثًا سائرًا مسيرَ المَثَل يُضرَبُ بهمُ الأمثالُ، ويقال: مَثَلُكُم مَثَلُ قومِ فرعون ﴿لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ لِمَن يجيءُ بعدهم.

---

(١) مقاليدُ المُلك: أسبابُه التي هي كالمفاتيح له.
(٢) الأعضادُ: الأنصار.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾

٥٧- ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ لمّا قرأ رسولُ الله ﷺ على قريش: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الأنبياء] غضبوا، فقال ابنُ الزِّبَعْرَى[1]: يا محمدُ، أخاصَّةٌ لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**هو لكُمْ ولآلهتِكُمْ ولجميع الأمم**» فقال: ألست تزعُم أن عيسى ابنَ مريمَ نبيٌّ وتُثني عليه وعلى أُمّهِ خيرًا، وقد علمتَ أن النصارى يعبدونَهما، وعُزَيْرٌ يُعبَدُ، والملائكةُ يُعبدون. فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وءالهتُنا معهم، ففرحوا وضحكوا فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة الأنبياء]، والمعنى: ولمَّا ضربَ ابن الزِّبَعْرَى عيسى ابنَ مريم مَثَلًا لآلهتهم وجادلَ رسولَ الله ﷺ بعبادة النصارى إيّاهُ ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ قريشٌ ﴿مِنْهُ﴾ من هذا المَثَل ﴿يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ يرتفع لهم جَلَبَةٌ[2] وضجيجٌ فرحًا وضحكًا بما سمعوا.

٥٨- ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعنون أن ءالهتنا عندك ليست بخير من عيسى، فإذا كان عيسى مِن حَصَب النار كان أَمرُ ءالهتنا هَيِّنًا ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ ما ضربوا هذا المثلَ ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ إلا لأجل الجَدَل والغَلَبة في القول، لا لطلب المَيْزِ بين الحق والباطل ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ لُدٌّ[3] شِدادُ الخصومة، دأبهم اللَّجاج، وذلك أن قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ لم يُرد به إلا الأصنام؛ لأن (ما) لغير

---

(١) عبد الله ابن الزِّبَعْرَى القرشيُّ السَّهمِيُّ، كان من أَشعَر قريش، وكان شديدًا على المسلمين، ثم أسلَمَ يومَ الفتح.
(٢) أي: أصواتٌ.
(٣) الأَلَدُّ: الخَصِمُ الجَدِلُ الشحيحُ الذي لا يَميلُ إلى الحق؛ وجمعُهُ: لُدٌّ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾

العقلاء، إلا أن ابنَ الزِّبَعرى بخداعه لمَّا رأى كلامَ الله محتمِلًا لفظُه وجهَ العموم مع علمه بأن المرادَ به أصنامُهم لا غيرُ وجدَ للحيلة مساغًا فصرف اللفظ إلى الشمول والإحاطة بكل معبودٍ غيرِ الله على طريق الجدال والمكابرة.

٥٩- ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ﴾ كسائر العباد ﴿أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ وصَيَّرناه عبرةً عجيبة كالمَثَل الثائر لبني إسرائيل [يُتَمَثَّلُ بها في الاستدلال على قدرة الله تعالى].

٦٠- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بدلًا منكم، ومِن بمعنى البَدَل، [ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة التوبة] أي: بدل الآخرة] ﴿يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ يخلفونكم في الأرض.

٦١- ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ وإن عيسى عليه الصلاة والسلام مما يُعلم به مجيءُ الساعة ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ فلا تَشُكُّنَّ فيها ﴿وَٱتَّبِعُونِ ۚ﴾ واتبعوا هُدايَ وشرعي ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ هذا الذي أدعوكم إليه [لا يَضِلُّ سالكُه].

٦٢- ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ﴾ عن الإيمان بالساعة ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾ ظاهر العداوة إذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور[1].

٦٣-٦٤- ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات، أو بآيات الإنجيل

---

(١) أي: كان سببًا في ذلك.

﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ
لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾

والشرائع الواضحات ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالإنجيل والشرائع ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو أمرُ الدين لا أمرُ الدنيا، [وقد كان بينهم اختلاف كثير في دينهم ودنياهم] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾ [فيما أُبَلِّغه عن الله تعالى] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [وَحِّدوه وأطيعوه] ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ هذا تمام كلام عيسى عليه الصلاة والسلام.

٦٥- ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ الفِرَقُ المُتَحَزِّبة[١] بعد عيسى، وهم اليعقوبيةُ والنُّسطوريةُ والمَلْكانيةُ والشَّمعُونيةُ ﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ من بين النصارى ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ حيث قالوا في عيسى ما كفروا به ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ وهو يوم القيامة.

٦٦- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ الضمير لقوم عيسى، أو للكفار ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ أي هل ينظرون إلا إتيان الساعة [فُجاءَةً] ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ أي غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم.

٦٧- ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ جمع خليل[٢] ﴿يَوْمَئِذٍۭ﴾ يومَ القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ أي المؤمنين؛ أي تنقطع في ذلك اليوم كلُّ خُلَّة بين المُتخالِّين في غير ذات الله، وتنقلب عداوةً ومَقتًا إلا خُلَّة المتصادقِين في الله فإنها الخُلَّةُ الباقية.

---

(١) أي: المختلفة.
(٢) الخليل: الصديق، والخُلَّةُ: الصَّداقة والمَحبة التي تخللت القلبَ فصارت خِلالَه؛ أي في باطنه.

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

٦٨- ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ هو حكايةٌ لِمَا ينادَى به المُتَّقونَ المتحابُّونَ في الله يومئذ، [أي: لا خوفٌ عليكم اليوم من عقابي، فإني ءامنتُكم منه برضايَ عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا فإن الذي قَدِمتُم عليه خير لكم مما فارقتموه].

٦٩- ﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفةٌ لعبادي ﴿ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ صَدَّقوا بآياتنا ﴿وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ لله مُنقادين له.

٧٠- ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ المؤمناتُ في الدنيا ﴿تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ تُسَرُّون سرورًا يظهر حَبارُه أي: أَثَره على وجوهكم.

٧١- ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ﴾ جمعُ صَحْفَة[1] ﴿مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ﴾ أي: من ذهب أيضًا، والكوبُ: الكوزُ لا عُروة[2] له ﴿وَفِيهَا﴾ وفي الجنة ﴿مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ﴾ وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مُشتَهَياتٌ في القلوب، أو مُستَلَذّة في العيون ﴿وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [لا تموتون فيها، ولا تُخرجون منها].

٧٢- ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ تلك إشارة إلى الجنة المذكورة، [أعطاكم الله تعالى بسبب إيمانكم وطاعتكم فضلًا منه وكرمًا] وشُبِّهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة [وبأنها مَحْضُ فَضلٍ من الله تعالى كالميراث من الميت لا يكون عِوضًا مستَحَقًّا عن شيء؛ بل هو عَطِيَّةٌ خالصة].

---

(١) الصَّحْفَةُ: ءانيةُ الأكل.

(٢) عُرْوَة الدَّلو والكوز: مَقْبِضُه.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ
عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا
رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾

٧٣- ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ لا تأكلون إلا بعضَها، وأعقابُها باقيةٌ في شجرها، فهي مُزَيَّنة بالثمار أبدًا.

٧٤- ٧٥- ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [أي الكافرين الذين اكتسبوا سخطَ الله تعالى] ﴿فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ لا يُخفَّفُ ولا يُنقَصُ ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾ في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ءايسون من الفَرَج مُتحيّرون.

٧٦- ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [أَنفسَهم بإيرادها مَوْرِدَ الهلاك والخسار].

٧٧- ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ لمَّا يَئِسوا من فتور العذاب نادَوا: يا مالكُ؛ وهو خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ لِيُمتنا، والمعنى: سَلْ ربَّك أن يقضيَ علينا ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ لابِثُون في العذاب لا تتخلَّصون عنه بموت ولا فتور، [يجيبهم بذلك مالكٌ بعد ألف سنة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما].

٧٨- ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الظاهر أنه] كلامُ الله تعالى [لهم]، وقيل: هو متصل بكلام مالك، [والمعنى: أورَدنا عليكم الحُجج، فأخبرناكم بما أنتم صائرون إليه يوم القيامة] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ لا تَقبلونه وتنفرون منه، لأن مع الباطل الدَّعَة(١)، ومع الحَقِّ التعبَ.

---

(١) الدَّعَةُ: السكونُ والراحةُ، والمراد أن أهل النار كانوا في الدنيا يريحون أَنفسهم ولا يتعبونها بمشاقِّ أداء الواجبات واجتناب المحرمات، وقد ورد في الحديث الشريف: «مُرَّةُ الدنيا حُلوَةُ الآخرة، وَحُلوةُ الدنيا مُرَّةُ الآخرة».

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ
يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ
ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾

٧٩- ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا﴾ أم أحكمَ مشركو مكة أمرًا من كيدهم ومكرهم بمحمد ﷺ ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ كيدَنا [في إهلاكهم] كما أبرموا كيدَهم، وكانو يتنادَون فيتناجَون في أمر رسول الله ﷺ في دار الندوة.

٨٠- ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ حديثَ أنفسهم، [وهو ما يُحدِّثُ به الرجل نفسَه، أو غيرَه في مكان خال] ﴿وَنَجْوَىٰهُمۚ﴾ ما يتحدثون فيما بينهم ويُخفونَه عن غيرهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمعُهما ونطلع عليهما ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحفظةُ ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ عندهم يكتبون ذلك.

٨١- ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ وصح ذلك ببرهان ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ فأنا أولُ مَن يُعظم ذلك الولدَ وأسبَقُكم إلى طاعته والانقيادِ إليه، كما يُعظم الرجلُ وَلدَ المَلِك لتعظيم أبيه، وهذا كلامٌ واردٌ على سبيل الفَرْضِ، والمرادُ نَفْيُ الولد، وذلك أنه عَلَّقَ العبادةَ بكينونةِ الولد، وهي مُحالٌ في نفسها، فكان المعلَّقُ بها مُحالًا مثلَها، وقيل: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ في زعمكم ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ أي الموحِدين لله المكذبين قولَكم بإضافة الولد إليه، وقيل: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد، من: عَبِدَ يَعْبَدُ إذا اشتدَّ أنفُهُ فهو عبدٌ وعابدٌ، وقيل: هي إنْ النافيةُ أي ما كان للرحمٰن ولد فأنا أول من قال [بذلك] وعبدَ ووَحَّدَ [من هذه الأُمَّة]. ثم نزَّه ذاته عن اتخاذ الولد فقال:

٨٢- ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أي هو ربُّ السماوات والأرض والعرش فلا يكون جسمًا، إذ لو كان جسمًا لم يقدر على خلقها، وإذا لم يكن جسمًا لا يكون له ولد، لأن التوالدَ من صفة الأجسام.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى
ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ
عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ
بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾

٨٣- ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُواْ﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ أي القيامةَ، وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض [بالباطل] واللعب [بالجدال بما لا حقيقة له].

٨٤- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [هو المستحِقُّ للعبادة في السماء لا مُستحِقَّ لها في السماء غيرُه، وهو المُستحِقُّ للعبادة في الأرض فلا ولدَ له ولا شريك، فهو تعالى معبودٌ في السماء معبودٌ في الأرض] ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ بما كان ويكون.

٨٥- ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي علمُ قيامها ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [للحساب والجزاء].

٨٦- ﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾ ءالهتُهم ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي يدعونَهم ﴿مِن دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ كما زعموا أنهم شفعاؤهم[1] عند الله ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ ولكن مَن شهد بالحق بكلمة التوحيد ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أن الله ربُّهم حقًّا، ويعتقدون ذلك هو الذي يملك الشفاعة.

٨٧- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي المشركينَ: ﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لا الأصنامُ والملائكةُ ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ فكيف، أو مِن أينَ يُصرفونَ عن التوحيد مع هذا الإقرار؟

---

(١) أي: في الحياة الدنيا لأنهم لا يؤمنون بالآخرة.

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾

٨٨- ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ أي وعنده علمُ الساعةِ وعلمُ قِيْلِه، [أي قولِ محمد ﷺ]، والقِيلُ والقولُ والقالُ والمقالُ واحدٌ ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾ [شكا إلى الله تعالى تَرْكَهم الإيمانَ، فقال الله تعالى له]:

٨٩- ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ فأَعرضْ عن دعوتهم يائسًا عن إيمانهم وَوَدِّعْهم وتارِكْهم ﴿وَقُلۡ﴾ لهم: ﴿سَلَٰمٞۚ﴾ تَسَلُّمٌ(١) منكم ومتارَكَةٌ، [فلم يؤمر عليه الصلاة والسلام بالسلام عليهم وإنما أُمِرَ بالتبرُّؤِ منهم ومن دينهم، فهو سلامُ متارَكَةٍ لا سلامُ تحية] ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾ [ما يلقونه من البلاء والنَّكال(٢)، وهذا] وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله ﷺ.

(١) هذا قبل نزول ءايات القتال.
(٢) النَّكال: العذاب.

سورة الدخان
تسع وخمسون ءاية مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١-٢- ﴿حمٓ ۝١﴾ [تقدم الكلام عليها في أول سورة غافر] ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [أقسم بالكتاب المبين]؛ أي القرءان، وجواب القسم:

٣- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ أي ليلةِ القدر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [سورة القدر] وقوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ۝١٨٥﴾ [سورة البقرة] وليلةُ القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان، ثم قالوا: أَنزلَه جملةً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزلَ به جبريلُ [نجومًا[1]] في وقت وقوع الحاجة إلى نبيه محمد ﷺ، وقيلَ: ابتداءُ نُزوله في ليلة القدر، والمبارَكةُ: الكثيرةُ الخير لِمَا يَنزلُ فيها من الخير والبركة ويستجابُ من الدعاء، [ويضاعَفُ فيها الثوابُ، وهي أعظم الليالي قدرًا وخيرٌ من ألف شهر نصًّا] ولو لم يوجد فيها إلا إنزالُ القرءان وحدَه لكفى به بركةً ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [مُخَوِّفين بالكتاب والرسول الخلقَ بالعذاب؛ ردعًا عن الكفر والمعصية، وشوقًا إلى الإيمان والطاعة].

---

(١) أي: مُفَرَّقًا.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾

٤- ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ﴾ معنى يُفْرَق: يُفصَلُ ويُكتب كلُّ أَمر من أرزاقِ العباد وءاجالِهم، وجميعُ أمورهم من هذه الليلة إلى ليلة القدر التي تجيءُ في السنة المقبلة، [والمعنى: أن الله يُطلع ملائكته في هذه الليلة على تفاصيل ما يَحدُثُ في هذه السنة من هذه الليلة إلى مثلها من العام القابل من موت وحياة وولادة وأرزاق ومطر ونحو ذلك ويؤمرون باستنساخ ذلك في صحفهم من اللوح المحفوظ] ﴿حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ ذي حكمة؛ أي مفعولٍ على ما تقتضيه الحكمة، وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم صفةُ صاحب الأمر على الحقيقة، ووَصْفُ الأمرِ به مجازٌ.

٥- ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ أعني بهذا الأَمر أمرًا حاصلًا من عندنا كما اقتضاه عِلمُنا وتدبيرنا ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [الرسُلَ محمدًا ومَن قبلَه].

٦- ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ المعنى: إنا أنزلنا القرءانَ لأن مِنْ شأننا وعادتنا إرسالَ الرسل بالكتب إلى عبادنا [رحمةً مِنَّا للخلق] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾ بأحوالهم.

٧- ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾ كانوا يُقرُّون بأن للسموات والأرض ربًّا وخالقًا، فقيل لهم: إن إرسالَ الرسل وإنزال الكتب رحمةٌ من الربِّ، ثم قيل: إن هذا الربَّ هو السميع العليم الذي أنتم مُقِرُّون به ومعترفون بأنه ربُّ السماوات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان، [أي فوحِّدوه ولا تشركوا به شيئًا، فإن الإيقانَ بذلك يوجب الإيمان].

٨- ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [لا معبودَ لكم أيها الناس غيرُ رب السماوات والأرض وما بينهما، فإنه لا تصلح العبادة لغيره] ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [بيان

﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

لاختصاصه بالألوهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيرُه] ﴿رَبُّكُمْ﴾ أي [فهذا الذي هذه صفته] هو ربكم ﴿وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ [فاعبدوه دون ءالهتكم التي لا تقدر على ضَرٍّ ولا نفع]، ثم ردَّ أن يكونوا موقنين بقوله:

٩- ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾ وإنَّ إقرارهم غيرُ صادر عن علم وتيقُّن بل [هم مُقلِّدون شاكُّون، وقولُهم] قولٌ مخلوط بهُزْءٍ ولَعِب.

١٠- ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ فانتظر [يا محمدُ بهؤلاء المشركين من قومك] ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ﴾ لمَّا استعصت [قريشٌ] على رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال: «**اللهم اشدد وَطأتَكَ على مُضَرَ واجعلها عليهم سنينَ كسِني يوسفَ**» فأصابهم الجَهدُ[1] حتى أكلوا الجِيَفَ والعِلْهِزَ[2]، وكان الرجلُ يرى بين السماء والأرض الدخان، وكان يُحَدِّثُ الرجلَ فيسمعُ كلامَه ولا يراه من الدخان [لأن الهواء يُظلم عام القحط لقلةِ الأمطار وكثرة الغبار، ولذلك قيل للسَّنةِ المجدِبة: غبراءُ، وقيل للجوع: أغبرُ، ﴿مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ ظاهر حاله لا يشكُّ أحدٌ [فيه، أي: انتظر نزولَ هذا العذاب بهم، فإنه كائن].

١١-١٢- ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ يشمَلُهم ويَلبَسُهم، وقوله: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [أي المشركون يقولون ذلك مما نالهم من الكرب والجَهد، ويَصِلون به قولَهم] ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي سنؤمنُ إن كُشِفَ عنا العذابُ.

---

(١) الجَهدُ بفتح الجيم : المَشقةُ الشديدة.
(٢) العِلْهِزُ: طعامٌ كانوا يتَّخذونه من الدم ووَبَر البعير في سِني المجاعة.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

١٣-١٤- ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ كيف يَذَّكَّرُوْنَ ويتَّعظون وَيَفُون بما وَعَدُوه من الإيمان عند كشف العذاب ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ أي وقد جاءهم ما هو أعظمُ وأدخلُ في وجوب الاذِّكار مِن كشف الدخان، وهو ما ظهر على رسول الله ﷺ من الآيات والبينات من الكتاب المعجِزِ وغيرِه فلم يَذَّكَّروا وتولَّوا عنه وبَهَتُوه[1] بأنَّ عَدَّاسًا - غلامًا أعجميًّا لبعض ثَقِيفٍ - هو الذي علَّمه ونسبوه إلى الجنون.

١٥- ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ﴾ زمانًا قليلًا أو كشفًا قليلًا ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ إلى الكفر الذي كنتم فيه أو إلى العذاب.

[يروى أنه لمَّا أصابهم ذلك مَشَى أبو سفيان ونَفَرٌ معه إلى رسول الله ﷺ وناشدوه اللهَ والرَّحِمَ[2] وواعدوه إن دعا لهم وكُشِف عنهم أن يؤمنوا، فلمَّا كُشف عنهم رجعوا إلى شركهم، فأنزل الله تعالى]:

١٦- ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ هي يوم القيامة، أو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي ننتقم منهم في ذلك اليوم [بعذاب هو أكبرُ من الأول].

١٧- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ﴾ قبل هؤلاء المشركين، أي فَعَلنا بهم فعلَ المختبِر ليظهر منهم ما كان باطنًا ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ على الله وعلى عباده المؤمنين، أو كريمٌ في نفسِه حسيبٌ

---

(١) أي: افتروا عليه ونسبوا إليه أشياء غير صحيحة كذبًا وزورًا.
(٢) أي: أقسموا عليه وسألوه بالله وبالرَّحِم.

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

نَسيب، لأن الله تعالى لم يبعثْ نبيًّا إلا من سَرَاةِ[1] قومِه وكِرامهم.

١٨- ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ﴾ سلِّموا إليَّ ﴿عِبَادَ ٱللَّهِۖ﴾ هم بنو إسرائيل، يقول: أدُّوهم إليَّ وأرسلوهم معي [فإنهم عبادُ الله لا عبادُكم، فلا تستعبدوهم ولا تُسخِّروهم] كقوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة طه] ويجوز أن يكون نداءً لهم على معنى: أدُّوا إليَّ يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي، وعلَّل ذلك بقوله: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾ أي على رسالتي غيرُ متَّهم.

١٩- ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي: لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾﴾ بحُجَّة واضحة تدلُّ على أنّي نبيٌّ.

٢٠- ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾ أن تقتلوني رجمًا، ومعناه أنه عائذٌ بربِّه مُتَّكِلٌ على أنه يعصِمه منهم ومن كيدهم، فهو غيرُ مبال بما كانوا يتوعَّدونه من الرجم والقتل.

٢١- ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ أي إن لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحَّوا عني، أو لا تتعرَّضوا لي بِشَرِّكم وأذاكُم، فليس جزاءُ مَنْ دعاكم إلى ما فيه فلاحُكُم ذلك.

٢٢- ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ شاكيًا ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بأن هؤلاء [مشركون مصرُّون على الكفر] أي دعا ربَّه بذلك، قيل: كان دعاؤه: اللهمَّ عجِّل لهم ما يَستحقُّونه بإجرامهم.

---

(١) أي: من أهل المُروءة والشرف فيهم، جمع سَرِيٍّ.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾

٢٣- ﴿فَأَسْرِ﴾ أي [فأجابَ اللهُ دعاءه] فقال: أسْرِ ﴿بِعِبَادِى﴾ أي بني إسرائيل [ومَن ءامنَ مِن القِبط] ﴿لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي دبَّرَ الله أن تتقدَّموا ويتبعَكم فرعونُ وجنودُه فينجي المتقدِّمينَ ويُغرق التابعين.

٢٤- ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ﴾ ساكنًا، أرادَ موسى عليه السلام لـمَّا جاوزَ البحرَ أن يضربَه بعصاه فينطبقَ، فأُمِرَ بأن يتركَه ساكنًا على هيئته، قارًّا على حاله من انتصاب الماء وكونِ الطريق يَبَسًا ليدخُلَه القِبطُ، فإذا حصلوا فيه أَطبقَه اللهُ عليهم ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ بعد خروجكم من البحر.

٢٥-٢٦- ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [كم ترك فرعون وقومُه بعد مَهلَكِهم وإغراق الله إياهم من بساتين وعيون من الماء جارية فيها] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ هو ما كان لهم من المنازل الحسنة.

٢٧- ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ تنعُّم ﴿كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ متنعِّمين.

٢٨- ﴿كَذَٰلِكَ ۖ﴾ أي الأمر كذلك ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا وَلاء، وهم بنو إسرائيل.

٢٩- ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ لأنهم ماتوا كفارًا، والمؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض فيبكي على المؤمن من الأرض مُصلَّاهُ ومِنَ السماء مَصعَدُ عمله، وعن الحسن: أهلُ السماءِ والأرضِ ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي لم يُنْظروا إلى وقت ءاخر ولم يُمْهَلوا.

٣٠- ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾ أي الاستخدامِ والاستعبادِ وقتلِ الأولاد.

﴿مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا
مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

٣١- ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ كأنه في نفسه كان عذابًا مُهينًا لإفراطه في تعذيبهم وإهانتهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ متكبِّرًا ﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المجاوزينَ حدود الله، المفرطين في معاصيه].

٣٢- ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي عالِمين بأنهم أحِقّاء بأن يُختاروا ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ على عالَمِي زمانِهم.

٣٣- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [على يد موسى عليه السلام من العلامات الدالَّة على إنعامنا عليهم] كفَلْق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المَنِّ والسلوى[1]، وغير ذلك ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ نعمةٌ ظاهرة، أو اختبار ظاهر [بالرَّخاء والشِّدّة].

٣٤- ٣٥- ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني كفارَ قريش ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [ما العاقبةُ ونهاية الأمر إلا الموتةُ الأولى المُزيلةُ للحياة الدنيوية، ولا قَصْدَ فيه إلى إثبات ثانية] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾ بمبعوثين.

٣٦- ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ خطاب للذين كانوا يَعِدُونهم النشورَ من رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أي إن صدقتم فيما تقولون فعجِّلوا لنا إحياءَ مَن مات مِن ءابائنا بسؤالكم ربَّكم ذلك حتى يكون دليلًا على أنَّ ما تَعِدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حقٌّ.

---

(١) سبق الكلام على تظليل الغمام عليهم في التيه وعن إنزال المن والسلوى في تفسير الآية (١٦٠) من سورة البقرة.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ
الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾

٣٧- ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ في القوة والمَنَعَة ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو تُبَّعٌ الحِمْيَرِيُّ[١] كان مؤمنًا وقومُه كافرين، [وهو استفهام بمعنى النفي؛ أي ليس قريشٌ بأقوى وأكثرَ عُدَّةً من قوم تُبَّعٍ والمتقدمين عليهم وقد أهلكناهم بجُرمهم] ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [كعادٍ وثمودَ] ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ كافرين منكرين للبعث.

٣٨- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي وما بين الجنسين ﴿لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [أي: لاهين].

٣٩- ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [إلا بالأمر الحق، لإقامة الحق وإظهاره من توحيد الله والتزام طاعته] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [يعني: أكثر الناس لا يعلمون ذلك].

٤٠- ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بَين المُحِقِّ والمبطِل، وهو يوم القيامة ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وقت موعدِهم كلِّهم.

٤١- ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا﴾ أيُّ وليٍّ كان عن أيِّ وليٍّ كان شيئًا من إغناء؛ أي قليلًا منه ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [ولا ينصرُ بعضهم بعضًا].

---

(١) قال أبو حيّان في البحر المحيط: الظاهر أن تُبَّعًا هو شخص معروف، وقع التفاضل بين قومه وقوم الرسول عليه الصلاة والسلام وإن كان لفظ تُبَّع يطلق على كلِّ مَن مَلَكَ العربَ، كما يطلق كسرى على مَن مَلَكَ الفُرسَ، وقيصر على مَن مَلَكَ الرومَ؛ واسمه أسعد الحِمْيَرِيُّ وكُنِّيَ أبا كَرِب اهـ. وقيل: إنما ذُكِرَ قوم تُبَّعٍ لأنهم أقرب إلى مكة في الهلاك من غيرهم.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾

٤٢- ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ أي لا يُمنعُ مِنَ العذاب إلا مَنْ رَحِمَهُ الله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالبُ على أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ لأوليائه.

٤٣- ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾﴾ هي على صورة شجرة الدنيا لكنها في النار[1]، والزَّقوم: ثمرها.

٤٤- ﴿طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ هو الفاجر الكثير الآثام، [والمراد به هنا الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه].

٤٥- ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ هو دُرْدِيُّ الزيت[2] ﴿يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾﴾.

٤٦- ﴿كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ أي الماءِ الحارِّ الذي انتهى غليانه، ومعناه: غَليًا كغلي الحميم. ثم يقال للزبانية:

٤٧- ﴿خُذُوهُ﴾ أي الأثيمَ ﴿فَٱعۡتِلُوهُ﴾ فقودوه بعنف وغِلظة ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ إلى وسطها ومعظمِها.

٤٨- ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ المصبوبُ هو الحميمُ لا عذابُه إلا أنه إذا صُبَّ عليه الحميمُ فقد صُبَّ عليه عذابُه وشدَّته. ويقال [لهذا الأثيم الشقي]:

٤٩- ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ على سبيل الهُزُؤ والتهكُّم [والقلب؛ أي إنك الذليل المُهان في الحقيقة، وإن كنت عزيزًا كريمًا عند نفسك، وقيل: يقال هذا لأبي جهل لعنه الله، وكان قال في الدنيا: أنا أعزُّ أهل هذا الوادي وأكرمهم].

---

(١) هي من أخبث الشجر المر بتِهامةَ يُنبتها الله تعالى في الجحيم.

(٢) دُرْدِيُّ الزيت: ما يبقى أَسفلَه.

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١ فِي جَنَّٰتٖ
وَعُيُونٖ ۝٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ
عِينٖ ۝٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ
ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٥٧﴾

٥٠- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي العذابَ، أو هذا الأمرَ هو ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠﴾ أي تشكُّون.

٥١- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ هو موضع الإقامة ﴿أَمِينٖ ۝٥١﴾ [يؤمَن فيه الخوف].

٥٢- ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ [بساتين] ﴿وَعُيُونٖ ۝٥٢﴾ [جارية].

٥٣- ﴿يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ﴾ ما رَقَّ من الدِّيباج ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾ ما غَلُظَ منه ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣﴾ في مجالسهم، وهو أتمُّ للأُنس.

٥٤- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الأمر كذلك ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم﴾ وقرَنَّاهم ﴿بِحُورٍ﴾ جمع حَوْراء؛ وهي الشديدةُ سوادِ العين والشديدةُ بياضِها ﴿عِينٖ ۝٥٤﴾ جمعُ عَيناء؛ وهي الواسعةُ العين.

٥٥- ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا﴾ يَطلبونَ في الجنة ﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥﴾ من الزوال والانقطاع وتولُّدِ الضَّرر من الإكثار.

٥٦- ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿ٱلۡمَوۡتَ﴾ ألبتَّة ﴿إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ أي سوى الموتةِ الأولى التي ذاقوها في الدنيا ﴿وَوَقَىٰهُمۡ﴾ [ربهم] ﴿عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٦﴾.

٥٧- ﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ﴾ لأن العبد لا يستحقُّ على الله شيئًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي صرفُ العذاب ودخولُ الجنة ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٥٧﴾ [الذي لا فوزَ بعدَه].

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾

٥٨- ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ﴾ أي الكتابَ، وقد جرى ذكره في أول السورة ﴿بِلِسَانِكَ﴾ [بلُغتك، وهي لغة العرب] ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ يتَّعظون.

٥٩- ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ فانتظر ما يحُلُّ بهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ منتظرون ما يحُلُّ بك من الدوائر.

سورة الجاثية
مكية وهي سبع وثلاثون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٢ - ﴿حمٓ ۝١﴾ [سبق الكلام في ﴿حمٓ ۝١﴾ في أول سورة غافر] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [أي: هذا تنزيلُ القرءان من عند الله] ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في انتقامه [من أعدائه] ﴿ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ في تدبيره [أَمرَ خلقِه].

٣ - ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ﴾ لدِلالات على وَحدانيته، ويجوز أن يكون المعنى: إن في خلق السماوات والأرضِ لآياتٍ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [للمصدِّقين بالحجج إذا تبيَّنوها ورأوها]، دليله قوله:

٤ - ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾ [وفي خلق كُلٍّ منكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن صار إنسانًا] ﴿وَمَا يَبُثُّ﴾ [يُفرِّق في الأرض] ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ [هو ما يَدِبُّ على الأرض من الناس وغيرهم] ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [أي دِلالات لقوم لهم نظر يؤدِّيهم إلى اليقين].

٥ - ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [أي: وفي ذهابهما ومجيئهما] ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ أي مطر، وسُميَ به لأنه سببُ الرزق ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾ المعنى أن المنصِفين من العباد إذا نظروا في السماوات والأرض نظرًا صحيحًا علموا أنها مصنوعةٌ وأنه لا بد لها من صانع فآمَنوا بالله، فإذا نظروا في خَلق أنفسهم وتنقُّلِها من حال إلى حال، وفي خلقِ ما ظهر على الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانًا وأيقَنوا، فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار، وحياة الأرض بها بعد موتها، وتصريفِ الرياح جنوبًا وشَمالًا وقَبولًا ودَبورًا(١)، عَقَلوا واستحكمَ عِلمُهم وخَلَصَ يقينُهم.

٦- ﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى الآيات المتقدمة، أي تلك الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [نُخبرك عنها بالحق لا بالباطل كما يُخبر مشركو قومك عن ءالهتهم بالباطل أنها تُقرِّبهم إلى الله زُلفى(٢)] ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [أي: بعد حديثه(٣) الذي يتلوه عليك، وهو القرءان] ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ [وحججه التي نبَّه هؤلاء المشركين عليها] ﴿يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [يصدقون، وفيه إنكار وتقريع وتوبيخ].

٧- ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ [وعيدٌ بشِدَّة العذاب لكل] كَذّاب ﴿أَثِيمٍ ۝٧﴾ مبالغٍ في اقتراف الآثام.

٨- ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ يُقبل على كفره ويُقيم عليه ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الإيمان بالآيات والإذعان لِما تَنطِقُ به من الحق،

---

(١) القَبُول: ريحُ الصَّبا التي تَهبُّ من مَطْلِعِ الشمس، والدَّبُور: هي الريحُ التي تُقابلُ الصَّبا والقبولَ وتَهبُّ من جهة المغرب.

(٢) الزُّلْفَى: المنزِلةُ والدرجة.

(٣) وذلك كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ۝٢٣﴾ [سورة الزمر].

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

مُزدريًا لها، مُعجَبًا بما عنده، قيل: نزلت في النَّضر بنِ الحارث وما كان يشتري من أحاديث العجم ويَشْغَلُ بها الناسَ عن استماع القرءان، والآية عامَّةٌ في كل مَن كان مُضارًّا لدين الله ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ يُصِرُّ مثلَ غيرِ السامع ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾ فأخبره خبرًا يظهر أثره على البَشَرَةِ.

٩- ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾ وإذا بلغه شيء من ءاياتنا وعلم أنه منها ﴿ٱتَّخَذَهَا﴾ اتخذ الآيات ﴿هُزُوًا﴾ إذا أحسَّ بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع الآيات، ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى كل أفَّاك أثيم ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾ مُخْزٍ.

١٠- ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾ مِن قُدَّامِهم، فالوراءُ اسمٌ للجهة التي يُوَاريها الشخصُ من خَلْفٍ أو قُدَّام ﴿جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ﴾ من الأموال ﴿شَيْـًٔا﴾ من عذاب الله ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأوثان ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ [نُصَراءَ في الدنيا] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ في جهنم.

١١- ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ إشارةٌ إلى القرءان، ويدلُّ عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ لأن ءاياتِ ربهم هي القرءانُ، أي هذا القرءانُ كاملٌ في الهداية ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ هو أشدُّ العذاب ﴿أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [مُوْجِعٌ].

١٢- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالتجارة، أو بالغَوْص على اللؤلؤ والمَرجان، واستخراجِ اللحم الطريِّ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [أي: لتشكروا، أي: يلزمُكم شُكره].

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ
يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ﴾

١٣- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [من الشمس والقمر والنجوم] ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [من الجبال والنبات والبهائم] ﴿جَمِيعًا مِّنْهُۚ﴾ [كلٌّ ذلك من عند الله وبأمره، لا يَقدرُ عليه غيرُه] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [لَعَلاماتٍ دالةٍ على قدرته تعالى لِمَن تدبَّرَ فيها].

١٤- ﴿قُل﴾ [يا محمد] ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾ يعفوا ويصفحوا ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ لا يتوقَّعون وقائعَ الله بأعدائه، قيل: نزلت في عمرَ رضي الله عنه حين شَتَمَه رجلٌ من المشركين من بَني غِفارٍ فهمَّ أن يبطشَ به ﴿لِيَجْزِيَ﴾ تعليلٌ للأمر بالمغفرة، أي: إنما أُمِروا بأن يغفروا ليوفِّيَهم جزاءَ مغفرتهم يومَ القيامة ﴿قَوْمًۢا﴾ مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ من الإحسان.

١٥- ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ﴾ لها الثواب وعليها العقاب ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ إلى جزائه.

١٦- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراةَ ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ الحكمة والفقه، أو فصلَ الخُصومات بين الناس، لأن المُلْكَ كان فيهم ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ خَصَّها بالذكر لكثرة الأنبياء عليهم السلام فيهم ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مما أَحلَّ الله لهم وأطابَ من الأرزاق ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ على عالَمي زمانِهم.

١٧- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ﴾ ءاياتٍ ومعجزات ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِۖ﴾ من أمر الدين ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ﴾ فما وقع الخلافُ بينهم في الدين ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ

﴿ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ
جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟
عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ
لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ﴾ إلا من بعد ما جاءهم ما هو مُوجِب لزوال الخلاف، وهو العلمُ، وإنما اختلفوا لبَغيٍ حدثَ بينهم، أي لعَداوة وحسد، ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ [يا محمد] ﴿يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ قيل: المرادُ اختلافُهم في أوامر الله ونواهيه في التوراة حسدًا وطلبًا للرئاسة، لا عن جَهل يكونُ الإنسانُ به معذورًا، [وفيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مَسلكهم].

١٨- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ﴾ بعد اختلاف أهل الكتاب ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ على طريقة ومنهاج ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ من أمر الدين ﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾ فاتَّبع شريعتَك الثابتةَ بالحُجج والدلائل ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ ولا تتَّبع ما لا حجةَ عليه من أهواء الجهال ودينِهم المَبني على هَوًى وبدعةٍ، وهم رؤساءُ قريشٍ حين قالوا: ارجع إلى دين ءابائك.

١٩- ﴿إِنَّهُمْ﴾ إن هؤلاء الكافرينَ ﴿لَن يُغْنُوا۟﴾ [لن يَدفعوا] ﴿عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [من عذابه] ﴿شَيْـًٔاۚ﴾ [إن اتَّبعتَ أهواءهم] ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الكافرين] ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۖ﴾ [يتعاونون على الباطل، ويتولَّون على مُعاداتك] ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ وهم مُوالوه، وما أبيَنَ الفضلَ بين الوِلايتين.

٢٠- ﴿هَـٰذَا﴾ القرءانُ ﴿بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ جُعِلَ ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البَصائر في القلوب، كما جُعل روحًا وحياة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ لِمَن ءامن وأيقنَ بالبعث.

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾

٢١- ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [أظنَّ الذين] اكتسبوا المعاصيَ والكفرَ ﴿أَن نَّجۡعَلَهُمۡ﴾ أن نُصيِّرَهم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ﴾ المعنى: إنكارُ أن يستويَ المُسيئون والمُحسنون مَحْيًا وأن يَستووا مماتًا لافتراق أحوالهم أحياءً حيث عاشَ هؤلاء على القيام بالطاعات، وأولئك على اقتراف السيئات، ومماتًا حيث ماتَ هؤلاء على البُشرى بالرحمة والكرامة، وأولئك على اليَأس من الرحمة والندامة ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ بِئْسَ ما يقضُون إذا حَسِبوا أنهم كالمؤمنين، فليس مَن أُقعدَ على بساط الموافقة كمن أُقعد في مقام المخالفة؛ بل نُفَرّق بينهم فنُعلِي المؤمنين ونُخزِي الكافرين.

٢٢- ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ ليَدُلَّ على قدرته ﴿وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ [من المعاصي والطاعات] ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [أي: لِيُثيبَ اللهُ المُحسِنَ بالإحسان والمُسِيْءَ بما هو أهلُه، لا لنبخسَ المحسنَ ثواب إحسانه ونحملَ عليه جُرمَ غيره فنعاقبه عليه، أو نجعلَ للمُسيء ثوابَ إحسانِ غيرِه فنكرمَه عليه، ولكن لِيَجزيَ الله كُلًّا بما كسبت يداه؛ وهو ما وعدَ الله به وأوعدَ والله لا يُخلفُ الميعاد].

٢٣- ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ذلك الكافرُ، اتخذ دينه بغير هُدًى من الله ولا برهان، وقيل: مَن اتخذَ معبودَه ما هَوِيَت نفسُه، وكانوا في الجاهلية يعبدون ما يستحسنونه، فإذا استحسنوا غيرَه تركوا الأولَ وعبدوا الثاني] ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ منه [تعالى] باختياره الضلال، [أي: عالمًا بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه، أو على علم من هذا الضَّالِّ أن الحقَّ هو الدين

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾

الذي يدعو إليه الأنبياء ويُعرض عنه عنادًا] ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾ فلا يَقبلُ وعظًا ﴿وَقَلْبِهِۦ﴾ فلا يعتقدُ حقًّا ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ فلا يُبصِرُ عِبرةً ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ﴾ من بعدِ إضلالِ الله إيّاه؟! [وهو استفهام بمعنى النفي] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [تتعظون]، فأصلُ الشر متابعةُ الهوى، والخيرُ كلُّه في مخالفته:

٢٤- ﴿وَقَالُوا۟﴾ [أي: مُنكرو البعث] ﴿مَا هِىَ﴾ ما الحياة، لأنهم وُعِدُوا حياةً ثانية ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ التي نحن فيها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ نموتُ نحن ونحيا ببقاء أولادنا، أو يموت بعض ويحيا بعض [بأن يولدوا]، أو يصيبنا الأمران؛ الموت والحياة، يريدون الحياةَ في الدنيا والموتَ بعدها وليس وراء ذلك حياةٌ ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾ كانوا يَزعمون أن مرورَ الأيام والليالي هو المؤثِّرُ في هلاك الأنفُس، ويُنكرون ملَكَ الموت وقبضَه الأرواحَ بإذن الله ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ وما يقولون ذلك من علم ويقين، ولكن مِنْ ظَنٍّ وتَخمين.

٢٥- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ أي القرءانُ، يعني ما فيه من ذكر البعث ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ [واضحات] ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ وسُمِّيَ قولُهم حجةً - وإن لم يكن حجةً - لأنه في زعمهم حجةٌ ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أي أَحْيُوهم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ في دعوى البعث.

٢٦- ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ فيها عند انتهاء أعماركم ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يَبعثكم يومَ القيامة جميعًا، ومن كان قادرًا على [الابتداء] كان قادرًا على [الإعادة و]الإتيان بآبائكم ضرورةً

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ
يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

[وقضَى اللهُ الجمعَ للمجازاة يوم القيامة] ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في الجمع ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ قدرةَ الله على البعث لإعراضهم عن التفكر في الدلائل.

٢٧- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فلا يعجزه شيء من البعث وغيره] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [أي يَهلِكُ ويظهرُ له ضَياعُ سَعيه في عبادة غير الله].

٢٨- ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ﴾ جالسةً على الرُّكَب، وقيل: جاثيةً: مجتمعةً ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ إلى صحائف أعمالها فيقال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ في الدنيا.

٢٩- ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ أضيف الكتاب إليهم لأن أعمالَهم مثبتةٌ فيه، وإلى الله تعالى لأنه مالكُه والآمرُ ملائكتَه أن يكتبوا فيه أعمالَ عباده ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾ يشهد عليكم بما عَمِلتم ﴿بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ من غير زيادة ولا نُقصان ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ نستكتبُ الملائكةَ أعمالَكم، وليس ذلك بنقلٍ من كتاب، بل معناه نُثبت.

٣٠- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾ جنَّتِه، [سمّاها رحمةً لأنها تُنال برحمته] ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ [أي: الفلاح الظاهر].

٣١- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فيقال لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ألم يأتكم رُسُلي فلم تَكُنْ ءاياتي تُتلَى عليكم ﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ كافرين.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾

٣٢- ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالجزاء ﴿حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [أي: القيامةُ لا شَكَّ فيها] ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أَيُّ شيءٍ الساعةُ؟ ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ [ما نظنُّ ذلك إلا ظنًّا] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [بذلك].

٣٣- ﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ وظهرَ لهؤلاء الكفار ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ قبائحُ أعمالِهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ونزلَ بهم جزاءُ استهزائهم، [أو العذاب الذي كانوا يوعَدون به فلا يُصدِّقونه ويستهزؤون بقائله، ويقولون متى هذا الوعد؟!].

٣٤- ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي نتركُكم في العذاب كما تركتُم عُدَّةَ لقاءِ يومِكم هذا، وهي الطاعةُ ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي منزلُكم ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [أي: مانعين عنكم العذاب].

٣٥- ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذابُ ﴿بِأَنَّكُمُ﴾ بسبب أنكم ﴿ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [سُخْرِيًّا تسخرون منها] ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [خَدَعَتكم زينة الحياة الدنيا فآثرتموها على العمل لِمَا ينجيكم اليوم من عذاب الله] ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [من النار] ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ولا يُطلب منهم [أن يُرضوا ربَّهم بالتوبة والطاعة لأنها لا تُقبل منهم يومئذ، إذ هم في دار الجزاء].

٣٦- ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أي فاحمَدوا الله الذي هو ربكم وربُّ كلِّ شيء من السماوات والأرض

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

والعالمين[1]، فإنَّ مثلَ هذه الربوبيةِ العامةِ تُوجبُ الحمدَ والثناءَ على كل مَربُوب.

٣٧- ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ [العَظَمةُ] ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ وكَبِّروه فقد ظهرت ءاثارُ عظمتهِ في السماوات والأرض ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ في أحكامه.

---

(١) أي بقيةِ الخلق لأن العالمينَ يشمَلُ العالمَ كله، هذا من عطف العام على الخاص.

سورة الأحقاف
مكية وهي خمس وثلاثون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ
إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ٣ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١-٣- ﴿حمٓ ١﴾ [تقدَّم الكلام في ﴿حمٓ﴾ في أول سورة غافر] ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [هذا تنزيلُ القرءان من عند الله ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ في انتقامه، ﴿ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ في تدبير أمور خلقه] ﴿مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ مُلتبسًا بالحكمة ﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ وبتقدير أجلٍ مُسَمًّى ينتهي إليه، وهو يومُ القيامة، [وهو مسمًّى معلومٌ عنده وإن أخفاهُ على خلقه] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ﴾ عما أُنذروه من هول ذلك اليوم الذي لا بُدَّ لكل مخلوق من انتهائه إليه ﴿مُعۡرِضُونَ ٣﴾ لا يؤمنون به ولا يَهتمُّون بالاستعداد له.

٤- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم﴾ [يا محمد لهؤلاء المشركين] أخبِروني ﴿مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تعبدونه من الأصنام ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أَيَّ شيء خلقوا مما في الأرض إن كانوا ءالهة؟! ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ﴾ شِركَةٌ مع الله في خلق السماوات والأرض ﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ﴾ مِن قبل هذا الكتاب، وهو القرءانُ، يعني أن هذا الكتابَ ناطقٌ بالتوحيد

﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ٧﴾

وإبطال الشرك، وما من كتاب أُنزلَ من قَبله من كُتب الله إلا وهو ناطقٌ بمثلِ ذلك، فأتوا بكتاب واحد مُنزلٍ من قَبلِه شاهدٍ بصحة ما أنتم عليه مِن عبادةِ غيرِ الله ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ أو بَقيةٍ مِن عِلمٍ بقيت عليكم من علومِ الأَولين ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤﴾ أن الله أَمركم بعبادة الأوثان.

٥- ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ معنى الاستفهام في ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ﴾ إنكارُ أن يكون في الضُّلَّال كلِّهم مَن هو أبلغُ ضلالًا من عَبَدَةِ الأوثان، حيث يتركون دعاءَ السميع المجيب القادر على كل شيء ويَدْعُون مِن دونه جمادًا لا يستجيب لهم، ولا قدرةَ له على استجابةِ أحدٍ منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامةُ ﴿وَهُمۡ﴾ [أي: الأصنامُ المعبودون] ﴿عَن دُعَآئِهِمۡ﴾ [عن دعاء عابديهم] ﴿غَٰفِلُونَ ٥﴾ [لأنهم جمادٌ، لا يسمعون ولا ينطقون ولا يعقلون].

٦- ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ أي الأصنامُ لِعَبَدَتِها ﴿وَكَانُواْ﴾ أي الأصنامُ ﴿بِعِبَادَتِهِمۡ﴾ بعبادة عَبَدَتهم ﴿كَٰفِرِينَ ٦﴾ يقولون: ما دَعَوناهم إلى عبادتنا.

٧- ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ جَمعُ بينةٍ وهي الحُجة والشاهد، أو واضحاتٍ مُبَيَّنات ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ﴾ المرادُ بالحق الآياتُ، وبالذين كفروا المَتلوُّ عليهم ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ بادَهُوه[1] بالجحود ساعةَ أتاهم وأولَ ما سمعوه من غير إجالةِ فِكر ولا إعادةِ نظر ﴿هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ٧﴾ ظاهرٌ أَمرُهُ في البطلان لا شُبهةَ فيه.

(١) بادَهُوه: فاجأوه.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٩﴾﴾

٨- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ إضرابٌ عن ذِكرِ تسميتهم الآيات سحرًا إلى ذِكرِ قولِهم: إن محمدًا افتراه أي اختلقَه وأضافَه إلى الله كذبًا ﴿قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ﴾ أي إن افتريتُه على سبيل الفَرْضِ عاجَلَني اللهُ بعقوبة الافتراءِ عليه، فلا تقدرون على كَفِّهِ عن معاجَلَتي ولا تُطيقون دفعَ شيء من عقابه، فكيف أَفتريهِ وأتعرَّضُ لعقابه؟! ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ﴾ تندفعون فيه منَ القَدْحِ في وَحيِ الله والطعن في ءاياته وتسميتِه سحرًا تارةً وفِرْيَةً أخرى ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ، ويشهَدُ عليكم بالجحود والإنكار، ومعنى ذِكرِ العِلمِ والشهادة وعيدٌ بجزاء إفاضتهم ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ مَوْعِدَةٌ بالغفران والرحمة إن تابوا عن الكفر وءامنوا.

٩- ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا[1] مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ المعنى: إني لستُ بأوّل مُرسَل فتُنكروا نبوّتي ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ ما يَفعلُ اللهُ بي وبكم فيما يُستقبلُ من الزمان، [قيل: في الدارين، أي على التفصيل، إذ لا عِلمَ لي بالغيب، وقيل: في الدنيا، وقد كان في الأنبياء مَن يَسلم من المِحَن، ومنهم مَن يُمتحن بالهجرة عن الوطن، ومنهم من يُبتلى بأنواع الفتن، والأمم منهم مَن أُهلك بالخسف ومنهم مَن كان هلاكه بالقذف، وكذا بالمسخ والرَّجف، والريح والصيحة والغرق ونحو ذلك] ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [لا أتجاوزه] ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ﴾ [من عقاب الله] ﴿مُّبِينٞ ﴿٩﴾﴾ [بَيِّنُ الإنذار بالشواهد المبيّنة، والمعجزات المصدِّقة].

---

(١) البِدْعُ والبديعُ في الأشياء: ما لم يُرَ مثله.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

١٠- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ القرءانُ ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو عبدُ الله بنُ سلام عند الجمهور، ولهذا قيل: إن هذه الآية مدنية، لأن إسلامَ ابنِ سلام بالمدينة. روي أنه لَمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ نظرَ إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجهِ كذّابٍ، قال له: إني سائلُكَ عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبيٌّ: ما أَولُ أشراطِ الساعة، وما أولُ طعامٍ يأكله أَهلُ الجنة، وما بالُ الولد يَنزِعُ إلى أبيه أو إلى أُمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أَمّا أولُ أشراطِ الساعة فنارٌ تحشُرهُمْ منَ المشرقِ إلى المغربِ، وأما أولُ طعامٍ يأكلُهُ أهلُ الجنةِ فزيادةُ كبد حوتٍ، وأما الولدُ فإذا سبقَ ماءُ الرجُلِ نزعَهُ وإنْ سبقَ ماءُ المرأَةِ نزعتْهُ**»، فقال: أشهد أنك رسول الله حقًّا، ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ الضمير للقرءان، أي: على مِثله في المعنى، وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرءان من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشاهدُ ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان به، وجواب الشرط محذوفٌ تقديرُه: إن كان القرءان من عند الله وكفرتُم به ألستُم ظالمين؟ ويدلُّ على هذا المحذوفِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ المعنى: قل أخبِروني إن اجتمع كون القرءان من عند الله مع كفركم به، واجتمع شهادةُ أعلم بني إسرائيل على نزول مثله، فإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به، ألستم أضلَّ الناس وأظلمَهم؟

١١- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي لأجلهم، وهو كلامُ كفارِ مكةَ قالوا: عامَّةُ مَن يَتَّبعُ محمدًا السُّقّاطُ[١]، يعنون الفقراءَ مثلَ عمّارٍ

---

(١) جمعُ ساقطٍ، وهو الذي لا يُعبأُ به.

﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ
كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةًۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ
لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾

وصُهيبٍ وابنِ مَسعود ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ﴾ لو كان ما جاءَ به محمدٌ خيرًا ما سبَقَنا إليه هؤلاء ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ [أي: ولمَّا لم يُصيبوا الهدى بالقرءان ولا بِمَن جاء به عادوه و]ظهرَ عنادُهم ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ أي كَذِبٌ متقادِم، كقولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنعام].

١٢- ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرءانِ ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي التوراةُ ﴿إِمَامًا﴾ قُدوةً يؤتَمُّ به في دينِ الله وشرائعه كما يؤتَمُّ بالإمام ﴿وَرَحْمَةًۚ﴾ لِمَن ءامنَ به وعمل بما فيه ﴿وَهَٰذَا﴾ القرءانُ ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ لكتابِ موسى، ولِمَا بينَ يديه وتقدَّمه من جميع الكتب ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [أي: هو بلسانٍ عربي لا يُشكِلُ على هؤلاء] ﴿لِّيُنذِرَ﴾ أي الكتابُ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ للمؤمنين المُطيعين.

١٣- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ على توحيد الله وشريعة نبيه محمد ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ عند الموت.

١٤- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [ثوابًا مِنَّا لهم ءاتيناهم ذلك على أعمالهم الصالحة التي كانوا في الدنيا يعملونها].

١٥- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ﴾ وصَّيناهُ بأن يُحسن بوالديه إحسانًا، [والإحسانُ: خلاف الإساءة، والتوصيةُ: الأمرُ] ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ﴾ الكُرْهُ بمعنى المَشَقَّة ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ ومُدَّةُ حملِه

﴿ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾

وفِطامه ﴿ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ وفيه دليل على أن أَقلَّ مُدةِ الحَمْل ستةُ أشهرٍ، لأن مدةَ الرَّضاع إذا كانت حولَين لقوله تعالى: ﴿حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ﴾ بقيت للحمل ستة أشهر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ بلوغُ الأَشُدِّ: أن يكتهلَ[1] ويَستوفيَ السِّنَّ التي تَستحكِمُ فيها قوتُه وعقلُه، وذلك إذا أَناف[2] على الثلاثين وناطحَ الأربعين[3] ﴿وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ ألهِمني ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ المرادُ به نعمةُ التوحيد والإسلام، وجمَعَ بين شُكرَي النعمةِ عليه وعلى والديه، لأن النعمةَ عليهما نعمةٌ عليه ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ قيل: هي الصلوات الخمس ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾ أي اجعل ذُريَّتي موقِعًا للصلاح ومَظِنَّةً له ﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ من كل ذنب ﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾ من المخلِصين [المنقادين لدِينك وأمرك ونهيك].

١٦- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ كائنين في أصحاب الجنة ومعدودين فيهم ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ [أي: وعدناهم بذلك وعدًا صدقًا]، قيل: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفي أبيه أبي قُحافةَ وأُمه أُمّ الخير وفي أولاده واستجابةِ دعائه فيهم، فإنه ءامَنَ بالنبي ﷺ وهو ابنُ ثمانٍ وثلاثينَ سنةً، ودعا لهما وهو ابن أربعينَ سنةً، ولم يكن أحدٌ من الصحابة من المهاجرين

---

(١) أي: يصير كهلًا.
(٢) أناف: زادَ.
(٣) أي: استقبلَها وقَرُبَ منها.

﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

منهم والأنصار أَسلَمَ هو ووالداه وبَنُوهُ وبناتُه غيرَ أبي بكر رضي الله عنهم ﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

١٧- ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ﴾ هو الكافر العاقُّ لوالديه المكذِّبُ بالبعث ﴿أُفّٖ لَّكُمَآ﴾ وهو صوتٌ إذا صَوَّت به الإنسانُ عُلِمَ أنه مُتَضجِّر ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ أن أُبعثَ وأُخرجَ من الأرض ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ ولم يُبعثْ منهم أحدٌ ﴿وَهُمَا﴾ أبواه ﴿يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يقولان: الغِياثُ بالله منك ومن قولك، وهو استعظامٌ لقوله، ويقولان له ﴿وَيۡلَكَ﴾ دعاءٌ عليه بالثُّبور(١)، والمراد به الحثُّ والتحريض على الإيمان لا حقيقةُ الهلاك ﴿ءَامِنۡ﴾ بالله وبالبعث ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقّٞ﴾ صِدقٌ ﴿فَيَقُولُ﴾ لهما: ﴿مَا هَٰذَآ﴾ القولُ ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [أباطيلُ كتبها الأولون].

١٨- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ﴾ [أي: ثبتَ عليهم] ﴿ٱلۡقَوۡلُ﴾ [الوعيدُ] أي: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة هود] ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ في جُملة أُمم ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾ مَضَت ﴿مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [أي: هالكين].

١٩- ﴿وَلِكُلّٖ﴾ من الجنسين المذكورين الأبرارِ والفُجَّارِ ﴿دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ أي: منازلُ ومراتبُ من جزاء ما عملوا من الخير والشر وإنما قال ﴿دَرَجَٰتٞ﴾ - وقد جاءَ: الجنة درجاتٌ والنارُ دركاتٌ - على وجه التغليب ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [لا يُجازى المُسيء منهم

---

(١) الثُّبور: الهلاك.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

إلا عقوبةً على ذنبه، لا على ما لم يعملْ، ولا يُحمَّلُ عليه ذنب غيره، ولا يُبْخَسُ المُحسن منهم ثوابَ إحسانه].

٢٠- ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ عرضُهم على النار تعذيبُهم بها ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾ يقال لهم: أذهبتم ﴿طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا﴾ ما كُتِبَ لكم حظٌّ من الطيبات[1] إلا ما قد أصَبتموه في دنياكم وقد ذهبتُم به وأخذتموه، فلم يبقَ لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها، وعن عمر رضي الله عنه: لو شئتُ لكنت أطيبَكم طعامًا وأحسنَكم لباسًا، ولكني أستبقي طيباتي[2] ﴿وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ بالطيبات ﴿فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ أي: الهوانِ [والذُّلِّ] ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ تتكبرون [عن قبول الحق والانقياد لِمَا أُمرتم به] ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ باستكباركم وفسقكم.

---

(١) أي المستلذات من المأكول والمشروب وغير ذلك.

(٢) سيدنا عمر لمَّا ذهب إلى القدس ليصالح نصارى القدس، حاصر الصحابة القدس، أولئك سدُّوا الباب وشدُّوا على الصحابة فما استطاعوا أن يدخلوا، ثم قالوا: نريدُ أميرَكم، فأُبلغَ سيدُنا عمر رضي الله عنه فذهب وهو راكبُ الإبلَ ولابسٌ لباسًا ليس ذا هيأة، الناس قالوا له: يا أمير المؤمنين لو لبست غير هذا، فغيَّرَ لباسَه، ثم بعد وقت عاد إلى ما كان عليه قبل ذلك، وكان قوتُه الشعير والزيت والتمر، ثم لَمّا وصل إلى باب القدس قالوا هذا الذي نريده، لأنه كان مذكورًا في كتبهم صفته، فسلَّموا له، فوضعَ عليهم الجزيةَ وتركَهم، لو أراد أن يتنعم في المأكل والمشرب لاستطاع أن يأكل ألذَّ المأكل، ويلبسَ أجمل الثياب، هكذا أولياء الله، سيدنا سليمان نبي الله عليه السلام أعطاه اللهُ ملكًا لم يعطه لأحد من العالمين، وكان يأكل خبز الشعير مع اللبن الحامض، أما الناسُ فكان يذبح لهم كل يوم مائةَ ألفِ شاة، وثلاثين ألف بقرة، لأن جيشه كان كثيرًا، هكذا الأنبياء والأولياء لا يتنعمون.

﴿۞وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا
تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا
تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ
قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا
ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ﴾

٢١- ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾ أي: هودًا عليه السلام ﴿إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: وهو واد بين عُمَانَ ومَهْرَةَ[1] ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ مِن قَبل هود ومِن خَلف هود ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١﴾ المعنى: واذكر إنذارَ هودٍ قومَه عاقبةَ الشركِ والعذابَ العظيمَ، وقد أنذَرَ مَن تقدَّمه مَن الرسل ومَن تأخر عنه مثلَ ذلك.

٢٢- ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي قوم هود: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا﴾ لتَصرفَنا ﴿عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ عن عبادتها ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من مُعاجَلة العذاب على الشرك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢﴾ في وعيدك.

٢٣- ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ﴾ بوقت مجيء العذاب ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ولا علمَ لي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبُكم ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ أي: الذي هو شأني أن أُبلِّغَكم ما أرسلتُ به من الإنذار والتخويف ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣﴾ ولكنكم جاهلون لا تعلمونَ أن الرسُلَ بُعثوا منذِرين لا مقترِحين ولا سائلين غيرَ ما أُذِنَ لهم فيه.

٢٤- ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا﴾ العارضُ السحابُ الذي يَعْرِضُ في أُفُق السماء ﴿مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ رويَ أن المطرَ قد احتبسَ عنهم، فرأوا سحابة استقبلت أوديتَهم، فقالوا: هذا سحاب يأتينا بالمطر، وأظهروا لذلك فرحًا، قال هودٌ: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ﴾ من

(١) مَهْرَةُ وِزانُ تَمْرَةٍ: حيٌّ من قُضاعَةَ من عرب اليمن.

﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَٰرُهُمْ وَلَا أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾

العذاب، ثم فسَّره فقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٥- ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ تُهلك من نفوس عاد وأموالهم الجَمَّ الكثير، فعبَّرَ عن الكثرة بالكلية، [أي: كُلَّ شيء أُمِرَت بتدميره] ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ ربِّ الريح ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ لا يُرى شيء إلا مساكنهم. عن ابن عباس رضي الله عنهما: اعتزل هود عليه السلام ومَن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما تَلَذُّه الأنفسُ وإنها لتَمُرُّ من عاد بالظَّعن بين السماء والأرض[1] وتدمَغُهم بالحجارة ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ مثل ذلك نجزي مَن أَجرمَ مثلَ جُرمهم، وهو تحذير لمشركي العرب.

٢٦- ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ﴾ [أعطيناهم من القوة والغِنى والبسط في الأجسام والأموال] ﴿فِيمَا إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ فيما ما مَكَّناكم فيه، [أي: فيما لم نُمَكِّنكم في مثله، ثم هم لم يُمكنْهم التحرُّزُ عما أصبناهم به، فكيف أنتم؟!] ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ أي: ءالاتِ الدَّرْكِ والفَهم [ليعلموا بها بطلان الشرك] ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَٰرُهُمْ وَلَا أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: من شيء من الإغناء، وهو القليل منه ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم﴾ ونزل بهم ﴿مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ جزاءُ استهزائهم، وهذا تهديد لكفار مكة.

ثم زادهم تهديدًا بقوله:

---

(١) من شِدَّتها ترفعهم إلى ما بين السماء والأرض.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ﴾

٢٧- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾ يا أهلَ مكة ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ نحو حِجْرِ[١] ثمودَ وقرى قوم لوطٍ، والمراد أهلُ القرى، ولذلك قال: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ كرَّرنا عليهم الحُججَ وأنواعَ العِبَر لعلَّهم يرجعون عن الطغيان إلى الإيمان، فلم يرجعوا.

٢٨- ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾ فهَلَّا [منَعَ عن هؤلاء الذين أهلكناهم] ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأصنامُ التي اتخذوها من دون الله] ﴿قُرْبَانًا﴾ القربانُ ما تُقُرِّبَ به إلى الله تعالى، أي اتخذوهم شفعاءَ متقرَّبًا بهم إلى الله تعالى حيث قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴿١٨﴾﴾ [سورة يونس]، ﴿ءَالِهَةًۢ﴾ [أي: واتخذوهم ءالهةً لهم يعبدونها حيث قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [سورة الزمر] ﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ﴾ غابوا عن نصرتهم ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: وذلك أثَرُ إفكِهم الذي هو اتخاذهم إياها ءالهةً وثَمَرةُ شركِهم وافترائهم على الله الكذب.

٢٩- ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا﴾ أَمَلْناهم إليكَ وأَقبلْنا بهم نحوَك، والنَّفر دون العشرة ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جِنّ نَصِيبين ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ منه عليه الصلاة والسلام ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: الرسولَ ﷺ أو القرءانَ أي: كانوا منه بحيث يَسمعون ﴿قَالُوٓا۟﴾ قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُوا۟ۖ﴾ اسكتوا مستمعين.

رُوي أن الجن كانت تَسترِقُ السَّمْع، فلمّا حُرِسَتِ السماءُ [من ذلك ورُجموا بالشُّهُب، قالوا: ما هذا إلا لِنَبأ حدثَ، فنهضَ سبعةُ نَفرٍ أو

---

(١) يريد أصحاب الحِجْرِ كما في الآية ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الحجر].

﴿فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ
بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ
بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

تسعةٌ من أشراف جِنِّ نَصِيبين أو نِينوَىٰ منهم زَوْبَعَةُ[١]، فضربوا[٢] حتى بلغوا تِهامةَ، ثم اندفعوا[٣] إلى وادي نخلةَ[٤]، فوافَوا رسولَ الله ﷺ وهو قائم في جوف الليل يُصلي أو في صلاة الفجر، فاستمعوا لقراءته ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ فَرَغَ النبيُّ ﷺ من القراءة ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ إياهم، [أي: فَهِموا وحفظوا ورجعوا فأنذروا قومَهم مخالفةَ القرءان].

٣٠- ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ وإنما قالوا ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ لأنهم كانوا على اليهودية ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [لِمَا تقدَّمه] من الكتب ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ إلى الله تعالى ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [من الشرائع].

٣١- ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ محمدًا ﷺ ﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [فالجنّ] لهم الثواب والعقاب [يوم القيامة، ويُثابون كما يُثابُ البشر على الحسنات]. عن الضَّحَّاك: أنهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون.

٣٢- ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لا يُنْجِي منه مَهْرَب ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ [يتولَّون مَعُونتَه] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [بَيِّنٍ ظاهر].

---

(١) زَوْبَعَةُ: رئيس من رؤساء الجن.
(٢) أي: سافروا.
(٣) أي: أسرعوا في سيرهم.
(٤) موضع بين مكة والطائف.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ
ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ
قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ
ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ
يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

٣٣- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ هو كقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة ق]، [أي: لم يتعب ولم يَعجِز] ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ كأنه قيل: أليس الله بقادر ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ﴾ هو جواب للنفي، [فإنه إذا قدر على الإنشاء قدر على الإعادة] ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ من البعث وغيره.

٣٤- ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ العذابُ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [أي كنتم تُكذِّبون بأنكم تُعذَّبون، والمعنى توبيخهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده] ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ [تصديق حيث لا ينفع في دفع شيء من العذاب عنهم] ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ بكفركم في الدنيا.

٣٥- ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ أُولو الجِدِّ والثبات والصبر ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (مِن) للتبعيض، والمراد بأُولي العزم ما ذُكِرَ في الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴿٧﴾﴾ أو للبيان فيكون ﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ صفة الرسل كلهم ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ﴾ لكفار قريش بالعذاب أي لا تَدْعُ لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالةَ وإن تأخر ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ﴾ أي: أنهم يستقصرونَ حينئذ مُدةَ لُبثهم في الدنيا حتى يَحسَبوها ساعةً من نهار ﴿بَلَٰغٌۚ﴾ هذا بلاغ، أي هذا الذي وُعظتم به كفايةٌ في المَوعظة ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ هلاكَ عذابٍ، والمعنى: فلن يُهلَكَ بعذاب الله ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ المشركون الخارجون عن الاتِّعاظ به والعمل بموجبه؟!

سورة محمد ﷺ
وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية وهي ثمان وثلاثون ءاية أو تسع وثلاثون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام، أو صدُّوا غيرَهم عنه ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾﴾ أبطلَها وأحبطَها، وحقيقَتُه: جعلَها ضالةً ضائعةً ليس لها مَنْ يتقبَّلُها ويُثيبُ عليها، وأعمالُهم ما عَمِلوه في كُفرِهم مِنْ صلةِ الأرحام وإطعام الطعام وعِمارةِ المسجدِ الحرامِ، أو ما عَمِلوه مِنَ الكيدِ لرسولِ الله ﷺ والصَّدِّ عن سبيلِ الله.

٢- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هم ناسٌ مِنْ قريشٍ، أو مِنَ الأنصارِ، أو من أهلِ الكتابِ، أو عام ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ وهو القرءانُ، وتخصيصُ الإيمانِ بالمنزَلِ على رسولِه من بين ما يجب الإيمان به لتعظيم شأنه ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أي: القرءان ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ سَتَر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾ أي: حالَهم وشأنَهم بالتوفيق في أمور الدين، وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾

٣- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْۚ﴾ أي: ذلك الأمرُ - وهو إضلالُ أعمالِ أحدِ الفريقين، وتكفيرُ سيئاتِ الثاني، والإصلاحُ - كائنٌ بسبب اتّباع هؤلاء الباطلَ وهو الشيطانُ، وهؤلاء الحقَّ وهو القرءانُ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مِثلَ ذلك الضَّرْبِ ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ﴾ يُبيّنُ اللهُ ﴿لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ يَضربُ أمثالَهم لأجل الناس ليعتبروا بهم، وقد جُعل الإضلالُ مَثَلًا لخَيبة الكفار، وتكفيرُ السيئات مَثلًا لفوز الأبرار.

٤- ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [في] الحرب ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ فاضربوا الرقاب ضربًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتُم فيهم القتلَ، [وقهرتم مَن لم تضربوا عنقه منهم] ﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ فشُدّوا وَثَاقَ الأسرى حتى لا يُفلِتوا منكم ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾ بعد أن تأسِروهم ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ فإما تَمُنُّون مَنًّا[1]، وإما تَفدُون فداءً، والمعنى التخيير بين الأمرين بعد الأسر بين أن يَمُنُّوا عليهم فيُطلقوهم وبين أن يُفادوهم، والمرادُ بالفِداء أن يُفادى بأُساراهم أُسارى المسلمين ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَاۚ﴾ أثقالَها وءالاتِها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكُراع[2]، وقيل: أوزارَها ءاثامَها، يعني حتى يترك أهلُ الحرب - وهم المشركون - شركَهم بأن يُسلموا، و﴿حَتَّىٰ﴾ لا يخلو من أن يتعلق بالضرب والشدِّ، أو بالمنِّ والفِداء، فالمعنى على كلا المتعلَّقين عند الشافعي رحمه الله أنهم لا يزالون على ذلك أبدًا إلى ألَّا يكون حرب مع المشركين، وذلك إذا لم يبقَ لهم شوكة[3] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ ذلك ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ لانتقم منهم بغير قتال

---

(١) المَنُّ: الإحسانُ والإنعام.
(٢) الكُراعُ: السلاحُ، وقيل: هو اسمٌ يَجمع الخيلَ والسلاحَ.
(٣) أي: قوّة.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ
بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ
أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾﴾

ببعض أسباب الهلاك كالخَسف أو الرَّجفة أو غير ذلك ﴿وَلَٰكِن﴾ أَمَرَكم بالقتال ﴿لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ﴾ أي: المؤمنين بالكافرين، تمحيصًا[(١)] للمؤمنين، وتمحيقًا[(٢)] للكافرين ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾ [فلن يُبطل اللهُ أعمالَهم كما أَضلَّ أعمالَ الكفار، بل يثيبهُم عليها أعظم الثواب].

٥- ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى طريق الجنة [في الآخرة] ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾ [شأنهم، وقيل: لا يُخطر ببالهم فيها إلا ما يفرحون به].

٦- ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ عرَّفَهم مساكنَهم فيها حتى لا يحتاجون أن يسألوا، [رُوِيَ: إن أحدهم لأعرفُ بمنازله في الآخرة منه بمنازله في الدنيا[(٣)]]، أو طَيَّبها لهم من العَرْفِ وهو طِيب الرائحة.

٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: دينَ الله ورسولهِ ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عدوكم ويَفتحْ لكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ في مواطن الحرب أو على مَحجَّةِ[(٤)] الإسلام.

٨- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ [أي: هلاكًا وخيبةً] ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾﴾ يريد في الدنيا القتلَ، وفي الآخرة التردّي في النار.

---

(١) التمحيصُ: الاختبارُ والابتلاء.
(٢) المَحقُ: النقصُ والمحو والإبطال، والمحق: أن يذهب الشيء كلُّه حتى لا يُرى منه شيء.
(٣) صَحَّ في البخاري أن النبي ﷺ قال: «**فوالذي نفس محمد بيده لأَحدُهم أهدى بمنزِله في الجنة مِنْهُ بمنزِلِه كان في الدنيا**».
(٤) المَحَجَّةُ: الطريق.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩ ۞أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ
ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ
أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾

٩- ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّعْسُ والضلال ﴿بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي: القرءانَ [المشتملَ على التكاليف] ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩﴾ [وكُرر ذكرُ إضلالِ العمل وإحباطِ العمل ليكونوا كلما ذُكروا يتصل ذكرهم بالذم والتحقير والإخبار بسوء الحال عند الله؛ كالمعهود في ذِكر الأخيار، كلما أُعيدَ ذكرهم وُصلَ به رحمةُ الله، وفي حَقّ الصحابة رضي الله عنهم، وفي حَقّ النبي ﷺ].

١٠- ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: كفارَ مكةَ ﴿فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أهلكهم هلاكَ استئصال ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ ولمشركي قريش ﴿أَمۡثَٰلُهَا ١٠﴾ أمثالُ تلك الهَلَكة، لأن التدمير يدل عليها.

١١- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نصرُ المؤمنين، وسوءُ عاقبة الكافرين ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَلِيُّهم وناصرهم ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾ لا ناصرَ لهم، فالله مولى العباد جميعًا من جهة الاختراع ومِلكِ التصرف فيهم، ومولى المؤمنين خاصةً من جهة النصرة.

١٢- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أيامًا قلائلَ ﴿وَيَأۡكُلُونَ﴾ غافلين غيرَ متفكرين في العاقبة ﴿كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ في معالفها ومسارحها غافلةً عما هي بصدده من النحر والذبح ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ منزلٌ ومُقامٌ.

١٣- ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أي: وكم من قرية، وأراد بالقرية أهلَها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ أي: وكم من قوم هم أَشدُّ قوة من

﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ⑬ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ⑭ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ⑮﴾

قومك الذين أخرجوك، أي كانوا سببَ خروجك ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ⑬﴾ فلم يكن لهم مَن ينصرُهم ويدفعُ العذاب عنهم.

١٤- ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ على حُجَّة مِن عندِه وبرهان، وهو القرءانُ المعجِزُ وسائرُ المعجزات، يعني رسولَ الله ﷺ ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ هم أهلُ مكة الذين زَيَّنَ لهم الشيطانُ شركَهم وعداوتَهم لله ورسوله ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ⑭﴾ [في عبادة الأوثان؟! أي: لا مماثلة بينهما].

١٥- ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ صفةُ الجنة العجيبةِ الشأن ﴿ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ عن الشرك ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ غيرِ متغير اللون والريح والطعم [كما يتغير ماءُ الدنيا لِعارض، كطول المُكث] ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ كما تتغير ألبان الدنيا إلى الحموضة وغيرها ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ﴾ [لذيذةٍ] ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ أي: ما هو إلا التلذذُ الخالص، ليس معه ذهابُ عقل، ولا خُمَارٌ[1]، ولا صُداعٌ، ولا ءافةٌ من ءافاتِ الخمر ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ لم يخرج من بطون النحل فيُخالِطَه الشمعُ وغيرُه ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [من كل أصنافها يأكلون منها ما يشاؤون] ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [وعفوٌ من الله تعالى لهم عن ذنوبهم التي أذنبوها في الدنيا ثم تابوا منها وصفحٌ عن العقوبة عليها] ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ والتقدير: أَمَثَلُ [مَن هو صائرٌ إلى الجنة التي صفتها ما وَصَفنا وهو خالدٌ فيها] كمثل مَن هو خالد في النار؟! [ومعناه النفي والإنكار] ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ حارًّا في النهاية ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ⑮﴾ [فخرجت من أدبارهم].

---

(١) الخُمارُ: الصُّداعُ، وقيل: بقيَّةُ السُّكر.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةًۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾

١٦- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ﴾ هم المنافقون، كانوا يحضرون مجلسَ رسولِ الله ﷺ فيسمعون كلامَه ولا يَعُونَه ولا يُلقونَ له بالًا تهاونًا منهم، فإذا خرجوا قالوا لأُولي العلم من الصحابة: ماذا قال الساعة؟ على جهة الاستهزاء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [خَتَمَ اللهُ على قلوبهم فهم لا يهتدون للحق] ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [اتَّبعوا ما دعتهم إليه أنفسُهم، فهم لا يرجعون مما هم عليه إلى حقيقة أو برهان].

١٧- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ﴾ بالإيمان واستماع القرءان ﴿زَادَهُمْ﴾ اللهُ ﴿هُدًى﴾ عِلمًا وبَصيرة، أو شَرْحَ صدر ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ أعانَهم عليها، أو ءاتاهم جزاء تقواهم.

١٨- ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةًۖ﴾ فجأةً [أي: ما ينتظرُ هؤلاء بتأخيرهم الإيمانَ إلا الساعةَ، فإن كانوا ينتظرونها فهي لا تأتيهم إلا فجأة، فإن أتتهم فجأة لم يُغنِ الإيمانُ حينئذٍ، وإن أرادوا الإيمان عند دُنوِّها لينفعهم فهذا وقتُه] ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ﴾ علاماتُها، وهو مَبعثُ محمد ﷺ وانشقاقُ القمر والدخانُ(١)، وقيل: قطعُ الأرحام، وقِلَّةُ الكِرام، وكثرةُ اللئام ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [فكيف ومن أين لهم الخلاص إذا تذكروا ما كانوا يُخبرون به فيكذِّبون به، أي لا ينفعهم وقد جاءتهم الساعة].

---

(١) المرادُ به الدخانُ الوارد في حم الدخان في قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الدخان].

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ
وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ
فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ
ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾

١٩- ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ فاثبُتْ على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله، وعلى التواضع، وهَضْم النفس، باستغفار ذنبك وذنوب مَن على دينك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾ في معايشكم ومتاجركم ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ ويعلم حيثُ تستقرون من منازلكم، أو ﴿مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾ في حياتكم ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ في القبور، أو ﴿مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾ في أعمالكم ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ في الجنة والنار، [وهو] حَقيقٌ بأن يُتَّقَى ويُخشى وأن يستغفرَ، وسُئل سفيان بن عُيينةَ عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ فأمَرَ بالعَمل بعد العِلم.

٢٠- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ﴾ فيها ذِكرُ الجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ﴾ في معنى الجهاد ﴿مُّحۡكَمَةٞ﴾ مُبيَّنةٌ غيرُ متشابهة لا تحتملُ وجهًا إلا وجوبَ القتال ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ﴾ أُمِرَ فيها بالجهاد ﴿رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ نِفاقٌ، أي رأيتَ المنافقين فيما بينهم يَضجرون منها ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ تَشخَصُ[1] أبصارُهم جُبنًا وجزَعًا [كما ينظر مَن يُغمَى عليه من حضور أسباب الموت، أو مِن خوف الموت في القتال] ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٠﴾﴾ وعيدٌ بمعنى فَوَيلٌ لهم، ومعناه الدعاءُ عليهم بأن يَلِيَهم المكروه.

٢١- ﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾ كلامٌ مستأنفٌ، أي: طاعةٌ وقول معروف

---

(١) شُخوصُ البصر: ارتفاعُ الأجفان إلى فوقُ وتحديدُ النظر وانزعاجُه، وشَخَصَ بَصَرُ فلانٍ: إذا فتحَ عينيهِ وجعلَ لا يَطْرِف.

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾

خيرٌ لهم، [أي أولَى لهؤلاء الذين في قلوبهم مرض أن يطيعوا ويقولوا قولًا موافقًا للشرع] ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ فإذا جَدَّ الأمرُ ولزمهم فرضُ القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة والحِرصِ على الجهاد كما زعموا ﴿لَكَانَ﴾ الصدقُ ﴿خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ من كراهة الجهاد.

ثم التفتَ من الغَيبة إلى الخطاب لضَربٍ من التوبيخ والإرهاب فقال:

٢٢- ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ أي فلعلكم إن أعرضتم عن دين رسول الله ﷺ وسُنَّته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتغاور[١] والتناهب وقطع الأرحام ووأد البنات.

٢٣- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدَهم عن رحمته ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع المَوْعظة ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ عن إبصار طريق الهدى.

٢٤- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيعرفوا ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيدِ العصاة حتى لا يَجسُروا[٢] على المعاصي، [وهو استفهام توبيخ] ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ بمعنى: بل قلوبُهم مُقفَلة لا يَتوصل إليها ذِكرٌ، والمراد قلوبُ المنافقين.

٢٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾

---

(١) التغاوُر: إغارةُ بعضهم على بعض.
(٢) جَسَرَ: تجرَّأ وأقدمَ.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ
سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ۝٢٦ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ
وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ۝٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ
أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٢٨ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ۝٢٩ وَلَوۡ نَشَآءُ
لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾

أي: المنافقون رجعوا إلى الكفر سرًّا بعد وضوح الحق لهم، [قال ابن عباس وغيره: نزلت في منافقين كانوا أسلموا ثم ماتت قلوبهم. والآية تتناوَلُ كلَّ مَن دخل في ضمن لفظها] ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ﴾ زَيَّنَ ﴿لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٥﴾ ومَدَّ لهم في الآمال والأمانيّ.

٢٦- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ أي: المنافقون قالوا لليهود، [أو لمشركي مكة، أو هو قول اليهود والمنافقين لمشركي مكة]: ﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ أي: عداوةِ محمدٍ والقُعودِ عن نُصرَته ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ۝٢٦﴾ [قالوا ذلك سرًّا فأفشاه الله عليهم].

٢٧- ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فكيف يعملون وما حِيلتُهم [إذا جاءتهم الملائكة فقبضت أرواحهم وهم] ﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ۝٢٧﴾ [والأدبار: الأعجاز].

٢٨- ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى التوفي الموصوف ﴿بِأَنَّهُمُ﴾ بسبب أنهم ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ مِن مُعاونةِ الكافرين ﴿وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ مِن نُصرة المؤمنين ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٢٨﴾ [فأبطل الله ثواب أعمالهم لأنها عُملت في غير رضاه ولا محبته، فلم تنفع عاملها].

٢٩- ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ۝٢٩﴾ أَحقادَهم، والمعنى: أَظَنَّ المنافقون أن الله تعالى لا يُبرِزُ بغضَهم وعداوتَهم للمؤمنين؟!

٣٠- ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ﴾ لعرَّفناكَهم ﴿فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾

﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٠ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ
وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ۝٣١ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٣٢ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٣﴾

بعلامتهم، وهو أن يَسِمَهمُ الله تعالى بعلامة يُعلمون بها ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ في نحوه وأسلوبه من فحوى كلامهم، لأنهم كانوا لا يَقدرونَ على كتمان ما في أنفسهم [فيُميلونه إلى جهةِ تعريض وتورية، كانوا يصطلحون بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسولَ مما ظاهره حَسَنٌ ويعنون به القبيح] ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٠﴾ فيميزُ خيرَها من شَرِّها [فيجازيكم على حسب ذلك].

٣١- ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ [ولَنَختبرنكم] بالقتال إعلامًا لا استعلامًا[1]، أو نعاملكم معاملةَ المختبِر ليكون أبلغ في إظهار العدل ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الجهاد، أي نعلمَ كائنًا ما علمنا أنه سيكون، [أو ليظهر منكم ما سبق في علمنا حصولُه منكم] ﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ۝٣١﴾ [ونكشفَ] أسرارَكم.

٣٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ وعادَوْه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ من بعد ما ظهر لهم أنه الحق وعرفوا الرسول ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٣٢﴾ التي عملوها في مُشاقَّةِ الرسول، أي سيبطلُها فلا يَصلون منها إلى أغراضهم.

٣٣- ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٣﴾ بالنفاق أو بالرياء.

---

(١) لِيَظهرَ لنا ما علمَ الله تعالى في الأزل وجودَه منا، وليس لِيعلَمَ ما لم يكن عَلِمَه، فالله تعالى لا تخفى عليه خافية وعِلمُه شامل لجميع الكائنات لا يزيد ولا ينقص.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴿٣٦﴾ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾

٣٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾﴾ قيل: هم أصحاب القَلِيب[1]، والظاهرُ العمومُ.

٣٥- ﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ فلا تَضعُفوا ولا تَذِلُّوا للعدو ﴿وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ﴾ ولا تدعوا الكفارَ إلى الصلح ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ أي: الأغلبون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ بالنُّصرة، أي ناصرُكم ﴿وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾﴾ ولن يَنْقُصَكم أَجرَ أعمالِكم.

٣٦- ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ﴾ تنقطعُ في أسرع مدة ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ﴾ بالله ورسوله ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الشرك ﴿يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ﴾ ثوابَ إيمانِكم وتقواكم ﴿وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴿٣٦﴾﴾ لا يسألْكم جميعَها بل ربعَ العُشر، وقال سفيان بن عيينة: غيضًا من فيضٍ، [فَطِيبوا به أنفسًا].

٣٧- ﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ﴾ [إن] يَجْهَدْكم ويَطلُبْه كلَّه ﴿تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ﴾ أي: الله، أو البُخلُ ﴿أَضۡغَٰنَكُمۡ ﴿٣٧﴾﴾ [ما في قلوبكم من الحقد والكراهية] عند الامتناع، أو عند سؤال الجميع، لأنه عند مسألة المال تظهرُ العداوة والحقد.

٣٨- ﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾ ها للتنبيه ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ﴾ أنتم الذين تُدْعَون ﴿لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هي النفقةُ في الغزو، أو الزكاةُ، كأنه قيل: الدليل على أنه لو أَحْفاكم[2] لَبَخِلتُم وكرهتم العطاءَ أنكم تُدعَونَ إلى

---

(١) قليبُ بدر: هي البئر التي رُمي فيها زعماءُ قريش المشركين الذين قتلوا في وقعة بدر الكبرى.

(٢) أحفاكم: طلبَ منكم كُلَّ أموالكم.

﴿فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾

أداء رُبع العُشر ﴿فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ﴾ فمنكم ناسٌ يَبخلون به ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ﴾ بالصدقة وأداء الفريضة ﴿فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ [أي: على نفسه، فإن ضررَه على نفسه، والحِرمانَ راجعٌ إليه] ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ أي: أنه لا يأمرُ بذلك لحاجته إليه، لأنه غني عن الحاجات، ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ وإن تُعرِضوا أيها العربُ عن طاعته وطاعة رسوله والإنفاق في سبيله ﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ يَخلُقْ قومًا خيرًا منكم وأطوعَ ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ ثم لا يكونوا في الطاعة أمثالَكم بل أطوع منكم [يطيعون الله ورسوله، ويجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم].

سورة الفتح
مدنية وهي تسع وعشرون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١﴾ الفتحُ: الظَّفَرُ بالبلد عَنْوةً[1] أو صلحًا، بحرب أو بغير حرب، لأنه مُنغلقٌ ما لم يُظفرْ به، فإذا ظُفِرَ به فقد فُتح، ثم قيل: هو فتحُ مكةَ، وقد نزلت مرجعَ رسولِ الله ﷺ عن مكةَ عامَ الحُدَيبيةِ عِدَةً له بالفتح، وجيء به على لفظ الماضي لأنها في تحقُّقها بمنزلة الكائنة، وفي ذلك من الفخامة والدِّلالة على عُلوِّ شأن المُخبَرِ عنه ما لا يخفى.

٢- ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ التقدير: إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا فاستغفرْ ليغفرَ لك اللهُ، أو لنجمع لك بين عِزِّ الدارين، وأغراض العاجل والآجل ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ يريدُ جميعَ ما فَرَطَ منك ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ بإعلاء دينك وفتح البلاد على يدك ﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢﴾ ويُثبِّتَك على الدين المَرْضيّ.

٣- ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣﴾ قويًّا منيعًا لا ذُلَّ بعدَه أبدًا.

---

(١) أي: قهرًا.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾

٤-٦- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ أنزل اللهُ في قلوبهم السكونَ والطُّمأنينة [يومَ صدَّهم المشركون عن دخول مكةَ] بسبب الصلح ليزدادوا يقينًا إلى يقينهم، وقيل: السكينةُ: الصبرُ على ما أمرَ الله، والثقةُ بوعد الله، والتعظيم لأمر الله ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [أي: ولو أراد الله إهلاك المشركين الصادِّينَ رسولَ الله والمؤمنينَ عن البيت لم يُعجزه ذلك] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [فيما يفعله بهم وبكم] ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ﴾ [ليكون ازديادُ تصديقهم ويقينهم سببًا لإدخالهم الجنة وتكفير سيئاتهم] ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [في حكم الله، وقيل: في الآخرة] ﴿فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾ [ظَفَرًا بكل محبوب، وأمنًا من كل مَرْهوب] ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [في الدنيا بإيصال الأحزان بهم بعلوِّ المؤمنين، وتسليط النبي عليه السلام عليهم قتلًا وأسرًا واسترقاقًا] ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ﴾ المرادُ ظنُّهم أنّ الله تعالى لا ينصرُ الرسولَ ﷺ والمؤمنينَ ولا يُرجعُهم إلى مكة ظافرين فاتحيها عَنْوَةً وقهرًا ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ أي: ما يظنونه ويتربَّصونه بالمؤمنين فهو حائقٌ بهم(١) ودائرٌ عليهم، والسُّوْءُ: الهلاكُ والدَّمار، و﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ بالفتح أي الدائرة التي يَذُمُّونها ويَسخَطونها، السُّوْءُ والسَّوْءُ كالكُرْهِ والكَرْهِ، والضُّعْفِ والضَّعْفِ إلّا أنَّ المفتوحَ غُلِّبَ في أن يُضافَ إليه ما يُراد ذمُّه من كل شيء، وأما السُّوءُ فجارٍ مَجرى

---

(١) حائقٌ بهم: أي نازلٌ بهم ومحيطٌ بهم.

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٧ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ
وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ
فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٠﴾

الشرِّ الذي هو نقيضُ الخير ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ﴾ [أبعدهم من الخير] ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦﴾ [أي]: جهنمُ [مرجعًا].

٧- ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فيدفع كيدَ مَن عادَى نبيَّه عليه الصلاة والسلام والمؤمنين بما شاء منها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ غالبًا فلا يُرَدُّ بأسُه ﴿حَكِيمًا ٧﴾ فيما دبَّر.

٨- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ تَشهدُ على أُمَّتك يومَ القيامة ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾ للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرٗا ٨﴾ للكافرين بالنار.

٩- ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ والخطاب لرسول الله ﷺ ولأُمَّته ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ وتُقوُّوه بالنَّصر ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ وتُعظِّموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ من التسبيح، والضمائرُ لله تعالى، والمرادُ بتعزير الله تعزيرُ دينهِ ورسولهِ ﷺ ﴿بُكۡرَةٗ﴾ صلاةُ الفجر ﴿وَأَصِيلًا ٩﴾ الصلواتُ الأربع.

١٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بَيعةَ الرِّضْوان [بالحُدَيبية]، ولمَّا قال: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أكّده تأكيدًا فقال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ الله منزَّه عن الجوارح وعن صفات الأجسام، والمعنى تقريرُ أن عقد الميثاق مع الرسول ﷺ كعقده مع الله كقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ٨٠﴾ [سورة النساء]، أو ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ بالنصرة والتوفيق] ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ نقضَ العهدَ ولم يفِ بالبيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ﴾ فلا يعود ضررُ نَكْثِه إلا عليه، قال جابرُ بن عبد الله: بايَعْنا رسولَ الله تحت الشجرة على الموت وعلى ألّا نفرَّ ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ [من الصبر عند لقاء العدو في سبيل الله، ونصرة نبيه ﷺ على أعدائه] ﴿فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٠﴾ الجنة.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾

١١- ﴿سَيَقُولُ لَكَ﴾ إذا رجعتَ منَ الحُدَيبية ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ هم الذين خَلَّفوا(١) عن الحديبية، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام حين أراد المَسيرَ إلى مكةَ عام الحديبية معتمرًا استنفر مَن حولَ المدينة مِن الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرًا من قريش أن يَعرِضوا له بحرب أو يَصُدُّوه عن البيت، وأحرمَ هو وساقَ معه الهَدْيَ ليُعلِمَ أنه لا يريد حربًا، فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا: يذهبُ إلى قوم غَزَوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابَه فيقاتلهم! وظنوا أنه يهلِكُ فلا ينقلبُ إلى المدينة ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ اعتلُّوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم، وأنه ليس لهم مَن يقوم بأشغالهم ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ ليغفرَ لنا الله تخلُّفَنا عنك ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ تكذيبٌ لهم في اعتذارهم، وأن الذي خلَّفهم ليس ما يقولون، وإنما هو الشكُّ في الله، والنفاقُ، فطلبُهم الاستغفارَ أيضًا ليس بصادر عن حقيقة ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فمَن يمنعُكم من مشيئة الله وقضائه ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ ما يَضرُّكم مِن قتلٍ أو هزيمة ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ من غَنيمة وظفَرٍ ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾﴾ [لم يزل متصفًا بذلك].

١٢- ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [أي: أنهم يُستأصلون بالقتل فلا يرجعون] ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ زيَّنَهُ الشيطانُ ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ من عُلُوِّ الكفر وظهور الفساد ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ أي: وكنتم قومًا فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتِكم لا خيرَ فيكم.

---

(١) بمعنى تخلفوا.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾

١٣- ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ من لم يَجمَعْ بين الإيمانَين الإيمانِ بالله والإيمان برسوله ﷺ فهو كافر ﴿سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [نارًا شديدة].

١٤- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ يُدبِّره تدبيرَ قادرٍ حكيم [وهو مستغنٍ عن هؤلاء المنافقين وعن الاعتضاد بهم في نصرة نبيّه] ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته، وحكمتُه المغفرةُ للمؤمنين، وتعذيبُ الكافرين ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ [فيه تحريك للمنافقين على التوبة، ووعد من الله تعالى بقبولها منهم، وفيه دلالة على صحة نبوّة نبيِّنا ﷺ حيث أخبر أنهم سيقولون كذا، وكان كما أخبر].

١٥- ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين تَخلَّفوا عن الحُديبية ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ إلى غنائم خَيبرَ ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ﴾ يريدون أن يُغيِّروا موعِدَ اللهِ لأهل الحديبية، وذلك أنه وعدَهم أن يُعوِّضَهم من مغانم مكةَ مغانمَ خيبرَ إذا قَفَلوا مُوادعينَ[1] لا يصيبون منهم شيئًا ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ إلى خيبر، وهو إخبار من الله بعدم اتِّباعهم، ولا يُبَدَّلُ القولُ لديه ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾ من قبل انصرافهم إلى المدينة: إن غنيمةَ خيبرَ لِمَن شَهِدَ الحديبيةَ دونَ غيرِهم ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ﴾ أي: لم يأمركم الله به، بل تحسُدوننا أن نشاركَكم في الغنيمة ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ من كلام الله ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ إلا شيئًا قليلًا [ولو

---

(١) أي: رجعوا مُصالِحين.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

فقِهوا لكفُّوا عن مَسألتكم الإذنَ لهم بعد إخباركم إياهم أَن الله قد خصَّكم بغنائم خيبر].

١٦- ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ هم الذين تَخلَّفوا عن الحديبية [ومُنِعوا عن الخروج إلى خيبرَ في حياة النبي ﷺ]: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يعني بني حنيفةَ قومَ مُسَيْلِمَةَ وأهلَ الردة الذين حاربَهم أبو بكر رضي الله عنه، لأن مشركي العربِ[1] والمرتدين هم الذين لا يُقبلُ منهم إلا الإسلامُ أو السيف ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ أي: يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام، قيل: هم فارسُ وقد دعاهم عمرُ رضي الله عنه، ومعنى: ﴿يُسْلِمُونَ﴾ على هذا التأويل: ينقادون. وفي الآية دِلالةُ صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثوابَ على طاعة الداعي عند دعوته بقوله: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ مَن دعاكم إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ فوجبَ أن يكون الداعي مُفْتَرَضَ الطاعة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ عن الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ في الآخرة.

١٧- ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ نَفَى الحرجَ عن ذوي العاهات في التخلف عن الغزو ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الجهاد وغيرِ ذلك ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يُعرِضْ عن الطاعة ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [في جهنم يومَ القيامة].

---

(١) هذا على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه - أي أن الجزية لا تُقبلُ من مشركي العرب وتقبل من مُشركي العجم - وأما على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه فلا تُقبل الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب.

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾

١٨- ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ هي بَيعةُ الرِّضوان، وقصتُّها أن النبيَّ ﷺ حين نزلَ بالحُديبية بعثَ خِراشَ ابنَ أُميةَ الخُزاعيَّ رسولًا إلى مكة، فهمُّوا به، فمنعه الأحابيشُ[1]، فلَمّا رجعَ دعا بعمرَ ليبعثَه، فقال: إني أخافهم على نفسي لِما عُرِفَ من عداوتي إياهم، فبعثَ عثمانَ بنَ عفان فأخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرًا للبيت، فوقَّروه واحتَبَسَ عندَهم، فأُرجِفَ[2] بأنهم قتلوه، فقال رسول الله ﷺ «**لا نَبْرَحُ حتى نناجزَ القومَ**[3]»، ودعا الناسَ إلى البيعة فبايعوه على أن يناجزوا قريشًا ولا يَفِرُّوا تحتَ الشجرة، وكانت سَمُرَةً، وكان عددُ المبايعين ألفًا وأربعمائة ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الإخلاص وصِدقِ الضمائر فيما بايعوا عليه ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الطُّمأنينةَ والأمنَ بسبب الصلح على قلوبهم ﴿وَأَثَٰبَهُمْ﴾ وجازاهم ﴿فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ هو فتحُ خيبرَ غِبَّ[4] انصرافهم من مكة.

١٩- ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ﴾ هي مغانمُ خَيبرَ، وكانت أرضًا ذاتَ عَقار وأموال، فقسَمَها عليهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ مَنيعًا فلا يُغالَبُ ﴿حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ فيما يحكمُ فلا يعارَضُ.

٢٠- ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ هي ما أَصابوه مع النبي ﷺ وبعدَه إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ المغانمَ، يعني: مغانمَ

---

(١) الأحابيش: فِرَقٌ مختلفة من قبائلَ شتَّى، حلفاءُ لقريش، تحالفوا عند جبل بأسفل مكة يُسمَّى حُبْشِيًّا، ويقال: منه سُمِّيَ أحابيش قريش.
(٢) أُرجِف: جيء بخبر كاذب يحصل منه اضطرابٌ.
(٣) أي: نُقاتلَهم.
(٤) أي: بَعْدَ.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾

خيبرَ ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أيدي أَهلِ خيبرَ وحلفائِهم من أَسَدٍ[١] وغَطَفانَ[٢] حين جاؤوا لنصرتهم، فقذف الله في قلوبهم الرعبَ فانصرفوا، وقيل: أيدي أهلِ مكةَ بالصلح ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكَفَّةُ ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ عبرةً يعرفونَ بها أنهم من الله عز وجل بمَكان[٣] ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ ويزيدَكم بصيرةً ويقينًا وثقةً بفضل الله.

٢١- ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ أي: فعجَّلَ لكم هذه المغانمَ ومغانمَ أخرى هي مغانم هَوازِنَ في غزوة حُنَينٍ[٤]، [وقيل: فارس والروم وما فتحه المسلمون، وقيل: مكة] ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ لِمَا كان فيها من الجَوْلة ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ﴾ قَدَرَ عليها واستولى وأظهركم عليها، [أو وأعدّها لكم وحبسها عليكم] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [من فتح هذه القرى، وإنجاز هذه المواعيد، وكل شيء].

٢٢- ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ولم يصالحوا، أو من حلفاء أهل خيبر ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ لَغُلبوا وانهزموا ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يلي أمرهم ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾ ينصرهم، [وفي ذلك إيناسٌ لهم عن الوحشة التي اعترَتْ بعضَهم بانصرافهم، وتشجيعٌ لقلوبهم على كل جهاد].

٢٣- ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ سَنَّ الله غَلَبَةَ أنبيائه سُنةً، وهو قوله: ﴿لَأَغْلِبَنَّ

(١) أسد: اسم قبائل عدة من العرب.
(٢) غطفان: قبيلة من العرب.
(٣) أي: لهم عند الله تعالى مَكانَةٌ وشَرَفٌ.
(٤) حنين: وادٍ قريبٌ من مكة بينه وبينها ثلاث ليال.

﴿ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ
وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٢٤ هُمُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾

أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ٢١﴾ [سورة المجادلة] ﴿ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ تغييرًا، [أي أجرى الله تعالى العادة في الأمم الخالية أن الكافرين مخذولون وإن أُمهلوا إلى حين].

٢٤- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾ أي: أيديَ أهلِ مكةَ ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم﴾ عن أهل مكة، يعني: قضَى بينهم وبينكم المكافَّةَ والمحاجزةَ بعدما خَوَّلَكم الظَّفَرَ عليهم والغلبةَ وذلك يومَ الفتح، وقيل: كان في غزوة الحديبية لِمَا رُويَ أن عِكرمةَ بن أبي جهل خرج في خمسمائة [من فتيانهم يطلبون غِرَّةً[1] في عسكر المسلمين] فبعث رسول الله ﷺ مَن هَزمَهُ وأدخله حيطان مكة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أظهرَ المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت ﴿بِبَطۡنِ مَكَّةَ﴾ بمكة، أو بالحديبية لأن بعضَها منسوبٌ إلى الحرم ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ أقدرَكم وسلَّطَكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٢٤﴾ [ولم يزل بأعمالكم وأعمالهم بصيرًا لا يخفى عليه منها شيء].

٢٥- ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ﴾ هو ما يُهدى إلى الكعبة، أي: وصَدُّوا الهديَ ﴿مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ﴾ محبوسًا عن أن يبلغ - وكان عليه الصلاة والسلام ساق سبعين بَدَنة - ﴿مَحِلَّهُۥۚ﴾ مكانه الذي يَحِلُّ فيه نحرُه، والمراد المَحَلُّ المعهودُ وهو مِنًى، [أي: كفار قريش هم الذين جحدوا توحيد الله، وصدُّوكم يومَ الحديبية عن المسجد الحرام، ومنعوا الهديَ وحبسوه أن يبلغ مَحِلَّ نحره، وهو

---

(١) أي يطلبون من هو مبتعدٌ عن المعسكر من المسلمين ليُصيبوهم.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾

الحرم] ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ بمكة ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ صفة للرجال والنساء جميعًا، [أي: لم تعرفوا أعيانهم وأنهم مؤمنون] ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ [مساءَةٌ] وسوءُ قالةٍ[1] المشركين [أنَّ المسلمين] فعلوا بأهل دينهم مثلَ ما فعلوا بنا من غير تمييز، [وتألم النفس منه باقي الزمن] ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۖ﴾ يعني أن تطؤوهم غير عالمين بهم، والوطء عبارة عن الإيقاع والإبادة، والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم، فقيل: ولولا أن تُهلكوا ناسًا مؤمنين بين ظهرانَي المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مَشَقّة [وحزن وندامة دائمة إذا علمتم أنكم قتلتم أصحابكم وأهلَ دينكم] لَمَا كَفَّ أيديَكم عنهم ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ تعليل لِمَا دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدي عن أهل مكة، والمنع عن قتلهم، صونًا لمن بين أظهُرِهم من المؤمنين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ لو تفرَّقوا وتميَّزَ المسلمون من الكافرين ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [في الدنيا بسيوفكم، فبيَّن أن الحكمة في صرف المؤمنين عن دخول مكة كانت لسلامة هؤلاء المؤمنين المستضعفين المغمورين بمكة، وفيه بيان قدر ضعفاء المؤمنين عند الله].

٢٦- ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [قالوا: قتل محمدٌ ءاباءنا وإخوتنا، ثم أتانا يدخل علينا في منازلنا، واللهِ

---

(١) القالَةُ: القول الفاشي في الناس.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا﴾

لا يدخلُ علينا] ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ سكينة المؤمنين هي الوقار [وعدمُ الاضطراب]، يروى أن رسول الله ﷺ لَمّا نزل بالحديبية بعثت قريشٌ سُهَيلَ بن عَمْرو وحُوَيْطِبَ بنَ عبد العُزَّى ومِكْرَزَ بنَ حفص على أن يعرضوا على النبي ﷺ أن يرجعَ من عامه ذلك، على أن تُخليَ له قريشٌ مكةَ من العام القابل ثلاثة أيام، ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابًا، فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: «**اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم**» فقال سهيل وأصحابُه: ما نعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، ثم قال: «**اكتب هذا ما صالحَ عليه رسول الله أهلَ مكة**» فقالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: هذا ما صالحَ عليه محمدُ بنُ عبد الله أهلَ مكة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**اكتب ما يريدون فأنا أشهدُ أني رسول الله وأنا محمدُ بنُ عبد الله**» فهمَّ المسلمون أن يأبَوا ذلك ويشمئزوا منه فأنزل الله على رسوله ﷺ السكينةَ، فتوقَّروا وحَلُمُوا ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ كلمةَ الشهادة باعتبار أنها سببُ التقوى وأساسُها، [يعني أن المشركين لم يُقروا بهذه الكلمة، فخصَّ اللهُ بها المؤمنين] ﴿وَكَانُوٓاْ﴾ أي: المؤمنون ﴿أَحَقَّ بِهَا﴾ من غيرهم ﴿وَأَهۡلَهَاۚ﴾ بتأهيل الله إياهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾﴾ فيجري الأمور على مصالحها.

٢٧- ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا﴾ صَدَقَه رؤياه ولم يَكْذِبْهُ، تعالى اللهُ عن الكذب [أي: أراه ما أراه في المنام صدقًا لا خُلْفَ فيه]. روي أن رسولَ الله ﷺ رأى قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابَهُ قد دخلوا مكة ءامنين وقد حلقوا وقصَّروا، فقصَّ الرؤيا على أصحابه، ففرحوا وحسِبوا أنهم داخلوها في عامهم وقالوا: إن رؤيا رسولِ الله

﴿بِٱلْحَقِّۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾

حقٌّ، فلَمَّا تأخر ذلك قال عبد الله بن أُبيّ[1] وغيرُه: واللهِ ما حلقنا ولا قصَّرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ﴿بِٱلْحَقِّۖ﴾ أي: صَدَقَه فيما رأى، وفي كونه وحصوله [في وقته المقدَّر له] صدقًا ملتبسًا بالحق أي بالحكمة البالغة، وذلك لِمَا فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلِص وبين من في قلبه مرض ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ حكايةٌ منَ الله تعالى ما قالَ رسولُه لأصحابه وقصَّ عليهم ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ أي: جميعَ شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعضَ شعورها ﴿لَا تَخَافُونَۖ﴾ حالٌ مؤكِّدَةٌ ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ من الحكمة في تأخير فتح مكة إلى العام القابل ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ من دون فتح مكة ﴿فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ وهو فتحُ خيبرَ لتَسْتَرْوِحَ[2] إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتحُ الموعود.

٢٨- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ بالتوحيد ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ ليُعْلِيَهُ ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ﴾ على الأديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب، قيل: هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الأرض كافر، وقيل: هو إظهارهُ بالحجج والآيات ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ على أن ما وعده كائنٌ.

٢٩- ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: أصحابه ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ غِلاظٌ ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ متعاطفون، وبلغ من تشدُّدهم على الكفار أنهم

---

(١) رأس المنافقين في المدينة المنورة.
(٢) أي: لتطمئِنَّ وتَسكُنَ.

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تَلزَق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمَسَّ أبدانهم، وبلغ من ترحُّمهم فيما بينهم أنه كان لا يَرَى مؤمن مؤمنًا إلا صافحَه وعانقَه ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا﴾ راكعين ﴿سُجَّدًا﴾ ساجدين، [مع جهادهم في سبيل الله كانوا مجتهدين في العبادة لله تعالى] ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [بتضعيف الحسنات] ﴿وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾ [بعفو السيئات] ﴿سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم ﴿فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ استنارت وجوههم من طول ما صلَّوا بالليل ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ﴾ صِفتُهم، [أي: ذُكروا في التوراة أنهم أشداء على الكفار... إلى ءاخره] ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ [هذا على حقيقة المَثَلَ] ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ فِراخَهُ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ قوّاه، [أي: قوَّى الشَّطءُ أصلَ الزرع بالتفافه عليه وتكاثُفِه] ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ فصار [قَصَبُ الزرع] من الرِّقَّة إلى الغِلَظ ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ فاستقام على قَصَبِهِ، جمعُ ساقٍ ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ يتعجبون من قُوَّته، وقيل: مكتوب في الإنجيل: سيخرج قوم يَنبُتون نباتَ الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لبَدءِ الإسلام وترقِّيْهِ في الزيادة إلى أن قويَ واستحكم لأن النبي ﷺ قام وحده، ثم قَوّاه الله تعالى بمن ءامنَ معه كما يُقَوّي الطاقةَ الأولى من الزرع ما يحتفُّ بها مما يتولد منها حتى يُعجِبَ الزُّرَّاع ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ [جعلهم كذلك ليغيظ الكفار بنَمائهم] وترقِّيهم في الزيادة والقوة ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ [عفوًا عن السيئات] ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [في الجنة بما لا ينقطع من الكرامات].

سورة الحجرات
مدنية وهي ثمان عشرة ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ نُهُوا عن الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء[1] على أمثلة الكتاب والسنة، [والمعنى: لا تقطعوا أمرًا إلا بعدما يحكمُ أو يأذنُ به الله ورسوله فتكونوا عاملين بالوحي المنزل، أو مقتدين برسول الله ﷺ] وفي هذا تمهيد لِمَا نَقَم[2] منهم من رفعِ أصواتهم فوق صوته عليه الصلاة والسلام، لأنَّ مَن فضَّله الله بهذه الأَثَرة واختصَّه هذا الاختصاصَ كان أدنى ما يجب له من التهيُّب والإجلال أن يُخفَضَ بين يديه الصوتُ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ فإنكم إن اتَّقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدِمَةِ المنهي عنها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَا تقولون ﴿عَلِيمٌ ۝١﴾ بما تعملون، وحَقٌّ [مَن هذه صفتُه] أن يُتَّقى.

٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إعادةُ النداء عليهم استدعاءٌ منهم لتجديد

---

(١) الاحتذاء: الاقتداء.
(٢) أي: لِمَا أنكرَ عليهم.

﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾

الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتحريكٌ منهم لئَلا يغفُلوا عن تأمُّلهم ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ أي: إذا نطقَ ونطقتُم فعليكم أَلّا تبلغوا بأصواتكم وراء الحدِّ الذي يبلُغه بصوته، وأن تَغضُّوا منها بحيث يكون كلامُه عاليًا لكلامكم، وجهرُه باهرًا لجهركم، حتى تكون مَزِيَّتُه عليكم لائحةً وسابِقَتُه لديكم واضحة ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: إذا كلَّمتموه وهو صامتٌ فإياكم والعدولَ عما نُهيتم عنه من رفع الصوت، بل عليكم أَلّا تبلُغوا به الجهرَ الدائرَ بينكم، وأن تتعمدوا في مخاطبته القولَ اللينَ المقرِّبَ من الهَمْس الذي يُضَادُّ الجهرَ، ولم يُنهَوا عن الجهر مطلقًا حتى لا يسوغُ لهم إلا أن يكلموه بالمُخَافتة، وإنما نُهُوا عن الجهر المنعوت بمماثلة ما اعتادوه فيما بينهم، وهو الخلُوُّ عن مراعاة أُبَّهةِ[1] النبوة وجلالة مقدارها، أو لا تقولوا له: يا محمد، يا أحمد، وخاطِبوه بالنبوة والتعظيم ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ انتهوا عما نُهيتم عنه لخشية حبوطها ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [ذُكر هذا ليكونوا أبدًا متيقظين بين يدي رسول الله ﷺ حذرين معظمين له في كل وقت، لئَلَّا يكونَ منهم في أي وقت ما يجري مجرى الاستخفاف به والتهاون على السهو والغفلة فيُحبط ذلك أعمالَهم، فإن كانت الآية مُعَرِّضةً بمن يجهر استخفافًا فذلك كفرٌ يَحْبَطُ معه العمل حقيقةً، وإن كانت للمؤمن الذي يفعل رفعَ الصوت والجهرَ غفلةً وجريًا على عادته، فإنما يَحْبَطُ عملُه البرَّ في توقير النبي ﷺ وغضِّ الصوت عنده أنْ لو فعلَ ذلك].

٣- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ يَخفِضون أصواتهم في

---

(١) الأُبَّهةُ: العَظَمَة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤﴾

مجلسه تعظيمًا له ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ أخلصها للتقوى، وحقيقته: عامَلَها معاملةَ المختبِرِ فوجدها مخلصةً ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾ قيل: نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لِمَا كان منهما مِن غَضّ الصوت [وهي] دالةٌ على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافِضِينَ أصواتَهم، وفيها تعريض لعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتَهم.

٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ نزلت في وفد بني تميم، أتَوا رسولَ الله ﷺ وقت الظَّهِيرة وهو راقد، وفيهم الأقرع بن حابس وعُيَيْنَةُ بن حِصن، ونادَوا النبي ﷺ من وراء حجراته، وقالوا: اخرج إلينا يا محمد، فإن مَدْحَنَا زَيْنٌ، وذمَّنا شَيْنٌ، فاستيقظ وخرج، والوراءُ: الجهةُ التي يواريها عنك الشخص من خلفٍ أو قُدَّام، والحجراتُ: حُجُراتُ نساء رسول الله ﷺ، وكانت لكل منهن حجرةٌ ﴿أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤﴾ [فيما فعلوهُ مَحَلَّكَ الرفيعَ وما يناسبُه من التعظيم]، وورودُ الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى من إجلال محل رسول الله ﷺ؛ منها التسجيلُ على الصائحين به بالسَّفَه والجهل، فتأمل كيف ابتدأ بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله ﷺ متقدمةً على الأمور كلها من غير تقييد، ثم أردف ذلك النهيَ عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر، ثم أثنى على الغاضِّينَ أصواتَهم ليدلَّ على عظيم موقعه ﷺ عند الله تعالى، ثم عَقَّبه بما هو أَطَمُّ(١) وهُجْنَتُهُ أتمُّ من الصياح برسول الله ﷺ في حال خلوته من وراء

---

(١) أي: أعظم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾

الجُدُر كما يُصاحُ بأهون الناس قدرًا لينبِّهَ على فظاعة ما جَسَروا عليه، لأنّ مَنْ رفَعَ اللهُ قدرَهُ عن أن يُجهر له بالقول كان صنيعُ هؤلاء [معه] من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغًا.

٥- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟﴾ ولو ثبت صبرهم ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ﴾ الصبر ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في دينهم [لأن الله قد أمرهم بتوقيرك] ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ بليغُ الغفرانِ والرحمةِ واسعُهما، فلن يَضيقَ غفرانُه ورحمتُه عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا.

٦- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ أجمعوا أنها نزلت في الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله ﷺ مُصَدِّقًا[١] إلى بني المصطلق، وكانت بينه وبينهم إِحْنَةٌ[٢] في الجاهلية، فلمّا شارفَ ديارَهم ركبوا مستقبلين إليه، فحسِبَهم مقاتليه، فرجع وقال لرسول الله ﷺ: قد ارتدُّوا ومنعوا الزكاةَ، فبعثَ خالدَ بنَ الوليد، فوجدهم يُصَلّون، فسلَّموا إليه الصَّدقاتِ، وفي تنكير الفاسق والنبأ شِياعٌ في الفُسَّاقِ والأنباء، كأنه قال: أيُّ فاسق جاءكم بأيِّ نبأ ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ فتوقفوا فيه وتَطَلَّبوا بيانَ الأمر وانكشافَ الحقيقة، ولا تعتمدوا قولَ الفاسق، لأن مَن لا يتحامَى جنسَ الفُسوق[٣] لا يتحامى الكذبَ الذي هو نوع منه ﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا﴾ لئلا تصيبوا ﴿بِجَهَـٰلَةٍ﴾ جاهلينَ بحقيقة الأمر وكُنْهِ القِصَّة ﴿فَتُصْبِحُوا۟﴾ فتصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾ الندم ضربٌ من الغَمّ، وهو أن تغتمَّ على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع.

---

(١) أي: ءاخِذًا الزَّكوات منهم، وكانوا قد أسلَموا وبنَوا المساجد.
(٢) الإِحْنَةُ: الحقدُ وإضمار العداوة.
(٣) أي: لا يتجنَّبُه.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ
ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا
مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾

٧- ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ فلا تكذِبوا فإن اللهَ يُخبره فينهَتِكُ سِتْرُ الكاذب ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ لوقعتم في الهلاك، وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زَيَّنوا لرسول الله ﷺ الإيقاعَ ببني المُصطلق وتصديقَ قولِ الوليد، وأنَّ بعضَهم كانوا يتصوَّنون ويَزَعُهم[1] جِدُّهم في التقوى عن الجَسارة على ذلك، وهم الذين استثناهم بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ قيل: هم الذين امتحن الله قلوبَهم للتقوى ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ وهو تغطية نِعَم الله وغَمْطُها[2] بالجحود ﴿وَٱلۡفُسُوقَ﴾ وهو الخروجُ عن مَحَجَّةِ[3] الإيمان بركوب الكبائر ﴿وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ وهو ترك الانقياد بما أمر به الشارع ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ أولئك المستثنَونَ هم الراشدون، يعني أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة.

٨- ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ [وهذا الخير الذي حصل لهم حصل بإفضال الله وإنعامه] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال المؤمنين وما بينهم من التَّمايز والتفاضل ﴿حَكِيمٞ ٨﴾ حينَ يُفْضِلُ ويُنعم بالتوفيق على الأفاضل.

٩- ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [مَرَّ] رسولُ الله ﷺ على مجلسِ بعضِ الأنصار [فيهم عبد الله بن أُبَيّ المنافق، ورسول الله ﷺ على حماره فوقف عليهم يعظهم]، فأمسكَ ابنُ أُبيّ بأنفِهِ، وقال: [إليك عني، فوالله لقد ءاذاني نَتْنُ حمارك]، فقال عبد الله

---

(١) يَزَعُهم: يمنعهم.
(٢) غَمْطُ النِّعَم: كُفرانها وعدمُ شكرِها وجحودها.
(٣) المَحَجَّةُ: الطريق.

﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

ابن رَواحة: واللهِ [لَحمارُ رسول الله ﷺ أطيب ريحًا منك]، ومضى رسول الله ﷺ وطال الخوض بينهما حتى اسْتَبَّا وتَجالدا[1]، وجاء قَوماهما، فتجالدوا بالعِصي، وقيل: بالأيدي والنعال والسَّعَف، فرجع إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهم ونزلت، [والآية نزلت في طائفتين من المؤمنين، وعبد الله ابن أُبَيّ كان منافقًا، لكن يرجع ذلك إلى أصحاب ابن أُبَيّ وعشيرته ولم يكونوا كلهم منافقين، فالآيةُ تتناول المؤمنين منهم. وقيل في سبب نزولها غيرُ هذا] ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ البغيُ: الاستطالةُ والظلم وإباءُ الصلح ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾ ترجعَ ﴿إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ المذكورِ في كتابه من الصلح وزوال الشَّحْناء ﴿فَإِن فَآءَتۡ﴾ عن البغي إلى أمر الله ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ واعدِلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ العادلين.

١٠- ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [متآخون في الإسلام بعضهم أولياء بعض] ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ هذا تقرير لِمَا أَلزَمَه من تولّي الإصلاح بين مَن وقعت بينهم المُشاقَّةُ من المؤمنين، ثم قد جرت العادةُ أنه إذا نَشِبَ مثلُ ذلك بين الأخوين وِلادًا لزمَ السائرَ أن يتناهضوا في رفعه وإزاحته بالصلح بينهما، فالإخوةُ في الدين أحق بذلك ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ واتقوا الله فالتقوى تحمِلُكم على التواصل والائتلاف، وكان عند فِعلِكم ذلك وصولُ رحمة الله إليكم مرجوًّا، والآية تدلُّ على أن البغيَ لا يُزيل اسمَ الإيمان، لأنه سمَّاهم مؤمنين مع وجود البغي.

---

(١) أي: تَضارَبا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾

١١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ القوم: الرجالُ خاصةً لأنهم القَوَّامُ بأُمورِ النساء، والمعنى وجوبُ أن يعتقدَ كلُّ واحدٍ أن المسخورَ منه ربما كان عندَ الله خيرًا من الساخر، إذ لا اطّلاع للناس إلا على الظواهر، ولا علمَ لهم بالسرائر، والذي يَزِنُ عند الله خلوصُ الضمائر، فينبغي أن لا يجترئَ أحدٌ على الاستهزاء بِمَن تقتَحِمُه عينُه إذا رءاهُ رَثَّ الحال، أو ذا عاهَةٍ في بدنه فلعلَّه أخلصُ ضميرًا وأتقى قلبًا ممن هو على ضِدِّ صفته، فيظلمُ نفسَه بتحقير مَن وَقَّرَهُ اللهُ تعالى. ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ ولا تطعنوا أهلَ دينِكم، واللمزُ: الطعنُ والضربُ باللسان، والمؤمنون كنفس واحدة، فإذا عابَ المؤمنُ المؤمنَ فكأنما عابَ نفسَه ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ التنابزُ بالألقاب: التداعي بها، والنَّبَزُ: لَقَبُ السُّوءِ، والتلقيبُ المَنهيُّ عنه هو ما يتداخل المدعُوَّ بِهِ كراهةٌ لكونه تقصيرًا به وذمًّا له، فأما ما يحبه فلا بأس به، [أي: لا تَدعُ أخاكَ بما يكره من الأسماء، ولكن ادعُهُ بما يحب، فإن ذلك أعطف لبعضكم على بعض، وأحبُّ إلى الله تعالى]. وروي أن قومًا من بني تميم استهزؤوا ببلال وخَبَّاب وعمَّار وصُهَيب فنزلت ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم: طارَ اسمُه في الناس بالكرم أو باللؤم، وحقيقته ما سَمَا من ذِكره وارتفع بين الناس، كأنه قيل: بئس الذكرُ المرتفعُ للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يُذكروا بالفِسق، وقوله: ﴿بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ استقباحٌ للجمع بين الإيمان وبين الفسق الذي يَحْظُره الإيمانُ، وقيل: كان في شتائمهم لمَن أسلمَ من اليهود: يا يهودي، يا فاسق، فنُهوا عنه، وقيل لهم: بئسَ الذكرُ أن

﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ⑪ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ⑫﴾

تذكروا الرجلَ بالفسق واليهودية بعد إيمانه ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ عما نُهي عنه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ⑪﴾ [أنفسَهم بوضع العصيان موضع الطاعة، وتعريض النفس للعذاب].

١٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ المأمورُ باجتنابه بعضُ الظن، وذلك البعضُ موصوفٌ بالكثرة، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ قال الزجاج: هو ظنُّكَ بأهل الخير سوءًا. أو معناه: اجتنابًا كثيرًا، والإثمُ: الذنب الذي يستحق صاحبُه العقاب ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ لا تَتَّبعوا عوراتِ المسلمين ومعايبَهم، وعن مجاهد: خذوا ما ظهرَ ودعوا ما ستره الله، وقال سهل: لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره اللهُ على عباده ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ الغِيبةُ: الذكرُ بالعيب في ظهر الغيب، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الغِيبةُ إدامُ كلاب الناس[1] ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا﴾ هذا تمثيلٌ وتصوير لِما يناله المُغتابُ من عِرضِ المُغتابِ على أفحش وجه، والاستفهام معناه التقرير بأن أحدًا لا يحبّ أكلَ جيفةِ أخيه ﴿فَكَرِهۡتُمُوهُۚ﴾ فتحققت كراهتُكم له باستقامة العقل، فليتحقَّقْ أن تكرهوا ما هو نظيرُه من الغيبة باستقامة الدين ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ⑫﴾ التوّاب: البليغُ في قَبول التوبة، والمعنى: واتقوا الله بترك ما أُمرتم باجتنابه، والندم على ما وُجد منكم منه، فإنكم إن اتقَيتُم تقبّلَ اللهُ توبتَكم، وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين.

---

(١) أي: طعامُ كِلاب الناس، شبَّه المغتابين الذين يخمشون أعراضَ الناس وينهشونَها بالكلاب على الجيفة ينهشونها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾

١٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ من ءادمَ وحواءَ، أو كلَّ واحد منكم من أب وأم فما منكم من أحد إلا وهو يُدلي بمثل ما يُدلي به الآخرُ سواءً بسواء ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ الشَّعْبُ: الطبقةُ الأولى من الطبقات السِّتِّ التي عليها العَرَبُ، وهي: الشَّعْبُ والقبيلةُ والعَمَارةُ والبطن والفَخِذُ والفصيلة، فالشعبُ يجمع القبائلَ، والقبيلةُ تجمع العَمائرَ، والعِمارة تجمع البطون، والبطنُ تجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائلَ، خزيمةُ شَعْبٌ، وكِنانةُ قبيلةٌ، وقريشٌ عِمارة، وقُصَيٌّ بطنٌ، وهاشمٌ فَخِذٌ، والعباسُ فصيلة، وسُمِّيت الشعوبَ لأن القبائلَ تشعَّبت منها ﴿لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ ليعرفَ بعضُكم نَسَبَ بعض فلا يعتزي[1] إلى غير ءابائه، لا أن تتفاخروا بالآباء والأجداد وتدَّعُوا التفاضلَ في الأنساب، ثم بيَّن الخَصلةَ التي بها يَفضُلُ الإنسانُ غيرَه ويكتسبُ الشرفَ والكَرَمَ عند الله فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [أشدُّكم اتِّقاءً له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمُكم بيتًا ولا أكثركم عشيرةً] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ كَرَمَ القلوب وتقواها ﴿خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ بِهَمِّ النفوس في هواها.

١٤- ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ أي: بعضُ الأعراب - لأن مِن الأعراب مَن يؤمن بالله واليوم الآخر - وهم أعرابُ بني أَسَدٍ قَدِموا المدينةَ في سنةٍ جَدْبَة[2]، فأظهَروا الشهادة يريدونَ الصَّدَقَةَ ويَمُنُّونَ عليه ﴿ءَامَنَّا﴾ ظاهرًا وباطنًا ﴿قُل﴾ لهم يا محمد: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ لم تُصَدِّقوا بقلوبكم ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ فالإيمانُ هو التصديق، والإسلامُ الدخول في السِّلْم

---

(١) يَعتزي: يَنتمي.
(٢) الجَدْبُ: نقيض الخِصبِ.

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾

والخروجُ من أن يكون حَرْبًا للمؤمنين بإظهار الشهادتين، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فأَعلَمَ أنَّ ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام، وما واطأ فيه القلبُ اللسانَ فهو إيمان، وهذا من حيثُ اللغةُ، وأما في الشرع فالإيمانُ والإسلامُ واحدٌ لِمَا عُرِفَ ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في السِّرِّ بترك النفاق ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ لا يَنْقُصْكُم من ثواب حسناتكم شيئًا ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ بسَتر الذنوب ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ بهدايتهم للتوبة عن العيوب.

ثم وصَفَ المؤمنين المخلصين فقال:

١٥- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ المعنى: أنهم ءامنوا ثم لم يقع في نفوسهم شَكٌّ فيما ءامنوا به، ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يجوز أن يُرادَ بالمجاهدة بالنفسِ: الغزوُ وأن يتناولَ العباداتِ بأجمَعِها، وبالمجاهدة بالمال: نحوُ صنيع عثمان في جيش العُسرة، وأن يتناول الزكاةَ وكلَّ ما يتعلق بالمال من أعمال البرِّ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ الذين صدقوا في قولهم: ءامنا، ولم يكذبوا كما كذبَ أعرابُ بني أَسَد، ولَمَّا نزلت هذه الآية جاؤوا وحلفوا أنهم مُخلِصُون فنزل:

١٦- ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أَتُخبرونَه بتصديق قلوبكم، [وهو استفهامٌ بمعنى التوبيخ والإنكار] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ مِنَ النِّفاق والإخلاص وغير ذلك.

١٧- ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَسْلَمُوا﴾ يعني: بإسلامهم، والمَنُّ

﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

ذِكرُ الأيادي تعريضًا للشكر، ونُهِيْنا عنه ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ أي: المِنَّةُ لله عليكم ﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾ بأَنْ هداكم ﴿لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ إن صَحَّ زعمُكم وصدقَتْ دعواكم، إلَّا أَنكم تدَّعون ما اللهُ عليمٌ بخلافه، وتقديره: إن كنتم صادقين في ادِّعائكم الإيمانَ فَلِلَّهِ المِنَّةُ عليكم.

١٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ هذا بيانٌ لكونهم غيرَ صادقين في دعواهم، يعني: أنه تعالى يعلمُ كلَّ مستَتِرٍ في العالم، ويُبصِرُ كلَّ عَمَل تعملونَه، في سِركم وعلانِيَتكم، لا يخفى عليه منه شيء، فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم؟

سورة ق
مكية وهي خمس وأربعون ءاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [ذكَرَ هذا الحرفَ من حروف المعجم على سبيل التحدي والإعجاز، ثم أتبعَه القَسَمَ محذوفَ الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال: والقرءان ذي] المجد والشرف على غيره من الكتب [إنه لكلام معجِزٌ]، ومن أحاطَ عِلمًا بمعانيه، وعملَ بما فيه مَجُدَ عند الله وعند الناس.

٢- ٣- وقوله: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾ أي: كفارُ مكة ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ أي: محمدٌ ﷺ، إنكارٌ لتعجبهم مما ليس بعَجَب وهو أن يُنذرَهم بالمَخُوفِ رجلٌ منهم قد عرفوا عدالَته وأمانَته، ومن كان كذلك لم يكن إلا ناصحًا لقومه خائفًا أن ينالَهم مكروهٌ، وإذا علمَ أن مَخوفًا أظلَّهم لزمَه أن ينذرَهم، فكيف بما هو غاية المخوف، وإنكارٌ لتعجُّبهم مما أنذرهم به من البعث مع عِلمهم بقدرة الله تعالى على خلق السماوات والأرض وما بينهما، وعلى اختراع كل شيء، وإقرارهم بالنشأة الأولى. ثم [بَيَّنَ سُقوطَ حُجَّتِهم في] أحد الإنكارين بقوله:

﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ۝٣﴾ دلالةً على أن

﴿ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦﴾

تعجُّبَهم من البعث أدخلُ في الاستبعاد وأحقُّ بالإنكار، ووُضِعَ الكافرونَ موضعَ الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مُقْدِمون على الكفر العظيم، و﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى الرَّجْع ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣﴾ مُستبعَدٌ مستنكر.

٤- ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ﴾ رَدٌّ لاستبعادهم الرَّجْعَ، لأن مَنْ لَطُفَ علمُه حتى علمَ ما تَنْقُصُ الأرضُ من أجساد الموتى وتأكلُه من لحومهم وعظامهم كان قادرًا على رَجعهم أحياءً كما كانوا ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤﴾ محفوظٌ من الشياطين ومن التغيُّر، هو اللوح المحفوظُ، أو حافظٌ لما أُودِعَهُ وكُتِبَ فيه [من أعمال بني ءادم خيرِها وشرِّها لنُحضِرهم ونَجزيهم يوم البعث بما عملوا في الدنيا].

٥- ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ جاؤوا بما هو أَفظعُ من تعجُّبهم، وهو التكذيبُ بالحق الذي هو النبوةُ الثابتة بالمعجزات في أول وَهْلَة من غير تفكُّر ولا تدبر ﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥﴾ مُضطرب، فيقولون تارةً: شاعرٌ، وطورًا: ساحرٌ، ومرةً: كاهن، لا يَثبتون على شيء واحد، وقيل: الحقُّ: القرءان، وقيل: الإخبارُ بالبعث.

ثم دَلَّهم على قدرته على البعث فقال:

٦- ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ﴾ حين كفروا بالبعث ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ﴾ إلى ءاثار قدرة الله تعالى في خلق العالم ﴿كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ رفعناها بغير عَمَدٍ ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالنيِّرات[1] ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦﴾ من فُتُوقٍ وشقوق، أي: أنها سليمةٌ من العيوب لا فَتْقَ فيها ولا صَدْعَ ولا خللَ.

---

(١) أي: بالكواكب والشمس والقمر والنجوم.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ
عَبْدٍ مُّنِيبٍ ٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخْلَ
بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾

٧- ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ دَحَوْناها[1] ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالًا ثوابتَ لولا هي لَمَالَت ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾ صِنْفٍ [من النبات] ﴿بَهِيجٍ ٧﴾ يُبْتَهَجُ به لِحُسنه.

٨- ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ لنُبَصِّرَ به ونُذَكِّرَ ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ٨﴾ راجعٍ إلى ربه مُفَكِّر في بدائع خلقِه [إذ لا يتهيَّأُ ذلك لأحد من المخلوقين، ولا يتصوَّرُ تكوُّنُها من غير مُكَوِّنٍ كوَّنَها لا يُشبهها قادرٍ عالم واحد].

٩- ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [مطرًا] كثيرَ المنافع ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ٩﴾ وحَبَّ الزرع الذي مِن شأنه أن يُحصَدَ كالحنطة والشعير وغيرهما.

١٠- ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ طِوالًا في السماء ﴿لَّهَا طَلْعٌ﴾ هو كل ما يَطلُعُ مِن ثَمَر النخيل ﴿نَّضِيدٌ ١٠﴾ مَنضودٌ، [متراكبٌ] بعضُه فوق بعض لكثرة الطَّلْع وتراكُمه، أو لكثرة ما فيه من الثمر.

١١- ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ أنبتناها رزقًا للعباد؛ أي: لرزقهم ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾ بذلك الماء ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ قد جَفَّ نباتُها ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ١١﴾ كما أُحْيِيَتْ هذه البلدةُ المَيْتةُ كذلك تُخرجونَ أحياءً بعد موتكم، لأن إحياءَ المَوات كإحياء الأموات.

١٢- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبلَ قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ [نوحًا] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ [شُعيبًا، وكانوا يعبدون الأصنامَ: فبينا هم حول الرَّسِّ] وهو بئرٌ لم

---

(١) دَحَوْناها: بسطناها.

﴿وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾

تُطْوَ(١) - [انهارت بهم وخُسف بهم وبديارهم، وقيل]: هم قومٌ باليمامة، وقيل: أصحاب الأخدود، [والرَّسُّ: الأُخدود، وقيل: هم قريةٌ من ثمود] ﴿وَثَمُودُ ﴿١٢﴾﴾ [صالحًا].

١٣-١٤- ﴿وَعَادٌ﴾ [هودًا] ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ [موسى وهارون، و] أراد بفرعون قومَه ﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾ سمَّاهم إخوانَه لأن بينهم وبينه نسبًا قريبًا ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ [أي: الغَيْضةِ شعيبًا] ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [رسولَهم، وتُبَّعٌ]: مَلِكٌ باليمن أسلمَ ودعا قومَه إلى الإسلام فكذَّبوه، وسُمِّي به لكثرة تَبَعِه ﴿كُلٌّ﴾ كل واحد منهم ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ لأن مَن كذَّبَ رسولًا واحدًا فقد كذَّب جميعَهم ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [فثبت] وحَلّ [بهم] وعيدي [الذي توعَّدتهم به]، وفيه تسليةٌ لرسول الله ﷺ وتهديد [للمكذبين من أُمَّته].

١٥- ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي: لم نَعجزْ عن الخلق الأول فكيف نَعجزُ عن الثاني؟! ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ في خلط وشبهة، [أي: لَبَّسَ عليهم الشيطان ومَوَّهَ فأعرضوا عن التدبُّر، أي: لا ينكرون البعث عن دليل، بل عن تقليد بجهل] ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ بعد الموت [أي: البعثِ والتجديد بعد البِلَى].

١٦- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ الوَسوسةُ: الصوتُ الخَفيُّ، ووسوسةُ النفسِ: ما يَخطرُ ببال الإنسان ويَهْجُسُ(٢) في ضميره من حديث النفس ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ المرادُ: قربُ عِلمِه منه

---

(١) أي: لم تُبْنَ بالحجارة ونحوها.

(٢) الهاجِسُ: الخاطر.

﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ
رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾

﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ هو مَثَلٌ في فَرْطِ القرب، والوريدُ: عِرْقٌ في باطن العُنُق، والحبل: العِرْقُ.

١٧- ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني: المَلَكين الحافظَين ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ التلقِّي: التلقُّنُ بالحفظ والكتابة، والقَعيد: المُقاعِدُ، كالجليس بمعنى المُجَالِس، وتقديره: عن اليمين قعيدٌ وعن الشِمال قعيد من المتلَقِّيَين، والمعنى أنه تعالى يَتوصَّل علمُه إلى خَطَرات النفس، ولا شيء أخفى منه، وهو أقربُ من الإنسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به، إيذانًا بأن استحفاظَ المَلَكين أمرٌ هو غني عنه، وكيف لا يَستغني عنه وهو مُطَّلع على أخفى الخَفِيّات، وإنما ذلك لحكمة، وهي ما في كِتْبَةِ المَلَكين وحفظِهما وعرضِ صحائف العمل يوم القيامة من زيادةِ لُطْفٍ له في الانتهاء عن السيئات والرَّغبة في الحسنات.

١٨- ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ ما يَتكلَّم به وما يرمي به من فِيْهِ ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظٌ ﴿عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ حاضرٌ، ثُمَّ قيل: يكتبان كلَّ شيء حتى أنينَهُ في مَرَضِه[١]، [وقيل: يكتبان جميع الكلام فيثبتُ الله تعالى من ذلك الحسنات والسيئات، ويمحو غير ذلك]، وقيل: لا يكتبان إلا ما فيه أَجرٌ أو وِزْرٌ.

لمَّا ذكرَ إنكارَهم البعثَ، واحتجَّ عليهم بقدرته وعلمه، أعلمَهم أن ما أنكروه هم لاقُوْهُ عن قريب عند موتهم، وعند قيام الساعة، ونبَّه على اقتراب ذلك بأن عبَّرَ عنه بلفظ الماضي وهو قوله:

١٩- ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: شِدَّتُه الذاهِبَةُ بالعقلِ ملتبسةً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بحقيقة الأمر ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ﴾ الإشارة إلى الموت ﴿تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ تنفر وتهرب.

---

(١) يكتبان ما يتكلَّم به عمدًا ليس سبقَ لسان.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ۝٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ
مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ۝٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣ أَلۡقِيَا فِي
جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ۝٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ۝٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي
ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۝٢٦ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝٢٧﴾

٢٠- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ يعني: نفخةَ البعث ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ۝٢٠﴾ أي: وقتُ ذلك [النفخِ] يومُ الوعيد [الذي أُوعِدَ به الناس].

٢١- ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ۝٢١﴾ أي: ملكان أحدُهما يَسُوقه إلى المَحشر والآخرُ يشهد عليه بعَمَله.

٢٢- ﴿لَّقَدۡ كُنتَ﴾ أي: يقال لها: لقد كنتَ ﴿فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ النازلِ بكَ اليومَ ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ فأزلنا غفلتَك بما تشاهدُه ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ۝٢٢﴾ جُعلتِ الغَفلةُ كأنها غِشاوَةٌ غَطَّى بها عينيه فهو لا يُبصر شيئًا، فإذا كان يوم القيامة تَيقَّظَ وزالت عنه الغفلة وغِطاؤها، فيبصرُ ما لم يُبصره من الحق، ورجعَ بصرُه الكليلُ عن الإبصار لِغَفلته حديدًا لتيقُّظه.

٢٣- ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ المَلَك الكاتبُ الشهيد عليه ﴿هَٰذَا﴾ أي: ديوانُ عملهِ ﴿مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣﴾ هذا شيءٌ ثابت لَدَيَّ. ثم يقول الله تعالى:

٢٤- ﴿أَلۡقِيَا﴾ الخطابُ للسائق والشهيد، ﴿فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بالنِّعَم والمُنعِم ﴿عَنِيدٖ ۝٢٤﴾ معانِدٍ مُجانِبٍ للحقِّ مُعادٍ لأهله.

٢٥- ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾ كثيرِ المنعِ للمال عن حقوقه ﴿مُعۡتَدٖ﴾ ظالم مُتخَطٍّ للحق ﴿مُّرِيبٍ ۝٢٥﴾ شاكٍّ في الله وفي دينه.

٢٦- ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۝٢٦﴾ [تأكيدٌ للأمر الأول].

٢٧- ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ أي: شيطانُه الذي قُرِنَ به، كأنَّ الكافر قال: ربِّ هو أطغاني، فقال قرينُه: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝٢٧﴾ ما أوقعتُه في الطغيان، ولكنه طَغَى واختارَ الضلالةَ على الهُدَى.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ
بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾

٢٨- ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾ لا تختَصِموا في دارِ الجزاء وموقفِ الحساب، فلا فائدةَ في اختصامكم، ولا طائلَ تحتَه، وقد أوعدتُكم بعذابي على الطغيان في كتبي، وعلى ألسنة رسلي.

٢٩- ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ أي: لا تطمَعوا أن أُبدّلَ قولي ووعيدي بإدخال الكفار في النار ﴿وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [بل أهل النار هم الذين ظلموا أنفسهم، ولا يُتصوَّر من الله تعالى الظلم لأن الظلمَ وضع الشيء في غير محلِّه، أو مجاوزةُ الحدِّ، أو التصرف في حق الغير بغير حق، أو مخالفةُ أمرِ ونهيِ مَن له الأمرُ والنهي وكل ذلك مستحيل على الله تعالى].

٣٠- ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ أي: يقولُ الله ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ أي: أنها تقولُ بعد امتلائها: هل من مزيد؟ أي: هل بقي فيَّ موضعٌ لم يمتلئ؟ يعني قد امتلأت، أو أنها تستزيد وفيها موضعٌ للمَزيد، وهذا على تَحقُّقِ القول من جهنم، وهو غير مُستنكَر؛ كإنطاقِ الجوارح، والسؤالُ لتوبيخ الكَفَرة لعِلمِه تعالى بأنها امتلأت أم لا.

٣١- ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [قُرِبت من موقف السعداء إذا فرغوا من الحساب بحيث يرونها] ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ أي: مكانًا غير بعيد، [فينظرون إليها ويَنْسَرُّون بحشرهم إليها، ويقال لهم]:

٣٢- ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ [هذا الذي كنتم توعدون به أيها المتَّقون] ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجَّاعٍ إلى الله [تعالى بالطاعات] ﴿حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ حافظٍ لحدوده.

﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ
فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن
مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

٣٣- ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ الخَشيةُ: انزعاجُ القلب عند ذِكرِ الخطيئة، وقَرَنَ بالخشيةِ اسمه الدالَّ على سَعَة الرحمة للثناء البليغ على الخاشي، وهي خَشْيَتُهُ مع علمه أنه الواسعُ الرحمة، كما أثنى عليه بأنه خاشٍ مع أن المَخشيَّ غائبٌ، حيث خشيَ عقابَه وهو -[أي: عقابُه]- غائب ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ راجعٍ إلى الله [مُقبلٍ على طاعته].

٣٤- ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ سالمين من زوال النِّعَم وحلولِ النِّقَم ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ أي: يومُ تقديرِ الخلود.

٣٥- ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ [في الجنة] ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ على ما يشتهون [مما لم يخطر ببالهم]، والجمهور على أنه رؤية الله تعالى بلا كيف.

٣٦- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ قبلَ قومِك ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ من القرون الذين كذَّبوا رسلَهم ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوةً وسَطْوةً ﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ التنقيبُ: التنقيرُ عن الأمر والبحثُ والطلبُ، أي: فنَقَّبَ أهلُ مكةَ وطافوا في أسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون، فهل رأَوا لهم محيصًا حتى يُؤَمِّلُوا مثلَه لأنفسهم؟! ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾ مَهْرَبٍ من الله، أو من الموت؟!

٣٧- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكورِ [في هذه السورة من البعث وأحوال يوم القيامة وإهلاك القرون] ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ تذكيرًا وعِظةً ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ واعٍ، لأن مَن لا يَعِي قلبُه فكأنه لا قلبَ له ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أَصغى إلى المَواعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ حاضرٌ بفِطنته، لأن مَن لا يُحضِرُ ذهنَه فكأنه غائب.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾

٣٨- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ إعياءٍ، نزلت في اليهود تكذيبًا لقولهم: خَلَقَ اللهُ السماوات والأرضَ في ستة أيام، أولُها الأحدُ، وءاخرها الجمعةُ، واستراح يومَ السبت، واستلقى على العرش. وقالوا: إن الذي وقعَ في التشبيه في هذه الأُمة إنما وقع من اليهود ومنهم أُخِذَ.

٣٩- ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ على ما يقولُ اليهودُ ويأتون به من الكفر والتشبيه، أو على ما يقول المشركون في أمر البعث، فإنَّ مَن قَدَرَ على خلق العالَم قَدَرَ على بعثِهم والانتقام منهم ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ حامدًا ربك، والتسبيح محمولٌ على ظاهرِه، أو على الصلاة، فالصلاةُ ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ الفَجْرُ ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ الظهرُ والعصرُ.

٤٠- ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ العِشاءان، أو التَّهجُّدُ ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ التسبيحُ في ءاثار الصلوات، والسجودُ والركوع يُعبَّرُ بهما عن الصلاة، وقيل: النوافلُ بعدَ المكتوبات، أو الوِتْرُ بعدَ العشاء.

٤١- ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ لِمَا أُخبرك به من حال يوم القيامة، وفي ذلك تهويلٌ وتعظيمٌ لشأن المُخبَر به ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ يوم يُنادي المنادي يَخرجون من القبور، والمنادي: إسرافيلُ، يَنفخُ في الصُّور، وينادي: أيتها العظامُ البالية، والأوصالُ(١) المتقطّعة، واللحوم المتمزّقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركُنَّ أن تجتمعن لفَصْلِ القضاء، وقيل: إسرافيلُ يَنفخُ، وجبريلُ ينادي بالحشر ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [كأنه تحت أقدامهم، يُسمعُ البعيد كما يُسمع القريب].

---

(١) الأوصالُ: المَفاصل.

﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

٤٢- ﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ﴾ الصيحةُ: النفخةُ الثانية ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾ المرادُ به البعثُ والحشرُ للجزاء ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ من القبور.

٤٣- ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ﴾ الخلقَ ﴿وَنُمِيتُ﴾ أي: نُميتُهم في الدنيا ﴿وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ أي: مصيرُهم.

٤٤- ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ﴾ تَتصدَّعُ الأرض فتُخرجُ الموتى من صُدُوعها ﴿سِرَاعٗاۚ﴾ مسرعين ﴿ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾﴾ هَيِّنٌ، ولا يتيسَّر مثلُ ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذي لا يَشغَلُه شأنٌ عن شأن.

٤٥- ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ فيك وفينا، وهو تهديدٌ لهم، وتسليةٌ لرسول الله ﷺ ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ ما أنت بمُسَلَّط عليهم، إنما أنت داعٍ وباعثٌ ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ لأنه لا يَنفَعُ إلا فيه.

سورة الذاريات
مكية وهي ستون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ① فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ② فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ③ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ④ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ⑤﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ قَسَمٌ بالذاريات، وهي: الرياحُ لأنها تَذرو الترابَ وغيرَه [بهبوبها] ﴿ذَرۡوٗا ①﴾ [وذَرْوُها: إثارتُها وتفريقها].

٢- ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ﴾ السحابُ، لأنها تحمِلُ المطرَ ﴿وِقۡرٗا ②﴾ [ثِقَلًا عظيمًا من الماء].

٣- ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ﴾ الفُلْك ﴿يُسۡرٗا ③﴾ جريًا ذا يُسْر، أي ذا سهولة.

٤- ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ④﴾ الملائكةُ، لأنها تُقَسِّمُ الأمورَ من الأمطار والأرزاق وغيرهما [بأمر ربها]، ويجوز أن يُرادَ الرياحُ لا غيرُ، لأنها تُنْشِئُ السحابَ وتُقِلُّه وتُصَرِّفُه، وتجري في الجو جريًا سهلًا، وتقسم الأمطار بتصريف السحاب، ومعنى الفاء على الأول أنه أقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقُه فبالفُلك التي تجري بهبوبها فبالملائكة التي تُقَسِّمُ الأرزاق [وغيرها] بإذن الله. [وقالوا: الغرضُ بالقَسَم تأكيد المحلوفِ عليه، وتعظيم المحلوفِ به، وذِكرُ هذه الأشياء تذكيرٌ من الله تعالى بأنها نِعَمٌ عظيمة].

٥- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ جوابُ القَسمِ، والموعودُ: البعثُ ﴿لَصَادِقٞ ⑤﴾ وعدٌ صادق.

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾

٦- ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ الجزاءَ على الأعمالِ ﴿لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ لكائنٌ.

٧- ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ قَسَمٌ ءاخرُ ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾ الطرائقِ الحَسَنة، مثلُ ما يظهر على الماء من هبوب الريح، [وقيل: ذاتِ الإتقان والإحكام، وقيل: ذات الخَلْقِ الحسن]، وعن الحسن: حُبُكُهَا: نجومُها.

٨- ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ هو قولُهم في الرسول ﷺ: ساحر وشاعر ومجنون، وفي القرءان: سحرٌ وشعر وأساطيرُ الأولين.

٩- ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ يُصْرَفُ عنه مَن صُرِفَ الصَّرْفَ الذي لا صَرْفَ أشدُّ منه وأعظمُ، أو يُصرفُ عنه مَن صُرِف في سابق علمِ الله تعالى، أي: عَلِمَ فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوي[1].

١٠- ﴿قُتِلَ﴾ لُعِنَ ﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾ الكذابون، وهم أصحاب القول المختلِف، كأنه قيل: قُتِلَ هؤلاء الخرَّاصون.

١١- ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ في جهل يَغمُرهم ﴿سَاهُونَ ۝١١﴾ غافلون عما أُمروا به.

١٢- ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ فيقولون: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢﴾ يوم الجزاء، وتقديره: [متى] وقوعُ يوم الدين [الذي أقسمَ ربكم بالذاريات وغيرها أنه واقعٌ يُدانُ فيه العباد بأعمالهم، أي: يجازَونَ ويحاسبون، يقولون ذلك تعنُّتًا واستهزاءً].

١٣- ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ [أي: يقعُ] يومَ هم على النار يُحَرَّقون ويعذبون.

---

(١) أي: لا يَكُفُّ.

﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾

١٤- ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: تقولُ لهم خَزَنةُ النار: ذوقوا عذابكم وإحراقكم بالنار ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ أي: هذا العذاب هو الذي ﴿كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾ في الدنيا بقولكم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ۝٧٠﴾ [سورة الأعراف]. ثم ذكر حال المؤمنين فقال:

١٥- ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾ [بساتين] ﴿وَعُيُونٍ ۝١٥﴾ أي: وتكون العيونُ وهي الأنهار الجارية بحيث يرونَها وتقع عليها أبصارُهم لا أنهم فيها.

١٦- ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قابلينَ لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ [قبل دخول الجنة؛ أي: في الدنيا] ﴿مُحْسِنِينَ ۝١٦﴾ قد أحسَنوا أعمالَهم، وتفسير إحسانهم ما بعدَهُ.

١٧- ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ ينامون، والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل.

١٨- ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ وصفَهم بأنهم يُحيون الليلَ متهجّدين فإذا أَسحَروا أَخذوا في الاستغفار، والسَّحَرُ: السُّدُس الأخير من الليل.

١٩- ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ﴾ [أي: نصيبٌ] لِمَن يَسألُ لحاجته ﴿وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩﴾ الذي يتعرض ولا يسأل حياء، [أي: جعلوا ذلك على أنفسهم حقًّا لازمًا، وهو غير الزكاة].

٢٠- ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾ تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحُوَّةٌ كالبساط لِمَا فوقها، وفيها المسالك والفِجاجُ للمتقلّبين فيها، وهي مُجزَّأةٌ؛ فمِن سهل ومن جبل، وصُلبة ورِخوة وعَذَاةٍ[1]

---

(١) العَذَاةُ: الأرض الطيبةُ التربة، الكريمةُ المنبتِ.

﴿لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

وسَبِخة[1]، وفيها عيون متفجرة، ومعادنُ مُفْتَنَّةٌ[2]، ودوابُّ مُنبثَّة مختلفة الصُّوَر والأشكال، متباينةُ الهيئات والأفعال ﴿لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ للموحِّدين الذين سلكوا الطريق السويَّ البُرهاني الموصلَ إلى المعرفة، فهم نَظَّارونَ بعيون باصرة وأفهام نافذة، كلما رأَوا ءايةً عرفوا وجه تأمُّلها فازدادوا إيقانًا على إيقانهم.

٢١- ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ﴾ ءاياتٌ أيضًا في حال ابتدائها وتنقُّلها من حال إلى حال، وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفِطَرِ وبدائع الخلق ما تتحيَّر فيه الأذهانُ، وحسبُكَ بالقلوب وما رُكِزَ فيها من العقول، وبالألسُن والنطق ومخارج الحروف، وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حِكمَةِ مدبِّرها وصانعها، دعِ الأسماعَ والأبصار وسائرَ الجوارح وتأتِّيها لِمَا خُلقت له، وما سُوِّيَ في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتَّثنّي؛ فإنه إذا جَسَأَ[3] شيء منها جاء العجزُ وإذا استرخى أناخ الذُّلُّ، فتبارك الله أحسنُ الخالقين ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ تنظرونَ نَظَرَ مَن يعتبر.

٢٢- ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي: المطرُ، لأنه سببُ الأقوات ﴿وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الجنة، فهي [فوق] السماء السابعة تحت العرش.

٢٣- ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [أقسم الله تعالى بنفسه على أن ما تُوعدون به حقٌّ] ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي: إنه لَحَقٌّ حقًّا، [كما أنه لا شك في أنكم تنطقون ينبغي ألّا تَشكُّوا في تَحقُّق ذلك] مثلَ نطقكم.

---

(١) السَّبْخَةُ: الأرض المالحة لا تُنْبِت.
(٢) مُفْتَنَّةٌ: مُنَوَّعَة.
(٣) جَسَأَ: صَلُبَ.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾

٢٤- ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ تفخيمٌ للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله ﷺ وإنما عَرَفَه بالوحي، [وهو استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: قد أتاك، وقيل: أي: فها نحن نخبرك] ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ كانوا اثني عشر مَلَكًا، وقيل: تسعةً عاشِرُهم جبريل، وجعلَهم ضيفًا لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيمُ ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ عند الله.

٢٥- ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ أصلُه: نُسَلِّمُ عليكم سلامًا ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ﴾ أي: عليكم سلامٌ [أيضًا] ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: أنتم قوم مُنكَرون فعَرِّفوني من أنتم.

٢٦- ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ فذهبَ إليهم في خُفية من ضيوفه، ومن أدب المُضيف أن يُخفي أمرَه وأن يبادرَ بالقِرَى[1] من غير أن يَشعُرَ به الضيفُ حذرًا من أن يَكُفَّه ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ [أي: وقد شواهُ، كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة هود] أي مَشويّ بالحجارة المُحماة].

٢٧- ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ ليأكلوا منه فلم يأكلوا ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أنكر عليهم تركَ الأكل، أو حَثَّهم عليه [فلم يأكلوا].

٢٨- ﴿فَأَوْجَسَ﴾ فأضمر ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ خوفًا، لأن من لم يأكلْ طعامَك لم يحفظْ ذِمامَك[2] ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ إنا رُسُل الله ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ يبلغ ويعلم، والمبشَّر به إسحاقُ عليه السلام.

---

(١) قِرَى الضيف: الإحسانُ إليه وإكرامُه.
(٢) هذا مَثَلٌ، وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يَطعَم من طعامهم ظنوا أنه لم يَجِئْ بخير.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾

٢٩- ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ [زوجته سارة] ﴿فِى صَرَّةٍ﴾ في صَيحة، أي: فجاءت صارَّةً - [أي صائحةً] - وصَرَّتُها قولُها: يا ويلتا ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ فلطمت بِبَسْط يديها [وجهَها تعجبًا واستعظامًا على ما هو عادةُ النساء] ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ أنا عجوزٌ فكيف ألِدُ؟!

٣٠- ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ﴾ مثلَ ذلك الذي قلنا وأخبرنا به ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ أي: إنما نُخبركِ عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعدين ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في فِعلهِ ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ فلا يخفى عليه شيء.

ولَمّا علم أنهم ملائكةٌ وأنهم لا ينزلون إلا بأمر الله رسلًا في بعض الأمور:

٣١- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: فما شأنُكم وما طَلِبَتُكُمْ[1] وفيمَ أُرسلتم؟ ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾﴾ أُرسلتم بالبشارةِ خاصةً أو لأمر ءاخر أو لهما؟

٣٢- ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ أي: قوم لوط ﴿مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [مكتسبين لأنفسهم الهلاك بأعمالهم السيئة من تكذيب رسولهم وفواحشهم].

٣٣- ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ أُريدَ السِّجِّيلُ؛ وهو طين طبخ كما يُطبَخُ الآجُرُّ حتى صار في صَلابة الحجارة.

٣٤- ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ مُعَلَّمَةً، منَ السُّوْمَةِ وهي العلامةُ، على كل واحد منها اسمُ مَن يُهلَكُ به ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في مُلكِه وسُلطانه ﴿لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ سَمّاهم مسرفينَ كما سَمّاهم عادِينَ لإسرافهم وعُدوانهم في عَمَلِهم، حيث لم يقتنعوا بما أُبيحَ لهم.

---

(١) الطَّلِبَةُ: الحاجة.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾

٣٥- ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ في القرية ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ يعني لوطًا ومن ءامن به، [أمرنا لوطًا بأن يخرجَ مع مَن كان معه من المؤمنين قبل نزول العذاب بقومه].

٣٦- ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: غيرَ أهلِ بيتٍ، [وهو بيت لوط عليه السلام، وذُكِرَ أنهم لوطٌ وابنتاه، فأما امرأته فكانت كافرة] وفيه دليلٌ على أن الإيمانَ والإسلام واحدٌ، لأن الملائكةَ سَمَّوهم مؤمنينَ ومسلمين هنا.

٣٧- ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ في قُراهم ﴿ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ علامةً يَعتبر بها الخائفون دونَ القاسيةِ قلوبُهم، قيل: هي ماءٌ أسودُ مُنتن.

٣٨- ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ وجعلنا في موسى ءايةً ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ بحُجة ظاهرة؛ وهي اليدُ والعصا.

٣٩- ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ فأعرضَ عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ بما كان يتقوَّى به من جنوده ومُلكه، والركنُ: ما يَركَن إليه الإنسان من مال وجند ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ﴾ هو ساحر [بما يُرِي من العصا واليد] ﴿أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فيما يدَّعي ولا يُفكِّر في عاقبته، كالذي لا يَعقل].

٤٠- ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [ألقيناهم في البحر] ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ ءاتٍ بما يُلامُ عليه من كفره وعناده.

٤١- ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ هي التي لا خيرَ فيها من إنشاءِ مطر إلى إلقاح شجر، وهي ريح الهلاك، [وهي] الدَّبور،

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾

لقوله عليه الصلاة والسلام: «**نُصرتُ بالصَّبا، وأُهلكتْ عادٌ بالدَّبور**».

٤٢- ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ هو كل ما رَمَّ أي: بَلِيَ وتفتَّت من عظم أو نبات أو غير ذلك، والمعنى: ما تترك من شيء هبَّت عليه من أنفُسهم وأنعامهم وأموالهم إلا أهلكته.

٤٣- ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ ءاية أيضًا ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾ تفسيره قولُه تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة هود] [وذلك بعدما عقروا الناقة، أي: ثم تهلكون].

٤٤- ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فاستكبروا عن امتثاله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ العذابُ، وكل عذابٍ مُهلِكٍ صاعقةٌ ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ لأنها كانت نهارًا يعاينونها.

٤٥- ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ أي: هربٍ، [وما قدروا على النهوض حين نزول العذاب] ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ممتنعين من العذاب.

٤٦- ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ وأهلكنا قومَ نوح ﴿مِّن قَبْلُ ۖ﴾ من قبلِ هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ كافرين.

٤٧- ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ [أي: ومن الآيات الدالة على قدرة الله تعالى بعد هذه القصص خلقُ السماء] ﴿بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ لقادرون من الوُسْعِ: وهو الطاقةُ أو لموسِعُون ما بين السماء والأرض.

٤٨- ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ بسطناها ومهدناها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ نحن، [جعلنا ذلك لمنافعهم لا لحاجة بنا، ولا نطلب منهم عِوضًا على ذلك، فنعم الباسطون نحن].

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾

٤٩- ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الحيوان ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، وعن الحسن: السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبَرُّ والبحر، والموت والحياة، فعدَّد أشياءَ وقال: كل اثنين منها زوج، والله تعالى فردٌ لا مِثلَ له ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ فعلنا ذلك كلَّه من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه.

٥٠- ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: من الشرك إلى الإيمان بالله ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ﴾ [من الله، أي: من عذابه] ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [مُخَوِّف من عقابه الذي أحلَّه بهؤلاء الأمم الذين قصَّ عليكم قصصَهم ومما هو مُذيقهم إياه في الآخرة، ومبينٌ لكم نِذَارَته].

٥١- ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ التكرير للتوكيد، والإطالة بالوعيد أبلغ.

٥٢- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى تكذيبهم الرسول ﷺ وتسميتِه ساحرًا أو مجنونًا ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ من قبلِ قومك ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟﴾ هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ رَمَوهم بالسحر أو الجنون لجهلهم.

٥٣- ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾ أتواصَى الأوَّلون والآخِرون بهذا القول حتى قالوه جميعًا مُتَّفقين عليه؟! ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ لم يتواصَوا به لأنهم لم يتلاقَوا في زمان واحد، بل جمعَتْهم العلةُ الواحدة وهي الطغيان، والطغيان هو الحاملُ عليه.

٥٤- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرِضْ عن الذين كررتَ عليهم الدعوةَ فلم يُجيبوا عنادًا ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾ فلا لومَ عليك في إعراضك بعدما

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم
مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا
مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

بلَّغتَ الرسالةَ وبذلتَ مجهودَك في البلاغ والدعوة.

٥٥- ﴿وَذَكِّرْ﴾ وَعِظْ بالقرءان ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [أي: العظةَ تنفع المؤمنين] بأن تزيدَ في عَملهم [ولا تتركها لامتناع الكفار عن قَبولها].

٥٦- ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ إلا لآمُرَهم بالعبادة، وهو منقول عن علي رضي الله عنه.

٥٧- ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ ما خلقتُهم ليرزُقوا أنفسَهم أو واحدًا من عبادي ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ أن يُطعموا عبادي.

٥٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ الشديدُ القوةِ.

٥٩- ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ رسولَ الله ﷺ بالتكذيب من أهل مكة ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ نصيبًا من عذاب الله مثلَ نصيبِ أصحابهم ونُظَرائهم من القرون المُهلَكة ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾ نزولَ العذاب [فإنه كائن]، وهذا جوابُ النَّضرِ وأَصحابِهِ حين استعجلوا العذاب.

٦٠- ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ أي: مِن يومِ القيامة، وقيل: من يوم بدر.

سورة الطور
مكية وهي تسع وأربعون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ [قَسَمٌ بالطور، و] هو الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام، وهو بمَدْيَن.

٢- ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾ هو القرءان، أو [المُستنسخُ من] اللوح المحفوظ، أو التوراة، [ومسطورٌ: مكتوب].

٣- ﴿فِي رَقّٖ﴾ هو الصحيفةُ، أو الجلدُ الذي يكتب فيه ﴿مَّنشُورٖ ۝٣﴾ مفتوحٍ لا خَتْمَ عليه، [وقيل: ينشره أهلُه لقراءته].

٤- ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤﴾ أي: الضُّراحِ[1]، وهو بيتٌ في السماء [السابعة] حِيالَ الكعبة، وعُمرانه بكثرة زواره من الملائكة، روي أنه يدخله كل يوم سبعونَ ألفَ ملك ويخرجون، ثم لا يعودون إليه أبدًا، وقيل: الكعبةُ لكونها معمورةً بالحُجّاج والعُمَّار.

٥- ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥﴾ أي: السماء، أو العرش.

---

(١) سُمِّيَ به لاشتقاقه من المُضارَحة وهي المُقابَلة، فهو مُقابل للكعبة، أو مُشتَقٌّ من الضَّرحِ: البعدُ، سُمِّيَ به لارتفاعه وبُعدِه.

﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ۝١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ۝١٥﴾

٦- ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾ المملوء، أو المُوقَد، [روِيَ أنه تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارًا يُسجَرُ بها نارُ جهنم].

وجواب القسم:

٧- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾ الذي أوعَد الكفارَ به ﴿لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾ لنازل.

٨-٩- ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾ لا يمنعه مانع ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩﴾ أي يقع في ذلك اليوم؛ يومَ تدورُ [السماء] كالرَّحى مضطربةً.

١٠- ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠﴾ في الهواء كالسحاب، لأنها تصير هَباءً منثورًا.

١١- ﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ [بالبعث والجزاء].

١٢- ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ۝١٢﴾ غُلِّبَ الخوضُ في الاندفاع في الباطل والكذب، [أي يقولون ما يَعرِض لهم من غير حجة، بل بهوى وشهوة].

١٣-١٤- ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣﴾ الدَّعُّ: الدفعُ العنيف، وذلك أن خَزَنَةَ النارِ يَغُلُّون أيديَهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصِيَهم إلى أَقدامِهم، ويَدفعونهم إلى النار دفعًا على وجوههم، وزَخًّا في أقفيتهم، فيقال لهم: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾ في الدنيا.

١٥- ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ﴾ يعني: كنتم تقولون للوحي: هذا سحر، أفسحر هذا؟ يريدُ: أهذا المصداقُ أيضًا سحرٌ؟! ﴿أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ۝١٥﴾ كما كنتم لا تبصرون في الدنيا، يعني أم أنتم عُميٌ عن المُخْبَر عنه، كما كنتم عميًا عن الخَبَر عنه؟ وهذا تقريع وتهكُّم.

﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾

١٦- ﴿ٱصۡلَوۡهَا﴾ [ادخلوها وذوقوا حرَّها] ﴿فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ سواء عليكم الأمران الصبرُ وعدمه ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ لأن الصبر إنَّما يكون له مزيةٌ على الجزَع لنفعه في العاقبة بأن يُجازى عليه الصابر جزاء الخير، فأما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزَع.

١٧- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ﴾ في أيَّةِ جنات ﴿وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾﴾ وأيِّ نعيم، بمعنى الكمالِ في الصفة.

١٨- ﴿فَٰكِهِينَ﴾ متلذِّذين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ [أي: أعطاهم] ﴿وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ [حفظهم منه] يقال لهم:

١٩- ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ أكلًا وشربًا هنيئًا، وهو الذي لا تنغيصَ[1] فيه [جزاءً لكم بطاعاتكم في الدنيا].

٢٠- ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ﴾ جَمْعُ سرير ﴿مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ موصولٍ بعضُها ببعض ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم﴾ وقرَنَّاهم ﴿بِحُورٍ﴾ جَمْعُ حَوْراءَ ﴿عِينٖ ﴿٢٠﴾﴾ عظامِ الأعيُنِ حِسانِها.

٢١- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم﴾ أولادُهم ﴿بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ أي: نُلحِقُ الأولادَ بإيمانهم وأعمالهم درجاتِ الآباء، وإن قَصُرَتْ[2] أعمالُ الذرية عن أعمال الآباء ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ وما

---

(١) التَّنغيصُ: التَّكدير.

(٢) الأطفال لمجرد أنهم مؤمنون يتبعون الآباء في دخول الجنة، لأنهم عملوا أعمال اٰبائهم في الإيمان مع أنهم ما عملوا عمل الآباء في الدين، وهذا في غير المكلَّفين.

﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا
وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ
يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾

نَقَصْناهُم من ثواب عَمَلِهم من شيء ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾ مرهونٌ، فنفس المؤمن مرهونةٌ بعمله وتُجازَى به، [ولا يُنقص من ثواب الآباء بسبب إلحاق الأبناء بهم مع أنهم أقلُّ عملًا من الآباء].

٢٢- ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم﴾ وزِدناهم في وقتٍ بعدَ وقت ﴿بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢٢﴾ وإن لم يقترحوا.

٢٣- ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا﴾ يتناول هذا الكأس[1] من يد هذا، وهذا من يد هذا ﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا﴾ في شربها ﴿وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾ لا يجري بينهم باطلٌ ولا ما فيه إثمٌ من الكذب والشتم ونحوهما كشاربي خَمرِ الدنيا، فيتكلمون بالحِكَم والكلام الحَسَن.

٢٤- ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [للخِدمة] ﴿غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ﴾ مملوكونَ لهم مخصوصون بهم، [خُلقوا في الجنة] ﴿كَأَنَّهُمۡ﴾ من بياضهم وصفائهم ﴿لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤﴾ [مَصُونٌ] في الصَّدَفِ، لأنه رَطبًا أحسنُ وأصفى.

٢٥- ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥﴾ يسأل بعضُهم بعضًا عن أحواله وأعماله [في الدنيا التي] استحقَّ بها نَيْلَ ما عند الله.

٢٦- ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ﴾ في الدنيا ﴿فِيٓ أَهۡلِنَا﴾ [مع أهلنا] ﴿مُشۡفِقِينَ ٢٦﴾ أَرِقَّاءَ القلوب من خشية الله، أو خائفين من نزع الإيمان وفوتِ الأمان، أو من رَدِّ الحسنات والأخذِ بالسيئات.

٢٧- ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ بالمغفرة [للسيئات] والرحمة [بقبول الطاعات مع تقصيرها] ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ هي الريحُ الحارةُ

---

(١) الكأسُ قَدَحٌ فيه شرابٌ، ولا يُسمَّى كأسًا حتى يكون فيه شرابٌ.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ
بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾

التي تدخل المَسامَّ[1]، فسُمِّيت بها نارُ جهنم، لأنها بهذه الصفة.

٢٨- ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ من قبلِ لقاءِ الله تعالى والمصير إليه؛ يعنون في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبدُه ولا نعبدُ غيرَه ونسأله الوقاية ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ المُحسِنُ ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ العظيمُ الرحمة الذي إذا عُبِدَ أثابَ وإذا سُئِلَ أجابَ.

٢٩- ﴿فَذَكِّرْ﴾ فاثبُت على تذكير الناس ومَوعِظَتِهم ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ برحمة ربك وإنعامه عليك بالنبوة ورَجاحة العقل ﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ كما زعموا [والكاهنُ: هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر عَمّا في غدٍ من غير وحي، أما أنت فتنطق بالوحي وليس ذلك من الكَهانةِ في شيء].

٣٠- ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: هو ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ حوادثَ الدهر، أي ننتظرُ نوائبَ الزمان فيهلِكُ كما هَلَكَ مَن قبلَه من الشعراء.

٣١- ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هو تهديدٌ لا أمرٌ؛ أي: أنتم تتربصون مَوتي، وأنا أتربَّصُ أن يُظفرَني الله عليكم فتنقادوا إليَّ بالإسلام، أو يقتلكم الله بيدي وأيدي أصحابي، أو تموتوا على الكفر على الذُّل والقهر].

٣٢- ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ عقولهم ﴿بِهَٰذَآ﴾ التناقض في القول، وهو قولهم: كاهن وشاعر مع قولهم: مجنون ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾ مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم.

---

(١) مَسامُّ البدن: خُروقُه.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ
شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ
أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

٣٣- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ﴾ اختلقَه محمدٌ من تِلقاء نفسه ﴿بَل﴾ ردٌّ عليهم، أي ليس الأمر كما زَعموا ﴿لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فلِكُفرهم وعنادهم يرمونَ بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم، وأنه ليس بمتقوَّلٍ لعجزِ العرب عنه، وما محمدٌ إلا واحدٌ من العرب.

٣٤- ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ﴾ مُختَلَق ﴿مِّثۡلِهِۦٓ﴾ مثلِ القرءان ﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ في أن محمدًا تقوَّلَه من تِلقاء نفسه، لأنه بلسانهم وهم فصحاء.

٣٥- ﴿أَمۡ خُلِقُواْ﴾ أم أُحدِثوا وقُدِّروا التقديرَ الذي عليه فِطرتُهم ﴿مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ﴾ من غير مُقَدِّر ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أم هم الذين خلقوا أنفسَهم حيث لا يعبدونَ الخالقَ؟! قيل: أَخُلِقوا من أجل لا شيءٍ من جزاءٍ ولا حساب، أم هم الخالقون فلا يأتَمِرون.

٣٦- ﴿أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ﴾ فلا يعبدونَ خالقَهما ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لا يتدبَّرونَ في الآياتِ فيعلموا خالقَهم وخالقَ السماوات والأرض.

٣٧- ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ مِنَ النبوَّةِ والرزق وغيرهما، فيَخُصّوا من شاؤوا بما شاؤوا ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ الأربابُ الغالبونَ حتى يُدَبِّروا أمرَ الربوبية ويبنوا الأمورَ على مشيئتهم.

٣٨- ﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ﴾ يرتقون به إلى السماء ﴿يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ﴾ كلامَ الملائكة وما يوحَى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائنٌ مِنْ تقدُّم هلاكِهِ على هلاكهم وظفَرهم في العاقبة دونه كما يزعمون ﴿فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ بحُجة واضحة تُصَدِّقُ استماعَ مُستمِعِهم.

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

٣٩- ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ثم سَفَّهَ أحلامَهم حيث اختاروا لله ما يكرهون، وهم حكماءُ عند أنفسِهم.

٤٠- ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على التبليغ والإنذار ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ أي لَزِمَهم مَغْرَمٌ ثقيلٌ فَدَحَهم[1] فزهَّدَهم ذلك في اتِّباعك.

٤١- ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ اللوح المحفوظ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾ ما فيه حتى يقولوا: لا نُبعثُ، وإنْ بُعِثنا لم نُعذَّبْ.

٤٢- ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ﴾ وهو كيدُهم في دار الندوة[2] برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إشارة إليهم ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ هم الذين يعودُ عليهم وَبالُ كيدهم ويَحِيقُ[3] بهم مكرُهم، وذلك أنهم قُتِلوا يومَ بدر.

٤٣- ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ﴾ يمنعُهم من عذاب الله ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [أي: هو مُنَزَّهٌ عن ذلك].

٤٤- ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ﴾ الكِسْفُ: القِطعةُ، يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا: هذا سحاب ﴿مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ قَدْ رُكِمَ، أي: جُمِعَ بعضُه على بعض يُمْطِرُنا، ولم يصدقوا أنه كِسْفٌ ساقط للعذاب.

---

(١) فَدَحَهم: أثقلَهم، فَدَحَهُ الدَّيْنُ: أثقلَه.
(٢) أي: دار المَشُورة.
(٣) الحَيْقُ: هو أن يشتمل على الإنسان عاقبةُ مكروهِ فِعلِه، وحاقَ بهم مكرهم: نزل بهم وأحاط بهم.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ
بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾

٤٥- ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [أي أعرضْ عنهم ولا تحرصْ على أن يعاجَلوا بالعذاب] ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [حتى يهلكوا بالصاعقة] وذلك عند النفخة الأولى، نفخةِ الصَّعْقِ.

٤٦- ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [لا يَدفَعُ عنهم مكرُهم شيئًا من العذاب] ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [ولا يمنعهم من العذاب مانع].

٤٧- ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وإن لهؤلاء الظَّلَمة ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ دونَ يوم القيامة، وهو القتلُ ببدر، والقَحْطُ سبعَ سنينَ، وعذابُ القبر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ ذلك. ثم أمرَهُ بالصبر إلى أن يقعَ بهم العذابُ فقال:

٤٨- ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم وما يلحقُكَ فيه من المَشقَّة ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بحيث نراكَ ونكلَؤكَ(١)، وجَمعَ العينَ لأن الضمير بلفظ الجماعة، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة طه]، [أي: ولتُربَّى على رعايتي وحفظي] ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ للصلاة، وهو ما يقال بعد التكبير: سبحانك اللهم وبحمدك(٢)، أو من أيِّ مكان قمتَ، أو من مَنامك(٣).

---

(١) نَكْلَؤك: نحفظك ونحرسُك، والكِلاءةُ: الحفظُ والحراسة.

(٢) هذا يُسنُّ عند الإمام أبي حنيفة؛ وهو: «سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمُك، وتعالى جَدُّك، (أي عَظَمَتُك)، ولا إله غيرُك» وهو كالافتتاح المسنون بعد التكبير عند الإمام الشافعي، وهو: «وجهتُ وجهيَ للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمرتُ وأنا من المسلمين»، وأما عند الإمام مالك فيبدأ في الفريضة بالفاتحة فورًا بعد التكبير من غير هذا ولا هذا.

(٣) أي: عند القيام من النَّوم.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾

٤٩- ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ وإذا أدبـرَت الـنـجـومُ مـن ءاخر الـليـل، والـمـراد الأمرُ بقـول: سبـحـان الله وبـحـمـده في هـذه الأوقات، وقيل: التسبيحُ: الصلاةُ إذا قام من نومه، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ صلاةُ العشاءين، ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ صلاةُ الفجر.

سورة النجم
مكية وهي اثنتان وستون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ قَسَمٌ بالثُّرَيّا، أو بجنس النجوم [والعرب تُسمّي الثُّرَيّا - وهي ستةُ أنجم - نجمًا، وقيل: هي سبعةٌ، ستةٌ منها ظاهرة، وواحدٌ خَفِيٌّ يَمتحن به الناسُ أبصارَهم] ﴿إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ إذا غربَ أو انتثرَ[(١)] يومَ القيامة، وجوابُ القسم:

٢- ﴿مَا ضَلَّ﴾ عن قَصْدِ الحق ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ محمدٌ ﷺ، والخطابُ لقريش ﴿وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ في اتِّباع الباطل، وقيل: هو مهتدٍ راشدٌ وليس كما تزعُمونَ من نِسبتكم إياه إلى الضلال والغَيّ.

٣- ٤- ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ وما أتاكم به من القرءان ليس بمَنْطِق يصدُر عن هواهُ ورأيِهِ، إنما هو وحيٌ من عند الله يوحَى إليه. ويحتجُّ بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام، ويُجاب بأن الله تعالى إذا سَوَّغَ لهم الاجتهادَ وقَرَّرَهم عليه كان كالوحي لا نُطقًا عن الهوى.

---

(١) قال تعالى في سورة الانفطار: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ أي: تساقطت من مواضعها متفرقةً، يعني: يوم القيامة.

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾

٥- ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ علَّمَ محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ مَلَكٌ شديدٌ قُواهُ، وهو جبريلُ عليه السلام عند الجمهور، ومِن قُوَّته أنه اقتلعَ قُرى قومِ لوط وحملَها على جناحه ورفعها إلى السماء، ثم قلَبها، وصاحَ صيحةً بثمودَ فأصبحوا جاثمين(١).

٦- ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو مَنظرٍ حَسَن، [أو ذو قوَّة] ﴿فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾ فاستقام على صورة نفسِه الحقيقية دونَ الصورةِ التي كان يتمثَّل بها كُلَّما هبطَ بالوحي، وكان ينزل في صورة دِحْيَةَ(٢)، وذلك أن رسول الله ﷺ أحبَّ أن يراه في صورته التي جُبِلَ عليها(٣)، فاستوى له في الأفق الأعلى وهو أُفُق الشمس فملأ الأفق.

٧- ﴿وَهُوَ﴾ جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾ مَطلَعِ الشمس.

٨- ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جبريلُ من رسول الله ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾ فزادَ في القُرب، والتدلِّي هو النزولُ بقرب الشيء.

٩- ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ مقدارَ قوسين عربيَّتين، [قيل: من طرف العود إلى طرفه الآخر، وقيل: من الوَتَر إلى العود في وسط القوس عند المَقبِض]، وقد جاء التقدير بالقوس والرُّمح والسوط والذراع والباع(٤) ﴿أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ أي: على تقديركم، وقيل: بل أدنى.

---

(١) جاثمين: أي خامدين ميتين لا حَراكَ لهم.
(٢) هو دِحية الكلبي صحابي مشهور من السابقين الأولين، وكان يُضرب به المثل في حسن الصورة.
(٣) جُبِلَ عليها: خُلِقَ عليها، وجِبْلَّةُ الشيء: طبيعتُه وأصلُهُ وما بُنِيَ عليه.
(٤) الباعُ: مَسافة ما بين الكفَّين إذا انبسطت الذراعان يمينًا وشمالًا.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾

١٠- ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ [أي: بَلَّغَ] جبريلُ عليه السلام [الوحيَ] ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ إلى عبد الله وإن لم يَجرِ لاسمه تعالى ذِكرٌ لأنه لا يلتبس ﴿مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ تفخيمٌ للوَحي الذي أُوحِيَ إليه.

١١- ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ فؤاد محمد ﷺ ﴿مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ ما رءاه ببَصره من صورة جبريل عليه السلام، يعني: أنه رءاه بعينه، وعرفه بقلبه ولم يشكَّ في أن ما رءاه حقٌّ.

١٢- ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ أفتجادلونه؟! من المِرَاء، وهو المُجادلة ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ [فتقولون: إنه لم يرَ جبريلَ عليه السلام، وإنما رأى شيطانًا كما ترى الكهنةُ الشياطين]؟!

١٣- ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأى محمدٌ جبريلَ عليه السلام ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ مَرَّةً أخرى من النزول، أي: نَزَلَ عليه جبريلُ عليه السلام نزلةً أُخرى في صورة نفسه[1] فرءاه عليها، وذلك ليلةَ المعراج.

١٤- ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ شجرةِ نَبِقٍ[2] في السماء السابعة عن يمين العرش، [وقيل: أصلها في السماء السادسة وتعلو إلى ما فوقَ السابعة] والمنتهى: بمعنى موضعِ الانتهاءِ، أو الانتهاءِ، كأنها في منتهى الجنة وءاخِرِها، وقيل: لم يُجاوزها أحدٌ، وإليها ينتهي عِلمُ الملائكة وغيرهم ولا يعلمُ أحدٌ ما وراءها، وقيل: تنتهي إليها أرواحُ الشهداء.

١٥- ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [جنةُ الخُلد]، الجنةُ التي يصيرُ إليها المتَّقون.

---

(١) أي في صورة جبريلَ الأصليَّةِ.
(٢) النَّبِقُ: حَمْلُ السِّدْر.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾

١٦- ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ رءاه إذ يَغشَى السدرةَ - [أي: يُغطِّيها] - ما يغشَى، وهو تعظيمٌ وتكثير لِمَا يغشاها، فقد عُلم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عَظَمةِ الله تعالى وجلاله أشياءُ لا يُحيط بها الوصفُ، وقد قيل: يغشاها الجَمُّ الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها، وقيل: يغشاها فَراشٌ من ذهب.

١٧- ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ بَصرُ رسولِ الله ﷺ، ما عَدَلَ عن رؤية العجائب التي أُمِرَ برؤيتها ومُكِّنَ منها ﴿وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ وما جاوزَ ما أُمِرَ برؤيته.

١٨- ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ الآيات أي: التي هي كُبْراها وعُظماها، يعني: حين رُقِيَ به إلى السماء فأُرِيَ عجائبَ المَلَكوت.

١٩- ٢٠- ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ﴿٢٠﴾﴾ أي: أخبرونا عن هذه الأشياء التي تعبدونَها من دون الله عز وجل هل لها من القدرة والعَظَمة التي وُصِفَ بها ربُّ العزة؟! اللاتُ والعُزَّى ومناةُ: أصنامٌ لهم وهي مؤنثاتٌ. واللات كانت لثَقِيفٍ بالطائف، وقيل: كانت بنخلةَ[(١)] تعبدها قريش، والعُزَّى كانت لغَطَفَانَ: وهي سَمُرةٌ[(٢)]، قطعها خالد بن الوليد، ومَناةُ: صخرةٌ كانت لِهُذَيْلٍ وخُزَاعَةَ، وقيل: لثقيف ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ هي صفةُ ذمٍّ أي المتأخرةَ الوضيعةَ المِقدار.

---

(١) أي ببطنِ نخلةَ، موضعٌ بين مكةَ والطائف.
(٢) السَّمُرَة: شجرةٌ طويلةٌ لها ظلٌّ يستظلُّ بها الناس والإبل، ورقها قليل ولها أغصان طوال وشوك كثير.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ (٢٣) أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ (٢٥) ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ (٢٦)﴾

كانوا يقولون: إن الملائكةَ وهذه الأصنامَ بناتُ الله، وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وَأْدِهم البناتِ وكراهتهم لهن، فقيل لهم:

٢١- ٢٢- ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ (٢٢)﴾ أي: جعلُكم لله البناتِ ولكم البنينَ قسمةٌ ضِيزَى أي جائرةٌ.

٢٣- ﴿إِنْ هِىَ﴾ ما الأصنامُ ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ ليس تحتَها في الحقيقة مُسَمَّياتٌ، لأنكم تَدَّعون الإلهيةَ لما هو أبعد شيء منها وأشدُّ منافاةً لها ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ﴾ [تقليدًا] ﴿وَءَابَآؤُكُم﴾ [جهلًا] ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجةٍ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا توهُّمَ أن ما هم عليه حقٌّ ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ وما تشتهيه أنفسُهم ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ (٢٣)﴾ الرسولُ ﷺ والكتابُ فتركوه ولم يعملوا به.

٢٤- ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤)﴾ أي: ليس للإنسان الكافرِ ما تمنَّى من شفاعة الأصنام، أو من قوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ (٥٠)﴾، وقيل: هو تمنّي بعضِهم أن يكون هو النبيَّ.

٢٥- ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ (٢٥)﴾ هو مالكُهما وله الحكم فيهما، يُعطي النبوةَ والشفاعةَ من شاء وارتضى لا مَن تمنَّى.

٢٦- ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ (٢٦)﴾ يعني أن أمرَ الشفاعةِ ضيّقٌ، فإن الملائكة مع قُربتهم وكَثرتهم لو شفَعوا بأجمعهم لأحد لم تُغنِ شفاعتهم شيئًا قط ولم تنفع إلا إذا شفَعوا من بعد أن يأذنَ اللهُ لهم في الشفاعة لِمَن يشاءُ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ
إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ
ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ
ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ
أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾﴾

الشفاعةَ له ويرضاه ويراه أهلًا لأن يُشفعَ له، فكيف تشفعُ الأصنامُ إليه لعَبَدَتهم؟

٢٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ لأنهم قالوا: الملائكة بناتُ الله، وهي تسميةُ الأنثى.

٢٨- ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾ أي: بما يقولون ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ﴾ تقليدَ الآباء ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾﴾ أي: [لا ينوبُ منابَ الحق ولا يُنَزَّل صاحبُه منزلةَ المحق] إنما يُعرفُ الحق الذي هو حقيقةُ الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم.

٢٩- ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾ فأعرِض عمن رأيته مُعرِضًا عن ذكر الله، أي القرءان، [أي: لا تهتمَّ لشأنه] ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾﴾ [فإنَّ مَن انهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى هِمَّته ومبلَغ علمه لا تزيده الدعوة إلا عنادًا وإصرارًا على الباطل].

٣٠- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: اختيارُهم الدنيا والرضا بها ﴿مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ مُنتهى عِلمِهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ أي: هو أعلم بالضالِّ والمهتدي وهو مُجازيهما.

٣١- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [مُلكًا ومِلكًا وخلقًا، خلقَهم وتعبَّدَهم] ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ بعقاب ما عَمِلوا من السوء ﴿وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾﴾ بالمَثوبة الحُسنى، وهي الجنةُ، والمعنى أن الله عز وجل إنما خلق العالم وسَوَّى هذا الملكوتَ ليجزيَ المُحسنَ من المكلَّفين [بما هو أهلُه] والمسيءَ منهم [بما يستحقُّه].

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ٣٣ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ٣٤﴾

٣٢- ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أي: هم الذين ﴿يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ الكبائرَ من الإثم، لأن الإثم يشتمل على كبائرَ وصغائرَ، والكبائرُ الذنوب التي يكبرُ عقابُها] ﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ ما فَحُشَ من الكبائر ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ أي: الصغائرَ، والاستثناءُ منقطعٌ، لأنه ليس من الكبائر والفواحش ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [حيث يكفِّرُ الصغائر باجتناب الكبائر ما لم يُصِرَّ عليها، فلسَعَةِ مغفرته يغفرُ ما تِيْبَ عنه، ويغفرُ اللمم لمجتنب الكبائر ما لم يُصِرَّ عليها، ويغفر ما سلف في الجاهلية، ويغفر] ما يشاء من الذنوب من غير توبة ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم﴾ أي: أباكم ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ﴾ جمع جَنين ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ فلا تنسُبوها إلى زَكاءِ العملِ وزيادةِ الخير والطاعات، فقد عَلِمَ الله الزكيَّ منكم والتقيَّ أولًا وءاخِرًا قبل أن يُخرجَكم من صُلبِ ءادم عليه السلام، وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ فاكتفُوا بعلمه عن علم الناس، وبجزائه عن ثناء الناس.

٣٣- ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ٣٣﴾ أعرضَ عن الإيمان.

٣٤- ﴿وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ٣٤﴾ قطعَ عَطِيَّتَه وأمسكَ، [وقيل]: نزلت فيمن كفر بعد الإيمان، وقيل: في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتَّبع رسولَ الله فَعَيَّره بعض الكافرين وقال له: تركتَ دينَ [ءابائك] الأشياخ وزعمتَ أنهم في النار، قال: إني خشيتُ عذابَ الله، فضمِن له - [الذي عَيَّرَه] - إن هو أعطاه شيئًا من ماله ورجع إلى شِرْكِه أنه يَتَحمَّل عنه عذاب الله، ففعل وأعطى الذي عاتَبَه بعضَ ما كان ضَمِنَ له، ثم بَخِلَ به ومَنَعَه، [وقيل: ما دخلَ في الإسلام ثم كفر، وإنما مَدَحَ القرءان وأراد الدخول في الإسلام فَعَيَّره بعض الكافرين وكان ما ورد في بقية القصة].

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى
وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

٣٥- ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ فهو يعلمُ أنَّ ما ضَمِنَه من عذاب الله حَقٌّ؟!

٣٦- ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ يُخْبَرْ ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ أي: التوراة.

٣٧- ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ وفي صحف إبراهيم ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ أتمَّ [ما أُمِرَ به]، وعن الحسن: ما أمره اللهُ بشيء إلا وَفَّى به.

ثم أعلمَ بما في صحف موسى وإبراهيم فقال:

٣٨- ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ لا تحملُ نفسٌ ذنبَ نفسٍ [أما ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**ومن سَنَّ في الإسلام سنةً سيئةً كان عليه وِزرُها ووِزرُ من عَملَ بها بعد**» فليس معناه أن ذنب هذا الفاعل الأخير ينتقل إلى الفاعل الأول بحيث لا يبقى عليه هو وِزرٌ، بل يبقى عليه وِزرُه ويحمل الفاعلُ الأول وزرًا أيضًا استحقَّه بفعل نفسه بتسببه بذلك الوِزر].

٣٩- ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ إلا سَعيُه، وهذه أيضًا مما في صحف إبراهيمَ وموسى، وأما ما صح في الأخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل: إن سعيَ غيرِه لمَّا لم ينفعه إلا مَبْنِيًّا على سعي نفسه وهو أن يكون مؤمنًا كان سعيُ غيره كأنه سعيُ نفسه لكونه تابعًا له وقائمًا بقيامه، [وَلم تنفِ الآيةُ انتفاعَ الإنسان بسعي غيره كصدقة وحج عن ميت، بل نفت ملكَ سعي غيره، وسعيُ الغير مِلكٌ لساعيه فإن شاء يبذله لغيره وإن شاء يبقيه لنفسه، فما كان من رحمة بشفاعة أو تضعيف ثواب أو صدقة عُملت عن ميت أو حج أو نحو ذلك مما عُمل عن الميت بعد وفاته، وكذا ما يناله من الخير بصلاة الجنازة عليه فليس هو للإنسان ولا يقول فيه: لي كذا وكذا إلّا على

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨﴾

تجوُّزٍ وإلحاق بما هو حقيقة، بل هو محض فضل زائدٍ من الله تعالى على ما هو له من سعيه].

٤٠- ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠﴾ يرى هو سعيَه يوم القيامة في ميزانه.

٤١- ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾ ثم يُجْزَى العبدُ سعيَه ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ [الأتمَّ، وفيه وعيدٌ للكافر ووعدٌ للمؤمن].

٤٢- ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ هذا كله في الصحف الأولى، أي ينتهي إليه الخَلق ويرجعون إليه [للجزاء].

٤٣- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣﴾ خلقَ الضحكَ والبكاءَ وقيل: خلقَ الفرحَ والحزن، وقيل: أضحك المؤمن في العقبى بالمواهب، وأبكاه في الدنيا بالنوائب[(١)].

٤٤- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤﴾ أمات الآباء وأحيا الأبناء، أو أمات بالكفر وأحيا بالإيمان، أو أمات هنا وأحيا ثَمَّة.

٤٥- ٤٦- ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ [الصنفين] ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦﴾ إذا تُدْفَقُ في الرحم.

٤٧- ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧﴾ [النشأة الأولى من النطفة، والنشأة الأخرى] الإحياءُ بعدَ الموت ومعنى ﴿عَلَيْهِ﴾ أنه فاعله - أي للبعث - لا محالةَ بما وعدَ ذلك وعدًا حتمًا].

٤٨- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ [مَن شاء من خلقه] ﴿وَأَقْنَىٰ ۝٤٨﴾ وأعطى القِنْيَةَ، وهي المال الذي تأَثَّلْتَه[(٢)] وعزمتَ أَلّا تُخرجه من يدك.

---

(١) أي: المصائب الشديدة.

(٢) تأَثَّلْتَه: أي اتخذته أصلًا.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ
إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ
تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾

٤٩- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ هو كوكبٌ يَطلُع بعد الجوزاء في شدةِ الحَرّ، وكانت خُزاعةُ تعبدُها، فأعلمَ اللهُ أنه ربُّ معبودِهم هذا.

٥٠- ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ هُمْ قومُ هود [أهلكهم الله بريح صَرْصَرٍ عاتية] وعادٌ الأُخرى: إرَمُ، [وقيل: الأولى: القدماءُ لأنهم أول الأمم هلاكًا بعد قوم نوح عليه السلام].

٥١- ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ وأهلك ثمودَ - [وهم قوم نبي الله صالح عليه السلام] - فما أبقاهم.

٥٢- ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ﴾ أهلكَ قومَ نوح ﴿مِّن قَبۡلُۖ﴾ من قبلِ عادٍ وثمودَ ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ من عادٍ وثمودَ، لأنهم كانوا يضربونه حتى لا يكونَ به حَراكٌ، ويُنَفِّرون عنه، حتى كانوا يُحذرونَ صِبيانَهم أن يسمعوا منه.

٥٣- ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ﴾ والقرى التي ائتَفكَت بأهلها، أي انقلَبت، وهم قومُ لوط ﴿أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ رفعَها إلى السماء على جناح جبريلَ ثم أهواها إلى الأرض أي أسقطها.

٥٤- ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ أَلْبَسها ﴿مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ تهويلٌ وتعظيم لِما صَبَّ عليها من العذاب، وأمطرَ عليها من الصخر.

٥٥- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ تتشكك بما أَوْلاك من النِّعَم، أو بما كفاك من النِّقَم، أو بأي نِعَم ربِّك تُشَكِّك.

٥٦- ﴿هَٰذَا نَذِيرٞ﴾ أي: محمدٌ ﷺ منذر ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ من المنذِرين الأَوَّلِين، أو هذا القرءان إنذارٌ من جنس الإنذارات الأُولى التي أُنذر بها مَن قبلَكم.

﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا
تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ۝٦٢﴾

٥٧- ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ۝٥٧﴾ قَرُبت الموصوفة بالقرب في قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ۝١﴾ [سورة القمر].

٥٨- ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ ليس لها نفس مُبَيِّنة متى تقومُ، [أي لا يعلمُ ذلك إلا الله تعالى، أو إذا غشِيَت الخلقَ شدائدُها وأهوالُها لم يكشِفْها أحدٌ ولم يَرُدَّها].

٥٩- ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: القرءانِ ﴿تَعْجَبُونَ ۝٥٩﴾ إنكارًا.

٦٠- ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾ خشوعًا [وتَدَبُّرًا]؟! [وهو استفهام بمعنى التوبيخ والإنكار].

٦١- ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾ غافلونَ، أو لاهُونَ لاعبون، وكانوا إذا سمعوا القرءانَ عارضوه بالغناء ليَشغَلوا الناسَ عن استماعه.

٦٢- ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ۝٦٢﴾ [وَحِّدوه وأطيعوه].

سورة القمر
مكية وهي خمس وخمسون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ قَرُبَتِ القيامةُ ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ نصفين، اقتربت الساعة وقد حصل من ءايات اقترابها أن القمر قد انشقَّ، ولا يقال: لو انشقَّ لَما خفي على أهل الأقطار، ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترًا، لأن الطباعَ جُبلت على نشر العجائب، لأنه يجوز أن يَحجُبَه اللهُ عنهم بغيم، [أو يَشغَلَهم عن رؤيته ببعض الأمور لِضَرْبِ تدبيرٍ ولطف منه تعالى لئلا يدَّعِيَه بعضُ الملتبسين في الآفاق لنفسه ويدَّعي الرسالة كاذبًا وأنه حصل بناء على دعواه، ويحتمل أن الله تعالى أخفاه عن أهل الآفاق ولم يُظهره إلا على مَن حضر مع النبي عليه الصلاة والسلام عند حصول المعجزة، فالكفار أخفَوه والصحابة الذين رأوا قد نقلوه] قال ابن مسعود رضي الله عنه: رأيت حِرَاءَ[1] بين فِلقَتَي القمر.

٢- ﴿وَإِن يَرَوۡاْ﴾ يعني أهل مكة ﴿ءَايَةٗ﴾ تدلُّ على صدق محمد ﷺ ﴿يُعۡرِضُواْ﴾ عن الإيمان به ﴿وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾ محكَمٌ قويٌّ من المِرَّةِ: القوةُ، أو دائمٌ مُطَّرِدٌ[2]، أو مارٌّ ذاهبٌ يزول ولا يبقى.

---

(١) حِرَاءُ: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال من مكة.
(٢) أي: متتابعٌ.

﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ
مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ
نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ
ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

٣- ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ النبيَّ ﷺ ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ وما زيَّنَ لهم الشيطان مِن دفع الحقِّ بعد ظهوره ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ وَعَدَهم الله ﴿مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾ كائنٌ في وقته، [وهذا وعيدٌ للمشركين ووعدٌ وبشارة للرسول وللمؤمنين].

٤- ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ أهلَ مكةَ ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ من القرءان المودَع أنباءَ القرون الخالية، أو أنباءَ الآخرة وما وُصِفَ من عذاب الكفار ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾﴾ ازدجارٌ عن الكفر، تقول: زَجرتُه وازدجرتُه: أي منعتُه.

٥- ﴿حِكْمَةٌۢ﴾ هو حكمةٌ ﴿بَٰلِغَةٌ﴾ نهايةَ الصوابِ، أو بالغةٌ من الله إليهم ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ النُّذُرُ: جمع نذيرٍ، وهم الرُّسل، [أي: فما يغني النذير بعد النذير لِمَن أعرض عنه ولم يتأمَّله وعاند؟!

٦- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لِعِلمك أن الإنذار لا [يُجدي] فيهم، [ثم ذكر شيئًا من أحوال الآخرة وما يؤولون إليه إذ ذاك متعلِّق باقتراب الساعة فقال]: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ الداعي إسرافيلُ عليه السلام ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾ مُنكرٍ فظيع تُنكره النفوسُ لأنها لم تعهد بمثله، وهو هولُ يوم القيامة.

٧- ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ خُشوعُ الأبصار كنايةٌ عن الذِّلة، لأن ذِلَّة الذليل، وعِزَّةَ العزيز، تظهران في عيونهما ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ في كثرتهم وتفرُّقهم في كل جهة، والجراد مَثَلٌ في الكثرة والتموُّج، يقال في الجيش الكثير المائجِ بعضُه في بعض: جاؤوا كالجراد.

٨- ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ مُسرعينَ مادِّي أعناقِهم إليه ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ صعبٌ شديد.

﴿۞كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ
فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ
قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾

٩- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبلَ أهلِ مكةَ ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحًا عليه السلام، ومعنى تكرارِهِ التكذيبَ أنهم كذَّبوه تكذيبًا على عَقِب تكذيب، كُلَّما مضَى منهم قَرْنٌ مُكذِّبٌ تبعَه قرنٌ مكذبٌ ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ زُجِرَ عن أداء الرسالة بالشتم، وهُدِّدَ بالشتم، وهدِّدَ بالقتل.

١٠- ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ أي بأني ﴿مَغْلُوبٌ﴾ غلبني قَومي، فلم يسمعوا مني واستَحكم اليأسُ من إجابتهم لي ﴿فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم.

١١- ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ مُنصَبٍّ في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعينَ يومًا.

١٢- ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وجعلنا الأرض كأنها عيونٌ تتفجرُ، وهو أبلغ من قولك: وفجَّرنا عيونَ الأرض ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ أي: مياهُ السماء والأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ على حال قدَّرها الله كيف شاء، وهو هلاكُ قومِ نوح بالطوفان.

١٣- ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ أراد السفينةَ، والدُّسُرُ: جمعُ دِسارٍ وهو المِسمارُ، [أي على سفينة ذات صفائح من الخشب التي تؤلَّف منها السفينةُ، ومساميرَ تشدُّ بها الألواح].

١٤- ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ بحفظنا[1] ﴿جَزَآءً﴾ فَعَلنا ذلك جزاءً ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ وهو نوح عليه السلام، [أي: جزاءً له بصبره على أذى قومه

---

(١) إيراد الأعين بلفظ الجمع ليس لأن الله له أَعينٌ حَدَقاتٌ متعددة، إنما هو للتعظيم جُمِعَ، كذلك قول الله تعالى: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة لقمان] الجمع فيه للتعظيم، كلام الله واحد، هو أمر ونهي ووعد ووعيد وخبر واستخبار وحَضٌّ لأنه ليس حرفًا وصوتًا.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾

وكفرهم به]، وجعلُه مكفورًا لأن النبيَّ نعمةٌ من الله ورحمة، فكان نوحٌ عليه السلام نعمةً مكفورةً.

١٥- ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا﴾ أي: السفينةَ، أو الفَعلةَ ﴿ءَايَةً﴾ علامةً يُعتبرُ بها، أبقاها الله بأرض الجزيرة(١)، وقيل: على الجودي(٢) دهرًا طويلًا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ مُتَّعِظٍ يَتَّعظُ ويعتبر.

١٦- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ جمع نذير، وهو الإنذار، [أي: ألم يكن عذابي شديدًا مُهلكًا، ألم يكن إنذاري صدقًا واقِعًا]؟

١٧- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ سهَّلناه للادِّكار والاتِّعاظ بأن شحنّاه بالمواعظ الشافية، وصرَّفنا -[أي كرَّرنا]- فيه من الوعد والوعيد ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ متَّعظ يتَّعظ، وقيل: ولقد سهَّلناه للحِفظِ وأعنَّا عليه مَن أرادَ حفظه، فهل من طالب لحفظه ليُعانَ عليه، ويروى أن كُتُبَ التوراة والإنجيل والزبور لا يتلوها أهلُها إلا نَظَرًا ولا يحفظونها ظاهرًا(٣) كالقرءان.

١٨- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ [رسولَهم هودًا عليه السلام] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾ [إياهم بالريح العقيم] ﴿وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾ أي: وإنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أو إنذاراتي في تعذيبهم لِمَن بعدهم.

---

(١) تسمى جزيرةُ ابنِ عمر وهي ناحية القامشلي وليست الجزيرة العربية.
(٢) الجودي: جبل بأرض الجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه الصلاة والسلام.
(٣) عزير عليه السلام الذي اختلف في نبوته، هو وَحْدَه من بني إسرائيل من أمة موسى عليه السلام حفظ التوراة، أما القرءان فقد يسَّرَ الله تعالى حفظه لكثير من أُمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٢٢ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ٢٣ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ٢٤﴾

١٩- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ باردةً، أو شديدةَ الصوت ﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ شؤم، [أي: في يوم كان مشؤومًا عليهم] ﴿مُّسۡتَمِرّٖ ١٩﴾ استمر عليهم حتىٰ أهلكهم، وكان في أربعاءَ في ءاخر الشهر[1].

٢٠- ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلَعُهم عن أماكنهم، وكانوا يصطفُّونَ ءاخذًا بعضُهم بأيدي بعض، ويتداخلون في الشِّعاب، ويحفِرون الحُفَر فيندسُّون فيها، فتنزِعُهم وتكبُّهم وتدقُّ رقابَهم ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾ أصولُ نخل [مُنقلِع] عن مَغارسه، وشُبِّهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع رؤوسَهم فتُبقي أجسادًا بلا رؤوس، فيتساقطون على الأرض أمواتًا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل - وهي أصولها - بلا فروع.

٢١- ٢٢- ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٢٢﴾.

٢٣- ٢٤- ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ﴾ [قومُ صالح عليه السلام] ﴿بِٱلنُّذُرِ ٢٣﴾ [بنُذُر الله تعالى التي أتتهم من عنده] ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ [تكذيبًا منهم لصالح رسولِ ربهم] ﴿أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ أنتبّعُ بشرًا منا واحدًا؟! ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ٢٤﴾ كان يقولُ: إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق، ﴿وَسُعُرٍ﴾ ونيرانٍ، جمعُ سعير، فعكسوا عليه، فقالوا: إن اتبعناك كنا إذًا كما تقول، وقولُهم: ﴿أَبَشَرٗا﴾ إنكارٌ لأن يتبّعوا مثلَهم في الجنسية، وطلبوا أن يكون من الملائكة، وقالوا: ﴿مِّنَّا﴾ لأنه إذا كان منهم كانت المماثلةُ أقوى، وقالوا: ﴿وَٰحِدٗا﴾ إنكارًا لأَنْ تَتَّبعَ الأمةُ رجلًا واحدًا،

---

(١) بعض الناس يجعلون كل أربعاء من ءاخر كل شهر نَحسًا، هذا غلط.

﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا
مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟
صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾

أو أرادوا واحدًا من أفنائهم[1] ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قوله تعالى:

٢٥- ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أأُنزل عليه الوحيُ مِن بيننا، وفينا مَن هو أحقُّ منه بالاختيار للنبوة ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾ بَطِرٌ متكبر حَمَلَه بَطَرُه وطلبُه التعظُّمَ علينا على ادّعاء ذلك.

٢٦- ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزول العذاب بهم، أي يومَ القيامة ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ صالحٌ أم مَنْ كَذَّبه.

٢٧- ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ باعِثُوها ومُخرِجُوها من الهَضْبة كما سألوا ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ امتحانًا وابتلاء ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ فانتَظِرهم وتبصَّرْ ما هم صانعون ﴿وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾ على أذاهم ولا تَعجَلْ حتى يأتيكَ أمري.

٢٨- ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ مقسومٌ بينهم لها شِرْبُ يوم ولهم شربُ يوم ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ محضورٌ، يَحضرُ القومُ الشِّرْبَ يومًا، وتَحضرُ الناقةُ يومًا.

٢٩- ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ قُدَارَ بنَ سَالِفٍ، أُحَيْمِرَ[2] ثمودَ ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غيرَ مكترِثٍ له ﴿فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ الناقةَ، وإنما قال: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الأعراف] في ءاية أخرى لرضاهم به، أو لأنه عقرَ بمَعُونتهم.

٣٠- ٣١- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ﴿٣١﴾﴾ في اليوم

---

(١) أي: ممن لا يُعلَمُ فيهم مَن هو.
(٢) أُحيمِر: تصغير أحمر.

﴿صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ٣١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٣٢ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ
لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ
نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ٣٦ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ
أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٧﴾

الرابع مِن عَقْرِها ﴿صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ صاحَ بهم جبريلُ عليه السلام ﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ٣١﴾ والهشيمُ: الشجرُ اليابسُ المتهشِّمُ المتكسر، والمحتظرُ: الذي يَعملُ الحظيرة، وما يُحتَظَرُ به يَيبسُ بطول الزمان وتتوطؤه البهائمُ فيتحطَّمُ ويتهشَّم.

٣٢- ٣٤- ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٣٢ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ ٣٤﴾ على قوم لوطٍ عليه السلام ﴿حَاصِبًا﴾ ريحًا تحصِبُهم بالحجارة، أي ترميهم ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ﴾ ابنتَيْهِ ومَن ءامنَ معه ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤﴾ منَ الأسحار، [والسَّحَرُ: ما بين ءاخر الليل وطلوع الفجر]، وقيل: هما سَحَرَان، فالسَّحَرُ الأعلى قبل انصداع الفجر والآخَرُ عند انصداعه.

٣٥- ﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ أي: إنعامًا [مِنّا على لوط وأهله] ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥﴾ نعمةَ الله بإيمانهِ وطاعته.

٣٦- ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ لوطٌ عليه السلام ﴿بَطۡشَتَنَا﴾ أَخْذَتَنا بالعذاب ﴿فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ٣٦﴾ فكذَّبوا بالنُّذُر متشاكِّين.

٣٧- ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾ طلبوا الفاحشة من أَضيافه ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ أعميناهم، وقيل: مسحناها وجعلناها كسائرِ الوجه لا يُرى لها شَقٌّ، رُويَ أنهم لَمّا عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة: خَلِّهِم يدخلوا إنَّا رُسُل ربكَ لن يصلوا إليك، فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحيه صفقةً فتركهم يتردَّدون ولا يهتدون إلى الباب حتى أَخرجهم لوط ﴿فَذُوقُواْ﴾ فقلت لهم على ألسنة الملائكة: ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٧﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾

٣٨- ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ أولَ النهار ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾ ثابتٌ قد استقرَّ عليهم إلى أن يُفضيَ بهم إلى عذاب الآخرة، وفائدة تكرير:

٣٩- ٤٠- ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ أن يُجَدِّدُوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادِّكارًا واتِّعاظًا، وأن يستأنفوا تَنبُّهًا واستيقاظًا إذا سمعوا الحثَّ على ذلك والبعثَ عليه، وهذا حكمُ التكرير في قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1] عند كل نعمةٍ عَدَّها وقولِهِ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[2] عند كل ءاية أورَدَها، وكذلك تكريرُ الأنباءِ والقِصَصِ في أنفسها لتكونَ تلك العِبَرُ حاضرةً للقلوب مُصوَّرَةً للأذهان مذكورةً غيرَ مَنسيَّة في كل أَوان.

٤١- ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ موسى وهارونُ وغيرُهما من الأنبياء، أو هو جمع نذيرٍ؛ وهو الإنذار.

٤٢- ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ بالآياتِ التسع[3] ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ [فعاقبناهم معاقبةَ مَن] لا يغالَبُ ﴿مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ لا يُعجزه شيء.

٤٣- ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا أهلَ مكةَ ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ الكفارِ المعدودِينَ، قوم نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وءالِ فرعون؟! أي: أَهُمْ خيرٌ قوةً وءالةً ومكانةً في الدنيا، أو أقلُّ كفرًا وعنادًا؟! يعني أن كفارَكم مثلُ أولئك

---

(١) سورة الرحمٰن ٣١ مرة.
(٢) سورة المرسلات ١٠ مرات، وسورة المطففين مَرَّة.
(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة الإسراء] وهي اليد البيضاء، والعصا، والجراد، والقُمَّلُ، والضفادعُ، والدم، والحجر، والبحر، والطور الذي نُتِقَ على بني إسرائيل، ونُقِلَ اختلاف في بعضها.

﴿أَمْ لَكُمْ بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ
ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾

بل شَرٌّ منهم ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ أم أُنزلت عليكم يا أهلَ مكةَ براءةٌ في الكتب المتقدمة أنَّ مَن كفرَ منكم وكذَّبَ الرسلَ كان ءامنًا من عذاب الله، فأمِنتم بتلك البراءة؟!

٤٤- ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جماعةٌ أَمْرُنا مجتمعٌ ﴿مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ ممتنِعٌ لا نُرامُ ولا نُضام[1].

٤٥- ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ جمعُ أهلِ مكةَ ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: الأدبار، أي: ينصرفون منهزمين، يعني يومَ بدر، وهذه من علامات النبوة [حيث أخبر بحصول أمر قبل حصوله فكان كما أخبر، فدل على أنه قال ذلك بوحي].

٤٦- ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ موعدُ عذابِهم بعدَ بدر ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ أشدُّ من موقف بدر، والداهيةُ: الأمرُ المُنكَر الذي لا يُهتدى لدوائه ﴿وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ مذاقًا من عذاب الدنيا، أو أشدُّ.

٤٧- ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ عن الحق في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ ونيرانٍ [تستعر فيهم] في الآخرة.

٤٨- ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ يُجرُّونَ فيها ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ لأن النار إذا أصابتهم بحَرِّها فكأنها تمَسُّهم مسًّا بذلك.

٤٩- ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ تقديره: إنا خلقنا كلَّ شيء بقَدَر فيكون الخلق عامًّا لكل شيء، وهو المرادُ بالآية، [أي: خلقنا كل

---

(١) أي: لا يُقدَرُ علينا ولا ينالُنا أحدٌ بمكروه.

﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ۝٥٠ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝٥١ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ۝٥٣ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾

شيء بمقدار قدَّرناه وقضيناه]، أو خلقنا كل شيء مقدَّرًا محكمًا مرتبًا على حسب ما اقتضته الحكمة، قال أبو هريرة رضي الله عنه: جاء مُشركو قريش إلى النبيّ ﷺ يخاصمونه في القَدَر فنزلت الآية.

٥٠- ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾ إلا [مرة واحدة لا مَثنويَّةَ لها] ﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ۝٥٠﴾ المراد بأمرنا القيامةُ، كقوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ ۝٧٧﴾ [سورة النحل]، [والمرادُ: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كلمح البصر، ومعنى اللمح بالبصر: النظرُ بسرعة].

٥١- ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ أشباهَكم في الكفر من الأمم ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝٥١﴾ مُتَّعِظ.

٥٢- ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ﴾ أولئك الكفارُ، أي: وكلُّ شيء مفعولٍ لهم ثابتٌ ﴿فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾ في دواوين الحَفَظة.

٥٣- ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ﴾ منَ الأعمال ومِنْ كل ما هو كائنٌ ﴿مُّسۡتَطَرٌ ۝٥٣﴾ مسطورٌ في اللوح.

٥٤- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤﴾ وأنهار، اكتفى باسم الجنس، وقيل: هو السَّعَةُ والضياء، ومنه النهار.

٥٥- ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ في مكانٍ مَرضِيّ ﴿عِندَ مَلِيكٖ﴾ عِنْدِيَّةُ منزلة وكرامة لا مسافةٍ ومُمَاسَّة ﴿مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ قادر، وفائدةُ التنكير فيهما أن يُعلم أن لا شيءَ إلا هو تحت مُلكه وقُدرته وهو على كل شيء قدير.

سورة الرحمٰن
مكية وقيل: مدنية وهي ست وسبعون ءاية بصري ثمان [وسبعون] كوفي سبع [وسبعون] مدني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١-٣- ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣﴾ الجنس، أو ءادم، أو محمدًا عليه الصلاة والسلام.

٤- ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ عدَّدَ الله عز وجل ءالاءه، فأراد أن يُقَدِّمَ أولَ شيء ما هو أسبقُ من ضروب ءالائه، وصنوف نَعمائه، وهي نعمةُ الدين، فقدَّمَ من نعمةِ الدين ما هو في أعلى مراتِبها وأقصى مراقيها، وهو إنعامُه بالقرءان وتنزيلُه وتعليمُه، لأنه أعظمُ وحي الله رتبةً وأعلاه منزلةً وأحسنُه في أبواب الدين أَثَرًا، وهو سَنامُ[1] الكتب السماوية ومِصداقُها، وأخَّرَ ذكرَ خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه ليُعلَمَ أنه إنما خلقَه للدين، وليحيطَ علمًا بوحيه وكتبه، وقدَّم ما خُلقَ الإنسانُ من أجلِهِ عليه، ثم ذكرَ ما تميَّزَ به من سائر الحيوان من البيان، وهو المَنطِقُ الفصيح المُعرِبُ عما في الضمير. والرحمٰن: مبتدأ، وهذه

(١) سَنامُ كلِّ شيء: أعلاه.

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾

الأفعال مع ضمائرها أخبارٌ مترادفة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد، كما تقول: زيدٌ أغناكَ بعد فَقْر، أعزَّك بعد ذُلٍّ، كثَّركَ بعد قِلَّةٍ فما تنكِرُ من إحسانه؟!

٥- ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾ بحساب معلوم وتقدير سَوِيّ، يجريان في بروجِهما ومنازِلهما(١)، وفي ذلك منافعُ للناس، منها علمُ السنينَ والحسابِ.

٦- ﴿وَٱلنَّجْمُ﴾ النباتُ الذي يَنْجُمُ من الأرض لا ساقَ له كالبُقول ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ الذي له ساقٌ، وقيل: النجمُ: نجوم السماء ﴿يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ ينقادان لله تعالى فيما خُلِقا له تشبيهًا بالساجد من المكلَّفين في انقيادِه.

٧- ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ خلقَها مرفوعةً مسموكةً(٢)، حيث جعلَها مَنشأَ أحكامه، ومصدَرَ قضاياه(٣)، ومسكِنَ ملائكتهِ الذين يهبِطون بالوحي على أنبيائه، ونبَّهَ بذلك على كبرياءِ شأنهِ ومُلكه وسلطانه ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ أي: كلَّ ما يوزَنُ به الأشياءُ وتعرفُ مقاديرُها من ميزانٍ ومِكيال ومِقياس، أي خلقَه موضوعًا على الأرض، [ومَنَّ به على خلقِه إذ هداهم لصنعته، ولولا ذلك لم يدروا كيف يستوفون الحقوق وكيف يوفونها فكان يقع التظالم والتقاطع]، وعلَّق به أحكامَ عباده من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم.

---

(١) الأصلُ إضافة البروج إلى الشمس والمنازل إلى القمر.

(٢) يقال: سَمَكَ الشيء يَسمُك أي ارتفع.

(٣) القضايا: الأحكام، مُفردُه: القضاءُ بمعنى الحُكم، معناه: مِن جهتِها يَصدُرُ المَلَك الذي يسكن السماء لتنفيذ أحكامه تعالى في خلقه، والله تعالى مُنَزَّهٌ عن التحيُّزِ في السماء وفي أي مكان من الأمكنة، فهو تبارك وتعالى موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا مكان ولا جهة.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا
لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾

٨- ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾﴾ لئلا تطغَوا.

٩- ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ وقَوِّموا وزنَكم بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ ولا تَنْقُصوه، أمرَ بالتسوية ونهى عن الطغيان - الذي هو اعتداءٌ وزيادة - وعن الخسران - الذي هو تطفيف ونقصان - وكرَّرَ لفظَ الميزان تشديدًا للتوصية به وتقويةً للأمر باستعماله والحثِّ عليه.

١٠- ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ [خلقَها] ﴿لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾ للخلق، وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة، وعن الحسن: الإنس والجن.

١١- ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ ضروبٌ مما يُتفكَّه به ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾﴾ هي أَوعيةُ التمرِ، الواحدُ: كِمٌّ بكسر الكاف.

١٢- ١٣- ﴿وَالْحَبُّ﴾ [اسمُ جنس يقع على الحنطة والشعير وكل حبٍّ] ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ هو وَرَقُ الزرع، أو التِّبْنُ ﴿وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ الرزقُ، وهو اللبُّ، أرادَ: فيها ما يُتلذذ من الفواكه، والجامعُ بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل، وما يُتغذَّى به وهو الحبُّ، وقيل: معناه: وفيها الريحانُ الذي يُشمُّ. ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾ أي: النِّعَم مما عُدَّ من أول السورة ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ الخطابُ للثَّقَلَين بدلالة ﴿الأنام﴾ عليهما، [أي: فبأي نَعماءِ ربكما أيها الإنسُ والجن تجحَدان]؟

١٤- ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ [أي: ءادمَ عليه السلام] ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾ طينٍ يابس له صَلْصَلَةٌ[1] ﴿كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ أي: الطينِ المطبوخ بالنار، وهو الخَزَفُ، ولا اختلافَ في هذا وفي قوله: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ في

---

(١) يُسمَعُ له صوت إذا نُقِرَ.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾

الحِجر، ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ في الصافات ﴿مِن تُرَابٍ ﴿٥٩﴾﴾ في ءال عِمران وغيرِها لاتفاقهما معنًى، لأنه يفيدُ أنه خلقه من تراب، ثم جعله طينًا، ثم حَمَأً مسنونًا، ثم صَلصَالًا، [وتشبيهه بالفَخَّار لصوته باليُبس إذا نُقِرَ، وقيل: لأنه أجوفُ].

١٥- ١٦- ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ أبا الجن ﴿مِن مَّارِجٍ﴾ هو اللهب الصافي الذي لا دخانَ فيه، وقيل: المختلِطُ بسواد النار ﴿مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ من صافٍ من نار، أو مختَلِطٍ من نار ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾.

١٧- ١٨- ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ أراد مشرقَي الصيفِ والشتاء ومغربَيهما ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾.

١٩- ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ أرسل البحرَ المِلْحَ والبحرَ العَذْبَ متجاورَين متلاقيَين، لا فصلَ بين الماءين في مرأى العين.

٢٠- ٢١- ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجزٌ من قدرة الله تعالى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ لا يتجاوزان حدَّيهما ولا يبغي أحدُهما على الآخر بالممازجة [بأن يقلبَه إلى مثلِ حاله في الملوحة أو العذوبة] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾.

٢٢- ٢٣- ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ﴾ كبارُ الدُّرِّ[١] ﴿وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ صغارُهُ، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٤- ٢٥- ﴿وَلَهُ﴾ ولله ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ السفنُ، جمعُ جارية ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ المرفوعاتُ الشُّرُع ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ جمعُ عَلَم، وهو الجبلُ

(١) الدُّرُّ: هو اللؤلؤ الذي عَرَفَه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحبّ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾

الطويل، [أخبرَ تعالى أنه خلق لهم ما اتخذوا منه السفن التي ركبوا بها البحر، وقطعوا بها المسافات البعيدة، وعلَّمَهم اتخاذَها بأن ألهمهم ذلك، وسخَّر لهم البحر مع عِظَمِه وشبَّه السفن في كِبَرها بالجبال] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾.

٢٦- ٢٧- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ على الأرض ﴿فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴿٢٧﴾﴾ ذاتُه ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ ذو العظمة والسلطان ﴿وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ بالتجاوز والإحسان، وهذه الصفةُ من عظيم صفات الله(١)، وفي الحديث: «**أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام**»(٢).

٢٨- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾ والنعمةُ في الفَناءِ باعتبار أن المؤمنين به يَصلون إلى النعيم السرمد(٣).

٢٩- ٣٠- ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كلٌّ مِن أهل السماوات والأرض مفتقرونَ إليه، فيسألُه أهلُ السماوات ما يتعلقُ بدينهم، وأهلُ الأرض ما يتعلق بدينهم ودنياهم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ أي: كلَّ وقتٍ وحين يُحدِث أمورًا ويُجَدِّدُ أحوالًا، كما روي أنه عليه الصلاة والسلام تلاها، فقيل له: وما ذلك الشأن؟ فقال: «**مِن شأنه أن يغفرَ ذنبًا ويفرِّجَ كربًا ويرفعَ قومًا ويضعَ ءاخرين**»، [وليس معناه أن الله يُغيِّرُ مشيئَتَه باختلاف الأزمان والأحوال، بل معناه يخلق خلقًا جديدًا، كلَّ

---

(١) وصفات الله تعالى كلُّها عظيمةٌ لا نقصَ فيها.
(٢) أَلِظُّوا في الدعاء بيا ذا الجلال والإكرام أي: الزموا هذا في الدعاء وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم.
(٣) أي ذكر إنعامَه عليهم بعد الكلام على الفناء من حيث إنه بعد الفناء يأتي البعث والحساب والجزاء الذي يصل به المؤمنون إلى النعيم الأبدي.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾

يوم يُغَيِّرُ في خلقه، ولا يَتغيَّرُ في عِلمِه ومشيئَتهِ] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾.

٣١- ٣٢- ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ [أي: ننظر في أموركم يومَ القيامة، لا أنه تعالى كان في شغل فهو يفرُغ منه، وجرى على هذا كلامُ العرب في أن المعنى: سنحاسِبُكم، فهو] استعارةٌ من قول الرجل لِمَن يتهدَّدُه: سأفرُغُ لك، والمرادُ: التَّوَفُّرُ على النِّكاية فيه والانتقام منه ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ الإنسُ والجن سُمِّيا بذلك لأنهما ثَقَلا الأرضِ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾.

٣٣- ٣٤- ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ﴾ إن قَدَرتُم أن تخرجوا من جوانب السماوات والأرض هربًا من قضائي فاخرجوا، ثم قال: ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ لا تَقدرون على النفوذ ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ بقوة وقهر وغلبة، وأنَّى لكم ذلك؟ وقيل: دَلَّهم على العجز عن قُوَّتهم للحساب غدًا بالعجز عن نفوذ الأقطار اليوم، وقيل: يقال لهم هذا يوم القيامة حين تُحدِقُ(١) بهم الملائكة، فإذا رءاهم الجن والإنس هربوا(٢)، فلا يأتون وجهًا إلا وجدوا الملائكة أحاطت به ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾.

٣٥- ٣٦- ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ الشُّواظُ: اللهبُ الخالص

---

(١) أي: تُحيط.

(٢) هذا في بعض الناس، بعض الناس يكونون محصورين مِن قِبَل الملائكة، لا أحد منهم يستطيع أن يَنفُذَ إلا بسُلطان، والسُّلطانُ هو الحُجَّةُ، أي بحُجَّةٍ مِن الله، أي مَن أذنَ الله له أما الأتقياءُ فتحتَ ظِلِّ العرش يكونون.

﴿وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً
كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٨ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٠ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾

﴿وَنُحَاسٌ﴾ دخانٌ، والمعنى: إذا خرجتم من قبوركم يُرسَل عليكم لهب خالص من النار ودخان يسوقكم إلى المحشر ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥﴾ فلا تمتنعان منهما ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦﴾.

٣٧- ٣٨- ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ انفكَّ بعضُها من بعض لقيام الساعة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ فصارت كلَون الورد الأحمر ﴿كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾ كدُهْنِ الزيت كما قال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ [سورة المعارج] وهو دُرْدِيُّ الزيت[1]، وقيل: الدِّهان: الأديمُ الأَحمرُ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٨﴾.

٣٩- ٤٠- ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ فيومَ تنشقُّ السماء ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩﴾ ولا جِنٌّ، فوُضِعَ الجانُّ الذي هو أبو الجن موضعَ الجن، كما يقال: هاشمٌ ويرادُ وَلَدُه، والتقدير: لا يُسأل إنس ولا جانٌّ عن ذنبه، والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ [سورة الحجر] وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [سورة الصافات] أن ذلك يومٌ طويلٌ وفيه مواطنُ، فيُسألون في موطن، ولا يُسألون في ءاخَرَ، وقال قتادةُ: قد كانت مسألةٌ ثم خُتِمَ على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون، وقيل: لا يسأل عن ذنبه ليُعلَمَ من جهته، ولكن يُسألُ للتوبيخ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٠﴾.

٤١- ٤٢- ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ بسواد وجوهِهم وزُرقة عيونِهم

---

(١) دردي الزيت: ما يبقى في أسفله.

﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ يؤخذُ تارةً بالنواصي[1]، وتارة بالأقدام، [أي أن الملائكة إذا أُمروا بأخذ المشركين، لا يحتاجون إلى أن يَسألوا عنهم، بل يعرفونهم بعلاماتهم فيأخذونهم بنواصيهم وأقدامهم ويسحبونهم إلى النار] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾.

٤٣- ٤٤- ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [أي: يقال لهم ذلك توبيخًا وتقريعًا] ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾﴾ ماءٍ حارٍّ قد انتهى حرُّه؛ أي يُعاقَبُ عليهم بين التصلية بالنار وبين شُرب الحميم.

٤٥- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾ والنعمةُ في هذا: نجاةُ الناجي منه برحمته وبفضله، وما في الإنذار به من التنبيه.

٤٦- ٤٧- ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ موقِفَه الذي يَقِفُ فيه العبادُ للحساب يومَ القيامة فتَرَكَ المعاصي، أو فأدَّى الواجبات، [وقيل: هو الرجلُ يهمُّ بالمعصية فيذكر الله تعالى فيتركها] ﴿جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [منزلان، ينتقل من أحدهما إلى الآخر لتتوفَّر دواعي لذَّته وتظهرَ ثمارُ كرامته] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾.

٤٨- ٤٩- ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ ألوان، جمعُ فَنٍّ؛ أي: له فيهما ما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾.

٥٠- ٥١- ﴿فِيهِمَا﴾ في الجنَّتين ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ حيث شاؤوا في الأعالي والأسافل، وعن الحسن: تجريان بالماء الزُّلالِ إحداهما

---

(١) النواصي: جمع ناصية، وهو شعر مقدم الرأس.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾

التسنيمُ[1]، والأخرى السلسبيل[2] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾.

٥٢- ٥٣- ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ صنفان، قيل: صنفٌ معروف، وصنفٌ غريب، [وقيل: رطبٌ ويابسٌ كالعنب والزبيب والتين الرطْب واليابس وكذا سائرُ الأنواع لا يقصُرُ يابسُه عن رَطْبه في الفضل والطِّيب] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾.

٥٤- ٥٥- ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ [الاتِّكاءُ: الاستنادُ للتكرُّم والتنعم] ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾ جمعُ فراش ﴿بَطَآئِنُهَا﴾ جمع بِطانة ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ﴾ ديباج ثخين ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ وثمرُها قريبٌ ينالُه القائم والقاعد والمُتَّكِئُ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾.

٥٦- ٥٧- ﴿فِيهِنَّ﴾ في الجنَّتين لاشتمالهما على أماكنَ وقصورٍ ومجالسَ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ نساءٌ قَصَرْنَ أبصارَهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ [لم يَفْتَضَّهُنَّ] ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [قيل: هنَّ الحور العين المخلوقات في الجنة لم يتبذَّلن ولم تُمسَسْنَ، وقيل: هنَّ المؤمنات من نساء الدنيا، لم يطمثهن بعد النشأة الثانية أحدٌ]، وهذا دليلٌ على أن الجن يطمِثون كما يطمِثُ الإنسُ، [وللمؤمنين منهم أزواج من الحور العين] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾.

---

(١) لِما ورد في قوله: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة المطففين]، والتسنيم أرفع شراب لأهل الجنة.

(٢) لِما ورد في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الإنسان]، وسميت سلسبيلًا لسلاسة انحدارها وسهولة مَساغِها، وماءٌ سلسبيلٌ: أي عذبٌ طيب.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣ مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١ حُورٌ﴾

٥٨- ٥٩- ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ﴾ صفاءً ﴿وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [أي: صِغارُ اللؤلؤ] بياضًا ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩﴾.

٦٠- ٦١- ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في العمل ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ في الثواب؟ وقيل: ما جزاء مَن قال لا إلٰه إلا الله إلا الجنة، وعن إبراهيم الخوَّاص: هل جزاء الإسلام إلا دارُ السلام؟ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١﴾.

٦٢- ٦٣- ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ ومِن دون تَينِكَ الجنَّتين الموعودَتين للمقرَّبينَ ﴿جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ لمَن دونَهم من أصحاب اليمين ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣﴾.

٦٤- ٦٥- ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ سَوْداوان من شدة الخُضرة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥﴾.

٦٦- ٦٧- ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦﴾ فوَّارتان بالماء لا تنقطعان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧﴾.

٦٨- ٦٩- ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ﴾ ألوانُ الفواكِهِ ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾ عُطِفا على الفاكهة لفضلهما كأنهما جنسانِ ءاخَران لِما لهما من المَزِيَّة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩﴾.

٧٠- ٧١- ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾ خيِّراتٌ فاضلاتُ الأخلاقِ حسانُ الخَلْقِ [والصُّوَر] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١﴾.

٧٢- ٧٣- ﴿حُورٌ﴾ [جمع حوراءَ، وهي شديدة بياض العين وشديدةُ

﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

سوادها] ﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ مُخَدَّراتٌ[١]، قيل: الخيامُ من الدُرّ المُجَوَّف ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾﴾.

٧٤- ٧٥- ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ قبلَ أصحابِ الجنتين، ودلَّ عليهم ذِكرُ الجنتين ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾.

٧٦- ٧٧- ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ هو كلُّ ثوبٍ عريض [يُبْسَطُ لِيُجلَسَ عليه]، وقيل: الوسائدُ، [و﴿رَفْرَفٍ﴾ جمعُ رَفْرَفَةٍ، ولذلك قال ﴿خُضْرٍ﴾] ﴿وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [العبقريُّ]: ديباجٌ[٢]، أو طنافِسُ[٣]، [وهو جمع عبقريَّة ولذا وصفت بالحِسان، وقيل: متكئين على وسائدَ ذوات أغطية خضر وفُرُشٍ حِسانٍ] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾.

٧٨- ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [تقدَّس وتعالى وتعظَّم] ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ ذي العظمة ﴿وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ لأوليائه بالإنعام، روى جابرٌ أن النبي ﷺ قرأ سورة الرحمٰن فقال: «**ما لي أراكم سكوتًا! الجن كانوا أحسنَ منكم ردًّا، ما أتيت على قول الله: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نِعَمِكَ ربَّنا نُكذِّبُ فلكَ الحمدُ ولكَ الشكرُ**». كُرِّرت هذه الآية في هذه السورة إحدى وثلاثين مرة، ذُكِرَ ثمانيةٌ منها عقيبَ ءايات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صُنعه، ومَبْدَأ الخلقِ ومعادهم، ثم

---

(١) مُخَدَّراتٌ: مستوراتٌ في الخِدْر وهو المكان المخصص لهن لا يظهرن إلا على أزواجهن.
(٢) الديباج: الثياب المتخذة من الإِبْرِيْسَم.
(٣) الطنافِسُ: جمع طِنْفِسَة، وهي البساط الذي له خَمْلٌ رقيق، وقيل هي النُّمْرُقة: وهي وسادة صغيرة.

سبعةٌ منها عقيبَ ءايات فيها ذكرُ النار، وشدائدِها على عدد أبواب جهنم، وبعد هذه السبعةِ ثمانيةٌ في وصف الجنتين وأهلِهما على عدد أبواب الجنة، وثمانيةٌ أخرى بعدَها للجنتين اللتين دونَهما، فمن اعتقد الثمانيةَ الأولى وعمل بموجَبِها فُتِحت له أبوابُ الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم.

سورة الواقعة
مكية وهي ست وتسعون ءاية كوفي، سبع بصري، تسع مدني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ قامتِ القيامةُ، وقيل: وصفت [القيامة] بالوقوع لأنها تقع لا محالةَ، فكأنه قيل: إذا وقعت الواقعة التي لا بُدَّ من وقوعها.

٢- ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ نفسٌ كاذبة [بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا].

٣- ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ ترفع أقوامًا [كانوا أَذِلَّةً في الدنيا، فتجعلهم في أعلى عِلّيين] وتضع ءاخرين [كانوا أعِزَّةً في الدنيا فتجعلهم في أسفل السافلين].

٤- ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾﴾ حُرّكت تحريكًا شديدًا حتى ينهدمَ كل شيء فوقَها من جبل وبناء، [كقوله تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ [سورة الزلزلة] أي يكون وُقوعُ الواقعة حينئذ، أو] تَخفِضُ وتَرفعُ وقتَ رَجِّ الأرض وبَسِّ الجبال.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾

٥- ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾ وفُتِّتَت حتى تعودَ كالسَّويق [المبسوس - أي المبلول -]، أو سيقت، مِن بَسَّ الغَنم إذا ساقها، كقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ [سورة النبأ] [أي قُلعت عن وجه الأرض ونُسِفَت فصارت هباءً تُخيّلُ الشمسُ أنه ماء].

٦- ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾ [هو الغبار الذي يُرى إذا دخلَ شُعاعُ الشمس من نحو الكَوَّة(١)] ﴿مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ متفرّقًا.

[ثم من ءاثار يوم القيامة في الجبال أولًا النسف، أي القلع من أماكنها ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾ [سورة المرسلات]، ثم الدَّكُّ ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١﴾ [سورة الفجر]، أي كُرِّرَ عليها الدَّكُّ، والدَّكُّ: الدَّقُّ والكسر، أي إذا زُلزلت الأرضُ وحُرّكت حركةً شديدةً يَدُكُّ بعضُ الجبال بعضًا، ثم تصير كثيبًا مهيلًا ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤﴾ [سورة المزمل] ﴿كَثِيبًا﴾ أي رملًا مجتمعًا - من كَثَبَ الشيء إذا جَمعَه - ﴿مَّهِيلًا﴾ أي رِخوًا ليّنًا، كما إذا حُرِّك من أسفله فانهال من أعلاه، ثم ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ ثم كالعِهن المنفوش ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ أي كالصوف المصبوغ ألوانًا، لأن الجبال ألوانٌ بِيضٌ وحمرٌ وسُودٌ وما بين ذلك ﴿ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [سورة القارعة] المندُوف لتفرُّقِ أجزائها وتطايرُها في الجو - من نَدْفِ القُطن: طرقُهُ بالمِنْدَفِ(٢) - ثم تمرُّ مَرَّ السَّحاب ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۝٨٨﴾ [سورة النمل] أي تمرُّ مَرَّ السحاب إذا ضربتها الريح.

(١) الكَوَّةُ: الخَرْقُ في الحائط والثُّقبُ في البيت ونحوِهِ، أو النافذة التي تكون في أعلى جدار البيت.
(٢) التي يقال لها ءالة تنجيد القطن.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾

فإذا أثَّرَ يومُ القيامة (الواقعة) في الجبال الصُّمِّ الشواهق هذا التأثير، وهي ليس لها خطاب بالفرائض والنواهي ولا عقاب فكيف حال الضعفاء الذين لهم الخطاب ولهم الثواب والعقاب[1]].

٧- ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا، يقال للأصناف التي بعضُها من بعض، أو يُذكر بعضُها مع بعض: أزواجٌ ﴿ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ صنفان في الجنة وصنفٌ في النار.

ثم فسَّر الأزواج فقال:

٨- ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ هم الذين يُؤتَونَ صحائفَهم بأَيْمانهم أو أصحاب المنزلة السنيّة[2] ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾ هو تعجيبٌ من حالهم في السعادة وتعظيمٌ لشأنهم، كأنه قال: ما هم وأيُّ شيء هم؟! [أي ما أعظمَ شأنهم، وهؤلاء الصنف الأول].

٩- ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ الذين يؤتَونَ صحائفَهم بشمائلهم، أو أصحاب المنزلة الدنيَّة الخسيسة، وقيل: يؤخذ بأهل الجنة ذاتَ اليمين وبأهل النار ذاتَ الشمال ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾ أيْ: أيُّ شيء هم؟! وهو تعجيب من حالهم بالشقاء، [وهؤلاء الصنف الثاني].

---

(١) في أثناء هذه التحوّلات على الأرض من النَّسف إلى الدَّكِّ إلى أن تصير هباءً متفرِّقًا الناسُ الذين بُعثوا منها قبلُ يُنقلون إلى ظلمة قرب الصراط مفصولين عنه محمولين بقدرة الله تعالى في الهواء لا على شيء ثابت إلى أن تعود الأرض غير تلك في الصفات، تصير بيضاء ملساء كالفضة كالأديم المشدود ليس فيها جبال ولا وِهاد ولا أشجار يُستظلُّ تحتها من حر الشمس التي تدنو يوم القيامة من رؤوس العباد، لا تبقى في مَدارها الذي تدوره اليوم، أكثر البشر يتضايقون من حَرّها ذلك اليوم.

(٢) السَّنِيَّة: الرفيعة العالية.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ﴾

١٠- ١٢- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ السابقون [في الدنيا] إلى الخيرات [هم] السابقون [في الآخرة] إلى الجنات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [قُرْبَ المنزلة لا المنزِلِ، وقرب المكانة لا المكانِ] ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ أي: هم في جنات النعيم، [وهؤلاء الصنف الثالث، وهم أشراف أصحاب الميمنة وعظماء أهل الجنة].

١٣- ١٤- ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ هم ثلة، والثلة الأمةُ من الناس الكثيرةُ، والمعنى أن السابقينَ كثيرٌ من الأولين، وهم الأمم مِن لَدُن ءادم إلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وقليل من الآخرين وهم أمة محمد ﷺ [لأن الأنبياء المتقدِّمين لكثرتهم كثُر السابقون إلى الإيمان بهم فزادوا على عدد السابقين من هذه الأمة].

١٥- ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ﴾ جمعُ سرير ﴿مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾﴾ منسوجةٍ بالذهب، مُشَبَّكة بالدرِّ والياقوت.

١٦- ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ ينظر بعضُهم في وجوه بعض، ولا ينظر بعضهم في أقفاء بعض، وُصِفوا بحُسن العِشرة، وتهذيبِ الأخلاق، وصفاء المودة.

١٧- ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ يَخدُمهم ﴿وِلۡدَٰنٞ﴾ غِلمانٌ ﴿مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ مُبْقَون أبدًا على شكل الوِلدان لا يتحوَّلون عنه، [وهم خَدَمٌ خُلقوا في الجنة على صورة الغِلمان، وهم للخِدمة لا غير، والحورُ العين للخِدمة والمتعة].

١٨- ﴿بِأَكۡوَابٖ﴾ جمع كوب وهي ءانيةٌ [واسعةُ الرأس] لا عُروةَ لها ولا خُرطومَ ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ جمعُ إبريقٍ وهو ما له خُرطوم وعُروةٌ ﴿وَكَأۡسٖ﴾

﴿مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥﴾

وقَدَحٍ - [وهو إناءُ شُربِ الخمر] - فيه شرابٌ، وإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس ﴿مِّن مَّعِينٍ ۝١٨﴾ من خمر تجري من العيون، [أخبر أن خمر الآخرة ليس كخمر الدنيا تستخرج بتكلُّفٍ وعلاج وتكون في أوعية، بل هي جارية كثيرة].

١٩- ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ [لا ينالُهم صُداعٌ بشربها كما ينالُ شَرَبَتها ذلك من خمر الدنيا] ﴿وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩﴾ أي: لا يَنفَدُ شرابُهم، [وبفتح الزاي: أي:] ولا يَسكرون[1].

٢٠- ٢١- ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠﴾ يأخذونَ خَيرَه وأَفضلَه، [أو يتخيَّرون منها ما شاؤوا لكثرتها، وكلُّها مرضيَّةٌ عندهم جيدة] ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾ يتمنَّوْن، [فيأكلون عن شهوة، لا عن جوع ولا عن سآمة].

٢٢- ٢٤- ﴿وَحُورٌ﴾ جمع حوراء، [وهي: الشديدةُ بياض العين، والشديدة سوادها] ﴿عِينٌ ۝٢٢﴾ جمع عَيناء، [وهي: الواسعة العين، الحسنة العين] أي وفيها حورٌ عِينٌ ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ﴾ في الصفاء والنقاء ﴿ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣﴾ المَصون، [أي: كصفاء الدُّرِّ في الأصداف قبل أن تمسَّه الأيدي] ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ أي: يُفعَلُ بهم ذلك كلُّه لجزاءِ أعمالهم.

٢٥- ٢٦- ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنات ﴿لَغْوًا﴾ باطلًا [من القول لا فائدة في سماعه] ﴿وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥﴾ [ما يُؤثِّمُهم من الكلام، كالكذب

---

(١) يقال: نَزَفَ الرجلُ إذا ذهبَ دَمُه، ونَزَفَ إذا ذهبَ عقلُه.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾

والفُحش] ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ إلا قولًا ذا سلامة [من اللغو والتأثيم]، أو لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلامًا سلامًا، والمعنى أنهم يُفشون السلام بينهم.

٢٧- ٢٨- ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [ما أعظم مكانَتهم وما أُعِدَّ لهم من الخير] ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ السدرُ: شجرُ النَّبِقِ، والمخضودُ: الذي لا شَوكَ له، [ومعناه أنه خُلِقَ لهم ثَمَرُ هذه الشجر على شجره، وشجرُه خلق في الجنة بلا شوك، ليس كشجره في الدنيا، لا أنه نُزِعَ عنه بعد أن كان فيه، وكان العرب يستلذُّون ثمره ويَروقهم شجرُه].

٢٩- ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ الطلحُ: شجر الموز، والمنضود: [الذي بعضُه فوق بعض، أي]: الذي نُضِدَ بالحمل من أسفله إلى أعلاه، فليست له ساقٌ بارزة، [وفضله على موز الدنيا كفضل سائر ثمار الجنة على ثمار الدنيا].

٣٠- ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ ممتدٍّ منبسط كظلِ ما بين طلوعِ الفجر وطلوع الشمس.

٣١- ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ يجري على الأرض في غير أخدود[1]، [يُسمع خريره ويُرى صفاؤه ولا يَعسُر الأخذ منه لجريانه في غير أخدود].

٣٢- ٣٣- ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾ أي: كثيرةِ الأجناس ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا، بل هي دائمةٌ ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾

---

(١) الأُخدود: الحفرةُ المستطيلة.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٌ
مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٠ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١﴾

لا تُمنعُ عن متناوِلِها بوجه [لا يَمنع منها شَوكٌ ولا بُعدٌ ولا عدمُ نُضج ولا قِطافٌ سابق].

٣٤- ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ رفيعةِ القدر، أو نُضِدَت[1] حتى ارتفعت، أو مرفوعة على الأسِرَّة.

٣٥- ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥﴾ ابتدأنا خَلقَهن ابتداء من غير ولادة، فإما أن يُرادَ اللاتي ابتُدِئ إنشاؤهنَّ [وهن الحور العين]، أو اللاتي أُعيدَ إنشاؤهن [وهن المؤمنات من ولد ءادم].

٣٦- ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦﴾ عَذارَى، كلما أتاهن أزواجُهن وَجَدُوهن أبكارًا.

٣٧- ٣٨- ﴿عُرُبًا﴾ جمعُ عَرُوب؛ وهي المتحبِّبَةُ إلى زوجها [المُظهِرَةُ له ذلك] ﴿أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ مستوياتٍ في السنِّ، بناتُ ثلاث وثلاثين، وأزواجُهن كذلك ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨﴾ [هذا كلُّه لأصحاب اليمين، وهم الذين يؤخذ بهم ذاتَ اليمين من موقف الحساب إلى الجنة، وهم الذين يَلُونَ السابقين الأولين].

٣٩- ٤٠- ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٠﴾ [أي: أصحابُ اليمين جماعةٌ عظيمةٌ من الأمم المتقدمة وجماعة عظيمة من هذه الأمة]، فإن قلتَ: كيف قال قبلَ هذا: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾، ثم قال هنا: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾؟ قلتُ: ذاك في السابقين، وهذا في أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخِرين جميعًا.

٤١- ٤٢- ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١﴾ [هم الصنف الثالث

---

(١) أي: وضع بعضُها فوق بعض كما مرَّ في قوله تعالى ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾ [سورة الواقعة].

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ
مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ ﴿٥٠﴾﴾

من الأزواج الثلاثة، وهم ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾، وفي الاستفهام تعظيمٌ لِمُصابهم وتهويلٌ من حالهم] ﴿فِي سَمُومٍ﴾ في حَرِّ نار ينفُذُ في المَسَامّ[١] ﴿وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾﴾ وماءٍ حارٍّ متناهي الحرارةِ، [يعني: إذا نالهم حَرُّ النار وأحرق أكبادهم وأجسادهم فزِعوا[٢] إلى الماء فإذا هو شديد الحرارة قد انتهى غَلَيانُه].

٤٣- ٤٤- ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ من دخان أسود ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ لا كسائرِ الظلال، سَمَّاهُ ظِلًّا ثم نفَى عنه بردَ الظلِّ ورَوحَه[٣] ونفعَه مَن يأوي إليه من أذى الحرِّ، والمعنى أنه ظلٌّ حارٌّ ضار.

٤٥- ٤٨- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي: في الدنيا [قبل أن يصيروا إلى ما صاروا إليه] ﴿مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ منعَّمين [في خلاف ما أحلَّ الله تعالى لهم فأطلقوا أنفسهم يعملون ما يشتهون لا يُبالُون بحلال أم بحرام]، فمنعَهم ذلك من الانزجار وشغَلَهم عن الاعتبار ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ يداومون ﴿عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ على الذنب العظيم [وهو الكفر] ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [استفهام بمعنى النفي] تقديره: أنبعث إذا مِتنا؟! ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الذين قَضَوا من قبلنا فبادُوا وهلكوا؟! قالوا هذا على الاستهزاء والاستبعاد للبعث].

٤٩-٥٠- ﴿قُلْ﴾ [يا محمد لهؤلاء المنكرين للبعث]: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [أي الأممَ المتقدمةَ وهذه الأمّة] ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾

---

(١) مَسَامُّ البدن: خُروقُه، وقيل: السَّمومُ: الريحُ الحارَّةُ التي تدخل في مَسامِّ البدن.
(٢) فَزِعوا: لَجَؤوا.
(٣) الرَّوح: الراحةُ.

﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٥٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ
مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ۝٥٥ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦﴾

[لمحشورون] ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٥٠﴾ إلى ما وُقِّتت به الدنيا من يوم معلوم [وهو يومُ القيامة، سألوا عن البعث إنكارًا فأُجيبوا بما هو بعد البعث، وهو الحشر؛ أي ليس فقط تُبعثون، بل وتُحشرون في مكان واحد].

٥١- ٥٥- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى ﴿ٱلۡمُكَذِّبُونَ ۝٥١﴾ بالبعث، وهم أهل مكة ومَن في مثل حالهم ﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ۝٥٢﴾ [بَدَلَ ما يأكلُه أهل الجنة من الفواكه ولحوم الطير، وهي الموصوفة في قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٦٤﴾ يُنبتها الله تعالى في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها ﴿طَلۡعُهَا﴾ أي ثَمَرُها، أو زهرها الذي ينعقد منه الثمر، وسُمي بذلك لطلوعه، وهو في الأصل لثمر النخل فاستعير لغير ذلك من حَمِل الشجر ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ شُبِّه برؤوس الشياطين للدلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شَرٌّ محض] ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ۝٥٥﴾ هي إبلٌ عِطاشٌ لا تَروَى، والمعنى أنه يُسلَّطُ عليهم من الجوع ما يَضطَّرهم إلى أكل الزقُّوم الذي هو كالمُهْل(١)، فإذا ملؤوا منه البطونَ سُلِّط عليهم من العطش ما يضطرَّهم إلى شرب الحميم الذي يُقطِّع أمعاءَهم فيشربونه شُربَ الهيم.

٥٦- ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ﴾ [هذا الذي وصِفَ لكم هو طعامهم وشرابهم الذي أُعِدَّ لهم] ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦﴾ يوم الجزاء، [وفيه تهكُّمٌ بهم وتخويفٌ لأن

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ۝٤٥﴾ [سورة الدخان]، والمُهل هو عَكَرُ الزيت.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ
قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

النُّزُلَ في الأصل ما يُعَدُّ للضيف أوّلَ وصوله تكرُمَةً له، فإذا كان هذا ما أُعِدَّ لهم أوّلَ دخولهم النار فما ظنُّك بما يكون بعد ذلك في الجحيم.

٥٧- ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا﴾ فهلَّا ﴿تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ تحضيضٌ على التصديق إما بالخلق، لأنهم وإن كانوا مُصَدِّقين به إلا أنه لَمَّا كان مذهبهم خلافَ ما يقتضيه التصديقُ فكأنهم مُكذِّبون به، وإما بالبعث، لأن مَن خَلَقَ أوَّلًا لم يمتنع عليه أن يخلُقَ ثانيًا [وهو خطاب لمشركي مكة].

٥٨- ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أي: [أخبِروني عمّا] تقذفونه في الأرحام من النُّطَف[1].

٥٩- ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ تُقدِّرونَه وتُصورونَه وتجعلونه بشرًا سَويًّا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [استفهام بمعنى التوبيخ، أي: وإذا كان قادرًا على أن يَنقُلَ المنيَّ إلى هذه الصورة العجيبة فهو قادر على إحيائه بعد موته].

٦٠- ٦١- ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ تقديرًا وقسمناه عليكم قِسمةَ الرزق على اختلافٍ وتفاوت كما تقتضيه مشيئتُنا، فاختلفت أعمارُكم من قصير وطويل ومتوسط ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [وما نحن بعاجزين] ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ [أي:] إنا قادرون على أن نُبَدِّل مكانَكم أشباهَكم من الخلق [خيرًا منكم وأَطْوَعَ] ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ وعلى أن ننشئَكم في خَلق لا تعلمونها وما عَهِدتم بمثلِها، يعني أنَّا نقدر على

---

(١) جمعُ نُطفةٍ، وهي أول مراحل تطور المولود؛ من نطفة إلى علقة ثم مضغة ثم يكون عظمًا ثم يُكسَى العظم لحمًا ثم تُنفخ فيه الروح.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الأمرين جميعًا، على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم، فكيف نعجِزُ عن إعادتكم؟!

٦٢- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [ولقد علمتم أنا خلقناكم ولم تكونوا شيئًا، ثم جعلناكم لحمًا ودمًا وعظمًا وروحًا] ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [فهلَّا تتأملون فيه فتتعظوا وتَعلَموا] أنَّ مَن قَدَرَ على [ذلك] مرةً لم يمتنع عليه ثانيًا [والمراد بلَوْلا هلَّا بمعنى الحضِّ والحثِّ على ذلك، أي ينبغي لكم أن تتفكَّروا في أنفسكم وفي خلقكم فيؤدّيكم النظر إلى عدم إنكار البعث].

٦٣- ٦٧- ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ما تحرثونه من الطعام، أي تُثيرون الأرضَ وتُلقون فيها البَذْرَ ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تُنبتونَه وتَردُّونه نباتًا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ المُنبتون؟ [وفي هذا حجة ثانية عليهم لعدم إنكار البعث] ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ هشيمًا[1] متكسِّرًا قبلَ إدراكه[2] ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [فظللتم، أي فبقيتم في انتظار خروج النبات من الأرض] تَعجَبون [من عدم خروجه]، أو تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه، أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أُصبتم بذلك من أجلها ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ أي: تقولون: إنا لمُلزَمون غرامةَ ما أَنفقنا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ قومٌ لا حَظَّ لنا، ولو كنا مجدودين[3] لما جرى علينا هذا[4].

---

(١) الهشيمُ: النبت اليابس المتكسر.
(٢) أي: قبل وصوله للحالة الصالحة للأكل والاستعمال.
(٣) مجدودين: مرزوقين، يقال رجلٌ مجدودٌ: إذا كان ذا حظ من الرزق.
(٤) أي: أنتم تعلمون وتُقِرُّون أن حظَّكم من الزرع اتخاذ الأسباب من الحرث والبَذر والسَّقي ثم ترجون وتأملون أن ينبت، وليس أمر ذلك بيدكم، فمن كان بيده إخراج النبات من البذر من الأرض فكيف تحيلون عليه إخراج الموتى من الأرض أحياءً بعد أن صاروا رميمًا وقد كانوا قبل ذلك أحياءً.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ
أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ
ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

٦٨- ٧٠- ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ الماءَ العذبَ الصالح للشرب ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ السحابِ الأبيض، وهو أعذبُ ماء ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ بقدرتنا [وأنتم معترفون بعجزكم عن إنزاله وبقدرة الله عليه] ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ مِلحًا أو مُرًّا لا يُقْدَرُ على شُربه، [ولا على الانتفاع به في زرع ولا غرس] ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ فهلَّا تشكرون [مُنزلَها بإخلاص العبادة له، وليس بمجرد قول الحمد لله مع الكفر والإشراك].

٧١- ٧٤- ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ تَقدحونَها وتستخرجونها من الزِّناد، والعربُ تَقدَحُ بعودَين تَحُكُّ أحدَهما على الآخر ويُسمُّون الأعلى الزَّنْدَ والأسفلَ الزَّنْدَةَ، [وهذه مُحاجَّةٌ أُخرى عليهم في تقريرهم بنعمة ربهم وتنبيههم على قدرته] ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ التي منها الزِّنادُ ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ الخالقونَ لها ابتداءً ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ أي: النارَ ﴿تَذْكِرَةً﴾ تذكيرًا لنار جهنمَ حيث عَلَّقنا بها أسبابَ المعاش، وعمَّمنا بالحاجة إليها البلوى[1]، لتكون حاضرةً للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أُوعدوا به[2] ﴿وَمَتَٰعًا﴾ ومَنفعةً ﴿لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ للمسافرين النازلين في

---

(١) أي: الحاجة إليها شديدة عامَّةٌ في كثير من أمور حياتنا.
(٢) بمعنى أن كثيرًا من أسباب حياتنا يدخل فيها استعمال النار، فينبغي أن تكون لنا تذكرة لاتقاء ما يؤدي إلى نار جهنم، فمن رأى نارًا عظيمةً يقول: اللهم أجرنا من نار جهنم، ومَن دخلَ حمامًا شديدَ الحرارة، أو تذوَّق طعامًا شديدَ الحرارة يستجير من نار جهنم، فإذا كان المكث بقربها إن كانت قوية لا يُطاق، ولا يُطاق أكل الطعام الحار المُحْمَى بها، ولا استعمال الماء الحار المُحْمَى بها فكيف يُطاق المكث في عينها.

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٤ ۞فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨﴾

القَواءِ[1] وهي القَفْرُ، [وقدَّم التذكرة على المتاع لأنها أهم، وكثير من الناس غَفَلوا عنها، وخص المسافرين بالذكر مع أن المقيمين متنعمون بها أيضًا لأن حاجة المسافر إليها أمَسّ فدخل المقيم بطريق أولَى] ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ فنزِّه ربَّكَ عما لا يليق به أيها المستمعُ المستدلُّ ﴿ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الذي أفعاله تدلُّ على عظمته وكبريائه وانفراده بالخلقِ والإنشاء].

٧٥- ٨٠- ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ أي: فأقسم، ولا مزيدةٌ مؤكِّدَةٌ مثلُها في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٢٩﴾ [سورة الحديد] ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ بمَساقِطها ومغاربها ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [لأن المقسَمَ به عظيم، أقسم الله تعالى بها لعِظم منافعها للعباد في مصالح العالم المتعلقة بها، ولما فيها من الدِّلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة والرحمة بالاهتداء بها في ظلمات البر والبحر وغير ذلك، أو ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ مساقطها إذا انتثرت لقيام الساعة تعظيمًا وتذكيرًا بذلك اليوم، وتنبيهًا على قدرة الله تعالى، وقيل: النجوم: نجوم القرءان، [والنجم من القرءان: القدر النازل على النبي عليه السلام دفعة واحدة]، ومواقعُها: أوقات نزولها] ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾ حسنٌ مرضيّ، أو نفَّاعٌ جَمُّ المنافع، أو كريمٌ على الله [لأنه كلامُه ووَحيُه، وكريمٌ على رسوله لأنه من عند ربّه، وكريم على المؤمنين لأن فيه شفاءَهم وهداهم وبشارتهم، وكريم في نفسه لأنه كثير الخير شريف جليل نافع معجز، فمِن حقِّهِ أن يُكرَمَ ويُعظَّمَ ويُستفادَ منه ويُغتنَمَ ويُعمَلَ به ويُعَلَّمَ ويُعْلَمَ] ﴿فِي كِتَٰبٖ﴾ أي: اللوحِ المحفوظ ﴿مَّكۡنُونٖ ۝٧٨﴾

---

(١) القَواءُ: الأرض الخالية، والقَفْرُ: الخلاءُ من الأرض، أو مَفازةٌ لا نبات بها ولا ماء.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ۝٨٤﴾

مَصون عن أن يأتيه الباطل، أو من غير المقربين من الملائكة، لا يطَّلعُ عليه مَن سواهم ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ مِن جميع الأدناس، أدناسِ الذنوب وغيرها إن جعلتَ الجملةَ صفةً لكتاب مكنون؛ وهو اللوح، وإن جعلتها صفة للقرءان فالمعنى: لا ينبغي أن يَمسَّه إلا مَن هو على الطهارة من الناس ﴿تَنزِيلٞ﴾ منزَّلٌ ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ أو وصفٌ بالمصدر لأنه نزلَ نجومًا من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيلٌ، ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه، فقيل: جاء في التنزيل كذا، ونطقَ به التنزيلُ.

٨١- ٨٢- ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ أي: القرءانِ [الذي وُصِفَ لكم] ﴿أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١﴾ متهاونون ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ أي: تجعلونَ شكرَ رزقِكم التكذيبَ، أي تجعلون شكركم لنعمة القرءان أنكم تكذِّبون به، وقيل: نزلت في الأنواء[1] ونسبتهم السُّقيا إليها - والرزقُ: المطرُ - أي: وتجعلون شكرَ ما يرزقكم الله تعالى من الغيث أَنكم تكذِّبون بكونه من الله حيث تنسُبونه إلى النجوم.

٨٣- ٨٥- ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفسُ أي: الروحُ عند الموت ﴿ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣﴾ مَمرَّ الطعام والشراب ﴿وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ۝٨٤﴾ [تنظرون إليه متى تخرج روحُه لا تَملكون ردَّها، و] الخطابُ لِمَن حضرَ الميتَ

---

(١) الأنواء: ثمانيةٌ وعشرون نجمًا معروفةُ المطالع في أزمنة السنة كلّها من الصيف والشتاء والربيع والخريف يسقط منها كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع ءاخرُ في المشرق من ساعته وكلاهما معلومٌ مسمًّى، وكانت العرب في الجاهلية تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها، أو إلى الطالع منها فتقول: مُطِرنا بِنَوْءِ كذا.

﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾

تلك الساعة ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ﴾ إلى المحتَضَر[1] [بالعلم والقدرة، وهو تعالى الخالق بقدرته وعلى حسب عِلمه ومشيئته، فهو على هذا أقربُ منكم] ﴿مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ لا تعقِلون ولا تعلمون [كُنْهَ ما يجري معه، فإن حقيقة أمر الروح وخروجها أمر لا يعلمه إلا الله تعالى].

٨٦- ٨٧- ﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ مربوبين ﴿تَرۡجِعُونَهَآ﴾ تَردُّون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ أنكم غيرُ مربوبين مقهورين، فلولا في الآيتين للتحضيض يستدعي فِعلًا، وذا ﴿تَرۡجِعُونَهَآ﴾، واكتفى بذكره مرةً، [أي]: فلولا تَرجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين و﴿فَلَوۡلَآ﴾ الثانية مكررة للتأكيد، ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ﴾ بقدرتنا وعلمنا ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾ [من البصيرة بالقلب، أو ﴿أَقۡرَبُ﴾ بملائكة الموت [﴿وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾ من البصر بالعين]، والمعنى أنكم في جحودكم ءاياتِ الله في كل شيء، إن أنزلَ عليكم كتابًا معجِزًا قلتُم: سحرٌ وافتراء، وإن أرسلَ إليكم رسولًا صادقًا قلتم: ساحرٌ كذاب، وإن رزقكم مطرًا يُحييكم به قلتم: صَدَقَ نَوْءُ كذا، على مذهبٍ يؤدي إلى الإهمال والتعطيل، فما لكم لا تَرْجعون الروحَ إلى البدن بعد بلوغه الحلقومَ إن لم يكن ثَمَّةَ قابضٌ وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمُحيي المُميت المُبدئ المُعيد؟!

٨٨- ٨٩- ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ المتوفَّى ﴿مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ منَ السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورةِ في أول السورة ﴿فَرَوۡحٞ﴾ فلَهُ استراحةٌ [في القبر، أو من غموم الدنيا] ﴿وَرَيۡحَانٞ﴾ ورزق [في الجنة] ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾ [في الآخرة].

---

(١) أي: حَضَرَتْهُ الوفاةُ.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

٩٠- ٩١- ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين، أي يُسَلِّمون عليك كقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الواقعة].

٩٢- ٩٤- ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾ هم الصنفُ الثالث من الأزواج الثلاثة، وهم الذين قيل لهم في هذه السورة: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ [فما أُعِدَّ له ويعطاه في النار من حميم، وهو الماء الحار الذي مَرَّ في هذه السورة] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ إدخال فيها، وفي هذه الآيات إشارة إلى أن الكفر كلَّه ملةٌ واحدة، وأن أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لأنهم غيرُ مُكذِّبين.

٩٥- ٩٦- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي أُنزل في هذه السورة ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [هو الحق الذي لا باطل فيه، وهو اليقين من الخبر الذي لا شك فيه] ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ روي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على ابن مسعود رضي الله عنه في مرض موته فقال له: ما تشتكي؟ فقال: ذنوبي. فقال: ما تشتهي؟ قال: رحمةَ ربي، قال: أفلا تدعو الطبيب؟ قال: الطبيبُ أمرضَني[1]، فقال: ألا نأمرُ بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: ندفعه إلى بناتك، قال: لا حاجة لهن فيه، قد أمرتُهن أن يقرأنَ سورةَ الواقعة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَرَأَ سورةَ الواقعةِ في كلِّ ليلةٍ لمْ تُصِبْهُ فاقةٌ[2] أبدًا**».

---

(١) معناه: خالق الشفاء هو أمرضني، لكن لا يجوز أن يُطلق لفظ الطبيب على الله من باب التسمية، فلا يقال: يا طبيب اشفني.
ثم هذا الخبر غير ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام.
(٢) الفاقَة: الفقر.

سورة الحديد
مدنية وقيل مكية وهي تسع وعشرون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ
وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ [نَزَّهَ اللهَ تعالى عن كل سوء] ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ما يتأتَّى منه التسبيحُ ويَصِحُّ، [وقيل: هو حقيقةٌ في الجميع، أي: جميع ما في السماوات والأرض من أصناف الخلائق يسبحون الله تعالى تعظيمًا له وإقرارًا بربوبيته كما قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ ۝٤٤﴾] ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [المَنيعُ بسلطانه وجلاله] ﴿ٱلۡحَكِيمُ ۝١﴾ [المُصيبُ في أقواله وأفعاله].

٢- ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ لا لغيره ﴿يُحۡيِۦ﴾ الموتى ﴿وَيُمِيتُۖ﴾ الأحياء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [من الإحياء والإماتة وغيرها] ﴿قَدِيرٌ ۝٢﴾ [تامُّ القدرة].

٣- ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ هو القديم الذي كان قبل كل شيء ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ الذي يبقى بعد هلاك كل شيء ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلة الدالة عليه ﴿وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ لكونه غيرَ مُدرَك بالحواسّ وإن كان مرئيًّا، وقيل: الظاهر العالي على كل

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾

شيء[1] الغالبُ له، مِن ظَهَرَ عليه: إذا علاهُ وغلبَه، والباطن: الذي بَطَنَ كل شيء، أي: علمَ باطنَه ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [لا يخفى عليه شيء].

٤- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [أي: في مقدار ذلك، لأن اليوم يُعرف بطلوع الشمس وغروبها، ولم تكن الشمس حينئذ، ثم قيل]: من أيام الدنيا، [وقيل: هي كأيام الآخرة كلُّ يوم ألف سنة] ولو أراد أن يجعلَها في طَرْفة عين لفَعلَ، [وقيل: إنما فعل ذلك تعليمًا لِخَلقه التأنّيَ والتثبتَ في الأمور] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ استولى، [أي وقد استولى، ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أضاف الله تعالى الاستيلاء إلى العرش وإن كان سبحانه وتعالى مستوليًا على جميع المخلوقات لأن العرش أعظمُها فهو أعظم المخلوقات من حيث المِساحة وهو سقف الجنة، وقيل: العرش: المُلكُ، يقال: ثُلَّ عرشُ فلان؛ أي: زال مُلكُه، والاستواء: ظهور التمام، قال تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ۝١٤﴾ [سورة القصص]، أي ثم ظهر لذوي العقل والتمييز من خلقه تمامُ مُلكه وعظمته وجلاله، وقبل خلقهم لم يكن مَن له معرفة ذلك. وأما حمل الاستواء على التمكُّن والاستقرار، وتجويزُ الانتقال على الله تعالى على ما يقوله المُشَبّهة فهو باطل لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى][2]] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ما يدخل في الأرض من البَذْر والقَطْر والكنوز والموتى ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ﴾ من الملائكة والأمطار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [يصعدُ] من

---

(١) أي: عُلُوَّ قهر وغَلَبَة.

(٢) أفاده أبو حفص النسفي في تفسيره: (التيسير في التفسير).

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ
ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا
لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾

الأعمال والدعوات ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ﴾ بالعلم والقدرة عمومًا، وبالفضل والرحمة خصوصًا ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ فيجازيكم بحسب أعمالكم.

٥- ٦- ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ [وإلى الله مَصيرُ جَميعِ أمور خلقه] ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يُدخلُ الليلَ في النهار بأن يَنْقُصَ من الليل ويزيدَ في النهار ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ [بخفيَّات الصدور، ومَنْ قدر على هذه الأشياء فلن يُعجزَه إهلاكُ مَن كفر به، فلا تتوهموا معاشرَ المسلمين أن إمهالَ الكفار لِعَجز، وأنَّ أمري إياكم بجهادهم لحاجة، ولكن لأبتَليَكم به وأعوِّضَكم عليه النعيمَ المقيم الذي خلقتكم له وخلقته لكم، وهو وجه انتظام هذا بما بعده].

٧- ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟﴾ يَحتملُ الزكاةَ والإنفاقَ في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾ يعني أن الأموالَ التي في أيديكم إنما هي أموالُ الله بخَلْقه وإنشائِه لها، وإنما موَّلَكم إياها للاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرُّف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة، فأنفِقوا منها في حقوق الله تعالى، وليَهُن عليكم الإنفاقُ منها كما يهون على الرجل الإنفاقُ من مال غيره إذا أُذِنَ له فيه، أو جعلَكم مستخلَفين ممن كان قبلَكم بتوريثه إياكم وسينقله منكم إلى مَن بعدَكم، فاعتبروا بحالهم ولا تبخَلوا به ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسله ﴿مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

٨- ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ وأيُّ عُذرٍ لكم في ترك

﴿لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ⑧ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ⑨ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾

الإيمان والرسولُ يدعوكم ﴿لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ⑰②﴾ [سورة الأعراف]، أو بما رَكَّبَ فيكم من العقول ومكَّنكم من النظر في الأدلة، فإذا لم يبقَ لكم عِلَّة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول ﷺ فما لكم لا تؤمنون؟! [وهو استفهامٌ على سبيل التأنيب والإنكار] ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ⑧﴾ لمُوجِبٍ ما، فإن هذا المُوجِبَ لا مزيدَ عليه.

٩- ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمدٍ ﷺ ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني: القرآنَ ﴿لِّيُخْرِجَكُم﴾ الله تعالى، أو محمدٌ بدَعوته ﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظُلُمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ⑨﴾ [حيث نبَّهكم بالرسول والآيات، ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية، و] الرأفةُ: أَشدُّ الرحمة.

١٠- ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا﴾ في ألّا تنفقوا ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: وأيُّ غَرَضٍ لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله واللهُ مُهلكُكم فوارث أموالكم، وهو مِن أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله ثم بيَّن التفاوتَ بين المنفقين منهم فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ أي: فتح مكةَ قبلَ عِزِّ الإسلام وقُوةِ أَهلِه ودخولِ الناس في دين الله أفواجًا ومَن أنفقَ من بعد الفتح ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين أنفقوا قبلَ الفتح، وهم السابقون الأَوَّلون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبيُّ ﷺ: «**لو أنفقَ أحدكُم مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بلغَ مُدَّ أحدِهِمْ ولا نَصِيْفَهُ**» ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا﴾ وكلَّ واحد من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي:

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا﴾

المثوبةَ الحسنى، وهي الجنةُ مع تفاوت الدرجات، قيل: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لأنه أولُ مَن أسلمَ [من الرجال]، وأَولُ من أنفقَ في سبيل الله، وفيه دليل على فَضْلهِ وتقدُّمه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠﴾ فيجازيكم على قدر أعمالكم.

١١- ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ بطيب نفسه، والمرادُ الإنفاقُ في سبيله، واستعيرَ لفظُ القَرضِ ليدلَّ على التزام الجزاءِ ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ أي: يُعطيه أجرَه على إنفاقِه أضعافًا مضاعفةً من فضله ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١﴾ وذلك الأجرُ المضموم إليه الأَضعافُ كريمٌ في نفسه.

١٢- ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ﴾ [يحصل لهم هذا الأجر الكريم يومَ القيامة، يومَ] يَمضي ﴿نُورُهُم﴾ نورُ التوحيد والطاعاتِ، وإنما قال: ﴿بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ لأن السعداء يُؤتَونَ صحائفَ أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أن الأشقياءَ يؤتَونَها مِن شمائلهم، ووراءَ ظهورهم، فيُجعلُ النورُ في الجهتين شعارًا لهم وءايةً، لأنهم هم الذين بحسناتهم سَعِدوا، وبصحائفهم البيضِ أفلَحوا، فإذا ذُهِبَ بهم إلى الجنة ومَرُّوا على الصراط سَعَى بسعيهم ذلك النور، وتقولُ لهم الملائكة: ﴿بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ﴾ أي: دخولُ جنات ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾ [فيه الخلاص من كل مرهوب والظَّفَر بكل محبوب].

١٣- ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا﴾ أي: انتظِرونا،

﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾

لأنه يُسرَعُ بهم إلى الجنة كالبُروق الخاطفة ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ نُصِبْ منه، وذلك أن يَلحقوا بهم فيستنيروا به ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ طَرْدٌ لهم وتهكُّم بهم، أي: تقول لهم الملائكةُ أو المؤمنون: ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أُعطِينا هذا النور، فالتمِسوه هنالك فمِن ثَمَّ يُقتَبسُ [وهو للتوبيخ دون التحقيق للأمر بالرجوع] ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٍ﴾ بحائطٍ حائلٍ بين شقِّ الجنة وشِقِّ النار، قيل: هو الأعراف ﴿لَّهُۥ﴾ لذلك السور ﴿بَابٌۢ﴾ لأهل الجنة يدخلون منه ﴿بَاطِنُهُۥ﴾ باطنُ السورِ، أو الباب، وهو الشِّقُّ الذي يلي الجنةَ ﴿فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ أي: النورُ، أو الجنةُ ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ ما ظَهرَ لأهل النار ﴿مِن قِبَلِهِ﴾ مِن عنده ومِن جهته ﴿ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ الظلمةُ، أو النار.

١٤- ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ ينادي المنافقونُ المؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ يريدون موافقتَهم في الظاهر ﴿قَالُوا۟﴾ أي المؤمنون: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ مَحَنتُموها[1] بالنفاق وأهلكتُموها ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر[2] ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ وشككتم في التوحيد ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ طولُ الآمال والطمعُ في امتداد الأعمار ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ الموتُ ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ وغَرَّكُمُ الشيطانُ بأن اللهَ عَفُوٌّ كريم لا يعذبُكم، أو بأنه لا بعثَ ولا حسابَ.

١٥- ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ﴾ أيها المنافقونَ ﴿فِدْيَةٌ﴾ ما يُفتدَى به،

---

(١) مَحَنتُموها: ابتليتموها.
(٢) دوائرَ الزمانِ وحوادثَه أن تنقلبَ عليهم سوءًا ومصائبَ.

﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٥ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝١٦ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧﴾

[لِمَا أنه لا يكون ذلك، لا أن تُعطوا فلا يؤخذ] ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ [مُعلِنين] ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ﴾ مرجعُكم ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْۖ﴾ هي أَوْلَى بكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٥﴾ النارُ.

١٦- ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ مِن: أَنَى الأمرُ يأني: إذا جاء إناهُ، أي وقته، قيل: كانوا مُجدِّبِينَ بمكة، فلَمّا هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتَروا عما كانوا عليه فنزلت، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عُوتبنا بهذه الآية إلا أربعُ سنين ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ المراد بالذكر وما نزل من الحق: القرءانُ، لأنه جامعٌ للأمرين، للذِكرِ والمَوعظة، وأنه حَقٌّ نازل من السماء ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ يجوز أن يكون نهيًا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب، وذلك أن بني إسرائيل كان الحقُّ يَحُول بينهم وبين شهواتهم، وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خَشَعوا لله ورقَّت قلوبُهم، فلَمّا طال عليهم الزمان غلبهم الجفاءُ والقَسوة، واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ الأجل [لطول أعمارهم] أو الزمان [بينهم وبين أنبيائهم] ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ﴾ باتباع الشهوات ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝١٦﴾ خارجون عن دينهم رافضون لِما في الكتابين؛ أي وقليل منهم مؤمنون.

١٧- ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ﴾ هذا تمثيلٌ لأَثَر الذكر في القلوب، وأنه يُحييها [بعد قساوتها] كما يُحيي الغيثُ الأرضَ ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧﴾ [قد بَيَّنّا لكم الأدلة والحُجَج على قدرتنا بهذا وغيره لتتدبروا وتعقلوا].

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾

١٨- ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ [بمعنى المتصدقين والمتصدقات] ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ كأنه قيل: إن الذين اصَّدَّقوا وأقرضوا، والقرضُ الحَسَنُ: أن يتصدَّقَ من الطيِّب عن طِيبةِ النفسِ وصحةِ النية على المستحق للصدقة ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾ [قرضُهم] ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ أي: الجنةُ.

١٩- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [والذين أقرُّوا بوحدانية الله تعالى وإرسال رسُله، فصدَّقوا الرُّسُلَ وءامنوا بما جاؤوهم به من عند ربهم، أولئك هم المبالغون في التصديق الذين كمُلَ تصديقهم بالله ورُسُله اعتقادًا وقولًا وعملًا ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ يجوز أن يكون ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ مبتدأ و﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبرَه، [أي أن الخبر عن الذين ءامنوا بالله ورسله منتهاهُ عند قوله: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾، ثم ابتدأ الخبر عن الشهداء فقيل: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ لهم ثوابُهم الجزيلُ عند الله، ونُورهم العظيم يوم القيامة، والمراد بالشهداء: الأنبياءُ - يشهدون للمؤمنين بالصدِّيقيَّة كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النساء] - أو الذين استُشهِدوا في سبيل الله، جعلَهم صنفًا مذكورًا وحدَه لعِظم أجرهم] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ [فيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث إن التركيب يُشعر بالاختصاص، والصحبةُ تدل على الملازمة عرفًا].

٢٠- ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ كلعِب الصبيان ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلهو الفتيان ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النِّسوان ﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾ كتفاخر الأقران

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ كتكاثر الدِّهقان[1] ﴿فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي: مباهاةٌ بهما، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ [مطر] ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾ [قيل: الكُفَّارُ: الزُّرَّاع، مِن كَفَرَ الحبَّ أي: ستَرَهُ في الأرض، وخُصُّوا بالذكر لأنهم أهل البصر بالنبات والفلاحة، فلا يعجبهم إلا المعجِبُ حقيقةً، وقيل: من الكفر بالله، لأنهم أشدُّ تعظيمًا للدنيا وإعجابًا بمحاسنها] ﴿نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ [يَيْبَسُ] ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ بعدَ خُضرته ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ متفتتًا، شبَّهَ حالَ الدنيا وسرعة تَقَضِّيها مع قِلةِ جَدْواها بنبات أَنبتَه الغيثُ، فاستوى وقويَ، وأُعجِبَ به [الزُّرَّاعُ، أو] الكفارُ الجاحدون لنعمة الله فيما رزقَهم من الغيث والنبات، فبعثَ عليه العاهةَ فهاجَ واصفَرَّ وصار حطامًا عقوبةً لهم على جُحودهم ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ للكفار ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ للمؤمنين، يعني أن الدنيا وما فيها ليست إلا مُحَقَّراتٍ من الأمور، وهي اللعِبُ واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر، وأما الآخرة فما هي إلا أُمورٌ عظام، وهي العذاب الشديد، والمغفرة والرِّضوانُ من الله الحميد ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ لِمَن رَكَنَ إليها واعتمد عليها، [والغرور: الخداعُ، ومعناه أن هذه الحياة الدنيا متعةٌ يقع الاغترار بها باعتماد الإنسان عليها ثم لا تبقى له، فكأنها غرَّتْهُ].

ولَمّا حَقَّر الدنيا وصَغَّر أمرها وعظَّمَ أمرَ الآخرة، بعث عباده على المسارعة إلى نيل ما وعد من ذلك، وهي المغفرةُ المُنجية من العذاب الشديد والفوزُ بدخول الجنة بقوله:

---

(١) الدُّهقان بالكسر والضم: القويُّ على التصرف مع حدة، والتاجر، ورئيس الإقليم.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ مَآ أَصَابَ مِن
مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾

٢١- ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ سارِعوا مسارعةَ المسابِقين لأقرانهم في المِضمار(١)، أي بالأعمال الصالحة ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ كعرضِ سبعِ السماواتِ وسبعِ الأرَضِينَ، وذكر العرضَ دون الطول لأن كلَّ ما له عرضٌ وطولٌ فإن عرضَه أقلُّ من طوله، فإذا وَصفَ عرضَه بالبَسْطَة(٢) عُرفَ أن طولَه أبسطُ، أو أُريد بالعرض البسطةُ ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ وهذا دليل على أنها مخلوقة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الموعودُ من المغفرة والجنةِ ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ وهم المؤمنون، وفيه دليل على أنه لا يدخلُ أحدٌ الجنةَ إلا بفضل الله ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾

ثم بيَّن أن كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله:

٢٢- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من الجَدْب وءافات الزروع والثمار، ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ من الأمراض والأوصاب(٣) وموت الأولاد ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ إلا مكتوبًا في اللوح ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ من قبل أن نخلُقَ الأنفُسَ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إن تقديرَ ذلك وإثباتَه في كتاب ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ وإن كان عسيرًا على العباد.

ثم علَّل ذلك وبيَّن الحكمةَ فيه بقوله:

٢٣- ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾ تحزَنوا حُزنًا يُطغيكم ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من الدنيا

---

(١) المِضمارُ: المَيْدانُ الذي تُضمر فيه خيل السِّباق.
(٢) البَسْطَةُ: السَّعَة.
(٣) الأوصابُ: الأوجاع، جمعُ وَصَبٍ: وهو الوجع والمرض.

﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾

وسَعَتها، أو من العافية وصحتها ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟﴾ فرحَ المُختال[١] الفخور ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أعطاكم، يعني أنكم إذا علمتم أن كل شيء مُقَدَّر مكتوبٌ عند الله قَلَّ أساكم على الفائت، وفرحُكم على الآتي، لأن مَن علِمَ أنَّ ما عنده مفقودٌ لا محالةَ لم يتفاقَمْ جَزَعُه عند فَقْده، لأنه وطَّنَ نفسَه على ذلك، وكذلك مَن علم أن بعض الخير واصلٌ إليه، وأن وصولَه لا يفوتُه بحال لم يعظُمْ فرحُه عند نَيله، وليس أَحدٌ إلا وهو يفرحُ عند منفعة تُصيبه، ويحزنُ عند مَضَرَّة تنزلُ به، ولكن ينبغي أن يكون الفرحُ شكرًا، والحزنُ صَبرًا، وإنما يُذَمُّ من الحزن الجزعُ المنافي للصبر، ومن الفرحِ الأَشَرُ[٢] المُطغي المُلْهِي عن الشكر ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ لأن مَن فَرِحَ بحظٍّ من الدنيا وعظُمَ في نفسه اختالَ وافتخر به وتكبَّر على الناس.

٢٤- ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الذين يفرحون الفرحَ المُطغي إذا رُزقوا مالًا وحظًّا من الدنيا، فلِحُبِّهم له وعِزَّتِه عندهم يَزْوونه[٣] عن حقوق الله ويَبخَلون به ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ ويَحُضُّون غيرَهم على البخل ويُرغِّبونهم في الإمساك ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يُعرِضْ عن الإنفاق، أو عن أوامر الله ونواهِيه ولم ينتهِ عما نُهِيَ عنه من الأَسى على الفائت والفرح بالآتي ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن جميع المخلوقات، فكيف عنه ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [المستحقُّ للحمد] في أفعاله، [أي: ليس أمرُه بالجهاد والإنفاق لحاجة، بل لإكرام العبد بحسن الجزاء].

---

(١) المختالُ: المتكبر.
(٢) الأَشَرُ: البَطَر، وهو الطغيانُ في النعمة.
(٣) يَزوونه: يقبضونَه ويُنَحُّونَه، أي: لا يدفعون ما عليهم من الحقوق فيه.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾

٢٥- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ يعني: أرسلنا الملائكةَ إلى الأنبياء ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحُجج والمعجزات ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [أي: الكتبَ فيها بيان أصول الشرع]، وقيل: الرُّسُل: الأنبياء ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ [والعدلَ، أي: وأمرنا بالعدل، وقيل: هو ءالةُ التعامل التي يعرف بها الناس ما يأخذون ويُعطون]، روي أن جبريل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال: مُرْ قومك يَزِنوا به ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ﴾ ليتعاملوا بينهم إيفاءً واستيفاءً ﴿بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ بالعدل ولا يظلمَ أحد أحدًا ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ قيل: نزل ءادم من الجنة ومعه خمسةُ أشياءَ من حديدٍ: السَّندانُ[١] والكَلْبتان[٢] والمِيْقَعةُ[٣] والمِطرقةُ والإبرةُ[٤]، وروي: ومعه المَرُّ[٥] والمِسْحَاةُ[٦]، وعن الحسن: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ خلقناه ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وهو القتالُ به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم، فما من صناعة إلا والحديدُ ءالةٌ فيها، أو ما يُعمَلُ بالحديد ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ [ليُظهرَ اللهُ للعباد مَن يَنصرُ دينَه] باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين [فالتغير ليس في علم الله، بل في هذا الحدث الذي خرج من العدم إلى الوجود، وأما الله تعالى فلم يزل عالمًا بذلك قبل أن يخلقهم] ﴿بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ [بغَيبة مَن يراه؛ أي: يفعلُه

---

(١) السَّندانُ: كتلة من الحديد يَطْرُقُ الحدَّادُ عليها الحديدَ.
(٢) الكَلْبتان: ما يأخذ بُه الحدادُ الحديد المُحْمَى.
(٣) المِيْقَعة: المِطرقةُ، والمِسَنُّ الطويل، ووَقَعتُ السكين: أحدَدْتُها واستوقَعَ السيفُ: احتاج إلى الشَّحْذ.
(٤) الإبرة: مسلة الحديد.
(٥) المَرُّ: الحبل.
(٦) المِسحاةُ: كالمِجْرفة إلا أنها من حديد، والمِجرفةُ: ما يُستعمل للأخذ الكثير.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾

عن إخلاص، لا كالمنافق يفعلُه إذا رءاه الناس، ولا يفعله إذا غاب عنهم] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ يَدفعُ بقوَّته بأسَ مَن يُعرضُ عن مِلَّته ﴿عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ يَربِطُ بعزَّته جأشَ[(١)] من يَتعرَّضُ لنُصرته.

٢٦- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ خُصّا بالذِكر لأنهما أبوان للأنبياء عليهم السلام ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ أولادِهما ﴿ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ الوَحيَ: [يعني: الكتبَ] ﴿فَمِنْهُم﴾ فمِنَ الذرية، أو من المرسَلِ إليهم ﴿مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ هذا تفصيلٌ لحالهم، أي فمنهم مَن اهتدى باتّباع الرسل، ومنهم مَن فَسَقَ، أي خرج عن الطاعة، والغَلَبَةُ للفُسَّاقِ.

٢٧- ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي: [أَتْبعنا من بعد] نوحٍ وإبراهيمَ ومَن مضى من الأنبياء [مِن ذريتهما] ﴿بِرُسُلِنَا﴾ [وهم الرسلُ الذين جاؤوا بعدهم، أي: أتبعنا من بعدهم واحدًا بعد واحد من الرسل] ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [أتينا به بعدَهم] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾ مَودَّةً ولِيْنا ﴿وَرَحْمَةً﴾ تعطُّفًا على إخوانهم، كما قال تعالى في صفة أصحاب النبي ﷺ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفتح] ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ هي تَرَهُّبُهم في الجبال، فارِّينَ من الفتنة في الدين، مُخلِصين أنفسَهم للعبادة ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ أخرَجوها من عند أنفسهم ونَذَروها ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ لم نَفرِضْها نحن عليهم ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾

---

(١) الجأشُ: القَلبُ والنَّفْسُ.

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

أي: ولكنهم [أحدَثوها] ابتغاءَ رِضوان الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ كما يجب على الناذِرِ رعايةُ نَذْره[1]، لأنه عهدٌ مع الله لا يَحِلُّ نَكْثُهُ[2] ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ أي: أهلَ الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام [وثبتوا على الإيمان والحق، ومن ذلك الإيمان بمحمد ﷺ] ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [والفاسقون]: الكافرون.

٢٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الخطاب [لمن ءامنَ من أهل] الكتاب ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾، [أي: يا أيها الذين ءامنوا بموسى وعيسى ءامِنوا] بمحمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ الله ﴿كِفْلَيْنِ﴾ نَصيبَين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بمحمد ﷺ وإيمانكم بمَن قبلَه ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ وهو النور المذكور في قوله تعالى ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحديد] ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾، [وقيل: إنه نداءٌ لمن ءامن مِن أمة محمد ﷺ، ومعنى: ﴿ءَامِنُوا۟﴾ دوموا واثبتوا، والمعنى: أنه يؤتكم مثل ما وعدَ مَن ءامَنَ مِن أهل الكتاب من الكِفْلَين في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة القصص] إذا أنتم مثلُهم في الإيمانَين لا تُفرقوا بين أَحدٍ من رُسله. روي أنه لمَّا نزل هذا الوعد لمؤمني أهل الكتاب وكانت اليهود تُعظِّمُ دينَها وأنفسَها، وتزعمُ أنهم أحباءُ الله وأهلُ رِضوانه فَخروا على

---

(١) هذا من بعضهم، ليس من كلهم، بعضهم صدقوا وثبتوا على دين عيسى عليه السلام، وبعضهم انحرفوا ودخلوا في دين مِلكِهم، هذه الآية فيها شهادةٌ للتصوف.

(٢) النَّكثُ: نقضُ العهد.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

المسلمين فقالوا: يا معشر المسلمين، أمَّا مَن ءامن منا بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين، ومَن لم يؤمن بكتابكم فله أجرٌ كأجوركم، فما فضلُكم علينا فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآيةَ].

٢٩- ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ ليعلمَ ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذين لم يُسلِموا، ولا مَزيدةٌ، [كهي في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأعراف] أي ما منعك أن تسجد كما ورد في سورة ص] ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ أنه لا يقدرون ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ﴾ أي: لا ينالون شيئًا مما ذُكر من فضل الله من الكِفلَين والنور والمغفرة، لأنهم لم يؤمنوا برسول الله ﷺ، فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبلَه، ولم يُكسِبهم فضلًا قَطُّ ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ في مِلكه وتَصرُّفه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ من عباده ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾. [يجزي بالعمل المنقطع ثوابًا غير منقطع].

سورة المجادلة
مدنية وهي اثنتان وعشرون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾ تُحاوِرُكَ، وهي خولةُ بنتُ ثَعلبةَ امرأةُ أوسِ بنِ الصَّامِتِ أخي عُبادةَ، رءاها وهي تُصَلي وكانت حسنةَ الجسم، فلمَّا سَلَّمت راوَدَها، فأَبت، فغضبَ، فظاهَرَ منها، فأتت رسولَ الله ﷺ فقالت: إن أوسًا تزوَّجني وأنا شابةٌ مرغوبٌ فِيَّ، فلمَّا خلا[١] سِنّي ونَثَرَت بطني - أي كَثُرَ ولدي - جعلني عليه كأُمِّه. ورُوِيَ أنها قالت: إن لي صِبيانًا صغارًا إن ضممتُهم إليه ضاعوا، وإن ضممتُهم إليَّ جاعوا. فقال ﷺ: «**ما عندي في أمرِكِ شيءٌ**». وروي أنه قال لها: «**حَرُمتِ عليه**» فقالت: يا رسول الله ما ذَكَرَ طلاقًا وإنما هو أبو ولدي وأحبُّ الناس إليّ، فقال: «**حَرُمتِ عليه**» فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووَجْدي، فكلما قال رسول الله ﷺ: «**حَرُمتِ عليه**»، هَتَفَت[٢] وشَكَت، فنزلت. ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ في شأنه ﴿وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تُظهِرُ ما بها من المكروه ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ مراجَعَتَكما الكلامَ

(١) خَلا الشيء خُلُوًّا: مَضَى، تريدُ أنها كَبِرَتْ ومضى معظم عمرها.
(٢) الهَتْفُ: الصوتُ، ويقال: هتفت الحمامة هتفًا: ناحت.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ يَسمعُ شكوى المُضطرّ ﴿بَصِيرٌ ۝١﴾ بحاله.

٢- ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ﴾ [أي: الذين يقول الواحد منهم لامرأته: أنت عليَّ كَظَهر أمي، فيشبّهها بظهر أُمه في التحريم] ﴿مِنكُم﴾ توبيخ للعرب [في الجاهلية]، لأنه كان من أَيْمان أهل جاهليتهم خاصةً دون سائر الأمم ﴿مِّن نِّسَآئِهِم﴾ زوجاتهم ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ﴾ [أي على الحقيقة] ﴿إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ﴾ يريد أن الأمهات على الحقيقة الوالداتُ، والمرضِعاتُ مُلحَقاتٌ بالوالدات بواسطة الرَّضاع، وكذا أزواجُ رسول الله ﷺ لزيادة حرمتهن، وأما الزوجاتُ فأَبعدُ شيء من الأمومة، فلذا قال: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ تُنكره الحقيقةُ والأحكامُ الشرعية ﴿وَزُورٗاۚ﴾ وكذبًا باطلًا مُنحرفًا عن الحق ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢﴾ لِما سَلَفَ منهم.

٣- ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ﴾ بَيَّنَ في الآية الأُولى أن ذلك من قائله منكرٌ وزور، وبيَّن في الثانية حكمَ الظهار ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي: يعودون لنقضِ ما قالوا، أراد بما قالوا: ما حرَّموه على أنفسهم بلفظ الظهار، ثم اختلفوا أن النقض بماذا يحصلُ؟ فعندنا[1] بالعزم على الوطء، وعند الشافعية بمجرد الإمساك، وهو أَلّا يُطلقَها عقيبَ الظهار ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ فعليه إعتاق رقبة مؤمنة أو كافرة[2] ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ المظاهِرُ والمظاهَرُ منها، والمماسَّة: الاستمتاعُ بها من جماع، أو لمس

---

(١) أي: معاشرَ الحنفية.
(٢) هذا عند الإمام أبي حنيفة رحمه الله، أما عند الإمام الشافعي رحمه الله فلا يكفي عتق الكافرة إلا المسلمة.

﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ
أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ
ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ
أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥﴾

بشهوة، أو نظر إلى فرجها بشهوة[1] ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الحكم ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية، فيجب أن تَتَّعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣﴾ [لا تخفى عليه خافية].

٤- ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ الرقبةَ ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ﴾ فعليه صيام شهرين ﴿مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ﴾ الصيامَ ﴿فَإِطۡعَامُ﴾ فعليه إطعامُ ﴿سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ﴾ لكل مسكين نصفُ صاع من بُرّ، أو صاعٌ من غيره[2] ﴿ذَٰلِكَ﴾ البيان والتعليم للأحكام ﴿لِتُؤۡمِنُواْ﴾ لتُصدِّقوا ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره، ورفضِ ما كنتم عليه في جاهليتكم ﴿وَتِلۡكَ﴾ الأحكام التي وصفنا في الظهار والكفارة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِۗ﴾ التي لا يجوز تَعدِّيها ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ الذين لا يتبعونها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤﴾ مؤلم.

٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يُعادونَ ويُشاقُّون[3] ﴿كُبِتُواْ﴾ أُخزُوا وأُهلِكوا ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ من أعداء الرسل ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ﴾ تدلُّ على صدق الرسول وصحة ما جاء به ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ بهذه الآيات ﴿عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥﴾ يَذهَبُ بعزِّهم وكِبْرهم.

---

(١) هذا أيضًا عند الإمام أبي حنيفة، وعند الإمام الشافعي الذي يَحرمُ قبل ذلك الجماع دون غيره من الاستمتاع.
(٢) أما عند الإمام الشافعي رحمه الله فالإطعام هو مُدٌّ لكل مسكين أو فقير مما يصح دفعه عن زكاة الفطرة.
(٣) أي: يُخالِفون.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا
هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا
كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ
ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾

٦- ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ [يعذبهم هذا العذاب المُهين يومَ يبعثهم من قبورهم] كلِّهم لا يترك منهم أحدًا غيرَ مبعوث ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ [فيخبرهم بما عملوا] تخجيلًا لهم وتوبيخًا وتشهيرًا بحالهم، يَتمنَّون عنده المسارعةَ بهم إلى النار، لِما يَلحقُهم من الخِزي على رؤوس الأشهاد ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أحاطَ به عددًا لم يَفُته منه شيء ﴿وَنَسُوهُ﴾ لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه، وإنما تُحفَظُ مُعَظَّماتُ الأمور ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ لا يغيب عنه شيء.

٧- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ﴾ أي: ما يقعُ ﴿مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ النَّجوى: التناجي، أي: مِن نجوى ثلاثة نفر، [وهو ما يُسِرُّونه في خلوة] ﴿إِلَّا هُوَ﴾ أي: اللهُ ﴿رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ﴾ ولا أقلَّ ﴿مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعلم ما يتناجَونَ به ولا يخفى عليه ما هم فيه، [أي: هو معهم علمًا وسماعًا، لا مكانًا] وقد تعالى عن المكان علوًّا كبيرًا[1] ﴿أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيجازيهم عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [لا تفاوُتَ في علمه بين إسرارهم وإعلانهم].

٨- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ كانت اليهودُ والمنافقون يتناجَونَ فيما بينهم ويتغامزون بأَعينهم إذا رأوا المؤمنين، يريدون أن يَغيظوهم ويُوهموهم

---

(١) أي: تقدَّس وتَنزَّه عن التحيُّز في المكان تَنزُّهًا عظيمًا.

﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ
جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ
وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ
لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٠﴾

في نَجواهم وتغامُزِهم أن غُزاتَهم غُلبوا، وأن أقاربَهم قُتلوا، فنهاهم رسولُ الله ﷺ [عن تحدُّثهم سرًّا ناظرين إلى المؤمنين لِيُوْقِعوا في قلوبهم الرَّيبة] فعادوا لمِثل فِعلهم، وكان تَناجيهم بما هو إثمٌ وعُدوان للمؤمنين وتواصٍ بمعصيةِ الرسول ﷺ ومخالفته ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعني أنهم يقولون في تَحِيَّتك: السامُ عليكَ يا محمدُ، والسامُ: الموتُ، والله تعالى يقول: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ٥٩﴾ [سورة النمل]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [في غير ءاية من المائدة]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [في غير ءاية من الأنفال وغيرها من السور] ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ يقولون فيما بينهم: لو كان نبيًّا لعاقبَنا اللهُ بما نقولُه، فقال الله تعالى: ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ عذابًا ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾ يدخلونها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨﴾ المرجعُ جهنمُ.

٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ خطابٌ للمؤمنين ﴿إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ إذا تناجيتم فلا تَشَبَّهوا باليهود والمنافقين في تَناجيهم بالشَّرّ ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ﴾ بأداء الفرائض والطاعات ﴿وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ وترك المعاصي ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩﴾ للحساب فيجازيكم بما تتناجَون به من خير أو شَرّ.

١٠- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ بالإثم والعدوان ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ من تزيينه ﴿لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [أي: يأمرُ الشيطان بذلك ليُدخِلَ به غمًّا في قلوب المسلمين] ﴿وَلَيۡسَ﴾ الشيطانُ، أو الحُزنُ ﴿بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ بعلمه وقضائه وقَدَره ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٠﴾ أي: يَكِلُون أمرَهم إلى الله ويستعيذونَ به من الشيطان.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

١١- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ﴾ توسَّعوا فيه، والمرادُ مَجلسُ رسولِ الله ﷺ، وكانوا يَتضامُّونَ فيه تنافسًا على القرب منه، وحرصًا على استماع كلامه ﴿فَٱفْسَحُواْ﴾ فَوَسِّعوا ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ مُطلقٌ في كل ما يَبتغي الناسُ الفُسحةَ فيه من المكان والرزق والصَّدْر والقبر وغيرِ ذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ انهَضُوا للتوسِعة على المُقبلين، أو انهضوا عن مجلس رسول الله ﷺ إذا أُمرتم بالنهوض عنه، أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير ﴿فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ بامتثال أوامره وأوامر رسوله ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ والعالِمينَ منهم خاصةً ﴿دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ وفي الدرجات قولان: أحدُهما في الدنيا في المَرتبة والشرف، والآخَرُ في الآخرة.

١٢- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ إذا أردتم مناجاتَه ﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ﴾ أي: قبلَ نجواكم، [وفي هذا الأمر تعظيمُ الرسول، وإنفاعُ الفقراء، والنهيُ عن الإفراط في السؤال، والمَيْزُ بين المُخلص والمنافق، ومُحِبِّ الآخرة ومُحِبِّ الدنيا] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التقديم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في دينكم ﴿وَأَطْهَرُ ۚ﴾ [لذنوبكم] لأن الصَّدقةَ طُهرةٌ ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ﴾ ما تتصدقون به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ في ترخيصِ المناجاةِ من غير صدقة. قيل: كان ذلك عشر ليالٍ ثم نُسخَ، وقيل: ما كان إلا ساعة من نهار ثم نُسخ، وقال علي رضي الله عنه: هذه ءايةٌ ما عملَ بها أحدٌ قبلي ولا يعمل بها أحدٌ بعدي، كان لي دينارٌ فصرفته فكنتُ إذا ناجيته تصدَّقتُ بدرهم [ثم نُسِخَت فلم يعمل بها أحدٌ بعدي].

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا
غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾

١٣- ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ أَخِفتُم تقديمَ الصدقات لِمَا فيه من الإنفاق الذي تكرهونه ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟﴾ ما أُمرتم به وشقَّ عليكم ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ خَفَّفَ عنكم وأزالَ عنكم المؤاخذةَ بترك تقديم الصدقة على المناجاة، كما أزال المؤاخذةَ بالذنب عن التائب عنه ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ﴾ فلا تُفرِّطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ وهذا وعد ووعيد.

١٤- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ كان المنافقون يتولَّون اليهودَ وهم الذين غضبَ الله عليهم في قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة المائدة] وينقلون إليهم أسرارَ المؤمنين ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ يا مسلمونَ ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ ولا من اليهود كقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة النساء] ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ يقولون: واللهِ إنا لَمسلمونَ لا منافقون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ أنهم كاذبونَ منافقون.

١٥- ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ﴾ نوعًا من العذابِ متفاقمًا[1] ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ إنهم كانوا في الزمان الماضي مُصِرِّين على سوء العمل [فبذلك استحقوا هذا العذاب الشديد].

١٦- ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ الكاذبةَ ﴿جُنَّةً﴾ وِقايةً دونَ أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّوا۟﴾ الناسَ في خلال أَمنهم وسلامتهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، [أي:

---

(١) متفاقمًا: متعاظِمًا.

﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٦ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ
إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ١٨ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ
حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٩﴾

يجتهدون في صَدِّ الناس عن طاعة الله والإيمان به والجهاد في سبيله بالأراجيف[1] ووجوه التخويف، فإذا ظهر ذلك منهم حلفوا كاذبينَ أنهم ما فعلوا ذلك] ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٦﴾ وَعَدَهم العذابَ المُخزيَ لكفرهم وصَدِّهم.

١٧- ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مِن عذابِ الله ﴿شَيْـًٔا﴾ قليلًا من الإغناء، [أي لن تنفعهم شيئًا من تخفيف العذاب عنهم] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧﴾.

١٨- ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ أي: لله في الآخرة أنهم كانوا مخلصين في الدنيا غيرَ منافقين ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدنيا على ذلك ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من النفع ثَمَّ بأَيمانهم الكاذبة كما نفعهم ههنا ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ١٨﴾ حيث استوت حالُهم فيه في الدنيا والآخرة.

١٩- ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ استولَى عليهم ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ علامةُ استحواذِ الشيطان على العبد أن يَشغَلَه بعِمارة ظاهرِه من المآكل والمشارب والملابس، ويَشغَلَ قلبَه عن التفكر في ءالاءِ الله[2] ونَعمائه والقيام بشكرها، ويَشغلَ لسانه عن ذِكرِ ربه بالكذب والغيبة والبُهتان، ويَشغلَ قلبَه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ جُندُه [المنقادون حيث يقودهم] ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٩﴾ [الهالكون في الدنيا والآخرة].

(١) الأراجيف: الأخبارُ الكاذبة التي لا أصلَ لها تُبَثُّ إثارةً للقلق.
(٢) ءالاءُ الله: عطاياهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾

٢٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [يخالفون ويُعادون اللهَ ورسولَه] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ في جملة مَن هو أَذلُّ خلقِ الله تعالى لا أذلَّ منهم، [أي: إلى الذُّلِّ يصير أمرهم لأن الغلبَةَ لله ولرسوله].

٢١- ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ في اللوح [المحفوظ[1]، وقيل: قضى وقدَّر] ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ بالحجة والسيف، أو بأحدهما [لأن العاقبة المحمودة لهم في الدنيا والآخرة، فهم الغالبون المنصورون معنًى] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ لا يَمتنع عليه ما يريد ﴿عَزِيزٞ ﴿٢١﴾﴾ غالبٌ غيرُ مغلوب.

٢٢- ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ﴾ [يُصادقون ويُحبُّون] ﴿مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ﴾ خالَفَه وعاداه ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: منَ الممتنِع أن تجد قومًا مؤمنين يوالُونَ المشركينَ، والمرادُ أنه لا ينبغي أن يكون ذلك وحقُّهُ أن يمتنعَ ولا يوجدَ بحال، مبالغةٌ في النهي عنه والزَّجر عن ملابسته والتوصية بالتصلُّب في مجانبة أعداء الله تعالى ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم، وزاد ذلك تأكيدًا وتشديدًا بقوله: ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ وبقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أي: أَثبتَه فيها، وبمقابلةِ قولِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾. ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ بكتاب أنزله فيه حياةٌ

---

(١) معناه: أمرَ القلمَ الأعلى بأن يكتبَ على اللوح المحفوظ، والمكتوب على اللوح المحفوظ هو كلُّ ما هو كائن في المخلوقات إلى يوم القيامة.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

لــهــم ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بتوحيدهم الخالصِ وطاعتهم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ بثوابه الجسيم في الآخرة أو بما قضى عليهم في الدنيا ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ﴾ أنصارُ حقّه ودُعاةُ خلقِه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الباقون في النعيم المُقيم، الفائزون بكل محبوب، الآمنون من كل مَرهوب[١].

---

(١) مَرهوب: مَخُوْف.

سورة الحشر
مدنية وهي أربع وعشرون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [نَزَّهَ الله تعالى عن كل ما لا يليق به كلُّ ما في السماوات وما في الأرض] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الذي لا يغالَبُ] ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [في قَدَرِه وتدبيره وصُنعه وتشريعه، يضعُ الأمور في مواضِعها]. روي أن هذه السورةَ نزلت بأسرها في بني النَّضِيْر، وذلك أن النبيَّ ﷺ حين قدم المدينةَ صالَحَ بنو النضير رسولَ الله ﷺ على ألّا يكونوا عليه ولا له، فلما ظهرَ يومَ بدر[١] قالوا: هو النبيُّ الذي نعتُه في التوراة، فلما هُزِمَ المسلمون[٢] يومَ أُحُد ارتابوا[٣] ونَكَثوا[٤]، فخرج كعبُ بنُ الأشرف في أربعين راكبًا إلى مكة، فحالفَ أبا سفيانَ عند الكعبة[٥]، فأمرَ ﷺ محمدَ بن مَسلمة

(١) أي: غلبَ رسولُ الله ﷺ كفارَ قريش.
(٢) أي: بعضُهم.
(٣) أي: شكَّ اليهودُ بنو النَّضير في أمر النبي ﷺ وأنه المنعوتُ في التوراة.
(٤) أي: نَقَضوا الصُّلحَ.
(٥) أي: حالَفَه على الإضرار بالنبيّ ﷺ والمسلمين.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

الأنصاريَّ[١] فقتل كعبًا، ثم خرج ﷺ مع الجيش إليهم، فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة وأمر بقطع نخيلهم، فلَمَّا قذف الله الرُّعبَ في قلوبهم طلبوا الصلحَ، فأبى عليهم إلا الجَلاءَ على أن يَحمِلَ كلُّ ثلاثةِ أبياتٍ على بعير ما شاؤوا من مَتاعهم، فجَلَوْا إلى الشام إلى أريحاء[٢] وأَذْرِعات[٣]، [ومنهم مَن خرج إلى خيبر].

٢- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني يهودَ بني النَّضيرِ ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ بالمدينة ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ﴾ ومعنى أول الحشر: أن هذا أول حشرِهم إلى الشأم، وكانوا مِن سِبْطٍ لم يُصبهم جلاءٌ قطُّ، وهم أولُ مَن أُخرجَ مِن أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشأم، أو هذا أولُ حَشرِهم، وءاخرُ حَشرِهم إجلاءُ عُمر إياهم من خيبر إلى الشام، أو ءاخر حَشرِهم حشرُ يومِ القيامة ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ﴾ لِشدَّة بأسِهم ومَنَعَتِهم ووَثاقة حصونهم وكثرةِ عددهم وعُدَّتِهم ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ظنوا أن حصونَهم تمنعُهم من بأس الله ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أمرُ اللهِ وعقابُه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ﴾ من حيث لم يَظُنُّوا ولم يَخطُر ببالهم، وهو قتلُ رئيسِهم كعبِ بنِ الأشرف ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ﴾ الخوف ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ التخريبُ والإخرابُ الإفسادُ بالنقضِ والهَدْم، وكانوا يُخربون بواطنَها والمسلمونَ

---

(١) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الرحمٰن، صحابي من الأمراء من أهل المدينة.
(٢) أريحاء: مدينة من بلاد فلسطين.
(٣) أَذْرِعَات: بلد في أطراف الشام.

﴿فَٱعْتَبِرُوا يَٰٓأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤﴾

ظواهرَها لِمَا أرادَ اللهُ من استئصالِ شأفَتِهم[1] وأَلّا تبقى لهم بالمدينة دارٌ ولا منهم دَيَّارٌ[2]، والذي دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة لِيَسُدُّوا بها أفواه الأزقَّةِ، وأَلّا يَتحسَّروا بعدَ جلائهم على بقائها مساكنَ للمسلمين، وأن ينقلوا معهم ما كان في أَبنيتهم من جَيِّدِ الخَشب والسَّاجِ[3]، وأما المؤمنون فداعيهم إلى التخريب إزالةُ مُتَحصَّنِهم، وأن يَتَّسِعَ لهم مجالُ الحرب، ومعنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين أنهم لمَّا عرَّضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلَّفوهم إياه ﴿فَٱعْتَبِرُوا يَٰٓأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾ فتأمَّلوا فيما نزل بهؤلاء، والسببَ الذي استحقوا به ذلك، فاحذروا أن تفعلوا مثلَ فعلِهم فتُعاقَبوا بمثلِ عقوبتهم.

٣- ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ [ولولا أن قضى اللهُ عليهم] الخروجَ من الوطن مع الأهل والولد ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي كما فعلَ ببني قُريظة ﴿وَلَهُمْ﴾ سواءٌ أُجلوا أو قُتِلوا ﴿فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣﴾ الذي لا أشَدَّ منه.

٤- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي: إنما أصابَهم ذلك بسبب أنهم ﴿شَآقُّوا ٱللَّهَ﴾ خالفوه [وعادَوه] ﴿وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤﴾ [هي سُنَّته في جميع الكفرة].

---

(١) الشَّأفةُ: الأصلُ، وقيل: شأفَةُ الرجل: أهلُه وعيالُه، والشأفةُ: العداوة.
(٢) أي: أحَدٌ.
(٣) السَّاج: ضرب من الشجر يَعظُم جدًّا، والسَّاج خشب يُجلب من الهند.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾

٥- ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ واللينة: النخلةُ، وقيل: النخلةُ الكريمة ﴿قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فقطعُها وتركُها بإذن الله، [أي خيَّرَكُم في ذلك واستصوَبَ ذلك كلَّه منكم لحُسن نِيّاتكم في ذلك، فمَن ترك العَجوةَ - وهي أجود التمر - فلِتبقى للمسلمين، ومن قطعها فلزيادة غيظٍ على الكافرين] ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ وليُذِلَّ اليهودَ [في اعتراضهم أن قطع الشجر المثمر فسادٌ] ويَغيظَهم أَذِنَ في قطعِها.

٦- ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ جعله فيئًا له خاصة ﴿مِنْهُمْ﴾ من بني النضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ فلم يكن ذلك بإيجاف[1] خيل أو رِكابٍ منكم على ذلك، والرِّكابُ: الإبلُ، والمعنى: فما أوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلًا ولا ركابًا ولا تعبتُم في القتال عليه، وإنما مَشَيتم إليه على أرجلكم لأنه على ميلين من المدينة، وكان ﷺ على حمار فَحَسْبُ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ يعني أن ما خَوَّلَ[2] اللهُ رسولَه من أموال بني النضير شيء لم تُحصِّلوه بالقتال والغَلَبة، ولكن سلَّطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يُسلِّط رسُلَه على أعدائهم، فالأمر فيه مُفوَّضٌ إليه يَضعُه حيث يشاء[3]، ولا يقسِمُه قِسمةَ الغنائم التي قوتِلَ عليها وأُخذت عَنوةً وقهرًا، فقسمَها بين المهاجرين ولم يُعطِ الأنصارَ إلا ثلاثةً منهم لفقرهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾.

---

(١) الإيجافُ: الإسراعُ في السير.
(٢) أي: أعطَى.
(٣) إن تحرك الخيل والإبل فخاف الكفار وذهبوا من دون قتال فما أُخذَ منهم غنيمةٌ، أما إن لم يتحرك الخيلُ والإبل فهربوا عن أموال لهم فأخذها المسلمون فهي فيءٌ.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾

٧- ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ بيَّنَ لرسول الله ﷺ ما يَصنعُ بما أفاءَ اللهُ عليه وأَمرَهُ أن يضعَه حيث يضعُ الخُمُسَ من الغنائم مقسومًا على الأقسام الخمسة، [وقيل]: الآيةُ الأولى نزلت في أموال بني النضير، وهذه الآيةُ في غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغُزاة، وفي الآية بيانُ مَصرِف خُمسها، [وأربعة أخماسها للغانمين، ولم يذكره في هذه الآية، وقد ذكر مثلُ ذلك في سورة الأنفال وهو قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴿٤١﴾﴾ وإذا بُيِّنَ مَصرِفُ الخُمُسِ تعيَّن الباقي للغانمين. وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ﴾ هو للتبرك باسمه تعالى، وقيل: يُصرف إلى أسلحة الغزاة، ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ له خمس الخمس، ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ من بني هاشم وبني المطلب استحقُّوا هذا السهم بالنصرة، وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل، وأما بعد وفاته ﷺ فسهمه ساقط وكذلك سهم ذوي القربى، وإنما يُعطَون لفقرهم ولا يُعطى أغنياؤهم] ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ كيلا يكون الفيء الذي حَقُّه أن يُعطى الفقراء ليكون لهم بُلْغَةً يعيشون بها [دُولةً] بين الأغنياء يتكاثرون به [ويتداولونه - أي: يتناقلونه - بينهم، يكون مرةً لهذا ومرة لهذا] ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ أعطاكم مِن قِسمةِ غنيمةٍ أو فَيءٍ ﴿فَخُذُوهُ﴾ فاقبَلوه ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ عن أَخذِه منها ﴿فَٱنتَهُوا۟﴾ عنه ولا تطلبوه ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أن تخالفوه وتتهاوَنوا بأوامره ونواهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ لِمَن خالف رسول الله ﷺ، والأجودُ أن يكون عامًّا في كل ما ءاتَى رسولُ الله ﷺ ونهى عنه، وأمر الفيء داخل في عمومه.

٨- ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [قيل: تقديره: كي لا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم ولكن يكون للفقراء المهاجرين، وقيل: هو] بدلٌ من

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا
يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾

قوله: ﴿وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ والمعطوفِ عليه. ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ بمكة ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾ يطلبون الجنة ورضا الله ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ ينصرونَ دينَ الله ويُعينونَ رسولَه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ في إيمانهم وجهادهم.

٩- ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ معطوف على المهاجرين، وهم الأنصار ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ توطَّنوا المدينةَ ﴿وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أخلَصوا الإيمانَ، أو وجعلوا الإيمان مستقَرًّا ومتوَطَّنًا لهم لتمكُّنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك، أو أرادَ دارَ الهجرة ودارَ الإيمان ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من قبل المهاجرين، لأنهم سبقوهم في تَبَوُّءِ دارِ الهجرةِ والإيمان ﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ حتى شاطروهم[1] أموالَهم وأنزلوهم منازلَهم، ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ ولا يعلمون في أنفسهم طلبَ مُحتاجٍ إليه مما أُوتيَ المهاجرون من الفيء وغيره، وقيل: ﴿حَاجَةٗ﴾ حَسَدًا، [أي: لا يجد الأنصار في قلوبهم حسدًا] مما أُعطي المهاجرون من الفيء، حيث خصَّهم النبي ﷺ به ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ فقر، روي أنه نزل برجل منهم ضيفٌ فنوَّمَ الصِّبيةَ وقرَّب الطعامَ وأطفأ المصباحَ ليشبَعَ ضيفُهُ ولا يأكل هو. وعن أنس: أُهديَ لبعضهم رأسٌ مشويٌّ وهو مجهود[2] فوجَّهه إلى جاره فتداولته تسعةُ أنفُس حتى عاد إلى الأول ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ الظافرون بما

---

(١) أي: ناصَفوهم.
(٢) مجهودٌ: في مَشقَّة شديدة من الجوع.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾

أرادوا، والشحُّ: اللؤمُ وأن تكون نفسُ الرجل كَزَّةً[١] حريصة على المنع، وأما البخل فهو المنع نفسُه، وقيل: الشحُّ: أكلُ مالِ أخيك ظلمًا، والبخل: منع مالِكَ.

١٠- ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ هم الذين هاجروا من بَعدُ، وقيل: التابعون بإحسان، وقيل: مَنْ بَعدَهم إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ قيل: هم المهاجرونَ والأنصارُ ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ حقدًا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني الصحابةَ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الرأفةُ: أشدُّ الرحمة، والجمع بينهما للمبالغة والتأكيد].

١١- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ ألم تر يا محمد إلى عبد الله بن أُبيّ وأشياعِه[٢] ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني بني النضيرِ، والمرادُ أُخوَّةُ الكفرِ ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من دياركم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ رُويَ أن ابنَ أُبَيّ وأصحابَه دَسُّوا إلى بني النضيرِ حين حاصَرَهم النبي ﷺ: لا تخرجوا من الحِصْنِ، فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نَخذُلكم، ولئن أُخرجتم لَنخرجنَّ معكم [لا نفترق في سفر ولا حضر] ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في قتالكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ من [محمد] والمسلمينَ إن حُمِلنا عليه ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ في مواعيدهم لليهود، وفيه دليلٌ على صحة النبوَّة لأنه إخبارٌ بالغيب [فإنه

---

(١) كَزَّةٌ: بخيلةٌ.
(٢) أي: أتباعِه وأنصاره.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا
يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

أَخبرَ عما لم يكن بعدُ فخرج على ما أخبرَ، أُخرج بنو النضير فلم يَخرجوا معهم، وقُوتِلَ بنو قُريظةَ فلم يَنصروهم].

١٢- ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ إنما قال: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم على الفرض والتقدير، وكما يَعلمُ ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون، [كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الأنعام]] والمعنى: ولئن نَصَرَ المنافقون اليهودَ لينهزمَنَّ المنافقونَ ثم لا يُنصرونَ بعد ذلك، أي يُهلكُهم اللهُ ولا ينفعهم نفاقُهم لظهور كفرهم، أو لينهزمَنَّ اليهودُ ثم لا ينفعهم نُصرةُ المنافقين.

١٣- ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ أي: أشدُّ مرهوبيةً، وقولُه: ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ دلالةٌ على نفاقهم، يعني أنهم يُظهرون في العلانية خوفَ الله، وأنتم أَهيَبُ في صدورهم ﴿مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ لا يعلمونَ اللهَ وعظمتَه حتى يخشَوه حَقَّ خَشيتِه.

١٤- ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ لا يقدرون على مُقاتلتكم ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين، يعني اليهودَ والمنافقينَ ﴿إِلَّا﴾ كائنين ﴿فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالخنادق والدروب ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ البأسُ الشديد الذي يُوصفونَ به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا، ولو قاتلوكم لم يبقَ لهم ذلك البأسُ والشدة، لأن الشجاعَ يَجبُنُ عند محاربة اللهِ ورسولهِ ﴿تَحْسَبُهُمْ﴾ أي: اليهودَ والمنافقينَ ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ذوي أُلفةٍ واتّحاد ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ مُتفرّقةٌ لا أُلفةَ بينها ﴿ذَٰلِكَ﴾ التفرقُ ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ
لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ
عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾

أنَّ تشتُّتَ القلوب مما يوهِنُ قُواهم ويُعين على أرواحهم، [أو لا يعقلون أمرَ الله ولا يتدبرون ءاياته].

١٥- ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ مَثَلُهم كَمَثَلِ أهلِ بدر ﴿قَرِيبٗاۖ﴾ [بزمن قريب منهم] ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ سوءَ عاقبةِ عداوتهم لرسول الله ﷺ، يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥﴾ ولهم مع ذلك في الآخرة عذاب النار.

١٦- ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ أي: مَثَلُ المنافقين في إغرائهم اليهود على القتال ووعدِهم إياهم النصرَ ثم متارَكتِهم لهم وإخلافِهم كمثَلِ الشيطان إذا استغوى الإنسانَ بكَيده ثم تبرأَ منه في العاقبة، وقيل: المرادُ استغواؤه قريشًا يوم بدر وقولُه لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ ٤٨﴾ [سورة الأنفال].

١٧- ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ عاقبةَ الإنسانِ الكافرِ والشيطانِ ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧﴾ [الكافرين].

١٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أوامره فلا تخالفوها ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ يعني: يوم القيامة، سَمَّاهُ باليوم الذي يلي يومَكَ تقريبًا له، أو عبَّر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرةَ نهاران يومٌ وغَدٌ، وتنكيرُه لتعظيم أَمره، أي: لغدٍ لا يُعرفُ كُنْهُهُ لعِظَمِه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ كرر الأمر بالتقوى تأكيدًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

وفيه تحريضٌ على المراقبة، لأن مَن علمَ وقتَ فِعلهِ أن الله مُطَّلعٌ على ما يَرتكب من الذنوب يَمتنعُ عنه.

١٩- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تركوا ذِكرَ الله(١) عز وجل وما أَمرَهم به ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ [أي: خذلَهم وأذهلَهم عن صلاح أنفسهم وعن أن يُقدِّموا لها خيرًا] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ الخارجون عن طاعة الله.

٢٠- ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ هذا تَنْبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غَفلتهم وقِلةِ فِكرهم في العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتِّباع الشهوات، كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار، والبَوْنَ(٢) العظيم بين أصحابهما، وأن الفوزَ العظيم مع أصحاب الجنة، والعذاب الأليم مع أصحاب النار، كما تقول لمن يعُقُّ أباهُ: هذا أبوكَ، تجعلُه بمنزلة من لا يعرفه فتُنبهُه بذلك على حق الأُبوة الذي يقتضي البِرَّ والتعطُّف.

٢١- ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: من شأن القرءان وعَظَمته أنه لو جُعِلَ في الجبل تمييزٌ وأُنزلَ عليه القرءان لَخَشَعَ أي: لخَضَعَ وتطأطأ وتصدَّعَ أي: تشقَّقَ من خشية الله ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى هذا المَثَل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل، والمرادُ توبيخُ الإنسان على قَسوة قلبه وقِلةِ تَخَشُّعِه عند تلاوة القرءان وتدبُّرِ قوارِعِه(٣) وزواجره ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

---

(١) أي: تركوا خَشيتَه، وليس مجرَّدَ ترك الذِّكر اللسانيّ.
(٢) البَوْنُ: البُعْدُ، والمرادُ: البعد العظيم بين أصحابهما في الفضل والمزية.
(٣) أي: ما فيه ردعٌ وكفٌّ عن الباطل.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

[ليتفكروا فيها، فيُنِيبوا، وينقادوا للحق].

ثم رَدَّ على من أشركَ وشبَّهه بخلقه فقال:

٢٢- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [الذي يتصدَّعُ من خشيته الجبل أيها الناس هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والأُلوهية إلا له] ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ السِرِّ والعلانية ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [رحمٰن الدنيا والآخرة، رحيم بأهل الإيمان به].

٢٣- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ الذي لا يَزولُ مُلكُه ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ المُنزَّه عن القبائح ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ [ذو السلامة من كل نقصٍ وءافة] ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ واهبُ الأمن، أو المؤمِنُ مِنْ عذابه مَنْ أطاعه ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ الرقيبُ على كل شيء الحافظُ له ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالبُ غيرُ المغلوب ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ العالي العظيمُ الذي يَذِلُّ له مَن دونَه، أو العظيمُ الشأن في القدرة والسلطان ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ﴾ البليغُ الكِبرياء والعظمة [عن كل ما يوجب حاجةً أو نقصانًا] ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ نزَّه ذاته عما يصفه به المشركون.

٢٤- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ المُقدِّر[1] لِمَا يُوجِده ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ المُوجِد ﴿ٱلْمُصَوِّرُ ۖ﴾ في الأرحام ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ الدالةُ على الصفات العُلا ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ ختم السورة بما بدأ به.

---

(١) إنما فسر الخالق هنا بالمقدر لأجل البارئ، لأنه لولا ذلك لكان معناهما واحدًا.

سورة الممتحنة
مدنية وهي ثلاث عشرة ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رُوِي أن مولاةً لأبي عمرو بن صَيفيّ بن هاشم يقال لها سارة، أتت رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها: «**أفمهاجرةً جئتِ؟**» قالت: لا. قال: «**فما جاءَ بك؟**» قالت: احتجتُ حاجةً شديدة، فَحَثَّ عليها بني عبد المطلب، فكَسَوْها وحَمَلُوها وزوَّدوها، فأتاها حاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعَةَ وأعطاها عشرةَ دنانيرَ، وكساها بُرْدًا، واستحملها كتابًا إلى أهل مكة نُسختُه: «من حاطبِ بن أبي بَلتعةَ إلى أهل مكة، اعلموا أن رسولَ الله يريدكم، فخذوا حِذْرَكم». فخرجت سارةُ، ونزلَ جبريلُ بالخبر، فبعثَ رسولُ الله ﷺ عليًّا وعمارًا وعمرَ وطلحةَ والزبير والمِقدادَ وأبا مَرْثَدٍ وكانوا فرسانًا، وقال: «**انطلقُوا حتى تأتُوا روضةَ خاخ**[1]**، فإنَّ بها ظَعِيْنَةً**[2] **معها كتابٌ منْ حاطبٍ إلى أهلِ مكةَ، فخذوهُ منها وخَلُّوها، فإنْ أبَتْ فاضرِبُوا عنُقَها**». فأدركوها، فجَحَدت وحلفت، فهمُّوا بالرجوع، فقال علي: والله ما كَذَبنا ولا كذبَ رسولُ الله ﷺ، وسَلَّ سيفَه وقال: أخرجي الكتاب أو تضعي رأسَكِ، فأَخرجتهُ من

(١) موضع بين مكة والمدينة، بقرب المدينة.
(٢) الظَّعينةُ: المرأةُ في الهَوْدج.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ﴾

عِقاص[١] شعرها. فاستحضرَ رسولُ الله ﷺ حاطبًا وقال: «**ما حملَكَ عليهِ؟**» فقال: يا رسول الله، ما كَفَرْتُ منذ أسلمتُ[٢]، ولا غَششتُكُ منذ نَصحتُك، ولا أحببتُهم منذ فارقتُهم، ولكني كنت امرأً مُلصقًا في قريش[٣]، ولم أكن من أنفُسِها، وكلُّ مَن معك من المهاجرين لهم قراباتٌ بمكةَ يَحمون أهاليَهم وأَموالَهم غيري، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذَ عندهم يدًا[٤]، وقد علمتُ أن الله يُنزل عليهم بأسَه، وأن كتابي لا يُغني عنهم شيئًا. فصدَّقه وقَبِلَ عُذرَه، فنزل:

١- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [أعوانًا توادُّونهم وتناصحونهم] وفيه دليل على أن الكبيرة لا تَسْلُبُ اسمَ الإيمان ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ تلقون إليهم أخبارَ رسول الله ﷺ بسبب المَوَدَّة التي بينكم وبينهم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ دينِ الإسلامِ والقرءان أي لا تتولَّوهم ولا توادُّوهم وهذه حالهم [ولا يُناسبُ الكافر بالله أن يُوَدَّ] ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ﴾ من مكة لكفرهم وعُتُوِّهم ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ لإيمانكم [بربكم] ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى﴾ متعلقٌ بـ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾ أي: إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي ﴿وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ﴾ ومبتغين

---

(١) العِقاصُ: جمعٌ، الواحدة عقيصة: وهي الضَّفيرة.

(٢) لم يحصل منه كفرٌ، ولم يحصل منه نِفاقٌ حقيقيٌّ. قال أبو العباس القرطبيُّ في «المُفهم» (٦/٤٤٤): «لكن حاطِبًا لم ينافق في قلبه ولا ارتدَّ عن دينه، وإنما تأوَّل فيما فَعلَ من ذلك أن اطِّلاعَ قريش على بعض أمر رسول الله ﷺ لا يَضرُّ رسولَ الله ﷺ ويُخوِّف قريشًا. ويُحكى أنه كان في الكتاب تفخيمُ أمرِ جيش رسول الله ﷺ وأنهم لا طاقة لهم به. يُخوِّفهم بذلك ليَخرجوا عن مكةَ ويَفِرُّوا منها وحسَّنَ له هذا التأويلَ تعلُّقُ خاطره بأهله» اهـ.

(٣) كان حليفًا فيهم، ولم يكن منهم.

(٤) أي: يَدَ نِعمةٍ ومِنَّةٍ.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾

مرضاتي [فلا تفعلوا هذا، فإنه لا يليق بكم]، أي لا تتولَّوا أعدائي إن كنتم أوليائي ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ تُسِرُّون إليهم أسرار رسول الله بسبب الموَدَّة ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ والمعنى: أيُّ طائل لكم في إسراركم وقد علمتم أن الإخفاءَ والإعلان سِيَّانِ في علمي، وأنا مُطْلِعٌ رسولي على ما تُسِرُّون ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ﴾ أي: هذا الإسرارَ ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ فقد أخطأ طريقَ الحقِّ والصواب.

٢- ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ خالِصي العداوةِ، ولا يكونوا لكم أولياءَ كما أنتم ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ بالقتل والشَّتم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ وتمنَّوا لو ترتدُّون عن دينكم، فإذًا مُوادَّةُ أمثالِهم خطأ عظيم منكم، والماضي وإن كان يجري في باب الشرط مَجرى المضارع ففيه نكتة، كأنه قيل: وَدُّوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، يعني أَنهم يريدون أن يُلحِقوا بكم مَضارَّ الدنيا والدين، من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض، وردُّكم كفارًا أسبق المضارِّ عندهم وأوَّلُها، لعِلمِهم أن الدينَ أعزُّ عليكم من أرواحكم، لأنكم بَذّالون لها دونَه، والعدوُّ أهمُّ شيء عنده أن يقصدَ أهمَّ شيء عند صاحبه.

٣- ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتُكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ الذين تُوالون الكفار من أجلهم وتتقربون إليهم مُحاماةً عليهم، ثم قال: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ وبين أقاربِكم وأولادكم، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة عبس] الآيات، فما لكم ترفضون حق الله مراعاةً [لِمَن] يَفرُّ منكم غدًا[(١)]

---

(١) أي: مَن شأنُه كذلك لو كان بينه وبينه مَظْلَمة، أو كانا يتعاونان على المعصية، أما إذا كان الفريقان أتقياء فإنه لا يَفرُّ بعضهم من بعض.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٣ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥﴾

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٣﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

٤- ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ﴾ قدوة ﴿حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ في أقواله ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين، [وقيل: هم سائر الأنبياء. لمَّا نهى عن موالاة الكفار ذكَرَ قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن مَن سيرته التبرؤ من الكفار ليقتدوا به في ذلك ويتأسَّوا] ﴿إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ [أي: بدينكم وبمعبودكم، فلا نعتدُّ بشأنكم وبمعبوداتكم] ﴿وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ﴾ [وظهرَ بيننا وبينكم العداوةُ] بالأفعال ﴿وَٱلۡبَغۡضَآءُ﴾ بالقلوب ﴿أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ فحينئذ نتركُ عداوتَكم ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ [أي: لم يكن بينهم وبين قومهم الكفار مَوَدَّةٌ إلا ما قال إبراهيم لأبيه ءازر: ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ أي: لأسألن الله تعالى أن يغفر لك، أي: بهدايتك ودخولك في الإسلام] ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ﴾ من هداية ومغفرة وتوفيق ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾ هو من جملة الأُسوة الحسنة، وقيل: معناه: قولوا ربَّنا، فهو أَمرٌ من الله للمؤمنين بأن يقولوه ﴿وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا﴾ أَقبَلْنا [إليك بالطاعة] ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾ المرجع.

٥- ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لا تسلِّطهم علينا فيفتنونا [عن ديننا]، أو لا تُظهِر عدوَّنا علينا فيُفْتتنَ بنا الكفارُ فيرَوا أنهم على حق وأننا على باطل] ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥﴾ الغالب [الذي لا يُغالبُ، الحكيم في أقواله وأفعاله].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾

٦- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ثم كرَّرَ الحثَّ على الائتساء[1] بإبراهيمَ عليه السلام وقومِه تقريرًا وتأكيدًا عليهم، [وبيَّنَ أَنَّ هذا النفعَ يقع] ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: ثوابَه، أي: يخشى اللهَ ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [أي يرجو اللهَ أن يُثيبَهُ فيدخلَه الجنة يوم القيامة] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يُعرض عن أمرِنا ويوالِ الكفار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن الخلق، [أي: هو غنيٌّ عنه وعن نُصرته، وهو تعالى وليُّ دينه وناصرُ حِزبه] ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ المستحقُّ للحمد.

ولَمَّا نزلت هذه الآيات وتشدَّد المؤمنونَ في عداوة ءابائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين، أطمعهم في تَحوُّل الحال إلى خلافه، فقال:

٧- ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ من أهل مكة من أقربائكم ﴿مَّوَدَّةً﴾ بأن يُوفقَهم للإيمان، فلمّا يَسَّرَ فتحَ مكةَ أظفرَهم اللهُ بأُمنِيَّتهم، فأَسلمَ قومُهم وتمَّ بينهم التحابُّ و﴿عَسَى﴾ وعدٌ من الله تعالى، أو أُريدَ به إطماعُ المؤمنين ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على تقليب القلوب وتحويل الأحوال وتسهيل أسبابِ المَودَّة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ لِمَن أسلم من المشركين، [وفي هذا تأكيد لِمَا أمرهم به من ترك موالاتهم ما داموا كفارًا، وتعريفٌ لهم أنهم إذا فعلوا ذلك بالغوا في جهادهم، فأدَّى ذلك إلى إيمانهم الموجِب لوَدادهم].

٨- ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ تُحسنوا إليهم قولًا وفِعلًا، [أي أن النهي عن موالاة المشركين

---

(١) الائتساءُ: الاقتداء.

﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾

لا يمنع حسن المعاشرة في موضعه، والبِرَّ بالقرابة ممن لا يُظهِرُ عداوةً للحق وأهله، وقيل: نزلت في قوم بمكة ءامنوا ولم يُهاجروا، وقيل غير ذلك] ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ﴾ وتَقضُوا إليهم بالقِسط ولا تَظلِموهم، وإذا نُهِيَ عن الظُّلم في حق المشرك فكيف في حق المسلم؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٨﴾ [العادلين المُحقِّين].

٩- ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [أي: عن موالاتهم] ﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ﴾ [عاونوا] ﴿عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ﴾ [أن تكونوا لهم أولياءَ ونُصَراءَ] ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ منكم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾ حيث وضعوا التولّيَ غيرَ موضعه.

١٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ سماهُنَّ مؤمناتٍ لنُطقهنَّ بكلمة الشهادة ﴿مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ﴾ [فاختبروهن] بالنظر في الأمارات ليغلبَ على ظنونكم صِدقُ إيمانهن ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾ منكم، فإنكم وإن رُزْتُم[1] أحوالهنَّ لا تعلمون ذلك حقيقة، وعند الله حقيقةُ العلم به ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ العلمَ الذي تبلغُه طاقتكم، وهو الظنُّ الغالب بظهور الأمارات ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِۖ﴾ فلا تَرُدُّوهن إلى أزواجهن المشركين ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾ لا حِلَّ بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفُرقة بينهما بخروجها مسلمة ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾ وأعطوا أزواجَهن مثلَ ما دفعوا إليهنَّ من المُهور[2]. نزلت الآية بعد صُلح الحُدَيبية، وكان

---

(١) الرَّوزُ: التجرِبة، رازَهُ: جَرَّبَ ما عنده، وخَبَرَهُ.
(٢) في هذا الحكم اختلاف بين الفقهاء وتفصيل واسع.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ
أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ
أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم
بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ
وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾

الصلح قد وقع على أن يُرَدَّ على أهل مكة من جاء مؤمنًا منهم، فأنزل الله هذه الآيةَ بيانًا، لأن ذلك في الرجال لا في النساء، لأن المسلمةَ لا تَحِلُّ للكافر ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ ثم نَفَى عنهم الجُناحَ [أي: الحَرَجَ والإثم] في تزوج هؤلاء المهاجرات ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مُهورَهن، ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ العِصْمَةُ: ما يُعتصم به من عَقْدٍ وسَبَب، والكوافر: جمعُ كافرة، وهي التي بقيت في دار الحرب أو لحقت بدار الحرب مرتدةً ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ من مهور أزواجكم اللاحقاتِ بالكفار ممن تزوَّجَها ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ من مهور نسائهم المهاجراتِ ممن تزوَّجَها منَّا ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: جميعُ ما ذُكر في هذه الآية ﴿حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ يحكمه الله، وهو منسوخ فلم يبقَ سؤالُ المَهرِ لا مِنَّا ولا منهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [بمصالح عباده] ﴿حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [فيما شرع لهم].

١١- ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ وإن انفلتَ أَحدٌ منهن إلى الكفار ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غَنِمتم ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ فأعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتُهم ولَحِقنَ بدار الحرب مُهورَ زوجاتِهم من هذه الغنيمة، وقيل: هذا الحكم منسوخ أيضًا ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [بأداء فرائضه واجتناب معاصيه].

١٢- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ يريد وَأْدَ البناتِ ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ كانت المرأةُ تلتقطُ المولودَ فتقول لزوجها:

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

هو ولدي منكَ، كَنَى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تُلصقُه بزوجها كَذِبًا لأنّ بطنَها الذي تحملُه فيه بين اليدين، وفرجَها الذي تلدُه منه بين الرجلين ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [في جميع ما يأمرهن به رسول الله ﷺ من شرائع الإسلام وءادابه] ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾ عمَّا مَضَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ بتمحيق[1] ما سلفَ ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ بتوفيق ما ائتنف[2].

رُويَ أن رسول الله ﷺ لَمّا فرغَ من فتح مكة من بيعة الرجال أخذَ في بيعة النساء وهو على الصفا، [ولم يصافح النبي ﷺ في البيعة امرأة، وإنما بايعهن بالكلام]، وعمرُ قاعدٌ أسفلَ منه يبايعهن عنه بأمره يبلّغهن عنه وهندٌ بنتُ عُتبة امرأةُ أبي سفيان مُتقنّعةٌ متنكرة خوفًا من رسول الله ﷺ أن يعرفَها لِمَا صنعت بحمزةَ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أُبايعُكنَّ على ألّا تُشركنَ باللهِ شيئًا**». فبايع عمرُ النساءَ على ألّا يُشركن بالله شيئًا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ولا يَسْرِقْنَ**»، فقالت هندٌ: إن أبا سفيان رجلٌ شَحيح، وإني أَصبتُ من ماله هنات[3]، فقال أبو سفيان: ما أصبتِ فهو لكِ حلال -[وفي رواية قال لها: **خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**]-، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال لها: «**إنك لهندٌ**» قالت: نعم، فاعفُ عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك، فقال: «**ولا يَزْنِينَ**». فقالت: أَوَتَزْني الحُرَّةُ؟ فقال: «**ولا يَقْتُلنَ أولادَهُنّ**»، فقالت: ربَّيناهم صغارًا وقتلتَهم كبارًا، وكان ابنُها حنظلةُ قد قُتل يومَ بدر، فضحك عمر حتى استلقى، وتبسَّم

(١) المَحْقُ: المحوُ والإبطال، وأن يذهب الشيءُ كلُّه حتى لا يُرى منه شيء.
(٢) ائتنفَ الشيءَ: أخذه من أوله وابتداءه، والمراد ما ابتدأتموه من الخير بعد الإسلام.
(٣) هنات: جمع هَنَةٍ، والهَنَةُ: الشيء اليسير.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

رسول الله ﷺ فقال: «**ولا يأتِيْنَ ببُهْتانٍ**»، فقالت: واللهِ إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: «**ولا يعصينَكَ في معروفٍ**» فقالت: واللهِ ما جلسنا مجلسَنا هذا وفي أنفسنا أن نَعصيَكَ في شيء.

١٣- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ختمَ السورةَ بما بدأ به، قيل: هم المشركون ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ من ثوابها لأنهم ينكرون البعثَ ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ كما يئس أسلافُهم الذين هم في القبور من الآخرة[1]، أي هؤلاء كسَلَفهم، وقيل: هم اليهود، أي لا تتولَّوا قومًا مغضوبًا عليهم قد يئسوا من أن يكون لهم حَظٌّ في الآخرة لعنادهم رسولَ الله ﷺ، وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة، كما يئس الكفار من موتاهم أن يُبعثوا ويُرجعوا أحياء.

---

(١) أي: من رحمة الله في الآخرة.

سورة الصف
مدنية وهي أربع عشرة ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [هذا التسبيح شهادةٌ لله تعالى بالربوبية والوحدانية والقدرة والملك والغنى عن معونة الخليقة بما فيهم من دلائل الصَّنعة وأعلام الذِّلة(١)] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الذي لا يمتنع عليه ما يريد] ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الذي لحكمته تعبَّدَ خَلْقَه(٢) بالجهاد في إقامة دينه ليُعوِّضهم بذلك النفعَ العظيم، ويعطيهم النعيمَ المقيم، ولو شاء لهداهم أجمعين، ولو شاء لأهلكهم بما شاء من غير معين].

روي أنهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد: لو نعلم أحبَّ الأعمال إلى الله لعملناه، فنزلت ءاية الجهاد، فتباطأ بعضُهم، فنزلت.

٢- ٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ كَبُرَ قولُكم ما لا تفعلون مقتًا عند الله، والمقتُ: أَشدُّ البغض، [والمعنى]: تعظيم الأمر في قلوب

---

(١) أي: أَمارات افتقارهم إليه تبارك وتعالى.
(٢) أي: كلَّفهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ﴾

السامعين. ثم أعلَمَ الله عز وجل ما يُحِبُّه فقال:

٤- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ صافِّينَ أنفسَهم ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ لاصقٌ بعضُه ببعض، وقيل: أُريد به استواءُ نيّاتهم في حرب عَدُوِّهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان الذي رُصَّ بعضه إلى بعض.

٥- ﴿وَإِذْ﴾ [واذكر يا محمدُ إذ] ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ بجحود الآيات والقذفِ بما ليس فِيَّ[١] ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾ لم تؤذونني عالمين علمًا يقينًا ﴿أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ﴾ وقضيةُ علمِكم بذلك توقيري وتعظيمي لا أن تؤذوني ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ مالوا عن الحق ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ من الهداية، أو لمَّا تركوا أوامِرَه نزع نور الإيمان من قلوبهم، أو فلَمّا [مالوا إلى الباطل] خذلَهم وحرَمَهم توفيقَ اتّباع الحقّ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق.

٦- ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ولم يقل: يا قوم - كما قال موسى - لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومَه [من حيث إنه لم يكن له فيهم أبٌ وإن كانت أُمه منهم] ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ﴾ أُرسلتُ إليكم في حال تصديقي ما تقدَّمني من التوراة، وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدي، يعني

---

(١) يحتمل أن المراد ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ ۝٦٩﴾ [سورة الأحزاب] وقد بُين المراد بذلك في تفسير تلك الآية، أو هو حديث الموسمة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ
إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ
كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ
ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾

أن ديني التصديقُ بكتب الله وأنبيائه جميعًا ممن تقدم وتأخر ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ عيسى أو محمد عليه الصلاة والسلام ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾ [ظاهرٌ بيّن].

٧- ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧﴾ وأيُّ الناس أَشدُّ ظلمًا ممن يدعوه ربُّه على لسان نبيّه إلى الإسلام الذي له فيه سعادةُ الدارين، فيجعلُ مكانَ إجابته إليه افتراءَ الكذب على الله؛ بقوله لكلامه الذي هو دعاءُ عباده إلى الحق: هذا سحرٌ، والسحرُ كذبٌ وتمويه.

٨- ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ هذا تهكُّم في إرادتهم إبطالَ الإسلامِ بقولهم في القرءان: هذا سحرٌ، مُثِّلَت حالُهم بحال مَن ينفخُ في نور الشمس بفيهِ ليُطفئَه ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ مُتِمُّ الحقّ ومُبلِغُه غايتَه ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨﴾ [ذلك].

٩- ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ﴾ ليُعليَه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على جميع الأديان المخالفةِ له [بالحُجج والغَلَبة]، وعن مُجاهد: إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض إلا دينُ الإسلام ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾ [ذلك].

١٠- ١١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ [هو استفهام على معنى الحثِّ والعَرْض] ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾ كأنهم قالوا: كيف نعمل؟ فقال: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [تدومون على الإيمان] ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ﴾ ما ذكرَ من الإيمان والجهاد ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾

من أموالكم وأنفسكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ أنه خير لكم، لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمانَ والجهادَ فوقَ ما تُحِبّون أموالَكم وأنفسَكم، فتُخلِصون وتُفلحون.

١٢- ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [أي: إذا فعلتم ذلك يَصفحْ عنكم ويعفو] ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ [حَسَنَة] ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ أي: إقامةٍ وخلود ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [ذلك النجاءُ العظيم من نكال الآخرة وأهوالها].

١٣- ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمةٌ أخرى عاجلةٌ مَحبوبة إليكم، ثم فَسَّرها بقوله: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ عاجلٌ، وهو فتحُ مكةَ والنصرُ على قريش، أو فتحُ فارسَ والرومِ، [وقيل]: معناه: هل أدلُّكم على تجارة تنجيكم، وعلى تجارة أخرى تحبونها، ثم قال: هي نصرٌ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ كأنه قيل: ءامِنوا وجاهِدوا يُثبكم اللهُ ويَنصرْكم، وبَشِّرْ يا رسولَ الله المؤمنينَ بذلك.

١٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ أي: أنصارَ دينه ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ كونوا أنصارَ الله كما كان الحواريونَ أنصارَ عيسى حين قال لهم: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ مَن الأنصارُ الذين يكونون معي في نصرة [دين] الله ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ نحن الذين ينصرون [نبيَّ الله ودينَه]، والحواريون: أصفياؤه، وهم أولُ مَن ءامنَ به، وكانوا اثنَي عشر رجلًا ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى

﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾

﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ﴾ به ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾ فقوَّينا مؤمنيهم على كفارهم ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ [عالين غالبين بالحجة والبرهان]، والله وليُّ المؤمنين.

سورة الجمعة
مدنية وهي إحدى عشرة ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿۞ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿۞ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ التسبيح إما أن يكون تسبيحَ خِلْقَةٍ، يعني إذا نظرتَ إلى كل شيء دَلَّتْكَ خِلقتُه على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الأشباه، أو تسبيحَ معرفة بأن يجعلَ الله بلُطفه في كل شيء ما يَعرِفُ به اللهَ تعالى ويُنزِّهُه.

٢- ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ﴾ أرسلَ ﴿فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي: بعث رجلًا أُميًّا في قوم أُميين[١]، [وفي كونه أُميًّا دلالةٌ على أنه يخبر عن الله تعالى، لا عن كتاب يأخذ منه] ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القرءانَ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويُطهِّرُهم من الشرك وخبائث الجاهلية ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرءانَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السنةَ، أو الفقهَ في الدين ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ [وإنهم كانوا] من قبلِ محمد ﷺ ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ كُفر وجَهالة.

(١) سُمُّوا أُميين لأنهم بقوا على حالة ولادة أمهاتهم لهم، ما تعلموا الخط، ما كان يَعرف منهم الخط إلا النادر، بخلاف بني إسرائيل فقد كانت الكتابة فاشية فيهم.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ﴾

٣- ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ يعني أنه بعثه في الأُميين الذين على عهده، وفي ءاخَرين من الأُميين ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ لم يلحقوا بهم بعدُ وسيلحقون بهم، وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم، أو هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم الدين، أو معطوفٌ على المنصوب في ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾، أي: يُعلِّمهم ويُعلِّمُ ءاخرين، لأن التعليم إذا تناسق إلى ءاخر الزمان كان كلُّه مستندًا إلى أوله فكأنه هو الذي تولَّى كلَّ ما وُجد منه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ في تمكينه رجلًا أُميًّا من ذلك الأمر العظيم، وتأييده عليه، واختياره إياه من بين كافة البشر.

٤- ﴿ذَٰلِكَ﴾ الفضلُ الذي أعطاه محمدًا - وهو أن يكون نبيَّ أبناء عصره ونبيَّ أبناء العصور الغوابر[١] - هو ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ إعطاءَه وتقتضيه حكمتُه ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [ذو الإحسان والعطاء الجزيل].

٥- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ كُلِّفوا عِلْمَها والعملَ بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ ثم لم يَعملوا بها، فكأنهم لم يحملوها ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ جَمعُ سِفْر: وهو الكتاب الكبير[٢]، شَبَّهَ اليهودَ في أنهم حَمَلَةُ التوراة وقُرَّاؤها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها - وذلك أن فيها نعتَ رسول الله ﷺ والبِشارةَ به فلم يؤمنوا به - بالحمار حُمِّلَ كُتبًا كبارًا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يَمُرُّ بجنبيه من الكدِّ والتعب، وكل مَن عَلِمَ ولم يعملْ بعلمه فهذا مَثَلُه ﴿بِئْسَ مَثَلُ

---

(١) الغوابر: البواقي، ومعناه: الآتية.
(٢) ما كانوا حُفّاظًا، ما حفظ التوراة من بني إسرائيل من بعد موسى إلا عزير عليه السلام.

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟
إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ
أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ
مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ﴾

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ بئس مَثَلًا مَثَلُ القوم الذين كذّبوا بآيات الله ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ لا يهدي مَن سبقَ في علمه أنه يكون ظالمًا.

٦- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾ هادَ يَهودُ إذا تهوَّد ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ كانوا يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ ﴿١٨﴾﴾ [سورة المائدة] أي إن كان قولكم حقًّا [في زعمكم أنكم أولياء لله من دون الناس]، وكنتم على ثقة فتمنَّوا على الله أن يُميتكم وينقلَكم سريعًا إلى دار كرامته التي أعدَّها لأوليائه، ثم قال:

٧- ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ بسبب ما قدَّموا من الكفر ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ وعيدٌ لهم.

٨- ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ ولا تَجسُرون أن تتمنَّوه، خِيفةَ أن تؤخذوا بوَبال كفركم ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ﴾ لا محالة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [فيخبركم به ويجازيكم عليه] بما أنتم أَهلُه من العقاب.

٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ النداءُ: الأذانُ، ويومُ الجمعة سيدُ الأيام ﴿فَٱسْعَوْا۟﴾ فامضُوا، وليس المرادُ به السرعةَ في المشي ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ إلى الخطبة ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ﴾ أراد الأمرَ بترك ما يُذهِلُ عن ذكر الله من شواغل الدنيا، وإنما خَصَّ البيعَ من بينها

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟
مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا
وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

لأن يومَ الجمعة يتكاثرُ فيه البيع والشراء عند الزوال، فقيل لهم: بادِروا تجارةَ الآخرة واتركوا تجارةَ الدنيا، واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح، وذروا البيع الذي نفعه يسير ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ السعيُ إلى ذكر الله ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البيع والشراء ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ [بمنافع الأمور ومضارِّها].

١٠- ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أي: أُدِّيت ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَمْرُ إباحة ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الرزقَ، أو طلبَ العلم، أو عيادةَ المريض، أو زيارةَ أخ في الله ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ واشكروهُ على ما وفَّقكم لأداء فرضه ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [لتفلحوا، فتفوزوا بكل مطلوب وتأمنوا كلَّ مرهوب].

١١- ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ وإذا رأوا تجارة انفضُّوا إليها، أو لهوًا انفضوا إليه، وإنما خَصَّ التجارةَ لأنها كانت أَهمَّ عندهم، رُويَ أن أهل المدينة أَصابهم جوع وغلاء فقدِمَ دِحيةُ بن خليفةَ بتجارة من زيت الشام، [أو تحمل طعامًا من الشام] والنبيُّ ﷺ يخطُبُ يومَ الجمعة فقاموا إليه فما بقي [مع النبي ﷺ] إلا ثمانيةٌ، أو اثنا عشر، وكانوا إذا أقبلت العيرُ [تَحمِلُ الطعام] استقبلوها بالطبل والتصفيق، فهو المراد باللهو ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ على المنبر ﴿قَآئِمًا ۚ﴾ تَخطُب، وفيه دليل على أن الخطيب ينبغي أن يخطب قائمًا ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ أي: لا يفوتُهم رزق الله بترك البيع، فهو خير الرازقين.

سورة المنافقين
مدنية وهي إحدى عشرة ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ﴾ أرادوا شهادةً واطأت[١] فيها قلوبُهم ألسنتَهم ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ والله يعلم أن الأمرَ كما يدل عليه قولُهم إنك لرسولُ الله ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ في ادِّعاءِ المُواطأة، أو إنهم لكاذبون فيه، لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة، فهم كاذبون في تسميته شهادةً.

٢- ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ [حَلِفَهم الكاذب - فإنهم كانوا كلما اطُّلعَ منهم على شيء من النقاق حَلَفوا أنهم لم يقولوه - أو شهادتَهم هذه فإنها تجري مَجرى الحلف في التوكيد] ﴿جُنَّةٗ﴾ وِقايةً من السَّبي والقتل ﴿فَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ عن الإسلام بالتنفير وإلقاء الشُّبَه[٢] ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢﴾ من نفاقهم وصَدِّهم الناسَ عن سبيل الله، وفي ﴿سَآءَ﴾ تعظيم أمرهم عند السامعين.

---

(١) أي: وافقت.

(٢) كقولهم لليهود والمشركين: نحن كافرون بهم، وقد ألحقونا بهم بما نُظهره، ولو كان محمد مُحِقًّا لاطَّلعَ على ما نضمره.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ﴾

٣- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: القولُ الشاهد عليهم بأنهم أَسوأُ الناس أعمالًا ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعلُ مَن يدخلُ في الإسلام، ثم كفروا، ثم ظهر كفرُهم بعد ذلك بقولهم: إن كان ما يقوله محمدٌ حقًّا فنحن حميرٌ ونحوِ ذلك ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فخُتِمَ[1] عليها حتى لا يدخلَها الإيمانُ جزاءً على نفاقهم ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ لا يتدبَّرون، أو لا يعرفون صحةَ الإيمان. والخطاب في:

٤- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لرسول الله، أو لكل مَن يُخاطب ﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ كان ابنُ أُبَيّ رجلًا جسيمًا صَبيحًا[2] فصيحًا، وقومٌ من المنافقين في مِثلِ صفته، فكانوا يَحضرون مجلسَ النبي ﷺ، فيستندونَ فيه ولهم جَهارةُ المناظر[3] وفصاحةُ الألسن، فكان النبي ﷺ ومن حَضرَ يُعجبونَ بهياكلهم ويَسمعونَ إلى كلامهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ إلى الحائط، شُبِّهوا في استنادِهم - وما هم إلا أجرامٌ خاليةٌ عن الإيمان والخير - بالخُشُبِ المسندة إلى الحائط لأن الخشبَ إذا انتُفِعَ به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مَظانِّ الانتفاع، وما دام متروكًا غيرَ مُنتفَعٍ به أُسنِدَ إلى الحائط، أو لأنهم أشباح بلا أرواح،

---

(١) هذا رد على المعتزلة، المعتزلة يقولون: الله ما خَلقَ فيهم الضلالَ، بل نَسَبَهم إلى الضلال، أي حَكَمَ بضلالهم، أما هنا لا يتيسر لهم ذلك التأويل الفاسد. طُبعَ هنا صريح في أن الله أَفسدَ قلوبَهم، أي جعلهم لا يقبلون الإيمان، وقد ورد ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ في سورة النحل وسورة محمد.

(٢) الصَّبيحُ: الجميل، والصَّبيح: الوَضيءُ الوجه المُشرق.

(٣) أي: حُسْنُها.

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾

وأجسام بلا أحلام[١] ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ يَحسَبونَ كل صيحة واقعةً عليهم وضارَّةً لهم لجُبنهم ورُعبهم، يعني إذا نادى مُناد في العَسكر، أو انفلتت دابةٌ، أو أُنشدت ضالةٌ ظنُّوه إيقاعًا بهم، ثم قال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ هم الكاملون في العداوة، لأن أعدى الأعداءِ العدوُّ المُداجي[٢] الذي يكاشرك[٣]، وتحت ضلوعه الداءُ الدَّوي ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ ولا تَغترِرْ بظاهرهم ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاءٌ عليهم [بمعنى: أهلكهم الله، أو لعنهم] ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ كيف يَعدِلون عن الحق، [وهو تعجيبٌ] من جهلهم وضلالتهم.

٥- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ عَطَفوها وأمالوها إعراضًا عن ذلك واستكبارًا، [واستغفار الرسول لهم هو دعاؤه لهم بالخلاص من النفاق بدخولهم في الإسلام ظاهرًا وباطنًا] ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يُعرضون ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ عن الاعتذار والاستغفار.

رُوي أن رسول الله ﷺ حين لقيَ بني المصطلق على المُرَيْسِيع، وهو ماءٌ لهم، وهزَمَهم وقتلهم، ازدحم على الماء جهجاهُ بنُ سعيدٍ أَجيرٌ لعمرَ، وسِنانٌ الجُهَنيُّ حليفٌ لابن أُبَيّ، واقتتلا، فصرخَ جهجاهٌ: يا لَلمهاجرين، وسِنانٌ: يا لَلأنصار، فأعان جهجاهًا جُعالٌ من فقراء المهاجرين، ولَطَمَ سنانًا، فقال عبدُ الله لجُعال: وأنتَ هناك؟ وقال: ما صَحِبنا محمدًا إلا لنُلطمَ، والله ما مَثَلُنا ومثَلُهم إلا كما قال: سَمِّنْ

---

(١) أي: بلا عقول.
(٢) المُداجي: الذي يَعملُ في الخفاء.
(٣) يكاشِرُك: يبتسم في وجهك ويباسطك، والكَشْرُ: بدوُّ الأسنان عند التبسم.

كلبَكَ يأكلْكَ، أما والله لئن رجَعنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأَعزُّ منها الأذلَّ، عنَى بالأعزِّ نفسَه، وبالأذلِّ رسولَ الله ﷺ، ثم قال لقومه: واللهِ لو أمسكتم عن جُعال وذويه فضلَ الطعام لم يركبوا رقابكم، فلا تُنفقوا عليهم حتى يَنفضُّوا من حول محمد، فسمعَ بذلك زيدُ بنُ أرقم[(١)] وهو حَدَثٌ[(٢)]، فقال: أنتَ واللهِ الذليلُ القليلُ المُبغَضُ في قومك، ومحمدٌ على رأسه تاجُ المعراج في عِزٍّ من الرحمٰن وقوةٍ من المسلمين، فقال عبدُ الله: اسكت، فإنما كنت ألعب، فأخبر زيدٌ رسول الله ﷺ، فقال عمرُ رضيَ الله عنه: دعني أضربْ عنقَ هذا المنافق يا رسول الله، فقال: «**إذَنْ تُرْعَدُ ءانُفٌ**[(٣)] **كثيرةٌ بيثربَ**» قال: فإن كرهتَ أن يَقتلَه مهاجريٌّ فأْمُرْ به أنصاريًّا، قال: «**فكيف إذا تَحدَّثَ الناسُ أن محمدًا يقتلُ أصحابَه**» وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله: «**أنت صاحِبُ الكلام الذي بلغني؟**». قال: واللهِ الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئًا من ذلك، وإن زيدًا لكاذب، فهو قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ فقال الحاضرون: يا رسولَ الله، شيخُنا وكبيرُنا لا تُصَدِّقْ عليه كلام غُلام، عسى أن يكونَ قد وَهِمَ، فلَمّا نزلت قال رسول الله ﷺ لزيد: «**يا غلام إن الله قد صَدَّقَكَ وكَذَّبَ المنافقين**». فلَمّا بان كذبُ عبدِ الله قيل له: قد نزلت فيك ءايٌ شِدادٌ، فاذهبْ إلى رسول الله ﷺ يستغفرْ لك، فلوى رأسَه، فقال: أمرتموني أن أُوْمِنَ فآمنتُ، وأمرتموني أن أُزَكِّيَ مالي فَزَكَّيتُ، وما بقي لي إلا أن أسجدَ لمحمد، ولم يلبثْ إلا أيامًا حتى اشتكَى وماتَ.

---

(١) زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري، صحابي غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة.
(٢) أي: حديثُ السِّنّ.
(٣) الأَنْفُ: المِنْخَرُ معروفٌ، والجمعُ ءانُفٌ وءانافٌ وأُنوفٌ، وتُرْعَدُ آنُفٌ: عبارة عن الاضطراب والخوف.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٨﴾

٦- ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ أي: ما داموا على النفاق، والمعنى: سواء عليهم الاستغفار وعدمُه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدُّون به لكفرهم، أو لأن الله لا يغفر لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٦﴾ [لا يوفقهم للإيمان ما داموا على فسقهم مختارين لذلك].

٧- ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ يتفرقوا، [وهم لم يقولوا: ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم كانوا لا يعتقدونه رسولَ الله، وإنما قالوا: «على مَن عند محمد»، ولكن الله تعالى لمَّا أخبر عنهم ذكره باسم كرامته تعظيمًا له وتنبيهًا لعباده على منزلته عنده] ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وله الأرزاقُ والقِسَمُ، فهو رازقُهم منها، وإن أبى أهلُ المدينة أن يُنفقوا عليهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٧﴾ ولكنَّ عبدَ الله وأضرابَه جاهلون لا يفقهون ذلك فَيَهذُونَ[1] بما يزينُ لهم الشيطان.

٨- ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ﴾ من غزوة بني المُصطلق ﴿إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾ الغَلَبَةُ والقوة ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ولِمَن أعزَّهُ اللهُ وأيَّدَه مِنْ رسوله ومِنَ المؤمنين، وهم الأخِصَّاءُ بذلك، كما أن المَذَلَّةَ والهَوانَ للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٨﴾ [وجوهَ الحِكَم الإلهية].

---

(١) الهَذَيان: كلامٌ غير معقول، مِثلُ كلام المعتوه: والمعتوه: ناقص العقل، أو المجنون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾

٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ﴾ لا تشغَلْكم ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾ والتصرفُ فيها والسعيُ في تدبير أمرِها بالنَّماء وطلبِ النِّتاج ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ وسروركم بهم وشَفَقتُكم عليهم والقيام بمؤَنهم ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ عن الصلوات الخمس، أو عن القرءان ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ يريدُ الشُّغلَ بالدنيا عن الدين ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾ في تجارتهم حيث باعوا الباقيَ بالفاني.

١٠- ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ المرادُ بالإنفاقِ الواجبُ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ مِن قَبل أن يرى دلائلَ الموت ويُعاينَ ما يُيأسُ معه من الإمهال ويَتعذرُ عليه الإنفاق ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ هلَّا أخَّرْتَ موتي ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ إلى زمان قليل ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ فأتصدقَ ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ [بإخراج الحقوق الواجبة في المال من حج وجهاد وزكاة وصلة رحم ونحوها].

١١- ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا﴾ عن الموت ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ المكتوبُ في اللوح المحفوظ ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ المعنى أنكم إذا علمتم أن تأخيرَ الموت عن وقته مما لا سبيلَ إليه وأنه هاجمٌ لا مَحالةَ، وأن اللهَ عليم بأعمالكم، فمُجازٍ عليها مِنْ مَنعِ واجبٍ وغيره، لم يبقَ إلا المسارعةُ إلى الخروج عن عُهدة الواجبات والاستعدادُ للقاء الله تعالى[١].

(١) بمعنى لقاءِ حسابِه وجَزائِه.

سورة التغابن
ثماني عشرة ءاية مختلف فيها[١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ المُلكُ على الحقيقة له، لأنه مُبدئُ كلِّ شيء والقائمُ به، وكذا الحمدُ، لأن أُصولَ النِّعَم وفروعَها منه، وأما مُلك غيره فتسليطٌ منه واسترعاء[٢]، وحمدُ غيره اعتدادٌ بأن نعمةَ الله جرت على يده[٣].

٢- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ فمنكم ءاتٍ بالكفر وفاعلٌ له، ومنكم ءاتٍ بالإيمان وفاعل له، ويدل عليه: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢﴾ عالمٌ وبصيرٌ بكفركم وإيمانكم اللذَين هما من عَمَلِكم، والمعنى: هو الذي تفضَّلَ عليكم بأصل النِّعَم الذي هو الخلق

(١) أي: في كونها مكيَّة أو مدنيَّة أو بعضها مكيّ وبعضها مدنيّ.
(٢) استرعاهُ الشيء: طلبَ منه أن يَحفظَه ويتعهَّدَه.
(٣) معناه إذا حَمِدَ عبدٌ غيرَ اللهِ فلأجل أن نعمةَ الله جرت إليه على يد هذا العبد، أما الله فهو مُنشئ هذه النعمة.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥﴾

والإيجاد عن العدم، وكان يجب أن تكونوا بأجمعكم شاكرين، فما بالُكم تفرَّقتم أُممًا؟ فمنكم كافر ومنكم مؤمن. وقدَّمَ الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم، وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين، وقيل: هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخَلْق - وهم الدهرية[١] -، ومنكم مؤمن به.

٣- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالحكمة البالغة، وهو أن جعلها مَقارَّ المكلفين ليعملوا فيجازِيْهم ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ جعلكم أحسنَ الحيوانِ كُلِّه وأَبهاهُ، بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورتُه على خلاف ما يَرى من سائر الصور، ومن حُسنِ صورته أنه خُلِقَ منتصبًا غير مُنْكَبٍّ ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ فأحسِنوا سرائرَكم كما أحسنَ صُوَرَكم [وإلى جزائه مرجعُكم].

٤- ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾ نبَّه بعِلمِه ما في السماوات والأرض، ثم بعِلمِه ما يُسِرُّه العبادُ ويعلنونَه، ثم بعلمه [بضمائر الصدور] أن شيئًا من الكُلِّيات والجزئيات غيرُ خافٍ عليه فحقُّه أن يُتَّقى ويُحذرَ ولا يُجترأَ على شيء مما يخالف رضاه، وتكريرُ العلم في معنى تكرير الوعيد.

٥- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ الخطاب لكفار مكةَ ﴿نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يعني: [خَبَرَ] قومِ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي: [سوءَ عاقبة] كفرِهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥﴾ في العُقبَى.

---

(١) الدهرية: هم منكرو الخالق والبعث والإعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني، وهم الذين أخبر عنهم القرءان المجيد: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ۝٢٤﴾ [سورة الجاثية].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾

٦- ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذَكرَ من الوَبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أَعدَّ لهم من العذاب في الآخرة ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ [من أجل أنه] ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكروا الرسالة للبشر ولم يُنكروا العبادةَ للحجر ﴿فَكَفَرُواْ﴾ بالرسل ﴿وَتَوَلَّواْۚ﴾ عن الإيمان ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ﴾ أَطلقَ ليتناولَ كلَّ شيء، ومِن جُملتِه إيمانُهم وطاعتهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾ على صُنعِه.

٧- ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: أهلُ مكة، والزَّعْمُ: ادِّعاءُ العلم ﴿أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ﴾ أنهم لن يُبعثوا ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ هو إثبات البعث ﴿وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ أَكَّدَ الإخبارَ باليمين، فإن قلتَ: ما معنى اليمين على شيء أنكروه؟ قلتُ: هو جائزٌ لأن التهديد به أعظمُ موقعًا في القلب، فكأنه قيل لهم: ما تنكرونه كائن لا محالة ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ﴾ [ثم لَتُخْبَرُنَّ بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا] ﴿وَذَٰلِكَ﴾ البعثُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ هيِّن.

٨- ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمدٍ ﷺ ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ﴾ يعني: القرءانَ، لأنه يُبيّن حقيقةَ كلِّ شيء فيُهْتَدَى به كما بالنور ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [مُحيطٌ بها لا يخفى عليه منها شيء، وهو مُجازيكم عليها] فراقِبوا أُمورَكم.

٩- ١٠- ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ﴾ ليوم يُجْمَعُ فيه الأَوَّلون والآخِرون ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [يومُ تفاوُتِ الأجزية]، وهو مستعارٌ مِن: تغابَنَ القومُ مستعارٌ مِن: تغابُنِ القوم في التجارة، وهو أن يَغبِنَ بعضُهم بعضًا، لنزول السعداء منازلَ الأَشقياء التي كانوا يَنزلونَها لو كانوا سعداءَ، ونزولِ الأشقياءِ منازلَ السعداء التي كانوا ينزلونَها لو كانوا أشقياءَ، كما

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن
يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾

ورد في الحديث(١) ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ [يمحُ عنه ذنوبه] ﴿وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الإشارة إلى مجموع الأمرين، ولذلك جعلَه الفوزَ العظيم لأنه جامع للمصالح من دفع المضارِّ وجلب المنافع] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ [والذين جحدوا وحدانية الله وكذَّبوا بأدلته وحججه وءاي كتابه الذي أنزله على عبده محمد ﷺ أولئك ماكثون في النار أبدًا لا يموتون فيها ولا يخرجون منها، وبئس الشيء الذي يُصَار إليه مصيرُهم].

١١- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ شدةٍ ومرض وموتِ أهل، أو شيء يقتضي هَمًّا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ بعلمه وتقديره ومشيئته، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾ للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة البقرة] أو يَشرحَه للازدياد من الطاعة والخير، أو يهد قلبَه حتى يعلمَ أن ما أصابه لم يكن ليُخطِئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [حتى بأحوال القلوب وتقلُّباتها].

١٢- ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ [أعرضتم] عن

---

(١) ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة: «**ما منْ عبدٍ أُدخلَ النارَ إلَّا رأى مَقْعَدَهُ في الجنةِ لو أحسنَ ليزدادَ حسرةً**». وفي المتفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المؤمن: «**فيقالُ لهُ: انظُر إلى مقعدِكَ منَ النارِ أبدلكَ اللهُ بهِ مقعدًا في الجنةِ، فيراهما جميعًا**».

﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

طاعة الله وطاعة رسوله ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ فعليه التبليغُ [الواضحُ] وقد فَعَلَ.

١٣- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [معبودُكم أيها الناسُ معبودٌ واحدٌ لا تصلح العبادة لغيره ولا معبودَ لكم سواه فليعتمد المؤمنون عليه في كل أمورهم، وفي الآية] بَعْثٌ لرسول الله ﷺ على التوكل عليه حتى يَنصُرَه على من كذَّبَه وتولى عنه.

١٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ إن من الأزواج أزواجًا يعادِينَ بعولَتَهن ويخاصِمْنَهم، ومن الأولاد أولادًا يعادون ءاباءهم ويَعُقُّونَهم ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ فكونوا منهم على حَذَرٍ، ولا تأمنوا غوائلَهم[1] وشرَّهم ﴿وَإِن تَعْفُوا۟﴾ عنهم إذا اطّلعتُم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها ﴿وَتَصْفَحُوا۟﴾ تُعرِضُوا عن التوبيخ ﴿وَتَغْفِرُوا۟﴾ بستر ذنوبهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ يغفر لكم ذنوبكم ويُكَفِّرْ عنكم. قيل: إن ناسًا أرادوا الهجرة عن مكة فثبَّطَهم[2] أزواجهم وأولادهم وقالوا: تنطلقون وتُضيعونا، فرقُّوا لهم ووقفوا، فلَمّا هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فَقِهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فَزَيَّنَ لهم العفوَ.

١٥- ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاءٌ ومِحنةٌ لأنهم يُوقِعون في الإثم والعقوبة، ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ أي: في الآخرة، وذلك

---

(١) الغَوْلُ: الخيانةُ.
(٢) أي: مَنَعَهم وأقعَدَهم عن الأمر.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

أعظمُ من منفعتكم بأموالكم وأولادكم.

١٦- ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ جُهدَكم ووُسْعَكم ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ ما توعظون به ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ فيما تؤمرون به وتنهَونَ عنه ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ في الوجوه التي وَجَبت عليكم النفقةُ فيها ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ إنفاقًا خيرًا لأنفسكم [أو] افعلوا ما هو خيرٌ لها، وهو تأكيد للحثِّ على امتثال هذه الأوامر وبيانٌ لأن هذه الأمورَ خيرٌ لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أنتم عاكفون عليه من حُبِّ الشهوات وزخارف الدنيا ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ أي: البخلَ بالزكاة والصدقة الواجبة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الفائزون الذين أدركوا مراداتهم عند ربهم].

١٧- ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ﴾ [تَصْرِفوا المالَ فيما أمَرَه] ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بنية وإخلاص ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ يكتب لكم بالواحدة عشرًا [إلى] سبعِمائة إلى ما شاء من الزيادة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ يقبلُ القليلَ ويُعطي الجزيل ﴿حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ يُضَعِّف الصدقةَ لدافعها ولا يُعجِّلُ العقوبة لمانعها.

١٨- ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ يعلم ما استترَ من سرائر القلوب ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما انتشر من ظواهر الخطوب ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشديد في انتقامه ممن أراد عقابه على مخالفة أوامره ونواهيه] ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [في تدبير خلقه].

سورة الطلاق
مدنية وهي اثنتا عشرة ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ خَصَّ النبيَّ ﷺ بالنداء وعَمَّ بالخطاب، لأن النبيَّ إمامُ أُمته وقدوتُهم ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ إذا أردتم تطليقَهن وهممتم به ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ مستقبِلاتٍ لعدتهن، والمراد أن تُطلَّقَ المدخولُ بهن منَ المعتدَّات بالحيضِ في طُهرٍ لم يجامَعْنَ فيه، ثم يُخَلَّيْنَ حتى تنقضيَ عِدَّتُهن، وهذا أحسن الطلاق ﴿وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ﴾ واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثةَ أقراءٍ مستقبَلاتٍ كواملَ لا نقصان فيهن ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ﴾ [أطيعوه في أمره ونهيه] ﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ﴾ حتى تنقضيَ عدتُّهن ﴿مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهن التي يَسكُنَّها قبل العدة، وهي بيوتُ الأزواج، وأُضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السُّكنى ﴿وَلَا يَخۡرُجۡنَ﴾ بأنفسهن إن أردن ذلك [حتى تنقضيَ عدتُهن] ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ قيل: هي الزنا، أي: إلا أن يزنين فيخرجنَ لإقامة الحَدِّ عليهن، وقيل: خروجُها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ أي: الأحكامُ المذكورة ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾

﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾

[بأن عَرَّضها للعقاب] ﴿لَا تَدۡرِي﴾ أيها المخاطَبُ ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾ بأن يُقلِّبَ قلبُه من بُغضها إلى مَحبتها، ومنَ الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعَها، والمعنى: فطلقوهُنَّ لعدتهن وأحصُوا العِدةَ ولا تُخرجوهن من بيوتهن لعلكم تندمونَ فتراجعون.

٢- ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربنَ ءاخرَ العدة ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾ فأنتم بالخيار إن شئتم فالرجعةُ والإمساكُ بالمعروف والإحسانِ، وإن شئتم فتركُ الرجعةِ والمفارقةُ واتِّقاءُ الضِّرار، وهو أن يراجعَها في ءاخر عِدتها ثم يطلِّقها تطويلًا للعدة عليها وتعذيبًا لها ﴿وَأَشۡهِدُواْ﴾ عند الرجعة والفُرقة جميعًا، وهذا الإشهادُ مندوبٌ إليه لئَلا يقعَ بينهما التَّجاحُدُ ﴿ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ من المسلمين ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾ لوجهه خالصًا، وذلك أن يُقيموها لا للمشهودِ له ولا للمشهود عليه ولا لغَرَضٍ من الأغراض سوى إقامةِ الحق ودفع الظلم ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الحثُّ على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ إنما ينتفع به هؤلاء ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾ ومن يَتَّقِ الله فطلَّقَ للسُّنةِ ولم يُضارَّ المعتدةَ ولم يُخرجْها من مسكنها واحتاطَ فأشهدَ، يجعلِ اللهُ له مخرجًا مما في شأن الأزواج من الغُموم والوقوع في المَضايق، ويفرِّجْ عنه، ويعطِهِ الخلاصَ.

٣- ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ من وجهٍ لا يخطرُ بباله ولا يحتسِبُه، ويجوز أن يُجاءَ بها على سبيل الاستطراد عند ذِكر قوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ أي: ومن يَتَّقِ اللهَ يجعل له مخرجًا ومخلصًا من غُموم الدنيا والآخرة، وقال ﷺ: «**إني لأعلم ءايةً لو أخذ الناسُ بها لكفتهم**؛ ﴿وَمَن

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ﴾

يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾، فما زال يقرؤها ويعيدها». ورويَ أن عوفَ بنَ مالك أَسَرَ المشركون ابنًا له[1]، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: أُسِرَ ابني وشَكَا إليه الفاقَةَ فقال: «**ما أمسى عندَ ءالِ محمدٍ إلا مُدٌّ فاتَّقِ اللهَ واصبِرْ وأكثِرْ من قولِ لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيم**». فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله أمرني وإياك أن نستكثرَ من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقالت: نِعْمَ ما أَمَرَنا به، فجعلا يقولان ذلك. فبينما هو في بيته إذ قرعَ ابنُه البابَ ومعه مائةٌ من الإبل تَغَفَّلَ عنها العدوَّ فاستاقها، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يَكِلْ أمرَه إليه عن طَمَعِ غيره وتدبيرِ نفسِه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ كافيه في الدارين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ مُنْفِذٌ أمرَه ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ تقديرًا وتوقيتًا، وهذا بيانٌ لوجوب التوكُّل على الله وتفويضِ الأمر إليه، لأنه إذا عُلِمَ أن كل شيء من الرزقِ ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبقَ إلا التسليمُ للقَدَر والتوكُّلُ.

٤- ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [أي: اللائي انقطع رجاؤهن لكِبَرهنَّ من أن يَرَينَ دمًا من زوجاتكم المدخول بهن] ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أشكَلَ عليكم حكمُهن وجهلتم كيف يعتدِدْنَ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [مَقامَ ثلاثة قروء في التي تحيض] ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ هن الصغائر [اللائي لم يَبلُغن، أو بلغنَ بغير الحيض]، وتقديره: فعدتهن ثلاثة أشهر [كذلك] ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ [أي: والمطلقاتُ الحواملُ] عدتهن ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ النصُّ يتناول المطلقاتِ والمتوفَّى عنهن

---

(١) اسمُه مالكٌ.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ﴾

أزواجهن. وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم: عِدَّةُ الحاملِ المتوفَّى عنها زوجُها أَبعدُ الأجلين ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [يُسهِّلُ عليه أمرَ الدنيا والآخرة].

٥- ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [أي: هذا كلُّه من أول السورة إلى ههنا أمرٌ أمركم الله تعالى به] ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ من اللوح المحفوظ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في العمل بما أنزلَه من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [وهذا يَعُمُّ هذا الأمرَ وغيرَه]. ثم بيَّن التقوى في قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾، كأنه قيل: كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتَدَّات؟ فقيل:

٦- ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أسكِنوهنَّ بعضَ مكانِ سُكناكم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ كأنه قيل: أسكِنوهنَّ مكانًا من مَسكنكم مما تُطيقونه، والوُجْدُ: الوُسْعُ والطاقة ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ ولا تستعملوا معهن الضرارَ ﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ في المسكن ببعض الأسباب من إنزال مَن لا يوافقُهن، أو غير ذلك حتى تضطَرُّوهنَّ إلى الخروج ﴿وَإِن كُنَّ﴾ أي: المطلَّقاتُ ﴿أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ﴾ ذواتِ أحمال ﴿فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وفائدةُ اشتراطِ الحملِ أن مدةَ الحملِ ربما تطولُ، فيظن ظانٌّ أن النفقةَ تسقط إذا مضى مقدار عِدةِ الحائل[1]، فنفى ذلك الوهمَ ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ هؤلاء المطلَّقاتُ إن أرضعنَ لكم ولدًا من غيرهن، أو منهن بعد انقطاع عِصمةِ الزوجية ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ فحكمهن في ذلك حكمُ

---

(١) الحائل: غيرُ الحامل.

﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍۢ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍۢ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍۢ يُسْرًۭا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًۭا شَدِيدًۭا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًۭا نُّكْرًۭا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾

الأَظْآر[1] ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم﴾ تشاوَروا على التراضي في الأجرة ﴿بِمَعْرُوفٍۢ﴾ بما يليق بالسُّنة ويَحسُنُ في المروءة، فلا يُماكسُ الأبُ ولا تُعاسرُ الأم، لأنه ولدُها، وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتُم فلم ترضَ الأم بما تُرضعُ به الأجنبيةُ، ولم يَزِد الأبُ على ذلك ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ فستوجَد، ولا تُعوِزُ[2] مرضعةٌ غيرُ الأم تُرضعه، وفيه طرفٌ من معاتبة الأم على المعاسَرَة، أي سيجدُ الأبُ غيرَ معاسِرَةٍ تُرضعُ له ولده إن عاسرته أُمه.

٧- ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍۢ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ﴾ لينفق كلُّ واحد من المُوْسِر والمُعسر ما بلغه وُسعُه، يريد ما أُمِرَ به من الإنفاق على المطلَّقات والمُرضعات، ومعنى: ﴿قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ ضُيّقَ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ أعطاها من الرزق ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍۢ يُسْرًۭا ﴿٧﴾﴾ بعدَ ضِيق في المعيشة سَعَةً، وهذا وَعْدٌ لذي العُسر باليسر.

٨- ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ [وكم] مِن أهل قرية ﴿عَتَتْ﴾ عَصَت ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ أعرضت عنه على وجهِ العُتُوّ[3] والعناد ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًۭا شَدِيدًۭا﴾ بالاستقصاء[4] والمناقشة ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًۭا نُّكْرًۭا ﴿٨﴾﴾ منكرًا عظيمًا.

٩- ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [سوءَ عاقبة عُتُوِّها] ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾

---

(١) الظِّئْرُ: المرضعةُ.
(٢) لا تُعوِزُ: لا تُفقَدُ.
(٣) العُتُوُّ: الخروج إلى فاحش الفساد.
(٤) أي: بالتشديد.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

خسارًا وهلاكًا، والمراد حسابُ الآخرة وعذابُها، وما يذوقون فيها من الوبال ويلقَون من الخُسْرِ.

١٠- ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ﴾ تكريرٌ للوعيد وبيانٌ لكونه مُتَرَقَّبًا ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ﴾ فليكن لكم ذلك يا أُولي الألباب من المؤمنين لُطفًا في تقوى الله وحَذَرِ عقابه ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾ أي: القرءانَ.

١١- ﴿رَّسُولًا﴾ تقديره: أرسل رسولًا، ﴿يَتْلُوا۟﴾ أي: الرسولُ ﴿عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ [موضِّحاتٍ لكم الحقَّ من الباطل] ﴿لِّيُخْرِجَ﴾ اللهُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ من ظلمات الكفر أو الجهل إلى نور الإيمان أو العِلم ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [رزقه في الجنة رزقًا واسعًا طيبًا هنيئًا مأمونًا من التغير والانقطاع].

١٢- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ أجمع المفسرون على أن السماوات سبعٌ ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قيل: ما في القرءان ءايةٌ تدل على أن الأَرَضين سبعٌ إلا هذه الآية، وبين كل سماءين مسيرةُ خمسمائة عام، وغِلَظُ كل سماء كذلك، والأَرَضونَ مثلُ السماوات ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يَجري أمرُ الله وحُكمُه بينهن، ومُلكُه يَنفذُ فيهنَّ ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟﴾ [أني خلقتُ هذه الخليقةَ، وأخبرتكم بها ليُستدلَّ بها على قدرتي وسلطاني فتعلموا] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ قد علم كل شيء علمًا وهو عَلّام الغيوب.

سورة التحريم
مدنية وهي اثنتا عشرة ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [لِمَ تمنع نفسك مما أحلَّ الله لك، وليس معناه التحريم الذي يترتب عليه العقوبة في الآخرة، واختلف أهل العلم في الحلال الذي كان الله تعالى أَحَلَّه له فمنع نفسه منه ابتغاء مرضاة أزواجه، فقال بعضهم: كان ذلك مارية مملوكتَه، أمَّ ولده إبراهيم، حرَّمَها على نفسه، قال: لا أقربُها بعد الآنَ أبدًا]، وروي أنه شرب عسلًا في بيت زينب بنت جحش، [وكان يتردد إليها يشربه عندها، فغارت بعض نسائه، فتواصت] عائشةُ وحفصةُ [أن يَذكُرنَ له أن ريحَ ذلك العسل ليست بِطَيِّبة] وقالتا له: إنا نَشَمُّ منك ريحَ المغافير(١)، وكان رسول الله ﷺ يكره التَّفَلَ(٢) فحَرَّمَ [على نفسه شُربَه - بمعنى منعَ نفسَه من ذلك - وقال: لا أشربه بعد هذا] ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ [تَطييبَ خاطرهن] ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ [لا يُلزمكَ ما ألزمتَ نفسَك من منع نفسك من الحلال الذي أحَلَّه لك، بل يُبيحُ ذلك لك،

---

(١) المغافير: صَمْغُ شجرٍ معروفٍ طعمُه حلوٌ وله رائحة كريهة.
(٢) التَّفَلُ: تغير الرائحة.

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ﴾

ويجعل لك منه المخرج][1].

٢- ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ قَدَّر اللهُ لكم ما تُحَلِّلُون به أيمانكم، وهي الكفارة، أو شَرعَ لكم تحليلَها بالكفارة، أو شرع لكم الاستثناء في أيمانكم، وذلك أن يقول: إن شاء الله عقيبَها حتى لا يَحنَثَ، وتحريم الحلال يمينٌ عندنا[2]، وعن مقاتل: أن رسول الله ﷺ أعتق رقبةً من تحريم مارية، وعن الحسن: أنه لم يُكفِّرْ، وإنما هو تعليم للمؤمنين ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ سَيِّدُكم ومُتولّي أمورِكم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يُصلِحُكم فيَشرَعُه لكم ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ فيما أحلَّ وحرَّم.

٣- ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ حفصةَ ﴿حَدِيثًا﴾ حديثَ مارية، أو إمامة الشيخين [أبي بكر وعمر، أي أنهما يَلِيان أمرَ أمته من بعده] ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أفشَتْهُ إلى عائشةَ رضي الله عنهما ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وأطلَعَ النبيَّ ﷺ على إفشائها الحديثَ على لسان جبريلَ عليه السلام ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ أعلَمَ [حفصةَ] ببعضِ الحديث [الذي أفشته] ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ فلم يُخبِرْ به تكرُّمًا. روي أنه قال لها: «**ألم أقل لك اكتُمي عليَّ؟**» قالت: والذي بعثك بالحق ما ملكتُ نفسي فرحًا بالكرامة التي خصَّ اللهُ بها أباها ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ نَبَّأَ النبيُّ حفصةَ بما أفشَت من السر إلى عائشة ﴿قَالَتْ﴾ حفصةُ للنبي ﷺ: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ﴾

---

(١) الرسول عليه الصَّلاة والسلام لم يحرمه على نفسه وعلى غيره، حرمه على نفسه على معنى أنه لا يفعله، أي: يقطعُ نفسَه عنه بعد هذا.

(٢) من قال لامرأته: أنتِ عليَّ حرام، عند الشافعي إن نوى الطلاق فهو طلاق، وإن لم ينو الطلاق عليه كفارةٌ - مثلُ كفارة اليمين - أما في نحو الأكل والشرب فلا، كأن قال: حرمت عليَّ الشاي ونحو ذلك فليس فيه كفارة. ولم يثبت أن الرسول ﷺ كفَّر.

﴿ٱلْخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾

بالسرائر ﴿ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ بالضمائر.

٤- ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ خطاب لحفصة وعائشةَ على طريقة الالتفات ليكونَ أبلغَ في معاتبتهما ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾ مالَتْ ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ عن الواجب في مُخالَصة رسول الله ﷺ من حُبِّ ما يُحبه وكراهةِ ما يكرهُه، [قيل: وذلك أنهما أحَبَّا ما كَرِهَ رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته] ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ إن تعاونَا عليه بما يسوءه من الإفراط في الغَيرة وإفشاء سِرّه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ وَليُّه وناصِرُه ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ أيضًا وليُّه ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ومن صَلَحَ من المؤمنين ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ على تكاثر عددهم ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد نُصرة اللهِ وجبريلَ وصالحي المؤمنين ﴿ظَهِيرٌ ۝٤﴾ فوجٌ مُظاهِرٌ له، فما يبلغُ تظاهُرُ امرأتين على مَن هؤلاء ظُهَراؤه؟!

ولَمّا كانت مظاهرةُ الملائكة من جملة نُصرة الله، قال بعد ذلك تعظيمًا لنُصرتهم ومظاهرتهم:

٥- ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ فإن قلت: كيف تكون المُبدَّلاتُ خيرًا منهن ولم يكن على وجه الأرض نساءٌ خيرٌ من أُمهات المؤمنين؟ قلت: إذا طلَّقهن رسولُ الله ﷺ لإيذائهن إياه لم يَبقَينَ على تلك الصفة، وكان غيرُهن من الموصوفات بهذه الأوصاف خيرًا منهن ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مُقِرّات مُخلِصات ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ مُطيعات ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ من الذنوب، أو راجعاتٍ إلى الله وإلى أمر رسوله ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ [كثيرات العبادة بالنوافل] ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ مهاجرات، أو صائمات، وقيل للصائم سائح، لأن السائح لا زاد معه فلا يزال مُمسكًا إلى أن يجدَ ما يَطْعَمُه، فَشُبِّه به الصائمُ في إمساكه إلى أن يجيء وقتُ إفطاره ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [منهنّ ثَيِّبٌ ومنهنَّ بِكْر].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾

٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ بأن تأخذوهم بما تأخذونَ به أنفسَكم ﴿نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ تتَّقِد بالناس والحجارة كما يتَّقد غيرها من النيران بالحطب ﴿عَلَيۡهَا﴾ يلي أمرَها وتعذيبَ أهلها ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ يعني: الزبانيةَ التسعةَ عشرَ وأعوانَهم ﴿غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ في أجرامهم غِلظةٌ وشدة، أو غِلاظ الأقوال، شداد الأفعال ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ وليست الجملتان في معنى واحد، إذ معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامرَه ويلتزمونَها، ومعنى الثانية أنهم يؤدُّون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانَونَ فيه.

٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧﴾ في الدنيا، أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار: لا تعتذروا، لأنه لا عذر لكم، أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار ذلك اليوم، [وهو تنبيه لهم ليتوبوا ويعتذروا قبل أن يدركهم الموت].

٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ صادقة، وقيل: خالصة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي الاستغفار باللسان والندمُ بالجَنان والإقلاع بالأركان، [وقيل: ألّا يعودَ صاحبها لذلك الذنب الذي يتوب منه] ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [عسى صيغة إطماع ومن الله تعالى بمعنى التحقيق، وذكر لفظ الإطماع دون التحقيق إشعارًا بأنه تفضُّلٌ وبأن التوبة غيرُ موجِبة، ولتعليق القلب بحسن الرجاء، وأن العبد ينبغي

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

أن يكون بين خوف ورجاء] ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ فيه تعريضٌ بمن أخزاهم الله من أهل الكفر ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾، [يؤتى السعداءُ صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم، فيجعل النور للمؤمنين في هاتين الجهتين شعارًا لهم وءاية، فإذا ذُهب بهم إلى الجنة ومرُّوا على الصراط سعى ذلك النور بسعيهم] ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ يقولون ذلك إذا انطفأ نور المنافقين، [أي: أبقِه لنا حتى نجوز الصراط ونهتدي إلى الجنة] ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [من إتمام النور، ومغفرة الذنوب وتبليغ الجنة، وكل شيء].

٩- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ بالقول الغليظ والوعد البليغ ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمُحاجَّةِ باللسان ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [وبئس الموضع الذي يصيرون إليه جهنم].

١٠- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ مَثَّلَ اللهُ عز وجل حال الكفار في أنهم يُعاقَبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا مُحاباة، ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النَّسَب والمصاهرة، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيًّا بحال امرأة نوح وامرأة لوطٍ خانتا الرسولين [بكفرهما، وقيل: بالنفاق] لم يُغْن الرسولان عنهما، أي:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

عن المرأتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج إغناءً ما من عذاب الله، وقيل لهما عند موتهما، أو يوم القيامة: ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وُصْلَةَ بينهم وبين الأنبياء.

١١- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ هي ءاسيةُ بنتُ مُزاحِم ءامنت بموسى فَعذَّبها فرعونُ بالأوتاد الأربعة[(١)] ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ وهي تُعَذَّب: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فكأنها أرادت الدرجةَ العالية لأنه تعالى مُنَزَّهٌ عن المكان فعبَّرت عنها بقولها: عندك ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ من نفسِ فرعونَ الخبيثةِ وخصوصًا من عمله، وهو الكفرُ والظلمُ والتعذيب بغير جُرْم ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ مِنَ القِبطِ كُلِّهم، وفيه دليل على أن الاستعاذةَ بالله والالتجاءَ إليه [وسؤالَهُ تعالى] الخلاصَ عند المِحَن والنوازل من سِيَر الصالحين.

١٢- ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [حفظَتْه] مِنَ الرجال، [وقيل: هو جَيْبُ دِرعها حين أتاها جبريل يبشرها بالولد وهي لا تَعلمه وكان متشكلًا بصورة شاب أبيض الوجه، أي: مَنعت جيبَ درعها من أن ينفخَ فيه جبريلُ قبل أن تعرفَه]. ﴿فَنَفَخْنَا﴾ فنفخ جبريل بأمرنا ﴿فِيهِ﴾ في [جيب درعها فوصل الروح إلى رحمها] ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ المخلوقة لنا [المشرَّفة عندنا] ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ بصُحُفه التي أنزلها على إدريسَ وغيرِه ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ [المنزلة على الأنبياء] ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [من عِداد المواظبين على الطاعة] مَثَّلَ حالَ المؤمنين في أن وُصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئًا من ثوابهم وزلفاهم

---

(١) قيل: كان فرعونُ يَتِدُ أربعةَ أوتاد يَشُدُّ إليها يَدَي ورِجلَي من يُعذبه.

عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجةَ أعدى أعداء الله، ومريم ابنة عمران وما أُوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومَها كانوا كفارًا. وفي طَيّ هذين التمثيلين تعريضٌ بأُمَّي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فَرَطَ منهما من التظاهر على رسول الله ﷺ بما كَرِهَه، وتحذيرٌ لهما وإشارة إلى أن مِن حقِّهما أن تكونا في الإخلاص كهاتين المؤمنتين وألّا يَتَّكِلا على أنهما زوجا رسول الله ﷺ.

سورة الملك
مكية وهي ثلاثون ءاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿تَبَٰرَكَ﴾ تعالى وتعاظَمَ عن صفات المخلوقين ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ في تَصَرُّفه المُلك والاستيلاء على كل [مخلوق]، وهو مالك الملك[(١)] يؤتيه من يشاء وينزِعه ممن يشاء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من المقدورات ﴿قَدِيرٌ ۝١﴾ قادر على الكمال[(٢)].

٢- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ خَلَق موتَكم وحياتكم أيها المُكلَّفون[(٣)] ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليمتحِنَكم بأمره ونهيه فيما بين الموت[(٤)]، فيظهر منكم ما عَلِمَ أنه يكون منكم، فيجازيكم على عملكم لا على عِلمِه بكم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي أَخلَصُهُ وأصوَبُهُ، فالخالصُ أن يكون لوجه الله،

---

(١) أي المُلك المخلوق الذي يُعطيه لبعض عباده من المؤمنين والكافرين، المُلكُ بهذا المعنى مخلوق، وأما المُلك الذي يفهم منه اسمُهُ المَلِك فهو صفة له أزلي أبدي، فإذا قيل: مالك الملك فالمُلك هنا هو المخلوق، وأما إذا قلنا: سبحان ذي المُلك فهو المُلك الذي هو صفته تبارك وتعالى.

(٢) أي أن قدرتَه تامَّةٌ لا يتعذَّر عليه شيء ولا يخرج عن قدرته مقدور.

(٣) فهو خالق الأعيان والصفات.

(٤) أي قبل الموت.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾

والصوابُ أن يكون على السُّنةِ، والمرادُ أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وسلَّط عليكم الموتَ الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح فَمَا وراءه إلا البعثُ والجزاءُ الذي لا بد منه. وقدَّم الموت على الحياة لأن أقوى الناس داعيًا إلى العمل مَنْ نَصَبَ موتَه بين عينيه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا يُعجزه مَن أَساءَ العملَ ﴿ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ السَّتُور الذي لا يَيأسُ منه أهلُ الإساءة والزلل.

٣- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ مطابقةً بعضُها فوقَ بعض [من غير مُماسَّة]، والخطابُ في: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ للرسول أو لكل مخاطَب [وقيل ﴿فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ للدلالة على أنه] بباهِرِ قدرته هو الذي يخلقُ مثلَ ذلك الخلقِ المتناسب، ﴿مِن تَفَٰوُتٍ﴾ من اختلافٍ واضطراب(١) ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ رُدَّهُ إلى السماء حتى يَصِحَّ عندك ما أُخبِرْتَ به بالمعاينة فلا تَبقى شبهةٌ فيه ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ صُدوعٍ وشقوق، جمع فَطْرٍ وهو الشَّقُّ.

٤- ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ كَرِّرِ النظرَ مرتين، وقيل: لم يُرد به الاقتصارَ على مرتين بل أراد به التكرير بكثرة، أي كَرِّر نظَركَ ودَقِّقه هل ترى خللًا أو عيبًا ﴿يَنقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلًا، أو بعيدًا مما [تبحث عنه] ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ كليلٌ مُعْيٍ(٢)، ولم يَرَ فيها خللًا.

٥- ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ القُربى، أي: السماءَ الدنيا منكم

---

(١) أي ليس في خلق الله من السماوات ومن غيرهن من سائر خلقه عيب في الخَلق.

(٢) يقال طَرْف كليل: أي لم يحقق المنظور إليه، ومُعْيٍ من العِيّ أي الجهل، أي: لم يَرَ شيئًا من الخلل.

﴿بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا﴾

﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بكواكب[1] مضيئة كإضاءة الصبح، والمصابيحُ: السُّرُجُ فَسُميت بها الكواكبُ، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ لأَعدائكم الذين يُخرجونكم من النور إلى الظلمات، والرُّجُومُ جَمْعُ رَجْم وهو مصدرٌ سُمي به ما يُرجَمُ به، ومعنى كونها رُجومًا للشياطين أن ينفصل عنها شهابُ قَبَسٍ[2] يؤخذ من نار فيقتل الجنيَّ أو يُخَبِّلُهُ[3] ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ للشياطين ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا.

٦- ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ ليس الشياطينُ المرجومونُ مخصوصين بذلك ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦﴾ المرجع جهنم.

٧- ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ طُرحوا في جهنم كما يُطرحُ الحطبُ في النار العظيمة ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾ لجهنم ﴿شَهِيقًا﴾ صوتًا منكرًا كصوت الحمار، شُبه حَسِيْسُها[4] المُنكَرُ الفظيعُ بالشهيق ﴿وَهِىَ تَفُورُ ۝٧﴾ [تتعالَى و]تَغلي بهم غَلَيانَ المِرْجَل[5] بما فيه.

٨- ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ تتميز، يعني: تتقطع وتتفرق ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ على الكفار، فجعلت كالمغتاظةِ عليهم استعارةً لشدة غليانها بهم ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا

---

(١) الكواكب يُطلق على النجوم أيضًا.
(٢) الشهاب في الأصل الشُّعلة من النار، وكذلك القَبَسُ وهو الشُّعْلَةُ، فشهابُ قَبَسٍ من إضافة الشيء إلى نفسِه، والمعنى أنه ينفصل من النجم شُعلةٌ والنَّجم قارٌّ في مكانه كالشُّعلة (أو الشَّرر) يَنفصل من النار والنارُ قارَّةٌ في مكانها، لا أنهم يُرجمون بالكوكب أنفُسها.
(٣) أي: يعودُ مجنونًا.
(٤) أي: صوتُ تَلَهُّبِهَا.
(٥) أي: القِدْرُ الذي يُسَخَّنُ فيه الماء على النار.

﴿فَوۡجٌ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ
إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ
بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ
كَبِيرٞ ١٢﴾

﴿فَوۡجٌ﴾ جماعة من الكفار ﴿سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ مالكٌ وأعوانُه من الزبانية[1] توبيخًا لهم: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨﴾ رسولٌ يُخوِّفكم من هذا العذاب.

٩- ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ﴾ اعترافٌ منهم بعدل الله وإقرارٌ بأنه تعالى أزاح عِلَلَهم ببعثة الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه ﴿فَكَذَّبۡنَا﴾ أي: فكذبناهم ﴿وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾ مما [يقول المنذِرون المدَّعون للرسالة] مِنْ وَعْدٍ وَوَعيدٍ وغيرِ ذلك ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩﴾ أي: قال الكفارُ للمنذِرين: ما أنتم إلا في خطأ عظيم.

١٠- ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ﴾ الإنذارَ سماعَ طالبِ الحَقّ ﴿أَوۡ نَعۡقِلُ﴾ أي: نَعقِلُه عَقْلَ متأمِّل [لأدَّانا تأمُّلنا إلى صدقه وصحة ما يدعو إليه وأنه لا يجوز خلافه] ﴿مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ في جملة أهل النار، [ولكنهم كانوا يستمعون إليه استماعَ المعانِدِ المكابِرِ الذي لا يتفكَّرُ في صحة ما يَسمع].

١١- ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾ بكفرهم في تكذيبهم الرسُلَ ﴿فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾ فبُعدًا لهم عن رحمة الله وكرامته، اعترفوا أو جَحَدوا فإن ذلك لا ينفعهم.

١٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قبلَ معاينة العذاب، [وقيل: يؤمنون به ويُصدِّقونه في الدنيا بما غاب عنهم مما يكون في الآخرة، وقيل: يخافونه عند المعصية وقد غاب عنهم الخلق لأن خوفهم من الله وليس من تعييب الناس عليهم] ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ للذنوب ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ الجنة.

---

(١) الزبانية الذين يَزْبِنون الناسَ، أي يدفعونهم، وزبانيةُ جهنم يدفعون أهل النار إليها.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾

١٣- ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ روي أن مشركي مكةَ كانوا يَنالونَ من رسول الله ﷺ، فيُخبره جبريلُ بما قالوه فيه ونالوه منه، فقالوا فيما بينهم: أَسِرُّوا قولَكم لئَلا يَسمعَ إلٰهُ محمد، فنزلت، ثم عَلَّله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ بضمائرها قبل أن تُتَرْجِمَ الأَلسنةُ عنها فكيف لا يعلمُ ما تكلَّمُ به!، [ولا يخفى عليه إسرارُكُم كما لا يزيدُه إعلانكم وجهرُكم وضوحًا].

١٤- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ أنكر أَلّا يحيط علمًا بالمُضْمَرِ والمُسَرِّ والمُجهَر مَنْ خَلَقَها، وصفته أنه ﴿ٱللَّطِيفُ﴾: العالِم بدقائق الأشياء ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: العالِمُ بحقائق الأشياء، وفيه إثبات خلق الأقوال، فيكونُ دليلًا على خلق أفعال العباد[1].

١٥- ﴿هُوَ﴾ الله ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ لَيّنةً سَهلة مُذَلَّلةً لا يَمتَنع المشيُ فيها [ولو شاء لجعلها كالشَّوك الذي يَعسُرُ المشيُ عليه] ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها [ونواحيها] استدلالًا واسترزاقًا[2] ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ من رِزْقِ الله فيها ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ وإليه نشوركم[3]، فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم.

١٦- ﴿ءَأَمِنتُم﴾ [أيها المشركون] ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ مَنْ مَلَكوته[4] في

---

(١) أي أن الله هو خالق كلِّ أفعالِكم وأقوالكم، فكيف لا يعلم ما تُسِرُّون وما تعلنون من أقوالكم وهو خالق لها، وهو استفهامُ إنكار.
(٢) استدلالًا على مقاصدكم، وطلبًا للرزق.
(٣) أي: مَبْعثكم ومحشركم.
(٤) أي: سُلطانُه وعَظَمَته.

﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾

السماء، لأنها مسكن ملائكته، ومنها تنزل قضاياه[(١)] وكتبُه وأوامرُه ونواهيه، فكأنه قال: أأمِنتم خالقَ السماءِ وَمَلَكَهُ[(٢)] ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما خَسَفَ بقارون ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ تضطرب وتتحرك [وتدور بكم وهي تبلعكم إلى باطنها].

١٧- ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ حجارة [من فوقكم كما فُعل بقوم لوط عليه السلام. والمعنى: أجُعِلَ لكم من هذين أمانٌ؟! وإذ لا أمان لكم منهما فما معنى تماديكم في شرككم؟! وهذا وعيدٌ عظيم] ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ أي: إذا رأيتم المنذَرَ به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم.

١٨- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنْ قَبلِ قَومِك ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ أي: إنكاري عليهم إذ أهلكتُهم، [وفيه تسليةٌ (إيناسٌ) لرسول الله ﷺ وتهديد ووعيد لقومه المشركين].

ثم نبَّه على قدرته على الخسف وإرسال الحاصب بقوله:

١٩- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾ جمعُ طائر ﴿فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ باسطاتٍ أَجنحتَهُنَّ في الجو عند طيرانهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ ويَضمُمْنَها إذا ضَربنَ بها جنوبَهن ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع عند القبض والبسط ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بقدرته، وكذا لو أمسك حِفظَه وتدبيرَه عن العالم لتهافتَتِ

---

(١) القضايا: الأحكام، مُفْرَدُه: القضاءُ بمعنى الحكم أي: تنزل الملائكة لتنفيذ أحكامه تعالى في خلقه من السَّماء.

(٢) ويقال مَنْ في السماء أي أهلُ السماء، وهم الملائكة، الملائكةُ قادرون أن يخسِفوا بهم الأرض لو أمروا.

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ٢١ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢﴾

الأفلاكُ[1] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩﴾ يعلم كيف يَخلق وكيف يُدَبِّرُ العجائب.

٢٠- ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ المعنى: مَن المشار إليه بالنصر غيرُ الله تعالى [إنِ ابتلاكم الله بعذابه، والاستفهام للإنكار والتوبيخ، ومعناه لا أحدَ يَنصركُم] ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠﴾ ما هم إلا في غرور [غرَّهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم].

٢١- ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ﴾ أم مَنْ يُشار إليه ويقالُ: هذا الذي يرزقكم إن أمسَك رِزقَه [وهو استفهام بمعنى التقريع والتوبيخ، والجواب محذوف: أي لا رازقَ لكم غير الله] ﴿بَل لَّجُّواْ﴾ تَمادَوا ﴿فِي عُتُوّٖ﴾ استكبارٍ عن الحق ﴿وَنُفُورٍ ٢١﴾ وشِرادٍ[2] عنه لثِقَلِه عليهم فلم يتبعوه.

ثم ضرب مثلًا للكافر والمؤمن فقال:

٢٢- ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ﴾ ساقطًا على وجهه يَعْثُرُ كُلَّ ساعة ويمشي معتسفًا[3] ﴿أَهۡدَىٰٓ﴾ أَرشَدُ ﴿أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا﴾ مستويًا منتصبًا سالمًا من العثور والخُرور ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢﴾ على طريق مستوٍ، [ولا شكَّ أن الماشيَ مستقيمًا منتصبًا أهدى، فهكذا فكونوا أيها الناس، فالكافر

---

(١) الأفلاكُ: جمعُ الفَلَك، وهو مَدارُ النجوم والكواكب، والمراد أعيانُها، أي: لتساقطت وهوَت ولم تبقَ قارَّةً في أماكنها في الفضاء.

(٢) شَرَدَ يَشْرُدُ شُرودًا وشرادًا بمعنى نَفَرَ وخرَج وفارَقَ وابتعَدَ.

(٣) مُتسكِعًا متحيرًا لا يهتدي لِوِجْهَتِه.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى
ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ
ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾

أكَبَّ على معاصي الله تعالى في الدنيا فيحشره الله تعالى يومَ القيامة على وجهه، والمؤمن استقامَ على أمر الله تعالى في الدنيا فيبعثه الله تعالى سويًّا مستقيمًا يوم القيامة].

٢٣- ﴿قُلْ﴾ [يا محمد للمشركين المكذبين بالبعث] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ خلَقكم ابتداءً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ خصَّها لأنها ءالاتُ العِلْم ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ هذه النِّعَمَ لأنكم تُشْركون بالله ولا تُخْلِصون له العبادةَ، وقيل القِلةُ عبارةٌ عن العَدَم[1].

٢٤- ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ للحساب والجزاء.

٢٥- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: الكافرون للمؤمنين استهزاءً: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الذي تَعِدوننا به، يعني العذابَ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ في كونه فأعلِمونا زمانَهُ.

٢٦- ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ علمُ وقتِ العذاب ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ مُخَوِّفٌ ﴿مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾ أُبيِّنُ لكم الشرائعَ.

٢٧- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: الوعْدَ، يعني: العذابَ الموعودَ ﴿زُلْفَةً﴾ قريبًا منهم ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ساءَتْ رؤيةُ الوعدِ وجوهَهم بأن عَلَتْها الكآبةُ والمَساءَةُ، وغَشِيَتْها القَتَرَةُ[2] والسَّوادُ ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ القائلون

---

(١) أي لا يشكرون قليلًا ولا كثيرًا، أما الوجهُ الأول فمعناه قليل منكم يُسلم فيكون شاكرًا، وليس معناه أن قليلًا من الكفار يشكرون وهم في كفرهم، لأن الكفرَ والشكرَ لا يجتمعان.

(٢) القَتَرَةُ: غَبَرَةٌ يعلوها سوادٌ وظلمةٌ.

﴿كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

الزَّبانية[1] ﴿كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ تفتعلون مِنَ الدُّعاءِ، أي تسألونَ تعجيلَه وتقولون: ائتِنا بما تَعِدُنا.

٢٨- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾ أماتني ﴿وَمَن مَّعِىَ﴾ مِنْ أصحابي ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ أو أَخَّرَ في ءاجالنا ﴿فَمَن يُجِيرُ﴾ يُنْجي ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ مؤلم، كانَ كفارُ مكةَ يَدْعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك، فأُمِرَ بأن يقول: نحن مؤمنون مُتَربِّصون[2] لإحدى الحُسنَيين، إما أن نَهْلِكَ كما تتمنَّوْنَ فننقلبَ إلى الجنة، أو نُرْحَمَ بالنُّصرة عليكم كما نرجو، فأنتم ما تصنعون؟ مَنْ يُجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار؟ لا بدَّ لكم منه، [لا فَرَجَ لكم بموتنا ولا نجاةَ لكم به من العذاب، إنما النجاة بالإيمان].

٢٩- ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي الذي أدعوكم إليه الرحمٰنُ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ صَدَّقنا به ولم نكفُرْ به كما كفرتم ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فَوَّضنا إليه أُمورنا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا نزلَ بكم العذابُ ﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ نحن أم أنتم.

٣٠- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائرًا ذاهبًا في الأرض لا تنالُهُ الدِّلاءُ ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾ جَارٍ يَصِلُ إليه مَنْ أراده؟

[ويُستحبُّ أن يقول القارئُ عَقِبَ ﴿مَّعِينٍۭ﴾: اللهُ ربُّ العالمين].

---

(١) الزَّبانيةُ: ملائكةُ العذاب، والزَّبانية لغةً: الشُّرَطُ، من الزَّبْنِ وهو الدَّفعُ، وهؤلاء الملائكةُ يدفعون أهلَ النار إليها.

(٢) أي منتظرون، والتربص: الانتظار.

سورة القلم
مكية وهي اثنتان وخمسون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿نٓ﴾ الظاهرُ أن المراد به هذا الحَرفُ من حروف المعجم ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ ما كُتِبَ به اللوحُ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ أي: ما يسطُرُه الحَفَظَةُ. وجوابُ القَسَم:

٢- ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ أي: بإنعامه عليك بالنبوَّة وغيرها ﴿بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ تقديره: [ما أنت - وقد أنعم اللهُ تعالى عليك بالنبوَّة وحَصافَةِ العقل[1] وسائرِ الفضائل - بمجنون].

٣- ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على احتمال [ما تَحمَّلْتَ مِن أثقال النبوَّة، ومِن أذى الكفار بما يَنسُبون إليك مما أنت بَرِيْءٌ منه من المعايِب] والصبرِ عليه ﴿لَأَجْرًا﴾ لثوابًا ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾ غيرَ مقطوع.

٤- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ قيل: هو ما أمره اللهُ تعالى به في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [سورة

---

(١) يقال: حَصُفَ حَصافةً لِجَيِّد الرأي ومُحكَم العقل.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾

الأعراف]، وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان خُلُقُهُ القرءانَ»، أي: ما فيه مِنْ مَكارِمِ الأخلاق.

٥- ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾ عَنْ قَريبٍ ترى ويَرَوْن، وهذا وَعْدٌ له ووعيدٌ لهم.

٦- ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ المجنونُ، لأنه فُتِنَ أي مُحِنَ بالجُنون، أي: في أيِّ الفريقين منكم المجنونُ فريقِ الإسلام أو فريقِ الكفر؟

٧- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ هو أعلم بالمجانين على الحقيقة، وهم الذين ضلُّوا عن سبيله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾ هو أعلم بالعقلاء، وهم المهتدون.

٨- ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ تَهييجٌ للتصميم على مُعاصاتهم[1]، وقد أرادوه على أن يعبدَ الله مُدَّةً، وءالهتَهم مدةً، ويكفُّوا عنه غوائلَهم[2].

٩- ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ﴾ لَو تَلينُ لهم [في دينهم بإجابتك إلى إعظام ءالهتهم] ﴿فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ فيَلينون لك [في عبادة الله تعالى].

١٠- ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثيرِ الحَلِفِ في الحَقّ والباطل، وكفى به مَزْجَرَةً لمن اعتاد الحَلِفَ ﴿مَّهِينٍ ۝١٠﴾ حَقيرٍ في الرأي والتمييز.

١١- ﴿هَمَّازٍ﴾ عَيَّابٍ[3] طَعَّان مُغتاب ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ نَقَّال للحديث مِن قوم إلى قوم على وجه السِّعاية والإفساد بينهم.

---

(١) أي: ترغيبٌ في مُخالفتهم.
(٢) الغوائل: جمع غائلة، والغائلة: الفسادُ والشَّر.
(٣) العَيَّابُ: كثيرُ العَيْبِ للناس.

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ
ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾

١٢- ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بخيلٍ، والخير: المال، أو مَنّاعٍ أهلَهُ مِنَ الخير وهو الإسلام، والمراد به الوليدُ بن المغيرة عند الجمهور، وكان يقول لبنيهِ العشرةِ: مَنْ أسلمَ منكم مَنعته رِفْدِي[1] ﴿مُعْتَدٍ﴾ مُجاوِزٍ في الظلم حَدَّهُ ﴿أَثِيمٍ ۝١٢﴾ كثيرِ الآثام.

١٣- ﴿عُتُلٍّ﴾ غليظٍ جافٍ[2] ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد ما عُدَّ له من المثالِبِ[3] ﴿زَنِيمٍ ۝١٣﴾ دَعيّ، وكان الوليد دَعِيًّا[4] في قريش، ليس من سِنْخِهم[5]، ادَّعاه أبوه بعد ثماني عَشْرَةَ سنةً من مولده.

١٤- ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤﴾ أي: ولا تُطِعْه مع هذه المثالب لأَنْ كان ذا مال، أي لِيَساره [في المال وكثرةِ بنيهِ] وحَظِّهِ من الدنيا.

١٥- ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القرءانُ ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥﴾ [أي أحاديثُ الأولين مِنْ قَبْلِنا وأباطيلُهم].

١٦- ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ سنَكويه ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ على أنفِهِ مَهانةً له، وعَلَمًا يُعرف به، وتخصيص الأنف بالذكر لأن الوسمَ عليه أبشعُ، وقيل: خُطِمَ بالسيف[6] يومَ بدر[7] فبقيَت سِمَةً على خُرطومه.

---

(١) الرِّفدُ: العطاءُ والصِّلةُ.
(٢) من الجفاء وهو القسوة.
(٣) المثالبُ: العيوب، الواحدةُ مَثْلَبَةٌ.
(٤) قال الفراء: الدّعيُ: المُلْصَقُ بالقوم وليس منهم.
(٥) السِّنْخُ: الأصلُ.
(٦) أي: أصيب أَنفُه بالسيف وتَرَكَ ذلك أثرًا على أنفه كما يُخطَمُ البعير بالكيّ، وهو أَنْ يُوسَمَ بخطٍّ من الأنف إلى أحد خَدَّيه.
(٧) ضَعَّف بعض المفسرين حصول ذلك يومَ بدر لأن المشهور أن الوليد بن المغيرة مات قبل بدر.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن
رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

١٧- ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ امتَحَنَّا أَهلَ مكة بالقَحط والجوع حتى أكلوا الجِيَف[1] والرِّمَمَ[2] ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ هم قوم من أهل الصَّلاة[3] كانت لأبيهم هذه الجنة بقرية يقال لها: ضَرَوان[4]، وكانت على فرسخين من صنعاء، وكان يأخذ منها قوتَ سَنَتِهِ ويتصدقُ بالباقي على الفقراء، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أُولو عِيال، فَحَلفوا لَيَصْرِمُنَّها مُصبحين في السَّدَفِ[5] خيفةً من المساكين، ولم يستثنوا في يمينهم، فأَحرَقَ اللهُ جَنتَهم ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ﴾ حَلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ ليقطَعُنَّ ثَمرَها ﴿مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ داخلينَ في الصُّبحِ قبلَ انتشار الفقراء.

١٨- ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ ولا يقولون: إن شاء الله.

١٩- ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ نزلَ عليها بلاءٌ، قيل: أنزل الله تعالى عليها نارًا فأحرقتها ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾ في حال نومهم.

٢٠- ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾ فصارت الجنةُ ﴿كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ كالليل المُظلِمِ أي: احترقت فاسوَدَّت.

٢١- ﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ نادى بعضُهم بعضًا عند الصباح:

٢٢- ﴿أَنِ ٱغْدُواْ﴾ باكِروا ﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي: فأَقْبِلوا على حرثكم باكرين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ مريدين صِرَامَهُ.

---

(١) الجيفةُ: جثةُ الميت إذا أنتنت، والجمع جِيَفٌ.
(٢) الرِّمَّةُ: العِظام البالية، والجمع رِمَمٌ.
(٣) يُريد أنهم من المسلمين.
(٤) بضاد مُعجمة وفتحات.
(٥) السَّدَفُ: اختلاطُ الضوء والظلمة معًا كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار.

﴿فَانطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

٢٣- ﴿فَانطَلَقُوا۟﴾ ذهبوا ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يَتَسارُّونَ فيما بينهم لِئَلَّا يَسمَعَ المساكين.

٢٤- ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ أي: الجنةَ ﴿ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ لا تُمَكِّنوه من الدخول.

٢٥- ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ على جِدّ في المَنْعِ ﴿قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ عند أنفسهم على المنع، أو غَدَوا على تلك الجنة قادرين على صِرَامِها عند أنفسهم.

٢٦- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ أي: جنتَهم مُحترقةً ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾﴾ ضَلَلْنا جنتَنا وما هي بها، لِمَا رأوا من هلاكها، فلَمّا تَأَمَّلوا وعرفوا أَنها هي قالوا:

٢٧- ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ حُرِمنا خَيْرَها لجِنايتنا على أنفسنا.

٢٨- ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدَلُهم وخيرُهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ لولا تذكرون اللهَ وتتوبون إليه من خُبْثِ نيَّتكم، كأنَّ أوسَطَهم قال لهم حين عَزَموا على ذلك: اذكروا اللهَ وانتقامَهُ من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصَوْهُ فعيَّرَهم ولهذا:

٢٩- ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فتكلموا بعد خراب البصرة[1] بما كان يدعوهم إلى التكلم به أولًا، وأقرُّوا على أنفسهم بالظلم في منع المعروف، ونَزَّهُوهُ عن أن يكون ظالمًا.

٣٠- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يَلُومُ بعضُهم بعضًا بما فعلوا من الهَرَب من المساكين، ويُحيلُ كلُّ واحد منهم اللائِمَةَ على الآخر،

---

(١) أي: بعد فوات الأوان.

﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ
وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَـٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

ثم اعترفوا جميعًا بأنهم تجاوزوا الحَدَّ بقوله:

٣١- ٣٢- ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾﴾ بمنع حق الفقراء ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ من هذه الجنة ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ طالبون منه الخيرَ راجونَ لعفوه. عن مجاهد: تابوا فأُبدلوا خيرًا منها.

٣٣- ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: مثلُ ذلك العذاب الذي ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سَلَكَ سبيلَهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أعظَمُ منه ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ لَمَا فعلوا ما يُفضي إلى هذا العذاب.

ثم ذَكرَ ما عنده للمؤمنين فقال:

٣٤- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ جناتٍ ليس فيها إلا التنعُّم الخالصُ بخلاف جنات الدنيا.

٣٥- ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ استفهامُ إنكارٍ على قولهم: لو كان ما يقول محمدٌ حقًّا فنحن نُعطَى في الآخرة خيرًا مما يُعطَى هو ومن معه كما في الدنيا، فقيل لهم: أفنجعل المسلمين كالكافرين؟! [أي: لا نُسَوِّي بينهم]، ثم قيل لهم على طريقة الالتفات:

٣٦- ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هذا الحُكْمَ الأعوجَ، وهو التسويةُ بين المُطيع والعاصي، كأن أَمرَ الجَزاءِ مُفَوَّضٌ إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم.

٣٧- ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَـٰبٌ﴾ من السماء ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ تقرأون في ذلك الكتاب.

٣٨- ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ إن ما تَختارونَهُ وتَشتهونَه لكم، [أي هل عندكم كتاب من السماء تقرأون فيه ذلك؟!].

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ
لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

٣٩- ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا﴾ عهود مؤكَّدة بالأَيمان ﴿بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ تبلغ ذلك اليومَ وتنتهي إليه وافِرةٌ لم تَبطُل منها يمينٌ ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ به لأَنْفُسِكُم [أي هل] أقسمنا لكم بأيمانٍ مُغَلَّظةٍ [في أنَّ لكم في الآخرة ما تحكمون به لأَنفسكم؟].

٤٠- ﴿سَلْهُمْ﴾ أي المشركينَ: ﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحُكمِ ﴿زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ كفيلٌ بأنه يكونُ ذلك.

٤١- ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ ناسٌ يشاركونهم في هذا القول ويذهبونَ مَذهَبَهم فيه ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ في دعواهم، يعني أنه لا كتابَ لهم ينطق به، ولا عهدَ لهم به عند الله، ولا زعيمَ لهم يَضمن لهم من الله بهذا.

٤٢- ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ الكشف عن الساق عبارة عن شدة الأمر وصعوبة الخَطْبِ[١] [أي:] يوم يشتد الأمرُ ويصعُبُ، ولا كشفَ ثَمَّةَ ولا ساقَ، كما نقول للأَقطَعِ الشحيح: يَدُهُ مَغلولةٌ، ولا يَدَ ثمةَ ولا غُلَّ وإنما هو كناية عن البخل. ﴿وَيُدْعَوْنَ﴾ أَي: الكفارُ ثمةَ ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ لا تكليفًا، ولكن توبيخًا على تركهم السجودَ في الدنيا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ذلك لأن ظهورهم تصير كصَياصِي البقر[٢] لا تنثني عند الخفض والرفع.

٤٣- ﴿خَٰشِعَةً﴾ ذليلةً ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي يُدْعَونَ في حال خُشوع أَبصارهم ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يَغشاهم صَغارٌ ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ﴾ على أَلسُنِ الرسل ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ وهم أَصِحَّاءُ فلا يسجدون، فلذلك مُنعوا عن السجود ثَمَّ.

---

(١) الخَطْبُ: الأمر الشديدُ ينزل.
(٢) صياصي البقر: قرونُها.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾

٤٤- ﴿فَذَرْنِي﴾ يقال: ذرني وإياه، أي: كِلْهُ إليَّ فإني أكفيكَهُ ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ بالقرءان، والمراد: كِلْ أمرَه إليّ، فإني عالم بما ينبغي أن يُفعلَ به، مُطِيقٌ له، ولا تَشغَلْ قلبَك بشأنه، وتوكّل عليَّ في الانتقام منه، تَسليةٌ لرسول الله ﷺ، وتهديد للمكذبين ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سَنُدْنيهم من العذاب درجةً درجةً، واستدراج الله تعالى العُصاةَ أن يَرزُقهم الصحةَ والنعمةَ فيجعلون رزقَ الله ذَريعةً[1] إلى ازدياد المعاصي ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج.

٤٥- ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأُمهِلُهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ قويٌّ شديدٌ، فَسَمَّى إحسانَه وتمكينَهُ كيدًا كما سماهُ استدراجًا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببًا للهلاك. والأصل أن معنى الكَيدِ والمَكرِ والاستدراج هو الأَخذُ مِنْ جِهةِ الأَمْنِ، ولا يجوز أن يُسمى الله كائدًا وماكرًا ومستدرجًا.

٤٦- ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ غَرامَةٍ ﴿مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فلا يُؤمنون، استفهامٌ بمعنى النفي، أي: لستَ تطمَعُ أجرًا على تبليغ الوحي، فيثقُلَ عليهم ذلك، فيمتنعوا لذلك.

٤٧- ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: اللوحُ المحفوظ عند الجمهور ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ منه ما يَحكُمونَ به.

٤٨- ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخيرُ نُصرتك عليهم، لأنهم وإن أُمهلوا لم يُهْمَلوا ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ كيونُسَ عليه السلام في

---

(١) أي: وسيلةً.

﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾

العَجَلَةِ والغَضب على القوم حتى لا تُبتلَى بِبَلائِه، والوقفُ على الحوت لأن إذ ليس بظرفٍ لِمَا تَقَدَّمَهُ، إذ النداءُ طاعةٌ فلا يُنهَى عنه، بل مفعولُ محذوفٍ أي اذكُرْ ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا ربه في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الأنبياء] ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ مملوء غيظًا [على قومه، مَغمومٌ مهموم].

٤٩- ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ﴾ رَحمةٌ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ لولا أن الله أنعم عليه بإجابة دعائه وقَبولِ عذره ﴿لَنُبِذَ﴾ [لَطُرِحَ] من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالفَضَاءِ [مِنَ الأرض] ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ مُعاتَب بِزَلَّتهِ[١]، لكنه رُحم فَنُبِذَ غيرَ مذموم.

٥٠- ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ اصطفاه لِدُعائِهِ وَقَبولِ عُذرِهِ ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ من المستكمِلين لصفات الصلاح ولم يبقَ له زَلة.

٥١- ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ قارَبَ الكفارُ من شِدة نَظَرهم إليك شَزْرًا[٢] بعيون العداوة أن يُزيلوك بأبصارهم عن مكانك أو يُهلكوك لشدة حَنَقِهم[٣] عليك. وكانت العينُ في بني أَسَدٍ، فكان الرجل منهم يتجَوَّعُ ثلاثةَ أيام فلا يَمُرُّ بِهِ شيءٌ[٤] فيقول فيه: لم أرَ كاليومِ مثلَه إلا هَلَكَ، فأُريدَ بعضُ العَيَّانِينَ على أن يقولَ في رسول الله ﷺ مثلَ ذلك، فقال: لم أر كاليومِ مثلَه رجلًا، فعَصَمَه الله من ذلك.

---

(١) الحنفية يُعبرون بالزَّلة عما هو أقل من المعصية مما يعاتَبُ عليه.
(٢) أي: غضبًا بعيون المُبغِضِ المعادي.
(٣) الحَنَقُ: شدَّةُ الاغتياظ.
(٤) أي: من الإبل والبقر وغيرِهما.

﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾

وفي الحديث: «**العين حَقٌّ**»[1]، وعن الحسن: رُقية العينِ هذه الآية. ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ القرءانَ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسدًا على ما أُوتيتَ منَ النبوة: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١﴾ إن محمدًا لمجنون حَيْرَةً في أَمره وتنفيرًا عنه.

٥٢- ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرءانُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وَعْظٌ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾ للجنّ والإنس، يعني أنهم جَنَّنوه[2] لأَجْلِ القرءانِ، وما القرءانُ إلا موعظةٌ للعالمين، فكيف يُجَنَّن مَنْ جاءَ بمثله.

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) أي: نسبوا إليه الجنون.

سورة الحاقة
مكية وهي اثنتان وخمسون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ ﴾ الساعةُ الواجبةُ الوقوعِ الثابتةُ المجيءِ التي هي ءايةٌ لا رَيبَ فيها، مِنْ: حَقَّ يَحِقُّ بالكسر أي وَجَبَ.

٢- ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ ﴾ أَيْ أَيُّ شَىءٍ هي؟ تفخيمًا لشأنها وتعظيمًا لِهَوْلها، أي حَقُّها أن يُستفهم عنها لعِظَمها.

٣- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ وأَيُّ شىء أَعلَمَك ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ ﴾ [مبالغةٌ في التهويل]، يعني: أَنك لا عِلمَ لك بكُنْهِهَا[١] ومَدَى عِظَمها، لأنه مِنَ العِظَم والشدة بحيث لا تبلغُهُ دِرايةُ المخلوقين.

٤- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ ﴾ أي: بالحاقَّة، فَوُضعَتِ القارعةُ موضِعَها لأنها من أسماءِ القيامة وسُميت بها لأنها تَقْرَعُ[٢] الناسَ بالأَفزاع والأَهوال، وَلَمَّا ذَكَرها وفَخَّمها أَتبعَ ذِكرَ ذلك ذِكرَ مَنْ كَذَّبَ

---

(١) أي بحقيقتها، والكُنْهُ جوهر الشيء وحقيقتُه.
(٢) أي تضربُ الناس وتصيبهم، والقارِعَةُ النازِلَةُ الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم من الأهوال والأفزاع.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾

بها وما حَلَّ بهم بسبب التكذيب تذكيرًا لأهل مكة وتخويفًا لهم من عاقبة تكذيبهم.

٥- ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ﴾[(١)] ﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ بالواقِعَةِ المُجاوِزَةِ لِلحَدِّ في الشدة. واختلف فيها، فقيل: الرجفة[(٢)]، وقيل: الصيحة[(٣)].

٦- ﴿وَأَمَّا عَادٌ﴾[(٤)] ﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ﴾ أي: بالدَّبور لقوله ﷺ: «**نُصِرتُ بالصَّبا وأُهلكتْ عادٌ بالدَّبور**»[(٥)(٦)] ﴿صَرْصَرٍ﴾ شديدةِ الصوت، من الصَّرَّة: الصَّيحةِ، أو باردةٍ، مِنَ الصِّرِّ[(٧)] كأنها التي كُرِّرَ فيها البردُ وكَثُرَ فهي تُحرق بشدة بردها ﴿عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ شديدةِ العَصْفِ، أو عَتَتْ على خُزَّانها فلم يَضبطوها[(٨)] بإذن اللهِ غضبًا على أَعداءِ الله.

٧- ﴿سَخَّرَهَا﴾ سلَّطها ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ وكان ابتداءُ العذاب يومَ الأَربعاء ءاخِرَ الشهر إلى الأربعاء الأخرى ﴿حُسُومًا﴾ أي متتابعةً لا تنقطعُ، تمثيلًا لتتابعها بتتابع فِعلِ الحاسِمِ في إعادةِ الكَيِّ على

---

(١) قوم نبي الله صالح عليه السلام، وثمودُ اسم أبيهم الأكبر، وكانت مساكنهم بين الحجاز والشام.
(٢) الزلزلة الشديدة التي زلزلتِ الأرضَ تحت أقدامهم وخلعت قلوبهم ومزقتها في صدورهم بعدما عقروا الناقة التي أُمروا ألّا يَمَسُّوها بسوء.
(٣) أي أتتهم صيحة من السماء، قيل فيها صوتُ كلِّ صاعقة وصوتُ كلِّ شيء له صوتٌ في الأرض فمزقت قلوبهم في صدورهم.
(٤) عادٌ: قومُ نبي الله هود عليه السلام، وسيأتي ذكرهم في تفسير سورة الفجر.
(٥) رواه البخاري.
(٦) الدَّبورُ: الريحُ الغربية التي تهب من دُبُرِ الكعبة من المغرب، بخلاف الصبا ويقال لها القَبول، وهي تَهب من جهة باب الكعبة من المشرق، ونصر اللهُ نبيَّه يوم الخندق بريح الصبا، الريح الشرقية، فكفأت قدورَهم، ونزعت خيامهم حتى أظعنتهم.
(٧) الصِّرُّ: بالكسر شِدَّةُ البرد.
(٨) أي خرجت في ذلك الوقت بغير مقدار بأيدي الملائكة.

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ
فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا
طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

الداءِ كَرَّةً بعد أخرى حتى ينحسِمَ[1]، وجاز أن يكون مصدرًا أي: تَحسِم حسومًا، بمعنى: تستأصلُ استئصالًا ﴿فَتَرَى﴾ أيها المخاطَبُ ﴿ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾ في مَهَابِّها، أو في الليالي والأيام ﴿صَرْعَىٰ﴾ جمعُ صَريع ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ أُصولُ ﴿نَخْلٍ﴾ جمعُ نخلة ﴿خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ ساقطة أو بالية، [أي خَلَت بسبب البِلَى والفساد].

٨- ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ من نفس باقية.

٩- ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ ومَنْ تَقدَّمه من الأمم[2]، ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ قُرى قوم لوطٍ فهي ائتُفِكَت أي انقلَبَت بهم [حتى صار عاليها سافلَها] ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾﴾ بالخطأ، أو بالفَعلة، أو بالأفعال ذات الخطأ العظيم.

١٠- ﴿فَعَصَوْا۟﴾ أي: قومُ لوطٍ ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ لوطًا ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ شديدةً زائدةً في الشِّدةِ[3] كما زادت قبائحُهم في القُبحِ.

١١- ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ ارتفعَ وقتَ الطُّوْفان على أعلى جبل في الدنيا خمسة عَشَرَ ذراعًا ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ أي ءاباءكم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ في سفينة نوح عليه السلام.

١٢- ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: الفَعلةَ، وهي إنجاءُ المؤمنين وإغراقُ الكافرين، [أو لنجعل السفينة التي حملناكم فيها] ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عِبرةً وعِظة ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ وتحفظَها ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ حافظةٌ لِمَا تَسْمَعُ، قال قتادة: وهي أُذُنٌ عَقَلَتْ عن الله وانتفعت بما سمعت.

---

(١) أي: ينقطع.
(٢) كقوم نوحٍ وكعادٍ وثمودَ.
(٣) من رَبَا يربو إذا زاد.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ
ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ
يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾﴾

١٣- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾﴾ هي النفخةُ الأُولى ويموتُ عندَها الناس، والثانيةُ يُبعثون عندَها.

١٤- ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾ رُفِعتا عن مَوضِعِهما ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾﴾ دُقَّتا وكُسرتا، أي: ضُربَ بعضُها ببعض حتى تَندَقَّ وترجعَ كثيبًا مَهيلًا وهباءً منبثًّا[(١)].

١٥- ﴿فَيَوۡمَئِذٖ﴾ فحينئذ، [أي: إذا نُفِخَ في الصور] ﴿وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ نزلتِ النازلةُ، وهي القيامة.

١٦- ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ فُتِّحَت أبوابًا، [وقيل: تصدَّعت] ﴿فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾﴾ مُسْتَرخيةٌ ساقطةُ القوةِ بعد ما كانت محكمةً.

١٧- ﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ والملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ جوانِبِها، لأنها إذا انشقت وهي مَسْكن الملائكة يلجأون إلى أطرافها ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ﴾ فوقَ المَلَكِ الذين على أرجائها ﴿يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾﴾ منهم واليومَ تَحمِلُه أربعةٌ وزيدت أربعةٌ أُخَرُ يومَ القيامة، وعن الضَّحَّاكِ: ثمانيةُ صفوفٍ، وقيل: ثمانيةُ أَصنافٍ.

١٨- ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ﴾ للحساب والسؤال، شُبِّهَ ذلك بعَرْض السلطانِ العَسْكَرَ لِتَعَرُّفِ أَحواله ﴿لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾﴾ سَريرةٌ وحالٌ كانت تَخفَى في الدنيا، وفي الحديث: «**يُعرَضُ الناسُ يومَ القيامةِ ثلاثَ عَرَضَاتٍ فأما عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ ومَعَاذِيرُ، وأما الثالثةُ فَعِنْدَها تطيرُ الصُّحُفُ فيأخذُ الفائزُ كتابَهُ بيمينِهِ والهالكُ كتابَهُ بشِمالِهِ**».

---

(١) كثيبًا: أي رملًا مجتمعًا، ومَهيلًا أي: سائلًا متناثرًا بعد اجتماعِهِ كما إذا حُرِّك أسفلُه فانهالَ من أعلاه، وهباءً منبثًّا أي: غبارًا منتشِرًا.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦﴾

١٩- ﴿فَأَمَّا﴾ تفصيلٌ للعَرْض ﴿مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ سرورًا به لِمَا يَرى فيه من الخيرات خِطابًا لجماعته ﴿هَآؤُمُ﴾ أي: خذوا ﴿ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾ تقديره: هاؤم كتابيَ اقرؤوا كتابيه، والهاء في كتابِيَهْ وحِسَابِيَهْ وماليَهْ وسُلطانيَهْ للسَّكْت.

٢٠- ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ عَلِمْتُ [وأيقنت واعتقدتُ، وليس معناه الظنَّ الذي هو تجويز الوقوع] ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾ مُعاينٌ حِسَابِيْ.

٢١- ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١﴾ ذات رِضًا يَرضَى بها صاحبها.

٢٢- ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢﴾ رفيعةِ المَكانِ، أو رفيعةِ الدرجات، أو رفيعة المباني والقُصور.

٢٣- ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣﴾ ثِمارُها قريبةٌ من مُريدِها يَنالُها القاعدُ كالقائم يقال لهم:

٢٤- ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾ أكلًا وشُربًا هنيئًا لا مَكروهَ فيهما ولا أَذى ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ بما قَدَّمتُم منَ الأعمال الصالحة ﴿فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾ الماضيةِ مِنْ أَيام الدنيا، وعن ابن عباس: هي في الصائمين، أي كُلوا واشربوا بَدَلَ ما أَمسكتم عن الأكل والشُرب لوجهِ الله، [وقيل: هي على العموم].

٢٥- ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [أي: الكافر الذي يُعطَى كتابَه بشِماله وفيه سيئاتُه كلُّها] ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥﴾ لِمَا يَرَى فيه من الفضائح.

٢٦- ﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦﴾ أي: يا ليتني لم أَعلَمْ ما حِسَابيْ.

﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾﴾

٢٧- ﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾ يا لَيتَ المَوتة التي مِتُّها ﴿كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: القاطِعَةَ لأَمري فلم أُبعَثْ بعدَها ولم أَلقَ ما أَلقَى.

٢٨- ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾﴾ أي: لم ينفعني ما جَمعتُه في الدنيا شيئًا.

٢٩- ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ مُلكي وتَسَلُّطي على الناس وبقيتُ فقيرًا ذليلًا، فيقول الله تعالى لخَزَنَةِ جهنم:

٣٠- ٣٢- ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ أي اجمَعوا يديهِ إلى عُنُقِهِ [بالأغلال] ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ أدخِلوه النارَ[1] العظمى ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا﴾ طولها ﴿سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾ بذراع المَلَكِ، وقيل: لا يَعرِفُ قَدْرَها إلا اللهُ ﴿فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ فأدخِلُوهُ، [ولطولها تلتوي عليه من جميع جهاته فيبقى داخلًا فيها مضغوطًا حتى تَعُمَّهُ].

٣٣- ٣٧- ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعليل، كأنه قيل: ما له يُعذَّبُ هذا العذابَ الشديد؟ فأجيب بأنه ﴿كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ على بَذلِ طعام المسكين، وفيه إشارة إلى أنه كان لا يؤمن بالبعث لأن الناسَ لا يطلبونَ منَ المساكينِ الجزاءَ فيما يُطعمونَهم وإنما يُطعمونَهم لوجهِ الله ورجاءَ الثوابِ في الآخرة، فإذا لم يؤمنْ بالبعث لم يكن له ما يَحمِلُه على إطعامهم، أي: أنه مع كفره لا يُحرِّضُ غيرَه على

---

(١) يقال صَلَى اللحمَ وغيرَهُ يَصْليهِ صَلْيًا شواه، وصَلَيتُ اللحمَ بالتخفيف على وجه الصلاح معناه شويتُه، وأما أَصليتُهُ وصلَّيْتُهُ فعَلَى وجهِ الفساد والإحراق، وأَصلاهُ النار أدخلَهُ إياها وأَثواهُ فيها، وفي الحديث أن النبي عليه السلام أُتيَ بشاة مَصْلِيَّةٍ أي مَشوية.

﴿فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا
تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا
بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢﴾

إطعام المحتاجين، وفيه دليل قويٌّ على عُظْم جُرْم حِرْمان المسكين لأنه عَطفَه على الكفرِ وجَعَلَه دليلًا وقرينةً له، ولأنه ذكرَ الحَضَّ دون الفعل ليُعلَمَ أن تارك الحَضّ إذا كان بهذه المنزِلة فتاركُ الفعلِ أَحَقُّ، وعن أبي الدرداء أنه كان يَحُضُّ امرأته على تكثير المَرَق لأجل المساكين ويقول: خَلَعْنا نِصفَ السِّلسِلَة بالإيمان فلنخلَعْ نصفَها بهذا. وهذه الآياتُ ناطِقَةٌ على أن المؤمنين يُرحمون جميعًا والكافرين لا يرحمون، لأنه قَسَمَ الخلق صِنفين، فجعَلَ صِنفًا منهم أَهلَ اليمين ووصفهم بالإيمان فَحَسْبُ بقوله: إني ظننتُ أَني مُلاقٍ حِسابِيَه، وصنفًا منهم أهلَ الشِّمالِ ووصفَهم بالكفر بقوله: إنه كان لا يؤمن بالله العظيم، وجاز أن الذي يعاقَبُ من المؤمنين إنما يعاقَبُ قبلَ أن يُؤتَى كتابَه بيمينه ﴿فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥﴾ قريب يدفَعُ عنه ويحتَرِقُ له قَلبُه ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦﴾ غُسَالَةِ أَهلِ النار، وأُريدَ به هنا ما يَسيلُ من أَبدانهم مِنَ الصَّدِيدِ والدَّم ﴿لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧﴾ الكافرونَ أَصحابُ الخطايا.

٣٨- ٤٠- ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨﴾ مِنَ الأجسامِ والأَرضِ والسماء ﴿وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩﴾ مِنَ الملائكة والأَرواح، [أي: فأُقسِمُ بكل هذه الأشياء، و«لا» مَزِيْدَةٌ، وقيل في تفسير الآية: لا أُقسِمُ لظهور الأمر واستغنائِهِ عن التحقيق بالقَسَم] ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: إن القرءان ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠﴾ أي: محمدٍ ﷺ أو جبريلَ عليه السلام، أي: يقولُه ويتكلَّمُ به على وَجْهِ الرسالةِ من عندِ الله.

٤١- ٤٧- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ﴾ كما تَدَّعونَ ﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ ٤٢﴾ [تأتيه الشياطين ويُلقونَ إليه ما سمعوه من أخبار السماء] كما تقولونَ ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢﴾ والقلة في معنى العدم، يقال: هذه

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾

الأرض قَلَّما تُنبِتُ أي لا تُنبتُ أصلًا، والمعنى: لا تؤمنون ولا تَذَكَّرونَ ألبتةَ ﴿تَنزِيلٌ﴾ [بل] هو تنزيلٌ، لأنه قولُ رسول نُزِّلَ عليه ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ ولو ادَّعى علينا شيئًا لم نقله ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ لقتلناه صَبْرًا كما يَفعَلُ الملوكُ بمن يَتكذَّبُ عليهم مُعاجَلَةً بالسَّخَط والانتقام، فَصَوَّرَ قَتْلَ الصَّبْرِ بصورته ليكون أَهولَ، وهو أن يؤخَذَ بيدِهِ وتُضْرَبَ رقبته، وخَصَّ اليمينَ لأَن القَتَّالَ إذا أَراد أن يُوقِعَ الضَّرْبَ في قَفاهُ(١) أَخذَ بيسارهِ وإذا أَرادَ أن يوقِعَه في جيدِهِ(٢) وأَن يَكفَحَهُ(٣) بالسَّيفِ - وهو أشدُّ على المَصْبورِ(٤) لنظَرِهِ إلى السيفِ - أَخذَ بيمينِهِ، ومعنى لأَخذنا منه باليمين: لأخذنا بيمينه، وكذا ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ لقطعنا وَتِيْنَهُ(٥)، وهو نِياط(٦) القلب، إذا قُطِعَ ماتَ صاحبُه ﴿فَمَا مِنكُم﴾ الخطاب للناس أو للمسلمين ﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾ مِنْ زائدةٌ ﴿عَنْهُ﴾ عن قتل محمد، [أو المُتَقَوِّلِ علينا]، ﴿حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ وإن كانَ وَصْفَ أَحدٍ لأنه في معنى الجماعة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [سورة البقرة].

---

(١) القفا: مؤخر العنق.
(٢) الجيْدُ: العُنقُ.
(٣) يكفَحُهُ: يلقاهُ مواجهة، ومنه المكافحة في الحرب: المضاربة تلقاء الوجوه، وجهًا لوجه.
(٤) المصبورُ: المحبوس لضرب عنقه، وقيل عن كل مَنْ قُتِلَ في غير معركة ولا حرب ولا خطأ: قُتِلَ صَبْرًا.
(٥) عِرْق لاصِقٌ بالصُّلْب، يَسقي العروقَ كلَّها الدَّمَ، ويستقي مِنَ الفؤاد.
(٦) نِياطُ القلب: عِلاقَتُهُ، وهو العِرْقُ الذي القلبُ متعلقٌ به.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

٤٨- ٥٢- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرءانَ ﴿لَتَذْكِرَةٌ﴾ لَعِظَةٌ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [لأنهم المنتفعون منه] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم﴾ [أيها الناس] ﴿مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [به، وذلك لا يخرجه من أن يكون تذكرة، وسنجازيهم على تكذيبهم] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرءانَ ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ به المكذبينَ له إذا رَأَوا ثوابَ المُصَدقين به ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرءان ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ لَعَيْنُ اليقين ومَحْضُ اليقين ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ فَسَبحِ اللهَ بذكرِ اسمِه العظيم، وهو قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾.

سورة المعارج
مكية وهي أربع وأربعون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ هو النَّضْرُ بنُ الحارث قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٢﴾ [سورة الأنفال] أو هو النبيُّ ﷺ دعا بنزول العذاب عليهم، ولَمَّا ضُمِّنَ سَأَلَ معنى دعا عُدِّي تَعْدِيَتَهُ كأنه قيلَ: دعا داعٍ ﴿بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾ [نازِلٍ بهم لأَجلِ كفرهم لا مَحالَةَ] من قولك: دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه.

٢- ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ صِفةٌ لعذابٍ، أي: بعذابٍ واقعٍ كائنٍ للكافرين ﴿لَيۡسَ لَهُۥ﴾ لذلك العذاب ﴿دَافِعٞ ۝٢﴾ رَادٌّ.

٣- ٤- ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: واقِعٍ مِن عنده، ليس له دافعٌ إذا جاء وقتُه ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣﴾ أي: مصاعِدِ السماءِ للملائكة، جَمْعُ مَعْرَجٍ وهو موضِعُ العُروجِ. ثم وَصَفَ المَصاعِدَ وبُعْدَ مَدَاها في العُلُوّ والارتفاع فقال: ﴿تَعۡرُجُ﴾ تَصعَدُ، ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ أي جبريلُ عليه السلام، خَصَّهُ بالذِّكر بعدَ العُموم لِفَضْله وشَرَفِهِ ﴿إِلَيۡهِ﴾ إلى عَرشِه ومَهْبِطِ أَمرِهِ ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ يقعُ في يوم طويلٍ مقدارُه

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩﴾

خمسون ألفَ سَنَةٍ من سِنيكم، وهو يومُ القيامة، فإما أن يكون استطالةً له لِشِدَّته على الكفار، أو لأنه على الحقيقة كذلك، فقد قيل: فيه خمسونَ مَوطِنًا[١] كلُّ مَوْطِنٍ ألفُ سَنة، وما قَدْرُ ذلك على المؤمن [التقيّ] إلا كما بينَ الظُّهر والعَصْر.

٥- ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ لأن استعجال النَّضْرِ بالعذاب إنما كان على وَجْهِ الاستهزاء برسول الله ﷺ والتكذيب بالوحي، وكان ذلك مما يُضْجِرُ رسولَ الله ﷺ فأُمِرَ بالصبر عليه ﴿صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥﴾ بلا جَزَعٍ[٢] ولا شكوى.

٦- ﴿إِنَّهُمۡ﴾ إن الكفارَ ﴿يَرَوۡنَهُۥ﴾ أي: العذابَ، أو يومَ القيامة ﴿بَعِيدٗا ٦﴾ مُستحيلًا[٣].

٧- ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧﴾ كائنًا لا مَحَالة، فالمرادُ بالبعيدِ: البعيدُ من الإمكانِ، وبالقريبِ: القريبُ منه.

٨- ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ﴾ [أي: يكونُ، أو يَقَعُ] في ذلك اليوم، يوم تكون السماءُ ﴿كَٱلۡمُهۡلِ ٨﴾ كَدُرْدِيّ الزيتِ[٤]، أو كالفضة المُذَابة في تَلوُّنها.

٩- ١٠- ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩﴾ كالصُّوفِ المَصْبوغ ألوانًا، لأن الجبالَ جُدَدٌ[٥] بِيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ ألوانُها وَغَرابِيْبُ[٦] سُوْدٌ فإذا

---

(١) المواطِنُ: المواقفُ، أي: مواقفُ يوم القيامة.
(٢) الجَزَعُ: نقيضُ الصبر، والجَزُوعُ ضد الصَّبُور.
(٣) أي: كان هذا الاستبعادُ منهم على وجه الاستحالة، أي غيرُ واقع.
(٤) دُرْدِيُّ الزيت: ما يبقى في أسفَلِهِ، أي: عَكَرُ الزيت.
(٥) كما ورد في ءايةِ سورةِ فاطر: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ﴾ إلى ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾، والجُدَدُ الخِطَطُ والطرائق تكون في الجبالِ بيضٌ وسُودٌ وحُمْرٌ.
(٦) غرابيبُ: أي سُودٌ حالكةُ السواد جمعُ غِربيب وهو شديد السواد، أي: وفي الجبال صخور شديدةُ السواد.

﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦﴾

بُسَّتْ[(١)] وطُيِّرت في الجو أَشبهَتِ العِهْنَ المَنفوشَ إذا طيَّرَتْهُ الريحُ ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠﴾ لا يَسأل قريبٌ عن قريبٍ لاشتغاله بِنَفْسه.

١١- ١٤- ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ كأنه لَمَّا قالَ: ولا يَسأَلُ حميمٌ حميمًا قيل: لَعَلَّه لا يُبصِرُه فقيل: يُبَصَّرُونَهم، ولكنَّهم لتَشَاغُلهم لم يتمكنوا من تَسَاؤلهم، أي: يُبصَّرُ الأَحِمَّاءُ الأَحِمَّاءَ فلا يَخْفَونَ عليهم، ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ﴾ يتمنى المشركُ ﴿لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ﴾ [يَوَدُّ الكافر من عظيم ما ينزل عليه يومئذ من البلاء أن يفتديَ نفسه لو وَجَدَ إلى ذلك سبيلًا بأحب الناس إليه] ﴿بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ ١٢﴾ وزوجته ﴿وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ١٣﴾ وعَشِيْرَته الأَدْنَيْنَ ﴿ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣﴾ تَضُمُّه انتماءً إليها، ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ مِنَ الناس ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤﴾ الافتداءُ، عطفٌ على يفتدي[(٢)].

١٥- ﴿كَلَّآۖ﴾ ردعٌ للمجرم عن الوَدَادَةِ[(٣)] وتنبيه على أنه لا ينفعُه الافتداء ولا يُنجيه مِنَ العذاب ﴿إِنَّهَا﴾ إن النار، وَدَلَّ ذِكرُ العذاب عليها، ﴿لَظَىٰ ١٥﴾ عَلَمٌ للنار، [لأنها تتلظّى أي: تتلهَّبُ على الكفار].

١٦- ﴿نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦﴾ لأَطرافِ الإنسان كاليدين والرجلين، أَو جَمْعُ شَوَاةٍ وهي جِلدةُ الرأس تنزِعُها نَزْعًا [بشدَّةِ تلظِّيها] فتفرِّقها، ثم تَعودُ إلى ما كانت.

---

(١) بُسَّت: أي حُطِّمَت وتَفَتَّتَتْ حتى عادت كالسَّويق المبسوس، أي: المبلول بِسَمْن أو زيت أو غيرهما، والسَّويقُ ما يُتخذ من الحنطة أو الشعير زادًا للسَّفر وغيره.
(٢) أي يتمنَّى أن يفتديَ نفسه بكل هؤلاء، ويتمنى أن يُنْجِيَه ذلك الافتداء.
(٣) الوَدادَةُ بالفتح التمنِّي.

﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ
جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ
أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦﴾

١٧- ﴿تَدْعُواْ﴾ بأسمائهم: يا كافِرُ يا منافِقُ إِليَّ إليَّ، أَو لمَّا كانَ مَصِيرُهُ إليها جُعِلَت كأنها دَعَتْهُ ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحَقّ ﴿وَتَوَلَّىٰ ۝١٧﴾ عن الطاعة.

١٨- ﴿وَجَمَعَ﴾ المالَ ﴿فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾ فَجَعَله في وِعاءٍ ولم يُؤدِّ حَقَّ الله منه.

١٩- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أُريدَ به الجِنسُ ليَصِحَّ استثناءُ المصلّينَ مِنْهُ ﴿خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: تفسيره ما بعده.

٢٠- ٢١- ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ والهَلَعُ: سُرْعَةُ الجَزَع عند مَسّ المكروه وسُرعةُ المَنْع عندَ مَسّ الخير. إذا نالَهُ شَرٌّ أَظهَرَ شِدَّةَ الجَزَع[1] وإذا نالَهُ خيرٌ بَخِلَ بهِ ومَنَعَهُ الناسَ، وهذا طَبْعُهُ وهو مأمورٌ بمخالفةِ طَبْعِه وموافقةِ شَرْعِهِ، والشَّر: الضُّرُّ والفقرُ. والخيرُ: السَّعَةُ والغِنَى، أو المَرَضُ والصِّحَّةُ.

٢٢- ٢٣- ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ ۝٢٣﴾ أي: صَلَواتِهم الخَمْسِ ﴿دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ يُحافظون عليها في مواقيتها.

٢٤- ٢٥- ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤﴾ يعني: الزكاة، لأنها مُقَدَّرةٌ معلومة، ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ الذي يَسأَلُ ﴿وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾ الذي يَتعفَّفُ عن السؤال فَيُحْسَبُ غنيًّا فَيُحْرَمُ.

٢٦- ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦﴾ يومِ الجَزاءِ والحسابِ، وهو يومُ القيامة.

---

(١) الجَزَعُ بالتحريك: نَقيضُ الصبر.

﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾

٢٧- ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ خائفون[١].

٢٨- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ أي: لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الاجتهاد والطاعة أَنْ يَأمَنَهُ، وينبغي أن يكون مُتَرَجِّحًا بينَ الخوفِ والرجاء.

٢٩- ٣٠- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ﴿٣٠﴾﴾ نِسائهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: إِمائِهم ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾﴾ على ترك الحِفْظِ.

٣١- ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ﴾ طَلَبَ مَنْكِحًا ﴿وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ غيرَ الزوجاتِ والمَمْلُوكات ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾ المتجاوزونَ عن الحَلال إلى الحرام. وهذه الآية تدل على حُرمةِ المُتعة وَوَطءِ الذُّكرانِ والبهائمِ والاستمناءِ بالكَفِّ.

٣٢- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ تتناولُ أماناتِ الشرعِ وأماناتِ العباد ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ أي: عُهودهم، ويدخلُ فيها عهودُ الخَلْقِ والنذورُ والأَيمانُ ﴿رَاعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ حافظون غيرُ خائنين ولا ناقِضِين.

٣٣- ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يُقيمونها عندَ الحُكَّام بلا مَيْلٍ إلى قريبٍ وشريفٍ وترجيحٍ للقَويّ على الضعيف إظهارًا للصَّلابة في الدين ورغبةً في إحياءِ حقوق المسلمين.

٣٤- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ كَرَّرَ ذِكرَ الصلاةِ لبيان أنها أَهَمُّ، أو لأن إحداهما للفَرَائضِ والأُخرى للنوافلِ، وقيل: الدوام

---

(١) الشَّفَقُ: الخِيفَةُ، تقول: أنا مُشْفِقٌ وشفيقٌ عليك، أي: خائف عليك.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾

عليها: الاستكثارُ منها، والمحافظةُ عليها: أَلّا تُضَيَّعَ عن مواقيتها، أو الدوامُ عليها: أداؤها في أوقاتها، والمحافظةُ عليها: حِفْظُ أَركانها وواجباتها وسُنَنِها وءادابها.

٣٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أصحابُ هذه الصفاتِ ﴿فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾ [يكرمهم الله بثواب لم تره عين ولم تسمع به أذن ولا يخطر على قلب بشر].

٣٦- ﴿فَمَالِ﴾ كُتِبَ مَفصُولًا اتّباعًا لمصحَفِ عثمانَ رضي الله عنه [أي فما شأن] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦﴾ نحوَكَ مُسرعينَ.

٣٧- ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ عن يمين النبي ﷺ وعن شماله ﴿عِزِينَ ٣٧﴾ فِرَقًا شَتَّى جَمْعُ عِزَةٍ[1]، كأَنَّ كُلَّ فِرقَةٍ تَعْتَزي[2] إلى غير من تعتزي إليه الأخرى، فهم مُفترقون.

كان المشركون يَحْتَفُّونَ حولَ النبي ﷺ حَلَقًا وفِرَقًا فِرَقًا يَستمعون ويستهزئونَ بكلامه ويقولون: إن دَخلَ هؤلاءِ الجنةَ كما يقول محمدٌ فَلَنَدخُلَنَّها قبلَهم، فنزلت:

٣٨- ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [مع هذا] ﴿أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨﴾ كالمؤمنين [الذين وصفناهم بهذه الأعمال].

٣٩- ﴿كَلَّآۖ﴾ رَدْعٌ لهم عن طَمَعِهم في دخولِ الجنة ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾ أي مِنَ النُّطفَةِ المَذِرَةِ[3] ولذلك أَبْهَمَ إشعارًا بأنه مَنْصِبٌ

---

(١) العِزَةُ: العُصْبَةُ من الناس، والجماعةُ والفِرْقَة.
(٢) أي: تنتسِبُ، من الاعتزاء أي الانتساب.
(٣) أي: رائحتها كرائحة البيضةِ المَذِرَة أي الفاسدة، يقال: مَذِرَتِ البيضةُ أي فَسَدَت.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

يُسْتَحْيا مِنْ ذِكرِه، فَمِنْ أَين يتشرفونَ ويدَّعون التقدُّمَ ويقولونَ: لندخُلَنَّ الجنةَ قبلَهم، أو معناه: إنا خلقناهم من نُطفةٍ كما خلقنا بني ءادمَ كُلَّهم ومِنْ حُكمِنا ألّا يدخُلَ أَحدٌ الجنةَ إلا بالإيمان، فَلِمَ يَطمَعُ أن يَدخُلَها مَنْ لا إيمانَ له.

٤٠- ٤١- ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ مَطالعِ الشمسِ ﴿وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ ومغارِبِها ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴿٤١﴾﴾ على أن نُهْلِكَهم ونأتيَ بِخَلقٍ أَمْثَلَ منهم وأَطوَعَ للهِ ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ بعاجزين.

٤٢- ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ فَدَعِ المكذبينَ ﴿يَخُوضُواْ﴾ في باطِلِهم ﴿وَيَلۡعَبُواْ﴾ في دُنياهم [وهو وعيدٌ لهم] ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فيه العذابَ.

٤٣- ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾[(١)] القبور ﴿سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ﴾ هو كُلُّ ما نُصِبَ وعُبِدَ من دون الله [وجمعُهُ الأنصابُ] ﴿يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يسرعون.

٤٤- ﴿خَٰشِعَةً﴾ ذليلةً ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ يعني: لا يرفعونها لِذِلَّتِهم ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ يَغشاهُم هَوانٌ[(٢)] ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ في الدنيا وهم يكذبون به [ويقولون: متى هذا العذاب الواقع].

---

(١) جمع جَدَثٍ: وهو القَبْرُ.
(٢) أي يُغَطِّيهم الخِزْيُ والمَذَلَّة.

سورة نوح
مكية وهي ثمان وعشرون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾ قيل: معناه بالسُّريانية: السَّاكِنُ ﴿إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ﴾ خوِّفْ ﴿قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾ عذابُ الآخرة، أو الطُّوفان.

٢- ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ﴾ أضافَهُم إلى نفسِه إظهارًا للشَّفَقة [وأنه لا يريدُ بهم إلا الخير] ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ﴾ مُخَوِّفٌ ﴿مُّبِينٌ ٢﴾ أُبيِّنُ لكم رسالةَ اللهِ بِلُغَةٍ تعرفونها.

٣- ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحِّدُوهُ ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ واحْذَروا عِصْيَانَه ﴿وَأَطِيعُونِ ٣﴾ فيما ءامُرُكم به وأَنهاكُم عنه.

٤- ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [مِنْ] للبيان[1] كقوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ[2] مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ ٣٠﴾ [سورة الحج]، أو للتبْعيض لأن ما يكونُ

(١) أي: لبيان ما هو الذي يُغفرُ لهم، وهو ذنوبهم فإن الإسلام يَجُبُّ ما قبله.
(٢) وهنا أيضًا (مِنْ) لبيان الرِّجسِ لأن الرجسَ مُبهمٌ يتناول غيرَ شيء، فكأنه قيل: فاجتنبوا الرجسَ الذي هو الأوثان.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾

بينَه وبينَ الخَلق يؤاخذ به بعدَ الإسلام كالقِصاص وغيره[١] ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ وهو وَقتُ مَوتِكم ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ أي: الموتَ ﴿إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ أي: لو كنتم تعلمون ما يَحُلُّ بكم منَ النَّدامة عندَ انقضاءِ أَجَلكم لآمنتم، وقيل: إنهم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاكَ من قومهم بإيمانهم وإجابتهم لنوح عليه السلام، فكأنه عليه السلام أمَّنَهم من ذلك ووعدهم بأنهم بإيمانهم يُبَقَّوْنَ إلى الأجل الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا، أي: أنكم إن أسلمتم بُقِّيتُم إلى أجل مسمًى ءامنين من عدوِّكم.

٥- ٦- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾﴾ دائبًا بلا فُتُور ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ عن طاعتك، وَنَسَبَ ذلك إلى دُعائهِ لحُصولهِ عندَه، وإن لم يكن الدعاءُ سببًا للفِرار في الحقيقة. وكان الرجلُ يذهب بابنه إلى نوح عليه السلام فيقول: احذر هذا فلا يَغُرَّنك؛ فإن أبي قد وصاني به.

٧- ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمان بك ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ليؤمنوا فَتغفِرَ لهم ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ سَدُّوا مَسامِعَهم لئلَّا يسمعوا كلامي ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ وتغَطَّوْا بثيابهم كراهةَ النظر إلى وجه مَنْ يَنْصَحُهم في دين الله ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ وأقاموا على كفرهم ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ وتَعَظَّموا[٢] عن إجابتي، [وهو] دليل على فرط استكبارهم.

---

(١) قيل: لأن مِنَ الذنوب مظالم لا تُغفرُ إلا برضا أربابها، وقيل: لأن الإسلامَ يَجُبُّ ما قَبلَهُ مِنَ الذنوب لا ما بَعْدَهُ.
(٢) تعظموا أي تكبَّروا.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾

٨- ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾﴾ مجاهرًا، يعني: أَظهرتُ لهم الدعوةَ في المَحافِلِ[(١)].

٩- ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ خَلَطْتُ دُعاءَهم بالعَلانِيَةِ بِدُعَاءِ السِّرِ، فالحاصلُ أنه دعاهم ليلًا ونهارًا فافتتحَ بالمناصَحَةِ في السِّر، فلَمّا لم يَقبلوا ثَنَّى بالمُجاهَرَةِ، فلَمّا لم تؤثر ثَلَّثَ بالجَمع بينَ الإسرارِ والإعلان.

١٠- ١٢- ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ مِنَ الشِّرْك، لأن الاستغفارَ طلبُ المَغفرة، فإن كان المستغفِرُ كافرًا فهو من الكفر[(٢)]، وإن كان عاصيًا مؤمنًا فهو منَ الذنوب ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ لم يَزَلْ غفارًا لذنوبِ مَن يُنيبُ[(٣)] إليه ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المَطرَ ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [كثيرَ] الدُّرورِ[(٤)] [يتبع بعضه بعضًا] ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ يَزِدْكم أموالًا وبنينَ ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتينَ ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ جاريةً لِمَزَارِعكم وبساتينكم.

١٣- ١٤- ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ لا تخافون لله عَظَمةً [وقدرة على أن يعاقبكم على كفركم واستكباركم] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ أي ما لكم لا تؤمنونَ بالله والحالُ هذه، وهي حالٌ مُوجِبَة للإيمان به، لأَنه خلقَكُم أطوارًا، خلقكم أَوَّلًا نُطَفًا، ثم عَلَقًا، ثُم مُضَغًا، ثم عظامًا

---

(١) المَحْفِلُ: مُجتمَعُ الناس، وجمعُهُ محافِل.

(٢) الكافر يستغفر مِنْ كفره بدخوله في الإسلام، وإلا قولُ: أَستغفرُ اللهَ لا ينفعه ما دام كافرًا، لأن اللهَ لا يغفرُ للعبد ما دام كافرًا، فإذا أسلم فاستغفر يَغفرُ له. نوح عليه السلام قال لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: أَسلِموا ءامنوا بي واستغفروا الله يَغفرْ لكم.

(٣) الإنابَةُ: الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة.

(٤) أي: الانصباب.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ
سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

ولحمًا[١].

نبَّههم أولًا على النظر في أنفسهم لأنها أقربُ، ثم على النظر في العالَم وما سُوِّي فيه من العَجائبِ الدالة على الصانع بقوله:

١٥- ٢٠- ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ [أي: تعلموا] ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ بعضًا على بعض ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ في السماوات، وهو في السماء الدنيا لأن بينَ السماوات ملابَسَة[٢] من حيث إنها طِبَاقٌ فجاز أن يقال: فيهن كذا وإن لم يكن في جميعهن، كما يقال: في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها[٣] ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ مِصباحًا يُبصِرُ أَهلُ الدنيا في ضوئها كما يُبصِرُ أهلُ البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره، وضوءُ الشمس أقوى من نور القمر ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أنشأكم، استعيرَ الإنباتُ للإنشاء، [أي: أخرج أباكم من الأرض لأنه خلقه من طينها، وأنتم منه] ﴿نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ فَنَبَتُّم نباتًا ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ بعدَ الموت ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ يومَ القيامة ﴿إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ أيْ: أَيَّ إخراج [وهو للحساب والجزاء] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ مَبْسُوطَةً ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا﴾ لتتقلَّبوا عليها كما يَتقلَّبُ الرجلُ على بِساطه ﴿سُبُلًا﴾ طُرقًا ﴿فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ واسِعةً أو مختلفة.

---

(١) معناه أن المني ينقلب بعد الأربعين يومًا إلى عَلَقَةٍ؛ وهي قطعة دم جامد، ثم هذا الدم الجامد يستحيل بعد أربعين يومًا مُضْغَةً؛ أي قطعةَ لحم صغيرةً قدرَ ما يُمضَغُ، ثم تُجعَلُ تلك المضغةُ عَظمًا ثم يُكسَى ذلك العظمُ لحمًا.

(٢) أي مخالطةً واشتراكًا.

(٣) ثم السمٰوات ولو كانت شدادًا لكنها مثلُ البلَّوْر، كثافتها لا تمنع نفوذ ضوء القمر إليه.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا
كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ
أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾

٢١- ٢٢- ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ فيما أمرتُهم به من الإيمان والاستغفار ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ أي: السَّفِلَةُ والفقراءُ ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ أي: الرؤساءَ وأَصحابَ الأَموال والأَولادِ ﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ في الآخرة ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ الماكرونَ هم الرؤساءُ، ومَكرُهم احتيالُهم في الدنيا وَكَيدُهم لنوح وتحريشُ الناس على أذاهُ وصَدُّهم عن المَيْلِ إليه ﴿مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ عَظيمًا، وهو أكبَرُ مِنَ الكُبارِ، وهو أكبَرُ منَ الكبير[(١)].

٢٣- ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: الرؤساءُ لسَفِلَتِهم ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ على العُموم أي عبادَتَها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ صنمٌ على صورة رجل ﴿وَلَا سُوَاعًا﴾ هو على صورة امرأة ﴿وَلَا يَغُوثَ﴾ هو على صورة أسد ﴿وَيَعُوقَ﴾ هو على صورة فرس ﴿وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ هو على صورة نَسْرٍ، أي: هذه الأصنامَ الخمسةَ على الخصوص، وكأنها كانت أكبرَ أصنامهم وأعظمَها عندهم فَخَصُّوها بعدَ العُموم وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب[(٢)]، وقيلَ: هي أسماء رجال صالحين، كان الناس يقتدون بهم بين ءادم ونوح، فلما ماتوا صَوَّروهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى العبادة[(٣)]، فلما طال الزمان قال لهم إبليس: إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم.

٢٤- ٢٥- ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟﴾ أي: الأَصنامُ[(٤)] ﴿كَثِيرًا﴾ مِنَ الناس، أو الرؤساءُ [بأن أمروهم بعبادتها] ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ هلاكًا

---

(١) يعني أبلغ، أولًا: الكبير، وأبلغ منه الكُبار، وأبلغ منه الكُبَّار.
(٢) قيل: إنها انتقلت بأعيانها إلى العرب، وقيل الأسماءُ فقط.
(٣) أي: عِبادَةِ الله، أي: لتَذَكُّرِ أعمالهم الصالحة.
(٤) أي: على طريقِ التسبب، لأن الناس ضَلُّوا بسببهم فكأنهم أضلُّوهم، كما يقال لمن فُتِنوا بالدنيا: فتنتهم الدنيا، أي افتتنوا بها واغتروا بسببها.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا
تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا
كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ
ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ﴾ ذنوبهم [أي من أجل خطيئاتهم] ﴿أُغۡرِقُواْ﴾ بالطوفان ﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ عَظيمةً، والفاء في ﴿فَأُدۡخِلُواْ﴾ للإيذان بأنهم عُذبوا بالإحراق عقيب الإغراق فيكون دليلًا على إثبات عذاب القبر ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾﴾ ينصرونَهم ويَمنعونَهم من عذاب الله.

٢٦- ٢٧- ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ أحدًا يدورُ في الأرض، وهو من الأسماء المستعملة في النفي العام ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ﴾ ولا تُهْلِكْهم ﴿يُضِلُّواْ عِبَادَكَ﴾ يَدعُوهم إلى الضلال ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾﴾ إلا مَنْ إذا بَلَغَ فَجَرَ وكفرَ، وإنما قال ذلك لأن الله تعالى أَخبرهُ بقوله: ﴿لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة هود].

٢٨- ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ وكانا مُسلِمَين، واسم أَبيه لَمْكُ[(١)]، واسم أُمِّهِ شَمْخَاءُ[(٢)]، وقيل: هما ءادمُ وحَواءُ ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ﴾ مَنزلي، أو مَسجدي، أو سفينتي ﴿مُؤۡمِنٗا﴾ لأنه عَلِمَ أَنَّ مَن دخلَ بيته مؤمنًا لا يعودُ إلى الكفر ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين ﴿إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾﴾ هلاكًا، فأُهلِكوا. واختُلِفَ في صِبيانهم حينَ أُغرقوا، فقيلَ: أَعقَمَ اللهُ أَرحامَ نِسائِهم قبلَ الطوفان بأَربعينَ سنة فلم يكن معهم صَبِيٌّ حين أُغرقوا، وقيل: علمَ اللهُ براءتهم فأُهلكوا بغير عذاب[(٣)].

---

(١) وقيل: لَمَك، قيل: لامَك، وقيل: لامِك.
(٢) وقيل: شَمْخَى.
(٣) أي: أُميتوا قبل هلاك ءابائهم بالطوفان.

سورة الجن
مكية وهي ثمان وعشرون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى
ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿قُلۡ﴾ يا محمدُ لأمتك: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾ أن الأمرَ والشأن ﴿ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ﴾ جماعةٌ منَ الثلاثةِ إلى العَشَرة ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ جِنّ نَصِيْبِينَ[1] ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لقَومهم حين رَجعوا إليهم مِن استماعِ قراءةِ النبي ﷺ في صلاةِ الفَجر: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١﴾ عَجيبًا بَديعًا مُباينًا لسائرِ الكُتُبِ في حُسْنِ نَظْمِه وصِحَّة مَعانيه.

٢- ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ يدعو إلى الصَّواب، أو إلى التوحيد والإيمان ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ بالقرءان ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ مِنْ خَلْقِه.

٣- ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ عَظَمَتُه[2]، يقال: جَدَّ فلانٌ في عيني أي عَظُمَ، ومنه قول عمرَ أو أنسٍ: كان الرجلُ إذا قرأ البقرة وءالَ عمرانَ جَدَّ فينا، أي عَظُمَ في عيوننا ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ﴾ زوجةً ﴿وَلَا وَلَدٗا ٣﴾ كما يقولُ كفارُ الجِنِّ والإنس.

---

(١) مِن سكان نَصِيْبِيْن، وهي مدينة في تركيا قرب حدود سوريا، قرب القامِشلي.
(٢) الجَدُّ العَظَمَةُ، أي: تنزه وتعالت عظمَتُه عما نُسِبَ إليه مِن اتخاذ الصاحبة والولد.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ
أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨﴾

٤- ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهِلُنا، أو إبليسُ إذ ليس فوقَهُ سَفيهٌ ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾ كفرًا، لبُعْدِه عن الصواب، والشططُ: مجاوزةُ الحد في الظلم وغيره.

٥- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ قولًا كذبًا أي: كان في ظننا أن أحدًا لن يكذبَ على الله بنسبة الصاحبة والولد إليه، فكنا نصدقهم حتى تبيَّن لنا بالقرءان كذبهم.

كان الرجلُ منَ العَرَب إذا نزلَ بمَخُوف منَ الأَرض[1] قال: أَعوذُ بِسَيِّدِ هذا الوادي مِنْ سُفهاء قَومِه، يريدُ كبيرَ الجنّ، فقال:

٦- ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ﴾ زادَ الإنسُ الجِنَّ باستعاذَتِهم بهم ﴿رَهَقًا ۝٦﴾ طُغيانًا وسَفَهًا وكِبْرًا بأن قالوا: سُدْنا الجنَّ والإنس.

٧- ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ وأن الجن ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا أَهلَ مَكةَ ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ بعدَ الموت، أي: أنَّ الجنَّ كانوا يُنكرونَ البَعثَ كإنكاركم، ثم بسَمَاع القرءانِ اهتَدَوا وأَقرُّوا بالبعثِ، فهلَّا أَقررتم كما أَقَرّوا؟

٨- ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ طَلَبْنا بُلوغَ السماءِ[2] واستماعَ كلامِ أَهلِها، واللمسُ: المَسُّ، فاستعير للطلب لأن الماسَّ طالبٌ مُتَعَرِّفٌ ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ جَمعًا أَقوياءَ مِنَ الملائكة يَحرُسون ﴿وَشُهُبًا ۝٨﴾ جَمْعُ شِهابٍ، أي: كواكبَ مُضيئةً [كَشُهُب النار تُرجَمُ بها الشياطين].

(١) مخوفٌ من الأرض: طريقٌ يُخافُ فيه، لأن الطريق لا تُخِيف وإنما يُخيف قاطِعُها.
(٢) أي: السَّماء الدنيا.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ
أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا
طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾

٩- ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ مِنَ السماءِ قبلَ هذا ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ لاستماعِ أَخبارِ السماءِ، يعني: كنا نَجِدُ بعضَ السماءِ خاليةً من الحَرَس والشُّهُبِ قبلَ المَبْعَث ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ﴾ يُرِد الاستماعَ ﴿ٱلْآنَ﴾ بعدَ المَبْعَث ﴿يَجِدْ لَهُۥ﴾ لِنَفْسِه ﴿شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ يَجِدْ شهابًا راصِدًا[1] له ولأَجله، والجمهور على أن ذلك لم يكن قبل مبعث محمد ﷺ، وقيل: كان الرجم في الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الأوقات، فمُنِعوا من الاستراق أصلًا بعد مبعث النبي ﷺ.

١٠- ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ﴾ عذابٌ ﴿أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِعَدَمِ استِراقِ السمعِ ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ خيرًا ورحمة [وقيل: هذا قول الجن بعضهم لبعض قبل مجيئهم إلى النبي ﷺ وقد حِيلَ بينهم وبين خبر السماء ولم يدروا سبب ذلك].

١١- ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [أي: قالت الجن: كان منا قبل استماع القرآن] الأبرارُ المتقون [وهم المؤمنون بالأنبياء المتقدمين] ﴿وَمِنَّا﴾ قوم ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ وهم المُقتَصِدونَ في الصلاح غيرُ الكاملين فيه، أو أرادوا الطالحين غير الصالحين ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ كنا ذَوي مذاهبَ متفرقةٍ أَو أديانٍ مختلفة.

١٢- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أَيقنّا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾ لن نَفُوتَه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أينما كنا فيها ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ هاربين منها إلى السماء.

---

(١) أي راقبًا له ومُترقبًا له مُعَدًّا لِرَجْمِهِ.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

١٣- ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ القرءانَ [الدالَّ على الرُّشد] ﴿ءَامَنَّا بِهِۦۖ﴾ بالقرءانِ، أو بالله ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ نَقْصًا من ثوابه ﴿وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ ولا تَرْهَقُه ذِلَّة [فلا يغشاهُ ما يكره].

١٤- ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ المؤمنون، [أي: بعد استماع القرءان] ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ﴾ الكافرونَ الجائرونَ عن طريق الحقّ، قَسَطَ: جارَ وأَقْسَطَ: عَدَلَ[1] ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ طلبوا هُدًى، والتَّحري: طلبُ الأَحْرى أي: الأَولى.

١٥- ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟﴾ في عِلْم اللهِ ﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ وَقودًا، وفيه دليل على أن الجِنيَّ الكافِرَ يُعذَّبُ في النار.

١٦- ١٧- ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ أي: أُوحِيَ إليَّ أنَّ الشَّأنَ لو استقاموا أي: القاسطون ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ طريقةِ الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ كثيرًا، والمعنى: لوسَّعنا عليهم الرزقَ، وذكَرَ الماءَ الغَدَق لأنه سَبَبُ سَعَةِ الرزق ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ﴾ لنختبرَهم فيه كيف يَشكرون ما خُوِّلوا[2] منه ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ القرءانِ، أو التوحيدِ، أو العبادة ﴿يَسْلُكْهُ﴾ يُدْخِلْهُ ﴿عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ شاقًّا.

١٨- ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ أي: أُوحِيَ إليَّ أن المساجِدَ أي: البيوتَ المَبنية للصلاة فيها لله ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ في المساجد لأنها خالِصَةٌ للهِ ولعبادته، وقيل: المساجدُ أعضاءُ السجود وهي الجبهةُ

---

(١) المسلمون العادِلون يقال لهم المُقْسِطون، وأما القاسطون فهم الكفار.
(٢) أي: ما أُعطوا من الله تفضُّلًا.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ
أَحَدٗا ٢٠ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن
دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾

واليدان والركبتان والقدمان[١].

١٩- ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ محمدٌ عليه الصلاة والسلام إلى الصلاة، وتقديره: وأُوحي إليَّ أنه لما قامَ عبدُ الله ﴿يَدۡعُوهُ﴾ يَعْبُدُه ويقرأُ القرءان، ولم يقل: «نبيُّ الله» أو «رسولُ الله»، لأَنه مِنْ أحبِّ الأسماء إلى النبي ﷺ، ولأنه لَمَّا كان واقعًا في كلامه ﷺ عن نَفْسِه جيءَ به على ما يقتضيه التواضعُ ﴿كَادُواْ﴾ كادَ الجنُّ ﴿يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾ جماعاتٍ، جمع لِبْدَةٍ[٢] تَعجُّبًا مما رأَوا من عبادته واقتداءِ أَصحابه به، وإعجابًا بما تلاه منَ القرءان لأنهم رأَوا ما لم يَرَوا مثلَه.

٢٠- ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي﴾ وَحْدَهُ ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠﴾ في العبادة، فلِمَ تتعجبون وتزدحمونَ عليَّ؟

٢١- ٢٣- ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا﴾ مَضَرَّةً ﴿وَلَا رَشَدٗا ٢١﴾ نَفعًا، يعني: لا أستطيع أن أَضُرَّكم وأَن أَنفعكم، لأن الضَّارَّ والنافعَ هو اللهُ ﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾ لن يدفعَ عني عذابَه أَحدٌ إن عَصَيتُه ﴿وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢﴾ مُلتَجأً ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ أي: لا أَملِكُ لكم ضرًّا ولا رشدًا إلا أن أُبلّغَ عن الله، فأقولَ: قال الله كذا، وأن أُبلغَ رسالتَه التي أرسلني بها بلا زيادة ولا نقصان ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في تركِ القَبولِ لِمَا أُنزلَ على الرسول ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾.

---

(١) أي: هي لله، فلا تسجدوا بها لغيره.
(٢) وهو ما تَلَبَّدَ بعضُه فوق بعض، يريدُ به الكثرة، واللِّبْدَةُ الجراد الكثير الذي رَكِبَ بعضُه بعضًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾﴾

٢٤- ﴿حَتَّىٰٓ﴾ كأنه قيل: لا يزالون على ما هم عليه حتى ﴿إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ منَ العذاب ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ عندَ حُلولِ العذاب بهم ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾﴾ أَهُمْ أم المؤمنون؟ أي: الكافرُ لا ناصِرَ له يومئذ، والمؤمنُ ينصُره اللهُ وملائكتُه وأنبياؤه.

٢٥- ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ ما أَدري ﴿أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ منَ العذاب ﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ غايةً بعيدةً، يعني: أنكم تُعذَّبونَ قطعًا، ولكن لا أَدري أَهو حالٌّ أم مؤجَّلٌ؟

٢٦- ٢٧- ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: هو عالمُ الغيب ﴿فَلَا يُظۡهِرُ﴾ فلا يُطلعُ ﴿عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ مِنْ خَلقِه ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ إلا رسولًا قد ارتضاه لعِلم بعضِ الغيبِ ليكونَ إخبارُهُ عن الغيبِ معجزةً له، فإنه يُطْلعه على غيبه ما شاء[(١)]، والولي إذا أخبر بشيء فظهَرَ فهو غير جازم عليه، وإنما أَخبرَ بناءً على رؤياه أو بالفِراسة[(٢)]، على أن كلَّ كرامةٍ للولي فهي معجزةٌ للرسول ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ﴾ يُدْخِلُ ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ يَدَي الرسولِ[(٣)] ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾﴾ حَفظةً منَ الملائكة يَحفظونه من الشياطين ويعصِمونَه من وَساوِسِهم وتخالِيْطِهم حتى يُبَلِّغَ الوَحْيَ.

---

(١) أي: على ما يشاءُ مِن غَيبِهِ، وليس على كل غَيبه، فلم يُطلع اللهُ أحدًا على كل الغيب.

(٢) الفِراسَة: ما يوقِعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوالَ بعضِ الناس بنوع من الكرامات وإصابةِ الظن والحَدْس، هذا أحد معنيي الفِراسة، والثاني يُعلم بالدلائل والتجارب والخُبرة، مِن قولك: تفرَّستُ في كذا خيرًا مثلًا أي: توَسَّمْتُهُ، أي: رأيت فيه وَسْمَ ذلك، أي: علامةَ ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الحجر] أي للمتفرّسين المتأملين الذين يعرفون باطِنَ الشيء بسِمَةٍ ظاهرة.

(٣) أي: أمامَهُ، أي يجعَلُ حَفَظَةً من الملائكة يَحفظونَه من الشياطين من أمامه ومن خلفه.

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ٢٨﴾

٢٨- ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ اللهُ ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُواْ﴾ أي: الرسُلُ ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ كاملةً بلا زيادةٍ ولا نُقصانٍ إلى المرسَلِ إليهم، أي ليعلَمَ اللهُ ذلك موجودًا حالَ وُجودِهِ كما كانَ يعلَمُ ذلك قبلَ وجودِهِ أنه يوجَدُ، [أو: ليظهرَ إبلاغ الرسُل قومَهم ما أمروا بإبلاغه محفوظًا من التغيير، والعلمُ كنايةٌ عن الظهور] ﴿وَأَحَاطَ﴾ اللهُ ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بما عندَ الرُّسُلِ منَ العلم ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ٢٨﴾ مِنَ القَطْرِ والرَّمْل وورَق الأشجار وزَبَدِ البحار، فكيف لا يُحيط بما عندَ الرُّسل من وَحْيهِ وكلامِه؟!

سورة المزمل
مكية وهي تسع عشرة أو عشرون ءاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ المُتَزمِّلُ، وهو الذي تَزَمَّلَ في ثيابِهِ، أي: تَلَفَّفَ بها، وكان النبيُّ ﷺ نائمًا بالليل متزمِّلًا في ثيابِهِ فأُمر بالقيام للصلاة بقوله:

٢- ٤- ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدلٌ منَ الليلِ، تقديرُهُ: قُمْ نِصفَ الليلِ إلا قليلًا ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا ۝٣﴾ إلى الثُّلُث ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ على النصفِ إلى الثلثين، والمراد التخييرُ بين أمرين: بين أن يقومَ أَقلَّ مِن نِصف الليل على البَتِّ[1]، وبينَ أَن يختارَ أَحدَ الأمرين وهما النقصانُ منَ النصفِ والزيادةُ عليه، وإن جَعَلْتَ ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدلًا من ﴿قَلِيلًا﴾ كان تخييرًا بين ثلاثة أَشياءَ: بين قيامِ نصفِ الليل تامًّا، وبينَ قيامِ الناقِصِ منه، وبينَ قيامِ الزائدِ عليه، وإنما وُصفَ النِّصفُ بالقِلَّةِ[2] بالنسبة إلى الكُلِّ، وإلا فإطلاقُ لفظِ القليل يَنطَلِقُ على ما دونَ النصف

---

(١) البَتُّ: القطعُ والجَزْمُ.

(٢) أي في قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ﴾ على تفسيره بقُمِ الليلَ إلا نِصفه بجعل ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدلًا من ﴿قَلِيلًا﴾.

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾ بَيِّنْ وَفَصِّلْ[1]، أو اقرأ على تُؤَدَة[2] بتبيين الحروف وحِفظِ الوقوف وإشباعِ الحَركات ﴿تَرْتِيلًا ۝٤﴾ هو تأكيدٌ في إيجابِ الأمر به وأنه لا بُدَّ مِنهُ للقارئ.

٥- ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ﴾ سَنُنَزِّلُ عليك ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ أي: القرءانَ، لما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليفُ شاقَّةٌ ثقيلة على المكلَّفين، أو ثقيلًا على المنافقين، أو كلامًا له وَزْنٌ ورُجحانٌ ليس بالسَّفْسافِ[3] الخفيف.

٦- ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ قيامَ الليلِ ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ أَثقلُ على المصلي من صلاة النهار لطردِ النوم في وقته ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ وأَشَدُّ مقالًا[4] وأثبتُ قراءةً لهدوء الأصوات وانقطاع الحركات.

٧- ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ تَصرُّفًا وتقلُّبًا في مُهِمَّاتك وشواغِلك، فَفرِّغْ نفسَك في الليل لعبادةِ ربك.

٨- ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ وَدُمْ على ذِكره في الليل والنهار، وذِكرُ اللهِ يتناولُ التسبيحَ والتهليل والتكبير والصلاةَ وتلاوةَ القرءان ودراسةَ العِلم ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾ انقَطِعْ إلى عبادَتِه عن كل شيء، والتبتُّلُ: الانقطاع إلى الله تعالى بتأميل الخير منه دونَ غيره ﴿تَبْتِيلًا ۝٨﴾ زيادةُ تأكيدٍ.

٩- ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ أي: هو ربُّ [المشرق والمغرب] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ وَليًّا وكفيلًا بما وَعَدَكَ منَ النَّصر، أو إذا عَلِمْتَ

---

(١) أي: قف على رؤوس الآي، وافصِلِ الآيات عن بعضها.
(٢) التُّؤَدَة: التَّمهُّل.
(٣) السَّفْسافُ: الرديءُ من كل شيء.
(٤) أكثر استقامةً للقراءة.

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾

أنه مَلِكُ المَشرق والمَغرب وأن لا إلٰه إلا هو فاتخِذْهُ كافيًا لأُمورك[(١)].

١٠- ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فِيَّ من الصَّاحبةِ والوَلَد، وفيك من السَّاحر والشاعر ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ جانِبْهُم بقلبك وخالِفْهم مع حُسْنِ المخالقة وترك المكافأة[(٢)].

١١- ١٣- ﴿وَذَرْنِي﴾ كِلْهُمْ إليَّ فأنا كافيهم ﴿وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ رؤساءَ قُريشٍ ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ التَّنَعُّم ﴿وَمَهِّلْهُمْ﴾ إمهالًا ﴿قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ إلى يوم بَدْرٍ، أو إلى يوم القيامةِ ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾ للكافرينَ في الآخرة ﴿أَنكَالًا﴾ قُيودًا ثِقالًا، جمعُ نِكْلٍ[(٣)] ﴿وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾ نارًا مُحْرِقة ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ أي: الذي يَنْشَبُ في الحُلقوم[(٤)] فلا يُساغُ، يعني الضَّريعَ[(٥)] والزَّقوم[(٦)] ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ يَخْلُصُ وجَعُه إلى القلب.

١٤- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ تتحَرَّكُ حركةً شديدة ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملًا مجتمعًا ﴿مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ سائلًا بعدَ اجتماعِهِ.

١٥- ١٧- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا أهلَ مكة ﴿رَسُولًا﴾ محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يشهَدُ عليكم يوم القيامة بكُفْركم

---

(١) أي بعد أن عرفت ذلك لا تنتظرْ في تفويض أمرك إليه.
(٢) حُسْنُ المُخالقةِ: المعاملةُ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، وتركُ المكافأة: عدمُ المعاملة بالمِثْل من رَدّ الإساءَةِ بالإساءَة.
(٣) القيدُ الشديدُ مِن أي شيء كان.
(٤) أي: يَعْلَقُ في الحَلْق.
(٥) نبتٌ فيه شوك، يقال له الشِّبْرِق، فإذا يَبِسَ فهو ضريعٌ، وهو سُمٌّ قاتل لا ترعاه دابةٌ لِخُبثِه.
(٦) الزَّقومُ: شجرةٌ على صورةِ شجرةٍ من أخبث الشجر المُرّ بتهامة يُنبتها اللهُ تعالى في الجحيم في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها، وهي من جملة طعام أهل النار.

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن
كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ
فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ
وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾

وتكذيبكم ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥﴾ يعني: موسى عليه السلام ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: ذلك الرسول ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦﴾ شديدًا غليظًا، [أي: فعاقبناه عقوبة شديدة] وإنما خَصَّ موسَى وفرعَونَ لأن خبرَهما كان منتشرًا بين أهل مكة، لأنهم كانوا جيرانَ اليهود ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا﴾ كيف تتقونَ عذابَ يوم ﴿يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧﴾ [أي ذلك اليوم يجعلُ الوِلدانَ فيه شِيبًا] مِنْ هَوْلِهِ وشِدَّتِه، وذلك حين يقال لآدمَ عليه السلام: قُم فابعَثْ بَعْثَ النار من ذريتك، وقيل: هو على التمثيل للتهويل، يقال لليوم الشديد: يومٌ يُشِيبُ نواصِيَ الأطفال.

١٨- ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ﴾ السماء على عِظَمِها وإحكامِها تنفَطِرُ أي: تَنْشَقُّ [بيوم القيامة]، فما ظنُّكَ بغيرها منَ الخلائق؟ والتذكير على تأويل السماء بالسقف، أو السماءُ شيء منفطر ﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ [كان وعدُ] اللهِ عز وجل ﴿مَفۡعُولًا ١٨﴾ كائنًا.

١٩- ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآياتِ الناطقةَ بالوعيدِ ﴿تَذۡكِرَةٞۖ﴾ مَوْعِظَةٌ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾ فمَنْ شاءَ اتَّعظَ بها واتخذَ سبيلًا إلى الله(١) بالتقوى والخشية.

٢٠- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾ أقلَّ [من الثلثين] ﴿وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [وتقومُ نصفَ الليل وثلثَ الليل] ﴿وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ أي: ويقومُ ذلك المقدارَ جماعةٌ مِن أصحابك ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾

---

(١) أي إلى رِضوانه.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

ولا يَقْدِرُ على تقديرِ الليلِ والنهار ولا يَعلَمُ مَقاديرَ ساعاتهما إلا اللهُ وَحدَهُ، ثُم إنهم قاموا حتى انتفخت أَقدامُهم فَنزلَ ﴿عَلِمَ﴾ [بعلمه الأزلي] ﴿أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ لن تُطيقوا قِيامَهُ على هذه المقاديرِ إلا بِشدَّةٍ ومَشَقة[1] ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[2] فخفَّفَ عليكم وأَسقطَ عنكم فرضَ قيامِ الليل ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ﴾ عليكم ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ روى أبو حنيفة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: مَنْ قرأَ مائةَ ءايةٍ في ليلةٍ لم يُكتَبْ منَ الغافلين، ومَن قرأَ مائتي ءاية كُتِبَ منَ القانتين[3]. وقيل: أَرادَ بالقرءان الصلاةَ لأَنه بعضُ أَركانها، أي فَصَلُّوا ما تَيَسَّر عليكم ولم يَتَعَذَّرْ من صلاة الليل، وهذا ناسِخٌ للأَول، ثم نُسِخَ هذا بالصلواتِ الخمس، ثم بيَّنَ الحِكمةَ منَ النسخِ، وهي تعذُّرُ القيام على المَرضَى والمسافرين والمجاهدين فقال: ﴿عَلِمَ﴾ [بعلمه الأزلي] ﴿أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ فيشُقُّ عليهم قيامُ الليل ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يُسافرون ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ رزقَهُ بالتجارة، أو طلبَ العِلم ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [يغزون فيَشُقُّ عليهم قيام الليل في السفر] ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كَرَّرَ الأمرَ بالتيسير لشِدةِ احتياطهم ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضَةَ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبةَ ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالنوافِلِ[4] ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ منَ الحلال بالإخلاص،

---

(١) أي يَشُقُّ عليكم عدُّ ساعات الليل وضبطُها، وضَبطُ النصفِ والثلثِ والثلثين من الليل، ولن تطيقوا قيام الليل على الدوام، ولم يكن ذلك تكليفَ ما ليس في الوُسْعِ، وإن كان فيه مَشَقَّة.

(٢) أي: رجعَ بكم من تثقيلٍ إلى تخفيف، والتَّوْبُ الرجوعُ.

(٣) القانتين: المطيعين.

(٤) أي: بالإنفاق في النوافل مما سوى الزكاة ونحوها من الواجبات في وجوه البر.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

[سَمَّى ما يُنفَقُ في سبيله قرضًا لتنبيههم بذلك أنه يجزيهم عليه لا محالة، لأن القرضَ ما يُقبضُ ببدل مِثلهِ فيما بعد] ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابَهُ ﴿عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ مما خَلَّفْتُم وتركتم ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ وأَجزَلَ[1] ثوابًا ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ من السيئات، والتقصير في الحسنات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ يسترُ على أهل الذنب والتقصير ﴿رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ يُخَفِّفُ عن أهل الجُهدِ[2] والتوفير[3].

---

(١) أَجْزَلَ: أكثَرَ.

(٢) المشهور أن المضموم الجيم بمعنى الطاقة، وإذا فُتحت كان بمعنى المشقة والتعب، وبعضهم عكس الضبط.

(٣) الوافر: الذي لم يَنقُص منه شيء، وأهل التوفير: الذين بذلوا جُهدهم فلم ينقصوا مما أرادوا فعله شيئًا ولو مع المشقة الشديدة.

سورة المدثر
مكية وهي ست وخمسون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَوى جابرٌ أن النبي ﷺ قال: «**كنتُ على جبلِ حِرَاءَ، فَنُوديتُ: يا محمدُ إنك رسولُ اللهِ، فنظرتُ عن يميني ويساري فلمْ أرَ شيئًا، فنظرتُ إلى فوقي فإذا هو قاعدٌ على عرشٍ**[1] **بينَ السماءِ والأرضِ فَرُعِبْتُ ورَجعتُ إلى خديجةَ فقلتُ: دَثِّروني دَثِّروني**» فدثَّرته خديجةُ، فجاء جبريل وقرأ:

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ المُتَلَفِّفُ بثيابهِ، مِنَ الدِّثار، وهو كل ما كانَ من الثيابِ فوقَ الشِّعارِ، والشِّعارُ: الثوبُ الذي يلي الجَسَدَ.

٢- ﴿قُمۡ﴾ مِن مَضجَعِكَ، أو قُمْ قيامَ عَزْمٍ وتصميم ﴿فَأَنذِرۡ ٢﴾ فَحَذِّر قومَك من عذابِ الله إن لم يؤمنوا؛ أو فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد.

٣- ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣﴾ واختَصَّ ربك بالتكبير، وهو التعظيم، وقل عند

---

(١) المراد هنا جبريل عليه السلام، ففي لفظ البخاري: «**فإذا المَلَكُ الذي جاءني بحراءَ قاعدٌ على كرسي بين السماء والأرض**»، وعند البيهقي: «**فإذا المَلَكُ الذي كان يجيئني قاعد على كرسي بين السماء والأرض**»، وفي رواية أخرى للبيهقي في السنن الكبرى كرواية البخاري.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي
النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

ما يَعروك(١): اللهُ أكبر، وروي أنه لمَّا نزل(٢) قال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر**»، فكبَّرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي(٣).

٤- ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ بالماءِ منَ النجاسة، لأن الصلاةَ لا تصحُ إلا بها، وهي الأَوْلى(٤) في غير الصلاة، أو فَقَصِّرْ مخالفةً للعَرَب في تطويلهم الثياب وجرهم الذُّيولَ إذ لا يؤمَنُ معه إصابةُ النجاسة.

٥- ﴿وَالرُّجْزَ﴾ العذابَ، والمراد ما يؤدي إليه [ثم يُسمَّى كيدُ الشيطان رجزًا لأنه سبب العذاب] ﴿فَاهْجُرْ ۝٥﴾ اثبُتْ على هَجْرِه، لأنه عليه الصلاة والسلام كان بريئًا منه.

٦- ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ لا تُعْطِ مُستكثرًا رائيًا لِمَا تُعطيه كثيرًا، أو طالبًا أكثر مما أَعطيتَ فإنك مأمور بأجلِّ الأخلاق وأشرف الآداب.

٧- ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ ولِوَجْهِ الله فاستعمل الصبرَ على أوامره ونواهيه، وكُلِّ مَصبورٍ عليه ومصبورٍ عنه.

٨- ١٠- ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾ نفخ في الصور، وهي النفخة الأولى، وقيل: الثانية ﴿فَذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى وقت النقر ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ فيومُ النقرِ يومٌ عسير، كأنه قيل: اصبر على أذاهم فبين أيديهم يومٌ عسير يَلقَون فيه عاقبة أذاهم، وتلقى عاقبة صبرك عليه ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ لا يُرجَى أن يرجعَ يسيرًا كما يُرجى تيسيرُ العسير في أمور الدنيا.

---

(١) أي: عندما يَنوبُكَ، أي: ما ينزلُ بك من المُهمات والحوادث، والنائبةُ: المُصيبة.
(٢) أي: لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ قال رسول الله ﷺ: الله أكبر.
(٣) لأن الشيطان لا يأمر بالتكبير.
(٤) البقاء على طهارة أولى في غير الصلاة.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾

١١- ١٤- ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ أيْ: كِلْهُ إليَّ، يعني الوليدَ بنَ المُغيرة، وكان يُلقَّبُ في قومِهِ بالوحيد[١] ﴿وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ ذَرني وَحْدي مَعَه فإني أَكفيكَ أَمرَهُ، أَو مَنْ خلقتُه منفردًا بلا أهل ولا مال ثم أنعمتُ عليه ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ مبسوطًا كثيرًا، أو مُمَدًّا بالنَّماء وكان له الزرعُ والضَّرْعُ والتجارة ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ حضورًا معه بمكة لغناهم عن السَّفر، وكانوا عَشرةً أسلَمَ منهم خالدٌ وهِشامٌ وعُمَارَةُ ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾ وبَسَطت له الجاهَ والرئاسةَ فأتممت عليه نعمتَي الجاهِ والمال، واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا.

١٥- ١٧- ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾ استبعادٌ واستنكار لطَمَعِهِ وحِرصِه، أي: يَرجو أن أزيدَ في ماله ووَلَدِه من غير شُكر ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ له وقطعٌ لرجائه، أي: لا يُجمَعُ له بعدَ اليوم بين الكفر والمزيد من النِّعَم، فلم يَزَلْ بعد نزول الآية في نُقصانٍ منَ المالِ والجاه حتى هَلَكَ ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا﴾ للقُرءانِ ﴿عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾ مُعاندًا جاحدًا ﴿سَأُرْهِقُهُ﴾ سأُغْشِيهِ ﴿صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ في الحديث: «**الصَّعودُ جبلٌ من نار يَصعَدُ**[٢] **فيه سبعين خريفًا ثم يهوي فيه كذلك أبدًا**».

١٨- ٢٥- ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ تعليل للوعيد، كأنه تعالى عاجَلَه بالفقر والذُّل بعد الغِنَى والعِزّ لعِناده، ويعاقبه في الآخرة بأَشدِّ العذاب لبلوغه بالعناد غايتَه، وتسميتِه القرءانَ سِحرًا، يعني: أنه فكَّر ماذا يقولُ في القرءان ﴿وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾ في نفسِه ما يقوله وهيَّأه ﴿فَقُتِلَ﴾ لُعِنَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾

---

(١) قيل: لأنه كان لا نظير له في قومه في كثرة ماله.

(٢) أي: يُكَلَّفُ الكافر ارتقاءَهُ، وهو من نار، ويقال: كلما وضعَ يَده أو رِجلَه أو رُكبتَه على موضع منه ذابت فإذا رفعها عادت.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾

تَعجيبٌ[١] من تقديره ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ كُرِّرَ للتأكيد ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ في وجوهِ الناس، أو فيما قَدَّرَ ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قَطَّبَ[٢] وَجْهَه ﴿وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾ زاد في التَّقبُّضِ والكُلوح[٣] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ عن مَقامِهِ وفي مَقالِه[٤] ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ﴾ ما هذا ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ يُروَى عن السَّحَرة. رُوِيَ أن الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعتُ من محمد ءانِفًا كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لَحلاوةً، وإن عليه لطلاوةً[٥]، وإن أعلاه لَمُثْمِرٌ، وإن أسفله لمُغدِقٌ[٦]، وإنه يعلو ولا يُعلَى، فقالت قريشٌ: صَبَأَ[٧] والله الوليد، فقال أبو جهل - وهو ابن أخيه[٨]: أنا أكفيكُموه، فقعد إليه حزينًا وكلَّمه بما أحماهُ، فقام الوليد فأتاهم فقال: تزعمون أن محمدًا مجنون فهل رأيتموه يُخنَقُ[٩]؟ وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهَّنُ[١٠]؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرًا قط؟ وتزعمون أنه كذَّاب فهل جرَّبتم عليه شيئًا من الكذب؟

---

(١) الله عالم بكل الأشياء، فالتعجب بمعنى الانفعال يستحيل على الله إنما هو تعجيبٌ لِخَلقه.
(٢) قَبضَ ما بين الحاجبين كفِعل العَبوس.
(٣) الكُلوحُ: بُدُوّ الأسنان عند العُبوس.
(٤) أي: أدبرَ عن مقامِهِ، واستكبَرَ في مَقاله.
(٥) طلاوة بتثليث الطاء: رَوْنَقًا وحُسنًا، وربما نطقها الوليد مفتوحةً لتزداد المناسبة مع (حَلاوة) والله أعلم.
(٦) الغَدَقُ: المطر، والمُغدقُ مُفْعِلٌ منه.
(٧) صَبَأَ: خرج من دينهم إلى دين محمد، وهو الإسلام، وكان كفار قريش يُسَمُّون المسلمين الصابئةَ لخروجهم من عبادة الأوثان إلى دين الإسلام.
(٨) الوليد هو عم أبي جهل،أبو جهل اسمه عمرو بن هشام بن المغيرة.
(٩) كانوا يعتقدون أن الجنَّ تَخْنُقُ المجنون.
(١٠) كانوا يقولون: الكاهن يتكلم بالمغَيَّبات فيصدق ويكذب، فأما محمد فلم يكذب قَطُّ.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾

فقالوا في كل ذلك: اللهم لا، ثم قالوا: فما هو؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحرٌ، أما رأيتموه يُفرِّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلا سحرٌ يؤثر عن مُسَيلِمةَ وأهل بابل[1] فارتجَّ النادي فرحًا وتفرَّقوا متعجبين منه ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [ما هذا الذي يتلوه محمد إلا قولُ البشر، إلا كلامُ ابن ءادم، وما هو بكلام الله].

٢٦- ٢٩- ﴿سَأُصْلِيهِ﴾ سَأُدخِلُه ﴿سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ عَلَمٌ لجهنم ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ تَهويلٌ لشأنها ﴿لَا تُبْقِى﴾ لا تُبْقي لحمًا ﴿وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ عَظمًا، أو لا تُبقي شيئًا يَبقى فيها إلا أهلكته، ولا تذره هالكًا، بل يعود كما كان ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ جمع بَشَرَة، وهي ظاهِرُ الجلد، أي: مُسَوِّدَةٌ للجلود ومُحرقة لها.

٣٠- ٣١- ﴿عَلَيْهَا﴾ على سَقَرَ ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ يلي أَمْرَها تِسْعَةَ عَشَرَ مَلَكًا عندَ الجمهور، وقيل: صِنفًا منَ الملائكة، وقيلَ: صَفًّا، وقيلَ: نَقيبًا[2] ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ أي: خَزَنَتها ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ لأنهم خلافُ جنسِ المُعَذَّبين، فلا تأخُذُهم الرأفةُ والرِّقَّةُ، لأَنهم أَشدُّ الخلقِ بأسًا، فللواحد منهم قوةُ الثقلين[3] ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ تِسعةَ عَشَرَ ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ ابتلاءً واختبارًا ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حتى قال أبو جَهْل لَمّا نزلت ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: أما يستطيعُ كلُّ عَشَرَة منكم أَن يأخذوا واحدًا منهم وأنتم

---

(١) مُسيلِمَةُ الكذاب من بني حنيفة من أهل اليمامة، وكان مشهورًا من قبل البعثة بالكهانة والسحر والشعوذة. وأهلُ بابل - وهي في العراق - كان السحر منتشرًا فيهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾.

(٢) النقيبُ: العريف، وقيل: الرئيس الأكبر.

(٣) الثقلان: الإنسُ والجن.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾

الدَّهْم[١]؟ فقال أبو الأَشَدّ، وكان شديدَ البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين، فنزلت: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ﴾ أي: وما جعلناهم رجالًا من جنسكم يُطاقون. وقالوا في تخصيص الخَزَنةِ بهذا العدد - مع أنه لا يُطلَبُ في الأعداد العِلَلُ-: إنّ ستة منهم يقودون الكَفَرَة إلى النار، وستةً يسوقونهم[٢]، وستةً يضربونهم بمقامع الحديد، والآخِرُ خازن جهنم، وهو مالكٌ وهو الأكبر، [وقيل غيرُ ذلك] ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ لأن عِدَّتهم تسعة عشر في الكتابين[٣]، فإذا سمعوا بمثلها في القرءان أَيقنوا أنه مُنْزَلٌ من الله ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بمحمد ﴿إِيمَـٰنًا ۙ﴾ لتصديقهم بذلك كما صَدَّقوا سائرَ ما أُنزل، أو يزدادوا يقينًا لموافقة كتابهم كتاب أولئك ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ﴾ توكيد للاستيقانِ وزيادةِ الإيمان ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نِفاقٌ ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ المشركون، فإن قلتَ: النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية! قلتُ: معناه: وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ﴾ وهذا إخبار بما سيكونُ كسائرِ الإخبارات بالغُيوب. ولمَّا كان ذِكرُ هذا العدد [عندهم] في غاية الغرابة، وأن مِثلَهُ حقيق بأن تسير به الركبانُ سيرَها بالأمثال سُميَ مثلًا [أي: ماذا أراد الله بهذا المثل] ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ إشارةٌ إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى، يعني إضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ما قالوا، وهدى المؤمنين بتصديقه

---

(١) الدّهمُ: الجماعة الكثيرة.
(٢) القوْدُ: نقيضُ السوق، فالقودُ مِنْ أمام، والسَّوْق من خلف، يقال: قادَ الدابة مِن أمامها وساقها من خلفها.
(٣) في الكتابين أن عِدَّةَ زبانيةِ جهنَّم تِسعةَ عَشَرَ.

﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ
أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ
يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا
سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾

ورؤيةِ الحِكمة في ذلك، يُضِلُّ الله من يشاء من عباده وهو الذي عَلِمَ منه اختيارَ الضلال ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ وهو الذي عَلِمَ منه اختيارَ الاهتداء، وفيه دليل خلق الأفعال، وَوَصْفِ الله بالهدايةِ والإضلال. لمَّا قال أبو جهل لَعَنَهُ الله: أَمَا لِرَبِّ محمدٍ أعوانٌ إلا تسعةَ عَشَر، نزل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ لِفَرْطِ كثرتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ فلا يَعِزُّ عليه تتميمُ الخَزَنَةِ عشرينَ، ولكن له في هذا العدد الخاصّ حِكمةٌ لا تعلمونَها ﴿وَمَا هِيَ﴾ وما سَقَرُ وصفتُها ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ تذكرةً للبَشَرِ.

٣٢- ٣٧- ﴿كَلَّا﴾ إنكارُ بعدَ أن جَعَلَها ذكرى أن تكونَ لهم ذكرى لأنهم لا يَتذكَّرونَ ﴿وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾﴾ أَقسَمَ به لعِظَم منافعه ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ وَلَّى وذهبَ ﴿وَالصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ أَضاءَ، وجواب القَسَم: ﴿إِنَّهَا﴾ إن سَقَرَ ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ هي جمع الكبرى أي: لإحدى البلايا أو الدَّوَاهي الكُبَرِ ﴿نَذِيرًا﴾ أي: إنها لإحدى الدواهي إنذارًا ﴿لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ ﴿٣٧﴾﴾ إلى الخَير ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ عنه.

٣٨- ٤٢- ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ كل نفس رَهْنٌ بكَسْبها عند الله غَيرُ مفكوك ﴿إِلَّآ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ إلا المسلمينَ فإنهم فكُّوا رقابهم بالطاعة كما يُخَلِّصُ الراهنُ رهنَه بأداء الحقّ ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ هم في جنات لا يُكْتَنَه وَصْفُها[1] ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ يسألُ بعضُهم بعضًا عنهم [وتقديره فيجيب المسؤولون: سألناهم:] ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ أَدخلكم فيها؟

---

(١) أي لا يُبْلَغُ كُنْهُها، والكُنْهُ: جوهرُ الشيء وحقيقتُه.

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا
نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ
مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا
مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾

٤٣- ٤٧- ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ لم نَعتقِدْ فَرضِيَّتها ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ كما يُطْعِمُ المُسلمون ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الخَوْضُ: الشروع في الباطل، أي: نقولُ الباطلَ والزُّورَ في ءايات الله ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ الحِسَابِ والجزاءِ ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ الموتُ.

٤٨- ٥٢- ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ منَ الملائكة والنبيينَ والصالحين، لأنها للمؤمنينَ دونَ الكافرين، وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ﴾ العِظَةِ، أي: القرءانِ ﴿مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ مُوَلِّينَ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾ أي: حُمُرُ الوَحْشِ ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ شديدةُ النِّفَارِ، ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ القَسْوَرَةُ: الرُّماةُ أو الأُسْدُ، شُبِّهوا في إعراضِهم عن القرءان واستماعِ الذِّكر بحُمُرٍ جَدَّت في نِفارها ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ قراطيسَ تُنشَرُ وَتُقرأُ، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لن نَتَّبِعَك حتى تأتي كلَّ واحدٍ منا بكُتُب منَ السماء عنوانُها: مِن ربِّ العالمين إلى فلانِ بنِ فلان نُؤمَرُ فيها باتِّباعِك، ونحوُهُ قولُه: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الإسراء]، وقيل: قالوا: إن كان محمد صادقًا فليُصْبِحْ عند رأسِ كل رَجل منا صحيفةٌ فيها براءتُه وأَمنُه منَ النار.

٥٣- ٥٦- ﴿كَلَّا﴾ رَدعٌ لهم عن تلك الإرادةِ وزجرٌ عن اقتراح الآيات، ثم قال: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناعِ إيتاءِ الصُّحف [فهم لا يؤمنون ولو أُوتوا صحفًا مُنشَّرة] ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ إن القرءانَ تذكرةٌ بليغة كافية

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦﴾

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ٥٥﴾ فمن شاء أن يذكرَهُ [ويتَّعِظَ به] ولا ينساهُ فَعَل، فإنَّ نَفْعَ ذلك عائدٌ إليه ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ إلا بمشيئةِ الله [لهم الهُدى] ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦﴾ في الحديث: «**هوَ أَهْلٌ أنْ يُتَّقى، وأَهْلٌ أنْ يَغْفِرَ لمنِ اتَّقاهُ**».

سورة القيامة
مكية وهي أربعون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣
بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ أي: أُقسِمُ، عن ابن عباس رضي الله عنه، وعليه الجمهور، وقال الفرَّاءُ: «لا» ردٌّ لإنكار المشركين البعثَ، كأنه قيل: ليسَ الأمرُ كما تزعمون، ثم قيلَ: أُقسم بيومِ القيامة.

٢- ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ الجمهور على أنه قَسَمٌ ءاخر، أي: النفسِ المتَّقية التي تَلَوَّمُ على التقصير في التقوى.

٣- ٤- ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافرُ المنكِرُ للبعث ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ بعد تفرُّقها ورجوعِها رُفاتًا[1] مختلطًا بالتراب ﴿بَلَىٰ﴾ أي: بَلَى نجمَعُها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ على جَمعِها وإعادتها كما كانت ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ أَصابِعَهُ كما كانت في الدنيا بلا نُقصانٍ وتفاوتٍ مع صِغَرها فكيف بكبار العِظام؟

٥- ٦- ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ ليَدُومَ على فُجوره فيما

(١) الرُّفات: الأجزاء المتفتِّتَةُ من كل متكسر، والرُّفات: الدُّقاق.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ
ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ
وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾

يَستقبلُه منَ الزمان ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾ مَتى ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ سُؤالَ مُتعَنِّتٍ مستبعِدٍ لقيامِ الساعة.

٧- ١٠- ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ تَحيَّرَ فَزعًا ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨﴾ وذَهَبَ ضَوؤه، أو غابَ ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ جُمِعَ بينَهما في الطلوعِ مِنَ المَغرب، أو جُمِعَا في ذَهابِ الضَّوْءِ ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافرُ ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾ أي: الفِرار من النار.

١١- ١٣- ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن طلبِ المَفرِّ ﴿لَا وَزَرَ ۝١١﴾ لا مَلْجأَ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ خاصَّةً ﴿يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ مُستقَرُّ العبادِ، أو موضعُ قرارِهم من جنةٍ أو نار مفوَّض ذلك لمشيئته، من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ﴾ يُخبَرُ ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ مِنْ عَمَلٍ عمله ﴿وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ ما لَم يَعمَلْه.

١٤- ١٥- ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤﴾ شاهِدٌ ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ أَرخَى سُتورَهُ، والمِعْذارُ: السِّتْرُ، وقيل: ولو جاء بكل مَعذرةٍ ما قُبِلَت منه فَعليه [مِن نَفْسِه] مَن يكذِّبُ عُذرَهُ.

١٦- ١٩- ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ بالقرءانِ ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ بالقرءانِ، وكان ﷺ يأخذُ في القراءة قبلَ فراغِ جبريلَ كراهَةَ أن يَتفلَّتَ مِنهُ، فقيل له: لا تُحَرِّكْ لسانَكَ بقراءةِ الوَحي ما دامَ جبريلُ يقرأُ لتأخذه على عجلة، ولئَلا يتفلَّتَ منك. ثم علل النهيَ عن العجلةِ بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صَدْرِكَ ﴿وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ وإثباتَ قراءَتهِ في لسانك، والقرءانُ: القراءةُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ۝١٨﴾ [قال الإمام أبو منصور الماتريدي: أي: جمعناه

﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ
نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾﴾

في قلبك[1] بعدما فرَّقناه في التنزيل، ويروى تفسيرُ ﴿قَرَأۡنَٰهُ﴾ بجمعناه عن ابن عباس رضي الله عنهما] ﴿فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [فاستمِرَّ على قراءته، أو إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به، قاله ابن عباس رضي الله عنهما] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ إذا أشكَلَ عليكَ شيءٌ من معانيه، [أو بيان معانيه وأحكامه وشرائعه].

٢٠- ٢١- ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن إنكار البَعث ﴿بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾ كأنه قيل: بَل أَنتُم يا بَني ءادمَ، لأنكم خُلقتم مِن عَجَل[2] وطُبعتم عليه، تَعجَلون في كل شيء، ومِنْ ثَمَّ تُحِبُّونَ العاجلةَ الدنيا وشهواتِها ﴿وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ الدارَ الآخرة ونعيمَها فلا تعمَلون لها.

٢٢- ٢٣- ﴿وُجُوهٞ﴾ هي وجوهُ المؤمنين ﴿يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ حَسَنَةٌ ناعمة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ بلا كيفية ولا جهةٍ ولا ثُبوتِ مَسَافةٍ، وحَمْلُ النظر على الانتظار لأَمْرِ رَبِّها أو لثوابِهِ لا يَصِحُّ، لأنه يقال: نظرتُ فيه أي: تفكَّرت، وَنظرتُه: انتظرتُه، ولا يُعَدَّى بإلى إلا بمعنى الرؤيةِ، مع أَنه لا يليقُ الانتظارُ في دارِ القَرار.

٢٤- ٢٥- ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾﴾ كالِحَةٌ شديدةُ العُبُوس، وهي وجوهُ الكفار ﴿تَظُنُّ﴾ تتوقَّعُ ﴿أَن يُفۡعَلَ بِهَا﴾ فِعْلٌ هوَ في شِدَّتِهِ ﴿فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾﴾ داهِيَةٌ تقصِمُ[3] فَقارَ الظهرِ.

---

(١) يقال في اللغة قرأ بمعنى: جَمَعَ، تقول: قرأتُ الماءَ في الحوض إذا وضعتَ فيه ماء.
(٢) كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الأنبياء]، أي: عجولًا، أي: رُكِّبَت فيه العَجَلةُ، فكأنه خُلِقَ من العَجَل.
(٣) القَصْم: الكَسْرُ الشديدُ مع الإبانة.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

٢٦- ٣٠- ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ عن إيثار الدنيا على الآخرة، كأنه قيل: ارتدِعوا عن ذلك وتنبَّهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطِعُ العاجلةُ عنكم وتنتقلون إلى الآجلة التي تَبْقَونَ فيها مُخَلَّدين ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروحُ ﴿ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ العِظامَ المكتَنِفَةَ لثُغْرَةِ النَّحْرِ[1] عن يمين وشمال، جَمْعُ تَرْقُوَةٍ[2] ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾﴾ قال حاضِرو المُحْتَضَر بعضُهم لبعض: أَيُّكم يَرقِيْهِ مما به؟ منَ الرُّقْيَةِ ﴿وَظَنَّ﴾ أيقنَ المحتَضَرُ ﴿أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ أن هذا الذي نَزَلَ به هو فِراقُ الدنيا المَحْبوبة ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ التوَتْ ساقاهُ عندَ مَوتِه، وعن سعيد بنِ المُسَيَّب: هما ساقاه حين تُلَفّان في أكفانه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هما همَّان هَمُّ الأهل والولد، وهَمُّ القدوم على الواحد الصمد ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ مَساقُ العبادِ إلى حيثُ أَمَرَ اللهُ، إما إلى الجنةِ أو إلى النارِ.

٣١- ٣٥- ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ بالرسولِ والقُرءان ﴿وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ الإنسانُ[3] في قوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾ ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقرءانِ ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ يَتَبَخْتَرُ[4] ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾ بمعنى وَيْلٌ لك وهو دعاءٌ عليه بأن يليَهُ ما يكره ﴿فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ كَرَّرَ للتأكيد، وقيل: وَيْلٌ لك يومَ الموت، وويلٌ لكَ في القبرِ، وويلٌ لك حين البَعثِ، وويل لك في النار.

---

(١) أي: المحيطةَ بها.
(٢) التَّرْقُوَتان: العظمان المُشرِفان بين ثُغْرَةِ النحر والعاتِق من الجانبين.
(٣) أي: الإنسانُ الكافر الذي مَرَّ ذِكرهُ أكثر من مَرَّة في هذه السورة كقوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾، وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾.
(٤) أي: يمشي مِشيةَ المتكبر المعجب بنفسه.

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠﴾

٣٦- ٤٠- ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦﴾ أيحسَبُ الكافر أن يُترك مُهْمَلًا، لا يُؤمَرُ ولا يُنهَى ولا يُبعَثُ ولا يُجازَى ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧﴾ أي: يُراقُ المنيُّ في الرَّحِم ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ صارَ المنيُّ قِطعَةَ دَم جامِدٍ بعدَ أربعينَ يومًا ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨﴾ فَخَلَقَ اللهُ منه بَشرًا سَويًّا ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩﴾ أي: مِنَ المنيّ الصنفين [الذَّكَرُ صِنفٌ، والأُنثى صِنفٌ] ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠﴾ أليس [ذلك] الفعَّالُ لهذه الأشياء بقادر على الإعادة، وكان ﷺ إذا قرأها يقول: «**سبحانك بَلَى**» الحديث.

سورة الإنسان
مكية وهي إحدى وثلاثون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ قد مَضَى[(١)] ﴿عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ ءادمَ عليه السلام ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ أَربعونَ سنةً مُصَوَّرًا قبلَ نَفْخِ الروحِ فيه ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ لم يُذكَر اسمُه ولم يُدْرَ ما يُرادُ به لأَنه كان طينًا يَمُرُّ بهِ الزمانُ.

٢- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: وَلدَ ءادمَ، وقيل: الأول ولدُ ءادم أيضًا، و﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ على هذا مدة لُبثه في بطن أمه إلى أن صار شيئًا مذكورًا بين الناس ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ مِن نُطفةٍ قد امتزجَ فيها الماءان ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ مريدين ابتلاءه بالأمر والنهي ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ ذا سمع وبصر [يسمع الأصوات ويرى الذَّوات فيستدل بالمخلوقات على الخالق].

٣- ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بيَّنّا له طريقَ الهُدى بأَدلة العَقل والسَّمْع

---

(١) وهو استفهامٌ على وَجهِ التقريرِ والخَبرِ، بمعنى قد أَتَى، أي: قد مَضَى، وهو كقولك لآخر: هل وعظتُكَ، هل أَعنتُك، وقد وعظتَهُ وأَعنتَه.

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا﴾

﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ مؤمنًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ كافرًا، أي إن شَكَرَ [وإن] كَفَرَ فقد هديناه السبيل في الحالين [وعَرَّفناه عاقبةَ ذلك].

٤- ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ جَمْعُ سِلسِلة ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ جَمعُ[1] غُلٍّ ﴿وَسَعِيرًا ۝٤﴾ نارًا موقدة.

٥- ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمعُ بَرٍّ وهم الصادقونَ في الإيمان ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ خَمْرٍ[2] فنَفْسُ الخَمرِ تُسمى كأسًا، وقيل الكأس: الزجاجة إذا كان فيها خمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تُمْزَجُ به ﴿كَافُورًا ۝٥﴾ ماءَ كافورٍ، وهو اسمُ عَينٍ في الجنة، ماؤها في بياض الكافورِ ورائحتهِ وَبَرْدِهِ.

٦- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ يَلْتَذُّ بها [عبادُ الله] يَمْزُجُون بها شرابهم ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ يُجرونها حيث شاؤوا من منازلهم[3] ﴿تَفْجِيرًا ۝٦﴾ سَهلًا لا يَمتنعُ عليهم.

٧- ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ بما أَوجبوا على أنفسهم، والوفاءُ بالنذر مبالغةٌ في وصفهم بالتَّوَفُّرِ[4] على أداء الواجبات، لأن مَنْ وَفَى بما أوجَبَه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه اللهُ عليه أَوْفَى ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ﴾ شَدَائدهُ ﴿مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ منتشرًا.

٨- ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: حُبِّ الطعام مع الاشتهاءِ ﴿مِسْكِينًا﴾ فقيرًا عاجزًا عن الاكتساب ﴿وَيَتِيمًا﴾ صغيرًا لا أب له

(١) وهو طَوْقٌ من حديد يُجعَلُ في العُنق وتُشدُّ به الأيدي إلى العنق بالسِّلْسِلة.
(٢) من خمر الجنة الذي هو غير مُسْكِرٍ وغير نجِس.
(٣) يجعلونها تنبُعُ وتجري حيث شاؤوا ومتى شاؤوا.
(٤) التَّوَفُّرُ على الشيء: صَرفُ الهمة له.

﴿وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ﴾

﴿وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ مأسورًا. ثم علَّلوا إطعامَهم فقالوا:

٩- ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي: لطلب ثوابه[١]، أو هو بيانٌ من الله تعالى عما في ضمائرهم لأن الله تعالى عَلِمَه منهم فأثنى عليهم وإن لم يقولوا شيئًا ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ هديَّةً على ذلك ﴿وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ ثناءً.

١٠- ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ أي: إنا لا نريد منكم المكافأةَ لِخَوفِ عِقابِ اللهِ على طَلبِ المكافأة بالصَّدَقة، أو إنا نخاف من ربنا فتصدقنا لوجهه حتى نأمنَ من ذلك الخوف ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ وُصِفَ اليومُ بصفةِ أَهلِه منَ الأشقياء، والقَمْطَرِيرُ: الشديدُ العُبوسِ الذي يَجمَعُ ما بين عينيه.

١١- ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ صانَهم من شدائده ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أعطاهم بَدلَ عُبوس الكفار ﴿نَضْرَةً﴾ حُسنًا في الوجوه ﴿وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ فرحًا في القلوب.

١٢- ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بِصَبْرِهم على الإيثار ﴿جَنَّةً﴾ بُستانًا فيه مأكَلٌ هَنيءٌ ﴿وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ مَلْبَسًا بهيًّا.

١٣- ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الأَسِرَّة، جَمْعُ الأَريكَة ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ لأنه لا شَمْسَ فيها ولا زَمْهَرِيرَ، فظِلُّها دائمٌ وهَواؤها معتدلٌ، لا حَرَّ شَمْسٍ يُحْمِي، ولا شِدَّةَ بَرْدٍ تؤذي. فالزمهريرُ البَردُ الشديد.

١٤- ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ قَريبةً منهم ظِلالُ أَشجارِها ﴿وَذُلِّلَتْ﴾

---

(١) وهل تكلموا بذلك أو عَلِمَه الله منهم فأثنى عليهم به؟ قولان.

﴿قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾

سُخِّرت للقائم والقاعد والمُتَّكِئ ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها، جَمْعُ قِطْفٍ[1] ﴿تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [سُهِّلَ اجتناء ثمرها كيف شاؤوا، متَّكئين وقاعدين وقائمين].

١٥- ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ يُدِيْرُ عليهم خَدَمُهم كُؤوسَ الشَّرَاب، والآنية جمع إناء وهو وعاء الماء ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أي: من فضة، جَمْعُ كوبٍ، وهو إبريقٌ لا عُروَةَ[2] له ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾﴾ أي: كُوِّنَتْ فكانت قواريرَ بتكوينِ الله.

١٦- ﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ أي: مَخلوقةً مِنْ فِضَّة، فهي جامعة لبياض الفضة وحُسْنِها وصَفاءِ القواريرِ وشفيفها، حيث يُرى ما فيها مِنَ الشراب مِنْ خارجها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قواريرُ كل أرض مِن تُربتها، وأرض الجنة فضة ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ أَهلُ الجنةِ قَدَّروها على أشكالٍ مَخصوصة فجاءت كما قَدَّروها تكرِمَةً لهم، أو السُّقاةُ جعلوها على قدر رِيِّ شارِبيها، فهي ألَذُّ لهم وأخفّ عليهم.

١٧- ١٨- ﴿وَيُسْقَوْنَ﴾ أي: الأبرارُ ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿كَأْسًا﴾ خَمْرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا ﴿١٨﴾﴾ في الجنة ﴿تُسَمَّىٰ﴾ تلك العينُ ﴿سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ سُمِّيت العينُ زنجبيلًا لطَعْمِ الزنجبيل فيها - والعَرَبُ تستلذُّهُ وتستطِيبُه - وسَلْسَبيلًا لِسَلاسَةِ انحِدارها في الحلق وسهولةِ مَسَاغِها.

١٩- ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ﴾ غِلمَانٌ يُنْشِئُهم اللهُ لِخِدمَة المؤمنين ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾

---

(١) القِطْفُ: العنقود، وما قُطِفَ من الثمار.
(٢) العُرْوَةُ: المَقْبِضُ.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

لا يموتون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لِحُسنِهم وَصَفاءِ أَلوانِهم وانبِثَاثِهم[1] في مجالسهم ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [أي متفرقًا بعضُه عن بعض وليس منظومًا بنظم واحد]، وتخصِيصُ المَنْثورِ لأَنه أَزيَنُ في النظر من المنظوم.

٢٠- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ في الجنة، [أي: أينَما نظرت في الجنة] ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ كثيرًا ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ واسعًا، يُروى أَن أَدنى أهلِ الجنة مَنزلةً يَنظُر في مِلكِه مسيرةَ ألفِ عام يَرَى أَقصاهُ كما يَرى أَدناه، وقيل: مُلكٌ لا يَعقُبُه هُلْكٌ[2].

٢١- ﴿عَالِيَهُمْ﴾ أي: يَطوفُ عليهم وِلدانٌ [عليهم] ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ ما يعلوهم من ملابِسِهم ثيابُ سُنْدُس[3] رَقِيقِ الدِّيباج ﴿خُضْرٌ﴾ جمعُ أَخضرَ ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ غليظٌ ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي سورة الحج ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴿٢٣﴾﴾ قال ابن المسيب: لا أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أَسْوِرَةٍ[4]، واحدة من فضة، وأُخرى من ذهب، وأُخرى من لؤلؤ. [وقيل: على التعاقب] ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أُضيف إليه تعالى للتشريف والتخصيص ﴿شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ ليس بِرِجْسٍ[5] كخَمر الدنيا. يقال لأهل الجنة:

٢٢- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ النعيمَ ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ لأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ محمودًا مقبولًا مرضيًّا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم

---

(١) أي: انتشارهم.
(٢) أي: مُلكٌ دائمٌ لا يزول.
(٣) السندسُ: الحريرُ الرقيق الدِّيباج، والإستبرقُ: الغليظُ منه.
(٤) الأَسْوِرَةُ: جمع سِوارٍ، والأَساوِرُ: جمعُ الجمع، جمعُ أَسْوِرة.
(٥) الرِّجْسُ: الشيءُ القَذِرُ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

والأسير: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

٢٣- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ ولم يكنْ تنزيلُه مُفرَّقًا إلا حكمةً وصوابًا، ومِنَ الحكمة الأَمرُ بالمصابَرَة.

٢٤- ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ الرسالة واحتمالِ الأَذِية، وتأخيرِ نُصرتك على أَعدائك مِن أهل مكة ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ مِنَ الكَفرة ﴿ءَاثِمًا﴾ راكبًا لِمَا هو إثمٌ داعيًا لك إليه ﴿أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ فاعلًا لِمَا هو كفرٌ، داعيًا لكَ إليه، وقيل: الآثم: عُتبةُ، لأنه كان ركَّابًا للمآثم والفسوق، والكفورُ: الوليد، لأنه كان غاليًا في الكفر والجحود، والظاهر أن المراد كلُّ ءاثم وكافر، أي: ولا تطع ءاثمًا ولا كفورًا.

٢٥- ٢٦- ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ صَلِّ لَهُ ﴿بُكْرَةً﴾ صَلاةَ الفَجْرِ ﴿وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ صَلاةَ الظُّهرِ والعَصرِ ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ وبعضَ الليلِ فَصَلِّ صلاةَ العِشاءَينِ ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ تَهَجَّدْ له هَزِيعًا(١) طويلًا منَ الليل ثُلُثَيْهِ أو نِصْفَه أو ثُلُثَهُ.

٢٧- ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الكفرةَ ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يُؤثرونَها على الآخرة ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ قدَّامَهم(٢)، أو خَلفَ ظهورِهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ شديدًا لا يَعْبأون به، وهو القيامة، لأن شدائِدَه تَثقُلُ على الكفار.

٢٨- ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ﴾ أَحْكَمْنا ﴿أَسْرَهُمْ﴾ خَلْقَهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: إذا شِئْنا إِهلاكهم أَهلكناهم وبَدَّلنا أَمثالَهم في الخِلقَة مَنْ يُطِيْعُ.

---

(١) أي: طائفةً طويلةً منَ الليل.

(٢) الوراءُ مِنَ الأضداد يكون للخلف وللأمام.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾

---

٢٩ - ٣٠ - ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السورة ﴿تَذۡكِرَةٞۖ﴾ عِظَةٌ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩﴾ بالتقرُّب إليه بالطاعة له واتِّباع رسولِه ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ اتّخاذَ السبيلِ إلى الله ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ[(١)] ٱللَّهُۚ﴾ هو لعُمومِ المشيئة في الطاعة والعِصيانِ والكفر والإيمان، فيكونُ حُجةً لنا علىَ المعتزلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكونُ منهم منَ الأحوال ﴿حَكِيمٗا ٣٠﴾ مُصيبًا في الأقوال والأفعال.

٣١ - ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ﴾ هم المؤمنونَ ﴿فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ جَنَّتِه، لأنها برَحْمَتِهِ تُنالُ، وهو حُجةٌ على المعتزلة لأنهم يقولون: قد شاءَ أن يُدخِلَ كُلًّا في رَحمته، لأنه شاءَ إيمانَ الكُلِّ، واللهُ تعالى أَخبرَ أنه يُدخِلُ مَن يَشاءُ في رَحمتِه، وهو الذي عَلِمَ منه أَنه يختارُ الهُدى ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرينَ، لأنهم وَضَعوا العبادةَ في غيرِ موضِعها ﴿أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ [أَعدَّ لهم في الآخرة عذابًا مؤلمًا، وهو عذاب جهنم].

---

(١) نقل الإمام النسفي عند تفسير هذه الآية قولًا مردودًا عن الزمخشري وقد حذفناه من الأصل ولكن نذكره هنا للتنبيه على رَدِّه وهو قوله: «النصب على الظرف، أي إلا وقتَ مشيئة الله» قال شيخنا العبدري رحمه الله: «مشيئة الله لا تُوَقَّت بل هي أزلية أبدية، والصواب أن يقال ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلا بمشيئة الله.
ونقل أبو حيان في البحر المحيط عن الزمخشري هذا القولَ - أي: الذي نقله النسفي عن الزمخشري - وردّه وقال بعد نقلِهِ له: ونصُّوا على أنه لا يقوم مقام الظرف إلا المصدرُ المصرَّحُ به كقولك: أَجيئك صياحَ الديك، ولا يُجيزون أَجيئك أن يصيح الديك ولا ما يصيح الديك، فعلى هذا لا يجوز ما قاله الزمخشري.

سورة المرسلات
مكية وهي خمسون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٦ - ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ أقسَمَ سبحانه وتعالى بطوائفَ مِنَ الملائكة أَرسَلَهُن بأَوامِره ﴿عُرْفًا﴾ أي: متتابعةً، [أي: أرسلوا متتابعين يتلو بعضهم بعضًا]، فَعَصَفْنَ[1] في مُضِيِّهِنَّ، وبطوائفَ منهم نَشَرْنَ أَجنِحَتَهن في الجو عند انحِطاطِهِنَّ[2] بالوحي، أو نَشَرْنَ الشرائعَ في الأرض، أو نَشَرْنَ النفوسَ[3] الموتى بالكفرِ والجَهل بما أَوحَيْنَ، فَفَرَقْنَ بين الحَقِّ والباطلِ، فأَلقَيْنَ ذِكرًا[4] إلى الأنبياء عليهم السلام عذرًا للمُحِقِّينِ أو نُذْرًا للمُبْطِلِيْنَ[5].

---

(١) أي أسرعن لامتثال أوامر الله كالعصف، أي: كعصف الرياح، وهو شدة هبوبها.
(٢) أي: هُبوطِهِنَّ.
(٣) أي: أَحيينَ النفوس الميتة بالكفر والجهل بالعلم والدين الذي نزلنَ به بالوحي. والنشرُ يأتي بمعنى الإحياء كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢﴾ [سورة عبس] أي أحياه بعد موته.
(٤) أي: ألقين الوحي الذي نزلن به على الأنبياء.
(٥) أي: ليكون توبةً للذين ءامنوا واتَّبعوا الحقّ، وإنذارًا للذين استمرُّوا على الباطل.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا﴾

٧- ١٤- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ إن الذي تُوعَدونه مِن مَجيء يوم القيامة ﴿لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ لكائنٌ نازلٌ لا رَيبَ فيه، وهو جواب القسم ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ مُحِيَت، أو ذُهِبَ بِنُورها ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾ فُتِحَت فكانت أبوابًا ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾ قُلِعَت من أماكنها ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١﴾ وُقِّتَتْ، ومعنى توقيتِ الرُّسُلِ: تَبيينُ وَقتِها الذي يُحْضَرونَ فيه للشهادة على أُممهم ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢﴾ أُخِّرَت وأُمْهِلَت، وفيه تعظيمٌ لليوم وتعجيبٌ مِن هَوْلِهِ ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣﴾ بيانٌ ليوم التأجيلِ، وهو اليومُ الذي يُفصَلُ فيه بين الخلائق، [وجواب إذا محذوف تقديره: وقعَ ما وُعدتم به، أو وقعَ الفصل؛ أي: وقع عندئذ الفصل بين الخلائق والقضاءُ فيُؤْخَذُ للمظلوم من الظالم، ويُجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤﴾ تعجيبٌ ءاخرُ وتعظيمٌ لأَمرِه.

١٥- ١٩- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ بذلك اليوم ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦﴾ الأُمَمَ الخالية المكذِّبةَ ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝١٧﴾ وَعيدٌ لأَهلِ مكةَ، أي ثُمَّ نَفعلُ بأَمثالهم من الآخِرينَ مِثلَ ما فَعلنا بالأولين، لأنهم كذبوا مثلَ تكذيبهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مِثلَ ذلك الفعلِ الشنيع ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨﴾ بِكُلِّ مَن أَجرم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩﴾ بما أَوْعَدْنا.

٢٠- ٢٤- ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ حَقيرٍ، وهو النُّطفةُ [وروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالمهين: الضعيف] ﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الماءَ ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١﴾ مَقَرٍّ يَتمكَّن فيه، وهو الرَّحِمُ ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢﴾ مُؤَخَّرًا إلى مِقدارٍ مِنَ الوقت معلوم قد عَلِمَه الله وحَكَم به، وهو تسعة أشهر، أو ما فوقَها، أو ما دونَها ﴿فَقَدَرْنَا﴾ فَقَدَّرْنا

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا
رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ
تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى
بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

ذلك تقديرًا ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فَنِعْمَ المُقَدِّرون له نحن ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ بنِعْمَةِ الفِطْرَة[1].

٢٥- ٢٨- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾ مِنْ: كَفَتَ الشيءَ إذا ضَمَّهُ وجمَعَه، [أي ضامَّةً] ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ أي: تكفِتُ أحياءً على ظهرِها وأمواتًا في بطنها[2] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالًا ثوابتَ ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ عالياتٍ ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ عذْبًا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ بهذهِ النِّعَم.

٢٩- ٣٤- ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ يقال للكافرينَ يومَ القيامة: سيروا إلى النار التي كنتم تكذبون بها ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟﴾ تكريرٌ للتأكيد ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ دُخانِ جهنَّمَ ﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾ يَتَشَعَّبُ لعِظَمِهِ ثلاثَ شُعَبٍ، ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ لا مُظِلٍّ من حَرِّ ذلك اليومِ وحَرِّ النار ﴿وَلَا يُغْنِى﴾ وغيرِ مُغْنٍ لهم ﴿مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ من حَرّ اللهب شيئًا ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النارَ ﴿تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ هو ما تَطايَرَ منَ النار ﴿كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ في العِظَمِ، ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ جَمْعُ جَمَلٍ ﴿صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ جمعُ أصفرَ، أي: سُوْدٌ تَضرِبُ إلى الصُّفْرَةِ[3]، وشَبَّهَ الشَّرَرَ بالقَصْر لعِظَمِه وارتفاعه، وبالجِمالِ للعِظَمِ والطول واللون ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾ بأن هذه صِفَتُها.

٣٥- ٣٧- ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ هذا الذي قُصَّ عليكم واقعٌ

---

(١) أي: نِعمَةِ خلقِهم.
(٢) أي: تضم الأحياء على ظهرها كما تَضُم الأمواتَ في القبور في بطنها.
(٣) أي جمال سود يشوبُ سوادَها صُفرةٌ، والعرب تُسمي سودَ الإبل صفرًا لذلك. وقيل: الصفرةُ فيها لما في الشرر من النارية.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

يَومَئذٍ، وسُئل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الزمر] فقال: في ذلك اليوم مواقفُ، في بعضها يختصمون، وفي بعضها لا ينطقون، أو لا يَنطقون بما ينفعهم، بجَعْلِ نُطقِهم كلا نطق. ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في الاعتذار ﴿فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: لا يكون لهم إذنٌ واعتذارٌ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾ بهذا اليوم.

٣٨- ٤٠- ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بينَ المُحِقِّ والمُبْطِلِ، والمُحْسِنِ والمُسيءِ، بالجَزَاءِ ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾ يا مُكَذِّبي محمدٍ ﴿وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ والمُكذِّبين قَبْلَكم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حِيْلَةٌ في دَفعِ العذاب ﴿فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾ فاحتالوا عليَّ[١] بتَخْليص أنفسِكم مِنَ العذاب ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ بالبَعث.

٤١- ٤٥- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ من عذاب الله[٢]، [أو الذين اتَّقَوا الكفرَ] ﴿فِي ظِلَالٍ﴾ جمعُ ظِلّ ﴿وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ جَاريَةٍ في الجنة ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾ لذيذةٍ مُشْتَهاةٍ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: هم مُستقرُّون في ظلال مَقولًا لهم ذلك ﴿هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ في الدنيا[٣] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ فأَحسِنوا تُجْزَوا بهذا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ بالجنة.

---

(١) هذا تعجيز لهم وتوبيخ.
(٢) أي: المصانين مِن عذاب الله، مِن: وَقاهُ الله من كذا أي صَانَهُ، كحديث: «**اتَّقِ النار ولو بشِقِ تمرة**».
(٣) أي: بسبب ما كنتم تعملون من الخير في الدنيا، أو بَدَل ما كنتم تعملون.

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

---

٤٦ - ٤٧ - ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾ خطابٌ للمكذبينَ في الدنيا على وَجْهِ التهديدِ ﴿قَلِيلًا﴾ لأن متاعَ الدنيا قليلٌ ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ كافرون، أَي: إنَّ كلَّ مُجرم يأكلُ ويتمتَّعُ أيامًا قلائلَ ثم يَبْقَى في الهلاكِ الدائم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ بالنعم.

٤٨ - ٥٠ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ اخشَعوا للهِ وتواضعوا إليه بقَبولِ وَحْيِهِ واتِّبَاعِ دِينِهِ، ودَعُوا هذا الاستكبارَ ﴿لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ لا يَخشَعون، ولا يقبَلون ذلك، ويُصِرُّون على استكبارهم، أو إذا قيل لهم: صَلُّوا لا يُصلون، [أي: في الدنيا] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ بالأمر والنهي ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ بعدَ القرءانِ ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي: إن لم يُؤمنوا بالقرءانِ - مع أَنه ءايةٌ مُبْصِرَةٌ[1]، ومعجزةٌ باهِرَة من بين الكُتبِ السماوية - فبأي كتاب بعده يؤمنون؟.

---

(١) أي: ظاهرةٌ بيِّنةٌ.

سورة النبأ
مكية وهي أربعون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٥ - ﴿عَمَّ﴾ هذا استفهامُ تفخيم للمستَفْهَم عنه، لأنه تعالى لا تَخفَى عليه خافيةٌ ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ يَسأَلُ بعضُهم بعضًا، والضميرُ لأَهلِ مكةَ، كانوا يتساءلونَ فيما بينَهم عن البَعثِ، ويَسألونَ المؤمنينَ عنه على طريق الاستهزاءِ ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ أي: البَعْث، وتقديره: يتساءلون عن النبأِ العظيم ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ فَمِنْهم مَن يقطَعُ بإنكارِه، ومنهم مَنْ يَشُكُّ ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن الاختلاف، أو التساؤل هُزُؤًا ﴿سَيَعْلَمُونَ ۝٤﴾ وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عِيانًا أن ما يتساءلونَ عنه حقٌّ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ كَرَّرَ الردْعَ للتشديد.

٦ - ١١ - ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ﴾ لَمَّا أَنكروا البعثَ قيل لهم: أَلَم يَخْلُقْ مَن أُضيفَ إليه البعثُ هذه الخلائقَ العجيبةَ، فَلِمَ تُنكِرون قُدرتَه على البَعثِ؟! وما هو إلا اختراعٌ كهذه الاختراعات ﴿مِهَٰدًا ۝٦﴾ فِراشًا فرشناها لكم حتى سكنتموها ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ للأَرضِ لِئَلا تَمِيدَ[١]

(١) لِئَلا تتحركَ بكم، مِن مادَ يَمِيْدُ إذا تحرك.

﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾

بكم ﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ٨﴾ ذكرًا وأُنثى ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩﴾ قَطْعًا لأعمالكم وراحةً لأبدانكم، والسَّبْتُ: القَطْعُ[1] ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠﴾ سِترًا يَستُركم عن العيون إذا أَردتم إخفاءَ ما لا تُحبونَ الاطِّلاعَ عليه ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١﴾ وَقتَ مَعاشٍ تتقلَّبونَ في حَوائجكم ومكاسبكم.

١٢ - ١٦ - ﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا﴾ سَبْعَ سماوات ﴿شِدَادٗا ١٢﴾ جَمْعُ شَديدة، أي: مُحْكَمةً قويةً لا يؤثر فيها مرورُ الزمان، أو غلاظًا غِلَظُ كل واحدة مسيرةُ خَمسِمائة سنة ﴿وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣﴾ مضيئًا وقَّادًا جامعًا للنور والحرارة، والمراد الشمس، [وجعل هنا بمعنى خلق] ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ﴾ أي: السَّحائب إذا أَعْصَرَتْ، أي: شَارَفَتْ أَن تَعصِرَها الرياحُ فتمطرَ ﴿مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤﴾ مُنْصَبًّا بِكَثْرة[2] ﴿لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ﴾ بالماءِ ﴿حَبّٗا﴾ كالبُرّ والشعير ﴿وَنَبَاتٗا ١٥﴾ وكَلَأً[3] ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بساتينَ ﴿أَلۡفَافًا ١٦﴾ مُلتفَّةَ الأشجارِ [التفَّ بعضُها ببعض].

١٧ - ٢٠ - ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ بينَ المُحْسِنِ والمُسِيء والمُحِق والمُبْطِلِ ﴿كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧﴾ وَقتًا محدودًا ومُنتهًى معلومًا لوقوع الجزاء، أو مِيعادًا للثواب والعقاب ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ في القَرْنِ[4] ﴿فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨﴾ جَماعاتٍ مختلفةً، أو أُممًا كلُّ أُمَّةٍ مع رَسولها ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ شُقَّت

---

(١) يقال: سَبَتَ الرجلُ أي: استراحَ وترك الشغل.

(٢) يقال: ماءٌ كثير الثَّجِّ أي: الانهمارِ والتدفُّق.

(٣) الكلأ: العُشبُ رطبُهُ ويابِسُهُ والبقل وما أشبهه.

(٤) البوق الذي ينفخ فيه سيدنا إسرافيل، ينفخ فيه نفختين: الأولى يُصعقُ الناس فيها فيموتون، والثانية يُبعثون عندها من قبورهم وتعود إليهم أرواحهم.

﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا ١٩ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ٢١ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ٢٢ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ٢٥ جَزَاءً وِفَاقًا ٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ٢٧﴾

لنزولِ الملائكة[١] ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا ١٩﴾ فَصارت ذات أَبوابٍ وطُرُقٍ وفُروج، وما لها اليومَ مِن فروج[٢] ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ عن وَجْهِ الأرض ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا ٢٠﴾ أي: هباءً تُخيِّلُ الشمسُ أنه ماءٌ.

٢١- ٢٥- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ٢١﴾ طريقًا عليه ممر الخلق، فالمؤمنُ يَمُر عليها، والكافر يدخلها، وقيل: المرصادُ: الحدُّ الذي يكون فيه الرَّصَدُ، أي: هي حَدُّ الطاغين الذين يُرصَدون فيه للعذاب، وهي مآبُهم. ﴿لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ٢٢﴾ للكافرين مَرْجِعًا ﴿لَّابِثِينَ﴾ ماكثينَ ﴿فِيهَا﴾ في جَهنمَ ﴿أَحْقَابًا ٢٣﴾ جَمْعُ حُقْبٍ، وهو الدهرُ، ولم يُرَدْ بهِ عددٌ محصورٌ بل الأَبَدُ، كلما مضَى حُقْبٌ تَبِعَه ءاخرُ إلى غير نهاية ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ٢٥﴾ أي: لا يذوقون في جهنم بردًا رَوْحًا[٣] يُنَفِّسُ عنهم حَرَّ النار، ولا شرابًا يُسكِّنُ عطشهم ولكن يذوقون فيها ﴿حَمِيمًا﴾: ماءً حارًّا يُحرِقُ ما يأتي عليه، ﴿وَغَسَّاقًا﴾: ماءً يَسيلُ من صديدهم.

٢٦- ٣٠- ﴿جَزَاءً﴾ جُوزوا جَزاءً ﴿وِفَاقًا ٢٦﴾ مُوافقًا لأعمالهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ٢٧﴾ لا يَخافونَ محاسَبَةَ اللهِ إياهم، أو لم

---

(١) ينزل الملائكة منها في ذلك اليوم أفواجًا وبأيديهم صحائف أعمال العباد ويحيطون بالخلائق في المحشر.

(٢) اليوم لها أبواب ولكن ليس بهيئة خراب، لها أبواب وعليها حراس لا يفتحون إلا لمن أُذن له، جبريل عليه السلام استفتح ليلة المعراج فقيل له: مَن؟ فقال: جبريل، فقيل له: ومن معك؟ فقال: محمد، ففتحوا له، أما ذلك اليوم، يوم القيامة فيصير فيها شقوق، تخرب.

(٣) البرد الذي يُريح هذا الذي لا يوجد، أما البرد الشديد المؤذي فهذا يوجد.

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ٢٨ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ٢٩ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠ إِنَّ
لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا
كِذَّٰبٗا ٣٥ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ
خِطَابٗا ٣٧ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾

يُؤمنوا بالبعثِ ليرجُوا حِسابًا ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ٢٨﴾ تكذيبًا ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ٢٩﴾ [حفظناه وأثبتناه] مكتوبًا في اللوح ﴿فَذُوقُواْ﴾ مُسَبَّبٌ عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات، أي: فذوقوا جزاءَكم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠﴾ [الزيادة في العذاب هي دوامُه وبقاؤه ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا ٥٦﴾ [سورة النساء] و﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧﴾ [سورة الإسراء]].

٣١- ٣٨- ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١﴾ نَجاةً من كُل مَكروه، وظَفَرًا بكل محبوب ﴿حَدَآئِقَ﴾ بساتينَ فيها أنواعُ الشجر المُثْمِر، جمعُ حديقةٍ ﴿وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢﴾ كرومًا ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ نواهِدَ(١) ﴿أَتۡرَابٗا ٣٣﴾ مُستوياتٍ في السِّنِّ ﴿وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤﴾ مملوءةً ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغۡوٗا﴾ باطلًا، [أو كلامًا لا فائدة فيه] ﴿وَلَا كِذَّٰبٗا ٣٥﴾ لا يُكَذِّبُ بعضُهم بعضًا ولا يُكاذِبُه ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦﴾ يعني: كافيًا، [من قولهم: أعطاني فأحسَبَني، أي: أكثرَ عَليَّ حتى قلت: حسبي]، أو على حَسَبِ أَعمالهم ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ﴾ بجرهما بدلًا من ﴿رَّبِّكَ﴾، والضمير في ﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾ لأهلِ السماواتِ والأرضِ، وفي ﴿مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧﴾ لله تعالى، أي لا يملكونَ الشفاعةَ مِن عَذابهِ تعالى إلا بإذنه، [أي: لا أحدَ يقدر أن يخاطبَه تعالى بشفاعة لأحد إلا بإذنه] ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ جبريلُ عندَ الجمهور ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ مُصْطَفين [منتصبين ساكتين هيبةً] ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ في الكلام، أو في الشفاعة،

---

(١) كواعب جمع كاعِب، وهي الجارية إذا نَهَدَ ثَدْيُها، أي ارتفع عن الصدر وصار له حجم.

﴿وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝٣٩ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ۝٤٠﴾

[وهو تقريرٌ وتوكيدٌ لقوله تعالى ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾، فإن هؤلاء الذين هم من أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صوابًا كالشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه، فكيف يملكه غيرهم] ﴿وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ حقًّا، بأن قال المشفوعُ له: لا إلٰه إلا الله في الدنيا.

٣٩-٤٠ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ الثابتُ وقوعُه ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ [إلى ثواب ربه] بالعمل الصالح ﴿مَـَٔابًا ۝٣٩﴾ مرجعًا ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ﴾ أيها الكفارُ ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ في الآخرة، لأن ما هو ءاتٍ قريب[1] ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾ الكافر ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ منَ الشَّرِ لقوله: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ۝٥١﴾ [سورة الأنفال]، وتخصيصُ الأيدي لأن أكثرَ الأعمال تقعُ بها وإن احتَمل ألّا يكون للأيدي مَدخلٌ فيما ارتكب من الآثام ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ﴾ وُضِعَ الظاهر موضعَ المضمر لزيادة الذَّمّ ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ۝٤٠﴾ في الدنيا فلم أُخلَقْ ولم أُكَلَّف، وقيل: يَحشُرُ اللهُ الحيوانَ غيرَ المُكلَّفِ حتى يُقْتَصَّ للجَمَّاءِ[2] من القرناء ثم يَرُدُّه ترابًا فيَوَدُّ الكافرُ حالَه.

---

(١) ما أخبر الله تعالى بأنه يصير فهو قريبٌ ولو كان يحصل في الآخرة، لأنه مُحقَّقُ الوقوع.
(٢) الجَمَّاءُ: التي لا قرنَ لها.

سورة النازعات
مكية وهي ست وأربعون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٥ - ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ أَقسَمَ سُبحانَه بطوائفِ الملائكةِ التي تَنْزِعُ الأرواحَ منَ الأجساد غَرْقًا، أي: إِغراقًا في النَّزْعِ[1]، أي: تَنزِعُها من أَقاصي الأَجساد مِن أَنامِلها ومواضِعِ أَظفارها، وبالطوائف التي تَنْشُطها، أي: تُخرجها، مِنْ نَشَطَ الدَّلْوَ منَ البئر إذا أَخرجها، [وقيل ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار نزعًا بشدة، و﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾ الملائكة تَسُلُّ أرواح المؤمنين برفق]، وبالطوائفِ التي تَسبَحُ في مُضِيِّها، أي: تُسْرِعُ فَتَسْبِقُ إلى ما أُمروا به، فتدبِّرُ أَمرًا من أمور العباد مما يُصلحهم في دِينهم أو دنياهم كما رُسِمَ لهم، أَو بِخَيْلِ الغُزاة التي تَنزِعُ في أَعِنَّتِها[2] نَزعًا تَغْرَقُ فيه الأَعنةُ لطولِ أَعناقها لأنها عِرَابٌ[3]، والتي تَخرج من

---

(١) النَّزْعُ: القَلعُ والإزالةُ والجَذْبُ.

(٢) عِنانُ اللجام: السَّيرُ الذي يُمسَكُ به الدابة، والسَّيرُ: ما قُدَّ من الأديم - أي: قطع من الجلد - طولًا، ومنه شِسْعُ النعل والشِّرَاك.

(٣) خيلٌ عِرابٌ: منسوبة إلى العرب، وفَرقوا بين الخيل والناس، فقالوا في الناس: عربٌ وأعرابٌ، وفي الخيل: عِرابٌ.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾

دار الإسلام إلى دار الحرب، والتي تَسبَحُ في جَريها فتَسبقُ إلى الغاية فتدبِّرُ أَمْرَ الغَلَبَة والظَّفَر، وإسنادُ التدبير إليها لأنها مِن أسبابه، وجواب القَسَم محذوفٌ، وهو لتُبْعَثُنَّ، لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة.

٦- ٧- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ تتحرك حركةً شديدةً، والرَّجْفُ: شِدَّةُ الحَرَكَة ﴿ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾﴾ النفخةُ الأُولى، وُصِفَت بما يَحدثُ بحدوثها لأنها تَضطرب بها الأرضُ حتى يَموتَ كلُّ مَن عَليها ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ النفخةُ الثانية لأنها تَرْدُفُ الأُولى، وبينهما أَربعونَ سَنةً، الأُولى تُميتُ الخَلقَ، والثانيةُ تُحييهم.

٨- ١٢- ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ﴾ قلوبُ مُنكري البَعثِ ﴿وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ مُضطربةٌ، مِنَ الوَجِيفِ[(١)]، أي: يوم ترجف وَجَفَتِ القلوبُ ﴿أَبْصَـٰرُهَا﴾ أبصارُ أَصحابِها ﴿خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ ذليلةٌ لِهَوْل ما تَرى ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: مُنكِرو البَعثِ في الدنيا استهزاءً وإنكارًا للبعث ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكار، أي: أَنُرَدُّ بعدَ موتِنا إلى أَولِ الأَمرِ فَنَعودَ أَحياءً كما كُنا؟! والحافِرَةُ: الحالةُ الأولى، يقال لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه: رَجَعَ إلى حافرته، أي: إلى حالته الأُولى، ويقال: النقد عند الحافرة، أي: عند الحالة الأولى، وهي الصَّفقة. أنكروا البعث، ثم زادوا استبعادًا فقالوا ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾ بَالِيَةً، والمعنى: أَنُرَدُّ إلى الحياة بعدَ أن صِرْنا عِظامًا بَاليةً ﴿قَالُوا۟﴾ أي: مُنكِرو البَعث ﴿تِلْكَ﴾ رَجْعَتُنا ﴿إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ رَجْعَةٌ ذاتُ خُسْرَان، والمعنى: أَنها إنْ صَحَّت وَبُعِثنا فنحنُ إذًا خاسرونَ لتكذيبنا بها، وهذا استهزاءٌ منهم.

---

(١) الوَجْفُ: ضربٌ من السير سريعٌ، قلوبهم واجفة أي: سريعة الاضطراب والخَفَقان من هَوْلِ ما عاينت.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾

١٣- ١٤- ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ أي: لا تَحْسَبوا تلكَ الكَرَّةَ صَعبةً على الله عز وجل فإنها سَهلةٌ هَينةٌ في قُدرته، فما هي إلا صَيْحَةٌ واحدةٌ، يريدُ النفخةَ الثانية ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ فإذا هم أَحياءٌ على وَجهِ الأرضِ بعدما كانوا أمواتًا في جَوفِها، وقيل: الساهرةُ أرضٌ بِعَينها بالشامِ إلى جَنْبِ بيتِ المقدس.

١٥- ٢٥- ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ استفهامٌ يَتضمَّن التنبيهَ على أن هذا مما يجب أن يَشيعَ، والتشريفَ للمخاطَبِ به ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ حِينَ ناداهُ ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ المباركِ المُطَهَّرِ ﴿طُوًى ﴿١٦﴾﴾ اسمُهُ ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ تَجاوَزَ الحَدَّ في الكُفر والفَساد ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ هل لك مَيْلٌ إلى أن تتطهَّرَ منَ الشِّرك والعِصيان بالطاعة والإيمان ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وأُرشِدَكَ إلى معرفةِ الله بذكر صفاته فتعرفَه ﴿فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ لأن الخشيةَ لا تكون إلا بالمَعرفة. بدأ مخاطبتَه بالاستفهام الذي معناه العَرْضُ، وأردَفَهُ الكلامَ الرقيقَ ليستدعِيَه باللطف في القول عن عُتُوِّهِ[1] كما أُمِرَ بذلك في قوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة طه] ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ أي: فَذهَبَ، فأرى موسى فرعونَ العَصَا، أو العَصَا واليَدَ البيضاءَ[2] لأنهما في حُكم ءايةٍ واحدة ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعونُ بموسَى والآيةِ الكبرى، وسمَّاهما ساحرًا وسحرًا ﴿وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ اللهَ تعالى ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ تولَّى عن موسى ﴿يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ يجتهدُ

---

(١) العُتوُّ: مجاوزة الحدِّ في الفساد والتجبُّر.
(٢) العصا التي كانت لموسى عليه السلام وأُمر بإلقائها أمام فرعونَ والسحرةِ فانقلبت حيةً حقيقيةً تسعى، وهو مِن قَلْبِ الأعيان، ثم أُمِرَ بإدخال يَدِهِ، أي كفِّهِ اليمنى تحت عَضُدِهِ الأيسر فخرجت بيضاءَ مُشِعَّةً من غير سوء، وكان لونُها الأُدمة، أي السُّمْرَة.

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾﴾

في مُكايَدَتِه[١]، أو لمَّا رأى الثعبانَ أَدبَرَ مرعوبًا يُسْرِعُ في مِشيته وكان طَيَّاشًا[٢] خفيفًا ﴿فَحَشَرَ﴾ فجمَعَ السَّحرةَ وَجُندَهُ ﴿فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ في المَقام الذي اجتمعوا فيه مَعه ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ لا رَبَّ فوقي، وكانت لهم أَصنامٌ يعبدونها ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ[٣] الْآخِرَةِ﴾ عاقَبَهُ اللهُ عقوبةَ الآخرة، أي الإحراق ﴿وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ أي الإغراقِ، أو نَكَالَ كلمتيه الآخِرَةِ وهي: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾، والأولى وهي: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴿٣٨﴾﴾ [سورة القصص] وبينهما أَربعونَ سَنةً أو ثلاثونَ أو عشرون.

٢٦- ٣٣- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ اللهَ ﴿أَأَنتُمْ﴾ يا مُنكري البَعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أَصعَبُ خَلقًا وإنشاء ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾ أَم السماءُ أَشَدُّ خَلقًا، ثم بيَّن كيفَ خَلَقَها فقال: ﴿بَنَاهَا ﴿٢٧﴾﴾ أي: اللهُ، ثم بيَّن البِناءَ فقال: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أَعلَى سَقْفَها، وقيل: جَعَلَ مِقدارَ ذَهابها في سَمْتِ العُلو رَفيعًا مَسيرةَ خمسمائة عام[٤] ﴿فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾﴾ فَعدلَها مستويةً بلا شُقوق ولا فُطور[٥] ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أَظْلَمَه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾﴾ أَبرَزَ ضَوءَ شَمسِها، وأُضيفَ الليلُ والشمسُ إلى السماء لأن الليل ظلمَتُها، والشمسَ سراجُها ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾﴾ بَسَطَها، وكانت مَخلوقةً غيرَ مَدْحُوَّةٍ فَدُحِيَتْ مِن مَكةَ بعدَ خلقِ السماء بأَلفي عام، ثم فَسَّر البَسط فقال: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ بتفجيرِ العُيون ﴿وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾﴾ كَلأَها

---

(١) في معانَدَتِه والمَكر به.
(٢) أي: كثير الطَّيْشِ، والطَّيْشُ خِفة العقل، ضِدُّ الرَّزانَةِ والوَقار.
(٣) النكال: العقوبة الشديدة التي تجعلُ المنكَّلَ به عِبرَةً لِغيرِهِ بألّا يَفعَلَ مِثلَه.
(٤) أي: الارتفاع بين سطحها الذي يلينا وسطحها الذي يلي ما فوقها خمسمائة عام.
(٥) الفطورُ: أيضًا الشقوق.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا
سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ
ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ أَثبتَها ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ فَعَلَ ذلك تَمتيعًا لكم ولأنعامِكم.

٣٤ - ٤١ - ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ الدَّاهِيَةُ[1] العُظمى التي تطُمُّ على الدَّواهي، أي: تعلو وتَغلِبُ، وهي النفخةُ الثانية، أو الساعةُ التي يُساق فيها أَهلُ الجنة إلى الجنة وأهلُ النار إلى النار ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ إذا رأى أَعمَالَه مُدَونةً في كتابِهِ يتذكَّرُها وكان قد نَسِيَها ﴿مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ أي: سَعْيَهُ ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ وأُظهرت [النار] ﴿لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ لكلِ رَاءٍ لظهورها ظهورًا بيّنًا ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ جَاوزَ الحَدَّ فكفَرَ ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ على الآخرة باتّباع الشهواتِ ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ أي: مأواهُ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي: عَلِمَ [في الدنيا] أن له مقامًا يومَ القيامة لحِسَابِ ربه ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ الأَمَّارةَ بالسُّوءِ ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ المُرْدِي[2]، أي: زَجرَها عن اتباع الشهوات، وقيل: هو الرجلُ يَهُمُّ بالمعصية فيذكُرُ مقامَهُ للحساب فيترُكُها، والهَوى مَيلُ النفس إلى شَهواتها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ أي: المرجع.

٤٢ - ٤٦ - ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ متى إرساؤها، يعني: متى يُقيمها اللهُ تعالى وَيُثبتها ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ في أَيِّ شيءٍ أَنتَ مِنْ أَن تذكُرَ وقتَها لهم وتعلِمَهم به، أي: ما أنت مِن ذِكرِها لهم وتَبيينِ وَقتِها في شيء، وكانَ رسولُ الله ﷺ لم يزلْ يَذكرُ الساعةَ ويُسأَلُ عنها

---

(١) الداهِيَةُ: البَلِيَّةُ والأَمرُ المُنْكَرُ العظيم.
(٢) أي: المُهْلِك.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

حتى نزلت أي: أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ مُنتهى عِلْمِها متى تكونَ، لا يعلَمُها غيرُه ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ لم تُبعَثْ لتُعْلِمَهم بوقتِ الساعة، وإنما بُعثتَ لتُنذِرَ مِن أَهوالها مَن يخافُ شدائدَها ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ أي: الساعةَ ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ ضُحَى العَشِيَّةِ، استقلُّوا مُدةَ لُبثِهم في الدنيا لِمَا عاينوا منَ الهَول، والمراد أن مدة لُبثهم لم تبلغ يومًا كاملًا، ولكنْ أَحدَ طرفي النهار عَشِيَّتَهُ، أو ضُحاه، والله أعلم.

سورة عبس
مكية وهي اثنتان وأربعون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٤ - ﴿عَبَسَ﴾ كَلَحَ[١]، أي النبيُّ ﷺ ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ أَعرَضَ ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ عبدُ اللهِ ابنُ أم مَكتومٍ، وأُمُّ مَكتوم أُمُّ أَبيهِ، وأَبوهُ شُرَيْحُ بنُ مالك، أَتَى النبيَّ ﷺ وهو يَدعو أَشرافَ قريشٍ إلى الإسلام فقال: يا رسولَ الله، عَلِّمْني مما عَلَّمك اللهُ، وكَرَّرَ ذلك وهو لا يعلَمُ تشاغُلَه بالقوم، فَكَرِهَ رسولُ الله ﷺ قَطْعَه لكلامه وعَبَس وأَعرضَ عنه، فنزلت، فكانَ رسولُ الله ﷺ بعدَها يقولُ: «مَرحبًا بمَنْ عاتَبني فيه ربي» واستخلفه على المدينة مَرَّتين[٢] ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ وأَيُّ شيء يَجعلُك داريًا بحالِ هذا الأعمى ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ لعل الأعمى يتطهَّرُ بما يَسمَعُ منك من دَنَسِ الجهل ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ﴾ يتَّعظُ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾ ذِكراك أي: موعظتك، أي إنك لا تدري ما هو مُترَقَّبٌ منه من تَزَكٍّ أو تَذَكُّرٍ[٣]، ولو دَرَيْتَ لَمَا فَرَطَ ذلك منك[٤].

---

(١) أي: قبضَ وجهه الشريفَ انزعاجًا.
(٢) أي: فيما يجوز استخلاف الأعمى فيه.
(٣) أي: تَطَهُّرٍ أو اتِّعاظ.
(٤) لَمَا تقدَّم حصول ذلك منك.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩﴾

٥- ٧- ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥﴾ مَنْ كان غنيًّا بالمال ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ تتعرَّضُ بالإقبال عليه حِرصًا على إيمانه ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ وليس عليك بأسٌ في ألّا يتزكَّى بالإسلام، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۝٤٨﴾ [سورة الشورى].

٨- ١٠- ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨﴾ يُسْرِعُ في طلب الخير [وهو ابن أمِّ مَكتوم] ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾ اللهَ، أو الكفارَ - أي: أذاهم في إتيانك - أو الكَبْوَةَ[1] كعادة العُميان ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ تتشاغل.

١١- ١٦- ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا تَعُدْ إلى مِثلِه ﴿إِنَّهَا﴾ إن السورةَ أو الآياتِ ﴿تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾ مَوعِظةٌ يجبُ الاتِّعاظ بها والعملُ بموجَبها ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ فمن شاء اللهُ له أن يَذْكُرَهُ ذَكَرَهُ[2]، ﴿فِى صُحُفٍ﴾ مُثبَتةٌ في صُحف مُنتَسَخةٍ من اللوح ﴿مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣﴾ عندَ الله ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السماء، أو مرفوعةِ القَدر والمَنزلة ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤﴾ عن مَسِّ غيرِ الملائكة ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥﴾ كَتَبَة، أي: الملائكةُ ينتسِخون الكُتُبَ منَ اللوحِ ﴿كِرَامٍۭ﴾ على اللهِ، أو عن المعاصي ﴿بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ أتقياءَ، جمعُ بارّ.

١٧- ٢٢- ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ لُعِنَ الكافر، أو هو أُمَيَّةُ أو عُتْبَةُ[3] ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ ما أَشَدَّ كفره ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨﴾ هو استفهامٌ ومعناه التقريرُ. ثم بيَّن ذلك الشيء فقال: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩﴾ على ما

---

(١) الكَبْوَةُ: السقوط للوجه، أي: لجهة الوجه.
(٢) أي: إنها موعِظةٌ لكن لا يتَّعِظُ بها إلا مَنْ شاء الله له الاتِّعاظ.
(٣) أُمَيَّةُ بنُ خَلَف أو عُتْبَةُ بنُ أبي لَهَب.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾

يشاءُ مِن خلقه[١] ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾ ثم سهَّل له سَبيلَ الخروج من بطن أمه، أو بيَّن له سبيل الخير والشر ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ جَعلَه ذا قبر يُوارَى فيه لا كالبهائم كرامةً له ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ أَحياهُ بعد موته. [إذا بلغ الوقت الذي قد شاءه الله تعالى، وهو يوم القيامة].

٢٣- ٣٢- ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ للإنسان عن الكفر ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ لَمْ يفعَلْ هذا الكافرُ ما أَمرهُ اللهُ به من الإيمان. ولمَّا عدَّدَ النِّعَم في نفسه من ابتداءِ حُدوثهِ إلى ءانِ[٢] انتهائهِ أَتبعَه ذِكرَ النِّعَم فيما يُحتاج إليه فقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [نَظَرَ اعتبار] ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ الذي يأكلُه ويحيا به كيف دبَّرنا أَمره ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ يعني: المطرَ منَ السَّحاب ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ بالنبات ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ كالبُرِّ والشعير وغيرِهما مما يُتغذى به ﴿وَعِنَبًا﴾ ثَمرَةَ الكَرْم، أي: الطعامَ والفاكهةَ ﴿وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ رَطْبةً[٣] ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ ﴿٣٠﴾﴾ بساتين ﴿غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ غِلاظَ الأشجار ﴿وَفَٰكِهَةً﴾ لكم ﴿وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾[٤] مَرْعًى لدوابكم ﴿مَّتَٰعًا﴾ منفعة ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

---

(١) وقيل: قدَّره أحوالًا نطفةً، ثم علقة، ثم مضغة، إلى سائر أحواله التي يكون عليها، وقيل قَدَّرهُ حَسَنًا ودَمِيمًا، وطويلًا وقصيرًا، وشقيًا وسعيدًا، ونقل هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أي: إلى حِينِ انتهائه، والأَوانُ الحِين.

(٣) الرَّطْبَةُ: القَتُّ وهي الفِصْفِصَةُ بالكسر، نوع من عَلَفِ الدواب، تُسميه العربُ قضبًا لأنه يُقْضَبُ أي يقطعُ مرةً بعدَ مرة، يتحمل ذلك، ويتحمل قِلة الماء ويبقى رطبًا مدة طويلة، ويقال له الفَصَّةُ والبرسيم.

(٤) الأَبُّ: الكلأُ، وكلّ ما ترعاه الأنعام.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ
يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا
قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

٣٣- ٣٧- ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ صيحةُ القيامة، لأنها تَصُخُّ الآذان، أي: تُصِمُّها ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾ لتَبِعاتٍ بَينَهُ وبينهم، أو لاشتغالِه بنفسه، [وقيل: لئَلا يَرَوا ما بهم من الهوان ولعلمهم أنهم لا يُغنون عنهم شيئًا] ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ وزوجَتِه ﴿وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ بَدأَ بالأخ، ثم بالأبوين لأنهما أَقرب مِنهُ، ثم بالصاحبةِ والبنينَ لأَنهم أَحبُّ ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ﴾ في نفسِهِ ﴿يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ يَكفِيه في الاهتمامِ به ويَشْغَلُه عن غيره.

٣٨- ٤٢- ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾﴾ مُضيئة من قيامِ الليل، أو مِن ءاثارِ الوضوءِ ﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾﴾ أي: أصحابُ هذه الوجوه، وهم المؤمنون ضاحكونَ مسرورون ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾﴾ غُبارٌ ﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ يَعلو الغَبَرَةَ سوادٌ كالدخان، ولا ترى أَوحَشَ من اجتماع الغبرةِ والسَّواد في الوجه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أَهلُ هذه الحالة ﴿هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ﴾ في حقوقِ الله ﴿ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾[1] في حقوقِ العباد، ولَمَّا جمعوا الفجورَ إلى الكفر جَمَعَ إلى سَوادِ وجوههم الغَبَرَةَ.

---

(١) الفَجَرَةُ: جمعُ فاجر، وهو مرتكبُ الفجور، والفجور: ركوب ما لا يَحِلُّ من قبائح الأمور، أي عِظامِها، كاليمين الكاذبة والزنا والانبعاث في المعاصي.

سورة التكوير
مكية وهي تسع وعشرون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٢ - ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ ذَهَبَ ضَوؤها، من: كَوَّرتُ العِمامةَ إذا لففتُها، أي: يُلَفُّ ضوؤها لَفًّا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ تساقَطَت.

٣- ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ عن وَجهِ الأرضِ وأُبعدت، أو سُيِّرت في الجو تَسييرَ السحاب.

٤- ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ جمعُ عُشَرَاءَ، وهي الناقةُ التي أَتى على حَمْلِها عَشرةُ أشهر، ثم هو اسمُها إلى أن تضَعَ لتمام السنة ﴿عُطِّلَتْ ۝٤﴾ أُهمِلَت، عَطَّلها أَهلُها لاشتغالهم بأنفسهم، وكانوا يحبِسُونها إذا بلغت هذه الحالةَ لعِزَّتِها عندَهم ويُعَطِّلون ما دونهَا.

٥- ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ جُمِعَت من كل ناحية، قال قتادة: يُحشَرُ كل شيء حتى الذُّبابُ للقِصاص، فإذا قضي بينها رُدَّت ترابًا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرورٌ لبني ءادمَ.

٦- ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ مِنْ: سَجَرَ التَّنورَ إذا مَلأَه بالحَطب،

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا
ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾

أي: مُلئت [وفاضت] وفُجِّرَ بعضُها إلى بعض حتى تعودَ بحرًا واحدًا، وقيل: مُلِئَت نيرانًا لتعذيب أهل النار.

٧- ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾ قُرِنَتْ كلُّ نفسٍ بشكلها[١]: الصالحُ مع الصالحِ في الجنة، والطالحُ مع الطالح في النار، أو قُرِنت الأرواح بالأجساد، أو بكُتُبها وأعمالها.

٨- ٩- ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ﴾ المَدفونةُ حَيةً، وكانت العربُ تَئِدُ البناتِ خَشية الإملاقِ[٢]، وخوفَ الاسترقاق ﴿سُئِلَتۡ ۝٨﴾ سُؤالَ تَلطُّفٍ لتقولَ: بلا ذَنْبٍ قُتلتُ، أو هو توبيخٌ لقاتلها بِصَرفِ الخطاب عنه كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ۝١١٦﴾ [سورة المائدة]، [الخطاب له والمراد توبيخ المشركين] ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩﴾ فيه دليل على أن أطفال المشركين لا يُعذبون، وعلى أن التعذيبَ لا يكون بلا ذنب.

١٠- ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾ فُتِحَت، والمرادُ صُحفُ الأعمال، تُطوَى صحيفةُ الإنسان عند موته ثم تنشَرُ إذا حوسِبَ، ويجوز أن يراد نُشرت بين أصحابها أي فُرِّقَتْ بينهم.

١١- ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾ قُلعَت كما يُقلَعُ السقف.

١٢- ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢﴾ أُوقِدت إيقادًا شديدًا.

١٣- ١٤- ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣﴾ أُدْنِيَت منَ المتَّقين فهذه اثنتا عشرة خصلةً ستٌّ منها في الدنيا، والباقية في الآخرة ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾ كُلُّ نَفْسٍ ﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾ مِن خَير وشرّ، [وهو جواب كل ما تقدَّم].

---

(١) أي: بمِثلها.
(٢) الإملاقُ: الافتقار، وأصلُ الإملاق: كثرةُ الإنفاق والتبذير حتى يُورثَه ذلك الافتقار.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ
رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾﴾

١٥- ١٦- ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ لا زائدة، [معناه: أُقسم] ﴿بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾ بالرَّواجِعِ، بينا ترى النجم في ءاخر البُرْجِ[1] إذ كَرَّ راجعًا إلى أوله. ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾ السَّيَّارةِ[2] ﴿ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ الغُيَّبِ[3]، قيل: هي الدَّرَارِيُّ[4] الخمسة: بَهْرَامُ[5] وزُحَلُ وعُطَارِدُ والزُّهَرَةُ والمُشْتَرِي، تجري مع الشمس والقمر، وترجعُ حتى تختفيَ تحت ضَوء الشمس، فخنوسُها رجوعها، وكنُوسُها اختفاؤها تحت ضوء الشمس، وقيل: هي جميع الكواكب.

١٧- ٢١- ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾﴾ أَقبَلَ بظلامه، أو أَدبَرَ، فهو من الأَضدادِ ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ امتَدَّ ضَوؤهُ، وجوابُ القسم: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرءانَ ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾ أي: جبريلَ عليه السلام، وإنما أُضيف القرءانُ إليه لأنه هو الذي [يقرأه على الرسول عليه الصلاة والسلام] ﴿كَرِيمٖ ﴿١٩﴾﴾ عندَ رَبِّهِ ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ قُدرة على ما يُكلَّف، لا يَعجزُ عنه ولا يَضعُف ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ عندَ الله ﴿مَكِينٖ ﴿٢٠﴾﴾ ذي جَاهٍ وَمَنزِلَةٍ ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ أي: في السماواتِ يُطيعه مَن فيها ﴿أَمِينٖ ﴿٢١﴾﴾ على الوَحْي.

٢٢- ٢٤- ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ يعني محمدًا ﷺ ﴿بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾﴾ كما تزعُم

---

(١) أي: مَنْزِل النجوم، والأبراجُ: منازِلُ النجوم.
(٢) مِنْ جرتِ الشمس والقمر وسائر النجوم إذا سارت، كقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة يس].
(٣) التي تغيبُ وتستتر.
(٤) الدَّرارِي، هي الكواكب الكبارُ الخمسة، وقيل: سبعةُ أشياء بإضافة الشمس والقمر إليها.
(٥) بَهْرَام: هو المِرِّيخ، وسَمَّته العرب بذلك للحمرة التي في لونه، والبَهرَمُ والبهرمان: العُصفر.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الكَفَرة، وهو عطفٌ على جواب القسم ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأى محمدٌ جبريلَ عليه السلام على صُورته ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ بمَطْلَعِ الشَّمْسِ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ وما مُحمدٌ على الوحي ﴿بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ ببخيل، أي لا يَبخَلُ بالوحي كما يَبخَلُ الكُهَّان رَغبةً في الحُلوان[1]، بل يُعَلِّمُه كما عُلِّم ولا يَكتُم شيئًا مما علم.

٢٥- ٢٩- ﴿وَمَا هُوَ﴾ وما القرءان ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ طَرِيدٍ [مُبعَد من رحمة الله]، وهو كقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ [سورة الشعراء] أي: ليس هو بقول المسترِقَة للسَّمعِ وبوحيهم[2] إلى أوليائهم من الكهنة ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ استضلالٌ لهم[3]، معناه: فأَيُّ طريق تَسلكونَ أبيَنُ من هذه الطريقة التي بُيِّنت لكم، وقال الجنيد: فأين تذهبون عَنّا وإنْ مِن شيء إلا عندنا ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ ما القرءان إلا عِظَةٌ للخلق ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: القرءانُ ذِكرٌ لمن شاء الاستقامةَ يعني: أن الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر، فكأنه لم يُوعظ به غيرهم، وإن كانوا موعوظين جميعًا ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ مالكُ الخَلقِ أجمعين.

---

(١) حُلوان الكاهن: ما يُعطاه الكاهن ويُجعلُ له على كَهانتهِ، وقد ورد في الحديث النهيُ عن حُلوان الكاهن، كما روى ذلك أبو داود والنسائي وغيرهما.
(٢) أي: وبما يُلقونه إلى من يُناصرونهم من الكَهَنة.
(٣) أي: عَدٌّ لهم من أهل الضلال.

سورة الانفطار
مكية وهي تسع عشرة ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٥- ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ انشَقَّت ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾ تساقَطَت ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣﴾ فُتِحَ بعضُها إلى بعض وصارت البحارُ بَحرًا واحدًا ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤﴾ بُحِثَتْ[1] وأُخرِجَ موتاها، وجواب ﴿إِذَا﴾ ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾ أي: كلُّ نفسٍ بَرَّةٍ وفاجرة[2] ﴿مَّا قَدَّمَتۡ﴾ ما عَمِلَت من طاعة ﴿وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾ وتَرَكَت فلم تعمل.

٦ - ٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ قيل: الخطاب لمنكِري البعث ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ ۝٧﴾ أيُّ شيء خَدَعَك حتى ضَيَّعتَ ما وجبَ عليك مع كَرَمِ ربك، حيث أَنعم عليكَ بالخَلْقِ والتسويةِ والتعديلِ، وعنه عليه السلام حين تلاها: غَرَّهُ جَهلُه، وعن عمر رضي الله عنه: غَرَّه حُمقُه، وعن الحسن: غَرَّه شيطانه. ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ فجَعَلك مُستويَ الخَلق سالمَ الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ فَصَيَّرَكَ معتدلًا متناسِبَ الخَلق مِن غير

(١) البحث: طلبُكَ الشيء في التراب، أي: أُثيرت وقُلِبَ ترابُها.
(٢) أي: مطيعَةٍ صالحة، وعاصية فاسِقة.

﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا
كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ
ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ
لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾

تفاوت فيه، فلم يَجعَلْ إحدى اليدين أَطولَ، ولا إحدى العينين أَوسَعَ، ولا بعضَ الأعضاء أَبيضَ وبعضَها أَسودَ، أو جَعلكَ مُعتدلَ الخَلْقِ تمشي قائمًا لا كالبهائم ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ ﴿مَّا﴾ مزيدةٌ للتوكيد، أي: رَكَّبَكَ في أَيّ صورة اقتضتها مَشيئته منَ الصُّوَرِ المختلفة في الحُسن والقُبح والطول والقِصَر.

٩- ١٢- ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن الغَفْلَةِ عن الله تعالى ﴿بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩﴾ أَصْلًا، وهو الجَزاءُ، أو دينِ الإسلام، فلا تُصدِّقون ثوابًا ولا عقابًا ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠﴾ أعمالَكُم وأَقوالَكم منَ الملائكة ﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١﴾ يعني أنكم تُكذِّبونَ بالجزاء والكاتبونَ يكتبونَ عليكم أَعمالكم لِتُجازَوا بها ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾ لا يَخفَى عليهم شيء من أعمالكم، وفيه إنذار وتهويل للمجرمين، ولطفٌ للمتقين. وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال: ما أشدَّها من ءاية على الغافلين.

١٣- ١٩- ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣﴾ إن المؤمنين لَفِي نعيم الجنة ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾ وإن الكفار لفي النار ﴿يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥﴾ يَدخلونَها يومَ الجزاء ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦﴾ لا يَخرجونَ منها كقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ ٣٧﴾ [سورة المائدة]، ثُم عَظَّم شأنَ يوم القيامة فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨﴾ فكَرَّرَ للتأكيد والتهويل، وبيَّنه بقوله: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ لا تستطيعُ دفعًا عنها ولا نفعًا لها بوجهٍ، وإنما تَمْلِكُ الشفاعةَ بالإذن ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ لا أَمرَ إلا الله تعالى وحدَه، فهو القاضي فيه دون غيره.

سورة المطففين
مختلف [في كونها مكيّة أو مدنيَّة، أو بعضها هكذا وبعضها هكذا] وهي ست وثلاثون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ٦- ﴿وَيۡلٞ﴾ [الشِّدَّةُ في العذاب] ﴿لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ للذين يَبْخسونَ[1] حقوقَ الناسِ في الكيل والوَزنِ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢﴾ أي: إذا أَخذوا بالكَيْل منَ الناس يأخذونَ حقوقَهم وافيةً تامة ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾ أي: كالوا لَهُم أو وَزَنوا لهم ﴿يُخۡسِرُونَ ۝٣﴾ يَنْقُصون ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥﴾ يعني: يومَ القيامة، وفيه إنكار [وتوبيخٌ] وتعجيبٌ عظيم مِنْ حالهم في الاجتراء على التطفيف، كأنهم لا يُخْطِرُونَ ببالهم ولا يُخَمِّنُون تَخمينًا أنهم مَبعوثونَ ومُحاسَبون على مقدار الذَّرَّة، ولو ظنوا أنهم يُبعثون ما نَقَصُوا في الكيل والوزن ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [يُبْعثونَ] لأَمرِهِ وجَزائه.

٧- ٩- ﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ وتنبيه، أي: رَدَعَهم عما كانوا عليه منَ التطفيفِ

---

(١) البَخْسُ: النقص، يقال: بَخَسَهُ حَقَّه يبخَسُه بَخْسًا إذا نَقَصَه.

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾

والغَفْلَة عن البَعث والحساب، ونبَّههم على أنه مما يجب أن يُتابَ عنه ويُندَمَ عليه، ثم أتبعه وَعيدَ الفُجَّارِ على العموم فقال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ صَحائِفَ أعمالهم، [والفُجَّارُ: الكفار] ﴿لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾ سِجِّينٌ كتابٌ جامِعٌ، وهو ديوانُ الشَّرِّ، دَوَّنَ اللهُ فيه أعمالَ الشياطينِ والكفرةِ منَ الجن والإنس، وهو ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ مسطورٌ بَيِّنُ الكتابةِ، أو مُعَلَّمٌ يَعلَمُ من رءاه أنه لا خير فيه، وسُمِّيَ سِجِّينًا فِعِّيْلًا منَ السَّجْنِ وهو الحَبْسُ والتضييقُ لأنه سَبَبُ الحَبْس والتضييق في جهنم، [وقوله تعالى ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ تهويل له].

١٠- ١٧- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يومَ يَخْرُجُ المَكتوبُ ﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١﴾ الجزاءِ والحِسَاب ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ﴾ بذلكَ اليوم ﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ مُجاوِزٍ للحَدّ ﴿أَثِيمٍ ۝١٢﴾ مُكتَسِبٍ للآثام ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القرءانُ ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ أحاديثُ المتقدمين، وقال الزَّجَّاج: أساطير: أباطيل ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ للمعتدي الأَثيم عن هذا القول ﴿بَلْ﴾ نَفْيٌ لما قالوا، ويقف حفصٌ على ﴿بَلْ﴾ وُقَيفةً ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ غَطَّاها كَسْبُهم، أي: غَلَبَ على قلوبهم حتى غَمَرَها ما كانوا يكسِبونَ من المعاصي، وعن الحسن: الذنب بعد الذنب حتى يَسْوَدَّ القلب(١)

---

(١) ورد في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نُكتةٌ سوداء، فإذا هو نَزَعَ واستغفر وتاب صُقِلَ قلبُه، وإن عاد زيدَ فيها حتى تعلو قلبَه، وهو الرَّان الذي ذكره الله تعالى** ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾» أي: جُعِلَ في قلبه أثرٌ قليلٌ كالنقطة، كالوسخ على السيف، أو كنقطة المِداد على القرطاس، وتختلف على حسب المَعصية وقدرها. ونَزَعَ: ترك المعصية. وصُقِلَ قلبه: أي: جُلِيَ ونُظِّفَ وصفا كالزجاج والسيف المصقول الأملس.

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾

﴿كَلَّآ﴾ رَدعٌ عن الكَسْبِ الرَّائِنِ على القلب ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ﴾ عن رؤية ربهم ﴿يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ لمَمْنوعون، والحَجْبُ: المَنْعُ، قال الزَّجاج: في الآيةِ دليلٌ على أن المؤمنين يَرونَ رَبَّهم وإلا لا يكونُ التخصيصُ[(١)] مفيدًا. قال مالكُ بن أنس رحمه الله: لَمّا حَجَبَ أَعداءَه فلم يَرَوْهُ، تَجلَّى[(٢)] لأَوليائه حتى رأوه ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ ثم بعد كونهم مَحجوبِينَ عن ربهم لداخلو النار [فَيصْلَون فيها، أي: فيُشوَون] ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ أي: هذا العذابُ هو الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتُنكرونَ وُقوعَه.

١٨- ٢٨- ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن التكذيب ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ ما كُتِبَ من أعمالهم، والأَبرارُ: المُطيعون الذين لا يُطَفِّفُون ويُؤمنون بالبعث ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ هو عَلَمٌ لديوان الخَير الذي دُوِّنَ فيه كلُّ ما عَمِلَته الملائكةُ وصلحاءُ الثَّقَلين، سُمِّيَ به لأَنه سَبَبُ الارتفاعِ إلى أَعالي الدرجات في الجَنة، أو لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكَرُوبِيُّون[(٣)] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ ما الذي أَعلَمَك يا محمد ﴿مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾ أَيُّ شيء هُوَ ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾ [ما كُتِبَ من أعمال الأتقياء مُثبتٌ في ذلك الديوان] ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ تَحضُرُهُ المَلائكةُ، قيل: يشهد عملَ الأبرار مُقَرَّبو كل سماء إذا رُفِعَ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ تَنَعُّم في الجِنان ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الأَسِرَّة

---

(١) أي: تخصيصُ الكُفار بالحَجْب.
(٢) تجلى معناه: أزال عنهم حجابَ المنع، ليس معناه أن بين الله وبينهم ستارًا، إنما معناه في الدنيا منعهم من رؤيته، والآن يزيل هذا المنع، ليس معناه هناك حائل حسي في الدنيا بين الخلق وبين الله، لأن هذا يقتضي أن الله جسم، والله تعالى منزه عن صفات الجسم.
(٣) الكَرُوبِيُّون: المقربون، وهم سادة الملائكة كجِبريل وميكائيل وإسرافيل.

﴿يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾

في الحِجال[1] ﴿يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ إلى كرامَة الله ونِعَمِه، وإلى أَعدائهم كيف يُعذَّبون ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ بَهجَةَ التنعم وطَرَاوتَه[2] ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ شَرَابٍ خالص ﴿مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴿٢٦﴾﴾ تُختَمُ أَوانِيهِ بِمِسْكٍ بَدَلَ الطينِ الذي يُختَم به الشرابُ في الدنيا. أَمَرَ الله تعالى بالختم عليه إكرامًا لأصحابه[3]، أو توجد رائحةُ المِسك عند خاتِمَةِ شُربِهِ ﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ الرَّحِيق أو النَّعِيم ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فليرغَبِ الراغبون، وذا إنما يكون بالمُسارعة إلى الخيرات والانتهاء منَ السيئات ﴿وَمِزَاجُهُ﴾ ومِزاجُ الرحيق ﴿مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ هو عَلَمٌ لِعَينٍ بِعَينها سُميت بالتسنيم لأنها أَرفَعُ شَرابٍ في الجنة، أو لأنها تأتيهم من فوقُ وتَنْصَبُّ في أوانيهم ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي: منها ﴿الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يَشربها المقرَّبونَ[4] صِرْفًا، وتمزج لأصحاب اليمين.

٢٩- ٣٣- ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ كَفَروا ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ في الدُنيا استهزاءً بهم ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يُشير بعضُهم إلى بعض بالعَين طعنًا فيهم وعيبًا لهم ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ﴾ إذا رَجَعَ الكفارُ إلى منازلهم ﴿انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ مُتَلذذين بذِكرهم

---

(١) الحِجال جمعُ حَجَلَة، وهو ما يوضع فوق السرير مثل الخيمة أو القُبَّة، يُعمل للزينة والمنظر من الثياب ويُعملُ للملوك من الحرير الرفيع.

(٢) يُرى في وجوههم الحُسنُ والبريق والتلألؤ في وجوههم من أثر النعيم الذي هم فيه.

(٣) أي: أصحاب ذلك الشَّراب، وهو مُعَدٌّ مُدَّخَرٌ لكل أحد باسمه مختوم لا يفتح إلا لَهُ.

(٤) الطبقة العليا من أولياء البشر كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأويس القرني والشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنهم يشربونها صِرفًا غير ممزوجة بشيء.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

والسُّخْرِيَة منهم ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ وإذا رأى الكافرون المؤمنين ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: خَدَعَ محمدٌ هؤلاء فضَلُّوا وتركوا اللذّاتِ لِمَا يرجونه في الآخرة من الكرامات، فقد تركوا الحقيقة بالخيال، وهذا هو عَينُ الضلال ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ﴾ وما أُرسلَ الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾ يَحفظون عليهم أَحوالهم ويرقُبُونَ أعمالهم، بل أُمروا بإصلاحِ أَنفسهم، واشتغالُهم بذلك أَوْلى بهم من تتبُّع غيرهم وتَسفيه أَحلامهم[1].

٣٤- ٣٦ ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ أي: يومَ القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ثَمَّ كما ضَحِكوا منهم هنا مجازاة ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يضحكون منهم ناظرينَ إليهم وإلى ما هم فيه منَ الهَوَان والصَّغار[2] بعد العِزَّة والاستكبار، وهم على الأرائك ءامنون ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هل جُوزوا بسُخريتهم بالمؤمنين في الدنيا إذا فُعلَ بهم ما ذُكر؟ [وهو استفهام بمعنى التقرير، أي: قد جوزوا بها].

---

(١) أي: نِسبَةِ عقولهم إلى السَّفَه.

(٢) الصَّغارُ: المَذَلَّةُ، كقوله تعالى ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة التوبة]، أي: أذِلاء. والهوان: الاستحقار والاستخفاف، نقيضُ العِز.

سورة الانشقاق
مكية وهي خمس وعشرون ءاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - ٥- ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ تَصدَّعت وتشقَّقَت ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ سَمِعَت وأَطاعَت وأَجابَت ربها إلى الانشقاق ولم تأبَ ولم تمتَنِعْ ﴿وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾ وحُقَّ لها أن تَسمَعَ وتُطيعَ لأَمرِ اللهِ إذ هي مَصنوعةٌ مَرْبُوبَةٌ لله تعالى[١] ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾﴾ بُسِطَت وَسُوِّيَت باندكاك جبالها وكُلّ أَمْتٍ[٢] فيها ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ وَرَمَت ما في جوفها من الكنوز والمَوتى[٣] ﴿وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾ وَخَلَتْ غايةَ الخُلوِّ حتى لم يبقَ شيءٌ في باطنها، كأنها تكلَّفت أَقصى جُهدِها في الخُلُوِّ ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ [أي: أطاعت ربها] في إلقاءِ ما في بَطنِها وتخَلِّيها ﴿وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ وهي حقيقةٌ[٤] بأن تنقادَ ولا تَمتنعَ، [وجواب ﴿إِذَا﴾ وما عُطِفَ عليها] ما دَلَّ عليه ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي: إذا السماءُ انشقَّت لاقى الإنسان كدحَه[٥].

---

(١) الله تعالى خالقها صانعها وربُّها أي: مالكُها.
(٢) أي: كل مرتَفَع ومنخفض فيها.
(٣) وقيل: إن إلقاء الكنوز عند قرب الساعة، وإلقاءَ الموتى عند البعث.
(٤) أي: جَديرة.
(٥) الكدحُ: العملُ والسعيُ وبذلُ المجهود.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

٦- ٩- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ خِطابٌ للجِنْس ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ جاهِدٌ إلى لِقاءِ ربك، وهو الموتُ وما بَعدَه منَ الحال المُمَثَّلَة باللقاء، [أي كادِحٌ كدحًا يستمرُّ بك إلى الموت] ﴿فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ المراد جَزَاءُ الكَدْحِ إنْ خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وقيل: لِقاءُ الكَدْح لقاءُ كتاب فيه ذلك، يدل عليه قولُه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾﴾ أي: كتابَ عمله ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ سَهلًا هينًا، وهو أن يُجازَى على الحسنات ويُتجاوَزَ عن السيئات. وفي الحديث: «**من يُحاسب يُعَذَّبْ**» فقيل: فأينَ قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: «**ذلكم العَرْض، مَنْ نُوقِشَ في الحساب عُذِّب**» ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾[(١)] إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين، أو إلى فريق المؤمنين، أو إلى أَهله في الجنة منَ الحُور العين ﴿مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ فَرِحًا.

١٠- ١٥- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾ قيل: تُغَلُّ يُمناه إلى عُنقه وتُجعَلُ شِماله وراءَ ظهره، فيؤتَى كتابَه بشماله من وراء ظهره ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾ يقولُ: يا ثُبُوراهُ، والثُّبورُ: الهَلاك ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ وَيُدخَلُ جَهنَّم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ في الدنيا ﴿فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ معهم ﴿مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ بالكفر يَضحَك ممن ءامَنَ بالبعث ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ لن يرجِعَ إلى ربه تكذيبًا بالبعث ﴿بَلَىٰٓ﴾ لَيَحُوْرَنَّ ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ﴾ وبأَعماله ﴿بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ لا يَخفى عليه فلا بُدَّ أن يُرجِعَه ويجازِيَه عليها.

---

(١) الأهل في اللغة يطلق على الزوجة، ويطلق على الأقارب، وقد يقال للرجل الذي يعيش مع زوجته فقط: كيف أهلك؟ ويراد زوجته، وفي الحديث: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**».

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا
لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ
أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ
مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾﴾

١٦- ١٩- ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ فأُقْسِمُ بالبياض بعدَ الحُمرة، أو الحمرة ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ المراد ما جَمَعَه منَ الظُّلمة والنَّجم، أو ما عُمِلَ فيه منَ التهجُّد وغيرِه ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ اجتمع وتمَّ بدرًا ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾[1] أيها الإنسان على إرادة الجنس ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾﴾ حالًا بعد حال، كل واحدة مطابقةٌ لأختها في الشدة والهول، ويجوز أن يكون جَمْعَ طبقةٍ أي: لتركبُنَّ أحوالًا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض، وهي الموت وما بعده مِن مواطن القيامة وأهوالها.

٢٠- ٢٥- ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ فما لهم في أن لا يؤمنوا ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ لا يخضعون ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بالبعث والقرءان ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ بما يَجمَعون في صدورهم ويُضْمِرون منَ الكفر وتكذيب النبي ﷺ، أو بما يَجمعون في صُحفهم مِن أعمال السوء ويَدَّخرون لأنفسهم من أنواع العذاب ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ أَخبِرهم خَبرًا يظهر أَثَرُه على بَشَرتهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناء منقطع [بمعنى لكن] ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾﴾ غيرُ مقطوع، أو غير مَنْقُوص.

---

(١) الركوب: اللزوم.

سورة البروج
مكية وهي اثنتان وعشرون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٣- ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١﴾ هي البروجُ الاثنا عَشَرَ، وقيل: النجومُ، أو عِظامُ الكواكب [سُمِّيت بروجًا لظهورها] ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢﴾ يومِ القيامَةِ ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣﴾ وشاهِدٍ في ذلك اليوم ومَشهودٍ فيه، والمرادُ بالشاهد مَن يَشهَدُ فيه منَ الخلائق كُلِّهم، وبالمشهودِ فيه ما في ذلك اليوم من عَجائبه. وقد كَثُرت أقاويل المفسرين فيهما، فقيل: محمدٌ ﷺ ويومُ القيامة، أو عيسى وأُمتُه، أو أمةُ محمدٍ وسائر الأمم، أو الحَفَظَةُ وبنو ءادم [وقيل غير ذلك]. وجواب القسم محذوفٌ يدل عليه:

٤ - ٥- ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤﴾ أي لُعِنَ، كأنه قيل: أُقسم بهذه الأشياء إنهم ملعونون - يعني كفارَ قريش - كما لُعِن أصحابُ الأُخدودِ [وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى كفار مكة وتذكيرهم بما جرى على مَن تقدمهم من التعذيب على الإيمان وصبرِهم وثباتِهم حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقَون من قومهم ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذَّبين المحَرَّقين بالنار ملعونون أحِقَّاءُ بأن يقال فيهم: قُتِلت قريشٌ كما قتل أصحاب

الأخدود]، وهو خَدٌّ[١] أي شَقٌّ[٢] عظيم في الأرض. روي عن النبي ﷺ أنه كان لبعض الملوك ساحِرٌ، فلما كَبِرَ ضَمُّوا إليه غلامًا ليعلِّمَه السحرَ، وكان في طريق الغلام راهبٌ فسمعَ منه، فرأى في طريقِه ذاتَ يوم دابةً قد حَبَسَتِ الناسَ، فأَخذَ حجرًا فقال: اللهم إن كان الراهبُ أَحبَّ إليك من الساحر فاقتُلْها، فَقَتَلها، فكان الغلامُ بعدَ ذلك يُبرئُ الأَكمَه[٣] والأَبرصَ[٤]، وعَمِيَ جَليسٌ للملك فأَبرأَه، فأَبصره الملكُ، فسأَلَهُ مَنْ رَدَّ عليكَ بَصَركَ؟ فقال: ربي، فغضِبَ، فَعذَّبَهُ، فَدَلَّ على الغلام، فَعذَّبه، فدَلَّ على الراهِبِ، فلم يرجع الراهِبُ عن دِينه فَقُدَّ[٥] بالمِنشار، وأَبَى الغلامُ، فَذُهِبَ به إلى جَبَل ليُطْرَحَ من ذِرْوَتهِ[٦]، فدعا فَرَجَفَ بالقَوم فطاحُوا[٧] ونجا، فَذُهِبَ به إلى قُرْقُورٍ[٨]، فَلَجَّجُوا[٩] به ليُغرِقوه، فدعا فانكفأَت بهم السفينةُ فغرقوا ونجا، فقال للمَلِكِ: لَسْتَ بقاتلي حتى تجمَعَ الناسَ في صَعيد وتَصلِبَني على جذع وتأخذَ سهمًا من كِنانَتي[١٠] وتقولَ: باسمِ اللهِ رَبِّ الغلام[١١]، ثم ترميني به، فَرمَاهُ

---

(١) الخَدُّ: الأُخدود، وهو حفرة مستطيلةٌ في الأرض.
(٢) الشَّقُّ بالفتح: الصَّدْع والموضع المشقوق، وأما الشِّق بالكسر فهو الناحية والجانب ونِصفُ الشيء.
(٣) الأَكْمَهُ: الذي يولد أعمى.
(٤) الأَبرصُ: من به البَرَصُ وهو داء معروف نسأل الله العافية منه ومن كل داء، وهو بياضٌ يقعُ في الجسد.
(٥) أي فشُقَّ.
(٦) أي مِن أعلاه، وذِروَةُ كل شيء أَعلاه.
(٧) ارتجّ بهم الجبل فطاحوا أي سقطوا.
(٨) القُرقُور بضم القافين: السفينة الصغيرة، وقيل الكبيرة.
(٩) أي دخلوا به لُجَّ البحر، ولُجُّ البحر: الماء الكثير الذي لا يُرى طرفاه.
(١٠) الكِنانة: جَعبة السهام.
(١١) هذا لمصلحة دينية عظيمة مهمة، وهي إدخالُ جَمع عظيم في الإسلام، والغلامُ لا يعتقِدُ أن الكافرَ سيقولُ ذلك تبركًا، على وجهِ التبركِ باسمِ الله عند القتل لأن الملك لا يؤمن بالله.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

فوقَعَ في صُدْغِهِ[(١)]، فوضَعَ يَدَهُ عليه فماتَ، فقال الناسُ: ءامنا برب الغُلام، فقيل للملك: نَزَلَ بكَ ما كنتَ تحذَر، فَخَدَّ أُخدودًا ومَلأَها نارًا، فَمَن لم يرجع عن دينه طَرَحَه فيها، حتى جاءت امرأة معها صَبيٌّ، فتقاعَسَت[(٢)] أن تقع فيها، فقال الصبيُّ: يا أُماهُ اصْبرِي فإنك على الحَق، فأُلقِيَ الصبيُّ وأُمّهُ فيها[(٣)] ﴿ٱلنَّارِ﴾ بَدَلُ اشتمالٍ من الأخدود ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ وَصْفٌ لها بأنها نارٌ عظيمةٌ لها ما يرتفِعُ به لَهَبُها منَ الحَطب الكثير وأبدانِ الناس.

٦- ٩- ﴿إِذْ﴾ أي: لُعِنُوا حينَ أَحدَقوا بالنارِ قاعدينَ حولَها ﴿هُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: الكفارُ على ما يَدنو منها مِنْ حَافَاتِ الأُخدود ﴿قُعُودٌ ۝٦﴾ جلوسٌ على الكراسي ﴿وَهُمْ﴾ أي: الكفارُ ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مِنَ الإحراق ﴿شُهُودٌ ۝٧﴾ يَشهَدُ بعضهم لبعض عند المَلِك أن أحدًا منهم لم يُفَرِّط فيما أُمِر به وفُوِّضَ إليه منَ التعذيب، وفيه حَثٌّ للمؤمنين على الصبر وتحمُّل أَذى أهلِ مكة ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟﴾ وما عَابوا منهم وما أَنكروا إلا الإيمانَ ﴿بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ ذَكَرَ الأَوصافَ التي يَستحِقُّ بها أن يُؤمَنَ به، وهو كونُه عزيزًا غالبًا قادرًا يُخشَى عِقَابُه، حَميدًا[(٤)] مُنْعِمًا يَجِبُ له الحَمْدُ على نِعمَتِهِ ويُرجَى ثَوابُه ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فكل مَن فيهما تَحِقُّ عليه عبادتُه والخشوعُ له تقريرًا، لأن ما نَقَموا منهم هو الحَقُّ الذي لا يَنقِمُه إلا مُبطِلٌ، وأن الناقمين

---

(١) الصُّدْغُ: ما انحدَرَ مِنَ الرأس إلى أصل اللَحيين، وقيل: هو ما بين العين والأذن.
(٢) تأخرت ورجعت للخلف.
(٣) رواهُ مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم.
(٤) الحميد إن أُطلق في حق الله تعالى معناه المحمود الذي يجب حمده.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ
وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ
ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو
ٱلۡعَرۡشِ﴾

أَهلٌ لانتقامِ الله منهم بعذاب عظيم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩﴾ وعيدٌ لهم، يعني: أنه عَلِمَ ما فَعلوا وهو مجازيهم عليه.

١٠- ١١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ يَجوزُ أن يريدَ بالذين فَتنوا أَصحابَ الأُخدود خاصَّةً وبالذين ءامنوا المَطروحِينَ في الأُخدود، ومعنى فَتَنُوهم عَذَّبوهم بالنار وأحرقوهم ﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ لم يرجعوا عن كفرهم ﴿فَلَهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾ في الدنيا لِمَا رُويَ أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم[1]، ويجوز أن يُريدَ أن للفاتِنينَ عذابَينِ في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم[2] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾ أي: الذين صبروا على تعذيب الأخدود، أو هو عامٌّ.

١٢- ١٦- ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ البَطْشُ: الأَخذُ بالعُنف، فإذا وُصِفَ بالشّدةِ فقد تَضاعفَ وتفاقَمَ، والمراد أَخذُه الظَّلَمَةَ والجَبابرة بالعذاب والانتقام ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣﴾ يَخلقُهم ابتداءً ثم يُعيدهم بعدَ أن صَيَّرهم تُرابًا، دَلَّ باقتدارِهِ على الإبداءِ والإعادة على شِدَّةِ بَطشِه، أو أَوعَدَ الكَفرةَ بأنه يُعيدُهم كما أَبدأَهم ليبطِشَ بهم إذ لم يشكروا نعمةَ الإبداءِ وكذَّبوا بالإعادة ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ الساترُ للعيوب العافي عن الذنوب ﴿ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾ المُحِبُّ لأوليائه ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ خالِقُهُ

---

(١) هذا لم يرد في الحديث الذي أخرجه مسلم.
(٢) أي: لإحراقهم المؤمنين في الأخدود. هؤلاء يمكن أن يكونوا بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام، النصارى بَقوا على دينِ عيسى عليه السلام مائتي سنة.

﴿ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾

وَمالِكُه ﴿ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ مَجْدُ اللهِ عَظَمتُه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ تكوينَهُ، فيكونُ فيه دلالةُ خَلقِ أَفعالِ العباد[1].

١٧- ٢٢- ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ أي: خَبرُ الجُموعِ الطاغية في الأُمم الخالية ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ أراد بفرعونَ[2] إياه وءالَهُ، [وهو استفهام بمعنى التقرير] المعنى: قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرُّسل وما نَزَلَ بهم لتكذيبهم ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِنْ قومك ﴿فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ واستيجابٍ للعذاب، ولا يعتبرون بالجنود لا لخفاء حال الجنود عليهم،

---

(١) فيه رد على المعتزلة الذين يقولون: العَبدُ يخلق أَعمالَه بقدرة أعطاه الله إياها. القرءان يكذبهم لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الرعد] الأَجسام شىءٌ، وعَمَلُ الجِسم شىءٌ، فالمعتزلة كفروا بهذا، قالوا: هو يخلق أَجسامَنا، ثم نَحن نخلقُ أعمالنا بقدرة أعطانا إياها. لا ينفعهم قولهم: بقدرة أَعطانا إياها، لأنه لا يَصِحُّ أن يعطيَ اللهُ الخلقَ القدرةَ على الخلق، أَي إيجادِ المعدوم، فهم كما لو قالوا: نحن نخلقُ أعمالَنا بقدرة نحن خلقناها، هذا شِركٌ، وهذا شرك. الإمام مالك سُئل عن نكاح القَدَرية، أي: المعتزلة، فقال: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴿٢٢١﴾﴾ [سورة البقرة] معناه: المعتزلة مشركون كفار، استدلَّ بهذه الآية على أنه لا يصح نكاح المؤمنة منهم لكونهم مشركين كفارًا، لقولهم: نحن نخلق أعمالنا.

والآية ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ تقتضي العموم وأنه تعالى يكوّن كل ما شاء حصوله لا يُعجزه شىء، وفيها رد على المعتزلة القائلين إنه تعالى أراد الإيمان من الكفار أهل النار ولكنهم لم يؤمنوا، فعلى قولهم لم يفعل ما يريده منهم، ثم كلمةُ فَعَّال في قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ تقتضي أن ما يفعلُهُ ويريده في غاية الكثرة، لا فاعلَ إلا هو، بينما عند المعتزلة أكثرُ ما أراد الله تعالى لم يكن، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

(٢) وأما ثمودُ فهم قوم نبي الله صالح عليه السلام، وهم متقدمون عن فرعون الذي كان في زمن سيدنا موسى عليه السلام.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾

لكن يكذبونَك عنادًا ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠﴾[1] عالمٌ بأَحوالهم وقادر عليهم وهم لا يُعجزونه، والإحاطةُ بهم مِن وَرائهم مَثَلٌ بأنهم لا يَفوتُونَه كما لا يَفوتُ فائتُ الشيءَ المُحيطَ به، [فالإحاطة إدراك الشيء بكماله من كلّ جهاته، وتستعمل في العلم بالشيء من كلّ وجوهه] ﴿بَلۡ هُوَ﴾ بل هذا الذي كذبوا به ﴿قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١﴾ شَريفٌ عالي الطَّبَقَةِ في الكُتُب وفي نَظْمِهِ وإعجازِهِ، ليس كما يزعمون أنه مفترى وأنه أساطير الأولين ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾ مِنْ وُصُولِ الشياطين إليه. محفوظٌ نافعٌ، صفةٌ للقرآن، أي: منَ التغيير والتبديل، واللوحُ: دُرَّةٌ بيضاءُ طولها ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب [حافتاه ياقوتة حمراء].

---

(١) فسّر الألباني الإحاطةَ بالإحاطةِ الحسية والعياذ بالله تعالى فقال: اللهُ وراءَ هذا العالم. جعل اللهَ كالقُبة، وجعلَ العالم ما هو ضِمنَ القُبة، ذكر ذلك في كتابه المسمَّى «صحيح الترغيب والترهيب». ومرة قال: الله جالس على العرش. هذا كفر، وهذا كفر، فَسَّرَ الإحاطةَ بغير معناها، وفسر الآية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] بغير معناها، ظن أن كلمة ﴿مِن وَرَآئِهِم﴾ تُفَسَّرُ على الحِسِّ.

سورة الطارق
مكية وهي سبع عشرة ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٤ - ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ عَظَّمَ قَدْرَ السماء في أَعينِ الخَلق لكونها مَعْدِنَ رِزْقِهِم(١)، وَمَسْكِنَ ملائِكَتهِ، فأَقْسَمَ بها، وبالطارقِ، والمُرادُ جِنْسُ النُجوم، أو جِنسُ الشُّهُب التي يُرجَمُ بها لعِظَمِ منفَعَتها(٢)، ثم فَسَّره بالنجم الثاقبِ، أي: المضيء، كأنه يَثقُبُ الظلامَ بضوئه فينفذُ فيه، وَوُصِفَ بالطارق لأنه يَبدو بالليل كما يقال للآتي ليلًا: طارقٌ، أو لأنه يَطرقُ الجنيَّ، أي: يَصُكُّهُ(٣)، وجواب القسم: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ أي: ما كُلُّ نَفْسٍ إلا عليها حافظ يحفَظُها منَ الآفات، أو يحفظ عملَها ورزقَها وأجَلَها، فإذا استوفى ذلك [كُلَّه قَبَضَه]. وقيل: هو كاتب الأعمال.

---

(١) لأن الماء ينزل من السماء، هذا المطر من السماء، ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ ۝٢٢﴾ [سورة الذاريات] أي: أصلُ رزقِكم ومَبدؤه.

(٢) أي يُرجم بها مُسترِقو السمع من الشياطين، فيمنعون من سماع ما ينقلونه للكهنة ونحوهم من أعوانهم مما يتسبب في كفر كثير من الذين ينقلون هذه الأخبارَ بادِّعاء معرفة الغيب وغير ذلك من المفاسد.

(٣) الصَّكُّ: الضرب بشدة.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ
لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ
ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾

٥- ٧- ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ مِنْ أيِّ شيء خُلِقَ؟ وجوابُه: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ الدَّفْقُ: صَبٌّ فيه دَفْعٌ، [أي: منصبٍّ بقوة]، ولم يقل: من ماءَين لامتزاجهما في الرحم واتِّحادهما حين ابتُدئ في خلقه ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ من صُلْبِ[1] الرَّجُلِ وترائِبِ المَرأةِ وهي عِظامُ الصَّدْرِ حيث تكون القِلادة.

٨- ١٠- ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الذي خَلقَ الإنسانَ ابتداءً مِن نُطفة ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ على إعادته خصوصًا[2] ﴿لَقَادِرٌ ۝٨﴾ لَبيّنُ القدرة لا يَعجزُ عنه ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ أي: تُكشَفُ، أي يبعثه يوم تُبلَى ﴿ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ ما أُسِرَّ في القلوب مِنَ العقائد والنيات وما أُخفِيَ من الأعمال ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ فما للإنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ في نَفسِه على دَفْعِ ما حَلَّ به ﴿وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ يُعينه ويَدفع عنه.

١١- ١٤- ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١﴾ أي: المَطرِ، وسُمِّي به لِعَوْدِه كلَّ حين ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢﴾ هو ما تتصَدَّع عنه الأرضُ من النبات ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن القرءانَ ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ فاصِلٌ بينَ الحَق والباطل، كما قيل له فرقان[3] ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ باللَّعِب والباطل. ومِن حَقِّهِ - وقد وصَفَهُ الله بذلك - أن يكون مَهيبًا في الصدور، مُعظَّمًا في القلوب، يرتفع به قارِئُه وسامِعهُ أن يُلِمَّ بهَزْلٍ أو يتفكَّه بِمُزاح[4].

---

(١) صُلْبُ الرجُلِ: هو من الظهر ما فيه الفَقَار.
(٢) أي: هو وَحْدَهُ القادر على إرجاعِه كما أنشأه أول مرة.
(٣) كما في قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ وهو الفرقان الذي يَفرُقُ بين الحق والباطل.
(٤) أي: أن يَعْتَرِيَه هَزْلٌ ومُزاح.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

١٥- ١٧- ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني: مشركي مكةَ ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾﴾ يَعملون المكايد في إبطال أَمرِ اللهِ وإطفاءِ نورِ الحقّ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ وأُجازيهم جزاءَ كيدِهم باستدراجي لهم من حيث لا يعلمون، فسُمِّيَ جزاءُ الكيد كيدًا كما سُمي جزاءُ الاعتداءِ والسيئةِ اعتداءً وسيئة، وإن لم يكن اعتداءً وسيئةً، ولا يجوز إطلاق هذا الوَصْف على الله تعالى إلا على وجه الجَزَاءِ كقوله: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة التوبة] ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴿١٤٢﴾﴾ [سورة النساء] ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴿١٥﴾﴾ [سورة البقرة] ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا تَدْعُ بهَلاكهم ولا تستعجِلْ به ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ أَنْظِرْهُم ﴿رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ مَهَلًا يسيرًا.

سورة الأعلى
مكية وهي تسع عشرة ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٥- ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ نَزِّهْ ذاتَه عما لا يليقُ به. ﴿ٱلْأَعْلَى ۝١﴾: بمعنى العُلُوِّ الذي هو القَهْر والاقتدار، لا بمعنى العُلو في المكان، وفي الحديث لما نزلت قال عليه السلام: «**اجعلوها في سجودكم**». ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ خلَقَ كل شيء فسَوَّى خَلقَه تسويةً، ولم يأتِ به متفاوتًا غيرَ مَلتئِم، ولكن على إحكام واتِّسَاق، دِلالةً على أنه صَادر عن عالِم حكيم ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ قدَّر لكل حيوان ما يُصْلِحُه فَهداهُ إليه، وَعَرَّفَه وَجْهَ الانتفاع به، أو فَهَدَى وأضلَّ، ولكن حُذِفَ: وأَضلَّ اكتفاءً[1] كقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۝٩٣﴾ [سورة النحل] ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ أنبتَ ما ترعاه الدوابُّ ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾

---

(١) هذا من الاكتفاء، ومن الاكتفاء ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۝٢٦﴾ [سورة آل عمران]، أي: والشر، بعض الجهلة يظنون أن الخير يُقَدِّره الله بعلمه ومشيئته ورضاه، أما الشر لا يُقَدِّره الله، وهذا كفر. الله هو الذي خلق الخير والشر، وهو خلق الإيمان والكفر في عباده، خلق في هذا الإيمان، وخلق في هذا الكفر، لا يقال: لِمَ خلق الكفر في هذا ثم يعذبه في الآخرة؟ الله لا يُسأل عما يفعل.

﴿أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾

يابسًا هشيمًا(١) ﴿أَحْوَىٰ ۝٥﴾ أسودَ.

٦- ٩- ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ سَنُعَلِّمُك القرءان حتى لا تنساه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أَن يَنسَخَه، وهذا بشارة من الله لنبيه أن يَحفظَ عليه الوحيَ حتى لا يَنفَلِتَ منه شيءٌ إلا ما شاءَ الله أن ينسَخَه فيذهَبَ به عن حِفظِه برَفْعِ حُكمِه وتلاوته ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ أي: إنك تجهر بالقراءة مع قراءةِ جبريلَ مَخافةَ التفلُّتِ واللهُ يعلَمُ جهرَكَ معه وما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر، أو ما تقرأ في نفسِكَ مَخافةَ النسيان، أو هو عامٌّ، أي]: يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ ونوفقك للطريقة التي هي أَيسَرُ وأسهل، يعني حفظ الوحي، وقيل: للشريعة السَّمْحَةِ(٢) التي هي أَيسَرُ الشرائع. ﴿فَذَكِّرْ﴾ عِظْ بالقرءان ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ قيل: ظاهره شرطٌ ومعناه استبعادٌ لتأثيرِ الذكرى فيهم(٣)، وقيل: هو أمرٌ بالتذكير على الإطلاق كقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾ [سورة الغاشية] غيرُ مشروط بالنفع.

١٠- ١٣- ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ سيتَّعظُ ويقبَلُ التذكرة ﴿مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ اللهَ وسوءَ العاقبةِ ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ ويتباعَدُ عن الذِّكرى فلا يقبَلُها ﴿ٱلْأَشْقَى ۝١١﴾ الكافِرُ وقيلَ: نزلَت في الوليدِ بنِ المُغيرة وعُتْبَةَ بنِ رَبيعة ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ يدخلُ نارَ جهنم، [والنار الصغرى: هي نار الدنيا] ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريحَ منَ العذاب ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾ حياةً يتلذَّذ بها.

---

(١) الغُثاء: ما يحملُه السيلُ من أعشاب يابسة وغيرها. والهشيم: المتكسر من النبات اليابس.
(٢) السَّمْحَةُ: التي ليس فيها ضِيقٌ ولا شدة.
(٣) أي: فيمن طُبعَ على قلوبهم.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

١٤- ١٧- ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ نالَ الفوزَ ﴿مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ تَطهَّرَ منَ الشرك، أو تطهر للصلاة، أو أدّى الزكاة ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ وكبَّرَ للافتتاح ﴿فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ الخَمْسَ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ على الآخرة فلا تَفعلونَ ما بِهِ تُفلِحُونَ، والمخاطَبُ به الكافرونَ ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ أَفضَلُ في نفسِها وأَدْوَمُ.

١٨- ١٩- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي: أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف، أو إلى ما في السورة كلها، وفي الأَثَرِ: وفي صُحف إبراهيم: «ينبغي للعاقلِ أن يكونَ حافظًا للسانه، عارفًا بزَمانه، مُقبلًا على شَانه».

سورة الغاشية
مكية وهي ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ - ٧- ﴿هَلْ﴾ بمعنى: قَدْ ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١﴾ الداهيةِ التي تَغشَى الناسَ بشدائدها وتَلْبَسُهم أهوالُها، يعني القيامةَ، وقيل: النارُ ﴿وُجُوهٌ﴾ أي: وجوهُ الكفار، وإنما خُصَّ الوَجهُ لأن الحُزنَ والسُرور إذا استحكما في المَرءِ أثَّرا في الوَجْه ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم إذ غُشِيَت ﴿خَاشِعَةٌ ۝٢﴾ ذليلةٌ لِما اعترى أصحابَها منَ الخِزْيِ والهَوَان ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝٣﴾ هم أصحاب الصوامع، [قال ابن عباس: عاملةٌ في الدنيا ناصبة فيها لأنها على غير هدى، فلا ثمرةَ لها إلا النَّصبُ[1] وخاتمته النار[2] اهـ] ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ تدخلُ نارًا قد أُحمِيَت مُددًا طويلةً، فلا حرَّ يعدِلُ حرَّها ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥﴾ من عَينِ ماءٍ قد انتهى

---

(١) النَّصَبُ: التعبُ والعناءُ والإعياءُ.

(٢) وقد كانوا يتخشعون يتعبون أنفسهم، يلبسون الجلود بدل الثياب، ويأوون إلى المغارات في الجبال، ويقاسون الشدائد، ويتحملون المشقات، على زعمهم يترقَّون عند الله وليس لهم شيء في الآخرة إلا العذاب.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾

حَرُّها[(١)]، والمراد [أصحاب هذه الوجوه] بدليل قوله: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ هو نَبْتٌ يقال لِرَطْبِهِ «الشِّبْرِقُ»[(٢)]، فإذا يَبِسَ فهو ضَريعٌ، وهو سُمٌّ قاتل، والعذابُ أَلوانٌ، والمُعَذَّبونَ طَبَقاتٌ، فمنهم أَكَلَةُ الزَّقُّومِ[(٣)]، ومنهم أَكَلَةُ الغِسْلِينِ[(٤)]، ومنهم أَكَلَةُ الضَّريع، فلا تناقُضَ بينَ هذه الآية وبين قوله: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ [سورة الحاقة] ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ أي: منفعتا الغذاء منتفيتان عنه، وهما: إماطةُ[(٥)] الجُوعِ، وإفادَةُ السِّمَن في البدن.

٨- ١٦- ثُمَّ وَصَفَ وجوهَ المؤمنين [فقال]: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ مُتنعمةٌ في لِيْنِ العَيش ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ رَضِيَت بعَمَلِها وطاعتِها لَمَّا رأَت ما أدَّاهم إليه منَ الكرامة والثواب ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ مِنْ عُلُوّ المكان، أو المقدار ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ يا مُخاطَبُ، أو الوجوهُ ﴿فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾ أي: لَغوًا[(٦)]، لا يَتكلَّم أهلُ الجَنة إلا بالحِكمة وحَمدِ الله على ما رَزَقَهم من النعيم الدائم ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾ أي: عيونٌ كثيرة

---

(١) أي: انتهى حَرُّها إلى الغاية، إلى الحد البعيد، هؤلاء أئمة الكفر أصحاب الصوامع هم يُلقُونَ الكفرَ في طائفتهم، هم أشد كفرًا من تُجَّارهم وفلاحيهم، هم أئمة الكفر.

(٢) هذا في الحجاز موجود، وهو مرٌّ شديدُ المرارة، هناك في جهنم لهم الشبرق، هذا الشجر يأكلونه في جهنم، هو نابت في جهنم.

(٣) الزَّقّوم: من أخبث الشجر المر كالسُّم، يكون بتهامة، ولكنْ طعامُ أهلِ النار هذا يَنبتُ في قعر جهنم.

(٤) الغِسْلِينُ: ما يسيلُ من أبدان أهل النار من الدم والصديد وهو القيح الذي يسيل من جلودهم.

(٥) إماطَةُ الجوع: إذهابُهُ.

(٦) أي: سَقَطًا من الكلام لا فائدةَ فيه ولا نفعَ.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرۡفُوعَةٞ ﴿١٣﴾ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾﴾

﴿فِيهَا سُرُرٌ﴾ جَمعُ سريرٍ ﴿مَّرۡفُوعَةٞ ﴿١٣﴾﴾ مِنْ رِفْعَةِ المِقدارِ، أو السَّمْكِ[(١)]، ليَرى المؤمنُ بجلوسِه عليه جميعَ ما خَوَّله[(٢)] ربُّه من المُلك والنعيم ﴿وَأَكۡوَابٞ﴾ جمعُ كوبٍ، وهو القَدَحُ، وقيل: ءانية لا عُروَة لها ﴿مَّوۡضُوعَةٞ ﴿١٤﴾﴾ بين أيديهم ليتلذذوا بالنظر إليها، أو موضوعة على حَافَات العُيون مُعدَّةٌ للشُّرب ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وَسائِدُ ﴿مَصۡفُوفَةٞ ﴿١٥﴾﴾ بعضُها إلى جَنبِ بَعضٍ، مَسانِدُ ومَطارِحُ[(٣)] أَينما أرادَ أن يجلسَ جَلَسَ على مِسْوَرَةٍ[(٤)] واستند إلى الأخرى ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ وبُسُطٌ عِراض فاخرة، جمع زِرْبِيَّةٍ ﴿مَبۡثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ مبسوطَةٌ، أو مُفرَّقة في المجالس.

ولمَّا أنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيات في صِفة الجنة، وفسَّر النبيُّ عليه الصلاة والسلام بأن ارتفاعَ السرير يكون مائةَ فرسَخ، والأكوابَ الموضوعةَ لا تدخل في حِسابِ الخَلق لكثرتها، وطولَ النَّمارِقِ كذا، وعَرْضَ الزَّرابيّ كذا، أَنكرَ الكفارُ وقالوا: كيفَ يُصعَدُ على هذا السرير، وكيف تكثُرُ الأكوابُ هذه الكثرةَ، وتطولُ النمارقُ هذا الطولَ، وتنبسِطُ الزرابيُّ هذا الانبساطَ، ولَمْ نُشاهد ذلك في الدنيا؟ فقال الله تعالى:

١٧- ٢٠- ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾﴾ طويلةً، ثم تَبْرُكُ

---

(١) السَّمْكُ: الارتفاع مِن جهة العُلو.

(٢) ورد في الأثر أن فُرُشَهم هذه مسيرة مائة سنة، لأن الواحد هناك له أرض واسعة، أقلهم له مسيرة ألف سنة، كل هذا أشجار مثمرة وسرر، ليس فراغًا إذا ارتفع على سريره هذا، يرى ما له بدون تعب، يرتفع عليه، اللهُ يعطيهم قوة نظر، يرون مسافة ألف سنة، يرون أقصاها كما يرون أدناها، ليس كما هي حالهم اليوم.

(٣) المطارحُ: المفارش.

(٤) المِسْوَرة: متكأٌ من أَدَمٍ، وسميت بذلك لِعُلُوِّها وارتفاعها.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾

حتى تُركَبَ أو يُحملَ عليها، ثم تقومُ، فكذا السرير يُطأطئ[١] للمؤمن كما يطأطئُ الإبلُ ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨﴾ رَفعًا بعيدَ المدى بلا إمساكٍ وعَمَدٍ، ثم نُجومُها تَكثُر[٢] هذه الكثرةَ فلا تدخلُ في حساب الخَلق، فكذا الأكوابُ ﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩﴾ نَصبًا ثابتًا، فهي راسِخة لا تَميلُ مع طولها، فكذا النَّمارق ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾ سَطحًا بتمهيدٍ وَتَوْطِئَةٍ، فهي كلُّها بساطٌ واحِدٌ ينبسِطُ من الأُفق إلى الأفق، فكذا الزَّرابيّ، ويجوز أن يكون المعنى: أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقاتِ الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا يُنكروا اقتدارَهُ على البَعث فيسمعوا إنذارَ الرسولِ ويؤمنوا به ويستعِدُّوا للقائه؟ وتخصيصُ هذه الأربعة باعتبار أن هذا خطاب للعَرَبِ، وحَثٌّ لهم على الاستدلال، والمَرءُ إنما يَستدِلُّ بما تكثرُ مشاهدتهُ له، والعَربُ تكون في البوادي ونَظَرُهم فيها إلى السماءِ والأرضِ والجبال والإبل، فهي أَعزُّ أَموالِهم، وهم لها أَكثرُ استعمالًا منهم لسائر الحيوانات، ولأنها تَجمَعُ جميعَ المآرب[٣] المطلوبة منَ الحيوان، وهي النَّسْلُ والدَّرُّ والحَمْلُ والركوبُ والأكل بخلاف غيرها، ولأن خلقَها أَعجَبُ من غيرها، فإنه سَخَّرها مُنقادةً لكلّ من اقتادها بأَزِمَّتِها[٤] لا تُعازُّ[٥] ضعيفًا ولا تُمانع صغيرًا[٦]،

(١) هو ينخفض له فيعلو عليه.
(٢) هذا توبيخٌ للكفار، معناه ألا تنظرونَ إلى نجوم السماء، هل تعرفون لها عددًا؟ لا يعرفون لها عددًا، كذلك هناك أكواب أهل الجنة شيء كثير كثير لا تعرفون لها عددًا.
(٣) المآرِب: الحاجات.
(٤) وهو الحبلُ الذي تُقادُ به الدابة.
(٥) تُعازُّ: تُغالب.
(٦) الطفل يقودها، الله تعالى ذللها للبشر، لمنفعة البشر، اللهُ ذللها مع طول حجمها، ولم يجعلها كالوحوش: الأسد والنمر والذئب، أولئك جعلَ فيهم نفورًا عن البشر، الله قادر على أن يجعل الإبل والبقر والغنم مثلَ أولئك، لكن جعل هؤلاء على حالةٍ، وأولئك على حالةٍ.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

وبَرَأها طِوالَ الأَعناقِ لتَنُوءَ بالأَوقارِ[١]، وجعلها بحيث تَبرُكُ حتى تُحَمَّل عن قُربٍ ويُسْرٍ، ثم تَنهضُ بما حَمَلَت، وتَجُرُّها إلى البلاد الشَّاحِطَةِ[٢]، وصَبَّرَها على احتمالِ العَطش، حتى إنَّ أَظماءَها[٣] لَتَرتَفِعُ إلى العِشْرِ[٤] فصاعدًا، وجعلها ترعى كلَّ نابتٍ في البوادي مما لا يرعاه سائر البهائم[٥].

٢١- ٢٦- ﴿فَذَكِّرْ﴾ فذكِّرهم بالأدلة ليتفكروا فيها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ ليسَ عليك إلا التبليغ[٦] ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ بمتسلطٍ [تُدخِلُ الإيمان في قلوبهم كرهًا، وإنما عليك التذكيرُ والإرشادُ والتبصيرُ] ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: لَستَ بمسؤولٍ عليهم، ولكن مَن تَولَّى منهم وكفرَ بالله، فإنَّ للهِ الوَلايةَ[٧] عليه والقَهْرَ، فهو يُعذبه العذابَ الأكبر، وهو عذابُ جهنم ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ رجوعَهم [في الآخرة] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ فنحاسِبُهم على أَعمالهم، ونُجازِيهم بها جزاءَ أَمثالِهم. و(على) لتأكيد الوعيد، لا للوجوب، إذ لا يجب على الله تعالى شيء.

---

(١) لتنوء: أي: لتنهَضَ بالأحمال التي على ظهرها. والأوقارُ: الأحمالُ الثقيلة.
(٢) الشاحطة: البعيدة.
(٣) الظِّمْءُ: ما بين الشُّرْبَين والوِرْدَين في وِرْدِ الإبل، وهو حَبْسُ الإبل عن الماء إلى غاية الوِرْد. والجمعُ: أَظْماءٌ.
(٤) العِشْرُ: وِرْدُ الإبل اليومَ العاشرَ.
(٥) ترعى أَشجارَ الشوك، تأكل الشوك، أما البقر والغنم فيأكل الشيء الطري، الإبل جعل لها هذا الشوك قوتًا.
(٦) الله تعالى هو الذي يهدي القلوب، الرسول وظيفته أن يبلغهم، أما عمل القلب فهو إلى الله، الله تعالى هو الذي يهدي قلوب البشر، الرسول يبلغ، ثم من شاء الله له الهدى يهدي قلبه، الرسول لا يستطيع أن يجعل القلب مؤمنًا، ليس من وظيفته، الرسول يُسمِع، فينتفعون إن شاء الله لهم، ولا ينتفعون إن لم يشأ الله لهم.
(٧) الوَلاية بالفتح: بمعنى النصرة، أي لله النصرةُ عليه والقهرُ، وبالكسر بمعنى المُلك والسلطان.

سورة الفجر
مكية وهي ثلاثون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ③ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ④ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ⑤﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٥- ﴿وَٱلْفَجْرِ ①﴾ أَقسَمَ [ربنا تبارك وتعالى] بالفَجر وهو الصُّبحُ كقوله: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ㉞﴾ [سورة المدثر] أو بصلاةِ الفَجرِ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ②﴾ عَشرِ ذي الحِجَّةِ،أو العَشرِ الأُوَلِ مِنَ المُحَرَّم، أو الأَواخِرِ مِن رمضان ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ③﴾ شَفْعِ كلِّ الأشياء وَوَتْرِها[1]، أو شَفع هذه الليالي وَوَتْرِها، أو شَفعِ الصلاةِ ووَترِها، أو يوم النَّحْرِ لأنه اليوم العاشِرُ ويوم عَرفَةَ لأنه اليومُ التاسع. وبعدما أَقسَمَ باللَّيالي المخصوصَةِ أَقسَم بالليل على العموم فقال: ﴿وَٱلَّيْلِ﴾ وقيل: أُريدَ بهِ ليلةُ القَدرِ ﴿إِذَا يَسْرِ ④﴾ إذا يمضي، وياءُ يَسْرِي تُحذَفُ في الدَّرْجِ اكتفاءً عنها بالكسرة، وقيل معنى يَسرِي: يُسرَى فيه، كما يقال: لَيل نائم أي يُنام فيه ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي فيما أقسمتُ به من هذه الأشياء ﴿قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ⑤﴾ عَقْلٍ، سُمِّيَ به لأنه يَحجُر[2] عن التهافت[3] فيما لا ينبغي، كما

---

(١) الوَتْرُ بفتح الواو وكسرها: الفرد، والشَّفْعُ: خلافُه، وهو الزوج.
(٢) أي: يَمنَعُ.
(٣) التهافت: السقوط، أي عن السقوط فيما لا ينبغي.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾

سُمِّي عقلًا ونُهْيَةً لأنه يَعقِلُ ويَنهى[(١)]، يريد: هل تَحقَّقَ عنده أن تُعَظمَ هذه الأشياء بالإقسام بها، أو هل في القسم بهذه الأشياء قَسَمٌ مُقنع لذي عقل، والمُقْسَم عليه محذوفٌ وهو قوله: لَيُعَذَّبُنَّ، يدل عليه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ إلى قوله ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾. ثم ذكرَ تعذيبَ الأُمم التي كذَّبت الرسُلَ فقال:

٦- ٨- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ أي ألم تعلم يا محمدُ عِلمًا يوازي العِيَانَ في الإيقان، وهو استفهامُ تقريرٍ، قيل لِعَقِبِ عادِ بنِ عَوْصِ بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نوح: عادٌ[(٢)]، كما يقال لِبَني هاشِمٍ هاشِمٌ، ثم قيلَ للأَولِين منهم: عادٌ الأُولى، والإِرَمُ تسميةٌ لهم باسمٍ جَدِّهم، ولِمَنْ بعدَهم: عادٌ الأَخيرةُ، فإرم إيذانٌ بأَنهم عادٌ الأُولى القديمة، وقيل: إِرَمُ بلدَتُهم وأَرضُهم التي كانوا فيها، وذاتِ العِمَادِ إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى: أَنهم كانوا طِوالَ الأجسام، على تشبيه قُدُودِهم بالأَعمدة، وإن كانت صِفةً للبلدةِ فالمعنى: أنها ذاتُ أَساطِينَ[(٣)].

روي أنه كان لِعَادٍ ابنانِ شَدَّادٌ وشَدِيدٌ فَمَلَكا وقَهَرَا ثم ماتَ شديدٌ وخَلَصَ الأمرُ لشَداد، فمَلكَ الدنيا ودانت له مُلوكُها[(٤)]، فسمعَ بذكر الجنة فقال: أَبني مثلَها، فبنَى إِرَمَ في بعض صَحارَى عدن في ثلاثمائة سنةٍ، وهي مدينةٌ عظيمة قُصُورها من الذهب والفضة، وأَساطينها منَ

(١) لأنه يَعقِلُ: أي: يَحبِسُ صاحبَه عن التورط في المهالك، مأخوذ من العقل بمعنى: الحبس، والعاقل يحبس نفسه وينهاها عن الأهواء المهلكة.
(٢) وهم الذين أُرسِلَ إليهم سيدنا هودٌ عليه السلام، ثم أُهلكوا بالريح.
(٣) جمع أسطوانة: بمعنى العمود، أو السارية.
(٤) شَدَّادُ بنُ عادٍ عاشَ تِسعَمائةِ سنة وكان تحته مائتان وستون ملكًا وكان من العرب.

﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾

الزَّبَرْجَدِ[١] والياقوت، وفيها أصنافُ الأشجار والأنهار، ولما تَمَّ بناؤها سَارَ إليها بأهلِ مملكته، فلما كان منها على مَسيرةِ يوم وليلة بعَثَ اللهُ عليهم صيحةً من السماء فَهلَكوا، ﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾ أي: مِثلُ عَادٍ في قُوَّتهم وَطولِ قامَتِهم، كان طولُ الرَجُل منهم أَربعَمائة ذراع، أو لم يُخلَقْ مثلُ مدينةِ شَدَّادٍ في جميع بلاد الدنيا.

٩- ﴿وَثَمُودَ﴾[٢] ﴿ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ﴾ قَطعوا صَخْرَ الجبالِ واتَّخذوا فيها بيوتًا، قيلَ: أولُ مَنْ نَحتَ الجبالَ والصُّخور ثمودُ وَبَنَوا ألفًا وسبعَمائةِ مدينةٍ كُلُّها من الحجارة ﴿بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾﴾ بوادي القرى[٣].

١٠- ١٤- ﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾﴾ أي: ذِي الجُنودِ الكثيرة، وكانت لهم مَضارِبُ كثيرةٌ يَضربونَها إذا نزلوا، وقيل: كان له أَوتادٌ يعذب الناس بها كما فَعَلَ بآسية[٤] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ هم عادٌ وثمودُ وفرعونُ ﴿طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾﴾ تجاوزوا الحَدَّ ﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾ بالكفر والقتل والظلم ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ مَجازٌ عن إيقاعِ العذاب بهم على أَبلَغِ الوجوه إذ الصَّبُّ يُشعِرُ بالدَّوام، والسَّوْطُ بزيادةِ الإيلام، أي:

---

(١) الزبرجد: من الأحجار الكريمة، أخضر اللون، كلون الزيتون الأَخضر، وأما الياقوت فأحمر اللون.
(٢) ثَمودُ: هم قوم نبي الله صالح، وأهلكوا بالصيحة.
(٣) وادي القُرى: سمي بذلك لكثرة القُرى فيه، وكان فيه منازل ثَمودَ وعادٍ وبه أُهلكوا.
(٤) يقال إنه مَدَّها إلى أربعة أوتاد ربطها بها وجعل على صدرها الرَّحَى، أي: الحجارة العظيمة، وكانت ءاسيةُ زوجتَه - في ذلك الوقت كان يجوز تزوج المسلمة بالكافر - وكانت من بني إسرائيل ليس من قومه، كانت جميلة تقية تعبد الله، في الأول ما كان يعارضها ثم في الأخير عذبها هذا العذاب الشديد.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦ كَلَّاۖ﴾

عُذبوا عذابًا مؤلمًا دائمًا ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ هذا مَثَلٌ لإرصادِه العبادَ وأنهم لا يَفوتونه، وأنه عالمٌ بما يَصدُر منهم وحافظه، فيجازيهم عليه إن خيرًا فخيرٌ وإن شَرًّا فشَرٌّ.

١٥- ١٦- ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ ١٦﴾ أي: ضَيَّقَ عليه وجَعَلَهُ بمِقدار بُلْغَتِهِ[١]، ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦﴾ أي: الواجِبُ لِمَنْ رَبُّهُ بالمِرصادِ أن يَسعَى للعاقِبةِ ولا تَهُمَّهُ العاجِلةُ وهو قَدْ عَكَسَ، فإنه إذا امتحنه ربه بالنعمة والسَّعَةِ ليشكُرَ، قال: ربي أكرمني، أي: فَضَّلني بما أعطاني، فيرى الإكرامَ في كَثرةِ الحَظِّ في الدنيا، وإذا امتحنه بالفقر فقَدَرَ عليه رِزقَه ليصبرَ، قال: ربي أهانني، فيرى الهَوَانَ في قِلةِ الحَظِّ منَ الدنيا، لأنه لا تَهُمُّه إلا العاجلةُ وما يَلَذُّهُ ويَنْقِمُه[٢] فيها، فَرَدَّ عليه زَعْمَه بقوله:

١٧- ٢٠- ﴿كَلَّاۖ﴾ أي: ليسَ الإكرامُ والإهانةُ في كثرةِ المالِ وقِلَّتِه، بل الإكرامُ في توفيقِ الطاعَة، والإهانَةُ في الخِذْلان[٣]، وسَمَّى كِلا الأمرين مِن بَسطِ الرزق وتقديرِه ابتلاءً لأن كلَّ واحدٍ منهما اختبارٌ للعبد، فإذا بَسَطَ له فَقَدْ اختبَرَ حالَه أيشكُرُ أم يكفُرُ، وإذا قَدَرَ عليه فقد اختبَرَ حالَه أَيصبرُ أم يَجْزَعُ[٤]، وإنما أنكر قوله: ربي أكرمن مع أنه أثبته بقوله: فأكرمه لأنه قالهُ على قصد خلاف ما صححه الله عليه

---

(١) البُلْغَةُ: ما يكفي للعيش لا فَضْلَ فيه.
(٢) أي: يُنكِرُهُ ولا يُعجبه.
(٣) خِذْلانُ اللهِ العبدَ: أَلّا يَعصِمَه منَ الشُّبَه فيقعَ فيها.
(٤) الجَزَعُ: نقيضُ الصبر.

﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾

وأثبته، وهو قصده إلى أن الله أعطاه ما أعطاه إكرامًا له لاستحقاقه كقوله [تعالى حكاية عن قارون]: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة القصص] وإنما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ أي: أن الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدونَ ما يَلزمُهم فيه من إكرام اليتيم بالمَبَرَّةِ(١) وحَضِّ أهلِه على طعام المسكين ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ أي الميراثَ ﴿أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾ ذا لَمّ، وهو الجَمعُ بين الحلالِ والحرام، وكانوا لا يُوَرِّثونَ النساءَ ولا الصبيان، ويأكلون تُراثَهم مع تُراثِهم ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ كثيرًا شديدًا مع الحِرصِ(٢) ومَنْعِ الحقوق.

٢١- ٢٣- ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ لهم عن ذلك وإنكارٌ لفعلهم، ثم أتى بالوعيد وذكرَ تَحسُّرهم على ما فَرَّطوا فيه حين لا تنفعُ حَسرةٌ فقال: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ إذا زُلزلت ﴿دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ دَكًّا بعد دَكٍّ، أي كُرِّرَ عليها الدَّكُّ حتى عادت هَبَاءً منبثًّا(٣) ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ تَمثيلٌ لظُهورِ ءاياتِ اقتِدارِهِ وتَبيينُ ءاثارِ قَهْرِهِ وسُلطانهِ، وعن ابن عباس: أَمرُه(٤) وقضاؤه ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ أي يَنزلُ ملائكةُ كلِّ سَماءٍ فيصطفُّونَ صَفًّا بعدَ صف

---

(١) أي: الإحسانِ بقصد التقرب إلى الله تعالى بذلك.
(٢) أي: مع الجَشَعِ في طلبه من غير مبالاة بحلال أم بحرام.
(٣) أي: غبارًا متفرقًا، والهباء: ما تُطيره الريح فيلزَقُ على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم.
(٤) وثبتَ عن أحمدَ بنِ حنبل أنه قال: ءاثار قدرته. أي أمور عظيمةٌ تدل على قدرة الله العظيمة تظهر ذلك اليوم، قالوا ذلك تنزيهًا لله تعالى عن الحركة والانتقال من جهة إلى جهة لأن ذلك من صفات الأجسام تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾

مُحْدِقين[١] بالجن والإنس ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ قيل: إنها بُرِّزَت لأهلها كقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة الشعراء] وقيل: هو مُجرًى على حقيقته، ففي الحديث: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعونَ ألفَ زِمَامٍ**[٢]**، مع كل زِمام سبعون ألفَ مَلَكٍ يجرونها**»[٣] ﴿يَوْمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أي: يَتعِظ ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ ومن أين له منفعةُ الذكرى.

٢٤- ٢٦- ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ هذه، وهي حياةُ الآخِرة، أي: يا ليتني قدمتُ الأعمالَ الصالحة في الحياة الفانية لحياتي الباقية ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾﴾ لا يتولّى عذابَ اللهِ أَحَدٌ، لأن الأمرَ لله وَحْدَهُ في ذلك اليوم [وقد انقطعت تصرفات ملوك الدنيا، أو لا يُعذِّبُ أحدٌ مثلَ عذاب الله للكافر في الآخرة] ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ بالسلاسل والأَغلالِ ﴿وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾﴾ [لا يستطيع أحدٌ أن يبلغَ مَبلَغه في ذلك]. ثم يقول الله تعالى للمؤمن إكرامًا له:

٢٧- ٣٠- ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ الآمنةُ التي لا يَستفزها[٤] خوفٌ ولا حُزنٌ، وهي النفسُ المؤمنة، أو المطمئنة إلى الحَقِّ التي سَكَنَها ثَلَجُ اليقين فلا يخالِجُها شك[٥]، وإنما يقال لها عندَ الموت، أو عند البَعث، أو عند دخول الجنة ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ﴾ موعد ﴿رَبِّكِ﴾ أو ثوابِ

---

(١) الإحداقُ: الإحاطةُ، أي: محيطين بهم.
(٢) الزِّمامُ: المِقوَدُ.
(٣) قبلَ أن يُرمَوا فيها تُعرَضُ عليهم ليزدادوا قلقًا ورعبًا.
(٤) أي: لا يُحَرِّكُها ولا يُقلِقُها.
(٥) أصل الاختلاج: الحركة، فيقال: خالَجَهُ شك، أي تَحرَّكَ الشكُّ في صدره واضطرب.

﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾

ربك ﴿رَاضِيَةً﴾ منَ اللهِ بما أُوتِيتِ ﴿مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ عندَ اللهِ بما عَمِلْتِ ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾﴾ في جملة عبادي الصالحين، فانتظمي في سِلْكِهم[1] ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ معهم، وقيل: النفسُ: الروحُ، ومعناه: فادخلي في أَجسادِ عبادي.

(١) أي: في جُملَتهم.

سورة البلد
مكية وهي عشرون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ٤- ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾ أَقْسَمَ سُبحانه وتعالى بالبلدِ الحَرام وبما بَعْدَه على أنَّ الإنسانَ خُلِقَ مَغموراً في مُكابَدَة[١] المَشَاقّ، [و﴿لَآ﴾ مزيدةٌ دخلت توكيدًا، كقوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٢٩﴾ [سورة الحديد]، وقيل: ﴿لَآ﴾ رَدٌّ، أي: ليس الأمر كما يتوهمه هذا الإنسان أنه لا يقدر عليه أحد] ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ أي: ومِن المُكَابَدة أن مِثلَكَ على عِظَم حُرْمَتِك يُستَحَل بهذا البلد - يعني: مكةَ - كما يُستَحَل الصيدُ في غير الحَرَم. [أي]: يُحرّمونَ أن يَقتلوا بها صَيدًا، ويَستَحِلُّون إخراجَك وقَتلَكَ. وفيه تثبيت لرسول الله ﷺ، وبَعثٌ على احتِمالِ ما كان يكابِدُ من أهل مكة، وتعجيبٌ مِن حالهم في عداوته، أو سَلَّى رسولَ الله[٢] بالقسَم ببلدِه على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أي: وأنت حِلٌّ به في المستقبل، وذلك

(١) المكابدة: معاناة المشقةِ ومقاساة الشدة.
(٢) تطييبًا لنفسه وكشفًا لِهَمّه، يقال: سلاَّني من همي تَسْلِيَةً أي: كَشَفَهُ عني، أي: رَفَعَه وأزاله.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾

أن الله فتح عليه [بعد ذلك] مكة وأحلَّها له وما فتحت على أحد قبلَه ولا أحِلَّت له، فأحَلَّ ما شاء وحَرَّم ما شاء، قتلَ ابن خَطَلٍ[1] ومِقيسَ ابنَ صُبابة[2] وغيرَهما، وحَرَّم دار أبي سفيان[3] ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾ هما ءادمُ وولدُه، و(ما) بمعنى: مَنْ، أو بمعنى: الذي ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ جوابُ القسم ﴿فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ مشقةٍ يكابدُ مَصائبَ الدنيا وشدائدَ الآخرة. والضمير في:

٥ - ١٠ - ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾ لبعضِ صَنادِيدِ[4] قُريش الذين كان رسولُ الله ﷺ يُكابدُ منهم ما يكابد، ثم قيل: هو أبو الأَشُدّ، وقيل: الوليد بنُ المغيرة، والمعنى: أيظنُّ هذا الصِّنْدِيد القويُّ في قَومِه المتضَعِّفُ للمؤمنين أن لن تقومَ قِيامَةٌ ولن يُقدَرَ على الانتقامِ منه؟ ثم ذَكَرَ ما يقوله في ذلك اليوم ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾﴾ كثيرًا، وهو ما تَلَبَّدَ، أي: كَثُرَ واجتمع، يريدُ كثرةَ ما أنفقه فيما كانَ أهلُ الجاهلية يُسَمُّونَها مَكارِمَ ومعاليَ ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾ حينَ كان يُنفِقُ ما يُنفق رياءً وافتخارًا، يعني: أن اللهَ تعالى كانَ يَراهُ، وكان عليه رقيبًا. ثم ذَكَرَ نِعَمَه عليه فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾﴾ يُبصِرُ بهما المَرئيات ﴿وَلِسَانًا﴾ يُعبِّر به عما في ضَميره ﴿وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾ يستُرُ بهما ثَغْرَهُ[5]، ويستعينُ بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ

---

(١) كان مسلمًا ثم ارتد وقَتَلَ مسلمًا، فأمر الرسولُ بقتله فقُتِلَ يوم الفتح.
(٢) وهذا أيضًا قتلَ واحدًا من المسلمين وعاد إلى مكة مرتدًا.
(٣) وكان ذلك عند فتح مكة بإشارة من العباس رضي الله عنه وكان أبو سفيان لم يُسلم بعدُ، ثم أسلمَ بعد ذلك وحَسُنَ إسلامه وجاهد مع المسلمين في حُنين والطائف واليرموك.
(٤) أي: زعمائهم وأشدّائهم، مفردُهُ صِنديد.
(٥) الثَّغْرُ: الفم، وقيل: هو اسم الأسنان كلها ما دامت في منابتها في الفم.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى
يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟
بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ طريقَي الخَيرِ والشر المُفْضِيَيْن إلى الجنةِ والنار.

١١- ١٣- ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ الاقتحامُ: الدخولُ والمُجاوزة بشدةٍ ومَشقةٍ، فجعلَ الصالحة عقبةً، وعمَلَها اقتحامًا لها لِمَا في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس. وعن الحسن: عَقَبَةٌ واللهِ شديدةٌ مجاهدةُ الإنسانِ نفسَه وهواهُ وعدُوَّهُ الشيطانَ، والمراد بقوله ﴿مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾: ما اقتحامها، ومعناه: أنك لم تَدْرِ كُنْهَ صعوبتها على النفس وكُنْهَ ثوابها عند الله. وفكُّ الرَّقَبة: تخليصُها من الرِّقِّ.

١٤- ١٨- ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ يعني: فلم يَشْكُرْ تلك النِّعَمَ بالأعمالِ الصالحة مِنْ فَكِّ الرِّقابِ، أَو إِطعام اليَتامى والمساكين، ثُم بالإيمانِ الذي هو أَصْلُ كلِّ طاعةٍ وأَساسُ كُلِّ خيرٍ، بل غَمَطَ النِّعَم[1] وكَفَر بالمُنعم، والمعنى: أن الإنفاقَ على هذا الوَجه مَرضيٌّ نافعٌ عند الله، لا أن يُهلِكَ مَالَهُ لُبَدًا في الرياءِ والفَخار، وتقديره: فلا فَكَّ رقبةً، ولا أَطعمَ مسكينًا، ولا ءامنَ.

والمَسْغَبَةُ: المجاعة، والمَقْرَبَةُ: القرابة، والمترَبَة: الفقر.

ومعنى ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: داوَمَ على الإيمان ولا يثبت عملٌ صالح إلا به ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات والمِحَن التي يُبتلَى بها المؤمِنُ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ بالتراحُم فيما

---

(١) أي: لم يشكرها.

﴿أُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾

بينهم ﴿أُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨﴾ أي: المَوْصوفونَ بهذه الصفاتِ من أَصحابِ المَيْمَنة.

١٩- ٢٠- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالقرءانِ، أو بدلائلنا ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩﴾ أَصحابُ الشمال، والميمنة والمشأمة: اليمين والشِّمال، أو اليُمْنُ والشؤم[1] ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾ مُطْبَقَةٌ [أي: أطبقها الله عليهم فلا ضوءَ فيها ولا فرجَ، ولا خروج منها].

---

(١) اليُمْنُ: البَرَكةُ، وهو خلاف الشؤم، والميمون: المبارك.

سورة الشمس
مكية وهي خمس عشرة ءاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ - ٨- ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾﴾ [أقسمَ الله تعالى بالشمس] وَضَوْئِها إذا أَشْرَقَت ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾﴾ تَبِعَها في الضِّياءِ والنور، وذلك في النصفِ الأول من الشهرِ يَخلُفُ القمرُ الشمسَ في النور ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾﴾ جَلَّى الشمسَ وأَظهَرها للرائِينَ، وذلك عند انتفاخِ النهارِ[١] وانبساطِهِ، لأن الشمس تَنجَلي في ذلك الوقت تمامَ الانجلاء ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾﴾ يَستُرُ الشمسَ فتُظلِمُ الآفاقُ، والواو الأولى في نحو هذا للقسم بالاتفاق، وكذا الثانية عند البعض، وعند الخليل: الثانية للعطف.

﴿وَالسَّمَاءِ﴾ [أقسمَ الله تعالى بالسماء] ﴿وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾﴾ [أي ومَن بناها، وهذا قَسَمٌ من الله تعالى بنفسه جلَّ جلالُه] ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾﴾ [الطَّحْوُ: كالدَّحْوِ؛ وهو البَسْط] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾﴾ كأنه قيل: والسماءِ والقادر العظيم الذي بناها، [والأرضِ والذي بَسَطَها]، ونفسٍ

---

(١) انتفاخُ النهار: ارتفاعُهُ، يقولون: انتفخَ النهار أي علا.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ﴾

والحكيم الباهرِ الحكمةِ الذي سَوَّاها. [والمراد بالنفس المقسَم بها] نفسُ ءادم عليه السلام، أو كلُّ نفس ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ فأَعْلَمَها طاعَتَها ومعصيتَها، أَفهمها أنَّ أحدَهما حَسَنٌ والآخرَ قَبيحٌ. [أقسمَ اللهُ تعالى بذاته وبهذه المخلوقات لِما في ذلك من عجائب الصَّنعة الدالَّة عليه].

٩- ١٠- ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ جوابُ القسم، والتقديرُ: لقد أفلح ﴿مَن زَكَّاهَا ۝٩﴾ [أي: لقد أفلح، أي: نجا من كل مرهوب ووصل لكل مرغوب مَنْ زَكَّى اللهُ له نفسَهُ]، أي: طَهَّرها اللهُ وأَصلَحها وجعلها زاكيةً ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [أي: خَسِرَت وحُرِمت ولم تَنَلْ ما طلبت نفسٌ] أغواها اللهُ، قال عكرمة: أفلحت نفسٌ زكّاها الله، وخابت نفس أغواها الله.

وقيل: الجواب محذوفٌ تقديره: [والشمسِ وكذا وكذا لَتُحاسَبُنَّ ولَتُعرَضُنَّ على الله تعالى] وأمّا ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فكلام تابعٌ لقوله ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ على سبيل الاستطراد.

١١- ١٥- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١﴾ بطُغيانها، إذ الحاملُ لهم على التكذيبِ طُغيانُهم ﴿إِذِ انْبَعَثَ﴾ حينَ قامَ بِعَقْرِ الناقَةِ ﴿أَشْقَاهَا ۝١٢﴾ أَشقَى ثَمُودَ قُدارُ بنُ سَالِفٍ ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صالحٌ عليه السلام: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ احذروا عقرَها ﴿وَسُقْيَاهَا ۝١٣﴾ [وشِرْبَها[1]، أي: احذروا أمر الله فيها وفي شِربها] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما حَذَّرهم منه مِن نزولِ العذاب إن

---

(١) الشِّرْبُ بالكسر: النصيب من الماء، وأصلُه في سَقي الإبل، وقيل: الشِّرْبُ: هو وقتُ الشُّرْب، وقيل: هو الماء بعينه يُشْرَبُ.

﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

فَعلوا [خلاف ما أُمروا به في شأنها] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: الناقةَ، أَسنَدَ الفِعلَ إليهم وإن كان العاقِرُ واحدًا لرضاهم به ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ أَهلَكَهم هلاكَ استِئْصالٍ ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ بسَبب ذَنبهم، وهو تكذيبُهم الرسولَ وعَقْرُهم الناقةَ ﴿فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ فسَوَّى الدَّمْدَمَةَ عليهم [أي: جعل الدمدمةَ عليهم سواءً، أي: عَمَّهم بها] لم يُفلت منها صَغيرُهم ولا كبيرُهم ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ ولا يَخافُ اللهُ عاقِبةَ هذه الفِعْلَةِ، أي: فعل ذلك غير خائف أن تلحقَه تبعةٌ من أحد كما يخاف مَن يُعاقبُ مِن الملوك، لأنه فَعلَ في مِلكه ومُلكه[1] ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأنبياء].

---

(١) المُلك بالضم: السلطان، فهم مِلكٌ له حقيقةً، وهو المالك الحقيقي لهم، فهو خالقهم وهم تحت سُلطانه وحُكمه.

سورة الليل
إحدى وعشرون ءاية مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٤ - ﴿وَٱلَّيْلِ﴾ [أقسم الله تعالى بالليل] ﴿إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾ [أي: يُغَطِّي بظلمته، و] المَغْشِيُّ: إما الشمسُ مِنْ قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤﴾ [سورة الشمس] أو النهارُ من قوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۝٥٤﴾[1] [سورة الأعراف] أو كلُّ شيءٍ يُواريه بظلامه من قوله: ﴿إِذَا وَقَبَ[2] ۝٣﴾ [سورة الفلق] ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ ظَهَرَ بزوالِ ظُلمةِ الليلِ ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ والقادِرِ العَظيمِ القُدرةِ الذي قَدَرَ على خَلقِ الذكرِ والأنثى مِن ماءٍ واحدٍ، [وهو قسمٌ من الله تعالى بنفسه جل وعلا] وجواب القسم: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ إنَّ عَمَلَكم لَمُختلفٌ، وبيان الاختلاف فيما فَصَّلَ على أَثَرِهِ:

٥ - ٧ - ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ حُقُوقَ مَالِهِ ﴿وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ رَبَّه فاجتَنَبَ مَحارِمَه ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ بالمِلَّةِ الحُسنى وهي مِلةُ الإسلام، أو بالمَثُوْبَةِ

---

(١) أي: يُلْبِسُ الليلَ النهارَ، أي يَجعَلُ الليلَ يُغطِّي النهارَ.
(٢) ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق: الليل، ووقوبه: دخول ظلامه في كل شيء.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ
مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا
ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾

الحُسنى وهي الجنةُ، أو بالكلمة الحُسْنَى وهي لا إلٰه إلا الله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ فَسَنُهيئُهُ للخلَّةِ[1] اليُسرى، وهي العمل بما يَرضاهُ ربُّه.

٨- ١١- ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بمَالِهِ ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ استغْنَى بشَهواتِ الدنيا عن نعيم العُقبى ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ بالإسلام أو الجنة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ للخَلَّةِ المُؤَدّية إلى النار، فتكونُ الطاعةُ أَعسَرَ شيءٍ عليه وأشدَّه، أو أراد [باليُسرى والعُسرى] طريقي الجنة والنار ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ ولم يَنفعْهُ ماله إذا هَلَكَ، أو تَرَدَّى في القبر، أو في قعر جهنم، أي: سقطَ.

١٢- ١٦- ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ إنَّ علينا[2] الإرشادَ إلى الحقّ، بِنَصْبِ الدلائلِ وبيانِ الشرائع ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ فلا يَضُرُّنا ضلالُ مَنْ ضلَّ، ولا ينفعُنا اهتداءُ من اهتدَى ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ خوَّفْتُكم ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ تتلَهَّب ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ لا يَدخُلُها للخُلودِ فيها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ إلا الكافرُ الذي كَذَّبَ الرسُلَ، وأَعْرَضَ عن الإيمان.

١٧- ٢١- ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ وسَيُبَعَّدُ منها ﴿ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ المُؤمِنُ ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾ للفقراءِ ﴿يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ مِنَ الزَّكاءِ، أي: يَطلبُ أن يكونَ عند الله زاكيًا لا يريدُ به رياءً ولا سُمعةً، أو يَتَفعَّلُ من الزكاة[3]. قال

---

(١) الخَلَّةُ: مثلُ الخَصْلَة وزنًا ومعنًى.
(٢) ليس معناه الوجوب على الله، إنما معناه أن اللهَ تعالى تكفَّل أن يَهدِيَ من يشاء من عباده فضلًا منه، ليس كما تقول المعتزلة: واجبٌ على الله أن يفعلَ ما هو صلاح للعبد.
(٣) أي: يؤدي الزكاة، مثل يتصدق أي: يدفع الصدقة.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾

أبو عبيدة: الأشقى بمعنى الشقي، وهو الكافر، والأتقى بمعنى التقي، وهو المؤمن، لأنه لا يختص بالصَّلْي أشقى الأشقياء، ولا بالنجاة أتقى الأتقياء ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٢٠﴾ وما لأَحَدٍ عندَ اللهِ نِعمةٌ يُجازِيهِ بها إلا أن يَفْعَلَ فِعلًا يَبتَغِي به وَجْهَ رَبّهِ فيجازِيَهُ عليه ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠﴾ هو الرفيعُ بسُلطانه المَنيعُ في شَأنهِ وبُرهانِهِ، ولم يُرَدْ به العُلوُّ من حَيثُ المَكانُ فذا ءايةُ الحَدَثانِ[1] ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾ مَوْعِدٌ بالثواب الذي يُرضِيه وَيُقِرُّ عَينَه، وهو كقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾ [سورة الضحى].

---

(١) المكان علامة الحدوث، كل شىء يجوز عليه المكان هو حادث، والرب تعالى منزه عن الحدوث، والحَدَثان بفَتَحات: معناه الحدوثُ.

سورة الضحى
مكية وهي إحدى عشرة ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ٥- ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ [قسم من الله جل ثناؤه بالضحى، و] المراد به وَقتُ الضحى، وهو صَدْرُ النهارِ حينَ ترتفعُ الشمسُ، وإنما خُصَّ وَقتُ الضحى بالقَسَم لأنها الساعةُ التي كَلَّم اللهُ فيها موسى عليه السلام، وأُلقيَ فيها السَّحرةُ سُجَّدًا، أو النهار كُلُّه، لمقابلته بالليل في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ سَكَنَ، والمُرادُ سُكونُ الناسِ والأَصواتِ فيه، وجواب القسم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما تركَكَ، [وما قطعَ عنك الوحيَ قطعَ التاركِ لك ﴿وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [أي: وما قلاك، يعني]: وما أَبغضَكَ، والتوديعُ: مبالغةٌ في الوَدْعِ[1]. روي أن الوحيَ تأَخَّرَ عن رسول الله ﷺ أيامًا فقال المشركون: إن محمدًا وَدَّعَهُ ربُّهُ وَقلاهُ[2]. فنزلت. ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾ أي: ما أُعِدَّ لَكَ في الآخرةِ مِنَ المَقامِ المَحمودِ[3]، والحَوْضِ المَوْرودِ، والخيرِ الموعودِ، خير مما

---

(١) الوَدْعُ: التركُ.
(٢) مِن القِلَى: وهو البُغْضُ.
(٣) المقام المحمود: هو مَقام الشفاعة يوم القيامة، أي: المقام الذي يقومه عليه الصلاة والسلام للشفاعة للناس فيَحمَدُه فيه الأولون والآخِرون، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ [سورة الإسراء].

﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا
فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ
رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾

أعجبك في الدنيا [فليس يقطع عنك كرامة في الدنيا ولا في الآخرة] ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾ في الآخرة منَ الثواب وَمقامِ الشفاعةِ وغيرِ ذلك.

ثم عدَّد عليه نِعَمَهُ مِنْ أَولِ حَالِهِ ليقِيْسَ المُتَرَقَّب مِنْ فَضلِ الله على ما سَلَفَ منه، لِئَلّا يَتوقَّعَ إلا الحُسْنَى وزيادةَ الخير، ولا يَضِيقَ صَدرُهُ ولا يَقِلَّ صبرُه، فقال:

٦- ٨- ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا﴾ والمعنى: أَلَم تكنْ يتيمًا حين ماتَ أبواك ﴿فَـَٔاوَىٰ ٦﴾ أي: فآواكَ إلى عَمِّكَ أبي طالبٍ وضَمَّكَ إليه حتى كَفَلَكَ وربَّاكَ ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا﴾ غيرَ عالِمٍ ولا واقِفٍ على معالِمِ النُّبوةِ وأحكام الشريعة وما طريقُهُ السَّمْعُ ﴿فَهَدَىٰ ٧﴾ فعرَّفكَ الشرائعَ والقرءانَ، ولا يجوز أن يُفهَمَ [منه] عُدولٌ عن حَقٍّ ووقوعٌ في غَيٍّ[1]، فقد كان عليه الصلاة والسلام من أَولِ حالِه إلى نزولِ الوَحْي عليه معصومًا من عبادةِ الأوثان، وقاذوراتِ أهلِ الفِسقِ والعِصيان ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا﴾ فقيرًا ﴿فَأَغۡنَىٰ ٨﴾ فأَغناكَ بمالِ خديجةَ، أو بما أفاءَ عليكَ منَ الغنائم[2].

٩- ١١- ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩﴾ فلا تَغْلِبْهُ على ماله وَحَقِّه لضَعْفِهِ ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠﴾ فلا تَزْجُرْهُ، فابذُلْ قليلًا أو رُدَّ جميلًا ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾ أي: حَدِّثْ بالنبوةِ التي ءاتاكَ اللهُ، وهي أَجلُّ النِّعَم، والصحيح أنها تَعمُّ جميع نِعَم الله عليه، ويدخُلُ تحتَه تعليمُ القرءانِ والشرائع.

---

(١) الغَيُّ: الضلال والخيبة والفساد.

(٢) معناه: أعطاكَ الكفايةَ، وليس معناه الغِنَى بالعُرفِ المعروف بين الناس.

سورة الشرح
مكية وهي ثمان ءايات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١-٤- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ استَفْهَمَ عن انتفاءِ الشَّرْحِ على وَجْهِ الإنكارِ فأفادَ إثباتَ الشَّرْحِ، فكأنه قيل: شَرَحْنا لكَ صَدرَك، أي: فسحناه بما أودعناه من العلوم والحِكَم حتى وسع همومَ النبوة ودعوةَ الثقلين[١]، وأزلنا عنه الضيقَ والحرج الذي يكون مع العمى والجهل، وعن الحسن: مُلِئَ حكمةً وعلمًا ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ وَخَفَّفْنا عنكَ أَعباءَ النبوةِ والقيامِ بأمرها، وقيل: هو زَلَّةٌ لا تُعرف بعَينها، وهي تركُ الأَفضلِ مع إتيانِ الفاضل، والأنبياءُ يُعاتَبونَ بمِثلها ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ أَثقَلَهُ حتى سُمِعَ نَقِيضُهُ[٢]، وهو صوتُ الانتقاض[٣] ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ وَرَفْعُ ذِكرِه أن قُرِنَ بذِكرِ اللهِ في كَلِمَةِ الشهادةِ والأَذانِ

---

(١) أي: الإنس والجن.

(٢) أصلُ الإنقاض صُويتٌ مثل النَّقر، أي: صوت خفيف مثلُ النقر. ويكون المعنى على هذا مَثَلًا بمعنى أن الأعباءَ والتعب الذي حططناه وأزلناه عنك لو كان حِملًا يُحملُ لَسُمعَ نقيضُه، أو نقيض الظهر منه، أي صوت ثِقَلِهِ على الظهر.

(٣) صوت الانتقاض: هو صوت انفكاك الأحمال من المحامل والرِّحال لِثقَلها.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾

والإقامةِ والخُطَب والتشهدِ وفي غيرِ موضِع منَ القرءان وفي تسميتهِ رسولَ اللهِ ونبيَّ الله، ومنه ذِكرُهُ في كُتبِ الأَولِين.

٥-٦- ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾ إن معَ الشِّدَّةِ التي أَنت فيها مِن مُقاسَاةِ بلاءِ المشركين يُسرًا بإظهاري إياكَ عليهم حتى تغلِبَهم، وجيء بلفظ ﴿مَعَ﴾ لغاية مُقارَبَةِ اليسرِ العُسر[1] زيادة في التسلية ولتقوية القلوب. وإنما قال عليه الصلاة والسلام عند نزولها: «**لن يَغلبَ عُسْرٌ يُسرين**» لأن العسرَ أُعيدَ معرفةً فكان واحدًا، لأن المعرفة إذا أُعيدت معرفة كانت الثانية عينَ الأولى، واليسرُ أُعيد نكرةً والنكرةُ إذا أُعيدت نكرةً كانت الثانية غيرَ الأُولى، فصار المعنى: إن مع العسر يُسرَيْن.

٧-٨- ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧﴾ فإذا فرغتَ من دَعوةِ الخَلق فاجتهد في عبادةِ الرب، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء. ووجهُ الاتصال بما قبله أنه تعالى بعدما عدَّدَ عليه نِعَمَه السالفة ووعده الآنفة بعثَه على الشكر والاجتهاد في العبادة ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ واجعَلْ رَغبتَكَ إليه خصوصًا، ولا تسأَل إلا فَضْلَه، متوكلًا عليه.

---

(١) أي: أن الله يُصيبهم بيُسر بعد العسر بزمان قريب، حتى جُعِلَ كالمقارِن للعسر تطييبًا لخاطِر النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين.

سورة التين
مكية وهي ثمان ءايات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١-٥- ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١﴾ أَقسَمَ بهما لأَنهما عَجيبان من بَينِ الأَشجارِ المُثمرةِ [في كثرة منافعهما في الغذاء والدواء]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو تينكُم هذا وزيتونكم هذا ﴿وَطُورِ سِينِينَ ٢﴾ أُضيفَ الطُّورُ وهو الجَبَلُ إلى سِينين[1] وهي البُقعةُ ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣﴾ يعني: مكةَ، وأَمانَتُه أنه يَحفَظُ مَنْ دَخَلَه كما يَحفظُ الأمينُ ما يؤتَمَنُ عليه، ومعنى القَسَم بهذه الأشياء الإبانةُ عن شَرَفِ البقاعِ المباركة، وما ظهرَ فيها من الخيرِ والبَركة بسُكنى الأنبياءِ والأَولياء، فمنبِتُ التين والزيتونِ مُهاجَرُ[2] إبراهيمَ ومولِدُ عيسى ومَنشَؤه، والطورُ: المكانُ الذي نُودِيَ منه موسى، ومكةُ مكانُ البيت الذي هو هدى للعالمينَ ومولِدُ نبينا ومبعثُه صلوات الله عليهم أجمعين، وجواب القسم: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ في أَحسنِ تَعديلٍ لِشَكْلِهِ

---

(١) سينين: هي سَيناء.

(٢) أي: بلاد الشام، من قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾ [سورة العنكبوت] ثم هجر قومه من سواد العراق إلى الشام، إلى حَرَّان، ثم إلى فلسطين. وحَرَّان تقع حاليًا في تركيا قرب الحدود السورية، وكانت تعتبر من الشام أيضًا.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

وصُورتهِ وتَسويةٍ لأَعضائهِ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ ثم كان عاقبةُ أَمرهِ حين لم يشكُرْ نعمةَ تلكَ الخِلقةِ الحَسَنة القويمَة السَّوية أَن رددناهُ أسفَلَ مَن سَفُلَ خلقًا وتركيبًا، يعني: أَقبحَ مَنْ قَبُحَ صورةً وهم أَصحابُ النار، أو أسفل مَن سَفُل من أهل الدركات، أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفلَ مَن سَفُلَ في حسن الصورة والشكل، حيث نكسناه في خلقه فقُوّسَ ظهرُه بعد اعتداله وابيضَّ شعرهُ بعد سواده وتشَنَّنَ(١) جلدُه، وكَلَّ سمعُه وبصره وتغير كلُّ شيء منه، فَمَشيُهُ دَلِيف(٢)، وصوتُه خُفاتٌ(٣)، وقوَّتُه ضعفٌ، وشهامتُه(٤) خَرَفٌ.

٦-٨- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ أي: ولكن الذين كانوا صالحينَ من الهَرْمَى فلهم ثوابٌ غيرُ مُنقَطِع على طاعتهم وصَبْرِهم على الابتلاءِ بالشيخوخَةِ والهَرَم وعلى مُقاساةِ المَشاقِّ والقيامِ بالعبادة. والخطابُ في ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ للإنسان، أي: فما سَبَبُ تكذيبِكَ بعدَ هذا البيانِ القاطع والبرهانِ الساطع بالجزاءِ، والمعنى: أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمَه بشَرًا سويًّا وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمُلَ ويستويَ ثم تنكيسَهُ إلى أن يبلغَ أرذلَ العمر لا ترى دليلًا أوضحَ منه على قدرة الخالق، وأن مَن قَدَرَ على خلق الإنسان وعلى هذا كلِهِ لم يعجز عن إعادته فما سبب تكذيبك بالجزاء. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ وَعيدٌ للكفار، وأنه يَحكُم عليهم بما هم أَهله، وهو من الحُكم والقضاء والله أعلم.

---

(١) تَشَنَّنَ: أي: أَخْلَقَ، أي: بَلِيَ.
(٢) المشيُ الدَّليف: المشيُ الرُّوَيدُ، المشي البطيء كالذي يَحمِلُ أثقالًا يقارب الخُطَى.
(٣) أي: ضعيفٌ.
(٤) الشَّهمُ: الذكيُّ الفؤاد المتوَقِّد.

سورة العلق
مكية وهي تسع عشرة ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عن ابن عباس ومجاهد: هي أول سورة نزلت، والجمهورُ على أن الفاتحة أَولُ ما نزلَ ثم سورة القَلَم.

١-٥- ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ أي: اقرأ مفتتحًا باسم ربك، كأنه قيل: قُلْ: باسم الله ثم اقرأ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، تقديره: خلق كل شيء، فيتناولُ كلَّ مخلوق لأنه مطلق، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ تخصيصٌ للإنسان بالذكرِ من بينِ ما يتناولُه الخَلقُ لشَرَفه ولأن التنزيلَ إليه، ويجوز أن يُرادَ الذي خلق الإنسان إلا أنه ذُكِرَ مُبهمًا ثم مُفَسَّرًا، تفخيمًا لخَلقِهِ، ودلالةً على عجيب فِطرته ﴿مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾ وإنما جَمَعَ ولم يَقُلْ: مِن عَلَقَة[1] لأن الإنسانَ في معنى الجَمْعِ [أُريد به الجنس، وهم أولاد ءادم عليه السلام] ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [تكرير للتأكيد، أي: اقرأ ما يوحَى إليك، ثم استأنف فقال] ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣﴾ الذي له الكمالُ في زيادةِ كَرَمِهِ على كلّ كريم، يُنعِمُ على عِبادِهِ النِّعَم، وَيَحْلُم[2] عنهم فلا يعاجِلُهم بالعقوبة مع كُفرهم

---

(١) العَلَقَةُ: قطعةُ دم مُنعقدٍ، أي: متجمد.

(٢) الحِلْمُ إن أُطلق في حق الله تعالى معناه: عدم المعاجلة بالعقوبة، وهو معنى الحليم الوارد في أسمائه تعالى، وأما الحِلْمُ بالنسبة للخلق فمعناه: الأناةُ والتثبت في الأمور، نقيض السَّفَهِ.

﴿الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ
رَبِّكَ الرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾

وجُحودهم لنِعَمِه ﴿الَّذِى عَلَّمَ﴾ الكتابةَ ﴿بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ فَدَل على كمالِ كَرَمه بأنه عَلَّم عبادَه ما لم يعلموا، ونقَلَهم من ظُلمةِ الجَهل إلى نور العلم، ونَبَّه على فضل علمِ الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة، وما دُونت العلومُ، ولا قُيدت الحِكَم، ولا ضُبطت أَخبارُ الأوَّلين، ولا كُتُبُ اللهِ المُنزلَةُ إلا بالكتابةِ، ولولا هي لما استقامَت أُمورُ الدين والدنيا، ولو لم يكن على دَقيقِ حِكمَةِ الله دليلٌ إلا أَمرُ القَلَم والخَط لكفَى به.

٦-٨- ﴿كَلَّآ﴾ رَدعٌ لمَن كفَرَ بنعمةِ الله عليه بطُغيانه وإن لم يُذكر لدِلالة الكلام عليه [وتقديره: ما ينبغي للإنسان أن ينعم اللهُ عليه بخلقه وتعليمه ثم يطغى بسبب ماله] ﴿إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [أي: يُفرط في المعصية ويتمرد، ذكروا أن أول هذه السورة إلى قوله تعالى ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ نزل أول ما أُوحي إلى النبي ﷺ ثم ما بعده نزل] في أَبي جهل [لعنه الله] إلى ءاخر السورة [وأمره متأخر عن ابتداء الوحي وكان بعده بزمان ونزوله متأخر، وكثير من سور القرءان كذلك] ﴿أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ أن رأى نفسه [استغنى بالمال] ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ تهديدٌ للإنسان مِنْ عاقبةِ الطُّغيان، أي: إن رُجوعَك إلى ربك فيجازيك على طغيانك.

٩-١١- ﴿أَرَءَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾ أَرأيتَ أبا جهل ينهَى محمدًا عن الصلاة، [وهذا تعجيب من أبي جهل ونهيِهِ رسولَ الله عن الصلاة في الكعبة] ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [المعنى: أخبِرني] إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله.

١٢- ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾ أو كان ءامرًا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾

١٣- ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ أرأيتَ إن كان ذلك الناهي مُكذِّبًا بالحقّ متولّيًا عنه كما نقول نحن، [وتقديره: أرأيته مصيبًا؟!].

١٤- ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ ويَطَّلِعُ على أحوالِهِ مِن هُدَاهُ وضَلالِهِ فيجازِيْهِ على حَسَبِ حاله، وهذا وعيد.

١٥-١٩- ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لأبي جهل عن نَهيِهِ عن عبادةِ الله وأَمرِهِ بعبادةِ الأَصنام، ثم قال: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو فيه ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ لنأخذنَّ بناصِيَتِهِ ولنَسْحَبنَّه بها إلى النار، والسَّفْعُ: القَبضُ على الشيء وجذبُهُ بشدة ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ على الإسناد المجازي، وهما لصاحبها[(١)] حقيقةٌ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ النادي: المجلسُ الذي يَجتمعُ فيه القَومُ، والمراد أهل النادي، رُوي أن أبا جهل مَرَّ بالنبي عليه الصلاة والسلام وهو يصلي فقال: ألم أَنْهَكَ؟! فأَغلظَ له رسولُ الله عليه الصلاة والسلام فقال: أَتُهدِّدُني وأنا أكثرُ أهلِ الوادي ناديًا؟! فنزل. والزبانيةُ لغةً: الشُّرَطُ، منَ الزَّبْنِ وهو الدَّفْعُ، والمرادُ ملائكةُ العذاب، وعنه عليه الصلاة والسلام: «**لو دعا ناديَهُ لأَخذَتْهُ الزبانيةُ عِيانًا**»[(٢)] ﴿كَلَّا﴾ ردع لأبي جهل ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ أي: اثبُتْ على ما أَنتَ عليه من عِصيانِه ﴿وَٱسْجُدْ﴾ وَدُمْ على سُجودك، يريدُ الصلاة ﴿وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ وتَقرَّب إلى ربّكَ بالسجود، فإن: «**أقرب ما يكونُ العبدُ إلى ربِّهِ إذا سجَدَ**»[(٣)].

---

(١) الناصية: مقدم الرأس، والمراد الشخص، أي إسنادُ الكذب والخطأ للناصية مجاز، وإسنادهما - أي: الكذبِ والخطأ - للشخص صاحبِ الناصية وهو أبو جهل حقيقةٌ ليس مجازًا.

(٢) رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أي: أمام أعين الناس، والناس ينظرون إليه.

(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ «**وهو ساجد**».

سورة القدر
مكية وقيل مدنية وهي خمس ءايات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١-٢- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ عَظَّمَ القرءانَ حيثُ أَسنَدَ إنزالَهُ إليه دونَ غيرِهِ، وَرَفَعَ مِقدارَ الوقتِ الذي أَنزلَه فيه، رُوِيَ أَنه أُنزلَ جُملةً في ليلةِ القَدرِ منَ اللوحِ المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم كان يُنزلُه جبريلُ على رسول الله ﷺ في ثلاثٍ وعشرين سنةً، ومعنى ليلةِ القَدْر: ليلةُ تقديرِ الأُمور وقضائِها، والقَدْر بمعنى التقدير، أو سُمّيت بذلك لشرفها على سائر الليالي[١]، وهي ليلةُ السابعِ والعشرينَ من رمضان، كذا رَوى أبو حنيفة رحمه الله عن عاصمٍ عن زِرّ[٢] أن أُبيّ بنَ كعبٍ كان يحلف على ليلة القدر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان، وعليه الجمهور[٣]، ولعلَّ الداعي إلى إخفائها أن يُحييَ مَن يريدُها

---

(١) أي: هي ليلة جليلةُ القدر عظيمة لشرفها على سائر الليالي. كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ٩١﴾ [سورة الأنعام] أي: ما عظموه حق عظمته.

(٢) زر: هو زر بن حُبَيش بن حباشة بن أوس الأسدي، تابعي أدرك الجاهلية والإسلام ولم ير النبي عليه الصلاة والسلام، كان عالمًا بالقرآن توفي عام ٨٣هـ.

(٣) ورد في حديث مسلم: «**التمسوها في العشر الأواخر من رمضان**».

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾

الليالي الكثيرة طلبًا لموافقتها، وهذا كإخفاء الصلاةِ الوسطى[١]، واسمِهِ الأعظم[٢]، وساعةِ الإجابةِ في الجمعة، وفي الحديث: «من أدركها يقول: **اللهم إنك عَفُوٌّ تُحبُّ العفوَ فاعفُ عني**» ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ أي: لم تَبلُغ درايتُك غايةَ فضلِها، ثم بيَّن له ذلك بقوله:

٣-٥- ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ ليس فيها ليلةُ القدر، وسببُ ارتقاءِ فَضلِها إلى هذه الغاية ما يوجَدُ فيها مِنْ تَنزُّل الملائكة والروح وفَصْلِ كل أمر حكيم[٣] ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إلى السماء الدنيا أو إلى الأرض ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ جبريلُ، أو خَلْقٌ منَ الملائكة لا تراهم الملائكةُ إلا تلكَ الليلةَ، أو الرَّحْمَةُ ﴿فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤﴾ أي: تَنزَّلُ مِن أَجل كلِّ أَمرٍ قَضاهُ اللهُ لتلكَ السَّنةِ إلى قابلٍ ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ ما هي إلا سلامَةٌ [أي: خير وبركة]، أو ما هي إلّا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين في تلك الليلة ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ إلى وقت طلوع الفجر، وقد حُرِمَ من السلام الذين كفروا.

---

(١) الرّاجح أنها صلاةُ العصر.

(٢) أي: الاسمِ الأعظم الذي له تابعٌ، أما الاسم الأعظمُ المفرد فهو لفظ الجلالة الله بالإجماع.

(٣) أي: على ما تقتضيه الحِكمةُ منَ الأرزاق والآجال ونحوها من هذه الليلة إلى ليلة القدر التي تجيءُ في السنة المقبلة.

سورة البينة
مختلف فيها وهي ثمان ءايات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١-٣- ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بمحمدٍ ﷺ ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهودِ والنصارى ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عَبَدَةِ الأصنام ﴿مُنفَكِّينَ﴾ مُنفصلينَ عن الكفر ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ الحُجةُ الواضحة، والمراد محمدٌ ﷺ، [أي: لم يكونوا منتهين عن كفرهم، أي: لا يُطمع في إيمانهم بدون رسول يأتيهم] فلما بُعث أَسلَمَ بعضٌ وثبتَ على الكفر بعضٌ، ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: محمدٌ عليه الصلاة والسلام، وهو بدلٌ من البينة ﴿يَتْلُوا۟﴾ يقرأ عليهم ﴿صُحُفًا﴾ قراطيسَ[1]، [أي: ما تَضَمَّنَتْهُ الصحف من المكتوب فيها، وهو القرءان، وقد كان يتلو عليهم القرءان عن ظهر قلب، لا من كتاب] ﴿مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾ منَ الباطلِ ﴿فِيهَا﴾ في الصُّحف ﴿كُتُبٌ﴾ مكتوباتٌ ﴿قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ مستقيمة ناطقةٌ بالحق والعدل.

٤-٥- ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾

---

(١) قراطيس: جمع قِرطاس، وهو الكتاب والصحيفة.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ
ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ
عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ
ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

فَمِنهم مَن أنكرَ نبوتَه بَغيًا[1] وحَسَدًا، ومنهم مَن ءامَنَ، وإنما أَفردَ أَهلَ الكتاب بعد ما جَمَعَ أولًا بينَهم وبينَ المشركين لأنهم كانوا على علم بهِ لوجودِهِ في كُتبهم، فإذا وُصفوا بالتَّفرُّق عنه كان مَن لا كتابَ له أَدْخَلَ في هذا الوصفِ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ في التوراةِ والإنجيلِ ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ مِنْ غَيرِ شِركٍ ونفاقٍ ﴿حُنَفَآءَ﴾ مؤمنين بجميع الرسل مائِلِينَ عن الأَديانِ الباطلة ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ دينُ المِلةِ القيمة [القائمة بالحق المستقيمة عليه].

٦-٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [شَرُّ الخَليقة، أو هُمْ شَرُّ البَرية الذين كانوا في عصر النبي ﷺ] (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [إما على التعميم، أو خَيْرُ بَرِيَّةِ عَصْرِهم].

٨- ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ إقامَةٍ[2] ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [من تحت أشجارها وقصورها] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بقَبولِ أعمالِهم ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ بثوابها ﴿ذَٰلِكَ﴾ الرضا ﴿لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [خافَ رَبّه فتناهى عن المعاصي].

---

(١) تعديًا واستطالةً في الباطل مع معرفتهم الحق.
(٢) أي: جناتُ إقامَةٍ للخُلْدِ، يقال: عَدَنَ فلان بالمكان يَعْدِن أقامَ.

سورة الزلزلة
مختلف فيها وهي ثمان ءايات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٥- ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١﴾ إذا حُرّكت [حركتها الشديدة وَرُجَّت رَجًّا] ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢﴾ كنوزَها وموتاها، جُعِلَ ما في جوفها من الدفائن أثقالًا لها[١] ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ زُلزِلَت هذه الزلزلةَ الشديدةَ، ولَفَظَت ما في بَطنها، وذلك عند النفخةِ الثانية حين تُزَلْزَلُ وتلفِظُ موتاها أحياءً، لِمَا يَبهرُهم من الأمر الفظيع، كما [يقول الكافر]: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ۝٥٢﴾ [سورة يس] لأنه كان لا يؤمن بالبعث، فأما المؤمن فيقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢﴾ [سورة يس] فيقولون ذلك ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ﴾ أي: تُحَدِّثُ الخَلقَ ﴿أَخۡبَارَهَا ۝٤﴾ يُنطِقُها اللهُ وتُخبرُ بما عُمِلَ عليها من خير وشر، وفي الحديث: «**تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها**» ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ تُحدِّث أخبارَها بسببِ إيحاءِ ربكَ لها، وأَمْرِهِ إياها بالتحديث[٢].

---

(١) كما يقال لما هو على ظهر الأرض ثَقَلٌ عليها.

(٢) الله يخلق فيها الإدراك، والإيحاءُ: يأتي بمعنى الأمر، ويأتي بمعنى الإلهام.

﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾

٦- ٨- ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ يَصدُرونَ[١] عن مَخارِجِهم منَ القبور إلى الموقف ﴿أَشۡتَاتٗا﴾ [متفرقين] بيضَ الوجوهِ ءامنينَ، وسُودَ الوجوهِ فَزِعين، أو يصْدُرونَ عن الموقف أشتاتًا يَتفرَّق بهم طريقا الجنةِ والنار ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦﴾ أي: جزاءَ أعمالهم ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾ نَمْلَةٍ صغيرة ﴿خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧﴾ [يَرَ ذلك مكتوبًا في كتابه محصًى عليه، وقيل:] يَرَ جزاءَهُ[٢] ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [يَرَ جزاءَه]، قيل: هذا في الكفار، والأولُ في المؤمنين.

---

(١) ينصرفون عن أماكن خروجهم من قبورهم إلى الموقف.

(٢) أي: من يعمل ذلك من السعداء، وإلا فالكافر لا يرى خيرًا في الآخرة ألبتة، بل يُطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له منها نصيب، أي أن المؤمن حتى هذا القدر القليل من الخير إن عمله في الدنيا يرى جزاءَه في الآخرة، ومفهوم الخطاب: وما كان أكبر من ذلك، فبالأولى يُذكَرُ في منطوق الخطاب القليل ليستدلَّ عليه وعلى الكثير بالأَولَى.

سورة العاديات
مختلف فيها وهي إحدى عشرة ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٥- ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾ أَقسَمَ بخَيلِ الغُزاة تَعْدُو(١) فَتَضْبَحُ، والضَّبْحُ: صَوتُ أنفاسِها إذا عَدَوْنَ(٢) ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾ تُورِي نَارَ الحُبَاحِبِ(٣)، وهي ما يَنْقَدِحُ من حوافرها ﴿قَدْحًا ۝٢﴾ قادِحاتٍ صاكَّاتٍ(٤) بحوافرها الحِجارة ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ تُغِيرُ على العَدوّ ﴿صُبْحًا ۝٣﴾ في وَقتِ الصُّبح ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾ فَهَيَّجْنَ بذلك الوقت غُبارًا ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ بذلك الوقتِ ﴿جَمْعًا ۝٥﴾ مِن جُموعِ الأعداء، وَوَسَطَه بمعنى: تَوَسَّطَهُ. وجوابُ القسم:

٦ - ٨- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ لَكَفور(٥)، أي إنه لِنِعْمَةِ رَبِّه

---

(١) تجري بسرعة، والعاديات: الجاريات بسرعة.
(٢) صوت أنفاسها إذا عَلَت من أفواهها عندما تجري بسرعة.
(٣) نارُ الحُبَاحِبِ: ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة، وسمي به ما ينقدح من تصادم حوافر الخيول عند جريها بالحجارة وتُوري: تُشعِلُ.
(٤) صاكَّاتٍ: ضارباتٍ.
(٥) الكَفورُ: شديدُ الكُفران، والمراد كُفران النعمة، أي: جُحودها وعدم شكرها، وقيل: المراد به الكافر.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي
ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ۝١١﴾

خُصوصًا لشديدُ الكُفران ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن الإنسانَ ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ على كُنُودِهِ ﴿لَشَهِيدٞ ۝٧﴾ يَشهَدُ على نفسه[١] ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ وإنه لأَجلِ حُبِّ المالِ لبَخيلٌ مُمْسِك[٢].

٩- ١١- ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ﴾ الإنسان ﴿إِذَا بُعۡثِرَ﴾ بُعِثَ، [أي: قُلبت القبور فاستُخرج] ﴿مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩﴾ منَ الموتى ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ مُيِّزَ [وأُفرز] ما فيها منَ الخير والشر [لِيَقعَ الجزاء عليه] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ۝١١﴾ لَعَالِمٌ فيُجَازيهم على أَعمالهم منَ الخير والشر، وخَصَّ يومَئذ بالذِّكر وهو عالِمٌ بهم في جميعِ الأَزمان لأن الجَزاءَ يَقعُ يومئذ.

---

(١) أي: لا يقدر أن يَجحَدَه لظهور أَمره.
(٢) المراد بالخير هنا المال، وليس الخير الذي هو ضد الشر، ولَشديد أي: لَبَخيل.

سورة القارعة
مكية وهي إحدى عشرة ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ٥- ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾﴾ [التي تقرع القلوب لشدة هولها وهي يوم القيامة، وأصلُ القرع: الضربُ، ومنه قرع الباب] ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾ كُرِّرَ تفخيمًا لشأنها ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ أيُّ شيء أَعلَمَك ما هي [وما مقدارُ أهوالها؟ ويذكر هذا للتعجيب والتفخيم] ﴿يَوْمَ﴾ أي: تَقرَعُ يومَ ﴿يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ شَبَّهَهم بالفَراش في الكثرةِ والانتشارِ والضَّعْفِ والذِّلةِ والتطايرِ إلى الداعي مِن كل جانب كما يتطايَرُ الفَراشُ إلى النار[1] ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [أي كالصُّوف المَنْدُوف[2]] شَبَّهَ الجِبالَ بالعِهْنِ وهو الصُّوفُ المُصَبَّغُ ألوانًا لأنها ألوانٌ، ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ[3] بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا

---

(١) أي: عندما يُدعَون إلى المحشر يذهبون إليه من كل جهة كما يتطاير الفراشُ إلى النار.

(٢) المَنْدوفُ: المطروق بالمِندَف، وهو عودٌ أو قضيب يُضربُ به الصوف حتى ينتفش ويذهب تَلَبُّدُه.

(٣) جُدَدٌ: أي طُرُقٌ، واحدتها جُدَّةٌ، مِثلُ مُدَّةٍ ومُدَد، وأما جَمعُ جَديدٍ فَجُدُدٌ، مِثلُ سريرٍ وسُرُر.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾

﴿٢٧﴾﴾ [سورة فاطر] وبالمنفُوشِ مِنْهُ لتَفرُّقِ أَجزائها.

٦- ١١- ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾ [أي: رَجَحَت بالحسنات] باتِّباعِهِمُ الحَقَّ، وهي جمع مَوزون وهو العمل الذي له وَزْنٌ وخَطَر[1] عند الله ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ ذاتِ رِضًا، أو مَرْضيةٍ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾ [ورجحت بالسيئات] باتباعِهم الباطِلَ ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ فَمَسْكَنُه ومَأواهُ النارُ، وقيل للمَأْوَى: أمٌّ على التشبيه، لأن الأمَّ مَأوى الوَلدِ ومَفْزَعُه[2]، [أي: فمصيره جهنم، فهي التي تَضُمُّه] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾ ثم فَسَّرَها فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ بَلَغَتِ النهايةَ في الحرارة [ووصف النار بالهاوية لِهُويِّ أهل النار - أي سقوطهم - فيها].

---

(١) الخَطَرُ: القَدْرُ والمَنْزِلَة والشَّرَف.
(٢) المَفْزَع: الملجَأ والمُستغاث، أي: يأوي الوَلَدُ إليها ويلتجأ ويستغيث بها.

سورة التكاثر
مكية وهي ثمان ءايات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ - ٢ - ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ شَغَلَكُم التباري في الكَثرةِ والتباهي بها في الأَموال والأَولادِ عن طاعةِ الله ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ حتى أَدركَكُمُ الموتُ على تلكَ الحَالِ، أو حتى زرتُمُ المقابرَ وعَدَّدْتُم مَن في المَقابرِ من موتاكم [لِتُظهِروا أنكم أكثرُ عددًا].

٣ - ٤ - ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسِه(١) أن تكونَ الدنيا جميعَ هَمِّه ولا يهتَمَّ بدينه [فإن عاقِبَةَ ذلك وَبالٌ وحسرةٌ] ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ عِندَ النَّزْعِ(٢) سُوءَ عاقِبةِ ما كنتم عليه ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [تكريرٌ للتأكيد، أو الأولُ عند الموت أو في القبر، والثاني عند النشور].

٥ - ٨ - ﴿كَلَّا﴾ تكريرُ الرَّدْعِ للإنذار والتخويف ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ ما بينَ أَيديكم(٣) ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾ عِلْمَ الأَمر اليقين، أي: كَعِلْمِكُم ما

---

(١) للعاقل المهتم بأمر نفسه.
(٢) عند نزع أرواحكم من أجسادكم أولًا - ثم في القبور - ثم في الآخرة.
(٣) أي: ما أنتم قادمون عليه، أو ما ينتظركم.

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

تَستيقنونه منَ الأُمور لَمَا أَلهاكم التكاثرُ، [أي: لو تعلمون أن أمامكم حسابًا وثوابًا وعقابًا لتركتم التفاخر بالدنيا]، ولكنكم ضُلَّالٌ جَهَلة ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ [أي النارَ، وهو] جواب قسَم محذوفٍ، والقَسَمُ لتأكيد الوعيد ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ كرره معطوفًا بِثُمَّ تَغليظًا في التهديدِ وزيادةً في التهويل، [أو الأولى قبل دخولها كقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦﴾ [سورة النازعات]، والثانية إذا دخلتموها] ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ أي: الرؤيةَ التي هي نَفْسُ اليقين وخالِصُهُ[1] ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ﴾ [يوم القيامة] ﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ عن الأَمْنِ والصِّحةِ فيم أَفنيتُموهما، [وهو عامٌّ للمؤمن والكافر]، وقيل: عن التنعّم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه.

(١) أي: لترونها رؤية اليقين.

سورة العصر
مكية وهي ثلاث ءايات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٣- ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾ أَقْسَمَ [الله تبارك وتعالى] بصَلاةِ العَصرِ لِفَضْلِها، لأَن التكليفَ في أَدائِها أَشَقُّ لتَهافُتِ الناسِ[١] في تجاراتهم ومكاسبهم ءاخرَ النهار واشتغالِهم بمعايشهم، أو أقسَمَ بالعَشِيّ[٢] كما أقسم بالضحى[٣] لما فيهما من دلائل القدرة، أو أقسم بالزمان[٤] لما في مروره من أصناف العجائب. وجوابُ القسم: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ أي: جِنْسَ الإنسان لفي خُسران مِن تجاراتهم [لأن مَنْ باع ءاخرته بدنياه فهو في غاية الخُسران] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنهم اشتَروا الآخرةَ بالدنيا فَربِحُوا وسَعِدوا، [قال أهل المعاني: الخُسْرُ: هَلاكُ رأس المال أو نَقْصُه، والإنسان إذا لم يستعمل نَفْسَه

(١) بمعنى تدافعهم وازدحامهم.
(٢) العَشِيُّ: ما بين زوال الشمس وغروبها.
(٣) في قوله تعالى ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [سورة الضحى].
(٤) كما يقال: عصر الصحابة، أي: وقتُهم وزمانهم، وعصر الخليفة الفلاني، وعصر العباسيين، أي: زمانهم.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾

وعُمُرَه فيما يوجب له الربحَ الدائم فهو في خسران، لأنه عَمِلَ في إهلاك نفسه وعُمُرِه وهما أكبرُ رأس ماله] ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ [أوصى بعضُهم بعضًا] بالأَمر الثابتِ الذي لا يَسوغ إنكارُهُ، وهو الخيرُ كُلُّه من توحيدِ اللهِ وطاعَتهِ واتّباعِ كُتُبه وَرُسله ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به اللهُ عبادَهُ.

سورة الهمزة
مكية وهي تسع ءايات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ٣- ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ أي: الذي يَعيبُ الناسَ مِنْ خَلْفِهم ﴿لُّمَزَةٍ ۝١﴾ أي: مَنْ يَعِيبُهم مواجهةً. قيل: نَزَلَت في الأَخنَس بنِ شَرِيْقٍ، وكانت عادتُه الغِيبة والوقيعة، وقيل: في أُميةَ بنِ خَلَف، وقيل: في الوليدِ، ويجوز أن يكون السَّبَبُ خاصًّا والوعيدُ عامًّا ليتناوَلَ كُلَّ مَن باشَرَ ذلك القبيحَ ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ جَعَلَه عُدَّةً لحَوَادِثِ الدَّهْر [ولم يُؤَدِّ حقَّ الله تعالى فيه، ولكنه جَمَعَه فأوعاه - جَعَلَه في وِعاءٍ - وحفظه، وقيل ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي أحصاه، والتشديد لكثرة المعدود] ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ﴾ [الذي جَمَعه وأحصاه وبَخِلَ عن تأدية حقوق الله تعالى فيه] ﴿أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ أي: تَرَكَهُ خالدًا في الدنيا لا يموتُ، أو هو تعريض بالعَمَلِ الصالح وأنه هو الذي أَخلَدَ صاحبه في النعيم، فأما المال فما أخلد أحدًا فيه.

٤- ٩- ﴿كَلَّا﴾ ردع له عن حِسْبَانِه ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ [لَيُطْرَحَنَّ ليُرْمَيَنَّ] ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾ في النار التي شأنُها أن تُحَطِّمَ كلَّ ما يُلقى فيها ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥﴾ تعجيبٌ وتعظيم ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ هي نار الله تعالى [التي

﴿ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾

أعَدَّها لأهلها] ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦﴾ [المسَعَّرَةُ] ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾ يعني: أنها تَدخُلُ في أجوافِهم حتى تَصِلَ إلى صدورهم، وتَطَّلِعَ على أَفئِدَتهم[1] وهي أوسَاطُ القلوب، ولا شيءَ في بَدَن الإنسان أَلطَفُ منَ الفؤاد، ولا أَشدُّ تألمًا منه بأدنى أَذًى يَمَسُّهُ، فكيفَ إذا اطَّلَعَت عليه نارُ جهنمَ واستولَت عليه، وقيل: خَصَّ الأَفئدةَ لأنها مواطنُ الكفر والعقائدِ الفاسِدَة، ومعنى اطِّلاع النار عليها أنها تشتمِلُ عليها[2] ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النارَ ﴿عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨﴾ مُطْبَقَةٌ ﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾ تُؤصَدُ عليهم الأبواب، وتُمَدَّدُ على الأبواب العُمُدُ استيثاقًا في استيثاق.

(١) أي: تحرقهم حتى يصل إحراقها إلى قلوبهم وتعلوها وتهيمنَ عليها بإحراقها.
(٢) أي: تُغطِّيها من كل جهة.

سورة الفيل
مكية وهي خمس ءايات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ①﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ عَجَّبَ اللهُ نبيَّه مِنْ كُفر العَرَبِ وقد شاهَدَتْ هذه العَظَمَةَ مِن ءاياتِ الله، [وهو استفهام بمعنى التقرير] والمعنى: أنك رأيت ءاثار صُنعِ الله بالحبشةِ، وسمعت الأخبار به متواتِرًا، فقامت لك مقامَ المشاهدة ﴿بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ①﴾ رُويَ أن أَبْرَهَةَ ابنَ الصَّبَّاحِ - مَلِكَ اليَمنِ مِن قِبَلِ أَصْحَمَةَ النَّجاشِيّ - بنَى كنيسةً بصنعاءَ وسَماها القُلَّيْسَ، وأَرادَ أن يصرفَ إليها الحاجَّ، فخرَجَ رجلٌ من كِنانَةَ فَقَعَدَ فيها[1] ليلًا، فأَغضَبَه ذلك، وقيل: أَجَّجَتْ رُفْقَةٌ من العرب نارًا فحملتها الريحُ فأحرقتها، فحلفَ لَيَهْدِمَنَّ الكعبةَ، فخرج بالحبشة ومعه فِيلٌ اسمه مَحْمُودٌ، وكان قويًّا عظيمًا، واثنا عَشَر فيلًا غيرُهُ، فلمَّا بَلغَ المُغَمَّسَ[2]، خرجَ إليه عَبدُ المُطلبِ وعَرَضَ عليه ثُلُثَ أَموالِ تِهامَةَ[3] ليرجِعَ فأَبَى وَعَبَّأَ[4] جيشَه وقَدَّمَ الفِيلَ، وكان كلما وَجَّهوهُ إلى الحَرَمِ بَرَكَ ولم يَبرحْ، وإذا وَجهوه إلى اليمنِ هَرْوَلَ، وأَرسَلَ اللهُ طيرًا،

---

(١) قعد فيها: أي: تَبرَّز وتَغَوَّط.
(٢) المُغَمَّسُ: موضعٌ قرب مكة في طريق الطائف.
(٣) تِهامَة: من أسماء مكة المكرمة.
(٤) عَبَّأَ الجيش: رَتَّبَهُم في مواضعهم وهيأهم للحرب.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

مع كل طائرٍ حَجَرٌ في مِنقاره، وحَجَرانِ في رجليهِ، أَكبرُ منَ العَدَسَة وأَصغرُ منَ الحِمَّصَة، فكان الحجرُ يقعُ على رأسِ الرجلِ فيخرج من دُبُرِه، وعلى كُل حَجر اسمُ مَن يقعُ عليه، ففرُّوا وهلكوا، وما مات أَبْرَهَةُ حتى انصَدَعَ صَدرُه[1] عن قلبه، وانفَلَتَ وَزيرُهُ أبو يَكْسُومَ وطائرٌ يُحَلِّقُ فوقَه حتى بَلَغَ النجاشيَّ، فقَصَّ عليه القِصةَ، فلما أَتَمَّها وَقَعَ عليه الحَجَرُ فَخَرَ مَيتًا بينَ يديهِ.

وَرُوِيَ أَن أَبرهَةَ أَخذَ لعبدِ المُطلب مائتي بَعير، فخرجَ إليه فيها، فَعَظُمَ في عَينهِ وكان رَجُلًا جَسيمًا وَسِيمًا، وقيل: هذا سَيد قُريشٍ وصاحِبُ عِيرِ مَكةَ الذي يُطعِمُ الناسَ في السَّهل، والوحوشَ في رؤوس الجبال، فلما ذكَرَ حاجَتَه قال: سَقَطْتَ من عيني، جئتُ لأَهدِمَ البيتَ الذي هو دينُكَ ودينُ ءابائك وشَرَفُكُم في قَديم الدَّهر، فألهاك عنه ذَوْدٌ[2] أُخِذَ لك! فقال: أَنا ربُّ الإبلِ، وللبيتِ رَبٌّ سَيَمْنَعُه.

٢- ٥- ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ في تَضْييعٍ وإبْطَال، يعني: أنهم كادوا البيتَ أولًا ببناء القُلَّيس ليصرفوا وجوه الحاج إليه فضلل الله كيدهم بإيقاع الحريق فيه، وكادوه ثانيًا بإرادة هدمه فَضلَّلَ كيدهم بإرسال الطير عليهم ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ حَزَائِقَ، جماعات من ههنا، وجماعات من ههنا ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤﴾ هو مُعرَّب من سَنْكِكِل[3] أي الآجُرُّ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ زَرْعٍ أَكلَه الدُّودُ.

---

(١) أي: انشقَّ.

(٢) الذَّوْدُ: قطيعٌ من الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: أكثر من ذلك أيضًا.

(٣) سَنْكِ وَكِلْ: في البخاري في تفسير سورة الفيل عن ابن عباس رضي الله عنه: سجيل هي سَنْكِ وَكِلْ، فارسي معرب، وقيل: معناه حَجَرٌ وطِينٌ، وقيل السِّجيل هو كلُّ شديد. وعن الشافعي رضي الله عنه: كل ما في القرءان عربي، وقد يتوافق بعض الألفاظ مع بعض اللغات.

سورة قريش
مكية وهي أربع ءايات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ٢- ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾ أَمَرَهُم أَن يَعبدوهُ لأَجلِ إيلافِهم الرِّحلتين[1] أي: إنَّ نِعَمَ اللهِ عليهم لا تُحصى، فإن لم يَعبدوهُ لسائرِ نِعَمِه فليعبدوه لهذه الواحدةِ التي هي نِعمةٌ ظاهرة، أو المعنى أَنه أهلَكَ الحبشةَ الذين قَصَدُوهم ليتسامَعَ الناسُ بذلك فيحترموهم فَضْلَ احترام حتى ينتظِمَ لهم الأَمنُ في رحلتَيهم فلا يَجترئَ أَحدٌ عليهم ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾ أرادَ رحلَتَي الشتاءِ والصيف، وكانت لقريشٍ رِحلتانِ، يرحَلون في الشتاءِ إلى اليَمَنِ، وفي الصيفِ إلى الشام، فَيَمْتارُونَ[2] ويتَّجرون، وكانوا في رحلتيهم ءامنينَ، لأنهم أَهلُ حَرَمِ الله، فلا يُتعرَّضُ لهم، وغيرهم يُغارُ عليهم.

٣- ٤- ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣﴾ [الذي نالوا به ما نالوا من

---

(١) أي: الجمع بين الرحلتين، إذا فرغوا من هذه أخذوا في هذه، والأُلْفَةُ: أن يستأنس الشخص بالشىء فيلزمَه، ومنه المؤلَّفةُ قلوبُهم، فامتنَّ عليهم بهاتين الرحلتين حتى يَطمئنوا في بلدهم.

(٢) أي: يشترون المِيْرَةَ، أي: الطعام.

﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾

الحُرمة والمَنَعة، شكرًا له على ابتداء هذه النعمة] ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ أَطعَمَهم بالرحلتين مِن جُوعٍ شديد كانوا فيه قَبلَهما، وءامَنَهم مِن خَوفٍ عظيم وهو خوفُ أصحابِ الفيل، أو خوف التخطُّفِ في بلدهم ومَسَايرهم.

سورة الماعون
مختلف فيها وهي سبع ءايات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ
طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ
يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٣- ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾ هل عَرَفْتَ الذي يُكَذِّبُ بالجَزاءِ مَن هو؟ [ولفظ ﴿أَرَءَيْتَ﴾ استفهامٌ، والمراد به المبالغةُ في التعجيب من حال هذا المكذِّب بالدين، وهو خطابٌ للنبيّ ﷺ، وقيل: هو خطاب لكل أحد] ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى﴾ يُكَذِّبُ بالجَزاءِ هو الذي ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ يَدْفَعُه دفعًا عنيفًا بجَفْوَةٍ وأَذى، وَيَرُدُّهُ رَدًّا قبيحًا بزَجْرٍ وخُشونَة ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ ولا يَبْعَثُ أهلَه على بذلِ طعام المسكين، أي: لَوْ ءامَنَ بالجَزاءِ وأيقنَ بالوعيد لخَشِيَ اللهَ وعِقابَه ولَم يُقدِمْ على ذلك، فحينَ أَقدَمَ عليه دَلَّ أنه مُكذِّبٌ بالجزاء. ثم وصل به قولَه:

٤ - ٧- ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾ يعني بهذا المنافقينَ لا يُصَلُّونَها سِرًّا لأَنهم لا يَعتقدونَ وُجوبَها، ويُصَلّونَها عَلانية رياءً، وقيل: فويل للمنافقين الذين يُدخلون أنفسهم في جملة المصلين صورةً وهم غافلون عن صلاتهم، وأنهم

﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾

لا يريدون بها قُربةً إلى ربهم ولا تأدية للفرض، فهم ينخفضون ويرتفعون، ولا يدرون ماذا يفعلون، ويُظهرون للناس أنهم يؤدون الفرائض، وقيل: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها - أي بلا عذر - حتى يأتي وقت الصلاة الأخرى، وقيل: يؤخرونها تهاونًا بها، وقيل: يؤخرونها عن وقتها تأخير ترك وإهمال، وقيل: هم الغافلون الذين لا يُبالي أحدُهم أصلَّى أم لم يُصَلِّ، و﴿يُرَآءُونَ﴾ في الصلاة وغيرها، أي: يُرون الناسَ أعمالهم ليروهم الثناءَ عليهم ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾ ويمنعون الزكاة وما فيه منفعة، وعن أنس والحسن قالا: الحمد لله الذي قال ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ﴾ ولم يقل: في صلاتهم، لأن معنى (عن): أنهم ساهون عنها سهوَ تركٍ لها وقلةِ التفات إليها؛ وذلك فعلُ المنافقين، ومعنى (في): أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس، وذلك لا يخلو عنه مسلم، [وقد حصل مع رسول الله ﷺ] السهوُ في صلاته فضلًا عن غيره. والمراءاةُ: من الإراءَة، لأن المرائيَ يُرائي الناسَ عملَه وهم يُرُوْنَهُ الثناءَ عليه والإعجاب به. ولا يكون الرجلُ مرائيًا بإظهار الفرائض(١)؛ فمِن حَقِّها الإعلانُ بها لقوله ﷺ: «**لا غُمَّةَ(٢) في فرائض الله**»، والإخفاء في التطوع أولَى، فإن أظهرَها قاصدًا للاقتداء به كان جميلًا. والماعون: الزكاةُ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما يُتَعاوَرُ(٣) في العادة من الفأس والقِدْرِ والدَّلو والمِقدحة ونحوِها، وعن عائشة رضي الله عنها: الماء والنار والملح.

---

(١) أي: لا يكون مُرائيًا بمجرد إظهارها، وهو كذلك في النوافل.
(٢) أي: لا تُسترُ ولا تُخفَى فرائضُه، وإنما تُظهَرُ وتُعلَنُ ويُجهرُ بها.
(٣) يُتَعاوَرُ: أي: يُتداوَل بين الناس: أي: ينتقل من شخص لآخر على سبيل العارية.

سورة الكوثر
مكية وهي ثلاث ءايات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ٣- ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ قيل: هو نهرٌ في الجنة أَحلَى مِنَ العسل، وأَشدُّ بياضًا من اللبن[١]، وأَبرَدُ مِنَ الثلج، وأَلْيَنُ من الزُّبْدِ، حافتاهُ الزبرجَدُ، وأَوانِيهِ من فِضَّةٍ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ فاعبُدْ رَبَّكَ الذي أَعزَّك بإعطائهِ، وشَرَّفكَ وصَانَكَ مِن مِنَنِ الخَلقِ، مُرَاغِمًا[٢] لقومكَ الذين يعبدونَ غيرَ الله ﴿وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ لوجهه وباسمِه إذا نَحرت مخالفًا لعبدةِ الأوثانِ في النَّحرِ لها ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: مَن أَبغضَكَ من قومِكَ بمخالفتك لهم ﴿هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ المنقطِعُ عن كلِّ خير، لا أنتَ، لأن كُلَّ مَن يُولَدُ إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أَولادُكَ[٣] وأَعقابُك، وذِكرُكَ مرفوعٌ على المنابر، وعلى لِسانِ كل عالم وذاكِرٍ إلى ءاخر الدهر، يَبدأُ بذِكرِ اللهِ ويُثَنّي بذِكرك، ولك في الآخرةِ ما لا يَدخُلُ تحتَ الوَصْفِ، فَمِثْلُكَ لا يقال له: أَبتَرُ. قيل: نزلَت في العاصِ بنِ وائلٍ، وقد سماه الأبترَ، والأبتر: الذي لا عَقِبَ[٤] له.

---

(١) هو الحليب.
(٢) رَغْمَ كُرهِ قومك وتباعدهم عنك، ونبذِك وهجرانك لهم.
(٣) شَبَّهَ أُمتَهُ بأولاده.
(٤) العَقِبُ: النَّسْل.

سورة الكافرون
مكية وهي ست ءايات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٦- ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ المخاطَبُونَ كَفَرَةٌ مَخصوصونَ قد عَلِمَ اللهُ أنهم لا يؤمنون، رُوي أن رَهْطًا[1] من قريش قالوا: يا محمدُ، هَلُمَّ فاتبعْ دينَنا ونتبعَ دينَكَ، تَعبدُ ءالهتَنا سنةً ونعبدُ إلٰهَكَ سنة، فقال عليه الصلاة والسلام: معاذَ اللهِ أن أُشرِكَ بالله غيرَه، قالوا: فاستَلِمْ بعضَ ءالهتنا نُصَدِّقْكَ ونعبدْ إلٰهكَ، فنزلَت، فغدا إلى المسجدِ الحَرَام وفيه الملأُ من قريش فقرأها عليهم فَأَيِسُوا ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ أي: لَستُ في حالي هذه عابدًا ما تَعبدونَ ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ﴾ الساعة ﴿مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ يعني: الله ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ ولا أَعبدُ فيما أَستقبلُ منَ الزمان ما عبدتم ﴿وَلَآ أَنتُمۡ﴾ فيما تَستقبلونَ ﴿عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥﴾ وَذُكِرَ بلفظِ (ما) لأن المراد به الصفة، أي: لا أَعبدُ الباطلَ ولا تعبدونَ الحَقَّ، أو ذُكِرَ بلفظ (ما) ليتقابلَ اللفظان، ولم يصحَّ في

(١) الرَّهْطُ: عدد يَجمعُ ما بين الثلاثة إلى العشرة.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾

الأول[١] (مَنْ) وصَحَّ في الثاني (ما) بمعنى: الذي ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ لكم شِركُكُم وَلِيَ توحيدي.

---

(١) أي: لم يصح في قوله تعالى: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (مَنْ) بدلَ (ما) لأنهم لا يعبدون عاقلًا، بل حجارةً ونحوَها، ولا يقال فيها (مَنْ)، بل (ما)، وأما في الثاني في قوله تعالى ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ فيصح فيها (مَنْ) - وهو الأصلُ إن أريدَ به الذاتُ - ويصح فيها (ما) بمعنى الذي، فصح تقابلُ اللفظين بما ولم يصح بِمَن.

سورة النصر
مدنية وهي ثلاث ءايات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٣- ﴿إِذَا﴾ منصوبٌ بِسَبِّحْ، وهو لِمَا يُستقبَلُ، والإعلام بذلك قبل كونه مِن أعلامِ النبوة[١]. ورُوي أنها نزلَت في أيام التَّشْريق بمِنًى في حَجَّة الوَداع ﴿جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ النَّصرُ: الإعانةُ والإظهارُ[٢] على العدو، والفتحُ: فتحُ البلاد، والمعنى: نَصْرُ رسولِ الله ﷺ على العَرَبِ، أو على قريشٍ، وفتحُ مكةَ ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ﴾ بمعنى: أَبْصَرتَ، أو عَرَفتَ ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ أي: إذا جاءَ نَصرُ اللهِ إياكَ على مَن ناوأَكَ[٣]، وفَتْحُ البلاد، ورأيتَ أَهلَ اليمن يدخلون في مِلةِ الإسلام جماعاتٍ كثيرةً بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدًا واحدًا واثنين اثنين ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ فَقُلْ: سبحانَ الله حامدًا له، أو فَصَلِّ [شكرًا له] ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ تواضعًا وهَضْمًا[٤] للنفس، أو دُمْ على

(١) أي: من علامات النبوة، جمع عَلَم، وهو العلامةُ.
(٢) الإظهارُ على العدو: الظَّفَرُ عليه، يقال ظَهَرَ عليه بمعنى ظَفِرَ وانتصر وفاز.
(٣) أي: من عاداك، والمناوأة: المعاداة.
(٤) هضمُ النفس: كسرُها واتهامُها تواضعًا.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

الاستغفار ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ ولم يَزَلْ ﴿تَوَّابًا ۝٣﴾ التوَّابُ: الكثيرُ القَبُولِ للتوبةِ، وفي صِفةِ العبادِ الكثيرُ الفِعلِ للتوبة[1].

[وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صَلَّى النبيُّ ﷺ صلاةً بعد أن نزلت عليه ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إلا يقول فيها: «**سبحانَكَ رَبَّنا وبحمدِك، اللهم اغفِر لي**».

وعنها رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُكثِرُ أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانَكَ اللهم ربَّنا وبِحمدِك، اللهم اغفِر لي**».

---

(١) أي: إن أُطلِق لفظ التوَّاب في حق العبد فهذا معناه، وليس معناه هكذا في الآية الكريمة.

سورة المسد
مكية وهي خمس ءايات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ التَّبابُ: الهلاكُ، والمعنى: هَلَكَتْ يَداهُ، لأنه فيما يُروى أَخَذَ حَجرًا ليرميَ به رسولَ الله ﷺ ﴿وَتَبَّ ١﴾ وَهَلَكَ كُلُّه، أو جعلت يداه هالكتين والمرادُ هلاكُ جملته كقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ ١٠﴾[1] [سورة الحج]، ومعنى ﴿وَتَبَّ﴾: وكان ذلك وحصل، [فيكون الأول دعاءً والثاني خَبَرًا بمعنى: وقد تَبَّ، أي أهلكَهُ اللهُ وقد هَلَكَ].

رُويَ أَنه عليه الصلاة والسلام لَمَّا نزلَ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [سورة الشعراء] رَقِيَ الصَّفَا[2] وقال: «**يا صَبَاحاهُ**»، فاستَجْمَعَ إليه ناسٌ مِنْ كل أَوْبٍ[3]. فقال عليه الصلاة والسلام: «**يا**

---

(١) المرادُ نفسُه؛ أي بما قدَّمتَ، وقد يُعَبَّرُ عن النفس باليد ويُخَصُّ اليدان بالذكر لأن العملَ أكثرُ ما يكون بهما، فيُرادُ جزاءُ عمله.

(٢) الصَّفا: جبل عند الكعبة، داخلٌ في نُسُك الحج والعمرة الآن رُدِمَ أسفله فصار مع جبل المَرْوَة كأنهما على استواء واحد لم يبق منهما إلا رأسهما.

(٣) استجمع أي: اجتمع إليه ناسٌ من كل طريق وناحية: والعرب ينادون يا صباحاهُ للإنذار من شيء قد يصيبهم كغارة العدو عليهم، التي تكون في الغالب في الصباح.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾

بني عبد المطلب، يا بني فِهْرٍ[1] **إن أخبرتكم أن بِسَفْحِ هذا الجبل خيلًا**[2] **أكنتم مُصَدِّقِيَّ»** قالوا: نعم. قال: «**فإني نذيرٌ لَكُمْ بينَ يدَيِ الساعةِ**[3]»، فقال أبو لَهَب: تبًّا لك، أَلِهذا دعوتنا، فنزلت، وإنما كَنَّاهُ - والتكنيةُ تَكرِمة[4] - لاشتهارِهِ بها دونَ الاسم، أو لكراهة اسمِه؛ فاسمُه عبد العُزَّى، أو لأن مآلَهُ إلى نارٍ ذاتِ لَهَب فوافقت حالُه كُنيتَه.

٢- ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ أي: لم ينفَعْه مالُه الذي وَرِثَه من أَبيه، والذي كَسَبَه بنفسِه، أو ماله التالدُ والطَّارف[5]؛ [والمعنى أنه لا ينفعه كلُّ أمواله التي جمعها ولا تدفع عنه العذاب والذُّلَّ النازلان به]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما كسب: وَلَدُه، [وكان يفتخر بماله وولده - وكان له خمسة بنين -] ورُوي أنه كان يقول: إن كان ما يقول ابنُ أخي[6] حقًّا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي.

٣- ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا﴾ سيدخل [في الآخرة نارَ جهنم]، والسين للوعيد أي: هو كائن لا محالةَ وإن تراخَى وقتُه ﴿ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣﴾ تَوَقُّد.

٤- ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ [أي هو وامرأتُه، و] هي أُمُّ جَميلٍ بنتُ حَرْبٍ أُختُ

---

(١) هو جَدٌّ من أجداد النبي عليه السلام بعيد. والمعنى أنه ﷺ صار ينادي أفخاذ عشيرته يا بني فلان يا بني فلان.
(٢) أي خلفَ هذا الجبل في أصله من الجهة الأخرى خيلًا تريدُ الغارَةَ عليكم.
(٣) أي: قبل قدوم الساعة، أي: أنذرُكم قبل مجيء يوم القيامة.
(٤) أي: في الأصل، وليس ذلك مرادًا هنا.
وكان يُلقَّبُ بأبي لهب لحُمرةٍ في وجهه.
(٥) المال التالدُ: المال القديم الأصلي الذي وُلِدَ عندك ونُتِجَ، بخلاف الطَّارف وهو المستحدث والمستفاد، فالأوَّل كرأس المال، والثاني كالربح.
(٦) أبو لهب عم النبي عليه الصلاة والسلام غير الشقيق، أخ أبيه عبد الله من غير أُمه.

﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾

أبي سفيان ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ كانت تَحمِلُ حُزْمَةً منَ الشوكِ فتنثُرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ، وقيل: كانت تَمشِي بالنميمة فتُشعِلُ نارَ العداوة بين الناس، ونصبَ عاصمٌ: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ على الشتم[1]، وأنا أُحبُّ هذه القراءةَ، وقد توسَّلَ إلى رسول الله بجميلٍ مَنْ أَحبَّ شتمَ أُمِّ جميلٍ[2].

٥- ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ المَسَدُ: الذي فُتِلَ منَ الحِبالِ فتلًا شديدًا مِنْ لِيفٍ كان أو جلدٍ أو غيرِهما، والمعنى: في جِيدِها[3] حَبْلٌ مما مُسِدَ من الحبال، وأنها تحملُ تلك الحُزمةَ من الشوكِ وتربطُها في جيدها كما يفعَلُ الحَطَّابونَ تحقيرًا لها، وتصويرًا لها بصورة بعضِ الحطاباتِ لتَجْزَع من ذلك ويَجْزَعَ بعلُها، وهما في بيت العزِّ وفي منصب الثروةِ والجِدَةِ[4].

---

(١) وقرأ الباقون بالرفع (حَمَّالَةُ الحطب) وهو على خبر الابتداء.

(٢) مرادُهُ أَنَّ مَن أحبَّ القراءةَ بالفتح؛ أي: حَمَّالَةَ الحطب، أي: أَخُصُّ بالشتم حَمَّالَةَ الحطب كان متقربًا إلى الرسول بشتم أم جميلٍ التي هي زوجةُ أبي لهبٍ عَمِّهِ، وليس ذلك من الطعن برسول الله ﷺ في شيء، بل هو تقرُّبٌ جميلٌ حسنٌ منه عليه الصلاة والسلام.

(٣) الجِيدُ: العُنُق.

(٤) الجِدَة: الغنى.

سورة الإخلاص
مكية عند الجمهور
وقيل مدنية، وهي أربع ءايات في الكوفيّ والمدنيين والبصريّ، وخمسٌ في المكيّ والشاميّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [أي:] واحِدٌ لا ثانيَ له.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قالت قريشٌ: يا محمدُ، صِفْ لنا ربَّكَ الذي تدعونا إليه، فنزلت، يعني: الذي سألتموني وصفَه هو اللهُ تعالى، وأحدٌ بمعنى: واحد.

والدليلُ على أنه واحدٌ مِن جِهةِ العَقلِ أن الواحدَ إما أن يكونَ في تدبير العالَمِ وتخليقِه كافيًا أو لا، فإن كان كافيًا كان الآخَرُ ضائعًا غيرَ مُحتاج إليه، وذلك نقصٌ، والناقصُ لا يكون إلٰهًا، وإن لم يكن كافيًا فهو ناقِصٌ، ولأن العقلَ يقتضي احتياجَ المفعولِ إلى فاعل، والفاعلُ الواحدُ كافٍ، وما وراءَ الواحِدِ فليسَ عددٌ أَولى من عددٍ، فَيُفْضي ذلك إلى وجودِ أعدادٍ لا نهايةَ لها، وذا مُحال، فالقولُ بوجود إلٰهين محال.

ولأن أحدَهما إما أن يقدرَ على أن يَستُرَ شيئًا من أفعاله عن الآخر أو لا يقدرَ، فإن قَدَرَ لزِمَ كونُ المستورِ عنه جاهلًا، وإن لم يقدِرْ لَزِمَ كونه

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾

عاجزًا، ولأنا لو فَرَضنا معدومًا مُمكِنَ الوجودِ فإن لم يقدِر واحدٌ منهما على إيجادِه كان كلٌّ واحِدٍ منهما عاجزًا، والعاجِزُ لا يكون إلٰهًا، وإن قَدَرَ أَحدُهما دونَ الآخَر فالآخرُ لا يكون إلٰهًا، وإن قَدَرا جميعًا، فإما أن يُوجِدَاهُ بالتعاون فيكونُ كلُ واحد منهما محتاجًا إلى إعانة الآخر، فيكون كلُ واحد منهما عاجزًا، وإن قَدَرَ كلُّ واحد منهما على إيجادِهِ بالاستقلال، فإذا أَوجَدَهُ أَحدُهما، فإما أن يبقى الثاني قادرًا عليه، وهو مُحالٌ، لأن إيجادَ الموجودِ محال، وإن لم يبقَ فحينئذ يكونُ الأولُ مُزِيلًا قدرةَ الثاني، فيكونُ عاجزًا ومقهورًا تحتَ تصرفه، فلا يكون إلٰهًا.

فإن قلتَ: الواحدُ إذا أَوجَدَ مقدورَ نفسِه فقد زالَت قدرتُه فيلزمُكُم أن يكونَ هذا الواحدُ قد جَعلَ نفسَه عاجزًا.

قلنا: الواحِدُ إذا أَوجدَ مَقْدورَ نفسه فقد نفذَت قدرتُه، ومَن نفذَت قدرتُه لا يكون عاجزًا، وأما الشريكُ فما نَفَذَت قدرتُه بل زالت قدرتُه بسبب قُدرة الآخر، فكان ذلك تعجيزًا.

٢- ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ هو السيدُ المَصْمُودُ إليه في الحوائج[(١)]، والمعنى: هو الله الذي تعرفونَه وتُقِرُّون بأنه خالقُ السماوات والأرض وخالقُكم، وهو واحد لا شريك له، وهو الذي يَصْمُدُ إليه كل مخلوق، ولا يستغنونَ عنه، وهو الغني عنهم.

٣- ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه لا يُجانَسُ حتى تكونَ له من جِنْسِهِ صاحِبةٌ فيتوالدا، وقد دل على هذا المعنى بقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۝١٠١﴾ [سورة الأنعام] ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ لأن كلَّ مولودٍ مُحْدَثٌ وجِسْمٌ، وهو قديمٌ لا أَولَ لوجوده، إذ لو لم يكن قديمًا لكانَ حادثًا

(١) أي: المقصود في الحوائج.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾

لعَدَمِ الواسِطَةِ بينهما[١]، ولو كان حادِثًا لافتَقَر إلى مُحْدِث، وكذا الثاني والثَالثُ فيؤدي إلى التسلسُلِ وهو باطلٌ، وليسَ بجِسْم لأنه اسم للمتركِّبِ، ولا يخلو حينئذٍ من أن يتصِفَ كلُّ جُزءٍ منه بصفاتِ الكمال فيكونَ كلُّ جُزءٍ إلٰهًا، فيفسُدُ القولُ به كما فَسَدَ بإلٰهين، أو غيرَ متصفٍ بها بل بأضدادها من سِمات الحدوث، وهو مُحال.

٤- ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ ولم يكافِئْهُ أَحَدٌ، أي: لم يُماثِلْهُ.

سألوهُ أن يَصِفَه لهم فأُوحِيَ إليه ما يحتوي على صِفاته تعالى.

فقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ إشارةٌ إلى أنه خالقُ الأشياء وفاطِرُها، وفي طَيِّ ذلك وَصفُه بأنه قادرٌ عالم، لأن الخَلقَ يَستدعي القُدرةَ والعِلمَ[٢] لكونهِ واقعًا على غايةِ إحكامٍ واتِّساقٍ وانتظام، وفي ذلك وَصْفُه بأنه حَيٌّ لأن المتصفَ بالقدرة والعِلم لا بُدَّ وأن يكون حيًّا، وفي ذلك وصفُه بأنه سميعٌ بصير مريد متكلم إلى غيرِ ذلك من صفاتِ الكمال، إذ لو لم يكن موصوفًا بها لكان موصوفًا بأَضدادِها، وهي نقائصُ، وذا من أَماراتِ الحدوث، فيستحيل اتصافُ القديم بها.

وقوله: ﴿أَحَدٌ ١﴾ وصفٌ بالوحدانية ونفيِ الشريكِ، وبأنه المتفرِّدُ بإيجاد المعدومات، والمتوحِّدُ بعِلمِ الخَفيات.

وقوله: ﴿ٱلصَّمَدُ ٢﴾ وَصفٌ بأنه ليس إلا محتاجًا إليه، وإذا لم يكن إلا محتاجًا إليه فهو غنيٌّ لا يحتاجُ إلى أحد، ويحتاج إليه كلُّ أحد.

---

(١) فلا يوجد شيء لا قديمٌ ولا مُحدَثٌ. الموجودُ موجودٌ موجِدٌ غير مُوجَدٍ - أي لم يسبقه عدم - وهو الله تعالى وحدَه، وموجودٌ موجَدٌ غيرُ مُوجِدٍ وهو كلُّ ما سوى الله تعالى.

(٢) أي: يجب للخالق أن يكون متَّصفًا بالقدرة والعِلم.

وقوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾ نفي للشّبَهِ والمجانَسَة[١].

وقوله: ﴿وَلَمۡ يُولَدۡ ٣﴾ نفيٌ للحدوثِ ووصفٌ بالقِدَمِ والأَوَّلية.

وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ نفيُ أن يُماثِلَه شيء.

ومن زعم أن نفيَ الكُفءِ - وهو المِثْلُ - في الماضي لا يدلُّ على نَفيِهِ للحال، والكفارُ يَدَّعونَه في الحال، فقد تاه في غَيِّهِ، لأنه إذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورةً، إذ الحادثُ لا يكون كفؤًا للقديم. وحاصلُ كلامِ الكَفَرة يؤولُ إلى الإشراكِ والتشبيهِ والتعطيل، والسورةُ تدفَعُ الكُلَّ كما قررنا[٢].

وفي الحديث: «**مَن قَرَأَ سورةَ الإخلاصِ فقدْ قَرَأَ ثُلُثَ القرءانِ**»[٣]، لأن القرءان يشتمل على توحيد الله وذِكرِ صفاته، وعلى الأوامر والنواهي وعلى القِصَص والمَواعِظ، وهذه السورةُ قد تجرَّدَت للتوحيد والصفات، فقد تَضَمَّنَتْ ثُلُثَ القرءان، وفيه دليل شرفِ علم التوحيد، وكيف لا يكون كذلك، والعِلمُ يَشْرُفُ بِشَرَفِ المعلوم ويتَّضِعُ بِضَعَتِهِ[٤]، ومعلومُ هذا العلم هو اللهُ وصفاتُه وما يجوز عليه، وما لا يجوز عليه، فما ظَنُّكَ بِشَرَفِ مَنزِلَتِهِ وجلالة مَحَلِّه[٥]؟!

---

(١) فلا أزلي وأبدي سواه سبحانه، ولا يُشبههُ أحد في أي صفة من صفاته.

(٢) فقوله تعالى ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ﴾ رَدٌّ على المعطِّلة الذين يُنكرون الخالق، وقوله ﴿أَحَدٌ﴾ ردٌّ على المشركين، وقوله ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ إلى ءاخر السورة ردٌّ على المشبِّهة.

(٣) ليس معنى الحديث أنها تعدل ثلثَ القرءان من جميع الوجوه، فمن نَذَرَ أن يقرأَ ثُلُثَ القرءان لا يُجزئُه أَن يقرأَ سورة الإخلاص عن نذره، وليس مَن قرأَ ثلثَ القرءان بالفعل حقيقةً من حيث المشقةُ والثوابُ والمضاعفة في الثواب كمن قرأ سورة الإخلاص، وإنما التشبيه من حيث عظيم الثواب لمن قرأها حيث تشتمل على التوحيد والصفات كعظيم ثواب من قرأ ثلث القرءان.

(٤) الضَّعَةُ: الذُّلُّ والهَوَان والدناءَة، نقيض الشرف والرِّفعة.

(٥) أي: عِظَمِ مَكانَةِ هذا العلم.

اللهم احشرنا في زُمرةِ العالِمين بك، العامِلِينَ لك، الراجينَ لثوابك، الخائفين مِن عقابك، المُكرَّمين بلقائك، وسَمِعَ رسولُ الله ﷺ رجُلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فقال: «**وَجَبَتْ**»، فقيل: يا رسول الله ما وجبت؟ قال: «**وجَبَتْ لهُ الجنةُ**»[1].

(١) أي ثبتت له الجنة وتحققت، وعُبّرَ بالمُضِي مبالغةً في تحقق حصول ذلك.

سورة الفلق
مختلف فيها وهي خمس ءايات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ أي: الصُّبحِ، أو الخَلْقِ، أو هو وادٍ في جهنم، أو جُبٌّ فيها، [أي: قل يا محمد: أمتنعُ وأعتصِمُ وأحترزُ برب الصبح، وسُميَ به لأنه يَنفَلِقُ عن الظلمة، أي: ينشقُّ، وعلى هذا أكثرُ المفسرين].

٢- ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ أي: النارِ، أو الشيطانِ، [فيكون المعنى: أعوذ بالله الذي خلق الصبحَ أو الخلقَ من شر النار، أو من شر الشيطان].

٣- ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ الغاسِقُ: الليلُ إذا اعتكَرَ ظلامُه[1]، ووقوبُه: دخولُ سواده في كل شيء، [أي: ومن شر ليل مظلِم إذا دخل]، وعن عائشة رضي الله عنها: أخذ رسول الله ﷺ بيديْ فأشارَ إلى القمر فقال: «**تعوَّذي بالله من شرِّ هذا، فإنه الغاسق إذا وقب**» ووقوبُه: دخولُه في الكسوف واسودادُه[2].

---

(١) اعتكر ظلامُه أي: اشتد، واعتكر الليل: اشتد سوادُه.

(٢) غَسَقَ الليل: أَظلَمَ، والغاسق الليل إذا غابَ الشفقُ وأظلَمَ، فالليلُ إذا دخل في ظلامِه غاسقٌ، والنهارُ إذا دخل في الليل غاسقٌ، والقمرُ إذا غاب غاسق.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

٤- ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ النَّفَّاثاتُ: النساءُ(١)، أو النفوسُ، أو الجماعاتُ السَّوَاحِرُ اللاتي يَعقِدْنَ عُقَدًا في خُيوط ويَنفُثْنَ عليها ويَرْقِينَ، والنَّفْثُ: النفخُ مع ريق، وهو دليل على بُطلان قولِ المعتزلة في إنكارِ تَحَقُّقِ(٢) السحر وظهورِ أَثَرِهِ.

٥- ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ أي: إذا ظَهرَ حَسَدُه وعَمِلَ بمقتضاه(٣)، لأنه إذا لم يظهر [ويعملْ بمقتضاه] فلا ضررَ يعود منه على مَنْ حَسَدَه، بل هو الضارُّ لنفسه لاغتمامه بسرور غيره، وهو الأسف على الخير عند الغير(٤)، وهو أَولُ ذَنبٍ عُصِيَ اللهُ به في السماء من إبليسَ وفي الأرضِ من قابيلَ، وإنما عُرِّفَ بعضُ المستعاذ منه ونُكِّرَ بعضُه لأن كلَّ نفَّاثةٍ شِرِّيرةٌ فلذا عُرِّفت النَّفَّاثات، ونُكِّرَ غاسقٌ لأن كلَّ غاسق لا يكون فيه الشرُّ إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضرُّ، ورُبَّ حسدٍ يكون محمودًا، كالحسد في الخيرات(٥).

---

(١) أي: النساءُ السواحر، أو النفوس السواحر، أو الجماعات السواحر.

(٢) أي: صِحةِ وجودِ السحر.

(٣) أي: بالسعي بإضرار مَن رأى عليه نِعمةً فَمَقَتها وأحبَّ ذهابَها.

(٤) فإن لم يُظهر ما في قلبه ولا عمل بمقتضى ذلك وكان المانع له تقوى الله تعالى فليس عليه معصية لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسية، وكيفيةُ مجاهدة النفس أن لا يعمل بهذه الخواطر ولا يَعزِمَ على العمل بها في المستقبل ولا يُظهرها، أما إن كان المانع له من العمل بمقتضى ذلك هو العجز فقط بحيث لو تمكَّنَ لَفَعَل كان مأزورًا.

(٥) معناه أن يتمنى أن يكون مثلُ ذلك له، أي بمعنى الغبطة، وهو تمني مثل ما للغير مع بقاء ما للغير له، ويُسَمَّى حسدًا، ويفهم المعنى بالقرينة، ومنه الحديث: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ ءاتاه الله مالًا فسلَّطه على هَلَكَتِهِ في الخير، ورجلٌ ءاتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويُعَلِّمها**».

سورة الناس
مختلف [في كونها مدنية -وهو الراجح- أو مكيَّة]
وهي ست ءايات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ أي: قل يا محمد: أعتصِمُ وأمتنِعُ وأستأمِنُ وأستجير بمالك الناس ومدبِّرهم[(١)] ومُرَبِّيهم[(٢)] ومُصْلِحِهم[(٣)].

٢- ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ مالِكِهم ومُدَبِّرِ أُمورهم.

٣- ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ معبودِهم، وإنما أضيف الربُّ إلى الناس خاصَّة وإن كان ربَّ كل مخلوق تشريفًا لهم[(٤)]، ولأن الاستعاذةَ وقعت مِن شرِ المُوَسْوِسِ في صدورِ الناس، فكأنه قيل: أعوذ من شرِّ المُوَسْوِس إلى الناس بربِّهم الذي يَملِك عليهم أُمورَهم وهو إلٰههم ومعبودُهم.

---

(١) المُيَسِّرِ لهم أُمورَهم بتقديره ومشيئته.

(٢) المُنْعِمِ عليهم بجميع النِّعَم.

(٣) الذي قدَّر لهم ما يُصلح لهم أمورَ معيشتهم من النهار للعمل والليل للنوم والراحة والمطر للاسترزاق إلى غير ذلك.

(٤) ففيهم الأنبياء الذين هم صفوةُ خلقه وأفضلهم على العالمين.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

٤- ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ هو اسمٌ بمعنى الوَسْوَسَة، والمرادُ به الشيطان كأنه وَسْوَسَة في نفسه لأنها شُغلُه الذي هو عاكف عليه، أو أُريد ذُو الوسواس، والوَسْوَسَة: الصَّوْتُ الخفي ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ الذي عادتُه أَن يَخْنُسَ، منسوب إلى الخنوس: وهو التأخر. رُوِيَ عن سعيد ابن جبير: إذا ذَكَرَ الإنسانُ ربَّه خَنَسَ الشيطانُ وَوَلَّى، وإذا غَفَلَ رَجَعَ وَوَسْوَس إليه.

٥- ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [في قلوبهم إذا غَفَلوا عن ذِكر الله، فإذا ذكر اللهُ خَنَسَ، أي: كفَّ وأقصر].

٦- ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيان للذي يُوَسْوِسُ، على أن الشيطان ضربان جِنيٌّ وإنسيٌّ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ۝١١٢﴾ [سورة الأنعام] وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرجل: هل تعوذتَ بالله مِن شيطانِ الإنس؟

رُوِيَ أنه عليه السلام سُحِرَ فَمَرِضَ، فجاءه ملكانِ وهو نائم، فقال أَحدُهما لصاحبه: ما بالُهُ. فقال: طُبَّ[١]. قال: وَمَنْ طَبَّه؟ قال: لبيدُ بنُ أَعْصَمَ اليهوديُّ، قال: وبِمَ طَبَّه؟ قال: بِمُشْطٍ ومُشَاطَةٍ[٢] في جُفِّ طَلْعَةٍ[٣] تحت

---

(١) طُبَّ أي: سُحِرَ، كَنَّوا بالطب عن السحر تفاؤلًا بالبُرء.
(٢) المشط: المعروف بكسر الميم وضمها، وأما المُشاطةُ بضم الميم فهي الشعر الذي يَسقطُ من الرأس أو اللحية عند تسريحه بالمشط.
(٣) جُفُّ طَلعَةِ النخل بضم الجيم وتشديد الفاء: وِعاءُ الطلع وقِشره. وطلعُ النخل: أول ما يبدو من ثمرها قبل أن تُخرج النخلة شماريخها وهي عناقيد البلح.

راعُوفَةٍ[١] في بئرِ ذي أَرْوَان[٢]، فانتبه ﷺ فبعثَ زُبيرًا وعليًّا وعمارًا رضي الله عنهم فَنَزَحوا ماءَ البئر[٣] وأخرجوا الجُفَّ فإذا فيه مُشَاطَةُ رأسهِ وأَسنانٌ من مُشطِهِ، وإذا فيه وَتَرٌ[٤] مُعَقَّدٌ فيه إحدى عَشْرَة عُقْدَةً مغروزةً بالإِبَرِ. فنزلت هاتان السورتان، فكلما قرأَ جبريلُ ءايةً انحَلَّتْ عُقدةٌ حتى قامَ ﷺ عندَ انحلالِ العُقدةِ الأخيرة كأنما نُشِطَ من عِقالٍ[٥] وجَعَلَ جبريلُ يقولُ: باسْمِ اللهِ أَرقيكَ، واللهُ يَشفيكَ مِن كلِ داءٍ يؤذيك.

ولهذا جُوِّزَ الاسترقاءُ بما كان من كتابِ اللهِ وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسُّريانية والعِبرانية والهندية[٦] فإنه لَا يَحِلُّ اعتقادُه والاعتمادُ عليه.

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وأقوالنا ومن شر ما عَمِلنا وما لم نَعمَل، ونشهد أن لا إله إلا الله وَحْدَه لا شريكَ له وأن محمدًا عبدُه ورسوله ونبيه وصفيه أَرسَلَه بالهُدَى ودينِ الحق ليُظهِرَه على الدينِ كُلِّه ولو كَرِهَ المشركون صلى الله عليه، وعلى ءاله مصابيح الأنام، وأَصحابه مفاتيح دارِ السلام والله أعلم بالصواب وإليه الملجأ والمآب.

---

(١) راعوفةُ البئر: صخرةٌ تُتْرَك في أسفل البئر ليجلِسَ عليها المنَقِّي لها.
(٢) بئرٌ كانت في المدينة في بستان بني زُرَيق من اليهود.
(٣) أي: أخرجوا ماءها.
(٤) الوَتَرُ بفتحتين: وَتَرُ القوس.
(٥) نُشِطَ - بضم أوله - من عِقال يقال للآخذِ بسرعة في أي عمل كانَ، وللمريض إذا بَرِئَ وللمغشي عليه إذا أفاق، ونُشِطَ من عِقال أي: حُلَّ مِن عِقالِه.
(٦) إذا لم يُعرَف معناه، أما إذا كان دعاءً ولو كان بأيِّ لغة من اللغات ينفع بإذن الله.

الفهرس العام